تفسير إنجيل يوحنا

إبراهيم سعيد

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

مقدمة عامة	٣
الديباجة	١٥
شهادة يوحنا المعمدان	٢٨
شهادة التلاميذ الأولين	٣٩
شهادة المعجزة الأولى	٤٩
مواجهة بعض الاعتراضات	٥٦
رب الهيكل في هيكل الرب	٥٧
الإيمان الذي لا يؤمن به المسيح	٦٢
ضيف الظلام أو وليد الناموس يواجه رب النعمة والحياة	٦٤
المسيح في أرض اليهودية	٧٦
المسيح في السامرة	٨٣
المسيح في الجليل	١٠٢
المعجزة الثالثة: المسيح مجدد الحياة	١٠٥
نتيجتان متناقضتان	١٢٥
المسيح نبع الحق, ومصدر النور, ومشبع الحياة	١٥٨
عطف المسيح وصفحه	١٨٦
يسوع نور العالم	١٩٣
المعجزة السادسة: المسيح يرى الأعمى. والأعمى يرى المسيح	٢٢٧
الراعي والرعية	٢٥١
المعجزة السابعة: إقامة لعازر – أو المسيح رب الحياة	٢٧٨
الأيام الأخيرة في خدمة المسيح على الأرض	٣١٣
قدس الأقداس	٣٣٩
تشجيعات ووعود	٣٦٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حديث الطريق	٣٨٦
الروح المعزي	٤٠٢
مطالب الشفيع الأعظم	٤٢٠
وادي الآلام	٤٤٠
تتمة المحاكمة، والصلب	٤٦٣
القبر الخالي	٤٨٦
تتمة البشارة – على شاطئ بحيرة الجليل	٥١٣
المراجع	٥٢٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة عامة

بشارة يوحنا هي فريدة. فليس في آداب اللغات ما يعدل البشائر الأربع, وليس بين البشائر الأربع ما يعدل البشارة الرابعة.

أهذه البشارة مقالة تاريخية؟ أم هي بحث فلسفي أفرغ في قالب تاريخي؟ أم هي حجة لاهوتية جمعت بين ثناياها دقائق التاريخ وجمال الفلسفة؟ أم هي كل هذه مجتمعة معاً؟؟

بشارة يوحنا هي بشارة الخاصة, لكنها في نفس الوقت بشارة العالم أجمع. فمع أن كاتبها يهودي مشبع بالآراء اليهودية, ومع أنه مسيحي ملم بكل ما جاءت به البشائر الثلاث السابقة لبشارته, ومع أنه مرتبط بحدود الزمن الذي نشأ فيه, ومتأثر بعوامل البيئة اليونانية التي كانت محيطة به, إلا أن كتابه ليس قاصراً على اليهود, ولا هو كتاب جيل خاص, لكنه كتاب الأجيال, لأن وراء يد يوحنا, عاملاً قوياً خفياً, هو روح الله العارف قلوب البشر أجمعين.

في الإصحاحات الثلاثة الأولى, نرى المسيح "كلمة الله الأزلي" محاطاً ببيئة يهودية, وإذ نبلغ الإصحاح الرابع, نرى الفادي وقد تخطى حدود البيئة اليهودية الضيقة, حتى اتصل بالسامريين فوجدوا فيه مخلصهم المنتظر إذ قالوا "هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم".

إن كل قارئ ودارس لهذه البشارة, مهما كانت لغته وجنسيته, تقابله على صفحاتها كلمات جامعة تقوم أمامه واثبة لتحييه بلغته الخاصة, لأنها كلمات عامة تلامس جميع البشر على توالي الأيام – المحبة, الحياة, النور, الحق, الخبز, الماء – كل هذا يؤكد لنا أن البشارة هي كتاب العالم أجمع.

هذا الكتاب هو قدس أقداس الآداب المسيحية. فيه نسمع أقدس الإعلانات السماوية, فلا عجب إذا جادت قرائح القديسين بأمجد الألقاب وأقدسها على هذه البشارة. فمن قائل أنها "بشارة الأبدية" إلى قائل أنها "تعبير قلب الله" إلى قائل إنها "بشارة الحب الخالص".

مزايا بشارة يوحنا

من أظهر مزايا هذه البشارة, أنها "بشارة الحق" فقد وردت فيها كلمة "الحق" ٥٠ مرة. وفي كل مرة منها ذكرت مثنى "الحق. الحق". ولم ترد مكررة على هذه الصورة إلا في بشارة يوحنا وعلى لسان المسيح وحده. فهو "الحق" الذي يقول "الحق". وهذه الكلمة جاءت (أ) متممة لحديث، أو (ب) لتقرير حقيقة مهمة,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أو (جـ) جواباً على سؤال.

هذه هي بشارة "ذات" المسيح , فيها يحدثنا بنفسه, عن نفسه قائلاً: "أنا هو" ولقد وردت هذه العبارة على لسان المسيح ١٤ مرة أي ٧ مرات مضاعفة: والسبعة عدد كامل

(١) "أناهو (المسيح)" ٤: ٢٦

(٢) "أنا هو لا تخافوا" ٦: ٢٠

(٣) "أنا هو خبز الحياة" ٦: ٣٥

(٤) "أنا هو الخبز الذي نزل من السماء" ٦: ٤١

(٥) "أنا هو نور العالم" ٨: ١٢

(٦) "أنا هو الشاهد لنفسي" ٨: ١٨

(٧) "حينئذ تفهمون أني أنا هو" ٨: ٢٨

(٨) "أنا هو الباب" ١٠: ٩

(٩) "أنا هو الراعي الصالح" ١٠: ١٤

(١٠) "أنا هو القيامة والحياة" ١١: ٢٤

(١١) "أنا هو الطريق, والحق, والحياة" ١٤: ٦

(١٢) "أنا هو الكرمة" ١٥: ١ و٥

(١٣) "إن لم تؤمنوا أنى أنا هو" ٨: ٢٤

(١٤) "أنا هو" ١٨: ٥

هذه هي بشارة الشهادة المكملة إذ نرى فيها شهادة "سباعية" للمسيح:

(١) شهادة يوحنا المعمدان للمسيح ١: ٧، ٥: ٣٥

(٢) شهادة الكتب للمسيح ٥: ٣٩-٤٦

(٣) شهادة أعمال المسيح له ١٠: ٢٥، ٦: ٣٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٤) شهادة الآب للمسيح ٥: ٣٤، ١٨: ٣٧

(٥) شهادة المسيح لنفسه ٨: ١٤، ١٨: ٣٧

(٦) شهادة الروح القدس للمسيح ١٥: ٢٦، ١٦: ١٤

(٧) شهادة التلاميذ للمسيح ١٥: ٢٧، ١٩: ٣٥

هذه هي بشارة التدرج والتقدم: فلنلق نظرة إلى الدرجات التي ارتقى عليها:

(أ) إيمان نيقوديموس: في الإصحاح الثالث والعدد الثاني نقرأ عنه أنه "جاء إلى يسوع ليلاً" هذه درجة ابتدائية في سلم إيمان هذا الرجل. وإذ نتقدم إلى الإصحاح السابع والعدد الخمسين وما بعده نجد القول: "قال لهم نيقوديموس.. ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه" هنا نرانا أمام درجة أرقى في إيمان هذا الرجل, لأنه خرج من خباء تستره وقصد أن يدافع عن سيده وإن يكن بشيء من الخوف. وإذ نبلغ منتهى البشارة في ١٩: ٣٩، نجد القول: "وجاء أيضاً نيقوديموس... فأخذا جسد يسوع لأن الخوف طرد من قلبه فجاهر بأيمانه على رؤوس الأشهاد.

(ب) إيمان خادم الملك: نقرأ عنه في ٤: ٥٠ أنه "آمن بالكلمة التي قالها له يسوع فذهب" وإذ نتقدم في القصة نجد إيمان الرجل وقد ارتقى درجة أعلى "ففهم الأب في تلك الساعة... فآمن هو وبيته" ٤: ٥٣

(جـ) ايمان الرجل المولود أعمى:

في ٩: ١١ قال عن المسيح أنه "يسوع". هذه درجة ابتدائية في سلم الإيمان,

وفي ٩: ١٧ قال عنه أنه "نبي". هذه درجة مناسبة في سلم الإيمان,

وفي ٩: ٣٣ قال عنه أنه "من الله". هذه درجة راقية في سلم الإيمان,

وفي ٩: ٣٨ آمن أنه "ابن الله"ز هذه درجة أرقى في سلم الإيمان,

(د) إيمان أهل السامرة:

في ٤: ٣٩ نجد القول: "فآمن به كثيرون بسبب كلام المرأة" – هذه درجة ابتدائية،

وفي ٤: ٤٢ نجد القول: "فقالوا للمرأة أننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن, لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة مخلص العالم". هذه درجة راقية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولنلق نظرة أخرى إلى الدركات التي هبط إليها عدم الإيمان:

(ا) عدم ايمان يهوذا:

في ٦: ٦٤ نرى لمحة خفيفة عن خلقه "من هو الذي يسلمه"

وفي ١٣: ٢ نجد القول "ألقى الشيطان في قلب يهوذا-أن يسلمه"

وفي ١٣: ٢٧ نجد القول"دخله الشيطان". في الخطوة السابقة ألقى الشيطان أفكاره في قلب يهوذا. وفي الخطوة النهائية دخل هو بكليته في قلبه.

(ب) عدم إيمان الأمة اليهودية:

في ١: ١١ نقرأ القول "وخاصته لم تقبله".

وفي ٢: ١٨ نرى أن بغضهم له قد بدأ في النمو فطلبوا منه آية:"وقالوا له أية آية ترينا حتى تفعل هذا"؟

وفي ٥: ١٦ نجد بغضهم له أضحى انتقاماً:"ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه".

وفي ١٢: ١٠ نجد معارضتهم له برزت ونظمت" فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضاً" – أي المسيح ولعازر.

وفي الإصحاحات الأخيرة نجد معارضتهم له وقد نضجت واستوت فنفذت بصلبه على الصليب.

هذه هي بشارة التجسد:

متى البشير يقدم لنا المسيح في رداء "مسيا" المنتظر من اليهود, ومرقس العامل النشيط يقدمه لنل في ثوب العامل لسد حاجات البشرية, ولوقا الطبيب المؤرخ يقدمه لنا في شكل المخلص الذي جاء ليفدى, ويوحنا اللاهوتي الباطني يقدمه لنا في جلال لاهوته المتجسد.

إن هذه البشارة الرابعة ترسم أمامنا الهوة السحيقة التي أوجدتها الخطية بين الإنسان وبين الله، ثم ترينا كيف أن المسيح وهو ابن الله قد صار خاضعاً لنواميس الحياة في الجوع, والعطش, والتعب, والدموع, والابتسام, ليملأ هذه الثغرة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا ما حدا بأوريجانوس إلى القول: "إن بشارة يوحنا هي تاج البشائر كما أن البشائر هي ختم الكتب المقدسة". وهذا ما دفع لوثر إلى القول "إن بشارة يوحنا رقيق الحواشي, وأنها مع رسالتي رومية وبطرس الأولى تحسب إنجيلاً مختصراً".

غير أن المسيح المقدم لنا في بشارة يوحنا, ليس مسيحاً جديداً, ولا هو مسيح آخر, فالمسيح هو هو في كل البشائر. إنما ينظر يوحنا إلى المسيح من ناحية غير التي نظر إليه منها سائر البشيرين, وفي بعض النواحي يلتقي معاً جميع البشيرين.

لم يرد في يوحنا ذكر الكتبة, والبرص, ولا العشارين, ولا المصابين بأرواح نجسة. لأن كل المعجزات التي ذكرت في بشارة يوحنا, كان القصد منها, أن تكون "علامات لإظهار مجد المسيح". وفوق ذلك فإن كلمات المسيح التي سجلت في بشارة يوحنا, لم تذكر من قبيل الأمثال ولا المواعظ, بل ذكرت على سبيل الأحاديث الخاصة, الحبية, العميقة.

هذه هي بشارة الرموز والمجازات:

إن كلماتها يونانية, مصوغة في قالب عبري. وترتيب حوادثها يتمشى مع النظام الثلاثي والسباعي كما في الأدب العبري:

ذهب المسيح إلى الجليل ٣ مرات في الجليل أجرى ٣ معجزات

وذهب الى اليهودية ٣ مرات وفي أورشليم أجرى ٣ معجزات

وقضى ثلاث ساعات مضاعفة - ٦ ساعات - في النواحي المجاورة لمكان خدمة يوحنا المعمدان.

وقصة لعازر- مرضه, وموته, وقيامته - استغرقت ٣ أيام, وسجل يوحنا ثلاثاً من كلمات المسيح على الصليب, وفي يوحنا ظهر المسيح ٣ مرات لتلاميذه بعد القيامة, و٧ مرات مضاعفة - ١٤ مرة - قال المسيح عن نفسه "أنا هو".

بعض الكلمات المميزة لبشارة يوحنا

ذكرت كلمة "نور" ٢٣مرة

ذكرت كلمة "مجد" ومشتقاتها ٤٢ مرة

ذكرت كلمة "ظلمة" ٩ مرات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذكرت كلمة "محبة" ومشتقاتها ١٨ مرة

ذكرت كلمة "العالم" ٧٨ مرة و١٥ مرة في سائر البشائر

ذكرت كلمة "جسد" ٨ مرات

ذكرت كلمة "الحياة الأبدية" ١٥ مرة

ذكرت كلمة "أعمال" ٢٣ مرة

ذكرت كلمة "ثبوت" ١٨ مرة

ذكرت كلمة "الظهور" ٨ مرات

ذكرت كلمة "الدينونة" ومشتقاتها ٣٠ مرة

ذكرت كلمة"يؤمن" ومشتقاتها ٩٨مرة و"مرتين" في سائر البشائر

ذكرت كلمة "اليوم الأخير" ٧ مرات

ذكرت كلمة "شاهد" ومشتقاتها ٣٧ مرة

ذكرت كلمة "يعرف" ٥٥ مرة

ذكرت كلمة "اسم" ٢٥ مرة

ذكرت كلمة "علامات" ١٧ مرة

مفتاح هذه "البشارة" متضمن في كلمتين: "الشهادة"، "الإيمان" وإليك البيان:

"الشهادة" "الإيمان"

بذار الإيمان

شهادة يوحنا المعمدان بذار عدم الأيمان

نمو الإيمان

شهادة معجزات المسيح نمو عدم الإيمان

شهادة الآب سر الإيمان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سر عدم الإيمان

شهادة الكتب المقدسة ثمار الإيمان

ثمار عدم الإيمان

شهادة المسيح نفسه أهمية الإيمان

دينونة عدم الإيمان

شهادة أفراد مختلفين

شهادة الروح القدس وقت الإيمان

موضوع الإيمان

العبارات المتشابهة

في بشارة يوحنا وفي رسائله

بشارة يوحنا رسائل يوحنا

يوحنا٣: ١١ متشابهة مع ١ يو١:١-٣

يوحنا٤: ٢٤ متشابهة مع ١ يو٥:٢٠

يوحنا٥: ٣٢ متشابهة مع ١يو٥: ٩

يوحنا٥: ٢٤ متشابهة مع١يو٣: ١٤

يوحنا٥: ٣٨ متشابهة مع١يو٢: ١٤

يوحنا٨: ٤٦ متشابهة مع١يو٣: ٥

يوحنا٨: ٤٧ متشابهة مع١يو٤: ٦

يوحنا ١٠: ١٥ متشابهة مع ١يو٣: ١٦

يوحنا١٢: ٣٥ متشابهة مع ١يو١٢: ١١

يوحنا١٣: ٣٤ متشابهة مع ١يو٣: ٢٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوحنا٦: ٥٦ متشابهة مع ١يو٤: ١٥

يوحنا٦: ٦٩ متشابهة مع ١يو٤: ١٦

يوحنا٢٩:٨ متشابهة مع ١يو٣: ٢٢

يوحنا٨: ٤٤ متشابهة مع ١يو٣: ٨

يوحنا٨: ٤٦ متشابهة مع ١يو٣: ٥

يوحنا١٥: ١٠ متشابهة مع١يو٤: ١٦

يوحنا١٥: ١٨ متشابهة مع ١يو٣: ١٣

يوحنا١٦: ٢٤ متشابهة مع ١يو ١: ٤ و٢يو ١٢

يوحنا١٦: ٣٣ متشابهة مع ١يو٥: ٤

وإليك مقابلة بين بعض الكلمات

في بشارة يوحنا في رسائل يوحنا

"البدء" يوحنا١: ١ = "البدء" ١ يو١: ١

"كان عند" يوحنا١: ١ = "كانت عند" ١يو١: ٢

"كان الكلمة الله" يوحنا١: ١ = "هذا هو الاله" ١يو٥: ٢٠

"النور الحقيقي" يو١: ٥ = "النور الحقيقي"١يو٢: ٨

"أعطاهم" سلطاناً أن يصيروا = "أعطانا الأب حتى ندعى

أولاد الله" يو: ١٢ أولاد الله" ١يو٣: ١

"المؤمنون باسمه" يو١: ١٣ = "المؤمنين باسم ابن الله" ١يو٥: ١٣

"الذين ولدوا...من الله" يو١: ١٣ = "ولد من الله" ١يو٥: ١

"الكلمة صار جسداً" يو١: ١٤ = " المسيح جاء في الجسد" ١يو٤: ٢

"رأينا مجده" ١يو١: ١٤ = "رأيناه" ١يو١: ١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"فجاء يسوع أيضاً" يو٤: ٤٦ = "ابن الله قد جاء" ١يو٥: ٢٠

الآيات المقتبسة من العهد القديم في بشارة يوحنا:

(١) ما ورد منها في سياق كلام يوحنا البشير:

ما ورد في البشارة ما جاء في العهد القديم ما ورد في البشارة ما جاء في العهد القديم
يوحنا٢: ١٧ مقتبسة من مز٦٩: ٩ يوحنا١٩: ٢٤ مقتبسة من مز ٢٢: ١٨

يوحنا١٢: ١٤و١٥ مقتبسة من زكريا٩: ٩ يوحنا١٩: ٣٦ مقتبسة من خر١٢: ٤٦

يوحنا١٢: ٣٨ مقتبسة من اشعياء٥٣: ١ يوحنا١٩: ٣٧ مقتبسة من زكريا١٢: ١٠

يوحنا١٢: ٤٠ مقتبسة من مزمور٢٢: ١٨

لفيلبس: "من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء" (٦: ٥ و٧)، وكلام اليونانيين لفيلبس: "ياسيد نريد أن نرى يسوع" ثم ذهاب فيلبس وكلامه مع اندرا وس ثم كلام اندراوس وفيلبس ليسوع, (١٢: ٢١و٢٢).

وذكر سؤال توما: "لسنا نعلم أين تذهب. فكيف نقدر أن نعرف الطريق" (١٤: ٥)

وسؤال يهوذا ليس الأسخريوطي: "ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم" (١٤: ٢٢)، وأسئلة التلميذ الذي كان يسوع يحبه: (١٣: ٢٣-٢٥و٢١: ٢٠).

أما تدقيقه في ذكر الأزمنة بالتفصيل، فيظهر من ذكره الأسبوع الأول في خدمة المسيح على الأرض (١: ٢٩و٣٥و٤٣و٢: ١) والأسبوع الأخير (١٢: ١ و١٢ و١٣: ١ و١٩: ٣١ و٢٠: ١)

وأسبوع القيامة (٢٠: ٢٦) والتدقيق في حساب الأيام المتعلقة بحادثة لعازر (١١: ٦و١٧و٣٩)، وتدقيقه في ذكر الساعة بالذات (١: ٣٩ و٣: ٢ و٤: ٥٢ و٦: ١٦ و١٣: ٣٠ و١٨: ٢٨ و١٩: ١٤ و٢٠: ١ و٢١: ٤).

وتدقيقه في ذكر الأعداد يظهر من:

ذكره تلميذي يوحنا (١: ٣٥)، وقوله "مئتي زراع" (٢١: ٨) "مئة وثلاثاً وخمسين سمكة" (٢١: ١١)، "ستة اجران" (٢: ٦)، "أربعة جنود" (١٩: ٢٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتظهر دقة وصفه للحوادث من قوله عن يهوذا: "لما خرج كان ليلاً" (١٣: ٢٣) وقوله عن رائحة الطيب أنها: "ملأت البيت"، ووصفه قميص المسيح أنه: " كان منسوجاً كله بغير خياطة" (١٩: ٢٣) وذكره المنديل الذي وجد في قبر المسيح (٢٠: ٧).

٤- هذا الكاتب، اليهودي، الفلسطيني، الشاهد العيان، هو أحد تلاميذ المسيح.

لأنه ملم إلماماً تاماً بدعوة المسيح للتلاميذ الأولين، ولأنه ذكر أن القيامة ثبتت أيمان التلاميذ، وعمقت الفرح في قلوبهم (٢٠: ٢٢)، ولأنه سجل الحوار الذي دار بين التلاميذ أنفسهم في حادثة سوخار (٤: ٣٣)، ودون ما قالوه بمناسبة خطاب المسيح الوداعي (١٦: ١٧ و٢٠: ٢٥ و٢١: ٣ و٧) ولأنه عرف المكان الذي لجأ إليه المسيح وتلاميذه "إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها افرايم" (١١: ٥٤)، ولأنه عرف الأفكار المغلوطة التي كان يفكر بها التلاميذ أولاً ثم أصلحها لهم المسيح فيما بعد. مثال ذلك: قول المسيح عن هيكل جسده (٢: ٢١و٢٢)، وعن نوم لعازر (١١: ١١- ١٣)، وعدم فهمهم كلام المسيح ليهوذا الأسخريوطي (١٣: ٢٨) وعدم معرفة التلاميذ لشخص المسيح بعد القيامة (٢١: ٤) ووصفه الدقيق لتأثرات المسيح مما يدل على أنه كان على مقربة منه، فحدثنا عن"انزعاج المسيح بالروح" (١١: ٣٣ و١٣: ٢١).

٥- هذا الرسول اليهودي، الفلسطيني، الذي شهد الحوادث هو يوحنا

نقرأ في خاتمة هذه البشارة (٢١: ٢٤) أن كاتبها هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، وقد ورد ذكر هذا التلميذ بهذا اللقب أربع مرات في البشارة

١٣: ٢٣ و١٩: ٢٦ و٢١: ٧ و٢٠). ويظهر من (٢١: ٢) أن الكاتب هو أحد اثنين: إما أنه أحد ابني زبدى، أو أحد التلميذين "الآخرين" الغير المعنيين في تلك الحادثة.

وإذا رجعنا إلى ما كتبه سائر البشيرين في هذه الحادثة، وجدنا أن الثلاثة التلاميذ المقربين من المسيح بنوع خاص هم: بطرس وابنا زبدى – التلاميذ معاً ليتذاكروا ما أعلن الله لهم، سمعوا يوحنا يقول: "..الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة.. نخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا".

من هو يوحنا كاتب هذه البشارة؟

كلمة "يوحنا" هي مختصر كلمة "يا حنان" أي "الرب يتحنن".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولد يوحنا في أيام حكم أول قياصرة الرومان، وامتدت به الأيام حتى بلغ أيام تراجان، فلامس حدود القرن الثاني للميلاد. وبذلك أضحى أطول الرسل عمراً، وأبقاهم على قيد الحياة.

ولد في بلاد فلسطين مهبط الوحي والإلهام، ومهد الرسالة والنبوة. هذه بلاد شعرية حساً ومعنى، لذلك يسميها اليهود ساكنوها "كنورت" أي القيثارة كما يدل عليها شكلها.

إذا قيس كل بلد بحدوده الجغرافية، حسبت فلسطين من أصغر بلاد العالم، فهي لا تزيد في عرضها عن ٥٠ ميلاً ولا تبلغ سوى ١٨٠ ميلاً في الطول.

لكن إذا قيس كل بلد، بما أنجبه من الرجال العظام، ومن قادة الرأي في البشرية، فأن هذه البلاد الصغيرة تحسب في مقدمة بلاد العالم عظمة وجلالاً. هذه بلاد ترعرع فيها سليمان، وملك فيها داوود، وتغنى فيها اشعياء، بشعره الخالد. فضلاً عن ذلك، فقد صارت مهبط تجلى الله في السحاب على الهيكل المقدس، وفوق الكل قد خرج منها مخلص البشرية- يسوع المسيح، الذي هو "بهاء مجد الله ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته".

في مقاطعة الجليل الواقعة شمال فلسطين، وفي مدينة بيت صيدا- مكان الصيد- عاش يوحنا كاتب البشارة المنسوبة إليه. في شبابه كان نكرة بين صيادي الأسماك، وفي رجولته وشيخوخته أضحى علماً في مقدمة صيادي الناس.

كان مسقط رأس يوحنا في قرية قريبة من بحر الجليل تكتنفها مروج تابور الخضراء، وتشرف عليها قمم جبال حرمون الثلجية البيضاء، فكان من الطبيعي أن ينشأ يوحنا في هذه البيئة الطبيعية الجميلة، وله عين النسر، وقلب الشاعر، وعقل الفيلسوف، وروح العابد المتصوف.

أما أبواه فهما زبدى وسالومة. كان والده في الغالب على جانب من نعيم الحياة، لأن عدداً من الخدم المأجورين كان في حيازته لمساعدته في إصلاح الشباك (مرقس١: ١٠). وكان أيضاً يملك بيتاً. وكان يوحنا نفسه معروفاً لدى قيافا رئيس الكهنة.

أما أمه فقد كانت سيدة فاضلة تقية. وكانت شريكة النساء اللواتي اشترين الحنوط الكثير الثمن لتكفين جسد المسيح.

إذاً كان يوحنا من عائلة شريفة مع انه كان متخذاً مهنة الصيد حرفة له. لأن عادات اليهود كانت تقضى على أبناء الأشراف أن يتعلموا حرفة ما.

ويستنتج من عدم ورود اسم والد يوحنا بعدما صار ولداه تلميذين ليسوع، أنه كان قد مات في ذلك الوقت.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذهب يوحنا عند بلوغه السادسة من عمره الى المدرسة التي كان يذهب إليه أبناء اليهود الأشراف والأوساط- وهي المعروفة "بالمدراش" فيها تعلم مبادئ القراءة واستظهر شيئاً من التوراة والتلمود. ولأن اليهود يعتقدون

"يا معلم لم اقتصرت على هذه العبارة" أجابهم: "هذه وصية المسيح وكفى. لأن من حفظ هذه الوصية، فقد حفظ الكل".

هنالك في تلك الجزيرة النائية - "بطمس" - التي كان يفصلها بحر عظيم، عن أفسس مقر خدمة يوحنا وعمله، هنالك قضى يوحنا أيامه الأخيرة فارتقى برؤياه فوق الأبعاد وانتصر على المسافات، وقال: "والبحر لا يوجد فيما بعد".

مكان كتابة البشارة، وزمانها، وغايتها

لقد حدث حادثان مهمان، بعد كتابة البشائر الثلاث الأول. أولهما: خراب أورشليم، والثاني: تأثر بعض المسيحيين بالفلسفة اليونانية المعاصرة. وكلاهما كان يدعو إلى كتابة بشارة تظهر الجانب الروحي من ملكوت الله، وفي الوقت نفسه تظهر الحقائق الروحية الباطنية، التي تسمو فوق الفلسفة اليونانية بمقدار ما يسمو الجوهر على العرض.

وبما أن بشارة يوحنا لا تتضمن إشارة إلى خراب أورشليم، فيستدل من هذا أنه كان قد مضى وقت كاف على هذه الحادثة التاريخية. وبما أن يوحنا لم يبدأ خدمته في أفسس إلى بعد سنة ٧٠ ميلادية وبما انه عاش، بشهادة ايريناس، حتى بلغ حكم تراجان ٩٨-١١٧م فمن المرجح جداً أن يكون قد كتب بشارته بين ٩٥-٩٨ م.

وغرض يوحنا من تأليف بشارته، إثبات كون يسوع الناصري هو المسيح ابن الله، دحضاً للبدع التي كان حينئذ قد أخذ يدب فسادها في الكنيسة، كبدع الدوكينيين، والاغنستيين، والكيرنتيين والابيونيين وتلاميذ يوحنا المعمدان. وكان الدوكينيون والاغنستيون يقولون أن جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقياً. والكرنتيون يجحدون لاهوته. والابيونيون يقولون أنه لم يكن له وجود قبل مريم أمه. وتلاميذ يوحنا كانوا يفضلون معلمهم عليه. فلما رأى الأساقفة آسيا هذه الأضاليل تفشو في كنيسة الله استعانوا بيوحنا الرسول وسألوه تأليف إنجيله. فكتبه وأنبأ فيه بميلاد المسيح الأزلي، وصرح بفضله على يوحنا المعمدان، وذكر ما دعت الحال إلى ذكره في تفنيد تلك البدع، واثبات لاهوت المسيح كما قال في ٢٠: ٣١ "وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الديباجة

فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ

(١) منشىء الخلق في مشورة الله ع ٢

(٢) علة الخلق عدد ٣

(٣) نبع الخلق ومصدره ع ٤و٥

عدد ١. (أ) الكلمة في جلاله الذاتي ١: ١ "في البدء كان الكلمة"- هذا هو الكلمة في أزليته. "والكلمة كان عند الله" – هذا هو الكلمة في ذاتيته. "وكان الكلمة الله"- هذا هو الكلمة في طبيعته. هذا هو الوصف الثلاثي الذي به يصف يوحنا جلال الكلمة الذاتي في العدد الأول من بشارته

الكلمة في أزليته- "في البدء كان الكلمة". "الكلمة"! ما أعمق هذا الوصف العجيب الذي وصف به المسيح هنا إذ وصف "الكلمة" وفي اليونانية "لوجوس"!

لقد هيأت العناية أفكار البشر، لفهم هذه اللفظة: "الكلمة" قبل أن نطق بها يوحنا. فالعقلية اليهودية كانت قد ألفتها من كتابات "انقيلوس" اليهودي الذي ترجم التوراة من العبرية إلى الآرامية في القرن الثالث قبل الميلاد وفي ترجمته استعاض عن اسم الجلالة بلفظة "ممرا" – وتقابلها في العربية: "الكلمة"- في المواضع الآتية: تك٣: ٨، ٧: ١٦، ٢١: ٢٠،٢٨: ٢٠، وخروج ١٩: ١٧

أما العقلية اليونانية فقد كانت مشبعة بلفظة "لوجوس" من كتابات فيلو الفيلسوف الإسكندري. غير أن المعنى الذي تحمله "الكلمة" في كتابات

وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ

يوحنا يسمو عن معناها في آداب اليونان. كان اليونان يشيرون بـ "الكلمة" إلى الذهن،والفكر, لكن يوحنا أراد بها الذات والشخصية. فوصفه المسيح "بكلمة الله" لا يقتصر معناه على أن المسيح هو ذات الله المتكلم. فإذا كان الله قد تكلم بواسطة أنبياءه لكنه كلمنا في المسيح. من سمع المسيح قد سمع الله بالذات، ومن رآه فقد رأى الله. أن "الكلمة" في يوحنا هو على الكون (١: ٣)، وهو الذي ظهر قديماً لاشعياء (قابل يو١٢: ٤١ مع اشعياء ٦)، وهو الذي بقبوله يولد المرء ثانية (يو١: ١٢ و١٣)، وهو صاحب السلطان المطلق على كل ذي جسد (يو١٧: ٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن "كلمة" شخص ما، هي ما يعبر به عن نفسه، وهي أداة اتصاله بالآخرين، وتفاهمه معهم. بكلمته يظهر فكره، ويلقى أوامره، ويبلغ إرادته. فالكلمة تحمل معها الشخصية بما فيها من ذات وصفات. فهي إذاً ليست مجرد حروف تتصل بعضها ببعض، لكنها صورة، من ورائها العقل، ومن وراء العقل الذات، ومن وراء الذات الجوهر.

في إمكان المستمع أن يعرف المتكلم من كلامه، ولو كان المستمع ضريراً، فكلمة المتكلم هي الرسم الذي أفرغت فيه الذات. "وكل من رأى المسيح فقد رأى الله" فهو كلمة الله، وهو صورة الله غير المنظور، ورسم جوهره.

"وكلمة الله" هو الشخصية المتمثلة فيها قدرة الله. الآمرة والناهية في الكون. لذلك قيل أيضاً فيه "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب١: ١-٣).

وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ. ٢ هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ

إن العبارات الثلاث الواردة في العدد الأول تتمشى في ترتيب عكسي مع الثلاث العبارات الواردة في عدد ١٤:

عدد ١ عدد ١٤

"في البدء كان الكلمة"-(في الأزل) "الكلمة صار جسداً-(في ملء الزمان)

"الكلمة كان عند الله"-(مستقل في كيانه مع الله) "حل بيننا" – (مع الناس)

"كان الكلمة الله"-(ذو جوهر واحد مع الله) "صار جسداً"-مشاركاً للناس في اللحم والدم

هذا الإعلان المثلث هو أساس بشارة يوحنا، وموضوعها، وهو هو برنامج الفداء: "في البدء كان الكلمة" – هذه حجة دامغة ضد القول بأن المسيح وجد مع الزمن عند التجسد..

"كان الكلمة عند الله" – هذا برهان قاطع على أن المسيح ذو شخصية مستقلة في كيانه، وعلى أن له أقنوماً متحداً بالله من غير امتزاج، مستقلاً عنه من غير انفصال...

كررت كلمة "كان" ثلاث مرات على التوالي مع "الكلمة"، وهي لا تفيد الماضي الذي انقضى بل تعين الكيان المطلق المستمر، المشفوع بالدوام المتواصل-"كان ولم يزل". "كان الكلمة الله" - هذا تعبير يصف المسيح في طبيعته - له طبيعة الله وجوهره.

(ب) الكلمة في جلاله النسبي (١: ٢-٥):

عدد٢-(ا) الكلمة من حيث كونه منشئ الخلق في مشورة الله : ١ : ٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

-"هذا كان في البدء عند الله".

يلوح لنا أن "البدء" في العدد الول، غير"البدء" في العدد الثاني.

عِنْدَ اللَّهِ. ٣كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.

"البدء" في العدد الأول يشير إلى الأزل المطلق- قبل كون العالم. "والبدء" في العدد الثاني يشير إلى بدء الخليقة- البدء الذي استهل به سفر التكوين. كذلك نجد أيضاً فرقاً بين العبارة "عند الله" في كل من العددين، في العدد الأول تشير إلى المعية المطلقة. وفي العدد الثاني تشير إلى المعية عند الخلق (أمثال ٨: ٢٢-٣١).

عدد٣ (٢) الكلمة من حيث كونه على الخلق ١: ٣ – "كل شيء به كان"- هذا وصف جامع، "وبغيره لم يكن شيء مما كان"- هذا وصف مانع. إن هذا الوصف الجامع المانع ينفي كون المسيح أحد الخلائق، ويهدم المذهب الأفلاطوني القائل بأزلية المادة، وينقض مذهب الغنوسيين المدعي بأن الملائكة هم علة الخلق وأداته...

غير أن كلمة "به" لا تنقص من قدر المسيح كخالق، ولا تجعله مجرد أداة للخلق، فأن هذه الكلمة عينها: "به" قيلت عن الله الخالق (رومية١١: ٣٦، غلاطية١: ١، عب٢: ١٠). ألم يقل الله عن ذاته: "بي تملك الملوك" (أمثال٨: ١٥)؟

وقد ذكر هذا الوصف بجانبيه الإيجابي والسلبي من قبيل التوكيد والتوكيد في الوحي له دلالات عدة. فالتوكيد في الصلاة يفيد اللجاجة، وفي النبوة يعني اليقين، وفي المواعيد يراد به التشجيع، وفي الوعيد يقصد به المفاجأة وفي الأسرار الإلهية يدعو إلى التسليم.

٤فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ ٥وَٱلنُّورُ يُضِيءُ فِي

ع٤و ٥(٣) الكلمة من حيث كونه نبع الخلق ومصدره ٤:١و٥ – "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه"

كما أن عددي ١ و ٢ مهدا للكلام عن الخلق في عدد٣، كذلك عدد ٤ يمهد للكلام في عدد ٥. وفي هذين العددين ٤ و٥ نجد تدرجاً من الحياة الذاتية إلى الحياة المنبعث منها النور للخليقة الساقطة. من "به" إلى"فيه" ما أشبهه بالتدرج الوارد في كولوسي ١: ١٦ و١٧ "الكل به وله قد خلق..وفيه يقوم الكل" – فالمسيح علة خلق العالم، ومصدر كيانه وبقائه.

يتألف هذان العددان من أربعة مقاطع، كل مقطع منها يبتدئ بالكلمة التي بها ينتهي المقطع السابق، كدرجات سلم تقوم إحداها على الأخرى - "فيه كانت الحياة - والحياة كانت نور - والنور يضيء في الظلمة - والظلمة لم تدركه".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الظلمة المقصودة هنا، هي ظلمة الروح - ظلمة السقوط، بل هي ظلمة البشرية الساقطة. ألم يقل الله "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة" (أفسس ٥: ٢٨)؟ فالبشر الساقطون ليسوا مظلمين وكفى، وهم مجرد عميان لا يبصرون، بل هم الظلمة المجسمة.

غير أن الله لم يترك نفسه بلا شاهد- حتى في أحلك الأوقات "والنور

الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ. ٦كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ

يضيء في الظلمة" ليضيء للذين يريدون أن يروا، وليدين الذين اختاروا العمى الروحي لنفسهم.

كلمة "لم تدركه" تفيد أربع درجات متتابعة: (أ) عدم الاكتراث لوجود النور (ب) عدم فهم كنه النور وسره (أفسس٣: ١٨) (ج) عدم البلوغ والوصول إلى النور لنواله (رو٩: ٣٠ وفيلبي٣: ١٣) (د) عدم الانتصار على النور. والعجز عن الظفر به (أفسس٥: ٤).

عدد ٦- ثانياً: الكلمة في ظهوره ١: ٦-٩

في الأعداد السالفة، رأينا الكلمة في كيانه الأزلي، وفي الأعداد التي أمامنا نرى الكلمة في ظهوره، وأول من نادى به وشهد له، يوحنا المعمدان حلقة الاتصال بين العهدين..

"كان إنسان...اسمه...هذا..."- هذا أسلوب خاص بيوحنا البشير. ما أشبهه ببدء الإصحاح الثالث: "كان إنسان...اسمه...هذا.." التعبير "كان...هذا" شبيه بالتعبير عن المسيح في استهلال هذه البشارة "كان هذا.." (١: ١ و٢).

تصف لنا هذه الأعداد الشخص الذي أعدته العناية الإلهية ليكون أداة لإظهار "الكلمة" للناس. فهي تصفه في (أ) حقيقة "كان". ما أعظم الفرق بين "كان" المستعملة هنا (ع٦) وبين "كان" التي وردت ثلاثاً في العدد الأول عن المسيح. هذه تفيد الوجود الحادث في زمن معين، ومعناها الحرفي "نشأ" أما تلك فإنها تفيد الوجود المطلق الأزلي. يوحنا "مرسل من الله"

اسْمُهُ يُوحَنَّا. ٧هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ

و"الكلمة" هو الله. هذه شهادة صادقة لأنها جاءت من شخص كان تلميذاً ليوحنا المعمدان قبل أن يكون تلميذاً للمسيح، (فهو عارف بحقيقتهما. في هذا يصدق القول: "وشهد شاهد من أهلها" (ب) اسمه- "يوحنا" ومعناه "الرب يتحنن" وقد تسمى يوحنا بهذا الاسم بعناية إلهية خاصة (لو١: ١٣). ومما يسترعي الالتفات، أن البشير لم يذكر يوحنا المعمدان بلقبه، بخلاف سائر البشرين الذين احتفظوا في كتاباتهم بلقب "المعمدان" تمييزاً له عن يوحنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

البشير، أما البشير، وقد تغاضى عن وجود شخصيته لم يجد داعياً لهذا التمييز حياء منه واتضاعاً، ورغبة منه في إخفاء نفسه. وربما لأن لقب "المعمدان" لم يخلع على يوحنا إلا بعد أن ذاعت شهرته. لكن يوحنا البشير وهو أحد تلاميذ المعمدان الأولين، كان قد عرف أستاذه مجرداً عن هذا اللقب، فاحتفظ بعذوبة هذا الاسم، خلواً من كل لقب.

عدد٧-(ج) غاية حياته "هذا جاء ليشهد للنور" ١: ٧- إذا لم تكن حياته مجرد أيام يقضيها على الأرض، بل كانت تحمل معها رسالة خاصة لعمل خاص- الشهادة. "الشاهد" لغة هو "اللسان" فيقال "ما لفلان رواء ولا شاهد" ومعناه "ماله منظر ولا لسان". والشهادة هي الخبر القاطع. فالشاهد إذا هو من يرى رؤيا واضحة، ويقتدر على الإفصاح عما رأى بكل دقة وأمانة، بلسانه وبحياته وإن لزم الأمر بموته أيضا. لأن الشهادة والاستشهاد مشتقان من مصدر واحد. وكذلك شهد يوحنا بلسانه الفصيح، وحياته النقية الجريئة، وموته البريء، فأضحى شاهداً وشهيداً...

لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. ٨لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ

"ليشهد للنور" – وهل من حاجة للنور إلى الشهادة؟ أليس النور خير شاهد لنفسه؟ بلى. ولكن الناس يحتاجون إلى الشهادة عن النور- المسيح، لأن المسيح لم يأتنا في شكل ممجد بل أتانا في "شبه الناس". فكان من الضروري أن يحتاج الناس إلى من يوجه نظرهم إليه، سيما لأن جل البشرية عائش في وادي الظلمات.

(د) غاية رسالته: "لكي يؤمن الكل بواسطه" والمقصود بهذا، أن الإنجيل العام المقدم لجميع الناس، قدمته كرازة يوحنا بالتوبة الممهدة للأيمان "والكل" هنا هم كل من يؤمن من جميع الطبقات. والهاء في "بواسطته" تعود علة يوحنا المعمدان لا على المسيح. فالمسيح هو موضوع الأيمان، ويوحنا المعمدان هو واسطة البشارة. والطريق الذي رسمه الله للخلاص، قد رسمه لكل الناس سواء بسواء من دون تمييز.

عدد٨. (هـ) طبيعته: "لم يكن هو النور بل ليشهد لنور" – يستنتج من هذه الآية، ومن سواها مثل ١: ٢٠، ٣ك ٢٨ أن يوحنا البشير يجابه ضلالة كانت قد فشت وقتئذ. وكان يرمي مروجوها إلى مساواة يوحنا المعمدان بالمسيح. فقرر البشير أن المعمدان لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور وكل ما قيل عن المعمدان في هذا الباب هو أنه "سراج" (٥: ٣٥) وشتان بين السراج والنور.

ع٩- ١١. بعد أن وصف البشير خدمة يوحنا المعمدان أنها شهادة للنور تقدم ليوضح لنا في هذه الأعداد، عمل هذا النور، وتأثر الناس به:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. ٩كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ. ١٠كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ

عدد٩. عمل النور. "كلمة النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم". أما إن نعتبر كلمة "النور" خبر كان، واسمها مستتر جوازاً تقديره هو- أي المسيح، أو أن نعتبرها اسم كان، وخبرها "آتياً". فإن أخذنا بالرأي الثاني، كان معنى هذا العدد أن المسيح عند شروع يوحنا المعمدان في تأدية شهادته، كان يتهيأ للدخول إلى خدمته الجهارية في العالم. وقد تحمل إشارة إلى الأدوار المتدرجة في تدبير التجسد. ويجوز- كما في الأصل أيضا – أن نعتبر كلمة "آتياً" صفة لـ "كل إنسان"، بذلك يحمل المعنى على الوجه الآتي: أن جميع الناس الذين يدخلون إلى العالم، يستمدون نور بصائرهم من المسيح وحده- سواء في ذلك من كان منهم مسيحياً مؤمناً مستمتعاً بالإنارة الخاصة، أو من كان غير مسيحي مستنيراً بالإنارة العامة، التي تنير الذهن والضمير لكنها لا تتعداها إلى النفس فتغيرها.

عدد١٠ في العدد الماضي أرانا البشير عمل المسيح كنور مشرق في العالم، وفي الجانب الأول من هذا العدد يرينا باعتبار كونه على خلق العالم. فإذا كانت الحياة نور الناس (عدد٤) فأن النور هو حياة العالم (عدد١٠) إن في هذا العدد استدراكاً لما يمكن أن يتبادر إلى الذهن من قوله" آتياً إلى العالم" – كأن يفهم خطأ أن حياة المسيح بدئت عند التجسد. لذلك قرر البشير، بقوله" كان في العالم"، إن المسيح كان موجوداً قبل التجسد، وان العالم كون به، فهو الذي خلق العالمين، وهو الذي هدى إسرائيل وعالهم "جميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة

وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. ١١إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ

روحية تابعتهم. والصخرة كانت المسيح" (١ كو١٠: ٣و٤) هذا تؤيده شهادة المسيح أمام اليهود: "أبوكم (إبراهيم) تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح..قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو٨: ٥٧و٥٩)

ثالثاً: الكلمة المرفوض١: ١٠و١١

عدد١٠(ب) و١١ مبلغ تأثر الناس بهذا النور ١:١٠(ب) و١١ "ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله". هنا يتنقل الوصف من التعميم: "العالم" إلى التخصيص: "خاصته"، ويتدرج من الكلام عن التغافل السلبي الناتج عن الجهالة "لم يعرفه"، إلى المقاومة الإيجابية الناتجة عن العناد والتعصب "لم يقبله". إن تهمة تجاهل المسيح منصبة على العالم- أي البشر الذين لم يعرفوا المسيح من الطابع الخاص الذي طبعه المسيح على العالم أي الكون المادي- ووجه مسئولية العالم في هذا التجاهل هو أن الله أودع نوراً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

طبيعياً في ضمائر جميع الناس "حتى أنهم بلا عذر" رومية١: ١٩-٢٣ أما خطية الرفض فهي موجهة إلى اليهود- خاصته – الذين لم يعرفوا المسيح من نور إعلانات العهد القديم ولا من نور شهادة يوحنا المعمدان. الكلمة المترجمة "خاصته"، ترجمتها الحرفية "بيته" كما في (١٩: ٢٧). وفي العهد القديم استعملت "خاصته" عن الهيكل (ملاخي٣: ١)، وهي أيضا تفيد الملكية (مزمور١٣٥: ٤ وخر١٩: ٥) أليس من المحزن أن اليهود، وهم أهل بيت الله، رفضوا المسيح، وانتهى بهم هذا الرفض إلى صلبه، فأمسى غريباً في بيته، مهاناً من أهله وعشيرته؟ هذا تاج خطية البشرية.

وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. ١٢وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ

يلاحظ أن عددي ١٠ و١١ يتمشيان معاً في توازن طباقي، وكل منهما يصف حقيقة مثلثة:

عدد١٠ عدد١١

(١) حقيقة حاله: "كان في العالم" "جاء"

(٢) مجال ظهوره: "كون العالم به" "الى خاصته"

(٣) مآل شهادته: "لم يعرفه العالم" "خاصته لم تقبله"

رابعاً: "الكلمة" المقبول ١٢:١-١٨

إذا كان اليهود كشعب، قد رفضوا المسيح، إلا أن أفراداً من المؤمنين – من اليهود والأمم- قد قبلوه. ومحور الكلام في هذا الفصل يستند إلى حقيقتين (١) امتياز قبول الكلمة (١: ١٢ و١٣). (٢) تجسد الكلمة المقبول (١: ١٤- ١٨). أما امتياز قبول الكلمة فالكلام يتناوله من حيث (أ) حقيقته عدد١٢ (ب) خواصه عدد١٣.

والكلام عن تجسد الكلمة له جانبان - الجانب الأول: حقيقة لتجسد عدد١٤ (أ) الجانب الثاني: الشهادة المثلثة لهذا التجسد (١٤(ب) – ١٨).

عدد١٢- أ- حقيقة امتياز قبول الكلمة١: ١٢. "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه" – هذا هو الامتياز من حيث حقيقته - هو سلطان البنوة الله. "وأما" – ذكرت هذه الكلمة استدراكاً لما قبلها،وتحقيقاً لما بعدها. "كل" تفصيلية تعميمية. فهي تعني ما يليها أفراداً لا جماعات فالكلام عن الرفض في العدد السابق

أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يتناول اليهود كأمة، والعالم ككتلة، لكن الكلام عن الأيمان مخصص للمؤمنين أفراداً. غير أن كلمة "كل" ليست قاصرة على المؤمنين من اليهود فقط، بل هي تعميمية تشمل أفراد المؤمنين من كل أمة وفي كل جيل. "الذين قبلوه" هم الذين رحبوا به في قلوبهم فصاروا "خاصته" الروحية الحقيقية وبذلك نالوا امتياز البنوة لله- ذلك الامتياز الذي حرم منه اليهود بسبب عدم أيمانهم. فمع أن اليهود يدعون باطلاً أنهم أبناء إبراهيم إلا أن المؤمنين بالمسيح هم أبناء الله بحق وسلطان، وقد أعطوا هذا الحق والسلطان من الله رأساً. فما أكرم هذا الضيف السخي الذي يحل في قلب من يؤمن به فيمنحه هبتين - أحدهما: نسبة جديدة تربطه بالله - "أبناء الله". والثانية: حقاً جديداً ينال به بركات هذه البنوة- "سلطاناً". ومما يدعو إلى الالتفات أن يوحنا ألبس هذه النسبة الجديدة ثوباً غير الثوب الذي ألبسها إياه بولس. يوحنا يصفها بالقول "أولاد الله" لكن وصف بولس لها هو"أبناء الله" غلاطية (٤: ٦). ذلك لأن يوحنا يصف هذه النسبة في طبيعتها وبولس يصفها في بركاتها. أولهما نظر إلى جذع الشجرة والثاني نظر إلى ثمرها.

ليست حقيقة التبني قاصرة على معلنات العهد الجديد. فلقد ذكرت في العهد القديم أربع مرات (مز ١٠٣: ١٣ وأشعياء٦٣: ١٦ وارميا٣١: ٢٠ وهوشع١١: ١). لكنها أطلقت في العهد القديم على الأمة كمجموع وأما في العهد الجديد فقد استعملت للفرد، ويراد بها بذرة الحياة الروحية في قلب المؤمن.

ولكي لا يترك البشير مجالاً للشك في تأويل معنى قبول المسيح، أوضحه بقوله "أي المؤمنون باسمه". فالأيمان هو قبوله في القلب، لأن

١٣اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ. ١٤وَٱلْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً

الأيمان هو الذي يرى الفادي، ويثق به، فيفتح له القلب، ليحل فيه ضيفاً، حتى يصير فيه مضيفاً، ثم يضحى ملكاً، ثم يكون فيه رباً.

إن موضوع الأيمان هنا هو "اسم المسيح". "والاسم" هو التعبير الذي يحمل إلى الفكر جوهر المسمى، وذاته، وصفاته. هذا هو موضوع الإعلانات الإلهية، بل هذا هو روح البنوة.

عدد ١٣- ب – خواص امتياز قبول الكلمة- يصف يوحنا طبيعة هذا الامتياز وصفاً مزدوجاً- سلبياً وإيجابيا. أما سلبياً فعلى ثلاث درجات متصاعدة. (١) "ليس من دم" أي ليس من دم وراثي، كما كان يفتخر اليهود، عادة، أنهم أبناء إبراهيم، فيباهون بسلسلة نسبهم الشريف. وفي الأصل وردت كلمة "دم" بصيغة الجمع إشارة إلى التسلسل الجنسي الذي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تجتمع فيه عناصر كثيرة، وكما يقول "ماير" – إشارة إلى التناسل الطبيعي في درجته السفلى- بالجسد. (٣) "ولا من مشيئة رجل" إشارة إلى التناسل الإنساني في درجته الراقية- بالإرادة[١] وأما إيجابياً فبكلمة واحدة: "من الله" أي بإرادة الله. تدفعها محبته، وترافقها نعمته.

عدد ١٤ تجسد الكلمة ١: ١٤-١٨ رأينا فيما سبق، حقيقة امتياز الأيمان وطبيعته. وها نحن نتقدم إلى معرفة موضوع هذا الأيمان: تجسد

وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ

الكلمة، وفي عدد ١٤ نواجه حقيقة التجسد في كلمتين – إحداهما: التجسد كحقيقة مطلقة "والكلمة صار جسداً". "صار" لا تفيد التحول. فهي ليست من قبيل القول: "صار الطفل رجلاً" – أي انه لم يعد بعد طفلاً، لكنها تفيد الاتخاذ- أي أن الكلمة اتخذ جسداً وصار انساناً بدون تغير في لاهوته. فاللاهوت ملازم للناسوت من غير انفصال ولا امتزاج. والكلمة "جسد" مستعملة هنا من باب التغليب، فهي تعني الإنسان كله – "جسداً ونفساً" وإنما عبر بها هنا عن الجانب الضعيف في الإنسان (تك٦: ٣) إن المسيح صار إنسانا كاملاً لكي يفتدي الإنسان كله (٧: ٢٣). والثانية: التجسد كحقيقة تاريخية "وحل بيننا". الترجمة الحرفية لكلمة "حل" كما وردت في الأصل هي "خيم" أو "ضرب فسطاطاً". وقد وردت عدا هذه المرة أربع مرات في العهد الجديد، وهي من الكلمات التي طبعت بها كتابات يوحنا (رؤ ٧: ١٥و٦:١٣ و١٢: ١٢ و٢١: ٣).

قديماً حل الله بين الأمة اليهودية، في خيمة الاجتماع، في البرية. إلا أن تلك الخيمة كانت ذاهبة زائلة. أما هذه الخيمة الجديدة: "جسد المسيح" فقد تمجدت بعد القيامة، وها هو المسيح بناسوته ولاهوته في السماء الآن. فالتجسد إذاً، هو جواب الله على أشواق البشر، ومحط آمالهم وانتظاراتهم فيه حده تكون للبشر شركة حقيقية مع الله.

الجانب الثاني: الشهادة المثلثة لحقيقة الجسد ١٤(ب) –١٨(ا) شهادة يوحنا البشير ورفاقه عدد ١٤(ب) (٢) شهادة يوحنا المعمدان عدد١٥ (٣) شهادة الكنيسة المسيحية ع ١٦-١٨

مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ

(١) شهادة يوحنا البشير ورفاقه ١٤(ب) "رأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" – فما هو هذا المجد الذي رآه يوحنا ورفاقه؟ أهو مجد المعجزات التي أجراها المسيح "وأظهر بها مجده فآمن به تلاميذه" (٢: ١١)؟ أم هو مجد صفاته، الذي كان يحف بشخص المسيح مدة خدمته على الأرض؟ أم هو المجد الخاص الذي ظهر في تجلي المسيح على الجبل فشهده يوحنا واثنان من رفاقه؟ أننا نميل إلى الرأي الأخير. وربما تحتمل هذه

 All rights reserved © 2008-2018

الكلمات إشارة ضمنية إلى المجد الممتاز الذي تحدث عنه يوحنا في ديباجة سفر الرؤيا. "مجداً" – كررت كلمة "مجداً" بعد كلمة "مجده" على سبيل التوكيد لا الوصف. أنها ترجع بذاكرتنا إلى "نار الشكينا" في العهد القديم، التي كانت في الهيكل رمزاً لحضور الله. وهي إحدى مميزات كتابات يوحنا(٢: ١١، ١١: ٤٠ و١٢: ٤١ و١٧: ٥و٢٤ ورؤيا ٢١: ١١). "كما" – ليست تشبيهية، بل وصفية (هوشع٤: ٤ومز ١٢٢: ٣). "لوحيد من الآب". كان موسى والأنبياء خداماً وعبيداً لله. أما المسيح فهو ابن الله، بمعنى ممتاز لا يدانيه فيه سواه. وبنسبة رفيعة لا يشاركه فيها إنسان. وقد ذكرت كلمة "وحيد" وصفاً للمسيح، في كتابات يوحنا وحده(١: ١٤ و٣: ١٦و١٨و١ يو٤: ٩)- وهي تميز بنوة المسيح لله عن بنوة المؤمنين له(١: ١٢). "من الآب"- معناها الحرفي "من حضرة الآب" وهي تفيد الإرسالية التي من قبل الله. "مملوءاً نعمة وحقاً" –"النعمة" ضد الناموس، "والحق" – ضد الطقوس. "النعمة" هي الله جواداً محسناً "والحق" هو الله معلناً ذاته. "النعمة" كما استعملت في الاصل، معناها: "كل ما يجلب الانشراح". وهي تطلق

مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً. ١٥يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ وَنَادَى: «هَذَا هُوَ

على (أ) كل ما هو مقبول وجذاب (لو٤: ٢٢)، (ب) كل ما هو مسر (لو٢: ٥٢ وأعمال٢: ٤٧) (ج) الفضل المجاني الذي غمر الخطأة. والمعنى الأخير هو الأعمق، وهو المقصود بالذات في هذا العدد.

تختلف النعمة عن المحبة في أن المحبة قد تتجه إلى الأعلى، أو إلى الأدنى أو إلى الند، لكن النعمة لا تعرف إلا اتجاهاً واحداً- من الأعلى إلى الأدنى "والحق" هو النور الذي به نرى الله كما هو. وفي نور الله نرى كل شخص وكل شيء في حقيقته.

فما أغنى المسيح الذي فيه اجتمع هذان الضدان - "النعمة والحق" - الرحمة والعدالة - اللطف والشدة. هذه خلاصة ما أعلنه الله للبشر عن نفسه في العهد القديم (خروج٣٤: ٦ ومزمور١: ٥ و١يو٤: ١٨)، "فالنعمة" هي الله محبة، و"الحق" هو الله نور. هاتان الكلمتان، مجتمعتين معاً، تصفان المسيح باعتبار كونه منجز الفداء، وخاتمة الوحي الإلهي.

ليس المسيح شخصاً "منعماً عليه" ولا هو مجرد شخص عارف بالحق لكنه مملوء نعمة وحقاً. أو قل: هو النعمة مجسمة، وهو الحق متأنساً. العبارة "مملوءاً نعمة وحقاً"، حالية تصف الكلمة.

ع (١٥). (٢) شهادة يوحنا المعمدان "يوحنا شهد له ونادى قائلاً: "هذا هو الذي قلت عنه أن الذي يأتي بعدي، صار قدامي، لأنه كان قبلي" ظلت شهادة يوحنا المعمدان حاضرة في ذهن يوحنا البشير، وصوتها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قُدَّامِي لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي».

يؤن في أذنيه، لذلك استعمل في وصفها كلمة تفيد(في الأصل) الاستمرار المتجدد وقد ذكرت شهادته، ثلاثاً في هذا الفصل (ع١٥، ٢٧، ٣٠). كانت شهادة يوحنا المعمدان، للبشير خير ذكرى، وهي لنا نبراس وهدى.

في هذا العدد يصف البشير شهادة المعمدان في قوتها، وفي موضوعها. أما قوتها فظاهرة من قوله "نادى"- هذه كلمة حماسية، تفيد ارتفاع الصوت والغيرة الملتهبة لأجل الحق (٧: ٢٨و٣٧و١٢: ٤٤ واشعياء ٤٠: ٣).

وأما موضوع شهادة المعمدان فهو: شخص المسيح: "هذا هو الذي قلت عنه": - (أ) في ظهوره تاريخياً: "يأتي بعدي". (ب) في سمو رتبته "صار قدامي". (ج) في أزليته: "الذي كان قبلي". الكلمة"قبل" كما وردت في الأصل لا تقتصر على الأسبقية النسبية- كما لو كان المسيح قبل يوحنا فقط، لكنها تعني الأزلية المطلقة.

يستفاد من عدد ٣٠ أن يوحنا المعمدان فاه بهذه الشهادة في غد اليوم الذي أرسل فيه اليهود من أورشليم كهنة ليسألوه عن حقيقته. وهي تصف كل خدمة يوحنا وصفاً مجملاً. وإذا ما رأينا منها أن يوحنا المعمدان الذي يقل عن المسيح في المقام قد صار له سابقاً بالنسبة لزمن ظهوره، فلا عجب، لأن كوكب الصبح يسبق الشمس في الظهور. ولأن المخبر بقدوم الملك يظهر قبل الموكب الملكي. كذلك كان يوحنا المعمدان بالنسبة للمسيح.

١٦وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ. ١٧لأَنَّ النَّامُوسَ

ع١٦. (٣) شهادة الكنيسة المسيحية ١: ١٦-١٨. "من ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة". إن شهادة المعمدان المذكورة في العدد السابق، تؤيدها اختبارات المؤمنين الذين ينطق بلسانهم يوحنا البشير في قوله "نحن جميعاً". شاهد المعمدان فشهد! والمؤمنون شاهدوا فنالوا. "من ملئه" – الملء هو مجموع الهبات والكمالات الإلهية، ولعله في طاقة كل من يؤمن به أن ينال قسطاً من هذا الملء على قدر إيمانه وقابليته (أفسس١: ٣) فهو ملء غير قابل للنفاد. "نعمة فوق نعمة"، وردت في غير هذا الموضع، أربع مرات في العهد الجديد(أ) بمعنى "عوضاً عن" مت٢: ٢٢. (ب) بمعنى "عن أو بسبب" (رومية١٢: ١٧) (ج) بمعنى "حسب أو بمقتضى" (أعمال١٣: ٢٢) (د) بمعنى "من اجل")أفسس٥: ٣١) وهي كما وردت هنا تحتمل معنيين: (أ) نعمة مزادة على نعمة (ب) نعمة مكافأة لنعمة. فكل نعمة نقبلها بالشكر ونستخدمها، تمهد الطريق لنعمة أفضل. فنعمة الرجاء تعطى مكافأة على نعمة الصبر. "كنت أمينا على القليل فأقيمك على الكثير".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ع١٧. مقابلة مزدوجة "لأن الناموس بموسى أعطى: أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا " : الناموس الأدبي- تقابله "النعمة". والناموس الطقسي- يقابله "الحق". في ع١٦ نجد وصفاً للنعمة، وفي ع١٨ نرى وصفاً للحق. وعدد١٧ يكون حلقة الاتصال بين النعمة والحق.

بِمُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا. ١٨اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ.

بل في عدد١٧ نجد خلاصة العهدين القديم والجديد:-

"الناموس بموسى أعطى" – هذه خلاصة العهد القديم

"أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" – هذه خلاصة العد الجديد

"الناموس بموسى أعطى" – إذاً لم يكن موسى سوى أداة تحمل الناموس إلى الشعب. ولو لم يكن موسى قد حمل هذا الناموس، لحمله غيره "أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا".

إذاً فالمسيح هو مبدع النعمة والحق، وهو نبعها، بل هو حياتهما

"النعمة"- هي خلاصة هبات الله لنا: "الحق" هو خلاصة إعلانات الله لنا".

ع١٨. خاتمة الديباجة "الله لم يره أحد قط...الابن الوحيد...هو خبر". بهذا العدد اختتم يوحنا ديباجة بشارته بكلمة لها جانبان(١) أحدهما مانع: "الله لم يره أحد قط"، والثاني جامع: "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر". ومما يسترعي الالتفات أن يوحنا البشير بعد أن حدثنا في عدد١٤ عن "الكلمة المتجسد" ع١٤ صار فيما بعد يحدثنا باعتبار كونه "ابن الله الوحيد".

الجانب الجامع "الله لم يره أحد قط"- ولا موسى استطاع ان يراه! وكل المرات التي أعلن الله نفسه للبشر (خروج٢٤: ١٠و٣٣و٢٣و١ مل١٩: ١٣ واشعياء٦: ١)، لا تخرج عن كونها تجليات وقتية،

اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ. ١٩وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا

رمزية، جزئية، يصدق فيها القول: "فأننا الآن ننظر في مرآة في لغز" (١كو١٣: ١٢). لكن الرؤية المذكورة هنا، هي الرؤية الحقيقية الثابتة التي هي تاج الكمال المسيحي(١ يو٤" ١٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجانب الجامع: "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر". في هذا الجانب الجامع نجد وصفاً مثلثاً للمسيح (١) في طبيعته: "الابن الوحيد"- الذي له جوهر واحد مع الآب في طبيعته (ع١٤). (٢) في رفعته: "في حضن الآب" هذا تعبير رمزي يكنى به عن مركز المحبة، والتقرب، والسمو، والاطلاع على الأسرار، والسلطان (١٣: ٢٣). ان حضن الآب هو حالة، لا مكان. (٣) في سمو رسالته: "هو خبر" – بما له من الطبيعة الإلهية، قد رأى. وبما له من الطبيعة الناسوتية، استطاع أن يخبر البشر بما رأى. المعنى الحرفي لكلمة "خبر" هو "ترجم عن الإرادة" وهي تستعمل في اللغة اليونانية الفصحى بمعنى "حل الألغاز".

---

[١] يقول اغسطينوس إن الكلمة "ليس من دم" كلمة إجمالية تعني التناسل الشريف وان الكلمتين-الثانية والثالثة تفصيليتان،تشير أولاهما إلى إرادة المرأة والأخرى إلى مشيئة الرجل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شهادة يوحنا المعمدان

١: ٣٧-١٩

شهادة يوحنا المعمدان أمام الوفد السنهدريمي ١: ١٩-٢٨

شهادة يوحنا المعمدان في محضر المسيح ١: ٢٩-٣٧

أ- شهادة يوحنا المعمدان أمام الوفد السنهدريمي ١: ١٩-٢٨

نجح يوحنا المعمدان في خدمته، فذاع صيته وملأ الأسماع. وانجذبت إليه جماهير غفيرة، فاهتز لنجاحه مجمع السنهدريم اليهودي. وكان مؤلفاً من

حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ

سبعين شيخاً، يرأسهم عظيم الكهنة. وأعضاؤه يؤلفون من ثلاث فئات: (١)

"رؤساء الكهنة"- من المتقاعدين والقائمين بالخدمة الكهنوتية، من العائلة الكهنوتية العليا (٢) "شيوخ الشعب" – وهم خدام الهيكل من اللاويين (٣) "الكتبة" وهم العارفون بالشريعة وأحكامها والمخصصون رسمياً للتعليم بها. وبالإجمال كان هذا المجمع اليهودي صورة منقحة لمجلس الشيوخ القديم (عدد١١: ١٦).

إلى الآن كان مجمع السنهدريم متغاضياً عن وجود يوحنا المعمدان وعن عمله، ولكن إذ وجد أن الشعب قد بهر بخدمة يوحنا، وأن بعضاً ظنه المسيح المنتظر. واضطر السنهدريم إلى أن يتدخل في الأمر ليوقف تيار الأقاويل التي يسهل انتشارها سيما في الشرق. وقد جاء في "المشنا" أن محاكمة رئيس سبط من الأسباط، أو أي نبي كاذب، أو أي رئيس من رؤساء الكهنة، من اختصاص مجلس الواحد والسبعين(سنهدريم١: ٥).

لقد كانت هذه نقطة فاصلة في خدمة يوحنا. بل كانت محكاً صادقاً لأخلقه. لأن الأفكار كانت مشبعة وقتئذ بانتظار مسياً (المسيح) الموعود به في الأنبياء. فلو كان المعمدان ممن يستهويهم النجاح، لا ندفع مع التيار وأجاب على الفور بأنه هو المسيح، فيفوز بإعجاب الجماهير. لكن المعمدان كان أرفع واثبت من ذلك بكثير، فأجابهم جواباً صريحاً قاطعاً. ولاشك في أن شهادة يوحنا لها قيمة ممتازة، لأنها شهادة رسمية أمام وفد رسمي.

عدد١٩. كلمة تاريخية. "وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت". يقدم لنا هذا العدد-١- وصفاً للمستجوبين: "كهنة ولاويين" – بخلاف الصدوقيين الذين لم يبالوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟»

بأخبار نجاح يوحنا، لأنهم كانوا يستمدون من رومية السياسية. أما الكهنة واللاويون فكانوا يستمدون سلطتهم من وظيفتهم الدينية. وقد كانت منوطة بهم خدمة الهيكل. وهم الذين حملوا التابوت قديماً (يشوع٣: ٣). أليس من العجيب أن اللاويين يتفقون مع الكهنة ضد يوحنا المعمدان وهو لاوي مثلهم (لوقا١: ٥)؟ وكذلك يعمل التعصب في القلوب فيطمس البصائر ويعوج الضمائر. هذه هي المرة الوحيدة، التي وردت فيها كلمتا "كهنة ولاويين" متحدتين معاً في العهد الجديد.

كان اللاويون والكهنة موفدين رسمياً من اليهود في أورشليم. والكلمة "يهود" – يحصر اللفظ وبحسب اشتقاقها- تعني الخارجين من سبط يهوذا. لكنها أطلقت بعد السبي على كل الأمة الإسرائيلية، لأن الراجعين إلى بلادهم، بعد السبي، كان جلهم من سبط يهوذا. وهي في هذه البشارة –إلا في موضع واحد ٤: ٩- تعني الكتلة اليهودية المعادية للمسيح، وعلى الغالب تستعمل عن رؤساء الكهنة. وليس من الغريب أن يطلق يوحنا البشير –وهو يهودي- كلمة "يهود" على الفئة المعادية للمسيح، لأن هذه الكلمة فقدت قوتها المميزة لليهود كجنس، بعد أن خربت أورشليم، فصارت تطلق على الفئة المتعصبة التي صلبت المسيح. وقد وردت ٧٠ مرة في هذه البشارة (ب) وقت استجوابهم ليوحنا" "حين". لم يعين البشير موعد هذا الاستجواب بالضبط، وفي الغالب قد وقع بعد معمودية المسيح مباشرة.

لأن شخصية "المسيح" لم تتعين لدى يوحنا إلا عند المعمودية (ج) مصدر وفادتهم" "من أورشليم". (د) موضوع استجوابهم: "من أنت"؟ كان استجوابهم يحوم حول شخصية المعمدان، ليصلوا منها إلى معرفة شخصية مسيا (المسيح) المنتظر. وسنرى في عدد ٢٤ أن اليهود وضعوا في

٢٠فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ وَأَقَرَّ أَنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ.

استجوابهم فخاً أمام يوحنا المعمدان ليوقعوه فيه، فيما إذا رفض أن يعرفهم بشخصه.

تناول يوحنا المعمدان في شهادته أما الوفد اليهودي الرسمي، أمرين:

أولاً: حقيقة القيامة ١: ٢٠-٢٣. سلبياً: ١: ٢٠-٢١

وإيجابياً: ١: ٢٢ و٢٣

ثانياً: حقيقة رسالته ١: ٢٤-٢٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد٢٠. أولاً: حقيقة قيامته٢٠: ٢٣. إن شهادة يوحنا المعمدان هي غرة تاريخ الإنجيل. وهي تعين أول مرة سمع فيها رؤساء اليهود كلمة الإنجيل مواجهة. فهي أول شاهد يقوم في وجههم يوم الدين.

"فاعترف ولم ينكر، وأقر أني لست أنا المسيح". "اعترف، ولم ينكر، وأقر" – ثلاث كلمات- الكلمتان الواقعتان في الطرفين هما إيجابيتان والكلمة المركزية سلبية. وذكرت الثلاث معاً لتوكيد استعداد يوحنا، وصراحته ويقين شهادته. باعترافه اظهر استعداده. وبعدم إنكاره بين صراحته. وفي إقراره قدم برهاناً على إيقانه من شهادته. "اعترف" – هذا قول بلا إبطاء. "ولم ينكر" – هذا اعتراف بلا إخفاء. "هذا أقر" – يقين بجرأة وإباء.

لشهادة يوحنا جانبان- سلباً: (١) "لست أنا المسيح" عدد٢٠ (٢) "لست أنا ايليا" عدد٢١ (١) (٣) لست أنا النبي٢١ (ج) إيجابياً. "صوت.." ع ٢٢ و٢٣,

٢١فَسَأَلُوهُ: «إِذاً مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا». «أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟» فَأَجَابَ: «لاَ».

عدد ٢١. الجانب السلبي-١: ٢٠و٢١ كان الكتبة يعملون أن إيليا ينبغي أن يأتي قبل المسيح (مت١٧: ١٠) ولهذا الاعتقاد الخاطئ أسانيد كثيرة في التلمود، اغلبها ناشئ عن سوء فهم ملاخي٤: ٥. ولو كان في نية يوحنا المعمدان أن يخدع أولئك المستجوبين، لتمسك بأهداب قول المسيح في مت١١: ١٤ وأجابهم بالإيجاب. لكنه كان يعلم علم اليقين، أن المسيح تكلم مجازياً قاصداً "روح" إيليا لا "ذات" إيليا (لو١: ١٧). أن المستجوبين كانوا يتكلمون حرفياً، قاصدين "شخص إيليا بالذات". لذلك كان يوحنا جريئاً وصريحاً في قوله "لست أنا". جاء في التلمود: سوف يظهر إيليا قبل مسياً ويقول لهذا: "أنت طاهر"، ولذلك "أنت نجس".

لم يكتف المستجوبون بهذا الجواب. وكيف يسكتون ولم يزل في جعبتهم بعض السهام؟ لذلك سألوه قائلين "النبي أنت"؟ لاشك أنهم قصدوا "النبي" الذي تنبأ عنه موسى بقوله "يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون (تث١٨: ١٥). وفي هذه المرة أيضاً كان جواب يوحنا صريحاً قاطعاً "لا".

قد استنتج بعضهم خطأً، أن " النبي" هو ذاك الذي ظهر في بلاد العرب في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع بعد الميلاد. ويظهر بطلان هذا الاستنتاج من الاعتبارات الآتية":

(أ) واضح من سؤال هؤلاء الفريسيين أنهم كانوا يقصدون نبياً يأتي قبل المسيح ليهيئ الطريق له، وأما نبي العرب فقد ظهر بعد المسيح بزمان هذا مقداره.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب) أن الأخوة المقصودين بقوله "من أخوتك" هم الأخوة الأقربون لا البعيدون، بدليل قوله: "من وسطك" أي من أخوتك العائشين معك من بني اسحق لا من بني إسماعيل – الأخوة البعيدين. لأن إسماعيل لم يكن أخاً شقيقاً لإسحق، ولأن نسله كانوا عائشين بعيداً عن الإسرائيلي، فلا يمكن أن ينطبق عليهم القول "من وسطك".

(ج) تقرر التوراة صراحة أنه لن يقوم نبي من إسماعيل لأن الله قطع عهده مع اسحق لا مع إسماعيل- (تك١٧: ١٨-٢١و٢١: ١٠-١٢). (أطلب سورة العنكبوت آية٢٧).

(د) مكتوب عن النبي الذي تنبأ عنه موسى أنه "مثل" موسى. وموسى كان عالماً لكن ذلك النبي كان أمياً (سورة الأعراف ١٥٦و١٦٠). وموسى عمل معجزات كثيرة (سورة الأعراف ١٠١-١١٦و١٦٠)والقرآن نفسه يشهد أن نبي العرب لم يعمل معجزات (سورة الأعراف ١٢٦-١٢٩ والاسراء٥٩).

(هـ) من أهم أوصاف النبي الذي تنبأ عنه موسى "أن الرب يقيمه لإسرائيل" وأنهم يسمعون له "يقيم لك..له تسمعون". وواضح أن نبي العرب ظهر للعرب لا لليهود، ولم يستمع اليهود لرسالته. لكن المسيح قيل فيه عند المعمودية "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.. له اسمعوا" (مر٩: ٢ ولوقا٩: ٣٥).

٢٢فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ لِنُعْطِيَ جَوَاباً لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟» ٢٣قَالَ: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ كَمَا

ومما يستدعي الملاحظة أن جواب يوحنا كان في كل مرة يزداد اقتضاباً واختصاراً عن المرة السابقة لها- فمن قوله "أني لست أنا المسيح". إلى قوله "لست أنا"، إلى قوله"لا". هل الثلاث الكلمات "اعترف"، "ولم ينكر"، "وأقر" تسير بالتتابع مع جواب يوحنا في كل مرة من الثلاث المرات التي أجاب فيها على أسئلة الموفدين من اليهود؟!!

ع ٢٢و٢٣ الجانب الإيجابي "فقالوا له..قال أنا صوت".

استنفذ أولئك الموفدون سهامهم التي كانوا محتفظين بها في جعبتهم. فلم يبق لديهم إلا أن يجعلوا المعمدان نفسه يقرر حقيقة أمره بطريقة إيجابية: "من أنت لتعطي جواباً للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك"؟ فأجابهم جواباً لم يقل في صراحته ومضائه عن أجوبته السابقة، مقتبساً من اشعياء النبي (اش٤٠: ٣). بذلك أقام المعمدان حجة دامغة على أن له شخصية مستقلة عن أحد الأنبياء السابقين، وعلى ان مقامه مكين، يرتكز إلى أساس متين في العهد القديم. "أنا صوت صارخ في البرية". ترمز" البرية" إلى (أ) الجفاف- معطشة بلا مطر. (ب) الجدوب-تربة بلا ثمر. (ج) التيه- واد بلا ممر. هكذا كانت خدمة المعمدان لشعب في برية حسا ومعنى.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العبارة "كما قال أشعيا النبي" – من كلام المعمدان لا من تفسير البشير (مت٣: ٣ ومر١: ٣) والاقتباس مأخوذ من الترجمة السبعينية. وقد اقتبسه أيضاً يوستنيان الشهيد.

قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ». ٢٤وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ ٢٥فَسَأَلُوهُ: «فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ وَلاَ إِيلِيَّا وَلاَ النَّبِيَّ؟»

في هذا الجواب يتمثل أمامنا ملك شرقي في موكبه. والمنادى يتقدم طليعته صارخاً "هو ذا الملك القادم! فأعدوا الطريق أمامه".

بل في هذا الجواب أخفى المعمدان ذاته وأظهر حقيقة رسالته. أما إخفاؤه ذاته فواضح من قوله "أنا صوت" وأما إظهاره حقيقة رسالته فمستفاد من اقتباسه كلمات نبي قديم له اعتبار عظيم لدى السائلين.

ع٢٤و٢٥. ثانياً: شهادة المعمدان بحقيقة رسالته ١: ٢٤-٢٧ (أ) الدور الأول من استجوابهم ١: ٢٤و٢٥ (ب) جوابه ١: ٢٦و٢٧

(أ) الدور الأول من استجوابهم ١: ٢٤و٢٥. " وكان المرسلون من الفريسيين" – تمييزاً لهم عن الصدوقيين الذين كان يتألف منهم أيضاً مجمع السنهدريم. وقد كان هؤلاء المرسلون الفريسيون مطبوعين بطابع التعصب الفكري لدرجة أنهم خرجوا عن حدود مهمتهم التي انتدبوا لها، فبدلاً من أن يكتفوا بأن يستجوبوا المعمدان عن شخصه، شرعوا يستجوبونه عن معموديته. ولابد أن معموديته جرحت كبريائهم، لنهم كانوا يعتقدون أن المعمودية هي الباب الذي منه يدخل الأممي إلى الدين اليهودي ولعلهم استنتجوا مما جاء في حزقيال ٣٦: ٢٥ واشعياء ٥٢: ١٥ وزكريا١٣: ١ أنه لابد من معمودية ممتازة يقوم بها "مسيا" أو النبي الذي يهيئ الطريق له، لذلك سألوه قائلين: "فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح، ولا إيليا، ولا النبي"؟

٢٦أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ وَلَكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي

يلاحظ لوثر أن نغمة كلام الفريسيين قد تغيرت ابتداء من عدد ٢٥. قبلاً كان كلامهم مسبعاً بروح المسالمة، والآن أضحوا ينفثون تهدداً ومقاومة (لو ٧: ٣٠).

(ب) جواب المعمدان ١: ٢٦و٢٧ "أجابهم يوحنا قائلاً.." – هذا جواب حكيم في أسلوبه، قوي بصراحته، جارح بصرامته. بهذا الكلام أجابهم المعمدان عما كان يجب عليهم أن يسألوا عنه، لا عما سألوا عنه بالذات. وكأني به، يقول لهم "تسألونني عن المعمودية، على اعتبار أنها عمل خاص بعصر المسيح؟ هوذا المسيح قائم الآن في وسطكم. إذاً لست أنا نبياً مخبراً عن مجيئه العتيد، إنما أنا مبشر بحضوره الآن. لا تهتموا بمعموديتي فهي من ماء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بل بمعموديته هو، فهي من نار.". إذا كان تعصب الفريسيين قد أنساهم حدود مأموريتهم، فأن حب يوحنا المعمدان للمسيح، قد أنساه عظمته الذاتية فانطلق لسانه متدفقاً كالسيل، شاهداً لمقام المسيح الممتاز وسمو طبيعته.

طبيعة معمودية يوحنا ع٢٦و٢٧. لهذا الجواب، طرفان وقلب. طرفاه يصفان (أ) حقيقة معمودية يوحنا: "أنا اعمد بماء"ع٢٦. فهي إذاً معمودية رمزية، تمهيدية، خارجية. (ب) مقام يوحنا: "لست بمستحق أن احل سيور حذائه" ع٢٧ – هذا مقام الخادم الوضيع. جاء في التلمود: يجب على التلميذ أن يقوم لمعلمه بكل الخدمات التي يقوم بها الخادم لسيده- ماعدا حل سيور حذائه. لكن يوحنا تخطى هذا الاستثناء وحسب نفسه غير مستحق أن يحل حذاء سيده. فهو إذاً اقل من تلميذ- انه خادم وضيع.

لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. ٢٧هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قُدَّامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ». ٢٨هَذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةَ فِي

أما قلب هذا الجواب فأنه يرينا: (أ) المسيح حاضراً: "في وسطكم قائم" ع٢٦. كلمة "قائم" تفيد الجلال، والثبات، ومقام الامتياز (مر١١: ٢٥و١ تي٣: ٨) (ب) المسيح مستتراً: "الستم تعرفونه" ع٢٦.

لم يأت المسيح بمظهر الملوك، بل جاءنا وضيعاً، "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه". إذا كانت هذه العبارة تصف المسيح في بساطة ظهوره، فهي أيضاًَ تصف الغفلة التي كانت مستولية على أذهان أولئك الفريسيين الذين تصدروا زعامة الشعب. وكم كان جارحاً لهم أن يسمعوا من فم المعمدان هذه الكلمة: "لستم تعرفونه"، في وقت كانوا يدعون فيه أنهم "حملة مفاتيح المعرفة"ز وكم من المرات يكون المسيح في وسطنا ونحن لا نعرفه، إما لخطية فينا، أو لغلاظة قلوبنا، أو بسبب غشاوة المادة التي على عيوننا

(ح) المسيح منتظراً: "يأتي بعدي ع٢٧- باعتبار الزمن، وكان هذا طبيعياً، لأن خدمة المعمدان كانت ممهدة لعمل المسيح. (د) المسيح منتصراً ممجداً: "صار قدامي" ع٢٧ باعتبار الدرجة والمقام، لأن المسيح كائن قبل كل الدهور، "وفيه يقوم الكل، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء" (كو١: ١٧و١٨).

ع٢٨. مكان لقاء المرسلين بالمعمدان_ "هذا كان في بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد". "بيت عبرة" معناها: "بيت العبور" وهي واقعة جنوبي بحر الجليل على بعد ١٤ ميلا. ويعتقد بعض الثقات أنها هي "بيت عنيا" الثانية الواقعة على الشاطئ الشرقي لنهر الأردن، حيث كان

عَبْرِ الأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ. ٢٩وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ

 All rights reserved © 2008-2018

يمكن عبور النهر لقلة عمق مياهه هناك. ولهذا كان ذلك المكان يسمى أيضاً "بيت عبرة" ويميل أوريجانوس المصري إلى الرأي الأول. وعلى كل فإن معنى الكلمتين واحد. لأن "بيت عنيا" كلمة أرامية – "بيت أنية" – أو "بيت السفينة" – أي "بيت المعدية" أو "عبور النهر". وهذا هو نفس المعنى الذي تحمله كلمة : "بيت عبرة".

(ب) شهادة يوحنا المعمدان في محضر المسيح ١: ٢٩ – ٣٤

انصرف هذا الوفد اليهودي المعمدان, فانصرف هو أيضاً إلى عمله, وفي غد ذلك اليوم وقد بدأت شمسه أن تميل وراء الأفق, أقفلت الجماهير المعتمدة من يوحنا, رجوعاً إلى المدن والضياع التي منها أتوا, فلم يبق مع المعمدان سوى تلاميذه وحدهم. وفي تلك الساعة الرهيبة بسكونها, المهيبة بعزلتها, أقبل المسيح وعلى محياه ترتسم علائم الظفر والفوز, وهو خارج من برية اليهودية حيث ظفر بالشيطان في معركة فاصلة, وهو على أتم الاستعداد أن يقدم نفسه حملاً فدائياًَ ليرفع خطية العالم. ومن غرائب الاتفاق أن تجربة الشيطان للمسيح في البرية, تمت في يوم تجربة الفريسيين ليوحنا المعمدان. ولا فرق بين المجرب في الحالين: سوى أن إبليس كان شيطاناً سافراً لكن الآخرين كانوا شياطين مقنعة.

وفيما كان المسيح مقبلاً إلى يوحنا – في طريقه من برية اليهودية إلى الجليل – استقبله يوحنا بشهادة جديدة معلنة (أ) كفاية كفارته "هوذا حمل الله" ع ٢٩ (ب) سمو رفعته "هذا هو ......" ع٣٠ و٣١ (ج) حقيقة مسيحيته "وشهد يوحنا قائلاً.." ع ٣٢ و٣٣ (د) امتياز بنوته "وأنا قد

مُقْبِلاً إِلَيْهِ فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ

رأيت وشهدت" ع٣٤. ويجمل بنا الآن أن نذكر الدرجات التي ارتقت وتدرجت عليها شهادة المعمدان عن المسيح: فمن وصفه إياه بكلمات عامة: "الذي يأتي بعدي" ع١٥, إلى تعيين شخصه بالذات بقوله: "في وسطكم قائم" ع٢٦, إلى شهادته بكفارته ع٢٩, إلى اعترافه بمسيحيته ع٣٣, حتى بلغ الدرجة القصوى في سلم شهادته إذ نادى بلغة الوثائق المقتنع بامتياز بنوة المسيح: "وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله"ع٣٤.

ع٢٩. (أ) كفاية كفارة المسيح: "هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم".

"هو ذا" – تقال هذه الكلمة لتوجيه الالتفاف إلى شخص عجيب, أو إلى ضالة كان ينشدها أحدهم فوجدها, أو للفت النظر إلى شخص قريب. وهنا نطق بها المعمدان موجهاً أنظار تلاميذه – والعالم أجمع – إلى أعجب شخصية في التاريخ, وإلى الحمل الممتاز الذي كانت ترمز إليه ذبائح العهد القديم فوجده هو, إذ كان منه قاب قوسين أو أدنى.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"حمل الله" الحمل المعين من الله والمقدم من الله, والمقبول من الله,أكان يوحنا مشيراً إلى حمل الله الذي رمز الحمل الذي قدم بدل اسحق (تك ٢٢: ١٣) أم إلى الذي رمز إليه حمل الذبيحة اليومية (خروج ٢٩: ٤٨)؟ أم إلى الذي أشار إليه حمل الكفارة, ويوم الفصح كان آنئذ قريباً؟ (٢: ١٢ و١٣)؟ أم إلى الحمل الذي تنبأ عنه أشعياء

الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ.

إش ٥٣: ٧)[١] وكان فكر المعمدان مشتغلاً وقتئذ بنبوات أشعياء (١: ٢٣) أم إلى الحمل العظيم الذي نسب إلى اسم الجلالة؟ أم إلى كل هذا معاً؟؟؟ ومن الأهمية بمكان، أن نذكر أن الصفة الممتازة التي يقصدها يوحنا في الحمل هي تضحيته. فمع أن الحمل صامت، ووديع، وكامل، لكن وجه الشبه الرئيسي هو الكفارة. إن مركز الدائرة في المسيحية، هو المسيح. ومركز الدائرة في حياة المسيح هو الصليب. "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة". فالصليب أولاً، ثم الكمالات الأدبية الأخلاقية. إن إنشودة المسيحية الخالدة هي "مات لأجلي".

"الذي يرفع" – أي الذي يحمل على عاتقه، ويزيل خطية العالم، ليطرحها في برية النسيان (إش ٥٣: ١١). وهي في اللغة الأصلية تفيد الدوام المتواصل. إن رفع الخطية لا يقف عند حد مغفرتها، بل يقصد به أيضاً كسر شوكتها وسحق قوتها وإبطال سلطتها. "خطية العالم" – استعملت هنا كلمة "خطية" بالمفرد لا بالجمع للدلالة على أصل الخطيّة, ومبدأها, ونبعها, فشجرة التين يقال لها "تينة" مع أن ثمارها يقال لها "تين". كأن كل خطايا الجنس البشري تجمعت على شخص واحد, كما تتركز أشعة الشمس وتتجمع

٣٠هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. ٣١وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ.

في نقطة واحدة هي نقطة الاحتراق. "والعالم" هو البشرية البعيدة عن الله, المتمردة عليه, والمحبوبة منه, على رغم كل هذا (٣: ١٦). ومن العجيب أن يوحنا المعمدان, وهو يهودي, وقد ارتفع ببصره فتخطى حدود اليهود وقال "العالم".

إن كفارة المسيح كافية شافية. فهي كافية للجميع, وشافية للمؤمنين بها فقط.

عدد ٣٠ (ب) سمو رفعة المسيح "هذا هو.." ٣٠ و٣١. هذه نغمة المؤمن, الواثق مما يقول. (انظر عدد ٧ و٨ و١٥ و١٩ و٢٤).

"قلت عنه" – في اليوم السابق عدد ١٥. "رجل" – وفي اليونانية تعني أفضل من رجل. استعملها هوميروس بمعنى "الأمير". وفيما بعد صارت لقباً تقابله كلمة "نبيل" في العربية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

واستعملت أيضاً بمعنى "البطل" كما يقول عن رجل شريف مقدام: "هذا رجل". وهي تطلق على الإنسان في سموه ورفعته. "صار قدامى" – في المقام. "لأنه كان قبلى" – منذ الأزل.

عدد ٣١. جهل المعمدان لحقيقة المسيح "وأنا لم أكن أعرفه ...." يظهر لأول وهلة من متى ٣: ١٤, أن المعمدان كان يعرف المسيح, فكيف يقول هنا أنه "لم يكن يعرفه"؟ المعرفة المقصودة هنا هي معرفته بأن يسوع هو المسيح المنتظر – معرفته من حيث رسالته ومسيحيته. لا من حيث شخصه حسب الجسد. لأنه من الطبيعي أن يكون المعمدان قد عرف يسوع حسب الجسد لما بينهما من صلة القرابة, لكنه ظل يجهل أن يسوع هو

لَكِنْ لِيُظْهَرَ لإِسْرَائِيلَ لِذَلِكَ جِئْتُ أُعَمِّدُ بِالْمَاءِ». ٣٢وَشَهِدَ يُوحَنَّا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ.

المسيح ابن الله, "حتى رأى الروح نازلاً مثل حمامة من السماء ومستقراً عليه" "لكن ليظهروا" – هذا هو الغرض الثاني من خدمة المعمدان, والغرض الأول هو إعداد الطريق أمام المسيح الملك. الكلمة "ليظهروا" كثيرة الورود في كتابات يوحنا البشير (٢: ١١, ٣: ٢١, ٧: ٤, ٩: ٣, ١٧: ٦ و٢١: ١ و١٤ و١ يوحنا ١: ٢ و٢: ١٩ و٢٨, ٣: ٢ و٥ و٨ و٩ ورؤ ٣: ١٨, ٤:١٥) ولعله أخذها عن أستاذه يوحنا المعمدان, "إسرائيل" – بحسب استعمالها في هذه البشارة تعني العنصر الروحي الرشيد في الأمة اليهودية (١: ٤٩ و٣: ١٠ و١٢: ١٣).

عدد ٣٢ (ج)حقيقة مسيحية المسيح: "وشهد يوحنا قائلاً..." ١: ٣٢ و٣٣. هذه شهادة مبنية على ما رأته العينان "قد رأيت", وما سمعته الأذنان "قال لي", وعلى فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل حجة. "رأيت" – معناها في الأصل "تفرست". لم يتحقق من الرؤيا ويميزها سوى المسيح والمعمدان (مت ٣: ١٦ و١٧ ومرقس ١: ١٠ و١١ ولوقا ٣: ٢١) إن روح الله الذي به يقترب الناس من الله, قد استقر على كلمة الله الذي به يقترب الله من الناس. "حمامة" هذه ترمز إلى اللطف, والطهارة والوداعة, وعدم الأذى.[٢] الكلمة "استقر" تحمل أفكارنا إلى يوم الخمسين

٣٣وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرّاً عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. ٣٤وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ

حين استقر الروح في الكنيسة التي هي جسد المسيح (أعمال ٢: ٣) كما استقر هنا على رأس المخلص. في العهد القديم كان الروح القدس يعطى لأجل خدمة خاصة, لكنه استقر الآن على شخص المسيح. "الذي أرسلني" – الله الآب – الأقنوم الأول في اللاهوت. هذا العدد الواحد يحمل إشارة إلى عمل الله الواحد, المثلث الأقانيم: "الذي أرسلني" – الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الآب, "الروح" – الله الروح القدس الأقنوم الثالث. "عليه" الله الابن الذي هو الأقنوم الثاني. فالأقنوم الأول أرسل. والأقنوم الثاني مسح بالروح القدس. والأقنوم الثالث نزل. ولقد تعمّد المسيح بالروح القدس, لأنه هو سيعمد غيره بالروح القدس. وهنا فضل خدمة المسيح على خدمة المعمدان. خدمة المعمدان بماء – خدمة رمزية, خارجية, جسدية, وقتية. لكن خدمة المسيح بنار _ خدمة جوهرية, داخلية, روحية, دائمة.

(عدد ٣٤ – د – امتياز بنوة المسيح: "وأنا قد رأيت وشهدت" ١: ٣٤ هذا ناتج عن شهادة المعمدان – أن المسيح هو ابن الله بكيفية ممتازة لا يدانيه فيها سواه. إن جميع المؤمنين يحسبون أبناء الله بالتبني فقط لأنهم كانوا غرباء عن الحظيرة السماوية فأدخلهم الله إليها بفضل نعمته. لكن المسيح هو ابن الله بالجوهر, والذات, والطبيعة. فهو صورة الله غير المنظور. وهو بهاء مجده. ورسم جوهره, وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.

أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ». ٣٥وَفِي الْغَدِ أَيْضاً كَانَ يُوحَنَّا وَاقِفاً هُوَ

هذه خاتمة شهادة المعمدان التي أدّاها للمسح بلسانه, وقد أردفها بشهادته التي قدمها بموته واستشهاده.

ج- الشهادة الثالثة التي أدّاها يوحنا المعمدان

شهادته أمام تلميذيه: اندراوس ويوحنا البشير ١: ٣٥ – ٣٧

ها قد بلغنا الآن, نقطة الاتصال بين خدمة يوحنا المعمدان وخدمة المسيح. بل هذا ملتقى العهد القديم بالعهد الجديد. لأن اثنين من تلميذ المعمدان صارا تلميذين للفادى. وهذه أكبر مكافأة لخدمة المعمدان: أن اثنين من تلاميذه نقلا من القسم الإعدادي إلى القسم العالي. بل هذا مظهر من مظاهر الخلق المتين الذي تحلى به المعمدان إذ قبل على نفسه أن يخسر اثنين من أحب تلاميذه إليه – خسارة هي نعم الربح للمعمدان فلأنها دليل على تقدير سيده لخدمته, وأما للتلميذين فإنهما صارا فيما بعد رسولين, بل عمودين في هيكل الكنيسة الأبدي, بل لؤلؤتين لامعتين في تاج الخلود.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن الطابع العام الذي طبعت به هذه البشارة – التدرج, قد طبعت به أيضاً دعوة التلميذين إلى المسيح. كانا تلميذين للمعمدان. ثم وجهت أنظارهما إلى المسيح حمل الله عدد ٢٩ و٣٦, ثم دعيا إلى البيت الذي كان المسيح ساكناً فيه عدد ٣٩, ثم شاهدا معجزاته فرأيا مجده ٢: ١١.

---

[١] يقول ابربنئيل وهو أحد أحبار اليهود: "قال الراب يوناثان من عزئيل أن الإصحاح الثالث والخمسين من أشعياء يشرح آلام "مسيا" المنتظر. ويؤيد هذا, آراء كبار أحبارنا, تباركت ذكراهم".

[٢] للمزيد من الإيضاح انظر شرح بشارة لوقا على صحيفتي ٩٤ و٩٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شهادة التلاميذ الأولين

وَاثْنَانِ مِنْ تلاَمِيذِهِ ٣٦فَنَظَرَ إِلَى يَسُوعَ مَاشِياً فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ». ٣٧فَسَمِعَهُ التِّلْمِيذَانِ
يَتَكَلَّمُ فَتَبِعَا يَسُوعَ. ٣٨فَالْتَفَتَ

إن الشهادة الحيّة تهيئ الطريق للإيمان الحي, ولن يكون الإيمان حيّاً إلا إذا اتصل بشخصيّة حية. ولن تكون الشخصية حية موضوع الإيمان الحي إلا متى كانت شخصية قوية وجامعة- كذلك كانت شخصية المسيح التي حجت إليها شخصيات كثيرة متباينة الجنسيات, والنزعات, والدرجات. فمن سمعان, ويوحنا, ونثنائيل, الذين يحملون أسماء عبرية[١], إلى أندراوس وفيلبس اللذين يحملان اسمين يونانيين. من بطرس المجازف المقحام, إلى نثنائيل الوداع, الجالس تحت تينة, إلى يوحنا ويعقوب ابني زبدى.

إذا تأملنا شهادات التلاميذ على المسيح, رأينا فيها تدرجاً متمشياً مع روح البشارة كلها. فمن شهادة اندراوس العامة: "قد وجدنا مسيا" عدد ٤١, إلى شهادة فيلبس المخصصة: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء: يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة" عدد ٤٥, إلى شهادة نثنائيل العميقة "أنت ابن الله. أنت ملك اسرائيل" عدد ٤٩.

وإذا نظرنا إلى الوسائل المختلفة التي بها دعا تلاميذ المسيح, وجدنا أنفسنا أمام غنى الحكمة الإلهية المتنوعة. فالطريقة التي بها اهتدى أحد التلاميذ إلى المسيح, هي غير الطريقة التي اهتدى بها الآخر. يوحنا وأندراوس أتيا إليه نتيجة شهادة أستاذهما, وتوطد إيمانهما به بعد محادثة هادئة تمت بينه وبينهما في البيت. وسمعان جاء إليه نتيجة شهادة أخيه, وتعمق إيمانه به بعد

يَسُوعُ

أن سمع منه كلمة فاحصة كشفت له ماضيه وحاضره ومستقبله في لحظة.وفيلبس الرجل العملى استأثرته شخصية المسيح القوية, فأقبل إليه نتيجة كلمة حاسمة لم تترك أمامه مجال للشك والتردد, ونثنائيل الوادع وجده نتيجة كلمة هادئة كالنسيم سمعها فملأت قلبه رجاء وعزاء. من التلاميذ من جاء إلى المسيح بدعوى من سواه, ومنهم من طلب المسيح باحثاً, ومنهم من دعاه المسيح بالذات. منهم من جاءه متسربلاً برداء الشك, ومنهم من جاءه مطمئناً واثقاً.

طليعة التلاميذ – يوحنا وأندراوس ١: ٣٨ – ٤٠ (أ) سؤال المسيح لهما: "...ماذا تطلبان". (ب) جوابهما على سؤال المسيح: "يا معلم أين تمكث" ع ٣٨. (ج) دعوة المسيح لهما: "تعاليا وانظرا". (د) تلبيتهما للدعوة: "فأتيا ونظرا...." ع٣٩. (هـ) اسم أحدهما: "كان أندراوس أخو سمعان..." ع٤٠.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣٨ (أ) سؤال المسيح لهما: "فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان؟".

سمع هذان التلميذان شهادة معلمهما المعمدان عن المسيح أنه خمل الله، فتركا معلمهما وتبعا فاديهما, ومنذ تلك اللحظة وهما إلى الآن يتبعان "الحمل الذي في وسط العرش وهو يرعاهما ويقتادهما إلى ينابيع ماء حيّة" (رؤ٧: ١٧). كان هذان التلميذان يتبعان يسوع في وقت كان قد حول فيه وجهة عنهما ذاهباً في طريقه. إلا أن قلبه العطوف لم – ولن – يتحوّل عنهما, بل كان مراقبا مبادئ الحياة الجديدة وهي تدب في قلبهما كالنبتة الضعيفة

وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ فَقَالَ لَهُمَا

المحتاجة إلى أشعة الشمس لتقويها وتغذيها, وقطرات الندى لتنعشها وترويها. فحول المسيح وجهه إليهما وسلّط عليهما شعاعاً شافياً من أشعته النورانية المحيية قاصداً أن يشجع توجهات حياتهما الجديدة. "ونظرهما" – هذه الكلمة تفيد التفرس والإعجاب, والاهتمام (٦: ٥, ١يو ١: ١), "وقال لهما ماذا تطلبان" – هذه أول كلمة للمسيح في بشارة يوحنا. إن أولى كلماته في بشارة متى هي: "اسمع الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (مت ٣: ١٥), وفي بشارة مرقس: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالأنجيل" (مر١: ١٥),وفي بشارة لوقا: "فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في مالأبي" (لو٢: ٤٩).

"التفت" ... "ونظرهما" ... "فقال لهما", هذه عبارات ثلاث تعين لنا الدرجات الثلاث التي بها عالج المسيح إيمان التلميذين في مهده. "التفت" – أراهما وجهه. "نظرهما" – رأى قلبيهما. "فقال لهما" – أراهما حقيقة قلبيهمل. "ماذا تطلبان" – كنّا ننتظر أن يسألهما المسيح قائلاً "من تطلبان" بدلاً من قوله "ماذا تطلبان". كأن يسألهما عن الشخص, لاعن الشيء الذي يطلباته. لكن للأسف كثيرون يقصدون المسيح لأنهم يطلبون عطاياه لا شخصيّته كم من كثيرين يطلبون الفادى من غير قصد معيّن. فهم كريشة في مهب الرياح وكغيوم من غير ماء. أن عارف القلوب تجلى لهذين التلميذين فرأيا فيه أكثر من "معلم", وان "حمل الله" تمثل لهما

«مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ: «رَبِّي (اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ) أَيْنَ تَمْكُثُ؟» ٣٩فَقَالَ لَهُمَا: «تَعَالَيَا وَانْظُرَا». فَأَتَيَا وَنَظَرَا أَيْنَ كَانَ يَمْكُثُ وَمَكَثَا عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ. وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ الْعَاشِرَةِ.

"كاهناً" فأحصى الكلى, وإن السيد ظهر لهاما ورفشه في يده لينقي بيدره الجديد.

لم يقصد المسيح بسؤاله أن يلقي العثرات أمامها, ولا مجرد فحص ولامجرد فحص غاياتهما, بل قصد أن يهيئ الطريق أمام أشواقهما الجديدة, يسندها في طفولتها, ويوجهها اتجاهاً آمناً مطمئناً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب) جوابهما على سؤال المسيح: "فقالا ربي, الذي تفسيره يا معلم, أين تمكث". وحسنا أجابا. هل قدما هذا الجواب لأن المسيح فاجأهما بسؤاله فلم يجد أفضل من أن يجيب على سؤاله بسؤال آخر؟ أم أنهما أرادا أن يظهرا له أن قلبيهما محملان بالأشواق نحوه, وأن حديث الطريق لا يشبعهما لذلك طلبا فرصة خاصة في مكان هاديء؟ أم أنهما خافا لألّا يكون هو "عابر سبيل" ينظرانه الآن ثم يمضي عنهما غداً, فقصدا أن يتأكدا من محل إقامته؟ أم أنهما بسؤالهما هذا, قصدا أن يقولا له: "نريدك أنت. ولا نريد سواك. فقل لنا أين تمكث حتى نتملى برؤياك, ونشبع من سنا سناك"؟؟

الكلمات: - "الذي تفسيره يا معلم" من أقوال البشير. ولعل يوحنا فسر كلمة "ربي" لأنها كانت حديثة الاستعمال وقتئذ, فهي لم تستعمل إلا منذ أيام هليل, قبل المسيح بثلاثين عاماً.

عدد٣٩. (ج) رد المسيح: "فقال لهما تعاليا وانظرا". إن سؤال المسيح الفاحص, ودعوته الحبية, يرمزان إلى عمل النعمة الذي يعمله

٤٠كَانَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَاحِداً مِنَ الاِثْنَيْنِ اللَّذَيْنِ سَمِعَا يُوحَنَّا وَتَبِعَاهُ.

بروحه في قلوب الآتين إليه. الترجمة الحرفية للكلمتين "تعاليا وانظرا" هي "تعاليا الآن ومن ثم تنظران". هذه دعوة مزدوجة: "تعاليا" – دعوة إلى إطاعة الإيمان. "وانظرا" – دعوى إلى التعلّم, والطاعة دائما تسبق المعرفة. والإيمان يسبق العلم ويسايره هذه دعوى معجلة. لأن لمسيح خرج في الغد إلى الجليل (١: ٤٣). فلو تأخر أو ترددا في قبول الدعوة لضاعت عليهما الفرصة إلى الأبد.

(د) إجابة الدعوة: "فأتيا ونظرا ومكثا". أطاعا. ونظرا. وانتظرا. وكما كانت الدعوى معجلة كذلك كانت تلبيتها. إن لذة هذه الزيارة بقيت عالقة في ذهن أحدهما – يوحنا البشير – إلى ما بعدها بستين عاماً لأنه ذكر موعدها بالضبط: "وكان نحو الساعة العاشرة" – بالحساب الأفرنكي الذي كان الرومان قد اعتمدوه. وهو يتفق والتوقيت المتبع الآن، أي قبل الظهر بساعتين. ويعتقد "ليتفوت" أنها الساعة العاشرة بالحساب اليهودي. أي قبل الغروب بساعتين، ويضيف إلى هذا، قوله: أن غد ذلك اليوم كان سبتاً. فلم يكن لديهما متسع من الوقت للسفر لذلك مكثا عنده حتى اليوم التالي. وما أجمل أن يصرف التلميذ أول سبت من حياته الجديدة في حضرة فاديه ومخلصه. إن السماء سبت أبدى لأنها تصرف بين يدي الله.

عدد ٤٠. أندراوس "كان أندراوس أخو سمعان بطرس.. " واضح من هذا العدد، أن هذه البشارة كتبت في وقت كان قد صار فيه بطرس

٤١هَذَا وَجَدَ أَوَّلاً أَخَاهُ سِمْعَانَ فَقَالَ لَهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

علماً من أعلام الكنيسة وأوسع شهرة من أندراوس حتى وُصف بأنه "أخو بطرس". ومن الأهمية بمكان، أن نذكر أن أندراوس دخل الإيمان قبل بطرس. فمن المحال عندنا أن يكون بطرس أساس الكنيسة.

عدد٤١. سمعان بطرس ١: ٤١ و٤٢ "هذا وجد أولاً أخاه سمعان". (أ) ما ظفر به أندراوس: "هذا وجد أولا": ويستفاد من كلمة "أولاً", أن أول عمل قام به أندراوس بعد أن وجد المسيح – أو بالحرى بعد أن وجده المسيح – هو أنه وجد أخاه سمعان. وأيضاً أن كلاً من التلميذين ذهب مفتشاً على أخيه حتى يجده, فكان أندراوس السابق في هذا المضمار فوجد أولاً أخاه. أما التلميذ الآخر – يوحنا – فقد وجد أخاه فيما بعد. هذا برهان على تواضع يوحنا البشير في تسجيله حسنات غيره. "وجد" تنطوي هذه الكلمة على: البحث والسعي والجد المتواصل "ومن جد وجد".

ليست هذه المرة الأولى والأخيرة التي فيها أتى أندراوس بشخص إلى المسيح (أنظر يو٦: ٨, ١٤: ٢٢). ومما يلفت أنظاراً أن أندراوس ووجد المسيح قبل أن يجد أخاه. إن الرابطة الروحية التي تربط الإنسان بالمسيح, أقرب, وأسبق, وأمتن من أية رابطة جسدية.

(ب) ما قاله أندراوس: "قد وجدنا مسياً" هذه شهادة النفس المتواضعة التي لم تحتكر امتياز هذا الاكتشاف لذاتها. فبدلاً من أن تقول "قد وجدت" أعطت لغيرها حقاً معها وقالت "قد وجدنا مسياً". هذه شهادة النفس الظافرة التي وجدت "اللؤلؤة الكثيرة الثمن". اكتشفت "الكنز المخفي". إن فرح هذه النفس أعظم من فرح أرشميدس باكتشافه العظيم. بل هذه شهادة النفس المتيقنة الواثقة مما

«قَدْ وَجَدْنَا مَسِيَّا» (اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: الْمَسِيحُ). ٤٢فَجَاءَ بِهِ إِلَى يَسُوعَ.

وجدت لأن "قد"حرف تحقيق. لا بل هذه شهادة النفس الباحثة المستنيرة "وجدنا مسيا". ومن العجب أن كلمة "مسيا" لم ترد على لسان أستاذه المعمدان. لكن أندراوس استطاع أن يفهم من الكتب أن "حمل الله" هو "مسيا المنتظر". الكلمة "مسيا" هي الصيغة اليونانية للكلمة الآرامية: "مشيحا", والعبرية: "مشيح", والعربية "مسيح" أي الملك العظيم الممسوح من الله والمنتظر من الشعب اليهودي, وفيه تتم نبوات العهد القديم. هذا المسيا كان منتظراً أيضاً من السامريين (٤: ٢٥). جاء في المدراش اليهودي شرحاً لما جاء ففي خروج ٤: ٢٢ ط بكر الله هو مسيا". وجاء في التلمود "إن اسم مسيا هو قبل كون العالم". ولأن يوحنا كان يكتب إلى الأمم, اضطر أن يفسر لهم كلمة "مسيا" اليهودية بقوله "الذي تفسيره المسيح".

عدد ٤٢. (ج) ما فعله أندراوس: "فجاء به إلى يسوع" – وهذا يكفي. هذا عمل بسيط لكنه كامل. فإذا ما نجحنا في إحضار العطشان إلى الينبوع الصافي فقد عملنا كل مل يمكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عمله. هذا مثال لما ينبغي أن يعمله كل خادم للمسيح. فإذا لم يستطع أن يقدم المسيح للناس, فعليه أن يتقدم بالناس إلى المسيح.

إلى هنا ينتهي عما أندراوس ويبتدئ عمل المسيح. (أ) نظرة:

فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتَ سِمْعَانُ بْنُ يُونَا. أَنْتَ تُدْعَى صَفَا» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: بُطْرُسُ).

"نظر إليه يسوع" – هذه نظرة مشجعة. ما أعظم الفرق بين هذه النظرة وبين تلك التي وجهها المسيح إلى بطرس بعد خطيته المعهودة (لوقا ٢٢: ٦١)! (ب) إعلان: "أنت سمعان بن يونا" – هذا وصف لبطرس في ضعفه الحاضر. لأن سمعان تفسيره "المطواع، الضعيف، المستلين"، (جـ) نبوة وتشجيع ""أنت تدعى صفا" – هذا وصف لبطرس في قوته التي يمنحه المسيح إياها فيما بعد. كلمة "صفا" آرامية الأصل تقابلها في العربية: "كهف" وفي اليونانية "بطرس"[٢] – أي "حجر". عجيب هذا الفرق بين حال بطرس ومآله. لكن لا يبقى وجه لهذا العجب متى ذكرنا أن حلقة الاتصال بينهما هي نعمة المسيح المحددة.

هذا برهان جديد على أن المسيح اتخذ لنفسه كل حقوق يهوه في العهد القديم. فكما دعا يهوه يعقوب إسرائيل. كذلك دعا المسيح سمعان بطرساً، على أنه لا فائدة من تغيير الاسم إلا إذا تغيرت الحياة. والمسيح هو المغير لهما كليهما.

٤٣فِي الْغَدِ أَرَادَ يَسُوعُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجَلِيلِ فَوَجَدَ فِيلُبُّسَ

عدد ٤٣. دعوة فيلبس ١: ٤٣ و٤٤ نحن الآن محاطون باكتشافات جديدة. دونها اكتشاف المريخ: أندراوس وجد بطرس، ويسوع وجد فيلبس، وفيلبس وجد نثنائيل.

"في الغد" – هذا هو اليوم الرابع منذ أرسل الفريسيون وفدهم إلى يوحنا المعمدان. "أراد يسوع" أي وضع في فكره كما يفيد الأصل. إذاً دعوة المسيح لفيلبس لم تكن أمراً ارتجاليا، ولا فكرة بنت ساعتها، بل كانت نتيجة تفكير وتدبير سابقين. هذه الحادثة تصلح لأن تعتبر رمزاً لدعوة الله للمؤمنين (رومية ٨: ٣٠). ويعتقد هنستنبرج أن المسيح وضع في فكره أن يذهب إلى الجليل إتماماً للنبوات القديمة القائلة بأن الجليل يكون مهبطاً لخدمة مسيا. ويعتقد آخرون أن المسيح قصد أن يفسح مجالاً لخدمة المعمدان، ولعله قصد أن يرجع إلى الجليل لينتظر هناك ريثما يحين موعد الفصح فيذهب إلى أورشليم في العيد. "فوجد فيلبس – فقال له اتبعني" – إذاً يكون فيلبس[٣] أول شخص دعاه المسيح بالذات بقوله: "اتبعني" فالثلاثة الأولون – أندراوس، ويوحنا وبطرس – وجدوا المسيح. لكن فيلبس قد وجده المسيح. في كل هذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فَقَالَ لَهُ: «ٱتْبَعْنِي». ٤٤وَكَانَ فِيلُبُّسُ مِنْ بَيْتِ صَيْدَا مِنْ مَدِينَةِ أَنْدَرَاوُسَ وَبُطْرُسَ. ٤٥فِيلُبُّسُ وَجَدَ نَثَنَائِيلَ

يصدق القول: "نحبه لأنه هو أحبنا أولاً". كلمة واحدة قالها المسيح لفيلبس: وكذلك لمتى أيضاً مت ٩: ٩، "اتبعني" (فيها خلاصة الحياة المسيحية) فهل فهم فيلبس في الحال كل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من أتباعه إلى جشيماني وإلى الجلجثة، وإلى القبر، وإلى المجد؟ أم فهم منها أن المسيح يدعوه ليتبعه في رحلته إلى الجليل وكفى؟

عدد٤٤. موطن فيلبس "وكان فيلبس من بيت صيدا.." – ومعناه محل الصيد – "من مدينة أندراوس وبطرس" يا لها من مدينة عجيبة خرج منها كثيرون من خير صيادي الناس. لم يذكر البشير شيئاً عن نفسه ولا عن موطنه، تواضعاً منه كعادته. وقد اندثرت مدينته وذهبت معالمها ولم يبق منها سوى أكوام معروفة بـ "تل حوم". أما مدينة فيلبس فهي "بيت صيدا" الجليل، الواقعة في الجهة الغربية من نهر الأردن قرب بحيرة طبرية بقرب "خان منية". "وهي غير بيت صيدا" الواقعة شرقي الأردن قرب مصبه في بحر طبرية. ويظن طمسون الرحالة أن ليس إلا بيت صيدا واحدة وأنها عند "أبي زاني"الحالية، بجانب مصب الأردن في بحر طبرية.

عدد ٤٥. نثنائيل – أول ثمرة التين الناضجة ١: ٤٥- ٥١ إن أول تلميذ وجد المسيح، وأول تلميذ وجده المسيح، صار كلاهما مبشرين ناجحين. فأندراوس وجد سمعان، وفيلبس وجد نثنائيل. كلمة "نثنائيل" – عبرية تقابلها في اليونانية "ثيودور" المعربة بـ "تاوضروس". ومعناها "عطية الله". نثنائي المذكور في بشارة يوحنا هو برثولماوس المذكور في سائر البشائر.

وَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا ٱلَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي ٱلنَّامُوسِ وَٱلْأَنْبِيَاءُ

لأن ذكره في استهلال بشارة يوحنا وفي خاتمتها (١: ٤٥ و٢١: ٢) يدل على أنه كان ذا مقام ممتاز بين التلاميذ. ولأن سائر البشيرين ذكروا اسم برثولماوس بجانب اسم فيلبس (مت ١٠: ٣ ولو ٦: ١٤ ومر ٣: ١٨) وكذلك فعل يوحنا باسم نثنائيل. فمن المرجح جداً أن نثنائيل هو برثولماوس، سيما وأن برثولماوس ليس اسماً بل كنية ومعناه: بن تلماي – أي "ابن الحارث" وربما عرف في بعض الأوساط باسمه "نثنائيل" وفي البعض الآخر بكنيته: "ابن الحارث".

لقد اتخذ دعوة نثنائيل دورين: أحدهما تمهيدي – حدث بينه وبين فيلبس ١: ٤٥ و٤٦. وثانيهما نهائي حدث بينه وبين المسيح ١: ٤٧ – ٥١.في الدور الأول نرى نثنائيل متحيراً في شكله. وفي الدور الثاني نرى نثنائيل باحثاً, ومتعجباً, ومعجباً, ومؤمناً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الدور الأول – نثنائيل متحيّر في شكله ١: ٤٥ و٤٦. هنا نرى (١) كلام فيلبس مع نثنائيل: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء". يقول البشير: "المسيح وجد فيلبس" عدد ٤٣ – هذا هو الصوت. ويقول فيلبس: "وجدنا المسيح" ع٤٥ – هذا هو الصدى. هذه شهادة (أ) المتواضع: "وجدنا" لا "وجدت" (ب) الباحث عن الحق: "الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء"(ج) المدقق في بحثه: "يسوع بن يوسف" – كما كان يظن – "الذي من الناصرة" – بذلك قد ربط القديم بالجديد (د) الفرح باكتشافه.

يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ». ٤٦فَقَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: «أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟» قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: «تَعَالَ وَانْظُرْ». ٤٧وَرَأَى يَسُوعُ

عدد ٤٦. (٢) رد نثنائيل: "أمن الناصرة..." هذا هو الجواب المتحير في شكله. مع أن الجليلين كانوا وقتئذ محتقرين لخشونتهم, وعدم تهذيبهم, لكنا نرى هنا جلياً يحتقر الناصرة. والإنجيل نفسه لا يضع الناصريين في مكان يحسدون عليه, فالمسيح تركهم وفضل أن يعيش بين أهل كفرناحوم (مت ٤: ١٣), ولم يقدر أن يعمل معجزات في الناصرة بسبب عدم إيمان أهلها. (مت ١٣: ٥٨). وفي ذات يوم شرعوا في قتل المسيح الذي هو مفخرة وطنهم (لو ٤: ٢٩). ولعل نثنائيل قصد أن يقول آمن الجليل الحقير – والناصرة جزء منه – يمكن أن يكون شيء صالح؟ فيكون قد فاه بهذه الكلمة من قبيل التواضع والتعجب, لا من قبيل التحقير – لأنه هو أيضاً جليلي.

عدد. الدور الثاني – نثنائيل باحث ١: ٤٧ – ٥١. في هذا الدور نرى طابع التدرج المطبوعة به كل البشارة. نلاحظ هذا التدرج في اختبارات نثنائيل, وفي إعلانات المسيح لنثنائيل. في اختبارات نثنائيل نراه مقبلاً عدد٤٧, فمتعجباً عدد٤٨, فمؤمناً مقراً بإيمانه عدد ٤٩. وفي إعلانات المسيح نراه معلناً حقيقة نثنائيل للواقفين معه عدد ٤٧, ثم مظهراً قوتّه الفاحصة لنثنائيل عدد ٤٨, ثم واعداً إياه بإعلانات أعمق وأتم في المستقبل القريب والبعيد عدد ٥٠ و٥١.

نَثَنَائِيلَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ

الكلمة المركزية في هذا الفصل هي: "إسرائيلي", وهي عبرية معناها "يسود الله". إنها تصوّر لذاكرتنا يعقوب أبا الأسباط, الذي أعطى هذا اللقب المجيد بعد صراع عنيف, فناله بضعفه لا بقوته. إن ما جاء في يو ١: ٤٧ عن إسرائيل الجديد, يقابله ما جاء في تكوين ٣٢, عن إسرائيل القديم, وما جاء في يو ١: ٥١ يتمشى مع ما جاء في تك ٢٨. تمت مصارعة الأول وهو منفرد في وحدته, كذلك كانت مصارعة الثاني. على أن مصارعة يعقوب تمت في ظلمة الليل, لكن مصارعة نثنائيل تمت في نور النهار, وهو جالس تحت ظل تينته – والتينة ترمز إلى الهدوء والاطمئنان. وتحت تينة أيضاً اهتدى أغسطينوس إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله. كان يعقوب إسرائيل محاطاً بشكوكه ومخاوفه كذلك كان نثنائيل. نال يعقوب لقب "إسرائيل" من شخص عجيب، هو الله – الإنسان، أو الإله المتأنس إذ قيل له: "جاهدت مع الله والناس"، وكذلك نال نثنائيل لقب "إسرائيلي حقاً" من المسيح الذي هو الله المتجسد (يوحنا ١: ١٤).

حوار بين المسيح ونثنائيل. لنتأمل في هذا الحوار البديع فنلاحظ (أ) المسيح ناظراً إلى نثنائيل في وقت إقبال نثنائيل إليه: "ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه" – هذه نظرة مزدوجة – ظاهرية وباطنية. فالمسيح رأى نثنائيل كما يراه أي إنسان، ورأى أعماق نفسه كما يراه الله وحده. "مقبلاً إليه" – إقبالاً مزدوجاً: بالجسد، وبالروح. (ب) المسيح شاهداً عن نثنائيل "هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه" أي هذا هو الإسرائيلي الروحي، المخلصظ، الحقيقي (رو ٢: ٢٩). هل في هذا القول مفاضلة ما، بين

فَقَالَ عَنْهُ: «هُوَذَا إِسْرَائِيلِيٌّ حَقّاً لاَ غِشَّ فِيهِ». ٤٨قَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: «مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التِّينَةِ رَأَيْتُكَ». ٤٩فَقَالَ نَثَنَائِيلُ: «يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!»

إسرائيل الجديد – نثنائيل، وبين إسرائيل القديم – يعقوب، الذي كان معجوناً بالمكر والدهاء؟ أم هذه عبارة تفسيرية لما قيل عن إسرائيل القديم في تك ٢٥: ٢٧، فيكون معناها: "هو ذا إسرائيلي بالحق"؟ يغلب على اعتقادنا أن المعنى الثاني هو أقرب الاثنين إلى الصواب (ج) نثنائيل متعجباً من علم المسيح الفاحص.

عدد ٤٨. نثنائيل يتعجب لما أدرك نثنائيل أن المسيح عالم بحقيقة قلبه، ملكه العجب فقال له: "من أين تعرفني؟" هذه – ولا شك – معرفة إعجازية إلهية. وإلا لما أثارت تعجب نثنائيل واندهاشه.

(د) جواب المسيح على تعجب نثنائيل "قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك" – من هذا الجواب نرى أن المسيح أجاب على تعجب نثنائيل بما يزيد هذا التعجب لا بما يزيله. لأن المسيح أعلمه أن له قوة إلهية خارقة تجتاز الأبعاد المسافات، وتخترق حجب أوراق التين الخضراء. فهو يعلم كل شيء لأنه يرى كل شيء.

عدد ٤٩. (هـ) تعجب نثنائيل ينقلب إعجاباً، وإيماناً، وإقراراً: "يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل". في هذا الإقرار ثلاث كلمات – كل منها تصف المسيح في ناحية معينة: "معلم"، "ابن الله"، "ملك

٥٠أَجَابَ يَسُوعُ: «هَلْ آمَنْتَ لأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتُكَ تَحْتَ التِّينَةِ؟ سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا!» ٥١وَقَالَ لَهُ: «اَلْحَقَّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إسرائيل". "معلم" – هذا هو اللقب الذي كان المسيح معروفاً به عند عامة الناس. وإذا كان نثنائيل قد أقر بأن المسيح معلم فقد اعترف ضمناً بأنه تلميذ لهذا المعلم. "ابن الله" هذا وصف للمسيح في شخصه الإلهي الذي له طبيعة واحدة مع الله. وإذا كان نثنائيل قد أقر بأن المسيح ابن الله فقد اعترف ضمناً بأنه متعبد له. "ملك إسرائيل" – هذا وصف للمسيح في وظيفته الإلهية. وإذا كان نثنائيل قد أقر بأن المسيح "ملك إسرائيل" فقد اعترف ضمناً بأنه عبد له. هذا برهان جديد على أن نثنائيل هو "إسرائيلي حقاً لا غش فيه". كأن نثنائيل قصد أن يقول للمسيح: "إذا كنت أنا إسرائيلياً، فأنت ملك إسرائيل، بل ملكي أنا". نثنائيل هو آخر التلاميذ الذين أتوا إلى المسيح – في هذا الإصحاح – لكنه كان أسبق التلاميذ إلى الاعتراف بلاهوت المسيح، وسمو ملكوته. إذاً قد صار الآخرون أولين. وإذا كان كثيرون يقعون في شك بعد إيمان، فإن نثنائيل قد ارتقى إلى الإيمان بعد الشك، ومن عجائب الاتفاق أن غرة هذه البشارة ترينا تلميذاً قد شك ثم آمن، وأن خاتمها تتوج بتلميذ كان مؤمناً، فشك ثم عاد إلى الإيمان – توما. وربما كان أقوى أنواع الإيمان، ذاك الذي يتوطد بعد شك.

عدد ٥٠ و٥١ (و) المسيح يعد نثنائيل بإعلانات أجل وأكمل، في المستقبل البعيد عدد ٥٠، والقريب ٥١. إن ما رآه يعقوب إسرائيل في حلم الليل: "سلماً منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله

الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً

صاعدة ونازلة عليها" سيحققه نثنائيل – الإسرائيلي الروحي – في وضح النهار. وما السلم التي رآها يعقوب سوى رمز ليسوع المسيح المتجسد، الذي يسمو بلاهوته إلى أعلى السماوات، ويلامس بناسوته أعماق الأرض. لقد فتحت الخطية هوة عميقة بين السماء والأرض. وفي العهد القديم، سمح الله لبعض بني البشر أن يروا شعاعاً ضئيلاً من أنوار التجسد الذي ملأ هذه الهوة. فرأى يعقوب في حلمه شعاعة من التجسد، ولمح أيوب بصيصاً منه، لكن الطريق بين السماء والأرض كان غير مطروق إلى أن جاء "الطريق والحق"، والحياة، وفي غرة خدمة المسيح الجهرية – عند المعمودية – انفتحت السماء وانفرجت شفتاها عن قبلة الأرض، وفي جشيماني ظهرت الملائكة خادمة لابن الإنسان، وعند مجيئه ثانية ستنفتح السماء، ويظهر منها رب الأكوان، حاملات تعطفات السماء على الأرض، ومبلغاً أشواق الأرض إلى السماء، بل مصيراً الأرض سماء.

لأول مرة في هذه البشارة نسمع الفادي يقول: "الحق الحق"، ولأول مرة فيها نسمعه يقول عن نفسه إنه: "ابن الإنسان"، بهذا اللقب تختتم قائمة الألقاب التي خلعت على المسيح في هذا الإصحاح: "حمل الله": (٢٩ و٣٦)، "ابن الله": (٣٤ و٣٩)، "مسياً": (٤١ و٤٥)، "ملك إسرائيل" (٤٩) "ابن الإنسان": (٥١).وقد ورد هذا اللقب ٧٩ مرة في البشائر:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١١مرة في يوحنا، ١٢ في مرقس، ٢٦ في لوقا، و٣٠ في متى. ولم يرد لها ذكر في العهد القديم سوى مرة واحدة في دانيال ٧: ١٣. ومما يستحق الاعتبار، أن هذا اللقب قد خلعه المسيح على نفسه ولم يجسر أحد سواه أن

وَملاَئِكَةَ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ».

يطلقه عليه[٤]. ويغلب على اعتقادنا أن التلاميذ لم يجسروا أن يطلقوا هذا اللقب على المسيح، تحاشياً من نغمة الاتضاع التي تحيط بهذا اللقب. غير أنه لقب ممتاز ومجيد. فهو يتميز عن القول: "ابن الله" في كونه ينبر على الجانب الإنساني في المسيح. وعن القول: "ابن داود" في كونه يشير إلى سعة شخصية المسيح التي تضم كل البشرية معاً. وعن القول: "ابن آدم" في كونه ينبر على المجد الذي كلل به المسيح المتألم، الكامل, وقصارى القول: أن ما قصده المسيح بهذا اللقب هو مشاركته لنا في اللحم والدم، على كيفية تجعله ممثلاً للبشرية جمعاء، وفيه نرى الصورة الممتازة التي كانت تظل عليها البشرية ولم تخطئ، والحالة المجيدة التي ستصير إليها بعد إتمام الفداء في المجد.

أليس من الملذ أن نذكر أن المكان الذي رأى فيه يعقوب حلمه، هو بيت أيل – نفس المكان الذي كان المسيح واقفاً فيه مع نثنائيل، في طريقه من اليهودية إلى الجليل؟؟!!.

---

[١] لمعرفة معنى كل اسم بالذات انظر شرح بشارة لوقا المؤلف صحيفتي ١٥٥ و١٥٦

[٢] قد يلذ لنا أن نعرف أن الكلمة التي استعملت لبطرس في الأصل هي "بتروس" ومعناه حجر، لا "بترا" التي معناها صخرة، وليس من المعقول أن الكلمة الثانية هي التي قيلت لبطرس لأنها مؤنثة.. إننا نسوق هذا الحديث للذين يعتقدون أن بطرس هو الصخر الذي بنى عليه المسيح كنيسته. ونؤكد لهم أن الصخر إنما هو إيمان بطرس بأن المسيح هو ابن الله. وأما بطرس، فمعناه "حجر" – لا أقل ولا أكثر.

[٣] بملاحظة المواضع الأخرى التي ورد فيها ذكر فيلبس في هذه البشارة، يتضح لنا أن فيلبس كان رجلاً حكيماً – في ص٦: ٥ تتكشف لنا حكمته العملية في تقدير حساب النفقة، وفي ١٢: ٢١ و٢٢ تتجلى لنا حكمته في السياسة والتصرف مع الناس، وفي ١٤: ٧ تظهر لنا حكمته المنطقية في حسبانه أن رؤية الله تكفي لحل جميع الأسرار والألغاز. ويحدثنا التاريخ أن فيلبس صار أحد الأنوار المتلألئة في آسيا. وهو غير فيلبس المبشر الذي تبأت بناته (أعمال ٨و ٢١: ٨).

[٤] إلا في المرتين اللتين ورد فيهما هذا اللقب على لساني أسطفانوس (أعمال ٧: ٥٦)، ويوحنا البشير في الرؤيا (رؤيا ١: ١٣)، لأن ذكرهما لهذا اللقب كان ترديداً لصدى صوت المسيح من قبيل الاقتباس ليس إلا، علاوة على أنه لا يحسب مقاساً لندورته.

شهادة المعجزة الأولى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإصحاح الثاني

١وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ

٢: ١- ١١

عرفنا من الإصحاح الأول شهادة التلاميذ الأولين للمسيح، والآن نرانا أمام شهادة نطقت بها أولى معجزات المسيح على الأرض. فيما مضى سمعنا شهادات من أفواه البشرية، وهنا نسمع شهادة فاهت بها إحدى قوات الطبيعة – الماء المتحول خمراً. قبلاً رأينا التلاميذ وقد شاهدوا "حمل الله" فشهدوا له بصراحة من غير خفاء، والآن نرى الماء الحساس وقد رأى خالقه، فاحمر وجهه خجلاً، فشهد له في خفر وحياء!!

هذه هي المعجزة التي استهل بها المسيح خدمته الجهرية. ما أشبهها بالباب "الجميل" الذي كان يؤدي إلى الهيكل! إن حدوث هذه المعجزة في بيت، يجعلها حلقة اتصال بين الثلاثين عاماً التي قضاها المسيح في صمته منفرداً، وبين الثلاثة الأعوام التي قضاها وسط المجتمع خادماً ناطقاً. على أن هذه ليست أولى معجزات المسيح على الإطلاق، فقد سبقتها معجزة أخرى – هي معجزة الصمت. إن صمت "الكلمة" عن الكلام، معجزة. وسكوت رب القدرة عن إتيان معجزة ما، مدة ثلاثين عاماً، لهو معجزة المعجزات.

هذه المعجزة الأولى التي أجراها المسيح، تحمل معها رمزاً لطبيعة خدمته. ويتبين لنا هذا من قابلة خدمة المسيح، بخدمة أول أنبياء العهد القديم – موسى، وخاتمتهم – يوحنا المعمدان.

كَانَ عُرْسٌ

فأول معجزة قام بها موسى هي تحويل الماء إلى دم – والدم رمز الموت. لكن أول معجزة قام بها المسيح هي تحويل الماء إلى خمر – والخمر رمز الحياة. فمن هذا يتضح لنا أن خدمة موسى هي خدمة موت لموت، وأن خدمة المسيح هي خدمة الحياة لحياة. أما يوحنا المعمدان، فقد كان رجلاً زاهداً عن الناس، ومعاشرتهم، لكن المسيح أحب الخطاة وعاشرهم، وقدس الصلاة البشرية الشريفة، ورفعها إلى أعلى مستوى. إذاً تعتبر هذه المعجزة نقطة انتقال من ماء اليهودية المميتة إلى خمر المسيحية المقدسة المبهجة.

أليس من العجيب حقاً أن رجل الأحزان يفتتح خدمته بوليمة عرس؟ لكن العجيب يزول متى ذكرنا أنه فادينا. فقد صار رجل أحزان، لكي نصير نحن أبناء البهجة والسرور. نعم كان فادينا رجل الأحزان، لكنه كان أيضاً رجل الفرح. إن الذي اضطرب بالروح وبكى أمام قبر لعازر (يوحنا ١١: ٣٤و ٣٥) قد تهلل بالروح أمام رسله (لوقا ١٠: ٢١). إن الذين لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يرون على وجه فادي الأنام سوى غضون الهموم والآلام، لا يرونه كما هو. والذين يفتشون عن المسيح تحت القباب السوداء، لا حق لهم أن يتعجبوا إن لم يجدوه هناك. إن مسيحنا هو مسيح النور لا مسيح الظلال والظلام. وإن الذي كسر شوكة الموت، أهدانا وردة الحياة.

في تحويل الماء إلى خمر، أظهر المسيح قدرته الخالقة من غير أن يفوه بكلمة – وما الداعي لأن يفوه بكلمة وهو هو "الكلمة"؟ بذلك أرانا أن العمل الذي تنجزه النواميس الطبيعية في عام أو بعض عام، فقد أجراه رب الطبيعة في لحظة – لأن الخمرة هي ماء سقيت به الكرمة، ثم سوته الشمس

فِي قَانَا الْجَلِيلِ

في بعض شهور، حتى صار عنباً، ثم اختمر. فكل هذه العملية الطويلة قد أتمها المسيح في لحظة من غير كلمة ولا لمسة.

في هذه المعجزة تجلت لنا تضحية المسيح. لأن الذي استطاع أن يحول الماء إلى خمر، كان في إمكانه أن يحول الحجر إلى خبز، لما جاع في البرية (مت ٤: ٣). لكنه لم يستخدم قوته المعجزية لإشباع مطالب جسده. سيما وأن هذا الطلب كان من مقترحات المجرب.

في هذا الفصل ٢: ١ – ١١ نجد (أ) مقدمة تاريخية ٢: ١ و٢ (ب) الدورين اللذين اجتازتهما المعجزة ٢: ٣-٨ (حـ) الشهادات اليقينية لصدق المعجزة ٢: ٩ و١٠ (د) كلمة ختامية ٢: ١١.

ع ١ (أ) مقدمة تاريخية ٢: ١ و٢ تحدثنا هذه المقدمة التاريخية عن زمان المعجزة، ومكانها، والمدعون إليها.

نحن الآن في اليوم الثالث منذ اليوم الذي دعى فيه فيلبس (١: ٤٣)، وفي قرية "قانا الجليل" – غير قانا الفينيقية القريبة من صور – وتعرف الآن باسم "كفر قنة"، قرية ما أصغرها لكن هذه المعجزة قد رفعتها وجعلتها "أشهر من نار على علم". وهي تبعد عن الناصرة أربعة أو خمسة أميال، وبينها وبين الجليل مسيرة ثلاثة أيام – هذا يفسر القول: "في اليوم الثالث" إذاً نحن الآن في اليوم السابع منذ اليوم الذي فيه شهد يوحنا المعمدان للمسيح أمام الوفد السنهدريمي. أسبوع ما أمجده! فهو غرة خدمة المسيح الجهرية، يقابله أسبوع الآلام الذي اختتمت به حياة فادينا على الأرض – وكلاهما أسبوع مجد. لأن المسيح تمجد بالشهادة له كما أنه تمجد أيضاً بالآلام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. ٢وَدُعِيَ أَيْضاً يَسُوعُ وَتلاَمِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ. ٣وَلَمَّا فَرَغَتِ الْخَمْرُ قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ».

وبعد أن أرخى الليل سدوله، اجتمع المدعوون في بيت والد العروس – أو ولي أمرها – حسب عادة اليهود وقتئذ، وكان العريس يحيي المدعوين ويحتفي بهم. أما أم[١] المخلص فكانت قد سبقتهم إلى العرس، بدليل القول: "وكانت أم يسوع هناك" ويغلب على اعتقادنا أنها كانت تتصل بأصحاب العرس بصلة وثيقة. ولعلهم كانوا يرجعون إليها في تدبير ما يلزمهم في العرس. ويستنتج جل المفسرين من عدم ذكر اسم يوسف أنه كان وقتئذ قد توفى.

عدد٢. المسيح وتلاميذه يدعون إلى الوليمة "ودعى أيضاً.." كان يسوع، وتلاميذه الحديثون – البالغ عددهم نحو ستة – من المدعوين. وقد حضر المسيح وإياهم في وقت متأخر، ربما لأنهم دعوا بعد رجوعهم من السفر (١: ٤٩).

هذه أول مرة في هذه البشارة وصف فيها اتباع المسيح بكلمة "تلاميذ" – وهي تعين صلتهم به كمعلم. (١: ٤٩).

عدد ٣ (ب) الدوران اللذان اجتازتهما المعجزة ٢: ٣-٨

الدور الأول: ٢: ٣-٥. وهو يحدثنا عن المناسبة التي دعت إلى المعجزة، ومن خلاله نرى مجد أم المخلص في: (١) ما لاحظته: "ليس لهم

٤قَالَ لَهَا يَسُوعُ

خمر" (٢) ما طلبته: "قالت أم يسوع له" عدد٣ (٣) ما سمعته "قال لها يسوع مالي ومالك" عدد (٤) ما أوصت به: "قالت أمه للخدام.." عدد٥

(١) ما لاحظته أم المخلص. جرت العادة قديماً أن تمتد ليالي العرس حتى تتم الأسبوع (تك ٢٩: ٢٢ قضاة ١٤: ١٢). وكان أصحاب هذا العرس من الوسط المستور بالبركة، فمن المحتمل جداً أم مجيء المسيح وتلاميذه أوقع أصحاب العرس في شيء من الارتباك لأن الخمر نفذت أو كادت فلاحظت ذلك أم المخلص ببصرها الثاقب، وحسن تدبيرها.

عدد ٤ (٢) ما طلبته أم المخلص: "قالت له ليس لهم خمر". لقد عملت أم المخلص كل ما في طاقتها أن تعمل، وهو أن تطلع ابنها القدوس على حقيقة الأمر. وقد تضاربت آراء المفسرين في معرفة قصد مريم بسؤالها. فمن قائل أن أم المخلص أوعزت إليه بطريقة لطيفة أن يغادر العرس هو وتلاميذه لكي لا يوقع أصحاب الوليمة في ورطة الخجل. ويعتقد يوحنا الذهبي الفم أن العذراء أرادته أن يصنع معجزة ليظهر مجدها كأم أمام المدعوين والتلاميذ. ومن قائل أنها قصدت إليه أن يصرف أذهان المدعوين عن الخمر ونفاذها، بعظة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

منه فيسكرهم بسحر كلامه الذي هو أطيب من الخمر. لكن المستفاد من إجابة المسيح على كلامها أنها تمنت إليه، ومن طرف خفي، أن يظهر قوته الإعجازية التي طالما أحست بها هي، ولمستها، أثناء صمته مدة الثلاثين سنة، وما أعرف الأم بحقيقة مواهب ابنها. ومن قائل أنها طلبت إليه أن يسد الحاجة المطلوبة.

مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ!

لقد عبرت لنا أم المخلص بقولها: "ليس لهم خمر" عن ماهية الصلاة الحقيقية. التي تقوم برفع أشواق قلوبنا إلى الله من غير أن نملي عليه إرادتنا (في ٤: ٦). وعلى هذا المثال عينة أرسلت مريم ومرثا إلى يسوع قائلتين: "هوذا الذي تحبه مريض" (١١: ٣) فكلا الإثنين طلب في صيغة خبر.

(٣) ما سمعته أم المخلص: "قال لها يسوع... " الكلمة الأصلية المترجمة "امرأة" لا تنطوي على الجفاء المتضمن في الكلمة العربية. لأن معناها في الأصل هو "يا سيدة" – وهي تقال عادة بنغمة الوقار والاحترام، والرعاية (١٩: ٢٦). ولكن هل من اللائق أن يقول يسوع لأمه: مالي ولك؟ في الواقع أن مريم أدركت لياقة هذا الجواب لأنها فهمت قصده واقتنعت به وأوصت الخدام أن يطيعوا المسيح بكل دقة. وفي إمكاننا نحن أن نتحقق لياقة هذا الجواب متى ذكرنا أن المسيح قد بدأ الآن خدمته الجهرية كوسيط وفاد. فقد خرج إذاً من حدود تلك النسبة الضيقة التي كان فيها تحت نفوذ أمه بحسب الجسد. وأصبح مستمعاً لصوت الآب السماوي ومصغياً إلى دقات ساعة الأزل (يو ٥: ١٩). ومنذ الآن لا نعود نسمع المسيح يخاطب مريم بالقول: "يا أمي". وربما هذه أولى المرات التي أحست فيها مريم بذلك السيف يجوز في نفسها (لوقا ٢: ٣٥). على أنه ليس في هذا الجواب ما يفيد رفض المسيح لطلب أمه، لكنه ينطوي على تأجيل الطلب إلى أن تأتي "ساعته". هذه أولى المرات الثلاث – المذكورة في هذه البشارة – التي فيها أجل المسيح طلباً إلى أن تحين ساعته. والمرة الثانية في (٧: ٣ و٦) لما طلب إليه أخوته أن يذهب إلى العيد، والمرة الثالثة في (١١: ٥) حين

لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». ٥قَالَتْ أُمُّهُ لِلْخُدَّامِ: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ».

أرسلت إليه الأختان أن يأتي إلى بيت عنيا ليشفي لعازر المريض. وفي كل هذه الثلاث الحالات كانت غاية الطالبين أن يحملوه على إظهار مجده وقدرته قبل مجيء ساعته. ولعله كان يرى في هذه الطلبات أو في بعضها تجربة بأن يظهر مجده في أية ساعة. كأنه جاء إلى الأرض ليصنع مشيئته هو لا مشيئة الآب الذي أرسله.ووجه الخطر في هذه التجارب هو أنها وجهت إليه من المقربين, كأن التجربة أرادت أ، تسخر المحبة لإرادتها ومصلحتها. لكن المسيح أجاب الطلب الأول بعد مرور ساعة أو بعض ساعة, والطلبة الثانية بعد مرور

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوم أو بعض اليوم والطلبة الثالثة بعد مرور يومين. وردت كلمة "ساعة" على لسان المسيح عدة مرات (يو ١٢: ٢٧ و١٧: ١ ومت ٢٦: ٤٥) وفي بعض هذه المرات تشير كلمة "ساعتي" إلى وقت إظهاره مجده في أعماله وهو في مستهل خدمته الجهرية, وفي البعض الآخر تشير إلى وقت إظهاره مجده في آلامه عند نهاية خدمته على الأرض.

ويستفاد منها بوجه عام, أن كل خطوة خطاها المسيح على الأرض, كانت إتمام لبرنامج معين قد دبر منذ الأزل. لذلك لم يعمل شيئاً قبل أو أنه ولا بعد أوانه, بل كان على الدوام متمماً قصد الآب في وقته الخاص (٥: ١٩).

عدد ٥. (٤) ما أوصت به مريم: "قالت أمة للخدام. مهما قال لكم فافعلوه". رأت مريم في جواب المسيح بارقة أمل, بل شبه وعد بأنه سيصنع أمراً عجيباً. ولشدة تقديرها لهذه الشخصية العجيبة تذرعت بالصبر, وأوصت الخدام, بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لتنفيذ كل أمر يطلب

٦وَكَانَتْ

منهم. إن في كلامهما صبراً, وإيماناً وثيقاًَ, وتسليماً تاماً, وطاعة من غير قيد ولا شرط "مهما قال لكم فافعلوه". هذه هي الشروط المستديمة التي يجب أن تتوفر في البشر حتى يتمكن المسيح من عمل معجزة بينهم.

عدد ٦ الدور الثاني ٢: ٦ – ٨ في هذا الدور نجد عناصر المعجزة: (١) عناصر طبيعية – الأجران عدد ٦, والماء عدد ٧. (٢) العامل الإلهي والرئيسي: المسيح الآمر عدد ٧ و٨. (٣) العامل البشري أو الثانوي: الخدام المطيعون عدد ٧, ٨.

(١) العناصر الطبيعية – الأجران والماء عدد ٦ و٧. كان في إمكان المسيح أن يصنع هذه المعجزة من غير أن يستخدم شيئاً من المواد الأولية. أليس هو الخالق الذي أبدع كل شيء من العدم؟ لكنه لا يتغاضى عن الموارد الطبيعية لأنها ملكه وخادمة له, وهو الحكيم الذي لا يلجأ إلى استخدام قوة خارقة إلا بعد نفاذ القوات الطبيعية. من أجل هذا لم يشرع المسيح في عمل هذه المعجزة إلا بعد نفاذ الخمر الطبيعية. ولئلا يقال فيما بعد أن الخمر كانت محفوظة في مكان معين, ولكي يعد قلوبهم لانتظار معجزته. فلما فرغت كؤوس خمرهم, امتلأت كؤوس رجائهم بانتظار عطية الله. أما العناصر الطبيعية التي استعملها المسيح في هذه المعجزة فهي: الأجران, والماء. "وكانت ستة أجران". كانت تلك الأجران موضوعة في دهليز الدار, ليغتسل منها المدعوون حسب عادة الفريسيين (مت ١٥: ٢ ومر ٧: ١ – ٤ ولو ١١: ٣٨) وربما كانت موضوعة أيضاً لأجل غسل الأباريق والأواني (مر ٧: ٣ و٤). ولا يبعد أن الكلمة: "حسب تطهير اليهود" تنطوي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سِتَّةُ أَجْرَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ مَوْضُوعَةً هُنَاكَ حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ يَسَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِطْرَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً. ٧قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ٱمْلأُوا

على إشارة ضمنية إلى التطهير المسيحي (٣: ٢٥ وعب ١: ٣ و٢ بط ١: ٩). ويظهر من عدد ٨ أنها كانت موضوعة في مكان لا يراها منه العريس والمدعوون. وكانت مصنوعة من حجر, لتكون غير قابلة للكسر. "كل واحد منها كان يسع مطرين أو ثلاثة" – أي أكثر من مطرين وأقل من ثلاثة. والمطر يعادل نحو ٨٠ رطلاً أو ٣٥ لتراً.

عدد ٧ و٨ (٢) العامل الإلهي والرئيسي – المسيح الآمر: "قال لهم يسوع. املئوا الأجران ماء". لم يفه المسيح بصلاة لكي يتمم هذه المعجزة، ولا استخدم فيها قوة ذراعه، لكنه أجراها بمجرد كلمة منه ألقاها إلى الخدام على دفعتين – أولاهما "أن يملأوا الأجران ماء" – لكي يختبر مقدار طاعتهم عدد٧، والثانية "أن يقدموا الخمر إلى رئيس المتكأ" لكي يذوق الرئيس فيؤمن ويشهد. إن المسيح لم يغض الطرف عن العوامل البشرية – "الخدام"، والطبيعة – "الماء". فهو لا يعمل لنا ما نقدر نحن أن نعمله لأجل أنفسنا.

(٣) الخدام المطيعون: كما كان أمر المسيح على دورين، كذلك كانت طاعة الخدام: "فملأوها إلى فوق" عدد٧، .. "فقدموا" عدد٨، كانت طاعة الخدام لازمة لإتمام هذه المعجزة لزوماً جوهرياً، فهي المجرى الذي فيه سرت قوة المسيح الآمر. لأن الطاعة الحقيقية هي محك الإيمان الحقيقي. ومع أن طاعة الخدام كانت طاعة تامة، لكنها لم تكن طاعة عمياء، بل كانت غاية في حدة البصيرة، لأنها رأت ببصيرتها ما لا يرى.

الأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلأُوهَا إِلَى فَوْقُ. ٨ثُمَّ قَالَ لَهُمُ: «ٱسْتَقُوا الآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْمُتَّكَإِ». فَقَدَّمُوا. ٩فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْراً وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ - لَكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدِ اسْتَقَوُا الْمَاءَ

فرأت خمراً حين كان أمامها مجرد ماء. فقدمتها للمدعوين. وعند شروعهم في تقديمها تمت المعجزة (انظر لوقا ١٧: ١٤).

عدد ٩ و١٠ (ج) الشهادات اليقينية لصدق المعجزة ٢: ٩ و١٠ يقدم لنا هذان العددان ثلاث شهادات ناطقة بصدق المعجزة – وعلى فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل حجة – أولاها شهادة الخدام لحقيقة المادة قبل التحول – فأنهم كانوا يعلمون أنها كانت مجرد ماء – لا أكثر ولا أقل. والثانية هي شهادة رئيس المتكا لحقيقة المادة بعد التحول "فلما ذاق" عدد ٩. "إنما يضع الخمر الجيدة" عدد ١٠, وفي قوله هذا. لم يكن واصفاً حقيقة حال, بل كان متكلماً بمثل, ومقرراً حقيقة عامة. فلا يستنتج من هذا أن الذين كانوا في العرس "سكروا". إن قول رئيس المتكأ: "الخمرة الجيدة" شهادة خالدة لحقيقة بركات المسيح. فهو يقدم لأتباعه،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صلباناً، وأشواكاً، وآلاماً، في هذه الحياة، لكنه يقدم لهم في النهاية أكليل المجد والحياة. بخلاف الشيطان الذي يعد بالسعادة العاجلة التي تختتم بالشقاوة الآجلة.

وثالث الشهادات هي شهادة العريس الذي دعا إليه رئيس المتكأ:

عَلِمُوا - دَعَا رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْعَرِيسَ ١٠وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلاً وَمَتَى سَكِرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الآنَ». ١١هَذِهِ

عدد ١١ (د) كلمة ختامية: "هذه بداية الآيات...". وفي هذا العدد يصف البشير هذه المعجزة بأربعة أوصاف. (١) أولها يصف المعجزة من حيث ترتيبها – "هذه بداية الآيات صنعها يسوع". فهي ليست أولى معجزات قانا الجليل فقط، بل هي أولى معجزات المسيح على الإطلاق. (٢) ثانيها يصف المعجزة من حيث مكانها: "قانا الجليل". (انظر اش ٨: ٢٠ – ٩: ٢). (٣) ثالثها يصف المعجزة من حيث القصد منها: "بداية الآيات... أظهر فيها مجده" – هذه أول مرة نعثر فيها على كلمة "آية" في هذه البشارة. وهي تصف المعجزة بالنسبة إلى القصد منها لتكون برهاناً على صدق رسالة المسيح، وعلامة لحقيقة لاهوته. وسميت أحياناً "عجيبة" إشارة إلى تأثيرها على أذهان المشاهدين، وسميت أحياناً أخرى: "قوات" إشارة إلى أنها تفوق قوة البشر وسميت أيضاً: "معجزة" إشارة إلى ما تعجز القوة البشرية عن إتيانه. إذاً لم يكن القصد من هذه المعجزة، إشارة إعجاب الذين في العرس، بل كانت آية إظهار مجد المسيح – أي مجد شخصيته السرمدية، وبنوته الممتازة، وقدرته الفائقة. هذا برهان جديد على إثبات لاهوت المسيح. لأن المعجزات التي أظهرها موسى وغيره، أظهرت مجد "يهوه" (خروج ١٦: ٧) لكن معجزات يسوع أظهرت مجد المسيح. فهو إذاً "يهوه"، "ويهوه" هو. ومن المهم أن نلاحظ الفرق بين نظرة يوحنا البشير إلى معجزات المسيح وبين نظرات سائر البشيرين إليها. يوحنا ينظر إلى المعجزات في صلتها بقدرة

بِدَايَةُ الآيَاتِ فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ

المسيح ومجده. وينظر إليها سائر البشيرين، في صلتها بعطف المسيح على الجماهير. (٤) رابعها يصف المعجزة في تأثيرها على التلاميذ: "فآمن به تلاميذه". هذا إيمان متدرج. أول درجة منه ظهرت في ١: ٣٧ والدرجة الثانية في ١: ٣٩ وفيما بعد نرى درجات أرقى، لأن الإيمان الحي يبدو بذرة، ثم ينمو فيصير شجرة، ثم يزهر، وينضج ثمراً.

---

[١] يوحنا هو البشير الوحيد الذي لم يذكر إسم أم المخلص بالذات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مواجهة بعض الاعتراضات

قد أثارت هذه المعجزة اعتراضات كثيرة: فمن قائل إنها معجزة تنعم لا معجزة ضرورة كسائر معجزات المسيح التي صنعها ليشفي مريضاً أو ليقيم ميتاً، أو ليشبع جائعاً. ودفعاً لهذا الاعتراض نقول: إنها ليست معجزة تنعم بل معجزة محبة مثلثة الجوانب. أحدها يتجه نحو العريس الذي تورط بسبب كثرة المدعوين إلى الوليمة. وجانبها الثاني نحو الأم العذراء التي أراد الابن أن يجيبها إلى طلبها قبل أن يغادرها إلى عمله الرسمي، وجانبها الثالث نحو شخصه إذ عمل هذه المعجزة فأظهر بها مجده.

ومن قائل أن في إقدام المسيح على تحويل الماء إلى خمر، تشجيعاً للناس على السكر. ورداً على هذا نقول: إن الخمر التي صنعها المسيح لم تكن "مسكراً" بل كانت منبهة "ومفوقة" – بدليل شهادة رئيس المتكا التي نطق بها بكل صحو بعد أن شرب منها. أنها لم تكن خمراً بالمعنى المعروف، بل كانت كعصير العنب المقطوف حديثاً من الكرمة، أخذها الناس من عرس قانا الجليل من يد المسيح القادر كما يأخذونها كل يوم من يد الله الباري. لأن

وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ

ما عمله المسيح في هذه المعجزة بتحويله الماء الذي كان في الستة الأجران إلى خمر، هو نفس ما يعمله كل يوم في دائرة الخلق – والعالم خلق في ستة أيام – بتحويله مياه الأمطار، والبحار، إلى عصير عنب في قلب الكرمة. إنما الشيء الوحيد الذي به سكر المدعوون هو "جمال مجد المسيح" – هذا هو السكر الحلال.

ويلوح لنا أن اعتراض هؤلاء بقولهم إن المسيح عمل هذه المعجزة ليشجع الناس على السكر، لهو بمثابة القول أن الله خلق الكروم ليشجع الناس على السكر. أو أن الله خلق النار ليشجع الناس على الاحتراق بها، أو أن الله خلق بعض الأدوية السامة ليغري بها الناس على الانتحار.

يوجد ما يسمى "بالخمر" التي هي عصير العنب المختمر – كما يختمر عجين الخبز مثلاً – وهذه كان اليهود يتعاطونها، وما يسمى بـ "المسكر" الذي يصنع بواسطة عملية التقتير. ويقول يوسيفوس في تاريخه، أن اليهود في وقته كانوا متصفين بالاعتدال في شربهم، وكانوا لا يعرفون إلا عصير العنب. ويؤيد هذا القول التاريخي ما نلاحظه في كتابات بولس الرسول. لأن الكلمات التي خاطب بها السكيرين إنما وردت في رسائله إلى الأمم لا إلى اليهود (رو ١٣: ١٣ و ١كو ٥: ١١ وغل ٥: ٢١ وأفسس ٥: ١٨ و١تس ٥: ٧). وتدعمه أيضاً كلمات بطرس الرسول (١ بط ٤: ٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رب الهيكل في هيكل الرب

فَآمَنَ بِهِ تلاَمِيذُهُ. ١٢وَبَعْدَ هَذَا

٢: ١٢ – ٢٢

أولاًً: الرب يأتي إلى هيكله ٢: ١٢ و١٣ ثانياً: رب الهيكل يطهر هيكل الرب ٢: ١٤ – ١٦. ثالثاً: تأثير حادثة تطهير الهيكل ٢: ١٧ – ٢٢.

عدد ١٢ و١٣. أولاًًًً: السيد يأتي إلى هيكله([١]) ٢: ١٢ و١٣. ودعنا الآن أول معجزة صنعها المسيح لنرحب بمعجزة لا تقل عنها شأناً – إذا جاز التفاضل بين المعجزات.
بمعجزته الأولى أظهر مجده, وبهذه المعجزة بين سلطان لاهوته. المعجزة الأولى, تمت في قرية – قانا الجليل, وهذه تمت في عاصمة اليهود – أورشليم. في الأولى, رأينا رجل الأحزان يسكب ابتسامة بريئة في كأس العروسين والمدعوين, والآن نرى رب الهيكل يسكب سائل غضبه في كؤوس مدنسي هيكله المقدس.

بمعجزته الثانية ابتدأ خدمته الجهرية في أورشليم, وبمعجزة من نوعها اختتم خدمته, وبهما أظهر سلطان رسالته باعتبار كونه رب الهيكل (ملاخي ٣: ١ – ٥), وبين طبيعة رسالته – باعتبار كونه المطهر والمقدس (لوقا ١٩: ٤٥ ومت ٢١: ١٢ و١٣ ومرقس ١١: ١٥ – ١٩).

ولقد اختار المسيح لهذه المعجزة أقدس مكان, وأنسب زمان – أورشليم في عيد الفصح – حين تكون المدينة مغمورة بسيل من الزائرين, والهيكل مزدحماً بمواكب الحجاج.

انْحَدَرَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ هُوَ وَأُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ وَتلاَمِيذُهُ وَأَقَامُوا هُنَاكَ أَيَّاماً لَيْسَتْ كَثِيرَةً ١٣وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيباً

"وبعد هذا" - بعد عرس قانا الجليل, رجع المسيح إلى الناصرة. والظاهر أنه منذ دخوله إلى ربوع خدمته الجهرية, ودّع وطنه الأرضي ميمماً كفرناحوم الرابضة على شاطئ بحر الجليل كما "يربض قطيع الجزائر الصادرة من الغسل" (نش ٤: ٢). هناك كان يسكن جميع تلاميذه ما عدا نثنائيل. ومن "قرية المعزي" اتخذ الفادي لنفسه وطناً أرضياً آخر, ومركزاً لدائرة عمله العتيد. أما مريم أمه, واخوته وتلاميذه فقد "انحدروا" معه إليها - الانحدار هنا جغرافي. "وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة" - لأن الفصح كان يدنو منهم بخطوات حثيثة, وكان هو ينوي أن يحضر ذلك العيد التاريخي في العاصمة اليهودية. ومع أنه منذ أن بلغ الثانية عشرة, اعتاد أن يذهب كل سنة إلى أورشليم مع الحجاج الجليليين, إلا أن ّذهابه إليها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في هذه المرة كان يمتاز عنه في المرات السابقة في أنه صعد إليها الآن باعتبار كونه مسيح الرب, ورب الهيكل- "والصعود" هنا جغرافي أيضاً.

عدد ١٤ ثانياً: رب الهيكل يطهر هيكل الرب ٢: ١٤-١٦. سرعان ما بلغ المسيح المدينة أورشليم حتى قصد تواً إلى الهيكل. وهنالك, عند مدخل الهيكل- في دار – الأمم - استوقفه منظر خاص, إذ "وجد الذين كانوا يبيعون بقراً, وغنماً, وحماماً, والصيارف جلوساً". ومع أن الحاجة كانت تقضي بوجود مثل هذه الذبائح في مكان قريب من المذبح - فالبقر لذبيحة الشكر, والغنم لذبيحة الفصح وذبيحة التطهير, والحمام لذبائح الفقراء. وكان "الصيارف" موجودين يبدلوا العملة الأممية "النجسة" بعملة يهودية

فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ ١٤وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ

"طاهرة", لتضم إلى خزائنهم "المقدسة". وقد نسوا أن العملة اليهودية لا تقوى على تقديس الجيوب والخزائن التي دنستها أموال الظلم. فليس من المهم أن تكون العملة يهودية أو أممية, بل يجب أن تكون مزكاة نقية.

إن وجود هؤلاء الأشخاص وهذه الأشياء في مكان قريب من الهيكل, شئ, ووجودها داخل الهيكل شئ آخر. ولم يدخلها إلى الهيكل سوى جشع رؤساء الكهنة, الذي كان يختبئ تحت ستار حبهم المصطنع في إراحة الحجاج - وما أقبح الشر إذا كان مموهاً بطلاء من الصلاح الباطل. هذا أشرّ شر, هذا هو الخطية خاطئة. على أن قبح هذه الخطية ينكشف لنا متى ذكرنا أن رؤساء الكهنة كانوا يبيعون تلك الحيوانات وهم عالمون أنها ستعود إليهم ربحاً حلالاً بعد الذبح. هذا ربح خبيث لأنه مركب - فائدته مائة في المائة - هذا هو الخسران المبين.

عدد ١٥ و ١٦: المسيح يطرد الجميع بسوط من حبال: رأى المسيح هذا المنظر, وسمع الضوضاء التي تحدثها عادة أصوات الحيوانات المختلفة, تمازجها أصوت البائعين والمشترين, ويتخللها رنين الفضة والذهب, فهاله ما رأى وما سمع, وانبعث من عمق قلبه, غيرته المتقدة على هيكله, الذي كان يحب أن يكون مرفأً هادئاً للنفس تلجأ إليه كلما ضج العالم حولها, "فصنع سوطاً من حبال" - والكلمة الأصلية هي نفس الكلمة العربية الدارجة "فرقلة" التي يستعملها الحارث المصري إلى اليوم - وقد كانت في يد المسيح رمزاً بَقَراً
وَغَنَماً وَحَمَاماً وَالصَّيَارِفَ جُلُوساً. ١٥فَصَنَعَ سَوْطاً مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ
اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. ١٦وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ
هَهُنَا. لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ».

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للسلطان لا سلاحاً مادياً. "فطرد الجميع من الهيكل: الغنم والبقر وكب دراهم الصيارف وقلبَ موائدهم". على أن غضب السيد المقدس كان مشبعاً بالحنو والرفق, لأنه أشفق على الحمام الوديع الهادئ, واكتفى بأن قال للباعة: "ارفعوا هذه من هاهنا. ولا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة". وقد نعجب إذ نرى أن هذا الجمع الحاشد المدفوع بحب المادة لم يقو على الوقوف أمام المسيح. لكن تعجبنا يزول متى ذكرنا سلطان المسيح الذي كان يحف به وجبن مرتكبي الخطايا. إن للحق صولة لا يقوى الباطل على مواجهتها مهما كثر رجاله. وإن الضمير يصيّر جميع الخطاة جبناء.

عدد ١٧. ثالثاً: تأثير حادثة تطهير الهيكل ٢: ١٧-٢٢ .

(ا) تأثير الحادثة على التلاميذ٢: ١٧ و٢٢ (ب) تأثيرها على اليهود ٢: ١٨-٢١.

(ا) تأثير الحادثة على التلاميذ: "فتذكر تلاميذه" وردت الكلمة "تذكر" في عدد ١٧ و٢٢. في أولهما ترينا تأثر التلاميذ من عمل المسيح. وفي الثاني ترينا تأثرهم من كلام المسيح. في الحالة الأولى تذكروا كلمة تنبأ بها نبي قديم عن المسيح. وفي الثانية تذكروا كلمة قالها المسيح عن نفسه فآمنوا. ولا يفوتنا أن نذكر أن إيمان التلاميذ بالمسيح وبكلامه كان يتدرج

١٧فَتَذَكَّرَ تلاَمِيذُهُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي».١٨فَسَأَلَهُ الْيَهُودُ:

وينمو من حال إلى حال أفضل. وقد أرانا يوحنا البشير في مواضع كثيرة أن التلاميذ لم يفهموا أقوال المسيح إلا بعد مرور وقت على النطق بها (يو ٧: ٣٩ و١٢: ٣٣ و٢١: ١٩). على أن تفّهم التلاميذ لكلام المسيح كان ينمو ويتزايد كلما ازدادوا تعرفاً بشخصه.

عدد ١٨. (ب) تأثير حادثة تطهير الهيكل على اليهود ٢: ١٨ – ٢١.

تنزل الأمطار على الأرض المخصبة فتزيدها غنى وخصباً, وعلى الأرض المحجرة تزيدها صلابة وتحجراً. كذلك أعمال المسيح بوجه عام, وحادثة تطهير الهيكل بنوع خاص. حادثة واحدة شهدها التلاميذ فزادتهم إيماناً بفاديهم, وشهدها اليهود فكانت مثيرة لشكوكهم الكامنة. "فأجاب اليهود وقالوا له: "أية آية ترينا حتى تفعل هذا". يراد "باليهود" هنا – وفي أغلب المواضع في هذه البشارة – أصحاب السلطة الكهنوتية القيمين على الهيكل وسائر الترتيبات اليهودية الطقسية, وقد نصبوا أنفسهم لمناوأة المسيح. رأى أولئك اليهود أن المسيح, بتطهيره الهيكل, قد اتخذ لنفسه حق "مسيا" الذي تنبأ عنه ملاخي (ملا ٣: ١) "ويأتي بغتة السيد إلى هيكله" فطلبوا منه آية يثبت بها مسيحيته.

«أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا؟» ١٩أَجَابَ يَسُوعُ: «اُنْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٩. جواب المسيح: "أجاب يسوع وقال لهم". لم يرفض المسيح طلبهم, بل أجابهم على الفور, جواباً كالبرق الخاطف فبهرت عيونهم عن أن ترى حقيقة مرماه, إذ استعمل شيئاً من "التورية" – وهي

استعمال كلمة واحدة تحتمل معنيين فأكثر. إذ قال لهم: "انقضوا هذا الهيكل, وفي ثلاثة أيام أقيمه", قاصداً بجوابه هذا أن يريهم أن أقوى آية لمسيحيته هي آية صلبه وقيامته. ومن الغريب أن الكلمتين اللتين استعملها المسيح "انقضوا", "وأقيمه" تستعملان عادة للهيكل المبني بالأحجار, ولهيكل الجسد سواء بسواء (٢ كو ٥: ١, رو ٤: ٢٥). وفي الواقع, ليس من السهل أن يصل المرء بين الاثنين – فكلاهما مرتبط بالآخر تمام الارتباط. لأن نقض هيكل اليهود كان نتيجة صلبهم المسيح. ويؤيد هذا قول دانيال النبي (دانيال ٩: ٢٤ – ٢٦) كذلك إقامة جسد المسيح مرتبطة تمام الارتباط بإقامة هيكل جديد غير الهيكل الذي بناه سليمان ورممه زربابل, وأعاد بناءه هيرودس. فنقض جسد المسيح هو نقض الهيكل ولكن بصورة أخرى, ولم تتوسط بين الحادثتين سوى مدة يسيرة, أمست الأمة اليهودية في أثنائها جثة تحوم فوقها النسور (مت ٢٤: ٢٨ ولو ١٧: ٣٨).

إن نظرة إجمالية إلى جواب المسيح ترينا أنه يقع ي شطرين – يحمل كل منها معنى رمزياً: "انقضوا" – وفيه رمز إلى طبيعة خدمتهم – خدمة هدم, وقتل. وشطره الثاني عائد على نفسه: "وأنا أقيمه" وفيه رمز إلى طبيعة خدمته – خدمة بناء, وإحياء.

وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». ٢٠فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» ٢١وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ

عدد ٢٠ رد اليهود: "فقال اليهود ... " كان اليهود ماديين فلم يفهموا من كلامه سوى معناه المادي – كذلك كانت عادتهم في كل ظرف آخر. فلما حادثهم عن خبز الحياة ظنوه يكلمهم عن الخبز المادي. وقد لازمهم عدم

فهمهم لكلام المسيح حتى ساعة صلبه, فحاكوا من كلامه هنا خيوط شكوى وهمية قدموها ضده وقتئذ (مت ٢٦: ٦١ ومر ١٤: ٥٧ و٥٨).

عدد ٢١ و٢٢. كلمة تفسيرية: إن عدم فهمهم لكلامه قد أثار فيهم احتجاجاً ينم عن تصديق, يمازجه شيء من السخرية: "في ست وأربعين سنة". كانوا هم يقصدون الهيكل الذي أعاد بناءه هيرودس. "وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده".

ومن المؤسف أيضاً أن التلاميذ أنفسهم – وقد كانوا إلى الآن جسدين وغير ممتلئين من الروح القدس – لم يفهموا قصد المسيح من كلامه هذا إلا بعد قيامته من الأموات. "لأن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد, لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد". ولأن الحقائق لا ترى كما هي إلا في نور إتمامها.

(١) لزيادة الإيضاح اطلب "شرح بشارة لوقا" صفحة ٤٩٧ – ٤٩٩ للمؤلف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإيمان الذي لا يؤمن به المسيح

٢: ٢٣ - ٢٥

"آمن كثيرون باسمه .... لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه".

كما أن نقطة واحدة من البحر الخضم المتسع, تحوي كل العناصر التي تتكون منها كل مياه البحر مجتمعة معاً, كذلك في هذه الصورة الصغيرة المرسومة أمامنا بكل دقة, نرى المزايا المتصفة بها كل بشارة يوحنا: من آيات, وشهادة للآيات, وإيمان ناتج عن شهادة الآيات.

هَيْكَلِ جَسَدِهِ. ٢٢فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ تَذَكَّرَ تلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكلاَمِ الَّذِي
قَالَهُ يَسُوعُ. ٢٣وَلَمَّا كَانَ فِي أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ آمَنَ كَثِيرُونَ بِاسْمِهِ إِذْ رَأَوُا الآيَاتِ
الَّتِي صَنَعَ. ٢٤لَكِنَّ يَسُوعَ لَمْ

عدد ٢٣. كلمة تاريخية: أما الظروف المحيطة بهذه الصورة فهي مثلثة: (أ) المكان: "أورشليم". (ب) الزمان: "في عيد الفصح". (ج) الحالة النفسية التي كانت عليها الجماهير: "في العيد" – وفي هذا الظرف, تجتمع عادة الجماهير الغفيرة, الملتهبة قلوبهم بالحماس الديني والوطني.

أما موضوع هذه الصورة التي أمامنا فهو إيمان الكثيرين باسم المسيح, مقابل عناد رؤساء الكهنة الذي أظهروه تجاه المسيح في الهيكل. على أن هذا الإيمان كان ظاهرياً, سطحياً, لا شيء فيه من الصلة الروحية النفسية التي تربط النفس بفاديها. أما موضوع إيمانهم فهو أعمال المسيح لا شخصه. فكان أساسه ما رأوه من آيات لا ما خبروه في الفادي من بديع الصفات. كان إيمانهم ابن ساعته, ولعله ذهب لساعته - كيقطينة يونان.

عدد ٢٤ عدم إيمان المسيح بإيمانهم. إن قوماً هذا إيمانهم لم يأتمنهم على نفسه. لأنهم في إيمانهم لم يأتمنوا المسيح على أنفسهم بل كان إيمانهم قاصراً على تصديقهم لما سمعوا ورأوا. ولأن إيمانهم كان نظرياً لا عملياً. فالإيمان الحقيقي يتخطى التصديق حتى يبلغ درجة تسليم النفس لله تسليماً تاماً من غير قيد ولا شرط. لذلك لم يأتمنهم المسيح على نفسه أو بعبارة أخرى: لم يكن له إيمان بإيمانهم. "لأنه كان يعرف الجميع" – بحكم لاهوته الذي يحيط علماً بكل شخص وكل شيء.

يَأْتَمِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ. ٢٥وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ
الإِنْسَانِ لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٥ المسيح العليم "ولأنه لم يكن محتاجاً" – لأن فيه كل كنوز الحكمة و العلم – "أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان". – كيف لا وهو خالق الإنسان. وهل تخفى على المخترع أية قطعة من آلته؟ فكم بالحري الخالق؟!

ما أجل حكمة الفادي التي أظهرها في عدم ائتمان الناس على نفسه, مع أنه هو الذي علمنا أن لا نسيء الظن في الناس. لكن سوء الظن شيء والتمييز شيء آخر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ضيف الظلام أو وليد الناموس يواجه رب النعمة والحياة

الأَصحَاح الثَّالِثُ

٣: ١ – ٢١

١كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ

أقبل عيد الفصح اليهودي, بلياليه المقمرة المضيئة, فكان كل ما في المدينة أورشليم متشحاً برداء فضي بهي, منسوج بأشعة قمر العيد, إلا قلوب رؤساء اليهود, الذين ملأ التعصب الأعمى نفوسهم, وضرب الليل حولها نطاقاً مظلماً من الجهل والعناد. وقد ازداد ظلام قلوبهم سواداً بعد أن وبخ المسيح أعمالهم المظلمة الظالمة, فظهرت شناعة خطيئتهم الخاطئة أمام شعاع وجهه الوضاح. فنسوا العيد وأفراحه, وجعلوا عيدهم الحقيقي أن يمسكوا المسيح بشيء.

على أن الليلة الظلماء لا تخلو من بعض النجوم التي تلمع في سمائها. كذلك لم يخل هذا الجو المظلم المقتم من أناس آمنوا بالمسيح – وها نحن الآن أمام واحد منهم, اسمه نيقوديموس. ويستفاد من قوله "نعلم" ع ٢, أنه ربما كان مرسلاً من الفريسيين ويتكلم باسمهم, لكنه كان على كل حال أفضل منهم – أو على الأقل صار أفضل منهم بعد هذه الليلة التاريخية التي صرف

اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ.

شطراً منها مع المسيح. فلعله جاء مفنداً, فخرج مؤيداً. وهل يقوى الظلام على الوقوف طويلاً في حضرة النور؟

في هذا الفصل نرى: أولاً: وصف هذا الضيف ٣: ١. ثانياً: الدرجات الثلاث التي ارتقى عليها الحديث بينه وبين المسيح ٣: ٢ - ١٣. ثالثاً: الإعلانات الممتازة التي أفضى بها المسيح إلى هذا الضيف ٣: ١٤- ٢١.

عدد ١. أولاً: وصف هذا الضيف ٣: ٢. هذا العدد الأول يصف نيقوديموس وصفاً رباعياً: (أ) طبيعته "إنسان". وهي ذات الكلمة التي اختتم بها الأصحاح السابق, وربما كان واحداً من الذين "آمنوا باسم المسيح إذ رأوا الآيات التي صنع" فصار فيما بعد إنساناً مؤمناً ومسلماً نفسه للمسيح. (ب) شيعته الدينية: "من الفريسيين" انظر شرح ١: ٢٤. (ج) اسمه: "نيقوديموس" – وهي اللهجة اليونانية للكلمة الآرامية: "نيقوديموس" ومعناها "النقي الدم" - أي الشريف الحسب, ويستنتج من التقدمة التي جاء بها بعد موت المسيح أنه كان غنياً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(١٩: ٣٩). وقد جاء في التلمود أن شخصاً بهذا الاسم كان رابع أربعة امتازوا بغناهم في العاصمة اليهودية, وأنه من أتباع المسيح. (د) درجته: "رئيس لليهود" . الكلمة المترجمة رئيس, هي في الأصل "أرخون" ومنها "الأراخنة" المستعملة في العربية لتصف زعماء الشعب من العلمانيين. وهي غير الكلمة المستعملة للرؤساء الأكليريكيين التي وردت في لوقا ٢٣: ١٣. ولقد كان نيقوديموس من أعضاء السنهدريم (٧: ٥٠).

٢هَذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً

(ثانياً): الدرجات التي ارتقى عليها حديث نيقوديموس مع المسيح ٣: ٢- ١٣. (أ) نيقوديموس المتأدب ٣: ٢ و٣. (ب) نيقوديموس المتعجب ٣: ٤ – ٨. (ج) نيقوديموس المتعلم ٣: ٩ - ١٣.

إن هذه الحادثة التي وردت في بشارة يوحنا وحدها, مطبوعة بذات الطابع العام الذي تميزت به البشارة - طابع التقدم والتدرج. وهذا يوافقه أيضاً التدرج الذي نراه في المواضع الثلاثة التي ذكر فيها نيقوديموس مستقيماً, وفي يو ٧: ٥٠- ٥٣ نشاهد نيقوديموس مدافعاً عن المسيح - ولو أنه دفاع لم يخل من ضعف. وفي ١٩: ٣٨ - ٤٠ نجد نيقوديموس مجاهراً بإيمانه, ومقدماً علامة ولائه للمسيح. فلئن حرم تقديم الولاء للمسيح الحي, ففاتته ابتسامة التشجيع إلا أنه لم يحرم امتياز سكب تقدمة طيبة الرائحة على جسد المسيح.

عدد ٢ (أ) نيقوديموس المتأدب ٣: ٢ و٣ . "هذا جاء إلى يسوع ليلاً .." لم يكن نيقوديموس مقحاماً جسوراً, بل كان متحفظاً, حريصاً, في كل حركة يأتيها – وفي الغالب كانت هذه الخلة علة مجيء نيقوديموس إلى يسوع "ليلاً". ويظهر أن لهذه الكلمة قيمة خاصة عند البشير حتى جعلها ملحقاً لاسم نيقوديموس أنى ذكره (٧: ٥٠, ١٩: ٣٩). وقد وقع من نصيب نيقوديموس أن ارتبط اسمه باسم يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع "ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود" (١٩: ٣٨) كأن الخوف والحياء جمعا بين قلبيهما في البداية, ثم ربطت الشجاعة ما بين نفسيهما في الختام.

وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّماً لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ

لما استقر المقام بنيقوديموس حيى المسيح بالقول: "يا معلم" - هذه ترجمة الكلمة الآرامية "راب" وصارت تطلق على معلمي الشريعة اليهودية منذ أيام شمعي وهليل. وهي من مصدر معناه: "عظيم أو كبير". كما أنها على ثلاث درجات متفاوتة أبسطها كلها كلمة: "راب". وتليها كلمة: "رباي". وأعظمهن كلمة "رابون". تتلخص تحية نيقوديموس للمسيح في القول: "نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً" - هذه تحية تنم عن أدب يمازجه التحفظ. أما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأدب فظاهر من أن نيقوديموس لم يبخل على المسيح بلقب: "معلم" - مع علمه أنه لم ينل هذا اللقب رسمياً من "بيت المدراش". وأما التحفظ فواضح من قوله: "من الله". أي أن المسيح لم ينل إجازة التعليم من قبل رؤساء الكهنة بل من الله. كان نيقوديموس حريصاً على الرسميات. وفي حرصه هذا عظم المسيح ورفعه فوق كل مقام.

ختم نيقوديموس تحيته للمسيح بأن ذكر الأساس الذي بنى عليه اعتقاده بأن المسيح معلم من الله - وهو إتيان المعجزات. "لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه". إذاً نيقوديموس واحداً من "الكثيرين" الذين آمنوا باسم المسيح "إذ رأوا الآيات التي صنع" (٢: ٢٣). فلا عجب إذ رأينا إيمانه ناقصاً في ناحيتين: أولهما أنه آمن بالمسيح كمعلم مع أن المسيح أعظم من معلم - أنه مخلّص. فليس عمله أن يدلنا على النور, بل هو النور, الواهب بصراً للعميان. وثانيهما هي أن الحد الأقصى لإيمانه هو أن "الله, مع المسيح".

إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ». ٣فَقَالَ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ

عدد ٣. رد المسيح على تحية نيقوديموس: كان رد المسيح على تحية نيقوديموس, مفرغاً في صور جدية قاطعة إذ واجهه بالقول: "الحق. الحق" ويلوح لنا أن المسيح لم يجب على تحية نيقوديموس بل أجاب على نية نيقوديموس. "لأنه كان يعرف الجميع. ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان". وكما كان نيقوديموس متدرجاً في موقفه مع المسيح. كذلك كان المسيح متدرجاً في إعلاناته لنيقوديموس - في ع ٣, أراه الضرورة الابتدائية للولادة الثانية. وفي ع ٥, بين له الضرورة القصوى لها, وفي ع ١٢ و١٣, كشف له عن مصدر رسالته - فكان في هذه الأدوار متنقلاً مع محدثه من التعميم إلى التخصيص.

هل أجاب المسيح بهذا الجواب على نيقوديموس, لأنه أراد أن يستعمل معه "أسلوب الحكيم" قاصداً أن يرفع محدثه فوق مستوى المجاملات الصورية ليواجهه بالحقائق الجوهرية, فأجابه لا على ما قال بل على ما كان ينبغي أن يقول؟ أم لأن تحية نيقوديموس للمسيح كانت تنطوي على رغبة في معرفة طبيعة الملكوت الجديد, فأراه الفادي أن الملكوت قد دخل فعلاً في عهد جديد فصار ملكوتاً جديداً بكل معنى الكلمة, لدرجة أن الطبائع القديمة لا تصلح له و لا يصلح هو لها لذلك "ينبغي أن يولدوا من فوق"؟ أم لأنه رأى أن إيمان نيقوديموس وقف عند حد الاعتقاد بأن المسيح "معلم" فأظهر له أنه أكثر من معلم - إنه مخلّص, يستطيع أن يهب الإنسان طبيعة جديدة؟ أم قصد أن يتأكد مما إذا كان المسيح هو مسيأ المنتظر فأجابه المسيح بصورة خفية أنه هو هو؟ أم كانت كل هذه البواعث مجتمعة معاً؟.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ».

إن "الرؤية" المقصودة بقوله: "لا يقدر أن يرى ملكوت الله" هي التمييز الروحي الذي تقوم به البصيرة الروحية. فكما أن العين المادية لا ترى إلا الماديات المنظورة, كذلك لا يمكن أن ترى الروحيات الغير المنظورة إلا العين الروحية الموهوبة للإنسان "من فوق". هذه حقيقة طبيعية كما أنها روحية أيضاً. فكما أن الشعر لا يميزه إلا من ولدت فيه طبيعة شعرية, والموسيقى لا يفهمها إلا من ولدت فيه الأذن الموسيقية, كذلك لن يفهم, ولن يقدر أن يفهم مزايا الملكوت الروحي إلا من ولدت فيه هذه البصيرة الروحية الموهوبة له من فوق. وبما أن هذا الملكوت الروحي يتناول كل الإنسان, لذلك لا يمكن أن يرى هذا الملكوت إلا من ولد من فوق بكلياته وجزئياته, لدرجة يقال فيها عن كل ملكاته: "هوذا الكل قد صار جديداً" (٢كو٥: ١٧).

إن تمويه الطبيعة القديمة بطلاء جديد, لا يفيد شيئاً, كما أن تغيير الشكل لا يجدي نفعاً. فقد تصاغ قطعة الرصاص مثلاً- تارة على شكل ملاك وطوراً على شكل حيوان, لكنها تظل في طبيعتها رصاصاً كما هي. فالمهم هو تغيير الجوهر, تغيير النبع أولاً ثم المجرى, تغيير الشجرة أولاً ثم الثمرة - هو ترك الحياة القديمة, والانتقال إلى حياة جديدة, هو ولادة جديدة. وقد وصفت بالقول: "من فوق" تمييزاً لها عن الولادة الطبيعية, المادية, الأرضية. فكما أن الجسد تراب من الأرض, والروح نفخة من القدير من فوق, كذلك الولادة الروحية وصفت بالقول: "من فوق" نسبة إلى الله الآب مصدرها (يع ١: ١٨), وإلى الكلمة وسيلتها (١ بط ١: ٢٣)

٤قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟»

وإلى الروح القدس العامل فيها (ع ٦), وإلى المسيح جوهرها (٢كو ٥: ١٧) فالتجديد لا التهذيب هو الأمر الأساسي, والتغير لا التطور هو الغاية المنشودة.

وردت كلمة "ملكوت الله" مرتين في هذه البشارة – المرة الأولى في هذا العدد. والثانية في ع ٥. وهي تحمل معنيين: أحدهما خارجي وهو نظام العصر المسيحي. والثاني باطني وهو المعلنات الإلهية التي أتى بها المسيح على الأرض وستكمل في السماء للمؤمنين.

عدد ٣. ثانياً: نيقوديموس يتعجب ٣: ٣- ٨. (أ) تعجّب نيقوديموس ٣: ٣ و٤. كان نيقوديموس مادياً وأنى للمادي أن يفهم الروحيات. لذلك لم يجد بداً من إظهار تعجبه من أقوال المسيح: "كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ. ألعلة؟." والظاهر أن نيقوديموس لم يفهم من الولادة إلا معناها المادي الجسدي – كذلك حال الإنسان الطبيعي, لا يفهم ما لروح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله. فهو دائماً متسلح بسلاحين: أحدهما: "كيف", والثاني "لماذا"! لكنه لن يستفيد شيئاً حتى يطرح عنه هذين السلاحين ويستعيض عنهما بكلمة: "ماذا تريد يا رب أن أفعل"؟.

عدد ٤ سؤال نيقوديموس الساذج. كان نيقوديموس يفهم معنىً ضئيلاً جداً من معاني الولادة الجديدة, لأنه كان يعتقد أنه واجب على الأممي أن يولد من جديد إذا أراد أن يدخل إلى الدين اليهودي. ولم يخطر لباله أنه يجب على اليهودي أن "يولد من فوق ليدخل ملكوت الله". فكل ما كان يفهمه عن الولادة الجديدة التي يختبرها الأممي, أنها انتقال إلى بيئة جديدة.

٥أَجَابَ يَسُوعُ: «ٱلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللّٰهِ.

أما الولادة الجديدة بمعناها الروحي فقد غابت عن "معلم إسرائيل". وأنى يتأتى لوليد الناموس أن يفهم لغة النعمة؟ لذلك أجاب جواباً صبيانياً مع أنه كان شيخاً: "ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد"؟ من الصعب على الشيخ الذي طبع بطبائع الناموس, وصار عبد الأجيال العتيقة, وأسير نظمها البالية, أن يولد من جديد. على أن الصعب شيء, والمستحيل شيء آخر. "وغير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله".

عدد ٥ (ب) جواب المسيح ٣: ٥ – ٨. كان جواب المسيح جلياً بوضوحه مقتنعاً بسلطانه: "الحق الحق". وهو يتضمن (١) وصفاً للولادة الجديدة - "من الماء والروح" – الكلمة الأولى: "الماء" ترمز إلى العلامة الظاهرية, والثانية: "الروح" تشير إلى العامل الخفي. الأولى رمز, والثانية مرموز إليه([١]). الأولى سلبية تشير إلى غسل الماضي وترك الحياة العتيقة, والثانية إيجابية تشير إلى بناء الحياة الجديدة. و"الواو" هنا عطفية وصفية. وهي من قبيل قوله: "الروح القدس ونار". فالنار تفيد التطهير الخارجي, والروح القدس هو العامل في التطهير الداخلي. كذلك "الماء" يدل على الغسل الخارجي, والروح القدس يفيد الغسل الداخلي, كما قيل: "بغسل الماء بالكلمة" (أف ٥: ٢٦) أي بالكلمة المطهرة.

(٢) الضرورة القصوى للولادة الثانية: "لا يقدر أن يدخل ملكوت الله".

٦اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. ٧لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. ٨اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا

عدد ٦. (٣) مبدءاً طبيعياً عاماً: "المولود من الجسد, جسد هو, والمولود من الروح هو روح". مفاد هذا المبدأ, أن الشيء يلد نظيره, وأن المياه لا يمكن أن ترتفع فوق منبعها. فالباب الطبيعي للدخول في مملكة ما هو الولادة في تلك المملكة. فالنبات يحسب نباتاً لأنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولد بالطبيعة في مملكة النبات. كذلك الحيوان, ثم الإنسان. كذلك الأمر في النظم السياسية. فالوطني الصميم, هو الذي يولد في الوطن, لا من يشتري الرعوية (أعمال ٢٢: ٢٨ و٢٩).

عدد ٧. "لا تتعجب إني قلت لك ... " أمام المبدأ الجوهري المذكور في العدد السابق, لا يبقى مجال لتعجب نيقوديموس من قول المسيح له: "ينبغي أن تولدوا من فوق". لأنه وإن كانت الولادة الثانية فوق العقل من حيث فاعليتها وسر جوهرها, إلا أنها معقولة جداً من حيث حقيقتها وضرورتها. وإن تكن خارقة للطبيعة من حيث إدراك كنهها, فلا ندري: "من أين" ولا "إلى أين", لكنها طبيعتها من حيث تيقننا من وجودها, وشعورنا بنتائجها.

عدد ٨. تمثيل من الطبيعة "الريح تهب ...." أوضح المسيح قوله لنيقوديموس: "لا تتعجب" بتمثيل طبيعي "الريح تهب .....". إن كلمتي "ريح", "وروح" من اشتقاق واحد. فمن أوجه الشبه بينهما:

لَكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ».٩فَسَأَلَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا؟» ١٠أَجَابَ يَسُوعُ:

الحرية, والقوة والإنعاش, وسرية الأصل والغاية. إذاً لا حاجة لنيقوديموس أن يدخل بطن أمه ثانية ليولد الولادة الجديدة لأن الروح القدس يستطيع أن ينشئ في قلب الشيخ, بذرة حياة جديدة فيفنى الشيخ العتيق البالي, ويخلق منه إنسان جديد مطهر السرائر مقدس الفكر, يحب الخير ويكره الضرر.

عدد ٩. ثالثاً: نيقوديموس يتعلم ٣: ٩ – ١٣. (أ) سؤال نيقوديموس ٣: ٩. هذا الرئيس المتأدب, الذي بهره نور تعليم المسيح فتعجب, نراه الآن طالباً, متعلماً ومستفهماً: "كيف يمكن أن يكون هذا"؟ إننا كنا نمتدح نيقوديموس على هذا التقدم, لكن لنا عليه أنه للآن لم يلق عنه هذا السلاح القديم: "كيف"؟ وعله ألقاه نهائياً بعد أن جابهه المسيح بسلاح من نوعه حين قال له: "إن كنت قلت لكم .. فكيف"؟ ويظهر من قرينة الكلام أن "كيف" في عدد ٤ هي غير "كيف" في عدد ٩. "كيف" الأولى تعجبية. والثانية استفهامية تعليمية. "كيف" الأولى, اعتراضية, والثانية إعدادية تحضيرية. أما الآن وقد وقف "رئيس اليهود" موقف المتعلم, فلا مندوحة له من الاستفادة الحقيقية.

عدد ١٠. (ب) جواب المسيح ٣: ١٠-١٣. استهل المسيح جوابه لنيقوديموس في هذا الدور بـ (١) تعنيف لطيف على عدم علمه ع ١٠, في وقت يدّعى فيه العلم ع ٢: "أنت معلم إسرائيل". هذه كلمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

«أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هَذَا! ١١اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا

جارحة لكبرياء نيقوديموس الذي استهل كلامه مع المسيح بالقول: "نحن نعلم" ع ٢. ولقد كان ضرورياً لنيقوديموس أن يسمع هذه الكلمة الجارحة بلطفها لأنه قد غاب عنه أنه يدري شيئاً عن الولادة الجديدة مع أن بعض أنبياء اليهود الأقدمين سبقوا فتكلموا عنها (أرميا ٣١: ٣٣, حزقيال ٣٦: ٢٦ - ٢٨, مزمور ١٤٣: ١٠و١١) لكن أنى للناموسي الذي يتمسك بالحرف أن يفهم ما للروح؟.

عدد ١١ (٢) توكيد يقيني عن حقيقة رسالته: "الحق. الحق" وردت هاتان الكلمتان مراراً في هذه البشارة (انظر المقدمة العامة). ويظهر أن المسيح نطق بهما كلما قصد أن يوحي إلينا بإعلان ممتاز مستمد من كنز قلبه, وهما تنمان عن السلطان المطلق الذي كان يحف بالمسيح كمعلم. بخلاف الكتبة والفريسيين الذين كانوا يقتصرون في تعاليمهم على ترديد أصوات المعلمين الذين سبقوهم (مت ٧: ٢٨ و٢٩). "نتكلم .. نعلم .. نشهد .. رأينا" هذه أربع كلمات متماسكة في هذا العدد – الأولى والثانية تسيران معاً, والثالثة والرابعة تتمشيان معاً. الأولى تتطور إلى الثالثة, والثانية ترتقي إلى الرابعة. فالتكلم اليقيني يتطور شهادة, والعلم الراسخ يستحيل رؤيا.

اختلف المفسرون في تعيين الأشخاص المقصودين بضمير الجمع في "نتكلم", "نعلم", "نشهد", "رأينا", فمن قائل إن المسيح يقصد نفسه وأنبياء العهد القديم, ومن قائل أنه يتكلم عن ذاته وعن الروح القدس, إلى قائل أنه يعني ذاته والآب, إلى قائل إنه يشير إلى نفسه ويوحنا المعمدان.

وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. ١٢إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ

ونعتقد من جانبنا أنه يقصد نفسه وتلاميذه باعتبار كونهم مدرسة جديدة تقابلها المدرسة العتيقة البالية التي تتمثل في نيقوديموس وشيعته.

ع١١ و١٢ (٣) تعنيف لطيف لنيقوديموس وشيعته "إن كنت قلت لكم الأرضيات" – سبق المسيح فعنّف نيقوديموس على عدم علمه (ع ١٠). والآن نراه يعنّفه على عدم إيمانه "لستم تقبلون" أي لستم تؤمنون. فالإيمان الصحيح هو مفتاح العلم الصحيح, والطاعة العملية هي مفتاح الإيمان. يستفاد من قول المسيح: "إن كنت قلت لكم الأرضيات ......" إن نيقوديموس كان عاقد النية على أن يظفر من المسيح بمعلنات من "السموات" فبين له المسيح المعلم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأعظم, إن الطالب لن يتعلم الباء إلا بعد أن يكون قد تعلم الألف. وأن النور الجديد لا يعطى إلا لمن يعمل بالنور الموجود.

ويراد بـ "الأرضيات" تلك المعلنات الإلهية المتعلقة بالبشر في حياتهم على الأرض, وهي خلاصة رسالة المسيح للعالم. "والسموات" هي الأسرار الإلهية الخاصة بإرسالية المسيح من حيث نبعها وأصلها, وجوهر صلته بالآب, وما إلى هذه من الأسرار المخبوءة طي علمه تعالى. "فالأرضيات" هي موضوع رسالته: "توبوا وآمنوا بالإنجيل". "والسموات" هي أصل رسالته "من أين" "وإلى أين"؟ فليس لطالب الحق أن يتخذ موقف المستكشف الذي تساءل عن الينابيع, إنما عليه أن يشرب من الماء الصافي الزلال. لأن إعلانات الله تعطى للبشر على أقساط متدرجة متصاعدة, وطالب الحق يتقدم في معرفتها تدريجياً كمن يرتقي على درجات سلم.

السَّمَاوِيَّاتِ؟ ١٣وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ.

عدد ١٣. (٤) لغز الأجيال "وليس أحد صعد ....", في هذا العدد أظهر المسيح لنيقوديموس شدة لزوم الإيمان لمن يريد أن يتعلم, ولعله قصد أن يريه شعاعاً من أنوار "السموات" إذ واجهه بإعلان ابتدائي عن (أ) تجسده: "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء" (ب) لاهوته: "ابن الإنسان الذي هو في السماء" فهو على الأرض وفي السماء في وقت واحد. لأنه في السماء مع أنه نزل من السماء, وهو ابن الإنسان حال كونه ابن الله. إن فتح السماء وقت معمودية المسيح هو أقوى حجة لتبيان حقيقة هذا الكلام – فهو ساكن في السماء حال كونه يتمشى على الأرض. ومن صفات اللاهوت المنسوبة للمسيح في هذه الآية: (١) سبق الوجود لأن كلمة "نزل من السماء" تفيد أنه كان موجوداً قبل التجسد (٢) الوجود في كل مكان في وقت واحد "السماء والأرض".

(ثالثاً): المعلنات الممتازة التي أفضى بها المسيح إلى ضيف الظلام ٣: ١٤ – ٢١. يضع كثير من المفسرين أهمية خاصة على حرف العطف "و" في بدء عدد ١٤, لأنهم يرون فيه انتقالاً ظاهراً في كلام المسيح من النظريات إلى العمليات – ومن الكلام عن المعلنات إلى الكلام عن شخصه – أو من التعميم إلى التخصيص. وفي الغالب, حرف الواو يكون حلقة اتصال بين سر سابق – سر التجسد, وسر لاحق – سر الفداء.

لقد تحدث المسيح إلى نيقوديموس في هذا الفصل عن حقيقتين مهمتين:

١٤«وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً: الفداء المعلن – ٣: ١٤ – ١٦ ثانياً: المسؤولية المترتبة على إعلان الفداء ٣: ١٧ – ٢١.

أولاً: الفداء المعلن ٣: ١٤ – ١٦ أعلن المسيح هذا الفداء لنيقوديموس في (ا) حقيقته "والله رفع ..." عدد ١٤ (ب) غايته "لكي لا يهلك ..." عدد ١٥ (ج) نبعه "لأنه هكذا أحب" عدد ١٦.

عدد ١٤. (ا) حقيقة الفداء المعلن "والله رفع موسى ...." أراد المسيح أن يدخل حقيقة الفداء إلى قلب نيقوديموس فمثل له بحادثة معروفة في العهد القديم – حادثة رفع موسى الحية في البرية (عدد ٢١: ٢٩), فانتقل بمحدثه من المعلوم – ونيقوديموس من رجال موسى – إلى غير المعلوم. وهنا منتهى الحكمة في التعليم. ومن أوجه الشبه بين تلك الحادثة القديمة وبين المسيح المصلوب: (١) أن الحية النحاسية كانت على شبه الحية التي سببت الموت للعالم. (٢) إن الحية التي رفعت كانت خالية من السم – لأنها كانت من نحاس. كذلك المسيح الذي صلب كان معصوماً من كل خطية لأنه من السماء. (٣) رفعت الحية على مرأى من الناس, كذلك صلب المسيح على الجلجلة – أكمة مرتفعة – لكي يراه كل عليل فيشفى. ولقد وردت كلمة "رفع" في بشارة يوحنا ٣ مرات. وفي كل منها, تشير إلى الصليب والمجد الذي يليه. وفي هذا الثلاث المرات, نطق بها المسيح عن نفسه (يو ٣: ١٤ و٨: ٢٨ و١٢: ٣٢). (٤) النظر بالعين المادية كان

١٥لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. ١٦لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ

واسطة الشفاء من لسعة الحية, والنظر الروحي – الإيمان – هو واسطة الشفاء الروحي.

عدد ١٥. (ب) غاية الفداء: إن كلمة: "ينبغي" التي وردت في قوله: "ينبغي أن يرفع ابن الإنسان", تفيد الضرورة الحتمية لتنفيذ تدبير إلهي سابق, قبله المسيح على نفسه إجابة لداع أدبي ذاتي في قلب المسيح. لشرح كلمة "ابن الإنسان" انظر تفسير ١: ٥١. "الحياة الأبدية" هي حياة غير محدودة في عمق سعادتها, وفي طول مداها. فهي أبدية في نوعها وفي كميتها. أما كلمة: "من" فهي واسعة ضيقة. واسعة لأنها تضم كل العالم في قلبها وضيقة لأنها لا تدخل إلا فرداً فرداً.

عدد ١٦. (ج) نبع الفداء: "لأنه هكذا أحب ...." هذا نبع الفداء, بل قلبه. هذا سر الأسرار الإلهية, أن الله القدوس أحب العالم النجس المحكوم عليه بالهلاك, وكان جداً في محبته حتى بذل, وكان سخياً في بذله حتى جاد بابنه الوحيد. بهذه الكلمات قد وصل المسيح بنيقوديموس إلى ذروة الدرجات في سلم المعلنات الإلهية. في عدد ١٤ عرفه عن نفسه أنه ابن الإنسان والآن أراه ذاته أنه "ابن الله الوحيد". إذا نظرنا إلى هذا العدد نظرتنا إلى نهر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جار, رأينا فيه (١) نبع النهر: "هكذا أحب الله" (٢) مجرى النهر: "حتى بذل". (٣) مصب النهر: "لكي لا يهلك ...." في هذا الصدد تتجلى لنا مقاييس المحبة الإلهية: (١) العرض: "العالم" .... "كل من يؤمن به". (٢) الطول: حتى بذل ابنه. (٣) العمق - من أعلى إلى أسفل:

حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ

"لكي لا يهلك كل من يؤمن به". (٤) العلو – من أسفل إلى أعلى: "بل تكون له الحياة الأبدية". (انظر أفسس ٣: ١٨).

لماذا يحسب أمراً قابلاً للجدل, أن الله قدم ابنه الوحيد للناس؟ ألم يقدم إبراهيم فيما مضى, ابنه الوحيد لله (تك ٢٢)؟ وهل من المعقول أن يسبق الإنسان إلهه في مضمار التضحية والبذل؟ كلا. ثم كلا. إن وجد في البشر شيء من الحب المقدس, فما هو إلا شعاعة من نور حب الله.

هذا وصف جامع لمحبة الله البشرية الساقطة. ففيه نجد: (١) محبة الله في طبيعتها: "هكذا". (٢) محبة الله في مداها وسعتها: "العالم". (٣) محبة الله في برهانها وحجتها: "حتى بذل". (٤) محبة الله في سخائها: ".. كل من يؤمن به". (٥) محبة الله في تأثيرها وفاعليتها: "بل تكون له الحياة الأبدية".

الكلمة: "بذل" تستعمل عادة لتفريغ الضغط. فكأن العوامل المحبة إلهية تجمعت في قلب الله فاضطرمت أحشاؤه, فوجد منفذاًَ في البذل. إذاًًًًًًًًًًًًًًًًًًًًً لم يكن في الإمكان أن لا يبذل الله "ابنه الوحيد", ولمّا بذل استراح. والكلمة عينها تفيد العطاء السخي الذي لا ينتظر جزاء ولا مكافأة. إذا ليس الفداء اغتصابا لمحبة الله, لكنه تعبير طبيعي لها. "ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة". أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه". (٢ كو ٥: ١٨ و١٩).

ثانيا: المسؤولية المترتبة على الفداء المعلن. (٣: ١٧-٢١). استنتج بعضهم من صمت نيقوديموس فيما بعد, أن حديث المسيح معه انتهى عند

تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. ١٧لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى

عدد ١٦, مع أن كلام المسيح يمتد حتى نهاية عدد ٢١. وإذا كان قد امتنع نيقوديموس عن الكلام فما ذلك إلا لأنه اقتنع. وما عساه أن يقول أمام هذه المعلنات الجليلة؟ وما على الأرض إلا الصمت حين تتكلم السماء!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رأينا في الأعداد السابقة أشعة أنوار الفداء الإلهي, والغاية التي قصدها الله منه. على أن إعلان أنوار الفداء يترتب عليه أمر من اثنين: إما الدينونة لكل من يرفضه ٣: ١٧-٢٠ أو الاقتبال إلى الله لكل من يقبله ٣: ٢١. وربما نطق المسيح بهذه الكلمات ليبدد بها سحب الظنون والأوهام التي كانت متلبدة في مخيلة الفريسيين من جهة انتظارهم مسيحاً يأتي خصيصاً ليدين أمم العالم.

عدد ١٧ الغاية الأساسية من رسالة المسيح إلى العالم – الخلاص. من المؤسف أن هذا الفادي الذي أرسله الله نوراً وهدى للعالمين, قد صيره بعض الناس دينونة على أنفسهم, بسبب عدم قبولهم إياه. فأشعة الشمس شافية, لكن ضربة الشمس قاتلة. وأريج الزهور منعش لكن الحشرات السامة تمتص منه عصارة تحولها إلى سم ناقع. والقصد الأساسي من المياه أن تروي لكن الكثيرين يغرقون فيها. والنار خادمة لمن يحسن استعمالها, لكن من يسيء استعمالها يحترق بها. "لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم" – الكلمة "يخلص" تفيد القبول الشخصي بالتخصيص. فمع أن الدينونة ليست الغاية الأساسية من رسالة المسيح وتجسده, إلا إنها نتيجة ملازمة لهما - فهي دينونة يفرضها الله على الناس فرضاً, بل هي دينونة يتطوع لها الناس اختياراً بسبب عدم قبولهم للمسيح.

الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. ١٨اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ. ١٩وَهَذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً.

عدد ١٨ مقياس الدينونة – الإيمان أو عدمه. فكأنما المسيح, بدخوله إلى العالم قد أوقع الناس تحت مسؤولية جديدة - فإما أن يكونوا مؤمنين أو غير مؤمنين - هذا هو الميزان الأدبي والروحي الذي به يزن الله كل الإنسان في كفة الدينونة. بل هذا هو التعريف الجديد للخطية – "أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي" ١٦: ٩. فالخطية إذاً هي عدم الإيمان بالمسيح.

ليس الكلام هنا عن دينونة عتيدة أن تحل في اليوم الأخير, لكنه يصف دينونة قد وقعت فعلا, وحلت على رافضي المسيح... "قد دين". أما المؤمن فلا دينونة عيه منذ الآن (رو ٥: ١ و٨: ١).

عدد ١٩ معنى الدينونة: "النور قد جاء إلى العالم. وأحب الناس الظلمة أكثر من النور". أما علة حبهم للظلمة, لأن "أعمالهم كانت شريرة". فالناس بحكمهم على المسيح يحكمون على أنفسهم "أحب الناس الظلمة أكثر من النور" – يا للفجور, ويا للخيانة! أيكون هذا صدى صوت محبة الله؟ هكذا أحب الله العالم حتى بذل ...." "هكذا أحب الناس الظلمة أكثر من النور"!!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢٠لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلَّا تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ. ٢١وَأَمَّا مَنْ
يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ».

عدد ٢٠ علة الدينونة: "لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ....". فالعين الرمداء لا تقوى على مواجهة النور, والمجرم الأثيم لا يستطيع الوقوف أمام وجه العدالة, وحشرات الظلام تعجز عن أن تعيش في ضوء الشمس.

عدد ٢١ الإقتبال إلى المسيح: "أما من يفعل الحق ...". لم يختتم المسيح حديثه مع نيقوديموس بصورة قاتمة مظلمة, بل بشكل مشجع مفرح. وليس من المستبعد, أن المسيح وهو ينطق بهذه الكلمات الأخيرة, كان يلقي على نيقوديموس نظرات مشجعة. كأنه قصد بهذه الكلمات أن يصف نيقوديموس الذي هبطت بذرة الإيمان إلى قلبه منذ هذه المقابلة, فنمت وترعرعت (٧: ٥٠), ونضجت فأثمرت ثمراً طيباً, كله طيب (١٩: ٣٩).

وجدير بنا أن نلاحظ أن الكلمة: "يفعل" في ع ٢١, هي غير الكلمة: "يعمل" في ع ٢٠. الأولى تفيد حالة عامة والثانية تعني اختباراً خاصاً. وما "فعل الحق" سوى رفع حياة الإنسان الأدبية والروحية إلى مستوى النور المعلن له. فلا فضل للإنسان في فعل الحق لأن العامل الأساسي في ذلك هو الله, وما الإنسان سوى أداة منفذة "لتظهر أعماله أنها بالله معمولة". ولا عذر لمن يدان لأنه هو الحاكم نفسه بنفسه.

---

(١) ومما يدل على أن قوله "من الماء", كلام رمزي استعاري كون المسيح أسقط هذه الاستعارة من كلامه عندما أراد أن يوضح الحقيقة نفسها في ع ٦ و٨. لأن عند إعلان المرموز إليه يبطل الرمز.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح في أرض اليهودية

٣: ٢٢ ــ ٣٦

٢٢وَبَعْدَ هَذَا جَاءَ يَسُوعُ وَتلاَمِيذُهُ إِلَى أَرْضِ الْيَهُودِيَّةِ

قضى المسيح أيام الفصح في أورشليم, فلم يقابل فيها من اليهود إلا بالصد والجفاء. فكان جو تلك المدينة مظلماً لولا كوكب واحد كان يسطع في سمائه – نعني به نيقوديموس. وبعد هذه الزيارة الموجزة, ترك المسيح عاصمة اليهود, فجاء وتلاميذه إلى ريف اليهودية "ومكث معهم هناك وكان يعمد" ليعد الطريق لنفسه, وليدرب تلاميذه على الخدمة.

ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام رئيسية: أولاً: صورة تاريخية (٣: ٢٢ - ٢٦). ثانياً: خطاب يوحنا المعمدان عن نفسه "صديق العريس" – وموضوعه "أنا" (٣: ٢٧ - ٣٠). ثالثاً: خطاب يوحنا المعمدان عن شخص المسيح – "العريس" – وموضوعه "هو" (٣: ٣١ - ٣٦).

عدد ٢٢: أولاً: صورة تاريخية ٣:٢٢-٢٦: "وبعد هذا" - هذه كلمة تربط ما يأتي بما مضى. "جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية". أي إلى خلاء اليهودية في الريف. "ومكث معهم وكان يعمد" – هذا دليل على أنه أقام بعض الوقت هناك. ويستنتج من مقابلة قوله: "وكان يعمد" بما جاء في ٤ :٢, إن المسيح كان يجري المعمودية بواسطة تلاميذه. أي أن المسؤولية الأدبية كانت ملقاة على المسيح لكن الممارسة المادية كان يقوم بها التلاميذ. فالمسيح هو الآمر والراسم, والتلاميذ هم المنفذون.

وَمَكَثَ مَعَهُمْ هُنَاكَ وَكَانَ يُعَمِّدُ. ٢٣وَكَانَ يُوحَنَّا أَيْضاً يُعَمِّدُ فِي عَيْنِ نُونٍ بِقُرْبِ سَالِيمَ لأَنَّهُ
كَانَ هُنَاكَ مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ وَكَانُوا يَأْتُونَ وَيَعْتَمِدُونَ - ٢٤لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوحَنَّا قَدْ أُلْقِيَ بَعْدُ فِي
السِّجْنِ. ٢٥وَحَدَثَتْ مُبَاحَثَةٌ مِنْ تلاَمِيذِ

كما في حادثة إشباع الآلاف, كان المسيح العامل الرئيسي في المعجزة, مع أن التوزيع تم على أيدي التلاميذ (٦: ١١).

ع٢٣و٢٤ كلمة تاريخية: "وكان يوحنا" – المعمدان - "أيضاً يعمد في عين نون" - ومعناها: نبع الحمامة - "بقرب ساليم" وهما غالباً جزء من البقاع القديمة التي وقعت من نصيب سبط يهوذا (يشوع ١٥: ٣١ و٣٢). وكانتا معروفتين قديماً بـ "شلحيم وعين جنيم" فآلت بالاستعمال اللفظي إلى "ساليم وعين نون". أما السبب في اتخاذ يوحنا تلك البقاع مقراً لعمله فهو: "لأنه كان هناك مياه كثيرة" - وواضح أن معمودية المعمدان كانت تمارس بالتغطيس. إلى الآن كان يوحنا متمتعاً بحريته, "لأنه لم يكن يوحنا قد ألقي بعد في السجن"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

. هذه الإشارة لها قيمتها الخاصة إذا نظرنا إليها في ضوء الكلمات الواردة في (مت ٤: ١٢ و١٣ و١٧, مرقس ١: ١٤) فهي تعين لنا بالضبط وقت ابتداء خدمة المسيح الجهرية. هذه حجة دامغة على اتفاق البشيرين.

عدد ٢٥. ثانياً: خطاب يوحنا المعمدان عن نفسه – صديق العريس – وموضوعه "أنا" ٣: ٢٥ - ٣٠ (أ) الظروف الذي استوحى يوحنا بهذا الخطاب

يُوحَنَّا مَعَ يَهُودٍ مِنْ جِهَةِ التَّطْهِيرِ. ٢٦فَجَاءُوا إِلَى يُوحَنَّا وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ هُوَذَا الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ

٣: ٢٥ و٢٦. إن وجود المسيح ويوحنا المعمدان - أحدهما على مقربة من الآخر, وكلاهما يمارس عملاً واحداً - المعمودية, قد أثار شيئاً من الجدل والحوار بين تلاميذ يوحنا الحريصين على الدفاع عن كرامة سيدهم وخدمته, وبين بعض اليهود "من جهة التطهير". والمراد "بالتطهير", تلك الغسلات التي كان ينبغي على اليهود أن يمارسوها استعداداً لدخولهم إلى ملكوت المسيح , والمعمودية هي أحد عناصر هذا التطهير. ولا يبعد أن هذا البعض من اليهود أظهروا أمام تلاميذ يوحنا تفضيلهم معمودية المسيح على معمودية سيدهم فكان من الطبيعي أن يلجأ المعمدان إلى معلمهم ليهدئ روعهم, ويخبرهم بحقيقة الأمر.

عدد ٢٦ (ب) استجوابهم للمعمدان. "فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له. يا معلم" هذه كلمات جارحة تقطر مرارة وسماً- ما أشبهها بالحية, لسعتها في ذنبها - "هو ذا الذي أنت شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه" - والنبرات واقعة على الكلمتين: "أنت", "وهو". كأنهم قصدوا أن يقولوا له: "هذا جزاء شهادتك للمسيح يا يوحنا. لقد شهدت له, فقضيت على نفسك. لقد بنيته فهدمت نفسك. لذلك قد زاحمك في خدمتك الفذة الممتازة, وزاد عليك باجتذاب الجميع إليه, ومن بينهم بعض تلاميذك, وأخصهم يوحنا". هذه فرصة هيأها عدو الخير ليوقع فيها يوحنا في حبائله, وليثير في نفسه عوامل التمرد والانتقاض على المسيح, بحجة الدفاع عن النفس لكن يوحنا العظيم اقتنص هذه الفرصة لإرادته وأفسد على عدو الخير مكيدته,

الَّذِي أَنْتَ قَدْ شَهِدْتَ لَهُ هُوَ يُعَمِّدُ وَالْجَمِيعُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ» ٢٧فَقَالَ يُوحَنَّا: «لاَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئاً إِنْ لَمْ

وفاه بكلمات جليلة, اعتبرتها الأجيال المثل الأعلى للعظمة الحقيقية. لأن يوحنا في دفاعه عن نفسه نسي نفسه. وأمام الشمس يختفي كل سراج مهما كان "موقداً منيراً". بهذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكلمات, وضع عدو الخير أمام يوحنا حجر عثرة لكي يصطدم به, لكن يوحنا انتفع بهذا الحجر فأقام منه تمثالاً خالداً للعظمة الحقيقية.

في كلام تلاميذ يوحنا مع معلمهم, برزت كلمتان, وهما: "أنت", "وهو" فأمسك يوحنا المعمدان بهاتين الكلمتين, وجعل أولاهما: "أنت" - وهي على لسان يوحنا: "أنا" -موضوع الجزء الأول من حديثه (٣: ٢٧ -٣٠). والثانية: "هو"- موضوع الجزء الثاني من حديثه ٣: ٣١ - ٣٦.

الجزء الأول من حديث يوحنا ٣: ٢٧ - ٣٠ وموضوعه: "أنا" تنطوي هذه الكلمات على (أ) مبدأ عام ٢٧ (ب) تذكير ع ٢٨ (ج) استعارة ع ٢٩ (د) تطبيق ع ٢٩ (ه) إقرار ع ٣٠.

عدد ٢٧. (أ) مبدأ عام: "لا يقدر إنسان أن يأخذ.." مع أن هذا مبدأ عام, إلا أنه ينطبق على يوحنا بنوع خاص. فهو بهذا المبدأ يقول لتلاميذه: "إن الله مقسم الأنصبة. أما من جهتي فأنا قانع بنصيبي الذي أعطانيه الله, ولن يمكنني أن أسمو فوق رتبتي لأكون معادلاً للمسيح الذي له رتبة ممتازة لا يدانيه فيها سواه. فهو المرسل وأنا الرسول. هو العريس يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ السَّمَاءِ. ٢٨أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ تَشْهَدُونَ لِي أَنِّي قُلْتُ: لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ بَلْ إِنِّي مُرْسَلٌ أَمَامَهُ. ٢٩مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ

وأنا صديق العريس. فالعروس له. والفرح لي. "ويجوز أن ينطبق هذا المبدأ على المسيح كفادٍٍٍٍٍٍٍٍٍٍٍٍ في ناسوته, لأن مقامه الممتاز لم يغتصبه لذاته اغتصاباً بل أعطيه من الآب.

عدد ٢٨. (ب) تذكير: "أنتم أنفسكم تشهدون". في هذا العدد أحالهم يوحنا على أنفسهم ليكتشفوا لذواتهم حلاً لهذه المشكلة التي وقعوا فيها, واستشهدهم على شهادته السابقة: "تشهدون لي أني قلت", وذكرهم بمضمون هذه الشهادة: "أني لست أنا المسيح بل أني مرسل أمامه". انظر شرح ١: ٢٠ و٢٣ صفحة ٥١ و٥٤).

عدد ٢٩. (ج) استعارة: "من له العروس فهو العريس". هذه استعارة استقاها المعمدان من كتابات العهد القديم (هوشع ٢: ١٩؛ أشعيا ٥:٦٢؛ مزمور ٤٥: ٩ و١٤), للتعبير عن الصلة التي تربط المسيح بكنيسته, وبها قرر نسبته إلى المسيح - فالمسيح عريس والمعمدان صديق العريس, الذي يعرف عند اليهود بـ "الشوشبين". ومنها "الإشبين" الذي كان من عمله أن يهيئ العروس للعريس "ويقف" منتظراً إياه, وقفة الاستعداد والانتظار – "فيفرح فرحاً من أجل صوت "العريس" عند قدومه, ويسلمه العروس".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(د) تطبيق: "إذاً فرحي هذا قد كمل". عوضاً عن أن يغضب يوحنا ويكتئب لمعرفته بأن الجميع يأتون إلى المسيح, نراه يفرح فرحاً كاملاً,

وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحاً مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ. إِذاً فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ. ٣٠يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ

لأنه وجد في اقتبال الناس إلى المسيح, علامة على أن العروس قد هيئت لعريسها,. إن عمله كصديق العريس قد كمل بتسليم العروس لعريسها. إذاً فقد تكللت جهوده بالنجاح, وكمل فرحه, بتسليمه تلاميذه إلى المسيح.

عدد ٣٠. (هـ) إقرار: "ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنقص". هنا بلغ يوحنا ذروة التضحية الشريفة. هذا هو الفناء بعينه, بل هذه هي المحبة في أسمى مراتبها - أن يفنى المحب في شخص من أحب. يستفاد من كلمة "ينبغي" أن يوحنا كان ينظر إلى نقصانه هو وازدياد ذاك, نظرته إلى نتيجة حتمية لناموس طبيعي ثابت. وهو أيضاً يعبر عن رغبة طبيعية تجيش في قلبه, طوعاً وحباً. ولقد تمت هذه الحقيقة بأكثر مما ظن يوحنا. لأنه بعد قليل سجن, وقطعت رأسه في السجن, وأضحى نسياً منسياً في وقت كان فيه اسم المسيح, يزداد ذيوعاً ورفعة.

لا تنطبق هذه الكلمة على يوحنا وحده, لكنها تتناول أيضاً نظام العهد القديم الذي كان ممثلاً في يوحنا, ففي ذلك بدأ ظل اليهودية الطقسية يتقلص تدريجياً ويطوى, ليعطي مجالاً لنور المسيحية الذي بدأ ينشر في الأرجاء.

هذا إقرار مجيد يجب أن يكون شعار كل خادم, بل كل مؤمن. فينبغي أن تفنى الذات تدريجياً, ويمتلئ القلب بالمسيح, إلى أن، يصير المسيح الكل في الكل. في بدء حياة الإنسان يكون شعاره: "أنا, لا المسيح", وعند إيمانه يصير شعاره: "أنا, والمسيح". وإذ يتقدم في النعمة يصبح شعاره:

وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ. ٣١اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ وَالَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. اَلَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ

"المسيح, وأنا". وإذ يتكمل في النعمة يتمجد شعاره فيصير: "المسيح. لا أنا".

في هذا العدد جزءان - ما أشبههما بالعينين الباصرتين. بإحداهما: "ينبغي أن ذاك يزيد", ينظر إلى ما يأتي من الكلام (٣: ٣١ - ٣٦), وبالثانية: "وإني أنا أنقص", ينظر إلى ما مر من الكلام (٣: ٢٧ - ٣٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجزء الثاني من خطاب المعمدان – وموضوعه: "هو" ٣٠: ٣١ - ٣٦. في هذا الجزء يذكر يوحنا سمو العريس في: (أ) علو أصله (ع ٣١). (ب) كمال تعاليمه (ع٣٢ - ٣٤). (ج) رفعة بنوته (ع ٣٥). ثم يختتم الحديث بمبدأ عام في ع ٣٦ كما استهله بمبدأ عام في ع ٢٧.

عدد ٣١. (أ) العريس في علو أصله: "الذي يأتي من فوق.." أراد يوحنا بـ"الجميع" كل الأنبياء بما فيهم شخصه. والعبارة: "من الأرض" ومشتقاتها, وردت ثلاث مرات في هذا العدد. في المرة الأولى, تشير إلى أصل الإنسان: "من الأرض". وفي الثانية تعني طبيعة الإنسان: "أرضي" - أي ترابي. وفي المرة الثالثة تصف مصدر التعليم "من الأرض يتكلم". وأما السماويات فقد أعطى للمسيح وحده أن يتكلم بها ع ١٣. بعد أن تكلم المعمدان عن "الجميع" - الأرضيين, عاد إلى الشخص السماوي

هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ ٣٢وَمَا رَآهُ وَسَمِعَهُ بِهِ يَشْهَدُ وَشَهَادَتُهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْبَلُهَا. ٣٣وَمَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ خَتَمَ أَنَّ اللَّهَ صَادِقٌ ٣٤لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكلاَمِ اللَّهِ. لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللَّهُ الرُّوحَ.

العجيب الذي هو موضوع كلامه: "الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع" - في الأصل وفي الرتبة.

عدد ٣٢ - ٣٤ (ب) العريس في كمال تعليمه ٣: ٣٢ - ٣٥. إن تعاليم المسيح كاملة, لأنها مستمدة من كنز قلبه. "ما رآه ما سمعه". ولا شيء أدل على أن اليهود من الأرض, أكثر من كونهم لم يقبلوا هذه الشهادة السماوية: "وشهادته ليس أحد يقبلها" - هذا صدى صوت المسيح في ع ١١. ولئن سلم يوحنا بأن أفراداً قبلوا المسيح لكنه يقصد اليهود كمجموع سيما أعضاء مجمع السنهدريم. وأما كل "من قبل شهادته فقد ختم بأن الله صادق", لأن الإيمان هو تصديق كلام الله. ولعل الكلام هنا ينطوي على إشارة ضمنية إلى ختم الشهادة التي نطق بها الآب عن المسيح عند المعمودية.

فما أجلّ المقام الذي رفع إليه المؤمن إذ يعطى حق ختم شهادة الله واعتمادها!

ومن المحتمل أن يكون معنى هذه الكلمات, أن الذي يقبل المسيح يجد فيه ختماً

لكل النبوات والمواعيد.

إن تعاليم المسيح ذات قيمة جليلة ممتازة لأن المتكلم بها ممتلئ بروح الله. "ليس بكيل يعطى الله الروح". إن أولئك الجميع تكلموا بكلام الله ولهم

٣٥اَلآبُ يُحِبُّ الاِبْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ. ٣٦اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نصيب من روح الله, لكن المسيح وحده قد "سر أن يحل فيه كل الملء". فإن أخذ غيره نصيباً من الروح بكيل, إلا أن نصيب المسيح من الروح, نصيب غير محدود. لأن الروح القدس هو روح المسيح نفسه.

عدد ٣٥ (ج) العريس في رفعة بنوته: "الآب يحب الابن. وقد دفع كل شيء في يده". هذا الكلام يعلل الحقيقة السابقة. فالروح أعطى للمسيح بدون كيل, لأنه ابن الله, وبحق بنوته قد دفع ليده كل شيء. والعلة الأساسي لكل هذا هي محبة الآب للابن وهي في الوقت نفسه علة طبيعية, فلا يمكن للآب إلا أن يحب الابن. ولا يمكن لمن يحب الابن إلا أن يدفع ليده كل شيء. إذا كان الآب في محبته للعالم بذل ابنه, فليس بعجيب أنه إذا أحب الابن, دفع كل شيء في يده. هذا صدى صوت الإعلان الذي سمعه المعمدان وقت معمودية المسيح: "هذا هو ابني الحبيب".

رأينا في العدد السابق أن الروح أعطي للمسيح, وفي هذا العدد نرى أن كل شيء أعطي للمسيح. بالروح يملك المسيح في قلوب المؤمنين, لكنه ليس ملك المؤمنين حسب. بل هو ملك على الجميع. "وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء".

عدد ٣٦. مبدأ عام: "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" ع ٣٦. ما أشبه هذا العدد باليوم الكامل – نصفه نهار: "الذي يؤمن ...." ونصفه الآخر

وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ».

ليل: "والذي لا يؤمن ....". الجزء الأول منه يذكرنا بخدمة المسيح - حياة في حياة, والجزء الثاني هو صدى آخر صوت في العهد القديم. إنه يذكرنا بما جاء في ملاخي "لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن" (٤: ٦). هذا دليل آخر على أن هذه كلمات المعمدان, آخر أنباء العهد القديم. بل هذه آخر كلمة نسمعها من المعمدان في هذه البشارة.

إن القول : "غضب الله" لا يفيد غيظ الله تعالى, وحنقه, بل يعني حجب وجه الله عن الخطاة, وتغاضيه عنهم, فتخلو حياتهم من بركته تعالى.

وجدير بنا أن نذكر في خاتمة هذا الأصحاح أن وعد الإيمان بالمسيح, وعد حاضر وبركاته حاضرة: "له حياة" - في الحال أولاً ثم في الاستقبال. لكن وعيد عدم الإيمان محفوظ إلى قتام ذلك اليوم الذي يحل بالفجار: "يمكث عيه غضب الله" فالغضب موجود لكنه محفوظ لينصب في حينه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هل يقوى الإنسان على أن يعيش باستمرار تحت ظل سحابة, فيحرم نفسه من نور الشمس ويقضي أيامه في البؤس والكآبة. فكيف إذاً حال من يعيش تحت غضب الله!؟ إن السماء وحدها تعلم مقدار بؤس مثل هذه النفس.

ففي أي جانب أنت يا نفسي؟؟!!

الموقف: "الذي يؤمن بالابن" "الذي لا يؤمن بالابن"

الجزاء: "له حياة" "لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح في السامرة

اَلأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

٤:١-٤٢

١فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ

هذا إصحاح عجيب, لأنه يرينا المسيح العجيب, الجامع لغرائب الصفات. فهو الطالب الواهب, المتعب والقدير, العطشان والمروي. هو مسيح اليهود, ومسيح السامريين, لأنه مسيح العالم بل مسيح الله.

ينتقل بنا هذا الأصحاح, من بيئة يهودية, إلى بيئة سامرية. في البيئة الأولى سمعنا المسيح يتحدث إلى رجل فريسي, وفي البيئة الثانية نصغي إليه وهو يتحدث إلى امرأة سامرية. وشتان بين الشخصيتين: في الحالة الأولى نرى رجلاً يتكلم في ظلمة الليل, وفي الثانية نشاهد امرأة تتكلم مع المسيح في وضح النهار. أما الرجل. فقد أرانا الوحي من هو, وما هو, وأما المرأة فقد أعلمنا الوحي ما هي وأخفى عنا من هي([١]). كان الرجل طاهراً في سيرته, وكانت تحيط بالمرأة ظلمات الشبهات. كان ضعف الرجل في قوته, وكانت قوة المرأة في ضعفها. كلاهما آمن بالمسيح. لكن إيمان الرجل ظل غير ناضج حتى صلب المسيح, وأما المرأة فقد نما حالاً ونضج, وأتى بثمر كثير في وقت قصير. ولا عجب, فالأشجار التي تنبت في الليل, وتنمو في الظلال, تظل عقيمة – كذلك كان نيقوديموس الذي جاء إلى يسوع ليلاً.

لكن الأشجار التي تنبت في ضوء النهار, وتنمو مشبعة بأشعة الشمس, تجود

أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ

بكثير من الثمر – كذلك كانت المرأة السامرية التي كانت تكلم المسيح في الساعة السادسة. كان الرجل شريفاً ورئيساً بين قومه, لذلك كانت صعوبته عقلياً, فوجه المسيح كلامه إلى بصيرته. وكانت المرأة من سقط المتاع لذلك كانت صعوبتها قلبية, فصوب المسيح كلامه إلى ضميرها. كان الرجل في حاجة إلى نور, وكانت المرأة في عوز إلى نار التطهير. ومن العجب أن موضوع حديث المسيح مع كليهما يكاد يكون واحداً – "الماء". فكلم نيقوديموس عن الميلاد بالماء والروح, وكلم السامرية عن ماء عطية الله.

هذا إصحاح مطبوع بطابع التدرج الذي امتازت به كل البشارة. وإليك الدرجات التي ارتقى عليها إيمان السامرية بالمسيح: فمن اعتقادها بأنه مجرد شخص يهودي عدد ٩, إلى قولها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

له "يا سيد" عدد ١١, إلى تصريحها له بأنه "نبي" عدد ١٩, إلى إيمانها بأنه هو المسيح عدد ٢٩. وهاهي الأدوار التي تدرج إليها إيمان السامريين: فمن الإيمان السماعي بكلام المرأة عدد ٢٩, إلى الإيمان الاختباري بكلامه الشخصي عدد ٤٢. وهاك الأدوار التي نما إليها إيمان خادم الملك: فمن الإيمان السماعي المبني على كلام الغير عدد ٤٧, إلى الإيمان النظري المؤسس على كلام المسيح نفسه عدد ٥٠, إلى الإيمان العملي الموطد على قدرة المسيح عدد ٥٣. يقع هذا الفصل في ثلاثة أقسام رئيسية:

أولاً: يسوع والمرأة السامرية ٤: ١ – ٢٦ ثانياً: يسوع والتلاميذ ٤: ٢٧ – ٣٨ ثالثاً: يسوع والسامريون ٤: ٣٩ – ٤٢.

سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصَيِّرُ وَيُعَمِّدُ تلاَمِيذَ أَكْثَرَ مِنْ يُوحَنَّا

أولاً: المسيح والمرأة السامرية ٤: ١– ٢٦. يقع هذا الفصل في قسمين: (ا) مقدمة تاريخية ٤: ١ – ٦ (ب) الأدوار التي اجتازها حديث المسيح مع السامرية ٤: ٧ – ٢٦.

عدد ١. (ا) مقدمة تاريخية ٤: ١–٦. "فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع" – "الرب يسوع" كلمتان متباعدتان تصفان شخصاً واحداً "الرب .... يسوع", الأولى تصفه في كمال لاهوته, والثانية تصفه في كمال ناسوته. الأولى تصفه في نظر يوحنا البشير والكنيسة, والثانية تصفه في نظر الفريسيين. "لما علم .... ترك اليهودية" – إن في انتقال الرب, في هذه الظروف, من اليهودية إلى الجليل, دلالة على تضحية جليلة وحكمة بالغة. أما التضحية, فلأنه لم يرد أن يطيل المكوث على مقربة من يوحنا المعمدان ليوسع المجال لخدمته, مخافة أن تتضاءل أمام خدمة الفادي. وأما الحكمة, فلأنه علم أن خدمة المعمدان, لم تكن سوى خدمة إعدادية – فهي أشبه الأشياء بخدمة "القواص" الذي يعد الطريق أمام الملك (أشعيا ٤٠). فترك هذه الخدمة الإعدادية لمن وضعت له, ووضع لهل, وتقدم هو ليمارس عمل مسيا الفدائي, وليمسك بصولجان الملك, الذي كان مقبضه يتلهف إلى يمناه. والظاهر أنه وجدت ثلاث درجات في رسم المعمودية – معمودية يوحنا المعمدان. وهي خدمة إعدادية للعصر المسيحي. والمعمودية التي قام بها المسيح في بدء خدمته على أيدي تلميذه. والمعمودية التي رسمها المسيح بعد قيامته.

٢مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تلاَمِيذُهُ - ٣تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضاً إِلَى الْجَلِيلِ.
٤وَكَانَ لاَ بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ. ٥فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوخَارُ

عدد ٢. كلمة تفسيرية. هنا نجد دفعاً لفرية كانت قد انتشرت وقتئذ بأن يسوع كان يعمد, فبين البشير أن يسوع نفسه لم يكن يعمد, بل تلاميذه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣. المسيح يترك اليهودية قاصداً الجليل لأجل الأسباب آنفة الذكر, وربما أجل غيرها أيضاً, "ترك المسيح اليهودية, ومضى أيضاً – أي مرة أخرى – إلى الجليل". ولما كانت السامرية واقعة بين اليهودية والجليل, "كان لابد له أن يجتاز السامرة".

عدد ٤. ضرورة مروره بالسامرة. يؤيد هذا قول يوسيفوس في تاريخه – الجزء السادس: جرت عادة الجليليين أن يجتازوا السامرة في طريق حجهم إلى أورشليم في الأعياد. هذه إذاً ضرورة جغرافية ظاهرة وربما كانت تستتر وراءها التزاماً أدبياً. وروحياً, لأن سوخار كانت مهيأة للحصاد فكان لابد للمسيح أن يذهب إليها ليجمع "الخراف الأخرى التي ليست من حظيرة اليهود" (١٠: ١٦). ولولا هذا الالتزام الأدبي, لكان في إمكان المسيح أن يتفادى هذه الصعوبة فيذهب إلى الجليل سالكاً الطريق الواقع على الضفة الشرقية لنهر الأردن.

عدد ٥. بلوغه سوخار. إما السكة السلطانية التي كانت تمر فيها القافلة

بِقُرْبِ الضَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ. ٦وَكَانَتْ هُنَاكَ بِئْرُ يَعْقُوبَ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ جَلَسَ هَكَذَا عَلَى

فكانت تمر بمدينة من السامرة يقال لها: "سوخار". ويقول يوسابيوس, أحد الآباء المحققين أن سوخار هذه واقعة تجاه "نيابوليس" – ومعناها المدينة الجديدة – التي هي شكيم, موضع نابلس الحالية. وقد ورد ذكرها مراراً في التلمود. ويظن أن "خربة عسكر" الحالية هي سوخار القديمة. "بقرب الضيعة" – أي شكيم "التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه" (تك ٤٨: ٢٢).

عدد ٦. جلوسه عند بئر يعقوب. كان على الطريق السلطاني الذي سلكه المسيح وتلاميذه في الودي بين جبلي عيبال وجرزيم وجنوبي مدينة شكيم – التي هي نابلس الحالية – بئر يعقوب. وهي ليست منقورة في صخر بل مبنية في أديم الأرض, يبلغ قطرها نحو ثلاثة أمتار. وكان عمقها سنة ١٦٩٤ نحو ٤٥ متراً, وردم منها على ممر السنين جزء ليس بقليل. وفي عام ١٨٤٣ كان عمقها نحو ٢٢ متراً. واليوم موضوع عليها كثير من الأحجار. ويقال أن يعقوب هو الذي حرها بقرب الضيعة التي وهبها ليوسف ابنه, ليكون له منها مورد للماء مستقلاً عن الينابيع الأخرى التابعة للسامريين. والمعروف أن مياه تلك العين مستمدة رأساً من عين الأرض, وهي صافية, منعشة.

كان يسوع قد تعب من السفر فجلس "هكذا" – أي كيفما اتفق, على البناء المحيط بالبئر المعروف "بخرزة البئر". وكان التلاميذ وقتئذ قد ذهبوا

الْبِئْرِ وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. ٧فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى سوخار ليبتاعوا طعاماً له ولهم. وكانت الساعة السادسة. غالباً كان يستعمل يوحنا البشير, التوقيت الأفرنكي الشائع في أسيا الصغرى وقتئذ وبما أن الساعة السادسة تبتدئ عادة من الساعة ٥ فيكون الوقت نحو الساعة ٥ بعد الظهر (انظر يوحنا ١٩: ١٤) ويظن بعض المفسرين أنها الساعة السادسة صباحاً. وآخرون أن الوقت كان ظهراً.

ما أعجب الحب السني الذي أحبنا به المسيح إذ رضي أن يتسربل طبيعتنا, فتعب وهو رب القوات, ومع أنه أشبع غيره بمعجزة لكنه لم يلتجئ إلى معجزة ليشبع نفسه وتلاميذه.

(ب) حديث المسيح مع المرأة السامرية ٤: ٧ – ٢٦.

عدد ٧. مجيء السامرية إلى البئر. إذ كان يسوع قد تعب ... جلس هكذا على البئر ... "فجاءت امرأة ... لتستقي ماء". ما أعظم الدقة التي رتبت بها أعمال العناية أمامنا الآن حادثتان صغيرتان لا يرى العقل الطبيعي صلة بينهما – شخص تعب من السفر, فجلس ليستريح. وامرأة ذهبت إلى بئر لتستقي ماء. لكن الفكر الإلهي قرن هاتين الحادثتين معاً وأوجد منهما حادثاً جليلاً, فخلص نفساً هالكة وأنقذ بلاداً بأسرها. فما أثمن فتات الوقت المتساقط عند قدمي المسيح. فمن كل لحظة ذاهبة يقتنص فرصة من ذهب, لأن راحته في خدمته, وخدمته في راحته.

فلنتقدم الآن لندرس حديث المسيح مع السامرية. لقد اتخذ هذا الحديث سبعة أدوار متتابعة. ما أشبهها بدرجات سلم, صعدت عليها السامرية من الأرض إلى السماء. في الدرجة الأولى نرى السامرية الساقطة, وفي الدرجة

مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً

الأخيرة نراها سيدة شريفة مؤمنة بالمسيح. وفي الدرجة الأولى نرى المسيح في حالة اتضاعه متعباً في حاجة إلى جرعة ماء. وفي الدرجة الأخيرة نراه معلناً نفسه أنه مسيح الله الذي جاء مخلصاً لجميع العالم.

(ا) في الدرجة الأولى (٤: ٧ - ٩), خاطب المسيح السامرية موجهاً الكلام إلى إنسانيتها بقوله لها: "أعطني لأشرب". (ب) في الدرجة الثانية (٤: ١٠ - ١٢) وجه المسيح كلامه إلى غريزتها المتشوقة إلى الاستطلاع بقوله لها: "لو كنت تعلمين". (ج) في الدرجة الثالثة (٤: ١٣- ١٥) صوب الكلام إلى حاجتها الطبيعية للارتواء والراحة بقوله لها: "كل من يشرب هذا الماء يعطش أيضاً, ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش". (د) في الدرجة الرابعة (٤: ١٦ و١٧) (١) خاطب المسيح ضميرها رأساً بقوله لها: "اذهبي وادعي زوجك وتعالي إلى هنا". (هـ) في الدرجة الخامسة (٤: ١٧(ب) - ٢٠) بدأ قلب المرأة يتفتح ويفيض بالاعتراف بخطاياها, فكان المسيح متجهاً إلى غريزتها الدينية. (و)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الدرجة السادسة (٤: ٢١ - ٢٤) اعترفت المرأة اعترافاً إيجابياً بأن المسيح نبي, فكان كلامه مثيراً فيها عوامل الرجاء, وموجهاً الكلام إلى إرادتها. (ز) في الدرجة السابعة (٤: ٢٥ و٢٦) كادت المرأة تعترف بأن المسيح هو المسيح فصرحت بإيمان نصفي أو شبه تصريح, فكان كلام المسيح موطداً إيمانها. فآمنت وتركت جرتها. وما الداعي لها أن تحمل جرة الماء الذي كل من شرب منه يعطش بعد أن دخل ماء الحياة إلى قلبها؟!

فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ:

(ا) الدرجة الأولى في حديث المسيح مع السامرية (٤: ٧ - ٩). يتضمن هذا الدور من الحديث: (١) كلام المسيح عدد ٧. (٢) جواب السامرية عدد ٩ (ا). وكلمتين تفسيريتين: ذكرت إحداهما بعد كلام المسيح, عدد ٨, والثانية بعد كلام المرأة عدد ٩ (ب).

عدد ٧ (١) كلام المسيح "فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء فقال لها يسوع أعطيني لأشرب". هذا كلام وجهه المسيح إلى إنسانية تلك المرأة التي بحكم رقة طبيعتها تعطف على العطشان الذي يطلب الماء. كان المسيح عطشان حقاً. وقد كان في إمكانه أن يصنع معجزة ليستغني بها عن الالتجاء إلى هذه المرأة الساقطة الغريبة الجنس, لولا أنه كان يرمي إلى غرض أشرف وأسمى من إرواء عطش جسده, وهو إرواء عطش نفسه التواقة إلى خلاص النفوس (عدد ٣٢ و٣٤), وإلى إرواء نفس تلك المرأة العطشى التي لم تجد رياًّ في تربة الحياة المقفرة. طلب منها ماء أفضل. ولفرط اتضاعه اتخذ موقف المحتاج, ليعلن لها أنه المعطي السخي. فاتخذ اتضاعه وسيلة لرفعتنا. على أن المسيح, بطلبه هذا, لم يقصد أن يثير عطفها عليه, بقدر ما قصد أن يشعرها بعطفه عليها. أما تاريخ السامريين فإنه يرجع إلى سنة ٧٢٠ قبل الميلاد, حينما صعد "شلمناصر ملك أشور إلى السامرة وحاصرها وسبى إسرائيل إلى أشور, وأتى بقوم من بابل, وكوث, وعوا, وحماة, وسفروايم وأسكنهم مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل". "فكانوا يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم" (٢ مل ١٧). وهكذا نشأ السامريون خليطاً في جنسيتهم

«أَعْطِينِي لأَشْرَبَ»

وفي عبادتهم. وفي عام ٥٣٦ قبل الميلاد, حاولوا أن يتعاونوا مع بني إسرائيل الراجعين من السبي ويشتركوا معهم في إعادة بناء الهيكل, فرفض الإسرائيليون أن يتعاونوا معهم (عزرا ٤: ٣٠). ومنذ ذلك الوقت, استحكمت بينهم حلقات العداء, فأقام السامريون لأنفسهم هيكلاً على جبل جرزيم, مقابل هيكل اليهود في أورشليم, وصاروا يعذبون ويقتلون كثيرين من اليهود الذين يمرون بتخومهم. ويقول يوسيفوس في تاريخه أنه أثناء الفصح اليهودي في العام السادس قبل الميلاد, وكان هيكل اليهود مفتوحاً في الليل, دخل السامريون إلى الهيكل خلسة ودنسوه بأن ألقوا فيه عظاماً بشرية. فكانت هذه الحادثة أشبه الأشياء بزيت صب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على نار الحقد القديم. وأن عملاً شنيعاً كهذا, لا يضارعه سوى تحقير اليهود للسامرين. ويقول ابن سيراخ: "أمتان لا تطيقهما نفسي والثالثة ليست بأمة. يهود يجلسون على جبل السامرة والفلسطينيون, وذاك الشعب الغبي الساكن في شكيم (السامرة)". وكان اليهودي الصميم يستنكف من أن ينجس شفتيه بالنطق بكلمة "سامري". وكان يحسب طعام السامريين نجساً كلحم الخنزير.

كان كل هذا العداء مستحكماً على رغم كون السامريين واليهود متفقين في أمور كثيرة – فمن حفظ توراة موسى, إلى تقديس السبت, إلى ممارسة الختان كفريضة مقدسة, إلى حفظ الأعياد. وكان كل منهما يعتقد في نفسه أنه نسل يعقوب. فاليهود يسمون أنفسهم "إسرائيليين", والسامريون يلقبون أنفسهم بـ"اليعقوبيين" أو اليعاقبة – ويعقوب هو إسرائيل.

٨لأَنَّ تلاَمِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبْتَاعُوا طَعَاماً. ٩فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ:
«كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لأَنَّ الْيَهُودَ لاَ يُعَامِلُونَ
السَّامِرِيِّينَ. ١٠أَجَابَ يَسُوعُ:

عدد ٨. كلمة تاريخية معترضة: "لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً".

عدد ٩. (٢) جواب السامرية: "كيف تطلب مني ...." أجابت المرأة بتعجب يمازجه أمل ضعيف بانتظار شيء جديد, لا تدري ما هو – ولعلها فاهت بجوابها وهي تقدم له الماء ليشرب – وفي الغالب عرفته أنه يهودي, من لباسه, أو من لهجة كلامه أو من كليهما. لأن الكلمة "أشرب" بالأرامي هي "شحت" فيلفظ اليهود الحرف الأول منها "شيناًّ", ويلفظه السامريون "سيناً".

هذا كان جوابها وهي جهلها. ولو علمت لقالت له: "كيف تطلب مني لتشرب وأنت خالق البحار, وأنا سوى ذرة غبار متطايرة على شاطئ بحر الخليقة.

(ب) الدرجة الثانية في الحديث (٤: ١٠ – ١٢). (١) كلام المسيح عدد ١٠ (٢) جواب المرأة عدد ١١ و١٢.

عدد ١٠. (١) كلام المسيح. في هذا الدور, تقدم حديث المسيح مع السامرية خطوة أخرى, إذ قصد الفادي أن يثير فيها عوامل

«لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ
فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيّاً». ١١قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ لاَ دَلْوَ لَكَ

الاهتمام, بقوله لها: "لو كنت تعلمين عطية الله ومن الذي يقول لك", وأيقظ فيها غريزة حب الاستطلاع, لتعرف "عطية الله, ومن هو الذي يقول لها أعطيني لأشرب, أما عطية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله فهي كل بركات الإنجيل الموهوبة لنا في المسيح, ومعه. ويجوز أن تكون العبارة الثانية: "ومن هو الذي يقول لك", تفسيرية لقوله: "عطية الله". فيكون المسيح هو نفسه عطية الله (٢ كو ٩: ١٥) على أنه ليس في إمكان المرأة أن تعرف عطية الله, ولا من هو المسيح, إلا إذا عرفت نفسها, فأدركت وشعرت أنها عطشى. لذلك أراد المسيح أن يرفع المرأة من المستوى المادي الذي كانت ترى نفسها فيه ومعها جرتها, والمسيح واقف عطشان أمامها, وأن ينقلها إلى المستوى الروحي الحقيقي الذي ترى فيه نفسها بائسة عطشى وهي واقفة أمام المسيح المروي جميع العطاش.

"الماء الحي" يطلق على مياه الينابيع المتجددة, الفياضة (تك ٢٦: ١٩) ويشير به المسيح إلى عطية الروح القدس. فهي حي ومحيي. وبمقابلة هذا القول بما جاء في ٣: ٥, يتضح لنا أن ملتقى كلام المسيح مع نيقوديموس بكلامه مع السامرية – هو الحياة الروحية الجديدة.

عدد ١١ و١٢ (٢) جواب السامرية ٤: ١١ و١٢. من العجيب أنه لا فرق بين عقلية الناموسي المتعلم وبين عقلية السامرية الساذجة, أمام الحقائق الروحية السامية. فهي جديدة على كليهما. فكما غاب عن نيقوديموس أن

وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ ١٢أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟»

يعرف القصد من كلام المسيح عن الولادة الروحية فظن أن المسيح يتكلم عن الولادة الجسدية, واحتج بالقول: "كيف يمكن؟", كذلك فات السامرية أن تفهم مراد المسيح من كلامه عن الماء الحي, فحسبته يتكلم عن مياه الينابيع (تك ٢٦: ١٩) واحتجت بالقول: "من أين؟". وكما أردف نيقوديموس جوابه بقوله "ألعلَّ" كذلك قالت السامرية أيضاً: "ألعل". فأمام المعلم السماوي يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون العلوم الأرضية.

مسكين الإنسان ما أجهله! فلفرط جهل السامرية, غاب عنها أن المسيح كان مقدماً لها طلبه منها, فقد تمثلت المسيح واقفاً عطشان أمام البئر ولا دلو معه, وقد سهى عليها أنها تصف نفسها وهي لا تدري. فهي الواقفة عطشى أمام نهر الحياة ودلو الإيمان ليس معها.

إن تعجب السامرية من كلام المسيح, رافقه إعجابها ببئر يعقوب. فهي فخورة بشرف حسبها ونسبها. "ألعلك أعظم .." – نطقت بهذه الكلمات, وكل الأصوات من حولها تناديها: "هوذا أعظم من يعقوب هاهنا!"

من المؤسف أن تلك المرأة كانت حريصة على شرف جنسها, وقد فاتها أن تهتم بشرفها الخاص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ج) الدرجة الثالثة في الحديث (٤: ١٣- ١٥). (١) كلام المسيح ٤: ١٣ و١٤ (٢) جواب المرأة ٤: ١٥,

١٣أَجَابَ يَسُوعُ: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. ١٤وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ». ١٥قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ:

عدد ١٣. (١) كلام المسيح: ١٣ و١٤. لم يوضح المسيح للمرأة ماهية العطية الإلهية بل حدّثها عن مزايا الماء الحي بمقابلته بماء بئر يعقوب, فبين لها أن مياه بئر يعقوب - ككل مياه أرضية - لا تروى إلا لتعطش, لأنها أرضية وقتية. كذلك تأثيرها أرضي وقتي مثلها. أما الذي يعطيه هو فله ثلاث مزايا: الأولى: أنه ماء مرو: "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" (عدد ١٤). والثانية: أنه ماء فياض. أي أن الذي يشرب منه لا يرتوي وكفى, بل يكون مروياً لغيره. "بل الماء الذي أعطيه أنا يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية". الكلمة "ينبع فيه" تصف نبع ماء الحياة الروحية, ينبع داخل النفس بخلاف مياه بئر يعقوب المنقورة خارج سوخار, وبعيداً عنها فيضطر الإنسان أن ينتقل إليها. والثالثة: أنه ماء موسوم بطابع الخلود: "إلى حياة أبدية". فالحياة الأبدية مبهجة كما أنها خالدة. إن خير مفسر لكلمات المسيح هنا, هو ما فاه به في ٧: ٣٧ و٣٨.

عدد ١٥. (٢) جواب المرأة: "قالت له المرأة .." نزلت كلمات المسيح على قلب تلك المرأة, نزول الندى على كؤوس الورود التي لفحتها شمس الصيف, فأنعشتها, وأحيت فيها موت الرجاء. فهتفت من عمق

«يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هَذَا الْمَاءَ لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ».١٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ

نفسها ببهجة تمازجها هيبة قائلة يا "سيد". إن تعجبها الماضي قد تطور الآن تشوقاً. وبدلا من تمسكها بموقفها كمعطية, تنازلت, بل تشرفت أن تتخذ من المسيح موقف السائلة: "أعطني هذا الماء".

كانت تلك السامرية تشكو أمرين - أولهما: العطش: "لكي لا أعطش". وثانيهما: التعب: "ولا آتي إلى هنا لأستقي". كأنها كانت بكلامها هذا معبرة عن أشواق البشرية المتعطشة والمتعبة في برية هذا الوجود. لأن ما يقدمه العالم للنفس من تمتع, إنما هو خارج عنها. فالخير كل الخير في أعماق نفوسنا لو كنا فاهمين.

(د) الدرجة الرابعة : ١٦ و١٧ (١) كلام المسيح عدد ١٦ (٢) جواب المرأة عدد ١٧ (ا).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٦. (١) كلام المسيح ٤: ١٦. إلى هنا كان كلام المسيح مع السامرية متخذاً اتجاهاً عاماً. والآن نراه ينتقل من التعميم إلى التخصيص. قبلاً رأيناه معلماً ومبشراً, ولآن نراه طبيباً واضعاً إصبعه على موضع الداء. قبلاً كان يخاطب غرائزها وعقلها, والآن نراه مصوباً الكلام إلى ضميرها: "اذهبي وادعي زوجك. وتعالي إلى هنا". لم يقصد المسيح أن يحرجها, إذ أن كلماته نتيجة طبيعية لجوابها السابق "لكي لا آتي إلى هنا لأستقي",

وَتَعَالَيْ إِلَى هَهُنَا» ١٧أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ: «لَيْسَ لِي زَوْجٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «حَسَناً قُلْتِ لَيْسَ لِي زَوْجٌ

كأنها كانت تستقي لنفسها ولأهل بيتها. وإذا كان في كلام المسيح جرح لها, فهو من الجروح الأمينة, لأنه جرح شاف.

إن العقبة الكؤود التي تحول دون اقتبال الكثيرين إلى الله, ليست في عقولهم, بل في قلوبهم. وأن علة شكوك الأكثرين ليست عقلية بل أخلاقية. فكان من الضروري أن يخاطب المسيح ضميرها, لأنه من المحال أن يعلن لها الحق كما هو, إلا متى كانت في استعداد لقبوله. ومن المحال أن تقبله ما لم تصلح كل خلل في حيلتها ولاشك أنها تعجبت, وفزعت, وانكمشت من هذا الكلام.

عدد ١٧. (٢) جواب المرأة: "أجابت وقالت. ليس لي زوج". من يسطع أن يحلل العوامل النفسية المتباينة والمتنازعة التي كانت تزدحم في قلب السامرية عندما أجابت بالقول: "ليس لي زوج"؟ هل شعرت بنخسة في ضميرها إذ رسم تاريخها أمام عينيها في لحظة من الزمان فنطقت بهذه الكلمات بنغمة الحزن والأسى؟ أم خالجها الشك في مقدرة هذا النبي الجديد الذي فاته أن يعرف دقائق حياتها الخفية فقصدت أن تصحح خطأه المزعوم في ظنه أن لها زوجاً؟ أم رأت نسها أمام طبيب النفوس والأرواح, فقصدت أن تكاشفه بعلة قلبها الدفينة؟ أم كانت كل هذه العوامل مجتمعة معاً؟؟!

(هـ) الدرجة الخامسة في الحديث – ٤: ١٧ (ب) – ٢٠. (١) كلام المسيح ٤: ١٧ (ب) و١٨. (٢) جواب المرأة ٤: ١٩ و٢٠,

١٨لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هَذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ».

عدد ١٨. (١) كلام المسيح: ٤: ١٧ (ب) و١٨: "قال لها يسوع ..." بهذه الكلمات أعلنت للمرأة قوة المسيح النبوية, إذ رأته ممسكاً بيده صفحة حياتها السرية, ويتلوها سطراً سطراً وكلمة كلمة, على مسمع منها, حتى وصل إلى الكلمة التي نزلت على قلبها كالصاعقة: "الذي لك الآن, ليس هو زوجك" – ولعله زوج غيرها. من تاريخ هذه المرأة كما سرده المسيح, نستنتج شيئاً عن الخطوات المتتابعة التي يهوى إليها الإنسان حتى يصل إلى أسفل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

درجات الشر: فمن الزواج الذي رسمه الله, إلى الزواج الذي أباحته بعض الشرائع الوضعية – "خمسة أزواج", إلى الحياة الإباحية: "الذي لك الآن ليس هو زوجك".

يعتقد بعض المفسرين في هذا العصر, أن هذه السامرية التي كانت زوجة لخمسة أزواج, ترمز إلى الأمة السامرية التي كانت مكونة من خمس أمم مختلفة (٢ مل ١٧: ٣٠ و ٣١), ولكل منها إلها الخاص, فصارت معروفة بـ"أمة الخمسة الآلهة" – والإله الذي تدعى أنها تعبده ليس لإلهها الحقيقي, لأن السامريين "يسجدون لما لا يعلمون" ع ٢٢. هذا يؤيده قول يوسيفوس: أن السامريين هم خليط من خمس أمم أحضرت كل منها إلهها معها إلى السامرة, فلا إله حقيقي للسامريين.

١٩قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! ٢٠آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ

عدد ١٩. (٢) جواب المرأة (أ) إقرارها بأنه نبي ٤: ١٩ و٢٠. كان جواب المرأة على دورين – في الدور الأول أقرت بأن المسيح نبي (ع ١٩). وفي الدور الثاني قدمت للمسيح استفتاء (ع ٢٠). كان إقرارها نتيجة المعرفة الحقيقية. التي فاجأها بها المسيح عن تاريخها. فرأت فيه نبياً يعلم بالغيب. فبإقرارها تختتم الدرجة الخامسة من حديثها, وباستفتائها تسهّل الدرجة السادسة.

(و) الدور السادس (ع ٢٠ – ٢٤). (أ) كلام المرأة (ع ٢٠) (ب) جواب المسيح (ع ٢٠ – ٢٤).

عدد ٢٠. (أ) كلام المرأة: يستنتج كثير من المفسرين, من جوابها المقتضب: "أرى أنك نبي .... آباؤنا", أنها قصدت أن تتهرب من الإطالة في الكلام عن أخلاقها وحياتها, ففرت والتجأت إلى الكلام عن معضلة كلامية, كما يفعل بعض الذين تنخسهم قلوبهم فيهربون من الكلام في الروحيات التي تمس الحياة, إلى التمسك بمماحكات الكلام, في أمور لاهوتية عويصة, لا حل لها ولا علاج. ويلوح لنا أن المرأة بلغت في حديثها مع المسيح درجة راقية يصعب علينا أن نعتقد فيها, إنها تفر أمامه. وأنى يتأتى لها ذلك الآن, بعد أن أمسكت بحبال قوته الطاهرة المطهرة, بل كيف يمكن لمن أعلن لها مجد المسيح أن تبغي من حضرته هروباً؟؟ لذلك يغلب على اعتقادنا, أنها إنما أرادت أن تنتهز فرصة وجودها أمام هذا النبي الجديد, المترجم عن إرادة الله, لينبئها بالقول الفصل في هذه المشكلة القديمة, التي إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ».

ظلت أجيالاً طوالاً, قائمة بين اليهود الذين هو منهم, والسامريين الذين تنتمي هي إليهم.

وليس من المستبعد أنها بعد أن تبكتت على خطاياها, ورأت حاجتها إلى مخلص, قصدت أن تطمئن على أفضل مكان تقدم فيه عبادتها العتيدة. فقالت له: "آباؤنا" – السامريون –

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"سجدوا في هذا الجبل"([٢]) – ولعلها أشارت بإصبعها إلى الجبل (تث ٢٧: ٢٤) لأن بئر يعقوب واقعة عند سفح ذلك الجبل – "وأنتم" – اليهود – "تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه".

غريب أن هذه المرأة الساذجة لم تكن أجنبية عن الحقائق اللاهوتية. والمطارحات الكلامية. على أن خطيتها لم تكن ناشئة عن جهلها, بل عن ضعف خلقها. لم يكن الظلام في عقلها, بل في قلبها.

عجيب أنها كانت ملتهبة حماساً لهيكل أمتها المتهدم منذ أيام يوحنا هرقانوس – سنة ١٢٩ ق.م – ولم تبال بهيكل حياتها المتهدم! هذه علامة من علائم التمسك بأهداب الدين الاجتماعي, والتخلي عن أسباب التدين الشخصي. "القلب خداع ونجيس" ليس من السهل إذلاله ليتواضع بالحقيقة أمام الله.

٢١قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ

عدد ٢١. (ب) جواب يسوع (ع ٢١ – ٢٤). كان موقف المسيح دقيقاً. فمن جهة لا يريد – ولا يقدر – أن ينكر الحق. ومن الجهة الأخرى لا يريد أن يعثر هذه النفس الحساسة الراغبة في الحق. وفي دقة موقفه هذا قدم جواباً بالغاً حد الكمال, مرتقياً فوق الحزازات الجنسية, والمماحكات الكلامية. كان سؤال المرأة قاصراً على طلب تعيين مكان العبادة. وبكل حكمة, رفع المسيح قلبها من التفكير في العبادة بوجه عام, إلى التأمل في حقيقة المعبود, وفي طبيعته: "الآب".

في هذا الدور وجه المسيح خطابه إلى إرادة المرأة السامرية فأجابها بأسلوب الحكيم, وأراها:

(١) طبيعة العبادة الحقيقية: أنها أوسع من أن يحصرها مكان "لا في هذا الجب ولا في أورشليم تسجدون للآب" (عدد ٢١). (٢) مؤهلات العابدين الحقيقيين: (عدد ٢٣). (٣) طبيعة المعبود: "الله روح" (عدد ٢٤ (أ)). (٤) واجب العابدين: "فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (عدد ٢٤ (ب)).

عدد ٢١. (١) طبيعة العبادة الحقيقية: بهذا الكلام بيّن لها المسيح أن عبادة السامريين ليست فقط عاطلة من حيث المكان الذي تمارس فيه, بل هي أيضاً منقوصة من أساسها.

في قوله لها: "يا امرأة صدقيني ....", وجه الخطاب إلى إرادتها لكي تؤمن. "تأتي ساعة" – لقد وصته هي بأنه نبي, وهاهو ينبئها الآن, عن

لاَ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. ٢٢أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقت في المستقبل سوف يقبل فيه السامريون إلى الإله الحي الحقيقي, فيصيرون له أبناء روحيين, إذ يتحررون من قيود العبادة الخارجية المحصورة في مكان معين – عبادة ما أقر بها من العبودية, وكلتاهما من مصدر واحد.

في زمن السامرية, كان يعتقد السامريون أن جبل جرزيم "مقدس" في ذاته دون سواه. فأنبأها المسيح بوقت, سوف يعتبرون فيه كل مكان يحل فيه الله"مقدساً". عندئذ يعلمون أن المكان لا يقدس العبادة, إنما العبادة هي التي تقدس المكان. "لا في هذا الجبل" – جرزيم - "ولا في أورشليم". كما أن المسيح زحزح إيمانها عن قدسية "جرزيم" كذلك لم يكن متحيزاً للجبل الذي أقيمت عليه أورشليم: "ولا في أورشليم تسجدون للآب". فلا اليهود

يجتذبون السامريين إلى جبل أورشليم, ولا السامريون يرغمون اليهود على الصلاة في جرزيم, بل ينتقل كل منهما من حيزه الضيق ليلتقيا معاً في مكان مشترك, حيث يلتئم جميع أبناء الله, في عبادة روحية تضمهما معاً, ويلتقون في مكان لا يحده مكان.

عدد ٢٢. كلمة توضيحية: "أنتم" – السامريون - "تسجدون لما لستم تعلمون" - أي على غير هدى. لأن السامريين اكتفوا بجزء مبتسر من الوحي الإلهي - أسفار موسى الخمسة - وحسبوه خاتمة الوحي, وحرموا أنفسهم أنوار الوحي الذي أراقه الزابوري والأنبياء على المعلنات الإلهية. مثل

أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ - لأَنَّ الْخلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. ٢٣وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ

أولئك السامريين مثل قوم ظفروا بسراج منير, فحملوه, ودخلوا به إلى غرفة ضيقة محكمة النوافذ حتى اختنق ضوءه من قلة الهواء. المقصود من كلمة: "ما" تلك الفكرة التي كانت عندهم من جهة الله. "أما نحن" – اليهود - "فنسجد لما نعلم لأن الخلاص هو من اليهود" - الخلاص المقصود هنا, هو الخلاص الذي سبق فأنبأ عنه الله, أن سيأتي به مسياً الذي هو نسل إبراهيم (تك ١٢: ٣ و١٨: ١٨ و٢٢: ١٨). فشجرة الخلاص نبتت في بستان اليهود, الذين استؤمنوا على أقوال الله (رو ٣: ٢) ومنهم جاء المسيح حسب الجسد.

هذه هي المرة الوحيدة التي استعملت فيها كلمة "يهود" في الإنجيل بمعنى حسن. وهي تعني اليهود كأمة مختارة من الله, لا رؤساء اليهود الذين حجزوا الحق ولطخوا أيديهم بدماء الأنبياء والمرسلين, وتوجوا جرائمهم بقتل مسيح الله.

عدد ٢٣. (٢) مؤهلات العابدين الحقيقيين: "ولكن تأتي ساعة. وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق". إن كلام المسيح, في العدد السابق, الذي تناول فيه السامريين وعبادتهم الحقيقية كان من قبيل النبوة, وهو يرمي إلى نقطة في بطن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المستقبل. لكن كلامه في هذا العدد, يقرر حقيقة راهنة بدليل قوله هنا: "وهي الآن". لأن الساجدين الحقيقيين موجودين فعلاً في كل مكان وزمان سواء أكانوا من اليهود أم من السامريين.

إن مؤهلات هؤلاء الساجدين تجمعها كلمتان: (١) "بالروح" –

يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. ٢٤اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا».

ضد كل ما هو جسدي, مادي, وحرفي, ومحلي. (٢) "وبالحق" - ضد كل ما هو باطل, ووهمي, وصناعي, وجهلي. فالعبادة التي "بالروح" متفقة وطبيعة الله, والعبادة التي "بالحق", متفقة وإرادة الله. "بالروح" – هذه الكلمة تصف العبادة الحقيقية من حيث شعور العابد (رو ١: ٩). "بالحق" – هذه الكلمة تصف العابد من حيث تكوين فكرته عن المعبود. فالعبادة في الديانة اليهودية كانت قائمة على الحرف والعبادة في الديانة السامرية كانت قائمة على الوهم والضلال: "لما لستم تعلمون". لكن العبادة في المسيحية هي "بالروح" – على العكس ما في اليهودية, و"بالحق" – على العكس ما في السامرية.

ولا يوجد مشجع على العبادة أقوى من هذه العبارة: "لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له" – فإذا كانت الروح تتطلب إلهها الذي منه أتت, لتلتقي به. فإن الله الذي منه خرجت الروح, يطلب هذه الروح ليلتقي بها, وهذه رغبة متبادلة بين العابد والمعبود.

عدد ٢٤. (٣) طبيعة المعبود: "الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا". "الله روح" – هذه الكلمة تصف الله في طبيعته لا في ذاته وأقنوميته وهي أولى الصفات الثلاث التي سجلها يوحنا في كتاباته عن الله: - "الله نور" (١ يو ١: ٥), "الله محبة" (١ يو ٤: ٨). "الله روح" (يو ٤: ٢٤).

٢٥قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ يَأْتِي. فَمَتَى

عدد ٢٥. – ز – الدور السابع ٤: ٢٥ و٢٦ – (١) كلام المرأة (٤: ٢٥). "أنا أعلم أن مسياً – الذي يقال له المسيح – يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء". من هذا الكلام, يتضح لنا أن شعاعة من النور لاحت أمام عيني المرأة, وأن شخصاً عجيباً تراءى لها في ضوء هذا النور الضئيل, فلم تستطع أن تحكم في ما إذا كان هو مسياً, أم سواه. لذلك فاهت بهذه الكلمات وهي بين مؤمنة وغير مؤمنة. ولعلها قصدت أن تلقي دلوها في الدلاء علها تكون قد ظفرت بهذه اللؤلؤة التي لا تثمن, فنطقت بهذا التصريح – ليس عن غير يقين – آملة أن تستزيد المسيح من هذا النور. أما العبارة: "الذي يقال له المسيح" فهي من كلمات يوحنا البشير.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول ثقاة المؤرخين: أن السامريين لا يزالون ينتظرون, إلى يومنا هذا, مسيحاً يسمونه "أشيف" أي المثيب, والمرجع, والهادي. لكنهم أخطئوا, كما أخطأ اليهود أيضاً, في انتظارهم ملكاً أرضياً, يرد لهم مجدهم الأرضي الضائع.فإذاً فكرة انتظار المسيح, ليست قاصرة على إسرائيل, لأن المسيح الحقيقي هو مسيح الجميع. حقاً قال فيه سمعان الشيخ: "نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو ٢: ٣٢).

مع أن فكرة المرأة السامرية عن المسيح, كانت فكرة مبسترة ناقصة, إلا أن المسيح قبلها على رغم ما فيها من ضعف, مؤكداً لها أنه ليس من الضروري لها أن تنتظر أعواماً ولا شهوراً, ولا ساعات, حتى تنتظر ذلك

جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ». ٢٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ».

المسيا, ولا أن تذهب هنا وهنالك مفتشة عليه, فما عليها إلا أن تفتح عينيها حيث هي واقفة, فتراه: "أنا الذي أكلمك هو".

ليس للمرأة من جواب على هذا الإعلان العجيب, سوى الصمت! وهو صمت أبلغ من كل كلام. فإذا كان كلامها في الماضي من ذهب, فإن صمتها هنا. لآلئ لا تثمن.

عدد ٢٦. (٢) جواب المسيح – تصريح جليل (٤: ٢٦). إننا نحتاج إلى ريشة ملائكية, تغمس في ألوان سماوية لترسم العوامل المتباينة التي كانت تختلج في قلب المرأة, بعد أن سمعت هذا التصريح الجليل: "أنا.. هو" أكانت فرحة بهذا الاكتشاف العجيب الذي فتش عنه الأنبياء قديماً فعز عليهم أن يجدوه, لكنه وجدلها هي الضعيفة المحسوبة من سقط المتاع؟ أم امتلأ قلبها بتأنيبات الضمير, على الكلمات الساذجة التي خاطبت بها المسيح في بدء الحديث؟ أم بكت من فرط سرورها بهذا النور الذي ظهر لها من غير انتظار؟ أم كانت كل هذه العوامل مجمعة معاً في نفسها؟؟

ما أسمى المقام الذي بلغته هذه المرأة في هذا الحديث؟ من امرأة ساقط تحمل جرة تستقي بها ماء من بئر يعقوب, إلى ملكة غير متوجة قد دخل إلى قلبها نهر الحياة! فلا عجب إذا كانت قد تركت جرتها فيما بعد!! جاءت لتشرب مياهاً أرضية, فصارت تخرج من قلبها أنهار ماء حية لتستقي مياهاً مادية لأهل بيتها, فأروت بمياه الحياة أهل مدينتها (٤: ٢٨ - ٣٠).

٢٧وَعِنْدَ ذلِكَ جَاءَ تلاَمِيذُهُ وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ.

ثانياً: المسيح والتلاميذ. ٤: ٢٧ - ٣٨. (١) التلاميذ المتعجبون (عدد ٢٧). (٢) السامرية المبشرة ٤: ٢٨ – ٣٠. (٣) حوار بين المسيح والتلاميذ ٤: ٣١ – ٣٨.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٧. (١) التلاميذ المتعجبون: في الفترة التي تحدث فيها المسيح مع السامرية, كان التلاميذ قد أتموا مأموريتهم التي ذهبوا إلى سوخار أجلها (عدد ٨), فابتاعوا طعاماً, ورجعوا, "وكانوا يتعجبون". وردت هذه العبارة الأخيرة, بصيغة الاستمرار لتفيد أن تعجبهم كان متواصلاً. أما سبب هذا التعجب, فهو أن سيدهم كان يتكلم مع امرأة.

كان من حقهم أن يتعجبوا, متى رأوا سيدهم يتكلم مع رجل سامري. فكيف بهم لا يتعجبون متى كان هذا السامري امرأة. منذ ذلك الوقت, حتى يومنا الحاضر, والمرأة محتقرة عند اليهود([٣]). فما كانت تسمح العوائد ليهودي أن يحيي امرأة في الطريق – ولو كانت هذه المرأة أمه, أو أخته, أو زوجته. وفي صلاة اليهود الصباحية, يقف الرجل مصلياً في الهيكل قائلاً: "أبارك اسمك أيها الرب خالق العالمين, لأنك خلقتني يهودياً لا أممياً. وحراً لا عبداً. ورجلاً لا امرأة". لكن المرأة المسكينة تقف في بيتها – لأنه

وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: مَاذَا تَطْلُبُ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا. ٢٨فَتَرَكَتِ الْمَرْأَةُ جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: ٢٩«هَلُمُّوا انْظُرُوا

غير مسموح لها أن تدخل الهيكل – وتقول بنغمة مؤلمة "أحمدك اللهم لأنك خلقتني كما أردت".!!

كان يعتقد اليهود أن حرق الشريعة أفضل من تسليمها إلى امرأة. فلا عجب إذا كان التلاميذ قد تعجبوا. إلا أن تعجبهم كان صامتاً. فلم يقل أحدهم "ماذا تطلب أو لماذا تتكلم معها" وربما نشأ صمتهم, عن احترامهم لسيدهم, وعدم حصولهم على الشجاعة الكافية لاستجوابه. إلا أن المهم هو أن المرأة لم تعبأ بتعجبهم, بل مضت في سبيلها.

ع ٢٨ – ٣٠. (٢) السامرية المبشرة: بعد أن شبعت المرأة من نهر الحياة, لم تبق بها حاجة إلى استعمال الجرة, فتركتها ومضت إلى المدينة, وقالت للناس: "هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت".

إن السامرية بعملها هذا, قدمت خير دليل على:

(ا) تضحيتها: "تركت جرتها" – كما ترك التلاميذ شباكهم. (ب) غيرتها: "مضت" – إنها جرت بقدمين تسبقان الأجنحة في السرعة. (ج) شجاعتها ووطنيتها: "إلى المدينة". إننا لا نستطيع أن نقدر شجاعة هذه المرأة, إلا متى ذكرنا تاريخها, وتقدير أهل

بيتها لها. لقد شعرت أن لها رسالة, فبلغتها إلى أهل مدينتها أولاً. وأن شجاعتها هذه تنم عن وطنيتها الحقيقية. (د) رسالتها: "هاموا انظروا إنساناً". (هـ) حكمتها: لم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إِنْسَاناً قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟». ٣٠فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ.
٣١وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ سَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ: «يَا مُعَلِّمُ كُلْ» ٣٢فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لِي طَعَامٌ لِآكُلَ

تحاول السامرية, أن تكلمهم عن المسيح, مخافة أن تعجز عن محاجتهم, كنها رأت أن أفضل طريقة هي أن تحضرهم إليه لتواجههم به. لم ترغب في أن تكون هي "جرة" تحمل إليهم ماء الحياة بل أرادت أن تحضرهم إلى "النهر", ليشربوا بأنفسهم, ويرتووا. (و) باكورة خدمتها: "خرجوا من المدينة" هذا نجاح عظيم, دونه نجاح بعض الرسل.

(٣) حوار بين المسيح والتلاميذ: ٤: ٣١ – ٣٨. (ا) التلاميذ يقدمون الطعام للمسيح (عدد ٣١), وهو يدلهم إلى الطعام الحقيقي (عدد ٣٢). (ب) التلاميذ يتساءلون فيما بينهم: (عدد ٣٣). (ج) المسيح يزيل أسباب تساؤلهم: (٤: ٣٤ – ٣٨).

عدد ٣١ و٣٢. (ا) التلاميذ يقدمون الطعام للمسيح, وهو يدلهم إلى الطعام الروحي (٤: ٣١ و٣٢).

الآن وقد خلا التلاميذ بسيدهم, بعد أن مضت السامرية لتدعوا أهل مدينتها, قدموا له الطعام الذي ابتاعوه من المدينة, قائلين: "يا معلم كل". أما المسيح, فقد وجد أثناء غيابهم, وليمة روحية فاخرة, في اقتبال نفس خاطئة إليه, فأجابهم جواباً عجيباً: "أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم". وفي الأصل يوجد توكيد خاص على كلمتي "أنا", و"أنتم". إن طعامه

لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ». ٣٣فَقَالَ التّلاَمِيذُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَلَعَلَّ أَحَداً أَتَاهُ بِشَيْءٍ لِيَأْكُلَ؟»
٣٤قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي

وشرابه الحقيقيين, هما إشباع الجياع وإرواء العطاش المقبلين إليه. لكن عقل الإنسان الطبيعي لا يستطيع أن يعرف طبيعة الطعام الروحي ومزاياه وقوته (انظر ٦: ٢٧).

عدد ٣٣.(ب) تساؤل التلاميذ فيما بينهم (٤: ٣٣). من المؤسف أن عقول التلاميذ لم تكن قد ارتقت فوق عقل نيقوديموس وعقل السامرية, فكما أن نيقوديموس أساء فهم معنى الولادة الجديدة فظنها ولادة جسدية, وكما فات السامرية أن تفهم القصد من الماء الحي فظنت المسيح يتكلم عن مياه أرضية, كذلك غاب عن التلاميذ أن يدركوا مراد المسيح من قوله "طعام" فظنوه يتكلم عن طعام جسدي وقال بعضهم لبعض "ألعل أحد أتاه بشيء ليأكل". وبمثل ما أجابت السامرية, أجاب التلاميذ: "ألعل".

(ج) المسيح يزيل أسباب تساؤل التلاميذ ع ٣٤ – ٣٨. علم المسيح, علام الغيوب وفاحص القلوب, ما كان يجول في خاطرهم وأدرك ما كانوا عنه يتساءلون فأجاب جواباً مانعاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جامعاً, تناول فيه الكلام عن: (١) طعامه (عدد ٣٤). (٢) الفرصة العظمى التي أمامهم (عدد ٣٥). (٣) المسؤولية العظمى الواقعة عليهم (عدد ٣٦ – ٣٨).

عدد ٣٤ طعامه: قال لهم يسوع: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله". من كلامهم جاوبهم. كانوا يتكلمون عن الطعام, فأجابهم

أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ.
٣٥أَمَا تَقُولُونَ إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ يَأْتِي الْحَصَادُ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا

بالقول: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني". وكما أن الإنسان يتلذذ بالطعام, وبه يتغذى, ويحيا, كذلك كانت مشيئة الآب لذة – المسيح. وغذاءه, وحياته. إننا نلمس من هذه الكلمات: (ا) معرفة المسيح بإرادة الآب: "الذي أرسلني". (ب) حب المسيح لإرادة الآب السماوي: "أن أعمل". (ج) ملازمة المسيح لهذه المشيئة بكل دقة, إلى المنتهى "وأتمم عمله". هل كان يفهم التلاميذ وقتئذ, أن إتمام المسيح لإرادة الذي أرسله, معناه حمل الصليب؟ يتكلم المسيح هنا عن نفسه في وظيفته الفدائية التي قبلها على نفسه من الآب.

عدد ٣٥. (٢) الفرصة العظيمة التي أمامهم: "أما تقولون .... ارفعوا أعينكم وانظروا". بين بئر يعقوب الرابضة عند قدمي جبل جرزيم, وبين مدينة سوخار الجاثية عند قدمي جبل عيبال. يمتد سهل خصيب, كان وقتئذ منزرعاً حبوباً, فاكتسى وجهه ببساط سندسي أخضر. وكان بين هذا الوقت وبين الحصاد أربعة أشهر. وبما أن الحصاد في فلسطين يكون عادة في أواسط شهر أبريل, إذاً تكون هذه الحادثة قد وقعت في أواسط ديسمبر.

رأى التلاميذ بعيونهم الطبيعية – أن الحقل الطبيعي الممتد أمامهم, كان لا يزال أخضر, تعوزه أربعة أشهر حتى يأتي الحصاد, فوجه المسيح بصرهم الروحي إلى حقل روحي قد ابيض للحصاد, وهو الآن ينتظر أهل سوخار. ورفع نظر تلاميذه إلى هذا الحقل الجديد الناضج, الممتد أمام بصرهم.

الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ.
٣٦وَٱلْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَراً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعاً.
٣٧لأَنَّهُ فِي هَذَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ: إِنَّ وَاحِداً يَزْرَعُ وَآخَرَ يَحْصُدُ.
٣٨أَنَا أَرْسَلْتُكُمْ

والفرق بين الحقل الطبيعي, وبين هذا الحقل الجديد, هو أن أولهما كان وقتئذ أخضر, لا يمكن أن يأتي ثمراً إلا بعد مرور أربعة أشهر.وأما ثانيهما, فقد اكتمل نضوجه وأثمر حالما زرعت البذار فيه. إن حصاد أولهما, من حبوب. أما حصاد ثانيهما, فمن قلوب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣٦ – ٣٨. (٣) المسؤولية العظمى الواقعة على التلاميذ: مادامت الحقول قد ابيضت أمامهم, فما عليهم إلا أن يتقدموا لجني ثمار هذا الحصاد الذي تعب في زرعه سواهم. على أن المكافأة تكون للزرع للحاصد معاً: "آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم". "الآخرون" – هم أنبياء العهد القديم, ويوحنا المعمدان, والسامرية, والمسيح. ومن الملاحظ أن عين نون, التي كانت مركزاً لدائرة خدمة يوحنا المعمدان, قريبة من السامرة. ولئن كان عمل الزارع أشق من عمل الحاصد, لأنه يزرع بالدموع, وقد يضطر أحياناً أن يأخذ قوت أولاده ويزرعه, لكنه سيفرح متى جاء وقت الحصاد. على أنه من نصيبه أيضاً أن يزرع لغده, مثلما حصد هو من زرع أمسه (مزمور ١٢٦: ٥ و٦).

إن هذا القول الذي فاه به المسيح, لا يقتصر على تلك الحادثة ولا يحتكر للتلاميذ, بل ينطبق على الخدمة والخدام في كل جيل. إذ في كل عصر

لِتَحْصُدُوا مَا لَمْ تَتْعَبُوا فِيهِ. آخَرُونَ تَعِبُوا وَأَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ عَلَى تَعَبِهِمْ».٣٩فَآمَنَ بِهِ مِنْ تِلْكَ
الْمَدِينَةِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ بِسَبَبِ كلاَمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ أَنَّهُ: «قَالَ لِي كُلَّ مَا
فَعَلْتُ». ٤٠فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّونَ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ

يوجد حصاد, وحيثما يوجد حصاد, فالحاصدون مدينون لمن زرعوا قبلهم هذه سلسلة نورانية تربط جميع الخدام, في كل جيل بلا تفضيل.

ثالثاً: يسوع والسامريون ٤: ٣٩ – ٤٢.

يعالج هذا الفصل إيمان السامريين: (١) إيمانهم في درجته الابتدائية (عدد ٣٩). (٢) ثمرة إيمانهم في درجته الابتدائية (عدد ٤٠). (٣) إيمانهم في درجته الراقية (عدد ٤١). (٤) ثمرة إيمانهم في درجته الراقية (عدد ٤٢). (٥) موضوع إيمانهم (عدد ٤٢) (ب).

عدد ٣٩. (١) إيمان السامريين في درجته الابتدائية. هذا هو الإيمان السماعي "بسبب كلام المرأة التي تشهد: أنه قال لي كل ما فعلت". مع أنه كان إيماناً سماعياً, إلا أنه كان إيماناً نامياً, مثمراً.

عدد ٤٠. (٢) ثمرة إيمان السامريين في درجته الابتدائية. أما هذه الثمرة, فهي أنهم جاءوا إلى يسوع وسألوه أن يمكث عندهم. إن الذي ينال قسطاً من النور, لا يهدأ حتى ينال قسطاً أوفر. قبلاً شرب السامريون من ماء الحياة, بواسطة تلك المرأة, فكانوا كمن يشرب من ماء النهر بالجرة. أما الآن, فقد عزموا على أن يشربوا من نهر الحياة مباشرة. ومع أن وقت

فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ. ٤١فَآمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جِدّاً بِسَبَبِ كلاَمِهِ. ٤٢وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ: «إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ
بِسَبَبِ كلاَمِكِ نُؤْمِنُ لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح ثمين جداً إلا أنه لم يبخل به على طالبيه الأممين المعادين لجنسيته, بل وهبهم يومين من أيامه المعدودات على الأرض. لا بل أعطاهم حياته كلها, إذ قدمها على الصليب.

عدد ٤١. (٣) إيمان السامريين في درجته الراقية: "فآمن به أكثر جداً بسبب كلامه". فرق عظيم بين الإيمان السماعي, والإيمان الإختباري. فرق بين أعمى يسمع وصفاً بليغاً عن ألوان الغروب البديعة, وبين مبصر يفتح عينيه ليرى – "الذي رأيناه بعيوننا. الذي شاهدناه ولمسته أيدينا".

عدد ٤٢. (٤) ثمرة إيمانهم في درجته الراقية (عدد ٤٢ (أ)). هذه هي اعترافاتهم بهذا الإيمان لمبشرتهم العظيمة. وأنهم لم يكونوا بكلامهم هذا ناكري فضل مبشرتهم, بل كانوا مقرين بفضل مخلصهم. أما أساس إيمانهم, فمزدوج: (أ) السمع: "لأننا قد سمعنا" – كلام المسيح من فم المسيح. (ب) العلم: "ونعلم" من يقين اختبارنا – "أن هذا هو المسيح مخلص العالم". إذاً كان هؤلاء السامريون, أوسع فكراً من اليهود, الذين كانوا يعتقدون أن المسيح سيجيء ليخلص الأمة اليهودية وحدها خلاصاً مادياً سياسياً. أما هؤلاء السامريون, فقد آمنوا أنه مخلص روحي للعالم أجمع. إن شهادتهم أعظم تفسير لما جاء في ٣: ١٦ "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد". بإيمانهم هذا, أقاموا الحجة الدامغة على أنهم أجادوا فهم وعد

بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ».٤٣وَبَعْدَ الْيَوْمَيْنِ خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ

الله لإبراهيم: "بنسلك تتبارك جميع أمم الأرض". ها قد بلغ إيمانهم بالمسيح مرتبة أسمى من انتظارات السامرية. كانت هي تنتظر أن المسيح متى جاء يخبرهم بكل شيء (عدد ٢٥). أما هم, فقد آمنوا أنه "مخلص" لا مجرد معلم. الآن أدركت السامرية ومواطنوها, "أن الخلاص" – بل المخلص نفسه – "هو من اليهود" – (عدد ٢٢).

إن إيمان السامرية, وإيمان أهل مدينتها, هما أجمل تفسير لقول البشير: "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه" (١: ١٢ و١٣).

---

(١) تقول بعض التقليدات القديمة أن اسم المرأة "فوتينا".
(١) يعتقد السامريون أنه على هذا الجبل قدم إبراهيم اسحق ابنه ذبيحة. وقد جاء في التلمود (باب بريشيت ربا): "أن الراب يوحنان مر بجبل جرزيم في طريقه ليسجد في أورشليم. فابتدره سامري بالقول: "كان ينبغي لك أن تصلي في هذا الجبل المقدس (جرزيم) بدلاً من أن تصلي على ذلك الجبل الملعون (عيبال)".
(١) كان أحد الفريسيين معروفاً وقتئذ لدى قومه "بالفريسي الدامي الجبهة" لأنه كان مرة سائراً في الشارع, مغمضاً عينيه, لئلا يرى امرأة في الطريق, فاصطدم رأسه بجدار, وسالت منه الدماء, فلقب بـ "الفريسي الدامي الجبهة" – لقب ما أشرفه عندهم!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح في الجليل

٤: ٤٣-٥٤

أولاً: مقدمة تاريخية ٤: ٤٣ – ٥٤. ثانياً: المعجزة الثانية في هذه البشارة إبراء ابن خادم الملك ٤: ٤٦ – ٥٤.

أولاً: مقدمة تاريخية ٤: ٤٣ – ٥٤. مثلما انتشر الإيمان في السامرة, فشا عدم الإيمان في اليهودية.لكن الجليل اتخذ موقفاً غامضاً – لا هو موقف الإيمان ولا عدم إيمان. "بعد اليومين" اللذين صرفهما المسيح في السامرة, إجابة لدعوة أهلها. "خرج من هناك ومضى إلى الجليل" منفذاً خط السير الذي كان قد وضعه ي فكره سابقاً (٤: ٣).

عدد ٤٣ و٤٤ علة عدم ابتدائه خدمته من الجليل. لم يكن من الممكن أن يبتدئ المسيح خدمته الجهرية في الجليل, "لأن يسوع نفسه شهد أن ليس

وَمَضَى إِلَى الْجَلِيلِ ٤٤لأَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ شَهِدَ أَنْ: «لَيْسَ لِنَبِيٍّ كَرَامَةٌ فِي وَطَنِهِ». ٤٥فَلَمَّا
جَاءَ إِلَى الْجَلِيلِ قَبِلَهُ الْجَلِيلِيُّونَ إِذْ كَانُوا قَدْ عَايَنُوا كُلَّ مَا فَعَلَ فِي أُورُشَلِيمَ فِي الْعِيدِ لأَنَّهُمْ هُمْ
أَيْضاً جَاءُوا إِلَى الْعِيدِ. ٤٦فَجَاءَ يَسُوعُ

لنبي كرامة في وطنه". لذلك ذهب أولاً إلى أورشليم وصنع معجزات فاكتسب اسماً كنبي, وبهذا الاسم الذي كسبه خارج وطنه, جاء إلى الجليل وطنه.

عدد ٤٥ علة قبول الجليليين له "فلما جاء إلى الجليل" – وكان قد سبقه صيته إليها – قبله الجليليون", إذ كانوا قد عاينوا كل ما فعل في أورشليم في العيد. لأنهم هم أيضاً" – "جاءوا إلى العيد". ما أشبه إيمانهم بإيمان أولئك الفريسيين الذين "لم يأتمنهم المسيح على نفسه" (٢: ٢٤)!.

يعتقد كالفن, وهنجستنبورج, وغيرهما: أن المسيح إذ شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه, لم يرغب في لأن يذهب إلى الناصرة, حيث كان قد تربى, بل ذهب إلى كفر ناحوم, التي اختارها وطناً ثانياً له. ونعتقد نحن بصوابية الرأي الأول (انظر مر ٤: ١).

ثانياً: المعجزة الثانية – إبراء ابن خادم الملك ٤: ٤٦ – ٥٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في هذه المعجزة يتجلى أمامنا:

(أ) مجاهرة الإيمان (ع ٤٦ – ٤٩). (ب) ثقة الإيمان (عدد ٥٠(أ)). (ج) طاعة الإيمان (عدد ٥٠(ب)). (د) مكافأة الإيمان (عدد ٥١ و٥٢). (هـ) نمو الإيمان (عدد ٥٣). كلمة ختامية (عدد ٥٤).

أَيْضاً إِلَى قَانَا الْجَلِيلِ حَيْثُ صَنَعَ الْمَاءَ خَمْراً. وَكَانَ خَادِمٌ لِلْمَلِكِ ابْنُهُ مَرِيضٌ فِي كَفْرِنَاحُومَ.
٤٧هَذَا إِذْ سَمِعَ أَنَّ يَسُوعَ قَدْ جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ انْطَلَقَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ وَيَشْفِيَ
ابْنَهُ لأَنَّهُ كَانَ مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ. ٤٨فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لاَ تُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ

هذه هي المعجزة الثانية التي أجراها المسيح – في قانا الجليل, ودونها هذا البشير. أما المعجزة الأولى, فهي تحويل الماء إلى خمر. المعجزة الأولى تمت في وليمة عرس. والمعجزة الثانية, تمت في بيت مغمور بالدموع – وكذلك تمس معجزاته أرقى درجة في أفراحنا, وأعمق درك في أتراحنا. إن مخلصنا له قلب متسع يفرح مع الفرحين, فيقدس أفراحهم, ويبكي مع الباكين فيكفكف دموعهم. فهو يلتقي بنا والشمس مشرقة في نهار الهناء, ويجتمع بنا إذا جن الليل وحم القضاء.

ع ٤٦ – ٤٩ (أ) مجاهدة الإيمان. هذه المعجزة أشبه الأشياء بمرآة صافية يتجلى فيها إيمان خادم الملك. والأدوار التي اجتازتها هذه المعجزة, تعتبر بمثابة درجات ارتقى عليها إيمان الرجل, فمن الإيمان السماعي (٤٧), إلى الإيمان النظري (٥٠), إلى الإيمان العملي الاختباري (٥٣). ما أشبه هذه الدرجات بتلك التي ارتقى عليها لإيمان المرأة السامرية, وإيمان المولود أعمى (ص ٩).

في بادئ الأمر, كان كل إيمان الرجل في المسيح, قاصراً على أنه

وَعَجَائِبَ!» ٤٩قَالَ لَهُ خَادِمُ الْمَلِكِ: «يَا سَيِّدُ انْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي». ٥٠قَالَ لَهُ يَسُوعُ:
«اذْهَبْ. اِبْنُكَ حَيٌّ». فَآمَنَ الرَّجُلُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي

مجرد صانع معجزات, فذهب إليه يستعطفه من فرط حاجته. – وأي حاجة أشد من مرض الابن؟؟

عدد ٥٠. (ب) ثقة الإيمان. قبل أن يهتم المسيح بشفاء جسد الابن المريض, اهتم أولاً, بمعالجة إيمان أبيه. فاستل من كنانته سهماً حاداً, وصوبه إليه, ليزيل ما في قلبه من أدران الضعف والمادة – سهم ما أحده!: "لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب"(عدد ٤٨). غالباً كان إيمان هذا الرجل رمزاً ومثالاً لإيمان مواطنيه الجليليين (عدد ٤٥). على أن هذا السهم الحاد كان يحمل معه قوة رافعة, فحمل إيمان الرجل من درجة مادية نظرية, إلى درجة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سماوية عملية, وقد نجح المسيح في قصده, لأن الرجل ازداد لجاجة وتحمساً, إذ قال: "يا سيد انزل قبل أن يموت ابني".

(ج) طاعة الإيمان (عدد ٥٠ (ب)). الآن رأى المسيح أن الوقت قد حان ليضع فيه إيمان الرجل على محك الطاعة فقال له: "اذهب. ابنك حي". وقد كان إيمان الرجل عند حسن ظن المسيح "فآمن الرجل بالكلمة" – مع أنه لم ير فعلاً بعد – "التي قالها يسوع فذهب". ولقد كان من الصعب على الرجل أن يترك المسيح ويمضي, ولكنه أطاع الكلمة معتقداً أن لكلمة المسيح منطقة نفوذ أبعد وأوسع مما يتصور العقل البشري. وما دام قد أخذ معه "الكلمة" فقد أخذ معه المسيح نفسه أو ليس المسيح هو "الكلمة"

قَالَهَا لَهُ يَسُوعُ وَذَهَبَ. ٥١وَفِيمَا هُوَ نَازِلٌ اسْتَقْبَلَهُ عَبِيدُهُ وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ».
٥٢فَاسْتَخْبَرَهُمْ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا أَخَذَ يَتَعَافَى فَقَالُوا لَهُ: «أَمْسِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ تَرَكَتْهُ
الْحُمَّى». ٥٣فَفَهِمَ الأَبُ أَنَّهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي قَالَ لَهُ فِيهَا يَسُوعُ إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ. فَآمَنَ هُوَ
وَبَيْتُهُ كُلُّهُ.

(١: ١). الآن صار إيمان الرجل مبنياً على كلمة المسيح نفسه لا على المسموعات التي كانت منتشرة عن المسيح. الآن قد صار إيمانه على مستوى إيمان السامريين (٤١).

عدد ٥١ و٥٢. (د) مكافأة الإيمان. هذه نتيجة طاعة الإيمان. وقد كافأ بها المسيح, إيمان الرجل. "فيما هو نازل, استقبله عبيده وأخبروه قائلين أن ابنك حي. فاستخبرهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى فقالوا له أمس في الساعة السابعة تركته الحمى". الآن قد تحقق إيمان الرجل وتأيد. "ففهم الأب أنه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع أن ابنك حي".

عدد ٥٣. (هـ) نمو الإيمان. ها قد بلغ إيمان الرجل ذروة القوة, إذ تقوى فأضحى إيماناً اختبارياً عملياً "فآمن هو وبيته كله" (٥٣). وكذلك كانت نتيجة المعجزة الأولى التي أجراها المسيح في قانا الجليل: ازدياد الإيمان وتعمقه (٢: ١١).

٥٤هَذِهِ أَيْضاً آيَةٌ ثَانِيَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ لَمَّا جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ.

عدد ٥٤. خاتمة تاريخية. "هذه أيضاً آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية إلى الجليل". من المحقق أن معجزات كثيرة حدثت بين هذه المعجزة, وبين المعجزة الأولى التي أجريت في قانا الجليل. فليست هذه هي المعجزة الثانية من حيث الترتيب, بل هي ثاني معجزة صنعها المسيح بمناسبة رجوعه من اليهودية إلى الجليل. وتلك كانت المعجزة الأولى من هذا القبيل. كأنهما كانتا معجزتين تذكاريتين لهذه الزيارة المباركة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المعجزة الثالثة: المسيح مجدد الحياة

اَلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ

بدء الصراع بين المسيح ورؤساء اليهود

١وَبَعْدَ هَذَا

يفتتح هذا الأصحاح, فصلاً جديداً في خدمة المسيح على الأرض. إلى الآن, رأينا المسيح يواجه شخصيات منفردة, قد تمثل فريقاً من القوم: في أورشليم, واليهودية, والسامرة, والجليل. وفي كل هذه الشخصيات لمحنا شعاعاً بل أشعة من نور الإيمان الصحيح. وها نحن نرى أنفسنا الآن أمام طلائع الصراع العنيف الذي انتهى بالصلب, وتوج بالقيامة. منذ الآن سنرى الإيمان وعدم الإيمان يتمشيان معاً كما في صفين متقابلين, فعلى قدر ما يكون النور باهراً, يكون الظلال المتكون منه قاتماً. إن أعمال المسيح وأقواله المسطورة في الأصحاحات الآتية, صارت تحريضاً للناس على أن يعملوا أعمالاً وأن يقولوا أقوالاً, ما كانوا يعملونها ويقولونها لولا أعمال المسيح وأقواله.

ومن الحقائق التي يقطر لها القلب لوعة وأسى, أن المكان الذي كان ساحة لهذا الصراع الدموي, هو أورشليم – أقدس الأمكنة اسماً, وأتعسها فعلاً. وأن الأوقات التي تدللت على أحضانها هذه المأساة المفجعة, هي أعياد اليهود – مواسم ما أشبهها بالمآتم! وأن الأعمال التي استفزت جرائم اليهود, هي معجزات الرحمة التي أتاها المسيح: - معجزة شفاء مريض بيت حسدا

كَانَ عِيدٌ

(ص ٥), ومعجزة تفتيح عيني المولود أعمى (ص ٩), ومعجزة إقامة لعازر من الموت (ص ١١). وهكذا يستحيل الدسم الطيب, في الأفواه الملوثة, إلى سم زعاف. وهكذا تتولد النقمة من النعمة, على أحضان الحقد والحسد والبغضاء.

في هذا الأصحاح, نرى المسيح مجدد الحياة. وفي الأصحاح السادس, نلمح المسيح مقيت الحياة ومشبعها. وفي الأصحاح السابع, نجد المسيح نبع الحياة. وفي الأصحاح الثامن, نلتقي بالمسيح هادي الحياة. وفي الأصحاح التاسع نشاهد المسيح نور الحياة. وفي الأصحاح العاشر, نلحظ المسيح رائد الحياة وقائدها. وفي الأصحاح الحادي عشر, نقف وجهاً لوجه أمام المسيح الذي هو حياة الحياة وواهب الحياة لساكني القبور.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ينقسم هذا الأصحاح إلى قسمين رئيسيين:

أولاً: معجزة إبراء مريض بركة بيت حسدا ٥: ١ – ١٦.

ثانياً: الحديث الذي فاه به المسيح تعليقاً على هذه المعجزة ٥: ١٧– ٤٧

أولاً: معجزة إبراء مريض بركة بيت حسدا. ٥: ١ – ١٨. يحدثنا هذا الفصل عن: (أ) المعجزة في ذاتها ٥: ١ – ٩ (ب) أثرها المباشر ٥: ١٠ – ١٨.

(أ) المعجزة في ذاتها. ٥: ١ – ٩. تتضمن هذه الأعداد وصفاً سباعياً للمعجزة:

(١) زمانها بوجه عام ٥: ١ (أ). (٢) مكانها على وجه التعميم ٥: ١ (ب).

لِلْيَهُودِ

(٣) مكانها على وجه التخصيص ٥: ٢. (٤) ملابساتها ٥: ٣ و٤. (٥) الرجل الذي تمت فيه المعجزة. (٦) الدرجات التي سارت عليها ٥: ٦ – ٨ (٧) زمانها ٥: ٩.

عدد ١. زمانها بوجه عام: "وبعد هذا كان عيد" ٥: ١ (أ). قوله: "بعد هذا" يربط هذا الأصحاح بما قبله, من حيث الزمن, والصلة. أما الزمن الذي توسط بين الأصحاحين, فليس من الميسور معرفة مقداره, إلا بعد تعيين العيد المقصود بقوله "كان عيد".

أهو عيد الخمسين كما قال يوحنا فم الذهب, وكيرلص الإسكندري؟ أم هو عيد الفصح كما ارتأى ايريناوس ولايتفوت؟ أم هو عيد المظال على حد قول إيوالد؟ أم هو عيد الكفارة كما ظن كاسباري, أم هو عيد الفوريم كما اعتقد جودي وماير ومن إليهما من المفسرين؟؟؟

إن ورود كلمة "عيد" مجردة من أدوات التعريف, دليل على أنها لا تشير إلى أحد الأعياد الرئيسية التي اعتاد البشير أن يذكرها بالذات: فهي لا تعني عيد الفصح (٢: ١٣ و٦: ٣), ولا عيد المظال (٧: ٢). ولا يحتمل أنها تشير إلى عيد الخمسين لأن هذا لم يكن نكرة بين الأعياد. وبما أن حوادث الأصحاح السابق وقعت في شهر ديسمبر (٤: ٣٥), وحوادث الأصحاح التالي تمت في شهر إبريل (٦: ٤), فمن الطبيعي, أن يكون هذا العيد الواقع بين هذين التاريخين, هو عيد الفوريم الذي يحتفل به اليهود في مارس عادة, ذكرى لنجاتهم من مكيدة هامان, بوساطة الملكة استير.

فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. ٢وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا»

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولم يكن لهذا العيد, نفس الاعتبار الذي كان للثلاثة الأعياد الرئيسية في نظر اليهود, لأنه لم يوضع برسم إلهي, لذلك اكتفى البشير بأن وصفه بكلمة نكرة – "عيد".

(٢). مكانها على وجه التعميم ٥: ١ (ب): "فصعد يسوع إلى أورشليم" – الصعود هنا جغرافي لأن أورشليم مرتفعة – فهي مبنية على جبل.

عدد ٢. (٣) مكانها على وجه التخصيص ٥: ٢ "وفي أورشليم عند باب الضأن بركة يقال لها بالعبرانية بيت حسدا, لها خمسة أروقة". في هذا العدد يصف البشير تلك البركة وصفاً مثلثاً. (أ) في موقعها: "عند باب الضأن" كان هذا الباب على مقرب من الهيكل, في جهة المشرق. وغالباً سمي كذلك, لأن غنم الذبح كانت تدخل منه إلى الهيكل. (ب) في اسمها: "يقال لها بالعبرانية بيت حسدا" – ومعناها "بيت الرحمة", ويعتقد بعض المفسرين أن الكلمة العبرية معناها: "بيت الأروقة". فالمعنى الأول يكنى به عن الرحمة التي كان ينالها المرضى بالاستشفاء في تلك البركة. والمعنى الثاني يرمز به على الأروقة التي كانت مقامة عليها. والمعنى الأول هو الأصوب.

ليس من الممكن تعيين هذه البركة في وقتنا الحاضر. وربما هي المعروفة الآن: بـ"نبع العذراء" الذي يجري ماؤه في قناة تحت الأرض إلى بركة

لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. ٣فِي هَذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ يَتَوَقَّعُونَ

سلوام, وتسمى أيضاً: "بركة الملك" (نح ٢: ١٤). (ج) في بنائها: "لها خمسة أروقة" – الأرجح أنها كانت مبنية حول البركة ليستريح فيها المرضى الذين كانوا يقصدونها للاستشفاء. وما أكثر أمثالها في عصرنا الحاضر في الهند وفي بلاد العرب, وفي حلوان والإمام الشافعي بمصر.

عدد ٣. (٤) ملابساتها: "في هذه كان مضجعاً جمهور كثير من مرضى ...." كانت مياه هذه البركة غنية بالخواص المعدنية, وإلى هذا تعزى قوتها الشافية, التي كان يقصدها جمهور كثير من فرائس الأمراض المزمنة. ويقول يوسابيوس إن مياه تلك البركة كانت في عصره محمرة مما يدل على أنها كانت تحتوي على جانب عظيم من المواد الحديدية والكبريتية. "العسم" – هم المصابون بجفاف في مفاصل اليدين والرجلين ويعرف مرضهم الآن بداء النقرس. "يتوقعون تحريك الماء" – هذا دليل على أن الخواص المعدنية الكامنة في مياه البركة, كانت تنتعش بتحريكها. ويعتقد المفسرون أن ماء تلك البركة كان يجري إليها من عين دورية, يجري ماؤها عادة بهدوء واعتدال, وأحياناً يتدفق ويجري بشدة, فتطفو رواسبه وتعلوها رغوة خاصة. ويقو الدكتور ادي إن مثل هذا الماء كثير في الأرض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المقدسة مثل "نبع عنجر" في البقاع قرب بعلبك, وفوار "دير الحمراء" قرب قلعة الحصن. وعين منبج في إقليم البلان, شرقي "بيت جن", وماؤها

تَحْرِيكَ الْمَاءِ. ٤لأَنَّ ملاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ. ٥وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ

يجري إلى النهر الأعوج. و"عين العذراء" التي يرجح بعضهم أنها "بركة بيت حسدا". (قد لاحظ وستكوت بعد البحث والاستقراء أن هذا الجزء الأخير من عدد ٣, وعدد ٤, غير موجود في أقدم النسخ الخطية).

عدد ٤. جملة تفسيرية معترضة: "لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً ..." تحدثنا هذه الكلمات عن الاعتقاد الذي كان شائعاً بين جمهور العامة بما فيهم المستشفين, لا عن اعتقاد البشير نفسه. ومن الطبيعي أن يعتقد العامة بمثل هذا الاعتقاد, لأن سواد الناس, في كل مكان, اعتادوا أن ينسبوا الخيرات التي يجهلون مصدرها إلى الملائكة الأخيار.

عدد ٥. (٥) الرجل التي تمت فيه معجزة الشفاء. "وكان هناك إنسان ..." هذا هو بيت القصيد في هذه المعجزة, إذا استثنينا المسيح. إن الثماني والثلاثين سنة التي قضاها هذا الرجل رازحاً تحت المرض, تنبئنا باليأس الذي استحوذ عليه طوال هذه المدة التي قد يكون من السهل النطق بها. ولكن ما أصعب وما أمر اختبارها! استنتج بعض المفسرين من تواق مدة مرض هذا الرجل, مع المدة التي قضاها بنو إسرائيل في البرية, إن هذا الرجل يرمز إلى الأمة الإسرائيلية, التي كانت مصابة بالشلل الروحي والأدبي, عند مجيء المسيح.

ثَمَانٍ وَثلاَثِينَ سَنَةً. ٦هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً

على أن هذا الرأي لا يخرج عن كونه ضرباً من الخيال. إن الثماني والثلاثين سنة هي عمر كامل, وهي كافية للتدليل على أن المرض عديم الشفاء فهي بمثابة القول: "أعمى منذ ولادته" (٩: ١).

(٦) الأدوار التي سارت عليها المعجزة ٥: ٦ –٨ لقد سارت هذه المعجزة على ثلاثة أدوار: أحدها إعدادي (عدد ٦), والثاني تنفيذي (عدد ٨), يصل بينهما استعداد الرجل للشفاء (عدد ٧), والدور الثالث تحذيري (عدد ١٤).

عدد ٦. الدور الأول. في هذا الدور ثلاث درجات: (١) "رأي". (٢) "علم". (٣) "فقال ..." (١) "رأي" – هذه الكلمة تنبئنا بعطف المسيح الذي تجول عيناه في كل الأرض لتنظرا البائس. لقد رآه المسيح من غير استجداء ولا استرحام. وكذلك سائر المعجزات المدونة في هذه البشارة – إلا معجزة إبراء ابن خادم الملك في كفرناحوم (٤: ٤٧). (٢)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"علم" - هذا علم العليم المحيط بكل شيء, الذي لا يحتاج إلى أن يعلمه أحد. إن صحيفة حياة هذا الرجل كانت مفتوحة أمام المسيح يقرأها حرفاً حرفاً (عدد ١٤) وكذلك كان المسيح عالماً بماضي المرأة السامرية وحاضرها. (٣) "فقال له أتريد أن تبرأ؟ ..." غير أن المسيح يرى ويستفهم, فيعلم, ثم يتحول عن المريض فيعبر. لكن المسيح رأى , وعلم, فأراد أن يحسن إلى الرجل. ولكي يعده لقبول هذا الإحسان سأله قائلاً: "أتريد أن تبرأ؟". بهذا السؤال فتح المسيح أمام الرجل باب الرجاء الذي ظل موصداً أمام وجهه طوال سني

كَثِيراً فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» ٧أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ

المرض سيما في الأوقات الأخيرة. هذا سؤال يحمل بين ثناياه وعداً جليلاًً, وشرطاً لازماً لنوال الوعد. بهذا السؤال أراد المسيح أن يضع إرادة الرجل على محك الاختبار. فالكلمة الأصلية المترجمة "أتريد" تفيد العزيمة القوية التي ترضى أن تضحي بكل شيء في سبيل نوال ما تريد.لم يسأل المسيح ذلك الرجل عن مجرد رغبته بل عن إرادته. فالرغبة شيء والإرادة شيء آخر. فالكسول المتواكل يرغب ويتمنى أن يكون له قصر منيف لكنه لا يريد أن يكد ويعمل. أما المستكشف العظيم فإنه يضحي بالنفس والنفيس في سبيل كشف ما يريد. ولقد كان من الضروري أن يسأل المسيح ذلك الرجل عن إرادته مخافة أن يكون الرجل قد رغب في حياة التواكل والكسل, مستمتعاً بأكل الطعام الذي يتساقط من أيدي المحسنين, راغباً عن حياة الجد والكد والعمل. بهذا السؤال أراد المسيح أن يحول أنظار الرجل وانتظاراته من البركة ومائها, وأن يوجهها إلى شخصه الكريم فيصرفه عن العلاج الموهوم, إلى مصدر العلاج الناجح (أعمال ٣: ٤).

عدد ٧. حلقة الاتصال بين الدورين "أجابه المريض يا سيد ليس لي إنسان". نظر المريض إلى هذا الشخص العجيب في ذاته, العجيب قي سؤاله, وقال: يا سيد. أتسألني عما إذا كنت أريد أن أبرأ؟ هو ذا الإرادة حاضر عندي لكن القدرة مفقودة, والعون معدوم. ما أشد المرارة التي

يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ». ٨قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ».

٩فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ.

عدد ٩. إتمام المعجزة: "فحالاً برئ الإنسان وحمل سريره ومشى" ظاهر من هذا الكلام, أن الرجل برئ, حالما همّ بالقيام. وبعد أن نال الشفاء حمل سريره ومشى. إن قوة المسيح سرت في الرجل, حالما عزم أن يقوم. إذاً كانت طاعته لأمر المسيح القائل له:"قم", باباً رحباً, دخلت منه قوة المسيح الشافية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٧) زمان المعجزة: "وكان في ذلك اليوم سبت". كلمة "سبت" في هذا الموضع, لا تعني اليوم السابع في الأسبوع, بل أن اليوم الذي تمت فيه هذه المعجزة كان يوم "راحة" عند اليهود, نسبة للعيد (عدد ١). بهذه الكلمات يختتم الفصل السابق, ويفتتح الفصل اللاحق. فهي حلقة اتصال بين المعجزة نفسها, وبين أثرها المباشر.

الأثر المباشر للمعجزة ٥: ١٠- ١٨

في هذا الفصل مرسومة أمامنا ثلاث صور: الصورة الأولى ترينا اليهود والرجل (٥: ١٠ و١٣). والصورة الثانية ترينا المسيح والرجل - والدور النهائي في المعجزة (٥: ١٤). والصورة الثالثة ترينا اليهود والمسيح (٥: ١٥-١٨).

عدد١٠: الصورة الأولى- اليهود والرجل. (أ) اليهود يحرمون على الرجل حمل سريره (عدد ١٠). (ب) الرجل يحتمي وراء طبيبه المجهول. (ج) اليهود يستجوبون الرجل عن شخصية هذا الطبيب المجهول (عدد ١٢). (د) الرجل يجهل أن طبيبه هو المسيح (عدد ١٣).

١٠فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ: «إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ». ١١أَجَابَهُمْ: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي

عدد ١٠ (أ) اليهود يحرمون على الرجل حمل سريره يوم السبت: "فقال اليهود للذي شفي أنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك". "اليهود" المقصودين هنا, هم العنصر المعادي للمسيح, الممثل في الرؤساء الدينيين. كانت مصيبة هؤلاء اليهود, اهتمامهم بالحرف دون الروح. فكسر عظام إنسان ما, وكسر قلبه, لا يؤذيان شعورهم, قدر كسر السبت. ومع أن رؤية إنسان قد تعافى من مرض لازمه مدة ثمان وثلاثين سنة, تنطق الأحجار بالشكر, وترقص أوراق الشجر, إلا أن قلوب الفريسيين لم تبال بإنسان شفي, بل حزنت على سبت كسر. هؤلاء هم أعداء البشرية, اللابسين ثياب خدامها هم ألد أعداء الشريعة, المدعين الدفاع عنها. هؤلاء هم العميان الذين جهلوا – أو تجاهلوا – أن السبت خلق للإنسان, لا الإنسان للسبت. فبدلاً من أن يهنئوا الرجل وأنفسهم, على بركة الشفاء, عكروا عليه صفو حياته, الجديدة, وأوقفوه أمام الشريعة موقف المتهم المتلبس بجريمته, بقولهم له: "إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك". ولعلهم بنوا كلامهم هذا على ما جاء في إرميا ١: ٢١. ويروى عن اليهود الرابيين أنهم فصلوا الوصية الرابعة إلى ثلاثين مادة, ومن ضمنها قولهم: "لا يجوز حمل سرير المرض يوم السبت".

عدد ١١. (ب) الرجل يحتمي وراء طبيبه لمجهول: أجابهم أن الذي أبرأني هو قال لي احمل سريرك وامش". إن جوابه هذا ينم عن اقتناع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». ١٢فَسَأَلُوهُ: «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟».
١٣أَمَّا الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ إِذْ كَانَ

منه, بأنه وجد في طبيبه الشافي شخصاً أرقى من شخصيات هؤلاء اليهود المستجوبين إياه. بل أنه وجد شخصاً هو سيد السبت أيضاً.

ويلوح لنا أ، الكلمتين المركزيتين في جوابه هما:" أبرأني" و "هو". وفي الغالب أراد الرجل بجوابه هذا, أن يتخلص من تبعة كسر السبت, بإلقائها على طبيبه الآمر.

عدد ١٢. (ج) اليهود يستجوبون الرجل عن شخصية هذا الطبيب المجهول: "فسألوه من هو الإنسان...". إن النبرة في كلامهم, واقعة في قولهم: "إنسان". كأنهم أرادوا أن يقولوا له: "ما هي شخصية هذا المخلوق النكرة الذي يجترئ على كسر الشريعة الإلهية السامية"؟ وفي نفس الوقت, أرادوا أن ينكروا عليه قوته الشافية. فالرجل ينبر في جوابه على كلمة "أبرأني" وهم ينبرون في استجوابهم على كلمة "إنسان".

عدد ١٣. (د) الرجل يجهل أن طبيبه هو المسيح: "أما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو" - الذي شفاه - "لأن يسوع اعتزل" - هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة "اعتزل" في العهد الجديد. ومعناها الحرفي: أمال رأسه ليتفادى صدمة: "إذ كان في الموضع جمع" - هذه العبارة تبين لنا علة اعتزاله أي أنه اعتزل الجماهير, مخافة أن يحملوا بتيار إعجابهم بمعجزته,

فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ. ١٤بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ».

فيحاولوا أن يجعلوه ملكاً وهو لا يرضى بعرش منفصل عن الصليب. ويعتقد جودي وهنجستبورج, أن وجود الجمع في الموضع لم يكن علة اعتزال المسيح, وإنما سهل عليه الاعتزال, فلم يشعر به أحد, لكثرة تجمهر الناس. والرأي الأول هو الطبيعي, على الأرجح.

عدد ١٤. (٢) الصورة الثانية - المسيح والرجل: أو الدور الأخير في المعجزة. هذا هو الدور التحذيري: "بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل". اعتزل المسيح تلك الجموع المتجمهرة التي تزحمه, ليفتش على نفس منفردة تطلبه. إن أحسن مكان تلتقي فيه النفس بالمسيح على انفراد, هو بيت الله. غالباً ذهب الرجل إلى الهيكل ليقدم الشكر لله على شفائه, وفي هذا الطريق المقدس, وجده المسيح - مثلما وجد الأعمى المطرود من اليهود (١٩: ٣٥) - وأعلن له ذاته, وقدم له تحذيراً يقطع عليه خط الرجوع إلى المرض, لأن الانتكاس أشد خطراً من المرض الأصلي: "ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً". واضح من كلمة "أيضاً" أن مرض الرجل كان نتيجة وقوعه في خطية ما. على أنه لا ينبني على هذا, أن كل مرض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يبلى به الإنسان, يكون نتيجة خطية معينة, كأن الأصحاء بلا خطية. ولو أن الأمراض بوجه عام, هي اللطخة التي تركتها الخطية على جبين البشرية. ومهما يكن من علة المرض, فإن في إمكان المسيح أن يتسلط عليه, فيجعله مرآة لمجد الله (١١: ٤).

١٥فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ الْيَهُودَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ.١٦وَلِهَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ عَمِلَ هَذَا فِي سَبْتٍ.

(٣) الصورة الثالثة - اليهود والمسيح ٥: ١٥-١٨.

عدد ١٥. (أ) الرجل يمضي ليرد جواباً على اليهود: "فمضى الإنسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه". غالباً كان قصد الرجل في ذهابه إلى اليهود, أن يرد عليهم جواباً عن سؤالهم الذي سبقوا فوجهوه إليه (عدد ١٢), وتعذر عليه أن يجيب عنه وقتئذٍ. على أنه في ذات الوقت, كان خير مبشر بالمسيح, لأن البشارة ليست سوى إبلاغ الخبر الطيب للآخرين. كانت بشارة هذا الرجل من الدرجة الممتازة, لأنها مؤسسة على اختباره الشخصي. ولعله قصد أن يرفع عن كتفه آخر ذرة من المسؤولية التي أوقعه اليهود تحتها, في حمله سريره يوم السبت([١]), وأن يلقيها على من هو أهل لأن يتحملها أمام الرؤساء, فيقرعهم بحجته وبيانه, ويناضلهم بنفوذه وسلطانه.

عدد ١٦. أول شرر يتطاير من أتون حقد اليهود: "ولهذا كان اليهود يطردون يسوع" – يراد بالطرد. مطاردة الاضطهاد. "ويطلبون أن يقتلوه" - (انظر عدد ١٨). "لأنه فعل" - هذا اللفظ: "فعل", كما ورد في الأصل, يفيد التعود على شيء. "هذا". – الإشارة هنا, إلى عملية الشفاء التي قام بها المسيح, وإلى أمره للرجل أن يحمل سريره: "في السبت".

١٧فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». ١٨فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ

عدد١٧. المسيح يجيبهم بكلمة جامعة. "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" - هذا الجواب أشبه الأشياء بنواة لكل الحديث الذي فاه به المسيح فيما بعد (عدد ١٩ – ٤٦), وبه قصد القارئ أن يفهم اليهود – إن أرادوا أن يفهموا: - أولاً: إن الراحة التي تمتع بها الله ليست في الكف عن العمل, بل في العمل الذي يسر قلب الله - في إعادة جمال الخليقة إليها بعد أن شوهتها الخطية, وفي أعمال العناية التي هي خلق مستمر, وفي إتمام تدبير الفداء الذي به يخلق الله المؤمنين خليقة جديدة. (عب ١: ٣ وأفسس ١: ٩). ثانياً: إن صلة المسيح بالله هي صلة البنوة, التي تفرض توافقاً في المشيئة والعمل. هذا مستفاد من الكلمتين: "أبي وأنا". ثالثاً: إن عمل الابن على الأرض مشتق من عمل الآب في السماء, ومطابق له تمام المطابقة: "أبي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعمل.... وأنا أعمل". رابعاً: إن اعتراض اليهود على عمل المسيح, هو صورة أخرى لاعتراضهم على عمل الله الذي يدّعون التعبد له وتقديس اسمه.

عدد ١٨. أتون حقد اليهود تحمّى أضعافاً مضاعفة: "من أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه" - لقد أجادوا فهم قوة كلام المسيح, حين علموا: "أنه قال أيضاً أن الله أبوه, معادلاً نفسه بالله". لكنهم أساءوا التصرف في تقدير كلامه. فبدلاً من أن يعتبروه إعلاناً جديداً من الله, ويعطوه المقام اللائق به, حسبوه تجديفاً, وضموه إلى قائمة الاتهامات

قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ.١٩فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ

الخطيرة التي تبرعوا بها للمسيح: "لم ينقض السبت بل قال أيضاً ...". إنهم بمحاولتهم أن يضموا تهمة إلى تهمة, لحساب المسيح, كانوا في الوقت نفسه يضيفون لحسابهم هم أثقالاً فوق أثقال, "ويدخرون لنفسهم غضباً في يوم الغضب".(رو ٢: ٥).

حق المسيح الممتاز ٥: ١٩ - ٢٩

في هذا الفصل يتابع المسيح دفاعه ضد اتهام اليهود إياه بكسر السبت, والتجديف. وقد عالج في هذا الدفاع موضوعاً خطيراً هو: حقه الممتاز. فتكلم عن – أولاً: حقه الممتاز في صلته بالآب (٥: ١٩ – ٢٣). ثانياً: حقه الممتاز في صلته بالبشر (٥: ٢٤ – ٢٩). ولكون هذا الخطاب قد وجه إلى نر قليل من اليهود المثقفين, ركز المسيح الحجة فيه تركيزاً.

أولاً: حق المسيح الممتاز في صلته بالآب (٥: ١٩ – ٢٣). إن عمل المسيح ومقامه, متساويان في الدرجة مع عمل الآب ومقامه, ومطابقان لهما تمام المطابقة. هذه هي الحقيقة المركزية في هذه الأعداد. من أجل ذلك, أقام المسيح أربع حجج دامغة ليدعمها بها – وكل حجة منها تؤيد الحجة السابقة لها, وتتفرع منها. وكل منها تستهل بكلمة: "لأن" (عدد ١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢).

عدد ١٩. الحجة الأولى: إن عمل الابن هو صورة طبق الأصل لعمل الآب ومساوٍ له في مداه: "فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم ..... ".

الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الاِبْنُ كَذَلِكَ.

لقد أجاب المسيح على أفكارهم, ونياتهم, ومؤامراتهم, بكلمات قوية برر بها أعماله, وموقفه, باعتبار كونه ابن الله. فاستهل جوابه هذا بقوله: "الحق الحق" – كعادته, عند إفضائه بتصريح خطير, مصحوب بسلطان. ثم صرح بعبارتين تكاد إحداهما تكون مع الأخرى على طرفي نقيض. فالعبارة الأولى سلبية: "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً",

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والعبارة الثانية إيجابية: "لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك". العبارة الأولى قد يشتم منها رائحة العجز: "لا يقدر", والعبارة الثانية تفيد القدرة المطلقة: "مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك". على أن هذا الذي يرى لأول وهلة كأنه عجز, هو عين المقدرة. فإن القول بعدم قدرة الابن على أن يخالف طبيعته, لهو بمثابة القول: إن الله لا يقدر أن يكذب, ولن يقدر أن ينكر نفسه" (٢ تي ٢: ١٣ قابل هذا مع يوحنا ٧: ١٧). لأن من مستلزمات طبيعة الابن ورادته, المطابقة التامة لطبيعة الآب وإرادته, لما بينهما من كمال الوحدانية. وبسبب هذا العجز الظاهري, يتمتع الابن بكل القدرة الحقيقية. فعدم المقدرة على المخالفة, هو أقوى تعبير للمقدرة التامة على المخالفة. هذا يوافقه قول المسيح في لوقا ٢: ٤٩ "ينبغي أن أكون في ما لأبي" (انظر سفر العدد ١٦: ٢٨).

"مهما عمل الآب فهذا يعمله الابن كذلك" – إن عمل المسيح, ليس فقط مطابقاً لعمل الآب, بل هو أيضاً متمش معه ومساو له في مداه.

٢٠لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الِابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. ٢١لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ

عدد ٢٠. الحجة الثانية: الابن محبوب من الآب, ومطلع على جميع أعماله إطلاعاً متوالياُ: " لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله" – هذا الكلام يتناول الماضي والحاضر. "وسيريه أعمالاً أعظم من هذه". أي أعظم من شفاء المريض, مثل: إقامة لعازر, وقيامته هو, وصعوده – هذا الكلام يشير إلى مستقبل الأيام. "لتتعجبوا([٢]) أنتم" – هذا مبلغ تأثرهم من أعماله العتيدة. (أعمال ٤: ٣ و٥: ٢٤). التعجب خطوة أولية قد تؤدي إلى الإعجاب, فالإيمان. وقد نقف عند حدها فتنبتر.

إن هذه الحجة الثانية, مؤيدة للحجة الأولى. فمطابقة أعمال المسيح لأعمال الآب, مبنية على علمه المتواصل بأعمال الآب, على التوالي. وهذا الاطلاع المتواصل مبني على الصلة المكينة التي بينه وبين الآب – صلة الحب الأزلي, الروحي, السري, الخالد... هو ذلك الحب القدسي, الناشئ عن التشابه في الطبيعة, والذات, والصفات.

عدد ٢١. الحجة الثالثة: إن الابن له ما للآب من السلطان والقدرة: "لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي من يشاء". في هذا العدد, فصل المسيح ما سبق فأجمله. في العدد السابق, تكلم عن "الأعمال الأعظم" إجمالاً. وهنا أرانا عينة من هذه "الأعمال الأعظم" –

يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي كَذَلِكَ الِابْنُ أَيْضاً يُحْيِي

"إقامة الأموات وإحياءهم". إن إقامة الأموات وإحياءهم, هما تعبيران لحقيقة واحدة, وهما على مثال قول المسيح: "أنا هو القيامة والحياة" (١١: ٢٥). إن إقامة الأموات هي إيقاظهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأن إحياءهم هو إيداع بذرة الحياة فيهم. فالقيامة إذاً, هي نتيجة الحياة ومظهرها, والحياة هي بذرة القيامة ومصدرها.فقوله: "يقيم الأموات ويحيي" لا يشير إلى عملين مختلفين بل إلى عمل واحد ذات وجهين: فالإقامة هي الحياة في نشاطها, ولإحياء هو الحياة ي نبعها وأصله. ومع أن المسيح ذكر هذين الوجهين في بدء العدد: "يقيم الأموات ويحيي". إلا أنه في نهاية العدد, اكتفى بأن ذكر أحدهما: "يحيي" للتعبير منهما كليهما – وذلك من باب التغليب, الذي يقوم بإطلاق اسم الجزء على الكل. على أن الإقامة والإحياء يتناولان الجسد والروح معاً.

"كما أن الآب يقيم الأموات" – في مقدمة الأمور المسلم بها لدى اليهود, أن للآب سلطاناً على إقامة الموتى وإحيائهم. (تث ٣٣: ٣٩ و١ صم ٢: ٦) وقد أجرى الله هذا العمل على أيدي إيليا, وأليشع (١ مل ١٧ و٢ مل ٤: ٣٢ – ٣٥). "كذلك الابن أيضاً" – له نفس السلطان: فهو "يحيي" – أي يقيم الأموات ويحييهم. وقد أقام فعلاً ابنة يايرس التي ماتت ولم تكن قد أخرجت بعد من البيت (لوقا ٨: ٥٥), وابن أرملة نايين, الذي كان قد أخرج من البيت, لكنه لم يبلغ القبر (لوقا ٧: ١٤ و١٥), ولعازر الذي أخرج من البيت وأدخل إلى القبر وأنتن (يوحنا ١١: ٤٣ و٤٤). ولئلا يتبادر إلى ذهن سامعيه, أن الابن في عمله هذا,

مَنْ يَشَاءُ. ٢٢لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ

مقيد بالتزامات جبرية, صرح لهم أنه يعمل أعماله وهو متمتع بكامل حريته: "من يشاء". إن مشيئته هي علة إحياء الأموات, وهي الباعث عليه كما أنها أيضاً وسيلته الوحيدة. ويعتقد وستكوت أن هذه العبارة الأخيرة: (١) تصف كفاية قدرة المسيح. (٢) تربط أعمال المسيح الحاضرة بمشورة المحبة الأزلية. (٣) تعني استقلال المسيح في عمله هذا عن حسب هؤلاء الأموات ونسبهم, فهي تحمل ضمناً معنى من معاني الاختيار.

عدد ٢٢. الحجة الرابعة: الابن يقوم مقام الأب في الدينونة: "لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن". في الحجج الثلاث الماضية, بين المسيح أنه يعمل الأعمال التي يعملها الآب, وهنا أرانا أنه يمثل الآب ذاته في عمل قد رضي الآب أن ينفرد الابن فيه – الدينونة: لأن الآب لا يدين أحداً, بحكم وعده الذي وعد به الابن في عهد الفداء, مكافأة له على اتضاعه اختيارياً لأجل فداء العالم (مت ٢٥: ٣١ – ٤٥ وأع ١٧: ٣١ وفي ٢: ٥ – ١١). ولا يفوتنا أن نذكر ما تتطلبه إدانة الناس من القدر غير المحدودة على فحص قلوب الجميع, والإحاطة بالبواعث والمسببات الخفية التي حملتهم على اختيار هذا دون ذاك. فضلاً عن ذلك فإن المسيح قد قدم بتأنسه المثل الأعلى الذي يعتبر أضبط مقياس للناس (عدد ٢٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة: "أعطي" استعملت ي هذه البشارة لتصف امتيازات المسيح, وحقوق بنوته الممتازة (٥: ٣٦ و٣: ٣٥ و٦: ٣٧ و٣٩ و١٠: ٢٩ و١٧: ٢ و٤ و٢٢).

٢٣لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الاِبْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ

عدد ٢٣. نتيجة حتمية: "لكي يكرم ..." هذه نتيجة جامعة للأربع الحجج الماضية. إذا كان الابن يعمل أعمال الآب (عدد ١٩ و٢٠ و٢١), ويقوم مقام شخصه ي الدينونة (عدد ٢٢), فالنتيجة الحتمية التي تترتب على هذا, هي أن المسيح حقيق بالإكرام الذي يوجه للآب, وأن من يقصر في حقه في هذا الباب, فهو مقصر في حق الآب نفسه, لأنه رسول الآب وممثله وقائم مقامه.

ثانياً: حق المسيح في صلته بالبشر ٥: ٢٤ – ٢٩.

في الجزء الذي مر بنا من هذا الخطاب, تكلم المسيح عن الابن بصيغة الغائب, وفي الجزء الذي أمامنا يتحدث عنه بصيغة المتكلم – ودلالة على أن ما ذكر عن الابن, يصدق على المسيح نفسه. فهو ابن الله الوحيد.

فيما سبق, تكلم المسيح عن ذاته وعمله. ويتكلم هنا عن تأثير عمله في المؤمنين. قبلاً تكلم عن مقامه الممتاز, في صلته بالآب. والآن يتحدث عن مقامه الممتاز, في صلته بالبشر.

في الأعداد السالفة (١٩ – ٢٢), أبان المسيح أن صلته الممتازة بالآب تخوله حقاً مزدوجاً: (١) حق الإحياء (عدد ٢١), (٢) حق الإدانة (عدد ٢٢). وفي الأعداد التالية (٢٤ – ٣٠), أرانا ممارسته الفعلية لهذين الحقين. ولا يغرب عن أذهاننا, أن كلاً من هذين الحقين له جانبان – جانب روحي باطني, يتم في هذه الحياة. وجانب ظاهر, خارجي, يعلن في الحياة العتيدة. وهذان الجانبان هما مدار الكلام في الأعداد التي نحن بصددها الآن.

الاِبْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ.٢٤«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:

(١) الحياة والدينونة في جوهرهما الروحي, الباطني – في هذه الحياة ٥: ٢٤ و٢٧.

(٢) الحياة والدينونة في مظهرهما النهائي, الحرفي – في الحياة العتيدة ٥: ٢٨ و٢٩.

(١) الحياة والدينونة في جوهرهما الروحي, الباطني – في هذه الحياة ٥: ٢٤ و٢٧.

لأهمية الحقائق المتضمنة في هذه الأعداد, كرر المسيح فيها قوله: "الحق الحق" مرتين. فمن هذه الحقائق: (أ) كلمة مجملة في شرط نوال الحياة الأبدية والنجاة من الدينونة (عدد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢٤). (ب) الحياة الأبدية كحقيقة روحية راهنة (عدد ٢٥). (ج) مصدر الحياة الأبدية ونبعها (عدد ٢٦). (د) كلمة مجملة عن صاحب السلطان في الدينونة (عدد ٢٧).

عدد ٢٤. (أ) كلمة مجملة في شرط نوال الحياة الأبدية والنجاة من الدينونة: "الحق الحق أقول لكم ...." هذا شرط مزدوج: معرفة الإعلان الذي جاء به الابن, وتصديق الآب الذي تكلم في الابن. أو بعبارة أخرى, هو الإصغاء "للكلمة", وتصديق المتكلم. يا ترى ما هي مؤهلات هذا المعلم الجديد الذي يجعل الاستماع لكلامه, شرطاً لازماً وكافياً لنوال الحياة الأبدية؟ إذا لم يكن هذا المعلم, إلهاً, فمن المحقق أنه ليس من الله, بل يكون مدعياً, ومجدفاً.

إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.

إن من يسمع كلام المسيح ويؤمن بالذي أرسله, يتمتع بحقين: يترتب ثانيهما على أولهما. لأن نسبة أولهما إلى ثانيهما كنسبة العلة إلى النتيجة. أو كنسبة البذرة إلى الثمرة. أما الأول فهو – التمتع بالحياة: "فله حياة". وجدير بالذكر أن الحياة, مذكورة هنا كحقيقة راهنة, بل كحق ممتلك في هذه الحياة الحاضرة: "له". فهي تشتمل على الولادة الجديدة, والنمو في القداسة, والمشابهة لصورة الله تعالى.

فمع أن أمجاد الحياة الأبدية, وثمارها الناضجة, وخبايا مكنوناتها, لا تعلن إلا في الدهر الآتي, إلا أنها في بذرتها, وجوهرها, وخلاصتها, ملك للمؤمن في هذه الحياة. وأما الحق الثاني فهو النجاة من الدينونة: "ولا يأتي إلى دينونة" – كما يستحق هو وكل نسل أدم المولودين تحت غضب الله. إن إيمان الإنسان بالمسيح, يرفع عنه الخطية التي هي علة الدينونة (رومية ٨: ١).

أما علة تمتع المؤمن بالحية, ونجاته من الدينونة, فهي أنه "قد انتقل من الموت إلى الحياة". إذاً فالحياة الأبدية هي قيامة روحية, وما الحالة الطبيعية التي ولد فيها الجنس البشري إلا "مقبرة للأحياء". فكل داخل إليها مفقود, وكل خارج منها مولود.

٢٥اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. ٢٦لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ

عدد ٢٥. (ب) الحياة الأبدية كحقيقة روحية راهنة: "تأتي ساعة وهي الآن ..." هذه الساعة قد بدأت بمجيء المسيح, وأتت بتمامها بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين. "حين يسمع الأموات" - بالذنوب والخطايا. "صوت ابن الله" - بمقابلة هذه العبارة مع قول المسيح في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العدد السابق "من يسمع كلامي" يتضح لنا جلياً أنه قصد أن يفهم سامعيه أنه هو ابن الله. "والسامعون يحيون" – يستنتج من هذا القول أن الموتى روحياً,

نوعان: نوع يسمع صوت ابن الله ولا يميز (١٢: ٤٠) "سمعاً يسمعون ولا يفهمون". ونوع يسمع, ويميز, ويعي, ويطيع, فيحيا (١٠: ٤). كان لعازر واحداً من هؤلاء السامعين, لأن قيامته الجسدية كانت رمزاً للقيامة الروحية.

عدد ٢٦. (ج) مصدر الحياة الأبدية ونبعها: "لأنه كما أن الآب له حياة ي ذاته كذلك أعطى الابن". إن المسيح هو نبع الحياة وقوامها. بحق تمتعه بحياة الآب ذاته.

يتضمن هذا العدد عبارتين قد يرى فيهما لأول وهلة شيء من التناقض: "أعطى" و"في ذاته". فالمسيح باعتبار كونه فادياً ووسيطاً أعطي هذه الحياة منذ الأزل. وأما باعتبار كونه إلهاً ذا جوهر واحد مع الآب فالحياة ذاتية فيه, بل هو نبعها وقوامها, ومعطيها (١: ٤).

٢٧وَأَعْطَاهُ سُلْطَاناً أَنْ يَدِينَ أَيْضاً لأَنَّهُ ابْنُ الإِنْسَانِ. ٢٨لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ

عدد ٢٧. (د) كلمة مجملة عن صاحب السلطان في الدينونة: "وأعطاه سلطاناًُ أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان". إن ابن الله المحيي (عدد ٢٦), هو هو "ابن الإنسان" الديان. وكلا الحقين قد أعطيهما من الآب منذ الأزل. فالمسيح, بحق مشاركته في طبيعته, هو مصدر الحياة ونبعها. وبحق مشاركته الإنسان في طبيعته, هو صاحب السلطان في الدينونة. وبهذين الحقين معاً, صار ملماً بالضعف البشري, وعارفاً بحقيقة جبلتنا, فجمع إلى علم اللاهوت الفاحص علم الناسوت المختبر (أعمال ١٧: ٣١) وفي الوقت نفسه قدم للبشر المثل الأعلى الذي عليه يرسمون, وبه يدانون (أفسس ٤: ١٤).

(٢) الحياة والدينونة في مظهرهما النهائي الخارجي في الحياة العتيدة : ٢٨ و٢٩.

عدد ٢٨. (أ) اليقظة العامة: "لا تتعجبوا من هذا" - قابل استهلال هذا العدد, بغرة عدد ٢٠ "لتتعجبوا أنتم". ليس التعجب في ذاته سوى مرحلة انتقال من حال إلى حال أرقى. وكل مظهر جديد لقوة المسيح, ممهد لمظهر أجلّ يدعو إلى التعجب, وقد يتطور التعجب إعجاباً, فإيماناً. وقد يقف جامداً, فيكون مهده لحده. "تأتي ساعة" – خلاف تلك المذكورة في عدد ٢٥. تلك ساعة "حاضرة". وهذه ساعة في بطن الغيب "فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته" – يختلف هذا السمع عن ذاك الموصوف في عدد ٢٥. ذاك التمييز الخاص بالمؤمنين. وهذا سمع عام لجميع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ ٢٩فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ.

ساكني القبور. ذاك سمع يؤول إلى الحياة الأبدية, بل هو أول علامة لها, وهذا سمع ينتهي بمجرد اليقظة الجسدي التي تنتهي بالحياة الأبدية أو بالدينونة المريعة. ذاك سمع روحي يقوم به الوجدان, وهذا سمع مادي تقوم به الآذان. ذاك سمع يتناول بعض الموتى روحياً و وهذا يشمل جميع الموتى جسدياً. وإليك هذه المقابلات في صفين متوازيين:

عدد ٢٥ – تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع (بعض) الأموات (روحياً)

والسامعون يحيون (حياة روحية أبدية)

ع ٢٨ و٢٩ - تأتي ساعة (في المستقبل) حين يسمع الذين في القبور (المادية)

صوته فيخرج...(عودة الحياة الجسدية إليهم)

عدد٢٩. (ب) قيام الحياة, وقيام الدينونة: ليس في هذا الكلام ما يقطع بوجود قيامتين مختلفتين بل هما في الواقع وجهان لقيامة واحدة - وجه منير يتمتع به من فعلو الصالحات, ووجه مظلم يحيق بمن عملوا السيئات. وقد استعمل المسيح كلمتين مختلفتين للتعبير عن إتيان الصالحات, والسيئات. فعن إتيان الصالحات, قال: "فعلوا" لأن الصلاح يستلزم إرادة حاسمة فعالة. وعن إتيان السيئات, قال: "عملوا" لأن السيئات تخرج طبيعياً من أهل السوء من غير مجهود ولا عناء (انظر تفسير ٣: ٢٠ و٢١).

في هذا العدد, تقدم المسيح بسامعيه خطوة جديدة عما في عدد ٢٧ هنالك كلمهم عن سلطانه, وهنا أنبأهم باستعماله هذا السلطان بكيفية فعالة.

٣٠أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي

عدد ٣٠. عود إلى بدء: "أنا لا أقدر..." بعد أن تكلم المسيح عن حقه الممتاز - نظرياً وعملياً, أزلياً وتاريخياً. عاد إلى النقطة التي منها ابتدأ في عدد ١٩. فكأن كلامه شبيه بدرج ملفوف يتلاءم أوله مع آخره. في عدد ١٩ استعمل استعارة النظر, وهنا استعمل استعارة السمع. (اطلب تفسير عدد ١٩).

إن الدينونة التي يقوم بها المسيح, مبنية على علمه التام بمشيئة الآب وفكره, كما أن أعماله مستمدة من معرفته المتواصلة بأعمال الآب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بهذا العدد تطوى مرحلة من حديث المسيح, وتنشر مرحلة جديدة سنراها فيما يلي:

ثانياً: شهود المسيح – ٥: ٣١ - ٤٠.

في هذا الفصل يذكر المسيح ثلاثة شهود لنفسه: - الشاهد الأول هو نفسه (عدد ٣١). على أنه لم يرد أن يكون هو الشاهد الوحيد لنفسه. لأن شهادة صاحب الدعوى لا تقوم لدى الشريعة التي يحترمه المسيح (عدد ٣٥: ٣ وتث ١٧: ٦) لذلك فهو يرى ضرورة تأييد شهادته لنفسه بشاهد آخر سيذكره فيما بعد (عدد ٣٢). الشاهد الثاني هو يوحنا المعمدان عدد (٣٣). غير أنه لم يكتف أيضاً بهذا الشاهد لأن يوحنا على رغم كونه نبياً, فهو إنسان زائل (عدد ٣٤ - ٣٥). الشاهد الثالث – الذي أشار إليه المسيح في عدد ٣٢ - هو الآب وشهادته هي بيت القصيد في هذا الفصل (عدد ٣٦

بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٣١«إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً. ٣٢اَلَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ.

- ٣٩). وقد أدى الآب هذه الشهادة بثلاث وسائل: أ) أداها بواسطة الأعمال التي أعطى المسيح إياها ليكملها (عدد ٣٦). ب) أداها بشخصه (عدد ٣٧). (ج) أداها بكلمته المسجلة في الكتب المقدسة (عدد ٣٨ و٣٩).

عدد ٣١. الشاهد الأول – شهادة المسيح لنفسه "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً". قال المسيح هذا دفعاً لاعتراض جال في أفكار اليهود وربما عبروا عنه بالكلام بعد ما سمعوا كلام المسيح في الفصل السابق, ولعلهم قالوا له "أن شهادتك عن نفسك لا يقام لها وزن عندنا. فأنت صاحب الدعوى وأنت الشاهد". ومع أنه كان يحق للمسيح أن يتمسك بحقه في الشهادة لنفسه نظراً لشخصه الممتاز وسلطانه الذي لا يدانيه فيه سواه (٨: ١٤) إلا أنه رضي, تنازلاً منه, أن يحكم في دعواه بمقتضى قوانين الشريعة التي لا تثبت الدعوى فيها بأقل من شاهدين. وقوله "ليست حقاًّ" معناه ليست مقبولة شرعاً (لوقا٢٠: ٢١) أي أنه لو فرض وكان منفرداً بالشهادة لنفسه لاعتبرت شهادته غير مقبولة.

عدد ٣٢. الشاهد الآخر استنتج بعضهم خطأ مما جاء في العدد التالي أن هذا الشاهد الآخر هو يوحنا المعمدان ولكن ما جاء في عدد ٣٦ وما بعده ما يبطل هذا الزعم, ويقرر من غير ما لبس ولا شك أن هذا الشاهد الآخر هو الآب نفسه.

٣٣أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ. ٣٤وَأَنَا لاَ أَقْبَلُ شَهَادَةً مِنْ إِنْسَانٍ وَلَكِنِّي أَقُولُ هَذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ. ٣٥كَانَ هُوَ السِّرَاجَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣٣- ٣٥. الشاهد الثاني. في هذا الكلام أشار المسيح إلى: - عدد ٣٣. (ا) اعترافهم ضمناً بشهادة يوحنا وذلك حين أرسلوا إليه وفداً ليسألوه من أنت فشهد للمسيح وقتئذٍ (١: ١٩- ٢٧).

عدد ٣٤. (ب) عدم اكتفاء المسيح بشهادة المعمدان. مع أنه كان من حقه أن يكتفي بشهادة يوحنا بناء على اعتراف اليهود بصحتها إلا أنه لا يرضى أن تكون الشهادة الرئيسية التي يعتمد عليها, مقدمة من إنسان. لأن الذي أتى من فوق لا يقبل إلا شهادة من فوق. وإنما بقوله: "ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم", إنه سرد شهادة يوحنا لمنفعتهم هم إذا صدقوها وآمنوا به.

عدد ٣٥. (ج) وصف شهادة المعمدان, وموقفهم التاريخي إزاءها: "كان هو السراج الموقد المنير" – ليس المعمدان "شمساً" يكتفى بنوره, بل هو مصباح مضيء في بيئة ضيقة. ونوره اكتسابي لا ذاتي فهو "موقد منير". ولهذا السبب فهو زائل ذاهب, لأن زيته كان ينقص تدريجياً بإيقاده حتى استهلك فانطفأ. وفي هذا الوقت كان مصباح حياة المعمدان, قد انطفأ في السجن منذ أن قطع هيرودس رأسه. أما موقفهم التاريخي إزاء شهادة يوحنا, فكان موقف الصبية المرحين اللاعبين حول النور, أو كموقف

الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهِجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً. ٣٦وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لِأُكَمِّلَهَا هَذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي.

الفراشة التي تحوم راقصة حول المصباح حتى تقتل نفسها بناره: "وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة". نعم إن النور للبهجة, ولكنه قبل ذلك للإضاءة والهداية. فهو ليس غاية, بل وسيلة لتحويل أنظار الناس إلى المرئيات.

أما اليهود فقد فرحوا بالمصباح لدرجة أنهم انصرفوا به عن الشخص العجيب الذي جاء يوحنا ليشهد له (لو ٧: ٢٤).

ع ٣٦- ٣٩. الشاهد الثالث – الآب. هذا هو بيت القصيد. وقد أدى الآب شهادته بثلاث وسائل:

عدد ٣٦. (ا) الآب شهد للمسيح بواسطة الأعمال التي أعطاها إياه ليكملها: هذه هي الشهادة التي أنطق الله بها لسان المعجزات التي أجراها المسيح, ومن ضمنها معجزة شفاء مريض بركة بيت حسدا, التي استهل بها هذا الأصحاح. إن الآب بإعطائه المسيح أن يعمل هذه المعجزات, قد ختم على صدق رسالة المسيح ونبوته وعلى حقيقة بنوته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مع أن أعمال الله كاملة من الجانب الإلهي, لكنها في نظر البشر تكمل تدريجياً في وقتها المناسب, وقد كملت فعلاً على الصليب حين قال المسيح: "قد أكمل" (١٩: ٣٠).

٣٧وَٱلآبُ نَفْسُهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ ٣٨وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ لأَنَّ ٱلَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ. ٣٩فَتِّشُوا ٱلْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ

عدد ٣٧. (ب) الآب شهد للمسيح بشخصه. "والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي" – هذه هي الشهادة الشفوية المسموعة التي شهد بها الآب للمسيح "بصوته وهيئته" (لوقا ٣: ٢٢ و٩: ٣٥ ويوحنا ١٢: ٢٨ – ٣٠) وعن هذه الحادثة الأخيرة قال المسيح: "ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم". وربما أشار أيضاً بقوله: "هيئته", إلى السحابة التي بها أظهر الله وجوده في العهد القديم (عدد ٩: ١٥ و١٦).

ع ٣٨ و٣٩ (ج) الآب شهد للكلمة المتجسدة, بالكلمة المكتوبة: هذه هي الشهادة التي أنطق بها الله ألسنة الكتب المقدسة الصامتة, للمسيح – ورب صمت أبلغ من كلام. إن كلمة الله المنوه عنها في عدد ٣٨, قد تشمل مع كتب الوحي, كلمة الله التي يرسلها للضمير بأنواع وطرق كثيرة. و" كلمته" المذكورة في عدد ٣٩ قاصرة على الوحي المكتوب. الكلمة المترجمة "فتشوا" يجوز أن تترجم إلى "أنتم تفتشون": في صيغة خبرية لا أمرية, وعلى هذا الاعتبار, يكون المسيح موجهاً إليهم سهماً حاداً من اللوم والتوبيخ لأنهم وهم يفتشون الكتب على زعم أن لهم فيها حياة أبدية, قد خرجوا من درسها, أمواتاً كما كانوا قبل البحث والتفتيش. مثلهم مثل حجر يلقى في تربة خصيبة, يخرج منها حجراً كما كان. هذا هو تأنيب

لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ ٱلَّتِي تَشْهَدُ لِي. ٤٠ولاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ. ٤١«مَجْداً

المسيح لأهل الكتاب الذين زعموا أنهم حملة مفاتيح العلم. "وبينما هم يزعمون. أنهم حكماء, صاروا جهلاء". ن هذه الكتب التي كان يبحث فيها اليهود, بعيون مفتوحة – كعيون التماثيل المتحجرة – هي التي تشهد للمسيح: بالنبوات, والرموز, والشخصيات.

وإذا أخذنا بالترجمة الحالية, علمنا أن المسيح قصد أن يستحثهم على الاجتهاد في البحث ببصر مفتوح, وباصرة نيرة.

عدد ٤٠. يحرمون أنفسهم من الحياة, بإرادتهم: "لا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة". ما أعظم الفرق بين اليهود في نظرياتهم, وبينهم في حياتهم العملية. في نظرياتهم يظنون أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

لهم في كتبهم حياة, ولكن في حياتهم العملية, يفرون من الحياة, فرار العين المريضة من النور. إنهم ببعدهم عن المسيح, قد أبعدوا أنفسهم عن الحياة, فهو الطريق, والحق والحياة.

ومصيبة المصائب, أنهم عملوا هذا بإرادتهم. يا ليتهم كانوا جهالاً. يا ليتهم كانوا عمياناً, فلا كثرة الخطايا, ولا قضاء الله, ولا عدم المعرفة, تحرم الإنسان من التمتع بالحياة. إنما الإنسان هو الذي يحرم نفسه بيده لأنه لا يريد.

ثالثاً: عدم إيمان اليهود ٥: ٤١ – ٤٧.

من الكلمة التي اختتم المسيح بها الفصل السابق, تقدم ليعالج الموضوع

مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ ٤٢وَلَكِنِّي قَدْ عَرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَتْ لَكُمْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي أَنْفُسِكُمْ.

الذي به انتهى – عدم إيمان اليهود. فبين: (١) علة عدم إيمان اليهود (٥: ٤١ – ٤٤). (٢) نتيجة عدم إيمان اليهود (٥: ٤٥ – ٤٧).

(١) علة عدم إيمان اليهود (٥: ٤١ – ٤٤). رأى المسيح طبيب النفوس, العلة الدفينة لعدم إيمانهم, فشخصها تشخيصاً دقيقاً. في ثلاث كلمات: (ا) التجرد من محبة الله (عدد ٤٢). (ب) العمى الروحي (عدد ٤٣). (ج) شغفهم بقبوله مجداً من بعضهم البعض (عدد ٤٤). أو بعبارة أخرى: نفوس فارغة, عيون عمياء, قلوب مستعلية.

عدد ٤١. ازدراء المسيح بمجد الناس: "مجداً من الناس لست أقبل". يستنتج من هذا القول, أن اليهود اعترضوا على كلام المسيح في الأعداد السابقة, كأن قالوا مثلاً: " وماذا تطلب منا بعد أن أدليت بهذه الشهادات الكثيرة, ألعلك تنتظر منا أن نعظمك ونمجدك"؟ فأجابهم قائلاً: "مجداً من الناس لست أقبل" – فهو لم يكلمهم طمعاً في المجد الذي يصيبه منهم, بل حباً بخيرهم الروحي, أما هو فله من يمجده (١٧: ٥). من أجل هذا أراد أن يدلهم على العلة الحقيقية التي منعت عنهم خيرهم الروحي, واصفاً هذه العلة وصفاً مثلثاً:

عدد ٤٢. (ا) نفوس مجردة عن محبة الله. "ولكني قد عرفتكم" – كما في ص ٢: ٢٤ – "أن ليست محبة الله في أنفسكم" وردت كلمة: "محبة الله" مرة أخرى في البشائر (لوقا ١١: ٤٢). أن الله هو منشئ المحبة, وهو موضوعها.

٤٣أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذَلِكَ تَقْبَلُونَهُ. ٤٤كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟ وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟ ٤٥«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الآبِ. يُوجَدُ الَّذِي يَشْكُوكُمْ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٤٣. (ب) العمى الروحي. "أنا أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه". إن عماهم الروحي, هو عدم تمييزهم بين من يأتيهم من الله ومن يأتيهم من نفسه. بل قد انقلبت معهم الآية, فصاروا يفضلون من يأتيهم من تلقاء نفسه على من يأتيهم باسم الآب وسلطانه.

عدد ٤٤. (ج) شغفهم بقبول المجد من بعضهم البعض. "كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون". في عدد ٤٠, قال لهم المسيح: "لا تريدون" وفي هذا العدد قال لهم "كيف تقدرون". إن عدم الإرادة يؤول إلى عدم المقدرة. والسبب في كل ذلك, هو انصرافهم عن الله إلى الناس. لا فراغ في الطبيعة, كذلك لا فراغ في القلب, فالقلب الذي يخلو من محبة الله, لا شك يمتلئ بحب الذات. ومن أظهر مظاهر حب الذات, تقارض المديح والثناء مع الناس.

عدد ٤٥. (٢) نتيجة عدم إيمان اليهود ٥: ٤٥ – ٤٧.

إن رفض المسيح يحمل معه عقابه الطبيعي. فرفض الحياة, معناه الوقوع تحت طائلة الدينونة. أما الذي يقدمهم إلى الدينونة ويقف منهم موقف المدعي

وَهُوَ مُوسَى الَّذِي عَلَيْهِ رَجَاؤُكُمْ. ٤٦لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. ٤٧فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كلاَمِي؟».

فهو "موسى الذي عليه رجاؤهم" – كما يزعمون. لأن موسى من أعظم الشهود للمسيح, بشخصه, وكتاباته (تك ٣: ١٥ و١٢: ٣ و٤٩: ١٠ وعدد ٢٤: ١٧ وتث ١٨: ١٥ – ١٨). (انظر أيضاً غلاطية ٣: ٢٤ لوقا ٢٤: ٢٤ رومية ١٠: ٥).

في ختام هذا الحوار, ألقى المسيح على اليهود تهمة عدم الإيمان بموسى نفسه. فلم يقووا على دفع هذه التهمة عن أنفسهم لأن من يكون غير قابل أن يتعلم الباء, فهذا دليل على أنه لا يعرف الألف.

---

(١) جاء في التلمود: مرة تساءل معترض, قائلاً: "لماذا لا يحفظ الله السبت"؟ فأجابه أحد العلماء: "هل هو محرم على الإنسان أن يمشي في بيته يوم السبت"؟ فاقتنع المعترض وقال: "حقاً إن العالمين هي بيت الله".

(١) احتفظ كلمندس الإسكندري بكلمة رواها له أحدهم عن المسيح: "أن من يتعجب قد يظفر, ومن يظفر يطمئن".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نتيجتان متناقضتان

اَلأَصْحَاحُ السَّادِسُ

١بَعْدَ هَذَا مَضَى يَسُوعُ إِلَى عَبْرِ بَحْرِ الْجَلِيلِ وَهُوَ بَحْرُ طَبَرِيَّةَ.

نحن الآن في بيئة تختلف عن تلك التي ودعناها في العدد السابق, وعن التي سنلتقي بها في الإصحاح اللاحق. في الإصحاح الخامس كنا في أورشليم, وفي الإصحاح السابع سنعود إلى مدينة الملك العظيم, لكننا في الإصحاح السادس نتمشى مع المسيح في الجليل عند بحر طبرية[١]. على أنه وإن اختلف هذا الإصحاح عن سابقه ولاحقه, في المكان, إلا أن الفكر فيه مرتبط تمام الارتباط بما قبله وبما بعده. رأينا في الإصحاح الماضي كيف حمى غضب اليهود إلى درجة الغليان عندما رأوا المسيح يشفي إنسانا يوم سبت. لذلك ذهب المسيح إلى الجليل وقضى هناك المدة التي بين عيد الفوريم- في مارس, وبين عيد المظال- في

٢وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ لأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا آيَاتِهِ الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا فِي الْمَرْضَى. ٣فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى
جَبَلٍ وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ تلاَمِيذِهِ. ٤وَكَانَ الْفِصْحُ عِيدُ الْيَهُودِ قَرِيباً. ٥فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ
أَنَّ جَمْعاً كَثِيراً مُقْبِلٌ

أكتوبر. وفي هذا الإصحاح يروي لنا يوحنا حادثتين - معجزة إشباع الخمسة الآلاف, ومعجزة مشي المسيح على الماء. ومن النتائج التي تمخضت بها هاتان المعجزتان, أن نضجت عوامل عدم الإيمان في قلوب البعض فتركوه,وتأصلت بذار الإيمان في البعض الآخر فقبلوه. فكأن الفكرة الرئيسية تتركز في نضوج عدم الإيمان, واكتمال الإيمان.

ينقسم هذا الإصحاح إلى ثلاثة أقسام رئيسية: أولا: المعجزتان٦: ١- ٢١. ثانياً:حديث المسيح ٦: ٢٢- ٦٥. ثالثاً:فصل الخطاب ٦: ٦٦- ٧١

مُقْبِلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ لِفِيلُبُّسَ: «مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزاً لِيَأْكُلَ هَؤُلاَءِ؟» ٦وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ لأَنَّهُ
هُوَ عَلِمَ مَا هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَفْعَلَ. ٧أَجَابَهُ فِيلُبُّسُ: «لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ شَيْئاً يَسِيراً». ٨قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ وَهُوَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ: ٩«هُنَا
غُلاَمٌ مَعَهُ خَمْسَةُ أَرْغِفَةِ شَعِيرٍ وَسَمَكَتَانِ وَلَكِنْ مَا هَذَا لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ؟»

أولا: المعجزتان (أ) معجزة إشباع الخمسة الآلاف ٦: ١- ١٣ (ب) معجزة مشي المسيح على الماء ٦: ١٤- ٢١

(أ) معجزة إشباع الخمسة الآلاف ٦: ١- ١٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عالج المؤلف شرح هذه المعجزة, كما وردت في البشائر الأربع, في

"شرح بشارة لوقا" (صفحة ٢٣٥- ٢٤٠) فاطلب تفسيرها هناك.

في معجزة الإصحاح السابق رأينا المسيح نبع الحياة الفياض. وفي هذه المعجزة نرى المسيح عائل الحياة ومقيتها.

في هذه المعجزة تجلت قدرة المسيح كخالق, لأنه خلق من الأرغفة القليلة التي توازي العدم, شيئاً كثيراً أشبع به الآلاف. وإلى قدرة المسيح كخالق, ظهرت محبته العطوفة كفاد. فلقد أشفق على الجماهير قبل أن تعرف الجماهير كيف تشفق على نفسها. وإلى قدرته كخالق, ومحبته كفاد, أعلنت حكمته كمدبر. قبل أن يجئ موعد جوعهم, فكر هو في إشباعهم. وقبل أن يخطر ببال فيلبس الحكيم أن يدبر معاشهم دبره لهم صاحب التدابير.

١٠فَقَالَ يَسُوعُ: «اجْعَلُوا النَّاسَ يَتَّكِئُونَ». وَكَانَ فِي الْمَكَانِ عُشْبٌ كَثِيرٌ فَاتَّكَأَ الرِّجَالُ
وَعَدَدُهُمْ نَحْوُ خَمْسَةِ آلاَفٍ. ١١وَأَخَذَ يَسُوعُ الأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ وَوَزَّعَ عَلَى التّلاَمِيذِ وَالتّلاَمِيذُ
أَعْطَوْا الْمُتَّكِئِينَ. وَكَذَلِكَ مِنَ السَّمَكَتَيْنِ بِقَدْرِ مَا شَاءُوا. ١٢فَلَمَّا شَبِعُوا قَالَ لِتلاَمِيذِهِ: «اجْمَعُوا
الْكِسَرَ الْفَاضِلَةَ لِكَيْ لاَ يَضِيعَ شَيْءٌ». ١٣فَجَمَعُوا وَمَلأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسَرِ مِنْ
خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الآكِلِينَ.

إلى قدرته كخالق, ومحبته كفاد, وحكمته كمدبر, بانت جودته كمحسن كريم. فهو لم يكتفي بأن أشبع, بل جاد بطعام وفير, حتى فضل عن حاجتهم. كذلك في تدبير فدائه:"يوجد أيضا مكان"."كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز"! إلى قدرته كخالق, ومحبته كفاد, وحكمته كمدبر, وجودته كمحسن كريم ظهر اقتصاده كحكيم. إن وجود سخائه لا ينفى قدرة اقتصاده. فالفرق عظيم بين الجود والإسراف"اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء".

(ب) معجزة مشي المسيح على الماء ٦: ١٤- ٢١

أجريت المعجزة الماضية على اليابسة, وتمت هذه المعجزة على الماء.في المعجزة السابقة, رأينا المسيح عائل الحياة ومقيدها. وفي هذه المعجزة نرى المسيح هادي الحياة وقائدها. في المعجزة الأولى أشبع المسيح التلاميذ-والجماهير. وفي هذه المعجزة, هدى التلاميذ وأوردهم إلى مياه الراحة.

١٤فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى
الْعَالَمِ!» ١٥وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكاً

عدد١٤ و١٥. (أ) حلقة الاتصال بين المعجزتين ٦: ١٤و١٥" فلما رأى الناس الآية...". واضح من ١: ١٢ أن "النبي" شخصية مستقلة عن شخصية المسيح. على أنه يظهر أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عامة الناس, كانوا يعتقدون بحق, أن المسيح "هو النبي الآتي إلى العالم" (تث ١٨ :١٨). لكنهم لم يفهموا من مسيحيته إلى على قدر ما فهموا من هذه المعجزة. كان منتهى اعتقادهم أن المعجزة بلغت مداها عند إشباع بطونهم, وأن المسيح إنما جاء ليملك عليهم ملكاً مادياً سياسياً. وقد غاب عنهم أن المسيح قصد بهذه المعجزة أن يولم لهم وليمة مادية ترمز إلى العشاء الأعظم في السماء, وأنه بتقديمه الطعام لأجسادهم قصد أن يقدم لهم درساً معنوياً, في تقديمه ذاته لنفوسهم الجائعة. إلا أننا نحمد لهم قصدهم, وإن كنا نلومهم على عدم فهمهم. وكم من المرات نسابقهم نحن في هذا الجهل ونسبقهم إليه مع أنه قد"انتهت إلينا أواخر الدهور".

"وأما يسوع فإذا علم " _ إما من حركاتهم, أو ببصيرته التي تخترق حجب الظلام, فتعرف خفايا القلب ونياته _ "أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه" _ بالقوة _ "ليجعلوه ملكاً, انصرف أيضا إلى الجبل وحده". كانت للشعب اليهودي آمال نفسانية, جسدا نية, فقصدوا أن يسخروا المسيح ليتخذوا منه وسيلة لإتمام مآربهم, لكن الذي جاء لإتمام إرادة

انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ. ١٦وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ نَزَلَ تلاَمِيذُهُ إِلَى الْبَحْرِ ١٧فَدَخَلُوا السَّفِينَةَ وَكَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ. وَكَانَ الظّلاَمُ قَدْ أَقْبَلَ وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ أَتَى إِلَيْهِمْ. ١٨وَهَاجَ الْبَحْرُ

الآب, لن يسلم نفسه لإدارة البشر, مهما كانت ترمي هذه الإدارة في ظاهرها إلى تمليكه على العروش الأرضية. هذه هي التجربة الثالثة في صورة أخرى(مت ٤: ٧- ١٠), وقد رفضها المسيح بشمم وإباء. فليس المهم في من يعرض التجربة, بل المهم في نوعها وجوهرها. نعم جاء الفادي ليكون ملكا, ولكن على عروش القلوب لا على عروش الأرض, وعن طريق الصليب لا عن طريق المعجزات, وبيد الله لا بيد اللذين شبعوا بعد جوع.

أما الغرض الذي لأجله انصرف المسيح وحده إلى الجبل, فقد أخبرنا به متى ومرقس _ "ليصلي" (مت ١٤: ٢٢- مر ٦: ٤٥).

عدد ١٦. (ب) الظرف الذي تمت فيه المعجزة ٦:١٦-١٨. "ولما كان المساء" هذا بدء زمان المعجزة."نزل تلاميذه إلى البحر" _هذا مكانها.

عدد ١٧و١٨الحالة النفسية التي كان عليها التلاميذ_ لقد كانوا:(١) في ظلام:"وكان الظلام قد أقبل". (٢) في عزلة موحشة:"لم يكن يسوع قد أتى إليهم".ما أوحشها فرصة تلك التي تقضيها النفس في ظلام والمسيح بعيد عنها. إذا كان التلاميذ في ظلام مادي, وظلام روحي. (٣) كانوا محاطين بهياج مادي, وانزعاج نفسي: وهاج البحر من ريح عظيمة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مِنْ رِيحٍ عَظِيمَةٍ تَهُبُّ. ١٩فَلَمَّا كَانُوا قَدْ جَذَّفُوا نَحْوَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَوْ ثلاَثِينَ غَلْوَةً نَظَرُوا يَسُوعَ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ مُقْتَرِباً مِنَ السَّفِينَةِ فَخَافُوا.

تهب".إن الريح التي هبت على البحر, رافقتها رياح أخرى هبت على أنفسهم. ليس من المستغرب أن يترك المسيح تلاميذه وسط هذا الهياج. فهو لم يعدنا بسلامة الحياة, ولا بنعومة ملمسها, بل وعدنا بالسلام القلبي, الذي تتفجر ينابيعه كلما جفت ينابيع الدنيا, ويزداد هدوؤه كلما عجت أمواج بحر الحياة وماجت. خير لنا أن نكون في قلب العاصفة والمسيح معنا, من أن نكون في سكون خارجي ونحن بعيدون عن حضرة الفادي. إن عاصفة يكون فيها المسيح معنا, لهي السلام بعينه, وأن سكوناً يغيب فيه الفادي عنا, لهو سكون الموت.

عدد١٩.(ج) ظهور المسيح _ ٦: ٩. "فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة" _أي أنهم صاروا الآن في وسط البحيرة تقريباً(مت ١٤: ٢٤) أما الغلوة فهي ثمن ميل. ويقول يوسيفوس أن بحيرة جنيسارت كانت تبلغ في اتساعها نحو أربعين غلوة.

في هذا الظرف الدقيق,"نظروا يسوع ماشياً على البحر مقتربا من السفينة". كنا نرجو أن يمتلىء التلاميذ فرحا إذا رأوا الرب, لكن الوقت كان ليلاً, وأعصابهم كانت متوترة, ولم يكن إيمانهم بسيدهم قد ارتقى إلى درجة يعتقدون فيها أنه سيأتي ماشياً على الماء,"فخافوا" في الوقت الذي كان ينبغي أن يخافهم فيه الخوف.

٢٠فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ لاَ تَخَافُوا». ٢١فَرَضُوا أَنْ يَقْبَلُوهُ فِي السَّفِينَةِ. وَلِلْوَقْتِ صَارَتِ السَّفِينَةُ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي كَانُوا ذَاهِبِينَ إِلَيْهَا. ٢٢وَفِي

عدد ٢٠.(د) كلمة المسيح _ ٦: ٢٠.إن في كلمته"لا تخافوا":إعلاناً مطمئناً"أنا هو", وتشجيعياً:"لا تخافوا".

عدد ٢١. (هـ) ترحيب التلاميذ بالمسيح - ٦: ٢١. إن خوفهم منهم قلب إلى ترحيب به"فرضوا أن يقبلوه في السفينة". ومن المستفاد من كلام سائر البشيرين(مت٣٢:١٤) أنه دخل السفينة"وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها".

لا يسعنا أن نترك هاتين المعجزتين من غير أن نلاحظ أنهما تحملان رمزاً ضمنياً إلى المرحلة الأخيرة في خدمة المسيح على الأرض. فإذا ما افترضنا أن في معجزة إشباعه الآلاف رمزاً ضمنياً إلى تقديم جسده على الصليب ليكون قوتاً دائما للمؤمنين به, فإن في غيابه عنهم وهم منفردون في البحر, رمزا لمفارقته التلاميذ مدة مكوثه في القبر, وإن في عودته للظهور لهم بعد الغياب, علامة لظهوره لهم بعد فجر القيامة.

ثانياً: حديث المسيح - "خبز الحياة"٦: ٢٢-٦٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كم من حادثة مرت بنا في هذه البشارة, اتخذ منها المسيح موضوعاً لحديث. وكم من"آية" اتخذها "آية" لعظة! فمن معجزة شفاء مريض بيت حسدا, اتخذ موضوعاً للتكلم عن مقامه وسلطانه. ومن معجزة إشباع الآلاف ابتكر مناسبة للتكلم عن "خبز الحياة". ومن معجزة فتح عيني

الْغَدِ لَمَّا رَأَى الْجَمْعُ الَّذِينَ كَانُوا وَاقِفِينَ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ سَفِينَةٌ أُخْرَى سِوَى وَاحِدَةٍ وَهِيَ تِلْكَ الَّتِي دَخَلَهَا تلاَمِيذُهُ وَأَنَّ يَسوع

الأعمى, وجد باباً للكلام عن شخصه باعتبار كونه"نور العالم". وفي هذه المعجزة نرى معجزة أخرى مكملة لها, قد توسطت بينها وبين الحديث.

يتضمن هذا الفصل: أولاً: مقدمة تاريخية: (٦: ٢٢- ٢٤). ثانياً: الحديث: (٦: ٢٥- ٦٥). أما الحديث فهو في حقيقته عبارة عن أربعة أحاديث تربطها معاً رابطة واحدة, ولكل منها مناسبة خاصة:(١) الحديث الأول:(٦: ٢٥- ٤٠) - وقد فاه به المسيح جوابا على سؤال من اليهود. (ب) الحديث الثاني: (٦: ٤١- ٥١) - نطق به الفادي رداً على تذمر اليهود. (ج) الحديث الثالث: (٦: ٥٢- ٥٩) - أورد المخلص نتيجة مخاصمة اليهود بعضهم بعضاً. (د) الحديث الرابع: (٦: ٦٠- ٦٥) _ تحدث به المسيح نتيجة تساؤل التلاميذ بعضهم مع بعض. عدد٢٢. أولا: مقدمة تاريخية ٦: ٢٢- ٢٤. إن حماس الجماهير, الغير المهذب, الجسداني, قد حمل المسيح على أن يعزل تلاميذه عنهم, وأن يعتزل هو - إلى حين - عن التلاميذ. وأخيراً عاد فاتصل بتلاميذه بعد تلك العاصفة التاريخية. أما الجماهير فظلوا يطلبون يسوع حتى تبعوه إلى كفرناحوم."وفي الغدد"- عند شق الفجر الذي تلا ليلة العاصفة_ وإذا"بالجمع الذين كانوا واقفين في عبر البحر" منتظرين يسوع, شرعوا يبحثون عنه, ولما كان معلوماً لديهم "أنه لم يدخل السفينة مع تلاميذ",

لَمْ يَدْخُلِ السَّفِينَةَ مَعَ تلاَمِيذِهِ بَلْ مَضَى تلاَمِيذُهُ وَحْدَهُمْ - ٢٣غَيْرَ أَنَّهُ جَاءَتْ سُفُنٌ مِنْ طَبَرِيَّةَ إِلَى قُرْبِ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَكَلُوا فِيهِ الْخُبْزَ إِذْ شَكَرَ الرَّبُّ - ٢٤فَلَمَّا رَأَى الْجَمْعُ أَنَّ يَسُوعَ لَيْسَ هُوَ هُنَاكَ وَلاَ تلاَمِيذُهُ دَخَلُوا هُمْ أَيْضاً السُّفُنَ وَجَاءُوا إِلَى كَفْرِنَاحُومَ يَطْلُبُونَ يَسُوعَ.

بل صعد إلى الجبل وحده, "وأنه لم تكن هناك سفينة أخرى" تقله إلى الشاطئ الجليلي," سوى واحدة وهي تلك التي استقلها تلاميذه وحدهم", قضوا ليلتهم في البرية عازمين على العودة في الغد إلى أوطانهم, في موكب يشرفه هذا النبي الجليلي, بعد عودته من الجبل في الصباح. عدد ٣٢. الرياح المعاكسة:غير أن الريح الغربية التي قاومت سفينة التلاميذ وأعاقتها إلى الصباح, كانت ملائمة لسفن أخرى, فعاونتها على العبور بسرعة"من طبرية", الواقع على الشاطئ الغربي, "إلى" الشاطئ الشرقي, "قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن العبارة التي يختتم بها هذا العدد"إذا شكر الرب", ترينا مبلغ تأثر المشاهدين من شكر المسيح, حتى دمغت هذه الحادثة التاريخية بهذا الشكر الممتاز.

عدد ٢٤. نفاد صبر الجمع: لما عيل صبر الجمع من طول الانتظار, ورأوا أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه, دخلوا هم أيضاً السفن" - ليرجعوا إلى الجهة الغربية - "وجاءوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع" هناك. في هذه الأعداد القليلة رسم لنا البشير صورة لثورة عواطف الجماهير, وسرعة تقلبهم, ونفاد صبرهم.

٢٥وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَتَى صِرْتَ هُنَا؟» ٢٦أَجَابَهُمْ يَسُوعُ:

(١) الحديث الأول(٦: ٢٥-٤٠). فاه المسيح بهذا الحديث جواباً على سؤال اليهود. وهو في الحقيقة عبارة عن أربع محادثات دارت بينه وبينهم. وفي المحادثة الأخيرة منها تكلم بشعور عميق فياض, واصفاً مبلغ تأثره من حال اليهود الذين لم يؤمنوا برسالته.

(١) المحاولة الأولى(٦: ٢٥-٢٧). في هذه المحادثة أظهر المسيح الفرق العظيم بين الطعام الفاني والطعام الباقي.

عدد ٢٥. (١) سؤال اليهود: "ولما وجدوه" -أي الجمع الذين كانوا يطلبونه- "في عبر البحر, قالوا له, يا معلم متى صرت هنا"؟ إنهم بسؤالهم هذا قد عبروا عن الحيرة التي ملكت عليهم مشاعرهم, إذ رأوا أن المسيح سبقهم إلى ذلك المكان من غير أن يستقل سفينة ليعبر بها البحيرة, فإما أن يكون قد سافر براً وقطع المسافة التي بين بيت صيدا يوليا, وبين كفرناحوم في الليل - وهذا محال لأن الطريق غير معبدة وهي مهجورة تتغلغل فيها الصخور في كل مكان, فضلاً عن طولها, إذ كانت تبلغ نحو عشرة أميال. أو أن يكون قد مشى على الماء, وهذا أمر لم يألفوه حتى الآن.لذلك تقدموا إلى المسيح نفسه طالبين إليه أن يحل لهم هذا اللغز, قائلين: "متى صرت هنا"؟ عدد٢٦ و٢٧. (ب) جواب المسيح."أجابهم يسوع وقال الحق

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. ٢٧اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ

الحق." أن يسوع المترفع عن سفاسف الغايات الجسدانية, لم يكترث لاحتفائهم به, ولم يحاول أن يحل لهم اللغز الذي تعقد في أدمغتهم, مع أن ذلك كان ميسوراً له, فيتمجد في نظرهم, متى أعلمهم أنه مشى على الماء. لكن تعظيمهم إياه لم يصرفه عن توبيخه إياهم, فأجابهم بلغة الواثق المطمئن, صاحب السلطان المطلق"الحق. الحق" (انظر تفسير ٣: ٣) - "أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات, بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم... اعلموا...". في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جوابه هذا, نجد: (١) توبيخاً: "أنتم تطلبونني...". (٢) نصحاً: "اعلموا...". (٣) حجة دامغة: "لأن هذا الله الآب قد ختمه".

(١) توبيخاً: لقد أجاب المسيح على أفكارهم, لا على كلامهم, فوبخهم على الجسدانية التي طبع بها إعجابهم به, والأنانية التي دمغت تفتيشهم عليه. نعم رأوا معجزته, لكنهم لم يروا "أية"لأنفسهم, فكانت عيونهم شبيهة بعيون التماثيل المتحجرة – مفتوحة لكنها لا ترى, فبدلاً من أن يروا "آية" في الخبز, رأوا خبزاً في الآية. ذلك لأنهم نظروا إلى الآية بعيون بطونهم لا بعيونهم الباطنية, فلم يروا فيها إلا الأرغفة والسمك. أما قدرة الله, أما حكمة الله وعنايته, فهذه قد خفيت عنهم بإرادتهم. أما قوله: "آيات" فيريد به الآيتين السابقتين أو كل الآيات بوجه عام.

(٢) نصحاً: عدد ٢٧"اعلموا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي

بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ لأَنَّ هَذَا

للحياة الأبدية". في هذا النصح, أرادهم المسيح أن يقلعوا عن طلبهم الأمور المادية الفانية, وحضهم على أن يطلبوا القوت الحقيقي الدائم. إن كل طعام مادي, لا محالة بائد وزائل- في كيانه وفي تأثيره, فهو يشبع اليوم ليجيع غداً. وفي النهاية يزول. إن في قول المسيح هذا, شيئاً من الغرابة: فقد نهاهم عن أن يعلموا للطعام البائد, الذي لا ينال عادة إلا بالكد وعرق الجبين(تك ٣: ١٩), وحضهم على أن يعملوا للطعام الباقي, الذي لا ينال عادة بالتعب والكد, بل بالإيمان, فهو عطية من ابن الإنسان. لكن وجه الغرابة يزول متى ذكرنا, أن المراد بقوله: "اعلموا", هو"اهتموا, واطلبوا". إنهم كانوا يطلبون شخصه طمعاً في النفع المادي الذي يأتيهم منه, فأرادهم أن يطلبوا شخصه, حباً في شخصه, فيأتيهم منه خير أبدى خالد. ومع أن الطعام الباقي يعطيه لنا المسيح, لكننا لن نناله إلا إذا طلبناه باهتمام. لأننا باهتمامنا نعد أنفسنا للطعام. إن قوله: "للحياة الأبدية يصف الطعام الباقي: -في فاعليته, وفي أمد بقائه. وقصد بقوله: "يعطيكم" أن يرفع انتظارا تهم إلى طعام أفضل من الذي أعطوه في المعجزة. لأن طعام المعجزة لم يكن سوى رمز له. وقد وصف المسيح نفسه هنا بقوله: "ابن الإنسان". لأنه يهبنا هذا الطعام عن طريق تجسده. بل بتجسده صار هو طعامنا الروحي الخالد(٦: ٣٥ و٣٨ و٥٠ و٥٨).(٣) حجة دامغة: "لأن هذا" إن ضمير الهاء في كلمة: "ختمه" يعود على المسيح "ابن الإنسان". وختم الله الآب للمسيح, يراد به شهادته له بأنه

اللَّهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ». ٢٨فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللَّهِ؟» ٢٩أَجَابَ يَسُوعُ:

ابن الله, وبأن الله قد وهبه لبنى الإنسان (٣: ١٦). وذلك:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(أ) بشهادة الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله. (ب) بالصوت الإلهي الذي سمع وقت المعمودية. (ج) بتأييد الآب له بالمعجزات وسائر أركان خدمته على الأرض (قابل هذا العدد مع ٣: ٣٣).

٢- المحاولة الثانية ٦: ٢٨ و٢٩. إذا كان المسيح قد بين في المحادثة الأولى نوع الطعام الذي يهبه للمؤمنين, فقد أظهر في المحادثة الثانية وسيلة نوال هذا الطعام. كانت محادثته الأولى رداً على سؤالهم: "متى صرت هنا" (ع ٢٥). أما محادثته الثانية فقد فاه بها جواباً على استفهامهم: "ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله"(ع ٢٨).

عدد ٢٨. (أ) سؤالهم "فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله"؟ لم يستنكر هؤلاء اليهود توبيخ المسيح لهم, بل أظهروا استعدادهم أن "يعملوا" حسب قوله, ولو أنهم لم يفهموا مراده من قوله: "اعملوا", فظنوه يتكلم عن "أعمال" خارجية كالفرائض الطقسية التي يشترون بها هذا الطعام الباقي. مع أن المسيح لم يذكر شيئا عن الأعمال, بل تكلم عن "العمل" على نوال الطعام الباقي. لكنهم فهموا أنه يقصد "الأعمال" التي يأتيها الإنسان كدين له على الله. فكانوا كمن ينظر الأشباح في ضوء الفجر, فلا يراها كما هي بل يلمح أشباهها. عدد ٢٩. (ب) جواب المسيح: "أجاب يسوع وقال لهم: هذا هو

«هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ». ٣٠فَقَالُوا لَهُ:

عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله". عاد المسيح فأكد لهم أنه ما قصد "أعمالا" متناثرة يعملها الإنسان, لينال بها ذلك الطعام الباقي على سبيل الأجر, بل أراد عملا واحدا لا أعمال فيه بالمرة – وهو:"أن يؤمنوا بالذي هو أرسله. فالطعام الباقي لا يناله الإنسان استحقاقا على أعمال يأتيها, بل هبة مجانية من يد الله, والعمل الوحيد الذي يعمله الإنسان ليحصل به على هذه الهبة, إنما هو أن يفتح يده ويقبلها. فما الإيمان سوى اليد المفتوحة التي تتناول بركات الله. الكلمة: "عمل الله", لا تفيد العمل الذي يعمله الله, بل العمل الذي يطلبه الله ويقبله. هنا نقطة الاتصال, بين تعليم يعقوب رسول الأعمال وبين تعليم بولس رسول الإيمان. لأن الإيمان هو في حقيقته عمل, بل من أسمى الأعمال وأجلها إذ فيه يقدم الإنسان ذاته لله. هذا هو العمل الذي يكرم الله,إن نقبل ما عمله الله لنا. إن الإيمان الذي يستنكره يعقوب هو الإيمان العقلي الميت الذي لا ينتج ثمرا.

٣-المحاولة الثالثة ٦: ٣٠- ٣٣. في هذه الحادثة أوضح المسيح طريق البلوغ إلى الإيمان. عجيب أن اليهود لم يعترضوا على كلام المسيح لهم عن "العمل", إنما اعترضوا عن كلامه عن الإيمان هذا هو الاتجاه الخاص الذي تميل إليه الطبيعة البشرية. إنها على الدوام تتمسك بأهداب الأعمال لأن فيها تمجيدا لذاتها, وتنفر من الإيمان لأنه يجردها من كل مجد, ويعطي المجد كله لله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

«فَأَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ مَاذَا تَعْمَلُ؟ ٣١آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزاً مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا».

عدد ٣٠و٣١ (أ) سؤالهم ٦: ٣٠و٣١."فقالوا له فأية آية". ما أسرع الإنسان إلى النسيان! لم تمض أربع وعشرون ساعة, مذ أن رأوا الآية التي أجراها المسيح بإشباعه الخمسة الآلاف, لكنهم لم يروا في تلك المعجزة "آية" محرضه لهم على الإيمان, بل مجرد أرغفة أشبعت بطونهم.فضلا عن ذلك, فإن العقل الطبيعي شرها مستمراً إلى المعجزات, ليعجب ويتلذذ. لابد أنهم فهموا من قول يسوع عن نفسه: "الآب قد ختمه"(ع٢٧),"وأرسله"(ع٢٩),أنه يريدهم أن يتأكدوا أنه هو المسيح, الذي ينبغي أن يؤمنوا به, لذلك طلبوا منه أن يصنع آية جديدة ليفحصوها بدقة ويميزون العنصر الإلهي فيها. وكما قال لهم: "اعملوا". قالوا هم له: "تصنع". ولعلهم كانوا يعتبرون معجزة إشباع الآلاف أقل من معجزة إنزال المن من السماء لبني إسرائيل, لأن معجزة إشباع الخمسة الآلاف أقل لم تكن – في نظرهم – سوى مضاعفة عدد الأرغفة الأرضية إلى حد معين. لكن المن كان طعاما نازلا رأسا من السماء. ويقول معلمو اليهود: إذا كان ولينا الأول – موسى – قد أتى لنا بمن من السماء, فإن ولينا الثاني – مسيا –سيأتي أيضا بمن جديد من السماء. فليس من المستغرب أنهم قارنوا بين موسى ومسيا: "آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب"- في مزمور٧٨: ٢٤و٢٥- "أنه" -الله- "أعطاهم" -أي بني إسرائيل- "خبزا من السماء ليأكلوا ".

٣٢فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ ٣٣لأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ».

عدد ٣٢و٣٣. (ب)جواب المسيح"فقال لهم يسوع..." كانت أفكارهم منحصرة في مصدر "المن" – "من السماء". فقصد المسيح أن يوجه قلوبهم إلى جوهر المن الحقيقي – والجوهر أهم من المصدر. وقد صدر جوابه بهاتين الكلمتين الحاسمتين: "الحق. الحق". فبين لهم في جوابه: (أ) أن موسى لم يعطهم المن, إنما هو الذي أعطاهم إياه "ليس موسى أعطاهم الخبز من السماء". (ب) ليس المن هو الخبز الحقيقي الذي من السماء إنما هو خبز مادي رمزي. (ج) إن المن خبز "أعطاه" الله مرة للأمة الإسرائيلية, فصار في خبر كان, وذهب مع الذين أكلوه, لكن الخبز الحقيقي الذي من السماء يعطيه الله باستمرار لأنه خبز حي دائم, يتجدد كل يوم. (د) إن خبز الله, الحقيقي, ليس هو المن الذي أكله بنوا إسرائيل في البرية فماتوا, بل هو الخبز النازل "من السماء, الواهب حياة". فهو لا يكتفي بأن يقيت الحياة إن وجدت, بل يهبها للموتى ليبعثهم من العدم. (هـ) إن المن أشبع الإسرائيليين. لكن الخبز الحقيقي النازل من السماء هو الذي يهب حياة للعالم كله. وخلاصة مميزات هذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخبز الحقيقي, أنه هبة من الله رأساً, وأنه نازل من السماء, وأنه يعطى باستمرار للجياع, وأنه يهب الحياة, وأنه معد للجميع لا لشعب خاص.

٣٤فَقَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هَذَا الْخُبْزَ». ٣٥فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ.

٤- المحادثة الرابعة ٦: ٣٤- ٤٠. المسيح يعلن لهم أنه هو خبز الحياة.

عدد ٣٤. (أ) سؤالهم ٦: ٣٤. "فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز". إلى الآن لم يكشف لهم المسيح عن ماهية هذا الخبز. لكن الأوصاف السالفة التي خلعها على هذا الخبز جعلت لعابهم يسيل شوقاً إليه. فقالوا له: "يا سيد أعطنا كل حين هذا الخبز".

مل أشبه كلامهم هذا بكلام المرأة السامرية: "يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي" (٤: ١٥). إلى الآن كانوا جسديين, نفعيين, عائشين ببطونهم لا بقلوبهم. إن في قولهم: "كل حين" إشارة ضمنية إلى المن الذي كان يرسله الله "كل يوم", لبني إسرائيل.

عدد ٣٥. (ب) جواب المسيح ٦: ٣٥- ٤٠. كانت أمنيتهم شريفة, مع أنها كانت ناقصة. ولكن على رغم ما كان يحيط بها من سحب الجهالة الكثيفة, لم تقابل من المسيح بالصد والإعراض, لكنه أزاح الستار الذي كان يحجب به معلناته المجيدة, وانتقل من التعميم إلى التخصيص, فصرح لهم قائلاً: "أنا هو خبز الحياة". طلع المسيح عليهم بنور هذا الإعلان الممتاز, وهو عالم أن بعض العيون المريضة سيبهرها النور فلا تقوى على البصر, لكن عيوناً أخرى سينجلي لها الحق بأكثر وضوح, لأنها "بنوره ترى نوراً".

مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فلاَ يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فلاَ يَعْطَشُ أَبَداً. ٣٦وَلَكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ

في هذا العدد, أوضح لهم المسيح: ماهية الخبز: "أنا هو خبز الحياة", وفوائده: الإشباع والارواء: "لا يجوع.. ولا يعطش", وطريق الحصول عليه: "من يقبل إلى".. "من يؤمن بي".إن قوله: "أنا هو خبز الحياة", هو خير إجابة لطلبهم: "أعطنا في كل حين هذا الخبز". فبين لهم أنهم ليسوا في حاجة إلى أن يقولوا: من يحضر إلينا هذا الخبز, لأنه قريب منهم, وعند أفواههم, وما عليهم إلا أن يقبلوه ويتناولوه. ما على الله قد أتمه, وما على البشر إلا أن يقبلوا فيأكلوا ليشبعوا, ويشربوا ليرتووا. الكلمة: "خبز الحياة" معناها, الخبز الذي يعطي الحياة. "والحياة المقصودة" هنا, هي حياة الله بالذات, التي تآنست في المسيح فصارت بشراً سوياً (١يو١: ٢) أما العبارتان: "لا يجوع" و "لا يعطش" فهما متكاملتان – الجوع يرمز عادة إلى الإحساس بالضعف والعجز. والعطش يرمز إلى شوق القلب إلى السلام التام. والعبارتان: "يقبل إلى" و "و يؤمن بي", تفسر ثانيتهما أولاهما. أولاهما تفيد ترك

 All rights reserved © 2008-2018

الإنسان حاله والإتيان إلى الفادي, والثانية تفيد الثقة العملية التي يلقى بها نفسه عليه. الأولى تعني مجئ العطشان إلى النهر, والثانية تشير إلى شربه منه. هذه هي المرة الأولى التي قال فيها المسيح: "أنا هو".

عدد ٣٦. مبصرين لا ينظرون: "ولكني قلت لكم أنكم قد رأيتموني

قَدْ رَأَيْتُمُونِي وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. ٣٧كُلُّ مَا

ولستم تؤمنون"-إن في هذه الكلمات حزناً تمازجه مرارة, يخالجهما تعجب, ويخالطهما تلويم. هذا هو جواب المسيح على قولهم له: "أية آية تصنع لنرى ونؤمن بك" (عدد ٣٠). وكأن به يقول لهم: يا من تطلبون آية لتروا وتؤمنوا, هوذا الآية موجودة أمامكم ولم تنظروها – هذه الآية هي أنا: "قد رأيتموني ولستم تؤمنون" أني أنا هو المسيح.

مزايا المؤمنين بالمسيح ٦: ٣٧- ٤٠. بين كلمات التلوين والتقريع الذكورة في العدد السابق, وبين المعلنات المجيدة المذكورة في هذه الأعداد, نلاحظ انتقالاً في الفكر, وفي نغمة الكلام, يتخلله صمت مهيب.

إن أولئك الذين طلبوا الخبز المادي لا سواه, قد رفضوا المسيح. لكنهم برفضهم إياه لم يخذلوا المسيح, بل خذلوا أنفسهم, ولم يغيروا قصد الله الثابت: "لأن الرب يعلم الذين هم له". لذلك فاه المسيح بنغمة الواثق قائلاً: "كل ما يعطيني الآب. فإلي يقبل. ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجاً ". فاللوم إذاً واقعاً عليهم وحدهم, والفشل والخسارة يحقيان بهم دون سواهم. فمن مزايا المؤمنين بالمسيح: (أ) أنهم عطية الآب للابن: "كل ما يعطيني الآب فإلي يقبل. (ب) إنهم موضوع ترحيب المسيح الدائم: "مكن يقبل إلي لا أخرجه خارجاً " (عدد ٣٧). (ج) إنهم موضوع صيانة المسيح وعنايته (عدد ٣٨ و٣٩) "…. لأني لا أتلف منه شيئاً ". (د) إن الحياة الأبدية لهم (عدد ٤٠).

عدد ٣٧. (أ) المؤمنون بالمسيح هم عطية الآب للابن: "كل ما

يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ

يعطيني الآب فإلي يقبل", وهم أيضاً (ب) موضوع ترحيب المسيح الدائم: "ومن يقبل إلي لا أخرجه خارجاً ". في هذا العدد أربعة مقاطع: المقطع الأول يتماشى مع الثالث, والثاني يساير الرابع. الأول يصف للإنسان من الجانب الإلهي السماوي: "كل ما يعطيني الآب" والثالث يصفه من الجانب الإنساني: "من يقبل إلي". فالمؤمن, من الجانب الإلهي السماوي, مختار من الله ومدعو دعوة فعالة, لأن الآب دبر منذ الأزل أن يعطيه للمسيح (١٧: ٦). الكلمة: "يعطي" وردت بصيغة المضارع لتصف فعل الله المتواصل في قلوب البشر وقت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اقتبالهم إلى المسيح. وقد ذكر المسيح هذه الحقيقة لا لينتقص بها من حرية البشر الاختيارية, بل ليظهر لسامعيه الفرق العظيم بين من يأتوا إليه نتيجة تحريضات بشرية جسدا نية (عدد ٢٦), وبين من يأتون إليه نتيجة فعل الله في قلوبهم.

المقطع الثاني: "فإلي يقبل", يحقق ويضمن نجاح قصد الله في المؤمنين."والإقبال" هنا, لا يعني مجرد الإتيان إلى المسيح بل يفيد الخلاص إلى المنتهى. إن كلمة: "كل" التي يستهل بها المقطع الأول, كاملة تعميمية تصف المؤمنين كجماعة كاملة, لكن كلمة "من" التي يستهل بها المقطع الثالث, كلمة تفصيلية لأن المؤمنين يأتون إلى المسيح فرداً, مع أنهم أعطوا له جماعة. المقطع الثالث: "من يقبل إلي" يبتدىء حيث انتهى المقطع الثاني وهو يصف الإيمان من الجانب الإنساني, بما فيه ترك الخطايا التي يكون عليها الإنسان قبل النقطة الفاصلة في الإيمان, حتى يقبل إلى المسيح.

لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً. ٣٨لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي
أَرْسَلَنِي. ٣٩وَهَذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي:

أما المقطع الرابع: "لا أخرجه خارجاً", فإنه يتمشى مع الثاني, وهو يصف لنا سعة قلب المسيح المحب. فإذا كان المقطع الثاني يقرر يقينية خلاص المؤمنين بكلمات إيجابي جامعة, فإن المقطع الرابع يؤكد هذه اليقينية بكلمات سلبية قاطعة, مانعة: "لا أخرجه خارجاً". إن جيشاً عظيماً من البشرية, على ممر الأجيال, مدينون لليهود, بهذه الكلمات المشجعة التي فاه المسيح رداً عليهم.

عدد ٣٨ و٣٩. (ج) المؤمنون بالمسيح هم موضوع صيانته ورعايته ٦: ٣٨ و٣٩.

في نهاية العدد السابق, أعلن المسيح ترحيبه الدائم بمن يقبلوه إليه. وفي هذين العددين يرينا الباعث الأساسي لهذا الترحيب – وهو أنه تجسد ليعمل مشيئة الآب الذي أرسله, وإن هذه المشيئة هي: أن لا يتلف شيئاً مما أعطاه الآب إياه, وإن موت الجسد لا يحسب إتلافاً, لأنه سيقيم الموتى في اليوم الأخير. قبلاً رأينا المسيح مرحباً بمن يقبلوه إليه, والآن نراه معتنياً بهم, ومحافظاً عليهم, إن ترحيب المسيح بالمؤمنين, يعبر عن سعة قلبه وغزارة حبه. أما محافظته عليهم, فتعبر عن عظمة قدرته, وشدة ولائه للآب الذي يريد جميع المؤمنين بالمسيح يكونون محفوظين. قد أشار المسيح أربع مرات في هذا الخطاب,إلى نزوله من السماء (عدد ٣٨ و٥٠ و٥١ و٥٨), وهو يريد بها التجسد. وفي هذا برهان جلى على سبق المسيح قبل

أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً بَلْ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التجسد. إما الغاية المثلى من تجسد المسيح فهي إتمام مشيئة الآب الذي أرسله. لأنه من حيث كونه فادياً, قبل على نفسه القيام بكل مطاليب الفداء كوسيط.

على أن تسليم المسيح إرادته للآب, لا يجرده من حرية إرادته, بل يجعل إرادته موافقة لإرادة الآب. ولا يطعن في شخصيته, بل يعتبر أقوى حجة لإثبات كمال بنوته. فمن كمال الابن, الطاعة للآب. هذا برهان جديد على صحة أقنوميته, وبالتالي على عظمة لاهوته.

فإذا كل من يقبل "يقبل إليه", حاملاً على جبينه ختم الآب, "لا يخرجه خارجاً ", بل يرحب به ويرعاه ويحافظ عليه. لأنه إذا كان المسيح قد أظهر حرصه على كسر الخبز التي فضلت عن الآكلين, والخبز المادي عطية من الآب (عدد ١٢), أفلا يحرص بالأولى جداً على أعضاء جسده الروحي, السري, لكي لا يفلت ولا يتلف منهم أحد, وهم عطية الآب له؟!

في عدد ٣٩ عبر المسيح عن محافظته عن المؤمنين بكلمتين: إحداهما سلبية:"لا أتلف منه شيئاً". والثانية إيجابية: "بل أقيمه في اليوم الأخير". والسلبية تمهيداً للإيجابية.
الكلمة"أعطاني" وردت هنا بصيغة الماضي لتفيد التعليم السابق والدعوة الأزلية (رو ٨: ٢٩ و٣٠). والعبارة: "أقيمه في اليوم الأخير" تكررت أربع مرات في هذا الخطاب (عدد ٣٩ و٤٠ و٤٤ و٥٤). ما أشبهها بقرارة أنشودة جميلة! إن الخبز الطبيعي يحفظ حياة آكله, إلى أن يأتيه مرض من ثم يتحول له مصدر الغذاء, إلى سبب للداء. ومتى هجم عليه الموت فلا حول ولا طول للخبز المادي. ولكن

أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. ٤٠لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الِابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ

المسيح – الذي هو"الخبز الحي النازل من السماء" – يحصن الإنسان ضد "التلف", الذي هو الضعف الروحي الناشىء عن الارتداد والرجوع إلى الشر والأركان الضعيفة, ويقيه شر الموت الجسدي, إذ"يقيمه في اليوم الأخير". (١ كو ١٥).

عدد ٤٠. مسؤولية الإنسان في هذه الصيانة: "لأن هذه هي مشيئة" لم يشأ المسيح أن يختتم هذا الجزء من الخطاب من غير أن يشير إلى مسؤولية الإنسان في هذا الحفظ – وهي أن "يرى الابن ويؤمن به". وقد كان من الضروري أن يصرح بهذا التصريح, لأن عدم إيمان سامعية به, كان علة عدم ترحيبه بهم. عيبهم أنهم رأوا ولم يؤمنوا مع أنهم سبقوا فطلبوا آية, "ليروا ويؤمنوا". ولما أعطيت الآية لهم في شخصه, انطبق عليهم القول: "مبصرين يبصرون ولا ينظرون": "رأيتموني ولستم تؤمنون" (عدد ٣٦). وفي الواقع يعتبر عدد٤٠ مكملاً ومؤيداً لعدد ٣٩. والفرق الرئيسي بينهما هو أن عدد ٣٩ يشير إلى الجانب الإلهي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الخلاص, وعدد ٤٠ يتكلم عن الجانب الإنساني. إن نصيب المؤمنين, كما يتبن من عدد ٣٩هو "الصيانة" كما يتبن من عدد ٤٠هو "الحياة الأبدية".

"يرى ويؤمن" – كلمتان: أولهما ممهدة للثانية, وثانيتهما مكملة للأولى. فالإنسان يرى ويسمع, فيكون لنفسه صورة لما يراه ويسمعه, ثم يتأمل الشخصية المرتسمة أمامه في الصورة, فيميل إليها, ويعجب بها,

وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ». ٤١فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ».

فيثق, ويتكل, ثم يعبد. "يرى ويؤمن" – كلمتان: أحدهما مفسرة للأخرى. فالرؤية هي النظر للعين الطبيعية المجردة, والإيمان هو النظر بالعين الروحية الباطنية التي ترى ما – ومن لا يرى (عب ١١: ١).

عدد ٤١. (ب) الحديث الثاني ٦: ٤١- ٥١. يتضمن هذا الحديث

أولاً: تذمر اليهود ٦: ٤١ و٤٢. ثانياً: المسيح يصارحهم بعدم أهليتهم له (٦: ٤٣- ٤٦). ثالثاً: المسيح يعلن لهم أنه هو خبز الحياة ٦:٤٧- ٥١.

أولاً: تذمر اليهود ٦: ٤١و٤٢. (أ) طبيعة تذمرهم (عدد ٤١). نرى في هذا الحديث انتقالاً في الفكر, وتبايناً في روح الكلام, وتغير في البيئة, عما في الحديث الأول. غالباً كان الحديث الأول موجهاً إلى الجمهور, وأما الحديث الثاني فموجه إلى رؤساء اليهود. ولعل بعضاً منهم كانوا موفدين من السنهدريم ليمسكوا يسوع بكلمة, والبعض الآخر من الجليل. الكلمة"تذمر" – في الأصل – لا تفيد بالضرورة أنهم نطقوا بكلمات على مسمع من المسيح, بل أنهم تمتموا, فعلم المسيح بما كان يختلج في صدورهم (٥: ٢٣و٢: ٢٥). كان تذمرهم مظهراً من مظاهر شكوكهم (٧: ٣٢). وتعثرهم (٦: ٦١ولوقا ٥: ٣٠). أما الباعث لهم على هذا التذمر قول المسيح: "أنا هو الخبز الذي نزل من السماء". ومع أن المسيح لم يفه بهذه الكلمات كما هي, ولكنهم انتقدوها وجمعوها معاً في جملة عبارات فاه بها الفادي (عدد ٣٣و٣٥و٣٨).

٤٢وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. فَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا: إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟» ٤٣فَأَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ تَتَذَمَّرُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ.

عدد ٤٢. (ب)موضوع تذمرهم عدد ٤٢."أليس هذا هو المسيح...."؟ عبر اليهود – فيمابينهم- عن تذمرهم, بكلمات تحقير ألقوها كمهام مسمومة على المسيح.وهذا التحقير كان منصباً على –(أ) شخصه: "أليس هذا هو يسوع"؟ إن نغمة تحقيرهم له, بلغت أشدها عند

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نطقهم بكلمة:"هذا". (ب) أصله: "ابن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه". لم يكن هؤلاء اليهود عارفين بالطريقة المعجزية التي ولد بها المسيح من عذراء, وليس بغريب أن مر المسيح بلغوهم هذا, مر الكرام. لأنه لم يجد داعياً لمناقشة قول من أمر لا يقبل إلا بالتسليم والإيمان سيما وأنه ولد في سكون الليل, في خان وضيع والبشر كلهم نيام. وأي نفع يرتجى من إلقاء درة هذه المعجزة الخالدة, أمام من تسلحوا بنية عدم الإيمان؟! وإذا كان قد صرح لهم بالمعاناة فلم يؤمنوا, فكيف يؤمنون إذا أفضى إليهم بالأسرار والمكنونات؟ فضلا عن هذا فإن عدم علمهم بميلاد المسيح من عذراء لم يكن العلة الرئيسية في عدم إيمانهم.

عدد ٤٣.(ج)جواب المسيح ٦: ٤٣-٥١. بين المسيح لهم في جوابه هذا أن لا معنى لتذمرهم من كلامه. فليس العيب في كلامه, بل في فهمهم لأنهم من ذواتهم لا يقدرون أن يأتوا إليه, ولا أن يفهموا كلامه. أنهم لا يقدرون أن يأتوا إليه إن لم يجتذبهم الآب (عدد ٤٤),ولا يستطيعوا أن

٤٤لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي

يفهموا كلامه ما لم يتعلموا من الله (عدد٤٥), وينتسبوا إليه انتساباً فعلياً حيوياً (عدد ٤٦).

عدد ٤٤. الطريق الوحيد إلى المسيح. لم يقصد المخلص بهذه الكلمات, أن يعجز الناس عن الإتيان إليه, بل أراد أن يظهر لهم عجز قدرتهم الطبيعية عن تخليص أنفسهم, وعدم قدرة العقل الطبيعي على فهم المعلنات السماوية السامية. وفي الوقت نفسه فتح لهم باب المجيء إليه, على مصراعيه, إذ أراهم الباب الوحيد الحقيقي. على أن المسيح في تصريحاته هذه لم يطلع عليهم بحديث جديد, بل كلمهم عن حقيقة سبق وكتب عنها الأنبياء. وقصد بـ"الأنبياء" تلك الأسفار المعروفة بهذا الاسم في العهد القديم العبري (انظر أشعياء ٥٤: ١٣ وقابله بما جاء في أرميا ٣١: ٣٣و٣٤ ويوئيل ٢: ٢٨و٣: ١).

إن كا قاله المسيح عن اجتذاب الآب للمؤمنين, يوضح ويكمل ما قاله في عدد ٣٧. عن كون المؤمنين عطية الآب له. وما هذان القولان, سوى تعبيرين لحقيقة واحدة. فاجتذاب الآب للمؤمنين هو الوسيلة الفعالة لتنفيذ ما قصد بهم منذ الأزل, من حيث كونهم عطية للمسيح. فالمؤمنون هم عطية الآب للمسيح بقضاء خارجي, لكنهم يأتون إلى المسيح بجاذبية داخلية, سرية فعالة. ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن اجتذاب الآب للمؤمنين, لا يلغى إرادتهم, بل يطبع إرادتهم بطابع إرادته, فيريدون من تلقاء ذواتهم, ما سبق فأراده هو لهم وبهم. لأنه لا يجتذبهم اغتباطاً. ولا يدفعهم بالعنف بل يستميلهم باللطف: "بحبال البشر.. بربط المحبة". إن اجتذاب الآب

وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. ٤٥إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للخطاة هو النقطة التي يلتقي عندها الاختبار, بالدعوة الفعالة. فالله من فرط حبه للخطاة, أرسل المسيح من السماء إلى العالم, ليكون واسطة اجتذاب الناس من العالم إلى السماء. وقد ذكر المسيح كلمة: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير" في هذا المكان أيضاً, ليفهم سامعيه أنه إذا كان الآب منشىء الخلاص فإن المسيح مكمله. باجتذاب الآب يأتي الخطاة إلى المسيح, وبمحافظة المسيح عليهم يظلون على الدوام معه وله.

عدد ٤٥. قوة المكتوب... أو كلمة الله المتجسد يستشهد بكلمة الله المكتوبة وكذلك كلمة الله المكتوبة تشهد "لكلمة الله" المتجسد (انظر ٥: ٣٩). متى علمنا مما جاء في عدد ٥٩., إن المسيح نطق بهذه الكلمات وهو يعلم في المجمع في كفرناحوم, فلا يبعد أن يكون قد قرأ هذه الكلمات من درج الكتاب (قابل لوقا ٤: ١٧). كان أشعياء مشيراً بنبوته إلى العصر المسيحي, الذي يكون رجاله متعلمين من الله. وواضح أنه لا يتعلم من الله إلا الشخص الذي يدخل مدرسة الله الروحية, ليسمع منه. ومن يسمع من الآب ويقبل تعاليمه ويتفهمها, ويخضع نفسه لسلطانها, يقبل إلى المسيح. إن كلمة"جميع", التي في بدء العدد, تختلف عب كلمة: "كل" التي في الجزء الثاني منه. الأولى تعميمية تشير إلى رجال العصر المسيحي كمجموع, والثانية تخصيصية تشير إلى كل من يقبل تعاليم الله فرداً فرداً. فكلمة: "كل"

فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الآبِ وَتَعَلَّمَ يُقْبِلُ إِلَيَّ. ٤٦لَيْسَ أَنَّ أَحَداً رَأَى الآبَ إِلاَّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ.

تعين تفصيلياً من تعنيهم كلمة"جميع" إجمالياً. وعليه يكون الجزء الثاني من هذا العدد, نتيجة طبيعية للجزء الأول ومؤيداً له. فما أجل قدرة المسيح! إذ لا يقدر أحد أن يدخل مدرسته إلا متى تتلمذ في مدرسة الآب: "كل من سمع من الآب وتعلم,يقبل إلى". هذا هو الشيء الجوهري الذي كان يعوز سامعيه.

عدد ٤٦. تفرد المسيح برؤية الآب: "ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذي من الله" – هذا استدراك لما يمكن أن يستنتج خطأ من العدد السالف. فرق عظيم بين من يتعلم من الله وبين المسيح. إن من يتعلم من الله يسمع الله يتكلم, لكن المسيح وحده, هو الذي رأى الآب, لأنه "من الله" – هذه الكلمة الأخيرة: "من الله", تفسرها العبارة التي وردت في ١: ١٤: "كما لوحيد من الآب" (انظر ١: ١٨و ٨: ٤٢ و ١٦: ٢٧). إن الذين يتعلمون من الآب, لا يشاركون المسيح في مقامه, لأنه في مقام ممتاز لا يدانيه فيه سواه, وهو الوحيد الذي كان في حضرة الآب, ورآه, وعرفه, ويستطيع أن يخبر عنه بتدقيق وإفاضة, فهو "كلمة الله" (١٧: ٣ ومت ١١: ٢٧).إن قوله: "من الله" لا يصف المسيح في مصدر رسالته كأنه مجرد رسول "من الله, بل يصفه في جوهره وأصل طبيعته. (انظر ٧: ٢٩). "أنا أعرفه لأني منه".. "هذا قد رأى الآب". قد يكون القصد الأساسي من هذه الكلمات, وصف المسيح قبل التجسد. لكنها مع ذلك تصفه أيضاً وقت التجسد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هَذَا قَدْ رَأَى الآبَ. ٤٧اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ.

فهي لا تصف اختباراً ماضياً وكفى, لكنها تتناول أيضاً حالة دائمة مستمرة – هي شعور المسيح الدائم بصلته الوثيقة بالآب. (٣: ٣٤ و ٣٥ و ١٤: ١٠). وقال: "قد رأى" من قبيل التحقيق, للدلالة على أن هذه الرؤية مبنية على الصلة الأزلية التي بين الآب والابن.

عدد ٤٧. يسوع خبز الحياة ٦: ٤٧ - ٥١. إن كلام المسيح في الأعداد السابقة ممهد لكلامه الآتي, كما إن كلامه الآتي مقرر ومثبت لكلامه السالف. فكل من يقرأ كلامه – من عدد ٤٧ وما بعده – يشعر أن نغمة خاصة لابسته, هي نغمة الثقة, واليقين, والجد الرهيب: "الحق. الحق". فقد اعتدنا أن نسمع هاتين الكلمتين معاً, من فم المسيح. كلما أراد أن يقدم لسامعيه إعلاناً جديداً ممتازاً, مستمداً من الصلة الفريدة التي تربطه بالآب (عدد ٤٦). إنه بقوله هذا, يتحدى اليهود"المتذمرين فيما بينهم" من جهة أصله (عدد ٤١و٤٢). هذا وإن مكافأة الإيمان بالمسيح هي: "الحياة الأبدية" – هذه مكافأة طبيعية لا تعطى اعتباطاً, لأن الإيمان الحي يتحد الإنسان الميت, بالمسيح الحي, فيخلع عنه أكفان العدم ويمتعه بجدة الحياة. لا بل هذه مكافأة حالية ولو أنها أبدية": "له". فهي ملك المؤمن في الحياة الحاضرة ولو أن غنى مكوناتها سيكشف في الحياة العتيدة. هي لنا الآن. في البزرة وستكون لنا في الدهر الآتي, شجرة ناضجة الثمار (٣: ٣٦).

٤٨أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. ٤٩آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا.

إن الإيمان هو الوسيلة التي بها تعرف النفس المسيح – ومعرفته هي الأبدية (١٧: ٣).

عدد ٤٨. الإعلان الأول في هذه البشارة – أنا هو خبز الحياة. بعد أن رد المسيح على اعتراضات اليهود التي بدت من تذمرهم, استأنف كلامه الذي فاه به في ٦: ٣٢-٤٠, وتقدم فيه مرتقياً على درجات متصاعدة. فما صرح به في ع ٤٨, يؤيد ما نطق به في ع ٤٧, ويقرر ما فاه به في ع ٣٦, ويزيده توكيداً وإيضاحاً.

عدد ٤٩.الخبز البائد: "آباؤكم أكلوا المن.." – في هذا العدد ردد المسيح ما قتاله اليهود في ع ٣١. ومن كلامهم دانهم: "آباؤكم أكلوا المن في البرية واتوا" – إذاً فالمن الذي افتخروا به, إنما هو طعام ميت. ولو كانت فيه حياة, لظهر أثرها في الذين أكلوا منه.ومع أن الموت المشار إليه هنا, هو الموت الجسدي الذي أصاب الإسرائيليين في البرية, إلا انه كان أيضاً موتاً عقابياً, تأديبياً, أبدياً. لم يستطع المن أن يرفع عنهم حكم الموت, ولا أن يدفع عنهم غائلة الفناء, فيجوز لنا أن نلقبه :"خبز الموت" – بخلاف المسيح الذي هو "خبز الحياة". فهو خبز حي محي, وقد رفع عن المؤمنين حكم الموت, ووهبهم حياة أبدية, لن تتطاول إليها يد الموت. فهي "أبدية" في مداها, وفي طبيعتها, وفي عمقها, وفي سعتها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٥٠هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ

عدد ٥٠. وصف مثلث لخبز الحياة: "هذا هو الخبز...": (أ)أصله: "النازل من السماء". ويلاحظ أن ضمير المتكلم: "أنا" (عدد ٤٨), قد استعيض عنه باسم الإشارة: "هذا" (عدد٥٠), لأن المسيح كان يتكلم في عدد ٤٨ عن شخصه باعتبار كونه خبز الحياة, وهو الآن يتكلم عن شخصه باعتبار كونه واهب هذا الخبز للعالم. في الأول رأيناه طعام العالم, والآن نراه مطعم العالم ومقيته. فيما سبق, تكلم عم كفاية شخصه وقوته, والآن يتحدث عن مشيئته الحرة التي بها قدم نفسه اختيارياً وطوعاً, لأجل حياة العالم. إن في قوله:/ "النازل من السماء" إشارة إلى تجسده وحضوره الدائم المتجدد. (ب) القصد الإلهي فيه :"لكي يأكل منه الإنسان". إن الغاية الأساسية من الخبز, ليست أن يتطلع إليه الإنسان, ولا أن يحلله تحليلاً كيماوياً, بل أن يأكله. ولا يفوتنا أن في استعارة الأكل تخصيصاً فردياً. فقد يتكلم إنسان بدلاً من آخر, وقد يعمل عمله عوضاً عنه, لكن من المحال أن يأكل إنساناً عوضاً عن آخر, فالأكل عمل فردي.كذلك الإيمان. وكما أن الطعام يصير بأكله جزءاً لا يتجزأ من جسم الإنسان, ويستحيل بعد مضغه وهضمه إلى غذاء يتغلغل في عصارة الجسم, فيصير بعضه لحماً, والبعض الآخر عظماً, والآخر دماً, لدرجة يصبح في الإنسان, والإنسان فيه, كذلك بالإيمان يتحد الإنسان اتحاداً حيوياً بالمسيح, فيصير

وَلاَ يَمُوتَ. ٥١أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ.

المسيح فيه, وهو في المسيح. (ج)فاعليته: "ولا يموت" الإشارة هنا الموت الروحي الأبدي – هذا هو الموت الثاني.

عدد٥١.يسوع الخبز الحي:"أنا هو الخبز الحي".عاد المسيح في هذا العدد إلى ضمير المتكلم: "أنا". كما في عدد ٤٨. إلا أنه في هذا العدد, وصف نفسه بأنه"الخبز الحي". والوصف الثاني هو العلة الأساسية للوصف الأول. فهو خبز الحياة لأنه خبز حي. العبارة :"خبز الحياة" – تصفه في فعاليته: أي أنه يهب الحياة ويحفظها. والكلمة:"الخبز الحي": تصفه في طبيعته- أي أن الحياة ذاتية فيه.

إذا ألقينا نظرة عامة على هذا العدد, ألفيناه – في الجزء الأول منه – يماشي العدد السابق. مع تدرج في المعنى, وتعمق في الوصف, وتقدم في الإعلان: عدد ٥٠– هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت

عدد ٥١- أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فقوله:"أنا هو الخبز الحي"يخلع على الخبز وصفاً جديداً لم يذكر في العدد السابق –"الحي". والفرق بين قوله: "النازل من السماء"(عدد ٥٠),وقوله"الذي نزل من السماء"(عدد ٥١), هو أن الأول يصف تجسد المسيح باعتبار كونه طعاماً, مستديماً, متجدداً كل يوم, وفي متناول جميع البشر. والثاني يصف التجسد كحقيقة تاريخية, تمت مرة واحدة. أما قوله: "لكي يأكل منه الإنسان"(عدد ٥٠), فيصف الخبز من جهة قد الله الأزلي

إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ

فيه. وقوله:"إن أكل أحد من هذا الخبز"(عدد ٥١) يصفه من جهة حرية إرادة البشر في تناوله أو رفضه. إن كلمة "إنسان" في عدد ٥٠, كلمة إجمالية, وكلمة "أحد" في عدد ٥٠, كلمة تفصيلية. أما فاعلية هذا الخبز فقد وصفت في عدد ٥٠, وصفاً سلبياً: "لا يموت" – لأن الإنسان الطبيعي مولود تحت حكم الموت: وقد وصفت في عدد ٥١, وصفاً إيجابياً. "يحيا إلى الأبد". هذا وصف أقوى, يشير إلى دوام الحياة. ولعل الوصف الأول يشير إلى بدء اختبار المؤمن, والثاني إلى بلوغه وتمامه.

إلى هنا يفترق العددان, فتنتهي خطوات أولهما إلى الحد الذي تركناه فيه, ويتقدم بنا الثاني إلى إعلان جديد:"والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله أنا من أجل حياة العالم". فيما سبق كان المسيح يتكلم عن شخصه, والآن نراه منتقلاً من الكلام التعميمي عن" شخصه", إلى التخصيص التفصيلي عن "جسده". فبدلاً في قوله فيما مضى: "أنا هو الخبز " نسمعه يقول الآن: "والخبز.. هو جسدي".ثم انتقل من هذه النقطة إلى ما هو أبعد منها, فأرانا الطريقة التي بها يقدم جسده ليكون طعاماً للعالم – بالصليب: "الذي أبذله".فمن الكلام عن شخصه – إلى الكلام عن تجسده – إلى الكلام عن موته. إن شخصه أزلي, لكنه ظهر للعالم بالتجسد, وجسده صار طعاماً للعالم بكسره على الصليب.

مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ». ٥٢فَخَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ: «كَيْفَ

متى علمنا من مقدمة هذا الفصل, إن المسيح فاه بهذه الكلمات في وقت كان فيه عيد الفصح قريباً (عدد ٤),فمن المحتمل جداً أن يكون هذا الكلام منطوياً على مقابلة ضمنية بين حمل الفصح اليهودي الذي كان يقدم لأجل عائلة يهودية واحدة, وبين المسيح فصحنا الأعظم الذي كان آنئذ على استعداد أن يبذل على الصليب "من أجل حياة العالم" أجمع.

وكما كان اليهود ينتفعون من حمل الفصح, بدمه الذي يرشونه على القائمتين والعتبة العليا, وبلحمه الذي كانوا يأكلونه داخل البيت, كذلك ينتفع المؤمنون, بدم المسيح وبجسده. هذه هي الحقيقة التي أراد المسيح أن يوضحها في الحديث الآتي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ج) الحديث الثالث ٦: ٥٢-٥٩. يعتبر هذا الحديث تتمة للحديث السابق وتوضيحاً له. في الحديث السابق لمحنا اليهود "يتذمرون فيما بينهم" (٦: ٤١-٤٣), والآن نسمعهم "يخاصمون بعضهم بعضاً.. قائلين.." (٦: ٥٢).

عدد ٥٢. (١) تخاصم اليهود. إن تذمر اليهود فيما بينهم. قد تطور إلى تخاصم وتنابذ. قبلاً كانوا يتذمرون كمجموع. أما الآن, وقد أزاح المسيح حجاباً خفيفاً كشف عن جانب من الحق الإلهي, وأراهم بصيصاً من نوره, أضحى بعضهم في جانبه, وأمسى البعض الآخر ضده. فخاصم بعضهم بعضاً قائلين :"كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل". إن استعارة الأكل لم

يَقْدِرُ هَذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟» ٥٣فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ٱلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ

تكن غريبة عن العقلية اليهودية. فقد استعير بها عن كلام الله في نبوات أرميا :"وجد كلامك فأكلته" (أرميا ١٥: ١٦).ووردت أيضاً في التلمود عن مسيا (المسيح٩, فقيل: "أكل مسيا" – بمعنى بقبوله بفرح واعتناق مبادئه القويمة. لذلك يلوح لنا أن اليهود, لم يخاصم بعضهم بعضاً لأن المسيح استعمل استعارة "الأكل" في حد ذاتها, بل لأنه, وهو وضيع الأصل في نظرهم (عدد ٤٢), اتخذ لنفسه مقام "مسيا", وقال أنه يقدم جسده طعاماً للعالم أجمع !! إن أمر كلمة في احتجاجهم, هي قولهم: "هذا" !! ويتضح لنا جليا ًمن كلمة "خاصم.."بعضهم بعضاً ", إن بعضاً منهم, وربما بسبب ما رأوه من معجزاته, أو بما تأثروا به من قوة شخصه قد قبلوا كلامه, وأقروا له بهذا الحق, فوقفوا في جانبه, والبعض الآخر كانوا في موقف التعجب: "كيف يمكن"؟! لذلك تخاصم الفريق الأول مع الثاني.

٢- جواب المسيح ٦: ٥٣-٥٩. "فقال لهم يسوع. الحق الحق أقول لكم.. ". أمام تخاصم اليهود, مع بعضهم البعض, لم يتراجع المسيح في كلامه, لكنه تابع أقواله, لكي يزداد النور أمام من أعطى لهم أن يروا, ويتكاثف الظلام أمام من أغمضوا عيونهم ضد النور, بإرادتهم. قبلاً كان يحدثهم عن جسده الذي "يبذله من أجل حياة العالم, والآن حدثهم تفصيلياً عن جسده ودمه: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه

فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. ٥٤مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي

فليس لكم حياة فيكم". ومن المؤسف أن نرى أن هذا الإعلان الجديد لم يزحزح اليهود قيد أنملة عن شكوكهم, بل زادهم من موقفهم صلابة, سيما عند قوله لهم: ".. وتشربوا دمه". (عدد ٥٣). لأن أكل الدم - أو شربه – كان محرماً على اليهود(تك ٩: ٤ ولاويين ١٧: ١٠- ١٦), لذلك بلغ نفورهم مبلغاً كبيراً لدى سمعهم قوله: "وتشربوا دمه". فحق للذين لم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعترفوا بأصله السماوي, أن يتذمروا من كلامه هذا, سيما وأنهم كانوا يزعمون أنهم يعرفون أصله وأهله, جيد المعرفة.

وجدير بنا أن نذكر أن المسيح فاه بهذا الإعلان الجديد بنغمة الواثق, إذ استهله بهاتين الكلمتين التاريخيتين: "الحق الحق" كعادته عند كل إعلان جديد ممتاز, مستمد من صلته الفريدة بالآب. وقد ردد الفادي هذا الإعلان المجيد أربع مرات (عدد ٥٣و٥٤و٥٥و٥٦).

عدد ٥٣. المرة الأولى التي صرح فيها المسيح بهذا الإعلان: في هذه المرة ذكر المسيح هذا الإعلان بصيغة سلبية مبيناً بصورة قاطعة أن أكل جسد ابن الإنسان وشرب دمه لازمان لزوماً حتمياً لنوال الحياة[٢]. عدد ٥٤. بصيغة إيجابية, مفرغاً المعنى في قالب التخصيص فبدلاً من قوله: "جسد ابن الإنسان ودمه". (عدد ٥٣), قال: "جسدي ودمي". مبيناً أنه هو ابن الإنسان, وصرح

فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ ٥٥لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ

أيضاً بوعد وصف فيه أمد الحياة التي ذكرها في عدد ٥٣: "حياة أبدية". أما جسد المسيح فيكني به عن حياته, ودمه يكني به عن موته. فحياته هي قوام حياتنا وأصلها. بدمه الكفاري ننجو من الموت العقابي فنحيا. وبحياته نقتات بواسطة روحه القدوس كل يوم فنحتفظ بالحياة. كذلك كان حمل الفصح. فدمه يرش للنجاة من الموت, ولحمه يؤكل ليحفظ الحياة. وقد أشار المسيح إلى دمه في هذا الحديث, للدلالة على أن حياته لا يمكن أن تكون لنا إلا متى سكبها للموت عنا. فجسده لا يؤكل إلا بعد كسره, ودمه لا يشرب إلا إذا انفصل عن جسده بالصليب. وجسده ودمه معاً, يشير أن إلى المسيح الحي التاريخي – ابن الله وابن الإنسان – الله ظهر في الجسد في ملء الزمان. أما قوله: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير", فيشير به إلى قيامة الأجساد. ويقول "لا نجى" أن اليوم الأخير هو الفترة التي بين مجيء المسيح الثاني والدينونة. هذه هي المرة الرابعة التي ذكر فيها المسيح هذا الوعد: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير"(٣٩و٤٠و٤١) ليقرر مؤكداً, أن من يأكل الخبز الحي الذي هو المسيح, فلا سلطان للموت عليه – سوداء أكان موت الجسد أم موت الروح, بخلاف الذين أكلوا المن فماتوا – بالجسد وبالروح أيضاً.

عدد ٥٥. المرة الثالثة: في هذه المرة كرر المسيح كلامه عن أكل جسده وشرب دمه مبيناً العلة الأساسية في كون أكل جسده وشرب دمه, شرطين لازمين لنوال الحياة الأبدية:"لأن جسدي مأكل حق, ودمي

حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. ٥٦مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مشرب حق". أعني أن أكل جسد المسيح, وشرب دمه, ليسا من الأمور الوهمية بل من الحقائق الراسخة الجوهرية. على أن هذا لا ينفي كون كلام المسيح مجازياً, كما مبين هو في عدد ٦٣, لأن الحقيقي لا ينافي المجازي, وإنما يتنافى مع الوهمي. ويجوز أن تترجم هذه العبارة إلى: "جسدي[٣] مأكل حقيقي ودمي مشرب حقيقي".

عدد ٥٦و٥٧. المرة الرابعة. في هذه المرة عاد المسيح فتكلم عن أكل جسده وشرب دمه, فبين: (أ) جوهر الحياة الأبدية, التي يتمتع بها من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه – وهو اتحاده بالمسيح وثبوته المتبادل فيه, (عدد ٥٦): "من يأكل جسدي, ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه". أن ثبوت المؤمن في المسيح, هو نقله من تربة الذات الميتة, إلى تربة الحياة الجديدة في المسيح. وهو قطعة من شجرة العالم الجرداء, وتطعيمه في المسيح الذي هو الكرمة الحقيقية. أما ثبوت المسيح في المؤمن, فيراد به أن شخصية المسيح الحي تتغلغل في حياة المؤمن وفي شخصيته فلا يعمل المؤمن إلا ما يعمل المسيح. فكما أن الطعام الذي يأكله الإنسان يسري في الجسم, فيصبح هو في الجسم والجسم فيه, وكما أن الماء الذي يشربه المرء يتوزع في أوعية الجسم فيصير هو في الجسم والجسم فيه, كذلك من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه يثبت في المسيح والمسيح فيه. كلمة "ثبوت" تفيد الدوام المبني على الحياة المتبادلة. وهي من الكلمات التي

فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. ٥٧كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ

اختص يوحنا بتسجيلها (١٤: ١٠و٢٠و١٥: ٤و٥و١٧: ٢١). هذه باكورة كلام المسيح الوارد في الإصحاح الخامس عشر. وبالإجمال فإن قول المسيح "يثبت فيّ وأنا فيه" يحقق لنا أن المسيح هو الكل في الكل في حياة المؤمن. فإذا شبهنا حياة المؤمن بدائرة, فالمسيح مركزها ومحيطها... أو بنهر, فالمسيح نبعه وهو هو البحر الذي فيه يصب النهر... أو بطريق, فالمسيح بدء هذا الطريق وغايته.

عدد ٥٧. (ب) نبع حياة المؤمن. إذا كان العدد الماضي يحدثنا عن جوهر الحياة الأبدية, فإن هذا العدد يحملنا إلى أصل هذه الحياة ونبعها – فهي حيا تستمد من المسيح, وتنبع من الآب رأساً: "كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي" أي أن اجتياز الحياة من الآب الحي إلى الابن الحي, فهو نموذج, ومثال, وعلة اجتياز الحياة من الابن الحي إلى المؤمن. يتألف هذا العدد من سطرين متوازيين: يخبرنا أولهما عن صلة الآب بالمسيح الأبن, ويحدثنا الثاني عن صلة المسيح بالمؤمن. وكل من هذين الشطرين يتضمن عبارتين – احداهما تصف المعطي والأخرى تصف الآخذ. فالآب هو الحي, وهو المصدر الأصلي للحياة, والعلة المطلقة لها. والابن – باعتباره كونه فادياً, ومرسلاً من الآب – وهو حي به, لأنه يستمد كيانه الإنساني منه ليتم رسالته التي جاء أرضنا لأجلها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة: "أنا حي" لا تعني الكيان المطلق, لكنها تصف حياة المسيح الإنسانية في جميع مظاهرها (٢: ٤و٧: ٦و١٦و٨: ٢٨). والنتيجة الطبيعية لهذه الحقيقة هي أن

فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. ٥٨هَذَا هُوَ الْخُبْزُ

المسيح في حياته على الأرض قد أرانا "صورة طبق الأصل" من حياة الله. والشطر الثاني يصف المسيح لأنه قوت المؤمن, ويصف المؤمن في اقتياته الدائم في المسيح: "من يأكلني فهو يحيا بي".

من هنا يتضح لنا عمق الصلة الفريدة الممتازة التي بين الابن والآب – تلك الصلة, التي لا يشاطره إياها أحد من البشر. إن الآب قد أودع الحياة في الابن وحده, فالسبيل الوحيد للتمتع بالحياة, هو أن يتقدم الإنسان إلى المسيح لينال منه الحياة.

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن المسيح يتكلم في هذا العدد عن حياته الإنسانية الأرضية, أما حياته الإلهية فقد حدثنا عنها في عدد ٤٦ "ليس أن أحداً رأى الآب الذي من الآب".

عدد ٥٨. مجمل الحديث. عاد المسيح إلى تلك الاستعارة الأولى التي استمدها من معجزة إشباع الآلاف – استعارة "الخبز". فبدلا من تكلمه تفصيلياً عن "أكل جسده وشرب دمه" (٥٣و٥٤و٥٥و٥٦) أجمل الكلام فركزه في شخصه فقال: "من يأكلني" عدد ٥٧. ولما بلغ الحديث منتهاه, رجع إلى الكلام عن "الخبز", مقارنة إياه: "المن" الذي أكله الإسرائيليون في البرية وماتوا, ومقرراً فائدته الخالدة: "من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد

". إن الحياة هنا, جامعة بكل أنواعها ومظاهرها – من طبيعية, وروحية.

ويجدر بنا الآن, أن نستوقف أنفسنا قليلاً, عند خاتمة هذا المطاف

الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ.

لنصغي إلى همس الكثيرين المتسائلين: هل كان المسيح في كلامه عن أكل جسده وشرب دمه,متحدثاً إلى سامعيه عن عشاء الرباني؟ وجواباً على هذا السؤال نقول بكل صراحة: "كلا": (١) لأنه ليس من الطبيعي أن يتحدث المسيح إلى سامعيه, عن فريضة لم تكن قد رسمت بعد – وواضح من اخبار البشيرين, أن فريضة العشاء الرباني رسمت بعد مرور عام على هذا الحديث – فمن المحقق أن سامعيه في كفرناحوم لم تكن عندهم أية فكرة عن الفريضة, لا تصريحاً, ولا تلميحاً. (٢)إن الكلمة المترجمة "جسد" في كلامه عن العشاء الرباني. في هذا الأصحاح استعمل المسيح الكلمة اليونانية: "ساركس" – ومعناها الحرفي: "لحم", لكن في كل موضع جاء فيه ذكر فريضة العشاء الرباني – سواء أكان على لسان المسيح أم على لسان بولس الرسول – استعملت الكلمة: "سوما" – ومعناها الحرفي "جسد"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(مت ٢٦: ٢٦ ومرقس ١٤: ٢٢ولوقا ٢٢: ١٩وكو١١: ٢٤-٢٧). وكل منهما تتفق والمناسبة الخاصة التي قيلت فيها. فلما تكلم المسيح هنا عن الخبز الحي, بمناسبة المن الذي أكله الإسرائيليون وماتوا, كان من الطبيعي أن يستعمل كلمة: "ساركس" – "لحم" على اعتبار كونه مادة مغذية مشبعة. لكنه لما تكلم عند رسمه فريضة العشاء الرباني بمناسبة صلبه وتركه للتلاميذ علامة يذكرون بها موته, كان من الطبيعي أن يستعمل كلمة: "سوما" أي "جسد" – على

لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا.

اعتبار كون الجسد نظاماً آلياً مركباً من أعضاء, وقد كسر بالموت على الصليب. (٣) لقد علمنا المسيح ورسله, في كل مناسبة, أن الإيمان الحي هو الوسيلة الوحيدة التي بها ينال الإنسان الحياة الأبدية, فليس من المعقول أن يناقض المسيح نفسه, ويهدم تعاليمه التي أوحى بها, ويعلمنا أن الحياة الأبدية تنال بواسطة وسيلة مادية بحتة – مثل الأكل والشرب. فضلاً عن ذلك فإن المفكرين من أخوتنا التقليديين يقررون معنا أن كثيرين جداً ممن يتناولون العشاء الرباني يهلكون هلاكاً أبدياً, فكيف إذاً يوفقون بين هذه الحقيقة الراهنة, وبين قول المسيح في عدد ٥٤: "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية"؟ فلا مناص إذاً من التسليم بأن أكل جسد المسيح وشرب دمه, يراد بهما شيء آخر غير فريضة العشاء الرباني. (٤) يتضح لنا لدى التأمل في كلام المسيح في عدد ٦٣: "الروح هو الذي يحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة", إنه لم يقصد الأكل الحرفي, ولا الشرب الحرفي, اللذين يحصلان عند تناول الفريضة إنما قصد شيئاً آخر.

فما هو إذاً هذا الشيء الآخر الذي قصده المسيح عندما تكلم عن أكل جسده وشرب دمه؟ الجواب على هذا السؤال, نجده في كلام المسيح نفيه (عدد ٣٥): "أنا هو خبز الحياة. من يقبل إلي فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً ". ولدى تحليل هذا القول, يتبين لنا, أن كلمة: "من يقبل

مَنْ يَأْكُلْ هَذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا

إلي", تقوم مقام كلمة: "من يأكل جسدي" لأن النتيجة واحدة : "فلا يجوع". وإن كلمة: "من يؤمن بي", تقوم مقام كلمة : "من يشرب دمي". لأن النتيجة واحدة أيضاً: "فلا يعطش". فواضح إذا أن الأكل والشرب إنما هما استعارتان عن الإقتبال إلى المسيح, والإيمان به. هذا وإن بين الأكل والشرب وبين الإيمان, أوجه شبه شتى فمنها: - أ – الأكل والشرب يسبقهما جوع وعطش, كذلك الإيمان بالمسيح يسبقه جوع وتعطش إليه (مت ٥: ٦) - ب – الأكل والشرب يستلزمان تخصيص الطعام والشراب للآكل والشارب, فلا فائدة من الطعام ما لم يؤكل, ولا نفع للشراب ما لم يشرب. كذلك الإيمان, لا يجدي إن لم يكن شخصياً,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للمؤمن نفسه, فيخصص المسيح لذاته –ج- الأكل والشرب ترافقهما لذة خاصة يتمتع بها من يأكل ويشرب. كذلك الإيمان بالمسيح يملأ القلب بهجة, فيقتات الإنسان به وعليه, ويشعر بلذة لا تعدلها لذة – د- بالكل والشرب ينال الإنسان غذاء يحفظ حياته ضدّ غوائل الموت. كذلك بالإيمان بالمسيح ينال المرء غذاء حياً, يكون قوام حياته الروحية. أما جسد المسيح ودمه, فهما كنايا عن "ذاته" التي قدمت لنا بالصليب. ورب سائل يقول: "أما من صلة بين حديث المسيح هنا وبين العشاء الرباني"؟ وجوابا على هذا نقول: توجد صلة متينة بين هذا الحديث وبين العشاء الرباني. فكلاهما يشير إلى مبدأ واحد, وكلاهما يعلم حقيقة واحدة وهي: شدو لزوم الإيمان الحي الذي

إِلَى الأَبَدِ». ٥٩قَالَ هَذَا فِي الْمَجْمَعِ وَهُوَ يُعَلِّمُ

يقبل المسيح ويخصصه لذاته, فيصير المؤمن بالمسيح, والمسيح في المؤمن. والفرق بين حديث المسيح هنا وبين العشاء الرباني هو أن هذا الحديث يشير إلى هذا المبدأ بالكلام. وأما العشاء الرباني هو أن هذا الحديث يشير إلى هذا المبدأ بالكلام. وأما العشاء الرباني فيشير إليه بالفعل. فالحديث كلام رمزي, والعشاء الرباني فعل رمزي. نطق المسيح بالحديث في وقت كان فيه فصح اليهود قريباً, ورسم فريضة العشاء الرباني لتقوم مقام الفصح اليهودي, وليكون هو نفسه فصح المسيحيين. على أنه لا يغرب عن بالنا أن حقيقة أكل جسد المسيح وشرب دمه ليست مؤسسة على رسم الفريضة المقدسة, بل أن رسم الفريضة المقدسة مؤسس على هذه الحقيقة.

عدد ٥٩. خاتمة تاريخية ٦: ٥٩. "قال هذا في المجمع وهو يعلم في كفرناحوم". جرت عادة اليهود قديماً أن يجتمعوا في المجمع أيام الاثنين, والخميس, والسبت, من كل أسبوع. فإذا كانت هذه الحادثة قد وقعت سنة ٢٩ للميلاد, كان عيد الفصح في تلك السنة موافقاً يوم الاثنين الواقع في ١٨ أبريل – حسب رأي ثقات المؤرخين. وإذا فرضنا أن معجزة إشباع الخمسة الآلاف, حدثت في المساء السابق لعيد الفصح (عدد ٤), فإن اليوم الذي بعده, الذي فاه فيه المسيح بهذا الحديث في المجمع هو يوم الاثنين.

ما أهم هذا الحديث في نظر يوحنا البشير حتى ذيله بهذه الخاتمة التاريخية, التي تصور لنا جلال الموقف وكثرة عدد السامعين! كلمة: "هذا" تشير إلى الحديث كله ابتداء من عدد ٢٦. وقوله: "يعلم" يبرق نوراً على الطريقة

فِي كَفْرِنَاحُومَ. ٦٠فَقَالَ كَثِيرُونَ

التي كان المسيح يشرح بها الآيات الكتابية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما "كفرناحوم", "التي كانت مرتفعة إلى السماء" – بسبب علوها الجغرافي, وعظمتها المادية, وامتيازاتها الروحية لوجود الفادي فيها- فقد "هبط إلى الهاوية" (لوقا ١٠: ١٥) وبقيت مكانها إطلال دارسة معروفة اليوم باسم "تل حوم". ومن بينها آثار مجمع[٤] قديم يظن انه ذلك المجمع الذي سمعت جدرانه هذا الحديث التاريخي. وعلى أحد أحجاره منقوشة صورة قسط فيه من.

أكان اليهود ناظرين إلى ذلك الرسم المنقوش حين قالوا للمسيح, في عدد ٣١ "آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب"؟!!

نتيجتان متناقضتان ٦: ٦٠- ٧١

شعاعة واحدة من نور الشمس, تقع على قطعة الفحم, فتزيدها سوادا على سواد. وتقع هي بعينها على قطعة من الماس, فتزيدها لمعانا على لمعان. كذلك كلام المسيح. وقع على سمع أناس, فأثار فيهم التعجب (عدد ٣٠), والتذمر (عدد ٤١), والشحناء (عدد ٥٢), والاحتجاج (عدد٦٠). ووقع على سمع أناس آخرين, فأضاء بصائرهم بنور اليقين, وأنطق ألسنتهم بمعجزات الحكمة (عدد ٦٨ و٦٩).

فيما مضى لمحنا تعجب اليهود, وسمعنا تذمرهم, ومجادلاتهم, والآن نرانا أمام نوع جديد من سامعيه, فنسمعهم يحتجون ويتذمرون.

مِنْ تلاَمِيذِهِ إِذْ سَمِعُوا: «إِنَّ هَذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟»

عدد ٦٠. (١) تذمر كثيرين من تلاميذه ٦ك ٦٠ (أ) المتذمرون: "فقال كثيرون من تلاميذه" – هؤلاء هم جماعة تبعوا المسيح حيناً, وكان قد انصرف بعض منهم عن أشغالهم العادية (عد ٦٦), ومن بينهم أختار المسيح رسله الاثني عشر. ولعل بعضا منهم كان بين الخمسمئة أخ الذين استشهد بهم بولس في حديث القيامة (١ كو ١٥: ٦).

(ب) موضوع تذمرهم: "إذ سمعوا. إن هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه". كلمة: "صعب", لا تفيد أن الكلام غامض في معناه, ولا أنه عسير الفهم, بل أنه كلام مفهوم, لكن من الصعب قبوله. لأنه كلام مناف للعرف, فهو معثر. الكلمة الأصلية معناها الحرفي "جاف. قاس". ولعلهم أرادوا بقولهم: "من يقدر أن يسمعه", إن لا أحد يقدر أن يصبر على سمعه من غير أن يحتج عليه, أو يصم ضده أذنيه؟. أما عن سبب تذمرهم, فقد ذهب فيه المفسرون مذاهب شتى. يقول ما ير أنهم تذمروا بسبب انبائهم بموت مسية – فهذه عثرة اليهود, قبل الصلب وبعده. ويقول هنجستنبرج أن سبب تذمرهم هو قول المسيح أن خلاص العالم موقوف على شخصه, ويقول لامب: إن السبب الحقيقي هو قول المسيح عن نفسه أنه نزل من السماء. ويقول جودي: إن السبب يرجع إلى قوله أن أكل جسده وشرب دمه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لازمان لنوال الحياة الأبدية. ويلوح لنا أن هذه الأسباب ليست متباعدة عن بعضها كثيراً, وإن كان الأخير أقربها لأنه يتفق وجواب المسيح في عدد ٦١. ولعل الإشارة متجهة إلى كل كلامه في هذا الحديث.

٦١فَعَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ تلاَمِيذَهُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَى هَذَا فَقَالَ لَهُمْ: «أَهَذَا يُعْثِرُكُمْ؟ ٦٢فَإِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً! ٦٣اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فلاَ يُفِيدُ شَيْئاً.

عدد ٦١. (٢) جواب المسيح ٦: ٦١- ٦٥. لم يكن المسيح في حاجة إلى من يسمع كلامهم الذي كانوا يتكالمون به, "لأنه علم من نفسه أن تلاميذه يتذمرون". هذا برهان جديد على أن المسيح عليم بذات الصدور.

ومن العجب إن المسيح أراد أن يزيل الصعوبة التي وجدوها في إعلانه الأول بإعلان جديد يفوقه في الصعوبة: "أهذا يعثركم؟ فإن رأيتم ابن الإنسان صاعدا إلى حيث كان أولاً..." إن جواب الشرط في هذا السؤال محدود – جوازاً أو وجوباً – تقديره: "فإن الصعوبة تزداد أمامكم تعقيداً في بادىء الأمر, لكنكم سترون ابن الإنسان صاعدا بعد موته. ولكن حينئذ ستزال الصعوبة التي وجدتموها في كلامي, وتدركون أني لم أقصد أن تأكلوا جسدي بالذات – لني سأصعد بهذا الجسد بالذات إلى السماء – ولكن الروح القدس الذي سأرسله غليكم بعد صعودي, سيأخذ مما لي ويخبركم. عندئذ تأكلونني بالروح لا بالجسد".

عدد٦٣. "الروح المحيي". "الروح هو الذي يحيي.. أما الجسد فلا يفيد شيئا" كلمة "جسد" مستعملة هنا للإطلاق. بمعنى أن أي جسد لا قيمة له بدون الروح. وما قبيل التطبيق تطلق على جسد المسيح. فإنه

اَلْكلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ

لا يفيد شيئاً, لأنه لا يمكن أن يؤكل أكلا حرفياً. لكن الذي ينفع هو شخص المسيح – أي جسده مقترناً بروحه الحي. هذا هو الذي يؤكل(١كو١٥: ٤٥) ومن المحقق أن بعضا ممن سمعوا هذا الكلام شاهدوا المسيح صاعداً.

بعد هذا السؤال المقتضب فاه المسيح بإعلان مجيد عن طبيعة كلامه وقوته. فلم يكتف بأن قال: "إن كلامي روحي وحي" بل قال أنه "روح وحياة", لأن كلامه هو الأداة التي بها يحمل إليهم الروح القدس هبة الحياة الأبدية. إن كلام شخص ما, يحمل معه نفسه, وروحه, وسلطانه, وشخصيته, كذلك كلام المسيح يحمل للناس روحه وسلطانه وشخصيته, لأن كلام المسيح يقوم مقام شخصه كما أن المسيح نفسه هو الله المتجسد, لأنه "كلمة الله". من أجل هذا, لما تكلم المسيح عن ثبوت المؤمنين به, ووضع كلامه قي مقام نفسه, فقال: "اثبتوا في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأنا فيكم" وأردف هذا بقوله: "إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم" (١٥: ٤و٧) فقد استعاض عن كلمة: "أنا" بكلمة: "كلامي". فكلامه روح وحياة لأن شخصه روح وحياة. وفي موضع آخر تكلم عن كلام الله فقال: "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي" (٥:٣٩). ويقول أغسطينوس أن كلام المسيح روح وحياة, بمعنى أنه ينبغي أن يفهم روحيا. مع أن هاتين الكلمتين: "روح وحياة", تصفان كل كلام المسيح الذي نطق به بوجه عام, إلا أنهما تصفان بنوع خاص كلام المسيح الذي نطق به في هذا الفصل, سيما قوله

٦٤وَلَكِنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ». لأَنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدْءِ عَلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَمَنْ هُوَ

الذي استعصى عليهم قبوله "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" – عدد ٥٣و٥٤.

عدد ٦٤و٦٥. جواب المسيح المباشر على تذمر أولئك التلاميذ: "ولكن منكم قوم لا يؤمنون.". سلّم المسيح معهم بأن كلامه صعب, ولكن على "الذين لا يؤمنون". فالعقبة الكؤود, في سبيل فهم كلام المسيح وقبوله, ليست في كلام المسيح بل في قلوبهم المتسلحة بنية عدم الإيمان. كم كان مؤلما على قلب المسيح, أن يقول لتلاميذه "ولكن منكم قوم". إن أمر كلمة هي الوسطى: "منكم". لكن وجه العزاء أن أولئك الغير المؤمنين لم يكونوا أغلبية ساحقة في التلاميذ, بل كانوا أقلية مسحوقة: "منكم قوم". كان هذا الإعلان الجارح, أشبه الأشياء بنبوة. ويحدثنا يوحنا البشير أن هذه النبوة مبنية على علم المسيح السابق: "لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه". فهو إذا: (أ) علم سابق: "من البدء" –أي منذ الوقت الذي فيه بدأوا يلتفون حوله كتلاميذ له (١٥: ٢٧و١٦: ٤ وأعمال ١: ٢١و٢٢) أو بعبارة أخرى. منذ بدء اتصالهم بالمسيح. (ب) علم شامل: "من هم الذين لا يؤمنون" –هذا القول يعين مسؤوليتهم في عدم إرادتهم, كأنهم كانوا مصممين على عدم الإيمان (عدد ٧١), فهو لا يشير إلى قضاء الله السابق, بل إلى الحالة الراهنة التي كانت عليها قلوبهم ونواياهم.

الَّذِي يُسَلِّمُهُ. ٦٥فَقَالَ: «لِهَذَا قُلْتُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يُعْطَ

(ج) علم خاص: "ومن هو الذي يسلمه". هنا انتقل الفادي, في كلامه, من التعميم: "الذين لا يؤمنون", إلى التخصيص: "من هو الذي يسلمه" – هذا وصف ابتدائي خلعه على عمل يهوذا "مسلمه". وفيما بعد خلع عليه وصفاً جارحاً: "الشيطان" (عدد ٧٠). ومن المحقق أن المسيح لم يختر يهوذا لهذه الغاية الدنيئة, لأن الله لم يدعنا إلا على "القداسة, بالمجد والفضيلة", وأنه لم "يعطنا روح الفشل بل روح القوة, والمحبة, والنصح". (٢بط١: ٣و ٢تي١: ٧). إن الله يضع الناس في مراكز. فإن لم تساعده هذه المراكز على التغلب على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خطاياهم, ساعدت خطاياهم على النمو والنضوج. كالشمس تنمي الورود وتنضج الشوك والقتاد. ومتى نضجت خطاياهم استخدمتهم العناية في الخدمة التي تتفق ومؤهلاتهم. كان من الممكن أن تلك السقطة, التي سقطها يهوذا تكسر كبرياء قلبه, وتقوده إلى التوبة, لو كان عنده استعداد بطرس.

"فقال" – هذه كلمة يوحنا البشير. "لهذا قلت لكم" – هذه كلمات المسيح. ولا شك انه نطق بها وقلبه مفعم بالألم والحزن. في هذا العدد يقتبس المسيح كلاما قد سبق وقاله في عدد ٣٦. والكلام فيه يصف الخلاص في جانبيه – الجانب الإلهي: "إن لم يعط من أبي", والجانب الإنساني: "يأتي إلي". على أن الجانب الإلهي هو العلة الأساسية, والجانب الإنساني هو العلة الثانوية. "لا يقدر أن يأتي.. إن لم يعط من أبي" لم ينطق المسيح

مِنْ أَبِي». ٦٦مِنْ هَذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ

بهذا القول ليضع حجة في أفواه الغير المؤمنين, بل ليصيغ كلمة شكر على شفاه المؤمنين: "نحبه لأنه أحبنا أولاً".

التلاميذ الأخصاء في بوتقة التصفية ٦٦-٧١

بلغ المسيح الآن دوراً دقيقاً في خدمته. لقد بدأ خدمته في اليهودية, فالتأمت حوله جموع كثيرة, وسرعان ما انصرفت عنه لأنها لم تعرف رسالته, أو عرفتها فوجدتها غير ملائمة لمطاليبها. فانتقل الفادي من اليهودية إلى الجليل, وبعد أن خدم بضعة أشهر, تجمعت حوله الجماهير.فكانوا كالسحب المحيطة بالقمر. ولم يمض وقت طويل حتى تبخرت تلك السحب الخريفية, أمام نوره الساطع. لأن عدداً وفيراً من أولئك التابعين, كانوا يتبعونه ببطونهم وجيوبهم, لا بإرادتهم وقلوبهم. إن وجه البحر لا يخلو من الفقاقيع التي تطفو على وجه الماء حيناً, ثم لا تلبث أن تذهب ضياعاً, إذا ما هبت عليها نسمات البحر.

عدد ٦٦. ارتداد كثيرين من التلاميذ: "رجع كثيرون إلى الوراء". كلمة :"من هذا الوقت" كما وردت في الأصل, تفيد الزمنية والسببية. أي منذ ذلك الحين ومن أجل هذا السبب. وقد ورد هذا التعبير في العهد الجديد مرة واحدة سوى هذه (يوحنا ١٩: ١٢). "رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء" – الظاهر أن هؤلاء كانوا قد تركوا أشغالهم الدنيوية, وتبعوا المسيح, طمعاً في مراكز تدر عليهم ربحاً أوفر, وجاهاً أكبر, ولما خابت آمالهم رجعوا

وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ. ٦٧فَقَالَ يَسُوعُ لِلاِثْنَيْ عَشَرَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً تُرِيدُونَ

إلى أشغالهم الأولى. ولم يعودوا يشاطرونه حياة الإغتراب التي كان يحياها على الأرض (٧: ١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٦٧. النار الممحصة: ٦: ٦٧ الآن وجد المسيح أن الوقت ملائم لوضع التلاميذ الاثني عشر في بوتقة التصفية. هذه أول مرة ذكر فيها عدد الرسل في هذه البشارة – ولم يرد هنا كأنه خبر جديد, بل كأمر معروف (٦: ١٣). وعلى نفس هذه الطريقة ظهر اسم بلاطس واسم مريم المجدلية على صفحات هذه البشارة (١٨: ٢٩ و١٩: ٢٥). "ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا"؟ إننا نستطيع أن نلمس بين كلمتي: "أنتم أيضاً", ثقة المسيح بتلاميذه. فالجواب الطبيعي لسؤاله هذا هو: "حاشى". في الوقت الذي أظهر فيه المسيح ثقته بتلاميذه, قدم لكم منه الحرية الكاملة ليرجع إلى الوراء إذا شاء. يا ليتك يا يهوذا رجعت إلى الوراء منذ هذه اللحظة! هذا كان خير لك وأبقى! لأن رجوعك إلى الوراء كلن يحسب لك تقدماً إلى الأمام, كما أن تقدمك إلى الأمام حسب عليك رجوعاً إلى أركان الظلام؟ وفي الوقت نفسه بين المسيح بهذا السؤال استقلاله التام عن كل تعضيد بشري. أليس هو القائل: "هوذا تأتي الساعة. وقد أتت الآن, تتفرقون فيها كل واحد إل خاصته وتتركونني وحدي"؟ (١٦: ٣٢). ليس معنى هذا أن المسيح يريد أن يستغني عنهم, بل أنه يقدر على ذلك. وجدير بنا أن نذكر أن المسيح يلق سهمه جزافاً.

أَنْ تَمْضُوا؟» ٦٨فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ
٦٩وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ

إذاً كان المسيح قد علم من البدء من هو الذي يسلمه فقد علم من البدء أيضاً من هم الذين يتمسكون به إلى المنتهى.

عدد ٦٨و٦٩. الجواب المزكى -٦: ٦٨ "فأجابه سمعان بطرس" –كليم الرسل _ "يا رب إلى من نذهب"؟ لم يعط بطرس لرفاقه فرصة ليجيب كل منهم عن نفسه, لكن قلد نفسه وشاح الزعامة وتكلم عنهم. فكان جوابه ترديداً لصدى كلمات المسيح في عدد ٦٣ "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة".كان جوابه قوياً وحازماً. حقيقياً بالاسم الذي ناله من المسيح: "بطرس" (١: ٤٢). يتضمن هذا الجواب ثلاث حجج مرتبة ترتيبا منطقياً: (أ) انعدام المصادر الأرضية: "إلى من نذهب"؟ -كان يوحنا المعمدان قد مات, وبينهم وبين الفريسين النار والحديد, وبينهم وبين الفلاسفة الزعماء حجاب كثيف يفصل بين عالمين. (ب) كفاية المسيح: "كلام الحياة الأبدية عندك" ليس هذا هو الكلام المتعلق بالحياة الأبدية وكفى, بل هو الكلام الذي ينيلنا الحياة الأبدية. (ج) سمو مقام المسيح الفريد: "ونحن" على خلاف التلاميذ الذين تركوك (عدد ٦٦) – "قد آمنا"- بالتصديق- "وعرفنا"-بالاختبار- "إنك أنت المسيح ابن الله الحي", "آمنا وعرفنا"- المعرفة نوعان: معرفة تسبق الإيمان (١يو٤: ١٦), وهي المعرفة السماعية الإعدادية. ومعرفة تعقب الإيمان (فيلبى٣: ١٠) وهي المعرفة الاختبارية الناضجة. المعرفة الأولى هي الإيمان في البزرة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». ٧٠أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ

والمعرفة الثانية هي الإيمان في البلوغ. المعرفة الأولى هي النور مزدهراً, والمعرفة الثانية هي النور مثمرا. "إلى من نذهب"؟- لا بديل للمسيح!! (قابل هذا الاعتراف المجيد, بذاك المسجل في مت ١٦: ١٦).

عدد ٧٠ الطعنة النجلاء ٦: ٧٠. إنه وإن كان بطرس قد تكلم عن نفسه, وعن إخوانه الرسل, إلا أن جواب المسيح موجه للجميع: "أجابهم يسوع".

كان اعتراف بطرس أشبه شيء بنقاب حجب وراءه خيانة يهوذا, فكان جواب المسيح أشبه شيء بسهم مزق هذا الحجاب, وأشهر خيانة يهوذا علانية: "أليس أني أنا اخترتكم الاثني عشر؟"- الإشارة هنا إلى مقامهم الجديد الذي وضعهم فيه المسيح بالنسبة لمقام الاسباط الاثني عشر- "وواحد منكم شيطان". كلمة: "شيطان" كما وردت هنا, هي صفة لا اسم. أي أن يهوذا له صفات الشيطان الذي يحول الخير شراً بطبيعته الرديئة المتمردة. كذلك تحول الحشرات السامة عصير الأزهار إلى سم قاتل.

قد يكون في هذا القول خير تحذير ليهوذا ليكف عن مواصلة السير في السبيل الذي وضع نفسه فيه طوعاً.

إن في كلام المسيح مقابلة خطرة بين محبته لتلاميذه وتقديره لهم, وبين كراهة أحدهم له وعدم تقديره إياه. أما المسيح, فقد أحب يهوذا بلا سبب, ويهوذا أبغض المسيح بلا سبب. لأن المسيح هو الله متأنساً, ويهوذا هو الشيطان متأنسا. المسيح يجازي عن الشر خيراًَ, ويهوذا يجازي عن الخير شراً.

الِاثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!» ٧١قَالَ عَنْ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ لأَنَّ هَذَا كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يُسَلِّمَهُ

وإذا ما قيل لماذا اختار المسيح يهوذا مع علمه بشر قلبه؟ كان جوابنا: لحكمة فائقة لا ندرك كنهها. لكننا نستطيع أن نتلمس بصيصا من النور فبها. إن المسيح لم يسخر يهوذا لإتمام غرضه ولا لكي يتمم به المكتوب (١٣: ١٨), لكنه على عكس ذلك حذر يهوذا مرارا وتكرارا, أما يهوذا فقد هوى إلى ذلك الدرك الأسفل لأنه انجذب وانخدع من شهوته التي كانت تلتهب احتراقا إلى حب المال. ولعل يهوذا كان واحدا من الذين انتظروا في الفادي مسيحا أرضيا, فلما خاب فيه انتظاره, غدر به في النهاية. وفي اعتقادنا أن الذين يحاولون الدفاع عن يهوذا ليسوا أعدل على يهوذا من نفسه, ولا أرحم عليه من ضميره, الذي اشتكى عليه, واحتج, فلما ارتفع صوت الاحتجاج لجأ يهوذا إلى الانتحار إذ مضى وخنق نفسه (أعمال ١: ١٨). هذا أكبر دليل على عدالة الله. لأن الله لم يحكم على يهوذا بأقسى مما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حكم يهوذا على نفسه. لا حدود لنعمة الله التي لا تقودنا إلا إلى الخير والصلاح, كما أنه لا حدود لنقمة الطبيعة الساقطة التي تقودنا إلى الهلاك. فالإنسان الشرير هو القاتل وهو القتيل, فلا عذر. والإنسان الصالح محمول بيد علوية, فلا فخر.

عدد ٧١. خاتمة تاريخية: "قال هذا عن يهوذا الاسخريوطي. لأن هذا كان مزمعا أن يسلمه وهو واحد من الاثني عشر. كلمة "اسخريوطي" مشتقة من كلمتين في الأصل: "ايش" ومعناها: رجل و"قريوت" – اسم بلد أي "رجل قيروت"". وقد ورد ذكر هذه المدينة في أرميا ٤٨: ٢٤.

وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الِاثْنَيْ عَشَرَ.

وهي من مدن يهوذا. يكون يهوذا, هو الرسول الوحيد الغير الجليلي.

أليس من العجيب أن يهوذا سمعان ليس اسما على مسمى؟ ان معنى "يهوذا سمعان" هو: "المحمود السميع" لكن المسمى, مذموم عنيد. هذا معنى كلمة "شيطان" – من "شطن" أي عاند. وقد يكون معنى "أسخريوطي" رجل البطل.

ربما لم يقدر أحد من الرسل أن يفهم كلام المسيح هذا, سوى يهوذا ويوحنا البشير.

من المؤلم أن تكون هذا خاتمة الاصحاح. واكثر منه إيلاما أن تكون هذه رمزاً لخاتمة خدمة المسيح في الجليل.

١- -"وصل المنقبون في فلسطين إلى أثر من أهم الآثار المتعلقة بحياة السيد المسيح. وعثروا على أرضية من أبدع ما عرف من القيشاني عندما كشفوا عن الكنيسة التذكارية التي أنشأها الحجاج المسيحيون على أثر حكم الإمبراطور قسطنطين العظيم في القرن الرابع".

"وهذه الكنيسة مقامة على البقعة نفسها التي قام المسيح فيها بمعجزته الواردة في الكتاب المقدس حيث أطعم خمسة آلاف رجل بخمسة أرغفة وسمكتين".

"وتقع الكنيسة على نحو ١٢ ميلا شمالي طبرية وعلى مسافة قريبة من الجليل" عند سفح "تل التطوييات".وهو التل الذي يمتد فوقه الطريق القديم الموصل إلى "كفر ناحوم". كما أنها تقع على بضع خطوات من "الينابيع السبعة"التي ذكرها"يوسيفوس"في كتابه: "آثار اليهود". وتحيط بها صحراء "بيت صيدا"التي وصفها الإنجيل".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

" وفي الجانب الأمامي من الكنيسة اكتشفت لوحة من القيشاني فيها حجارة صغيرة جميلة, سوداء وحمراء. وفيها رسم منقطع النظير, لسلة وأرغفة خبز وسمكات. وهو من صنع الصناع المسيحيين في العهد الأول, أرادوا به تخليد ذكرى المعجزة الواردة في العهد الجديد"

"ويرى الإنسان على طول النصف الغربي من الكنيسة رسماً غريباً بالقيشاني لطيور لا تزال ألوانها زاهية من أحمر فاتح إلى أحمر قان إلى أصفر وأسود. ويخيل للإنسان أن الرسم حديث مع أنه ظل تحت الردم نحو ١٦٠٠ سنة. وهذه الأرضية الفريدة المثال من القيشاني فيها أشكال متنوعة مختلفة تحوي رسوم أنواع شتى للطيور والنباتات وأزهار اللوتس.

"ووجدت أيضا أجزاء محطمة من الفخار والأواني ولمبات خزفية وأشياء أخرى صغيرة". ولا شك في أن كل منطقة هذه الكنيسة تطابق ما ورد في الإنجيل عن وقوع معجزات المسيح حول شواطئ الجليل.

"ويرجع فضل الإكتشاف الى البعثة الألمانية التي يرأسها الدكتور إيفارست ماير الذي يمثل لجنة فلسطين الكاثولوكية الألمانية ويعاونه الدكتور شنيدر".

٢- إن قوله "حياة فيهم" يتفق تماماً مع قوله للسامرية ".. فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (٤: ١٤).

٣- كما في ترجمة اليسوعيين

٤- انظر الحاشية الموجودة في مقدمة هذا الإصحاح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح نبع الحق, ومصدر النور, ومشبع الحياة

اَلأَصْحَاحُ السَّابِعُ

١وَكَانَ يَسُوعُ

هذا أصحاح مجيد في تاريخ السيد. حقاً وصفه رينان بأنه "درة يتيمة في تاج التاريخ". فيه نرى المسيح, نبع الحق, ومصدر النور, ومشبع الحياة, كما رأيناه في الاصحاحين السابقين نبع الحياة ومقيتها.

في هذا الاصحاح نرى صور جليلة, ارتسمت فيها عواطف البشر المتباينة وصفاتهم المتناقضة – فمن عواطف أخوة المسيح – أو أنصاف اخوته – وقد امتزج فيها الشك باليقين (عدد ٣), إلى عواصف اليهود التي تغلي بالحقد والحسد (عدد١و١١و١٣و١٥و٣٥), إلى أقوال الجموع المتضاربة (عدد ١٢و١٣), إلى قلوب الفريسيين التي اختمرت بالضغينة والاجرام (عدد٣٢و٤٧), إلى إيمان نيقوديموس الذي يعالج تحطيم قيود الماضي (عدد ٣١). من اقتراحات صادرة من قلوب اخوته (عدد ٣). إلى مناجاة كثيرة من نحوه (عدد ١١), إلى مجادلات ومساجلات (عدد ١٢و٤٠), إلى تخوفات متعددة النواحي (عدد ١٣و٣٠و٤٤), إلى تعجب وحيرة (عدد ١٥و٤٦و٢٥), إلى نقد ومقاومة (عدد ٢٣), إلى إيمان حقيقي قلبي (عدد ٣١).

مرت على حوادث الاصحاح الفائت ستة أشهر تقريباً, فأصبحنا الآن في الآونة التي يطوى فيها الصيف رداءه ويشد رحاله ليعطي مكانه للخريف.

يَتَرَدَّدُ بَعْدَ هَذَا فِي الْجَلِيلِ

فيتهيأ اليهود ليضفروا المظال, التي يقضون فيها أيام عيد المظال الذي يقع عادة في منتصف شهر تشرين (سبتمبر -أكتوبر). أما الحوادث التي توسطت بين هذا الإصحاح وبين سابقه, فقد رواها بإفاضة متى البشير (مت١٢- ١٧و ٢١).

ينقسم هذا الإصحاح إلى ثلاثة أقسام رئيسية مرتبة ترتيبا تاريخيا:

أولا: ما حدث قبل العيد ٧: ١- ١٣ ثانيا: ما حدث أثناء العيد ٧: ١٤- ٣٦. ثالثاً: ما حدث في اليوم الأخير العظيم من العيد ٧: ٣٧- ٥٣.

أولا: ما حدث قبل العيد ٧: ١- ١٣. يتضمن هذا الفصل: (١) مقدمة تاريخية (٧: ١). (٢) ما حدث بين المسيح وأخوته بشأن ذهابه إلى العيد (٧: ٢- ٨). (٣) مكوث المسيح حيناً في الجليل (٧: ٩)(٤) ذهاب المسيح إلى العيد (٧: ١٠- ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد١. (١) مقدمة تاريخية: "وكان يسوع يتردد بعد هذا"- أي بعد معجزة إشباع الآلاف وما جرته وراءها من مناقشات. هذه صورة تاريخية متممة لتلك التي رسمت في مطلع الإصحاح السادس. وكلا الإصحاحين يبتدئ بتوطئة تاريخية. كلمة: "يتردد", تفيد سير المسيح ذهابا وجيئة داخل الجليل. وهي كلمة مركزة تقطع ستة أشهر من حياة المسيح, وقد اجتمعت فيها حوادث شتى ذكرت في سائر البشائر(مر ٧ و٨ ومت ١٥- ١٨). كان المسيح يتردد في الجليل على رغم النفور الذي بدا من الجليليين نحوه. والسبب في ذلك, يتضح من الجزء الثاني من العدد:

لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ.٢وَكَانَ عِيدُ الْيَهُودِ

"لأنه لم يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه". لقد جاء أرضنا لكي يموت, فهو إذاً لم يخش الموت, ولم يخف اليهود, لكنه لم يرد أن يستقدم ساعة موته, وأمامه برنامج ينبغي أن ينفذه بكل حذافيره, ومتى جاءت ساعة موته, تقدم إلى الصليب طائعا, مختارا (يو ١٠: ١٧ و ١٨). هذا برهان جديد على أن المسيح يحيط علما بالمستقبل, لأنه علم متى يموت وكيف يموت. إن الإقدام على الموت قبل الأوان, لايعتبر جسارة, بل اقتحاما, وخسارة.

عدد٢. (٢) محادثة بين المسيح وإخوته بشأن ذهابه إلى العيد ٧: ٢- ٨ (أ) المناسبة التي دعت إلى هذا الحديث: "وكان عيد اليهود, عيد المظال قريبا". يقول يوسيفوس: "هذا أقدس أعياد اليهود وأعظمها ". هو يقع عادة في الخامس عشر من شهر تشرين (سبتمبر- أكتوبر). ويظل قائما حتى الثاني و العشرين منه. كان اليهود يسكنون طوال هذا الأسبوع في مظال يصنعونها خصيصا من "سعف النخل, وأغصان أشجار غبياء, وصفصاف الوادي ". (لاويين ٢٣: ٣٤- ٤٠). وهي تقام عادة فوق سطوح المنازل, وفي الشوارع, وفي الميادين العامة وفي منعطفات أورشليم. كان هذا عيدا مقدساً- فهو عيد شكر, وذكرى, وإيناس, وبهجة. أما الشكر فلأنه كان يقع دائماً عقب الوقت الذي يجمعون فيه غلات الأرض

عِيدُ الْمَظَالِّ قَرِيباً ٣فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «ٱنْتَقِلْ مِنْ هُنَا وَاذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ لِكَيْ يَرَى تلاَمِيذُكَ أَيْضاً أَعْمَالَكَ الَّتِي تَعْمَلُ

ومحاصيلها. والذكرى, لأنهم كانوا يذكرون فيه غربتهم في البرية مدة أربعين عاماً, بعد خروجهم من مصر. وأما الإيناس فلأنه كان عيداً يستوي فيه الغني و الفقير, إذ يكون كلاهما عائشان على مستوى واحد, في مكان يرمز إلى الغربة و الرحيل وأما البهجة فلأن هذا العيد كان مشهوراً بأنواره الساطعة التي كانت تضاء فيه وحده. وربما بمناسبة تلك الأنوار الساطعة., فاه المسيح بذلك الإعلان الجليل: "أنا هو نور العالم" (٨: ١٢). وكان يؤم هذا العيد في كل عام جمع غفير.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد٣ و٤ (ب) اقتراح أخوة المسيح ٧: ٣ و٤ "فقال له أخوته.. " يعتقد جودى أن هؤلاء الأخوة هم أبناء مريم بعد زواجها من يوسف. ويقول وستكوت وغالبية المفسرين, أنهم أولاد يوسف من زوجة سابقة (أنظر شرح لوقا للمؤلف صفحتي ٢١٠ و٢١١).

غالباً جداً كات يعقوب أخو الرب, في طليعة هؤلاء الأخوة. وصار فيما بعد أول راع للكنيسة المسيحية في أورشليم (أعمال ١٢: ١٧ و١٥: ١٣ و٢١: ١٨ وغلاطية ١: ١٩ و٢: ٩).

إ، أخوة المسيح, لم يكونوا في اقتراحهم هذا, مدفوعين بعامل الغيرة المقدسة على مجد أخيهم, ولا كانوا محمولين بعاصفة الحقد عليه, فقصدوا أن يطوحوا به في أيدي أعدائه, لكنهم كانوا في حالة متوسطة- بين الإيمان

لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْمَلُ شَيْئاً فِي الْخَفَاءِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ علاَنِيَةً.

و الشك. إنما رأوه من معجزاته, وقوة شخصه كان يدفع بسفينتهم إلى شاطئ الإيمان, ولكن الفتهم به منذ نعومة الأظفار, كانت تجتذب سفينتهم إلى تيارات الشكوك. ولعلهم كانوا يعتقدون أنه شخص ممتاز. أما أن يأمنوا أنه هو المسيح, فهذه درجة لم يرتقوا إليها بعد. لذلك قالوا: إذا كان هو المسيح فلماذا يرضى بالعزلة في الجليل, في تلك البيئة الضيقة, و الغير المهذبة؟ إن أورشليم- لا الجليل – هي المسرح العام الذي ينبغي أن يظهر عليه المسيح, فيحكم العالم له أو عليه. فإذا ثبت بالبرهان القاطع أنه هو المسيح, فلسنا بالقوم الخاسرين. لأننا أخوته, نشاطره أمجاده. وإذا ظهر أنه ليس المسيح, فلينل من الإهانة ما يستحق نتيجة ادعائه, ونحن غير مسئولين. إن كلامهم هذا, ينم عن روح نفساني, متسرع, لأنهم لم يبالوا إلا بصوالحهم, غير حاسبين حسابا لإرادة الله, والأزمنة التي جعلها الآب في سلطانه.

إن اقتراحهم هذا, لا يخلوا من المشابهة لاقتراح أم المخلص (٢: ٣), ونفس هذا التشابه متوفر في جواب المسيح في كلا الحادثين (٢: ٧ و٧: ١٠). (اطلب شرح هذه الأعداد في الإصحاح الثاني).

إن كلمة:"تلاميذك", الواردة في عدد ٣, تشير إلى الذين تتلمذوا المسيح في اليهودية و أورشليم, أثناء خدمة سالفة له هنالك (١: ٤). "لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد أن يكون علانية "- كلمة "علانية" تفيد

إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ هَذِهِ الأَشْيَاءَ فَأَظْهِرْ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ». ٥لأَنَّ إِخْوَتَهُ أَيْضاً لَمْ يَكُونُوا

التكلم جهاراً, و العمل ظاهرا في وضح النهار. (١١: ٥٤ وكولوسي ٢: ١٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن وجه الحق في قولهم هذا, هو أن الحكم الحقيقي للمسيح أو عليه ليس الجليل, بل أورشليم. لكنهم أخطأوا في عدم معرفتهم أن المسيح لا يطلب مجد نفسه, إذ قالوا له : "أظهر نفسك", وفاتهم أنه إنما تجسد لكي يظهر مجد الآب, كما أنهم جهلوا أن المسيح يسير كل خطوة وفقاً لنظام معين, قد أحكم وضعه منذ الأزل في تدبير الفداء.

عدد٥ جملة تفسيرية معترضة "لأن إخوته.. " هذه كلمة تفسيرية, وضعها يوحنا البشير, كعادته في أسلوبه الكتابي (٤: ٩), قاصداً بها أن تكون أشعة كشافة لحقيقة نفسية أخوة المسيح : "لأن أخوته أيضاً لم يكونوا مؤمنون به ".

من المؤلم أن يقرأ الإنسان كلمة : "أيضاً ", كأن إخوة المسيح, كانوا على خلاف المنتظر منهم – في صف الجليليين الذين لم يؤمنوا بعد بأن يسوع هذا, الذي عرفوه منذ الطفولة, هو مسيح إسرائيل. إن قول يوحنا البشير عنهم أنهم "لم يكونوا قد آمنوا بعد بالمسيح", يؤيده قول المسيح لهم : أنهم من العالم. (عدد ٧). (قابل هذا بما جاء في ٥: ١٩).

لم يبق للمسيح على الأرض سوى ستة أشهر, وبعدها يرفع على الصليب, ومع ذلك, فإن أخوته لم يكونوا قد آمنوا به بعد. أنهم كانوا معلقين بين

يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ. ٦فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «إِنَّ وَقْتِي لَمْ يَحْضُرْ بَعْدُ

التأثير الرهيب الذي أوقعته معجزاته في نفوسهم, وبين حالته الوضيعة التي انطبعت على مخيلاتهم مذ أن عرفوه طفلاً وضيعاً. لذلك قصدوا أن يتخلصوا من هذه الحالة الشاذة المعلقة, فإما أن يظهر ذاته للعالم أنه هو المسيح, فيؤمنوا هم أيضا مع المؤمنين, أو أن يتراجع في أقواله ويكف عن عمل المعجزات, فيتراجعوا هم أيضاً إلى الوراء. إن إخلاص يوحنا البشير في كتابته, وإن صدق روايته, يتجليان في ذكره حقيقة عدم إيمان إخوة المسيح به, مع علمه أنها ليست مشرفة للمسيح من الوجهة الاجتماعية.

عدد٦. جواب المسيح ٧: ٦- ٨ "فقال لهم يسوع.." ينم جواب المسيح عن ثقة وطيدة في نفسه, وعن صلة وثيقة بينه وبين الآب, وعن قدرة عجيبة في إرادته. لأن القوة اللازمة لضبط الإرادة في وقت الانتظار, أوفر من القوة اللازمة لاستخدام الإرادة ساعة العمل. يتضمن هذا الجواب:

(أ) إعلاناً عن طبيعة حياته على الأرض: "إن وقتي لم يحضر بعد". بهذا الإعلان بين المسيح لإخوته, إن حياته على الأرض ليست وليدة المصادفات, بل هي وفق فكر الآب وتدبيره, وإن كل ساعة منها مرتبة بترتيب خاص, طبقاً لبرنامج معين. فلا تسمع دقات ساعاتها على الأرض إلا عند إيذان ساعة السماء. أما "الوقت" الذي قصده المسيح بقوله:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"إن وقتي لم يحضر بعد", فهو وقت دخوله إلى أورشليم, دخول الظفر الذي سيتوج حتما بالصليب. علم المسيح أن رؤساء اليهود في أورشليم, كانوا

بَعْدُ وَأَمَّا وَقْتُكُمْ فَفِي كُلِّ حِينٍ

يحفظون له بين ثنايا ضلوعهم, كل أسباب الحقد والانتقام, كما تحفظ المواد المفرقعة في مستودعات الذخائر, وعلم أيضاً أن دخوله علانية إلى أورشيلم, يذكي في قلوبهم نار النقمة, فتلهي المفرقعات المخبوءة بين ضلوعهم. لذلك أفهمهم أن ساعة ذهابه على هذه الصورة, وشيكة المجيء, لكنها لم تأت بعد. نعم ستأتي, لكن في عيد الفصح – لا في عيد المظال – حين يقدم حمل الفصح اليهودي في الهيكل, وآنئذ يرفع المسيح فصح العالم أجمع على الصليب. يقول وستكوت أن كلمة "وقتي", تختلف عن كلمة "ساعتي" (٨: ٢٠), في أن الأولى تعبر عن موافقتها للحوادث الجارية. والثانية تعبر عن مطابقتها لتدبير الله.
فالمسيح, بتمنعه عن أن يدخل أورشليم دخول مسيا الظافر, لم يكن خائفاً من الموت, فهو عالم أنه جاء أرضنا ليموت, لكنه كان ضنيناً بخدماته الباقية على الأرض, من أن تذهب ضياعاً, وهو يريد أن يكمل خدمته, ويتمم سعيه. نعم جاء ليموت, ولكنه جاء أيضاً ليعيش خادماً ومضحياً قبل الموت. إن كفارته لم تبدأ على الجلجلة, بل في بيت لحم. وما دام قد جاء ليموت في وقت معين, فمن الشجاعة أن لا يموت إلا في وقته.

(ب) إعلاناً عن طبيعة حياتهم. بما أنهم لم يكونوا مؤمنين به بعد, ولم يجلسوا الله على عروش حياتهم, بل أجلسوا الذات والعالم, لم يكن لديهم رسالة خاصة يبلغونها للعالم, إذ كانوا يكلمون العالم بما يهواه, لذلك "كان وقتهم في كل حين حاضراً" يذهبون مع الحجاج إلى أورشليم في أي وقت,

حَاضِرٌ. ٧لاَ يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يُبْغِضَكُمْ وَلَكِنَّهُ يُبْغِضُنِي أَنَا لأَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ أَعْمَالَهُ شِرِّيرَةٌ.

ومن دون حرج ولا تكاليف, لأنهم كانوا والعالم من روح واحد. يعتقد وستكوت أن من الأسباب التي حملت المسيح على عدم الذهاب علانية إلى أورشليم الآن, خوفه من أن يحمل الشعب بغيرة غير مقدسة ويحاولوا أن يجعلوه ملكاً.

عدد ٧. (ج) موقف العالم إزاءهم "لا يقدر العالم أن يبغضكم". لقد وقفوا هم من العالم موقف الممازج والمملزج والمداهن, فحق على العالم أن يرد لهم التحية بالمثل, لأنهم والعالم من روح واحد. وغني عن البيان, إن كلمة: "العالم", هنا تختلف عنها في ٧: ٤و٣ : ١٦. إن المعنى في قوله "أظهر نفسك للعالم" و "أحب الله العالم", منصرف إلى الناس الساكنين في العالم, ولكن في قوله: "لا يقدر العالم أن يبغضكم" المعنى منصرف إلى الروح المادي المنافي لروح الله والمقاوم له (١ يو ٢: ١٦). يستعمل المسيح في هذا العدد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تعبيراً قوياً: "لا يقدر" لأن العالم عاجز عن تغيير مجرى النواميس الطبيعية. وشبيه الشيء منجذب إليه.

(د) موقف العالم إزاء المسيح: "ولكنه يبغضني أنا" – هذه هي الكراهة في أشد مظاهرها.
(ه) علة هذا الموقف: "لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة" ليست هذه بالضرورة شهادة كلامية, بل هي أيضاً شهادة صامتة, هي شهادة النور في صمته على الظلمة في جميع مظاهرها (يو ٣: ٢٠و٧: ٣٤و٣٦و٨: ٢١و١٢: ٣٩).

٨اِصْعَدُوا أَنْتُمْ إِلَى هَذَا الْعِيدِ. أَنَا لَسْتُ أَصْعَدُ بَعْدُ إِلَى هَذَا الْعِيدِ لأَنَّ وَقْتِي لَمْ

عدد ٨. (و) النتيجة الطبيعية لموقف العالم إزاء إخوة المسيح وإزاء المسيح نفسه: "اصعدوا أنتم إلى هذا العيد" – أي اذهبوا أنتم مع الحجاج, واشتركوا في التقدمات والمعدات. "وأنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد. لأن وقتي لم يكمل بعد"- كلمة "بعد", التي أردفت بها كلمة: "أصعد" لا تفيد أن المسيح كان مصمما على عدم الذهاب إلى هذا العيد, بل على العكس من ذلك – أنه كان عازماً على أن يذهب إلى العيد. لكن وقت ذهابه لم يكن على قد حان بعد. إذا ذهابه إلى العيد (عدد ١٠). لا يدل على تغير في فكره, بل على تنفيذ شيء كان في فكره. سيما وأن السيد لم يذهب إلى العيد ظاهراً على اعتبار أنه المسيح, كما طلب إليه إخوته, بل ذهب سراً. كذلك أيضا لم يذهب إلى العيد كعابد, معيد, مع غيره من العابدين المعيدين بل ظهر في منتصف العيد, معلماً في الهيكل (عدد ١٤)لا صعوداً ظاهراً بل مشتركاً. فضلاً عن ذلك فإن المسيح لم يشاطر المعيدين تقديم الذبائح وممارسة التطهيرات الواجبة في العيد (١١: ٥٥). فهو إذاً لم يذهب إلى العيد على الصورة التي أملاها عليه إخواته. "لأن وقتي لم يكمل بعد" – على الغالب يستعمل هذا التعبير للإشارة إلى وقت إتمام مهمة المسيح على الأرض- وقت ذهابه إلى أورشليم ظافراً وظاهراً ليستقبل الصليب, وهناك يقول "قد أكمل" (قابل هذا مع لوقا ٢١: ٢٤ وأعمال ٧: ٢٣), ولعله يشير في هذه القرينة

يَكْمَلْ بَعْدُ». ٩قَالَ لَهُمْ هَذَا وَمَكَثَ فِي الْجَلِيلِ. ١٠وَلَمَّا كَانَ إِخْوَتُهُ قَدْ صَعِدُوا حِينَئِذٍ صَعِدَ هُوَ أَيْضاً إِلَى الْعِيدِ لاَ ظَاهِراً بَلْ كَأَنَّهُ فِي الْخَفَاءِ.

إلى أن ذهاب المسيح إلى هذا العيد – عيد المظال – لم يكن قد أتى بعد, لأن عليه خدمات يجب أن يتمها في الجليل قبل ذهابه إلى العيد, كما يتبين من العدد التالي.

عدد ٩. مكوث المسيح في الجليل: "قال لهم هذا ومكث في الجليل" – إلى أن تنقضي الفترة التي بسببها قال: "لست أصعد بعد إلى هذا العيد" إن كل وقت, وإن دق أو قصر, له قيمته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخاصة عند الخاصة عند المسيح, لأنه محمل بأعمال جليلة. تشتهي الملائكة أن تطلع عليها.

عدد ١٠. ذهاب المسيح في العيد: المفهوم من هذا العدد أن المسيح لم يذهب إلى العيد مع إخوته بل على انفراد, أو ربما مع واحد أو اثنين من أخصائه – هذا معنى قوله: "لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء". قابل هذه الزيارة التي فصل فيها نفسه عب الحجاج, بزيارته الأولى التي ذهب فيها إلى الهيكل بقوة (٢: ١٣), وبزيارته الأخيرة الظافرة التي انتهت بالصلب (١٢: ١٢). لقد اختار المسيح أن يصعد – والصعود هنا جغرافي – إلى أورشليم, مستتراً في هذه المرة, لكي يتحاشى اثارة عواطف الجماهير الهائجة, الغير المهذبة, مخافة أن يجعلوه ملكاً أرضياً, فيفسدوا عليه رسالته, ولكي يمنع الاحتكاك برؤساء الكهنة الذين جعلوا من قلوبهم مستودعاً للمفرقعات التي كانت تنتظر أقل شرر فتلتهب. "لا ظاهراً بل كأنه في "الخفاء" – ليقدم للمعيدين شهادة هادئة كالنسيم, قوية كأشعة الشمس.

١١فَكَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَهُ فِي الْعِيدِ وَيَقُولُونَ: «أَيْنَ ذَاكَ؟» ١٢وَكَانَ فِي الْجُمُوعِ

٧: ١١- ١٣ "مناجاة كثيرة من نحوه": هذه الأعداد تزيح الستار عن الشعور المتناقض الذي كان ينتظر المسيح في العيد, قبيل ذهابه إليه. وإن انشغال الجميع به, لا كبر دليل على عظم التأثير العميق, والواسع النطاق, الذي أحدثه المسيح في زيارته السابقة (ص ٥). أو ليس من تباين الطبائع البشرية أن تصدر هذه الأحكام المتناقضة, على شخص واحد؟ إذا فالبشر هم عاقدو لواء مستقبلهم: إن في السماء أو في الجحيم.

عدد ١١. (أ) تفتيش اليهود عنه: "فكان اليهود" – رجال السلطة الدينية المعادين للمسيح أمثال قيافا وأتباعه – "يطلبونه" – ويبحثون عنه بين جماعات الحجاج الجليليين, لأنهم لم يروه "في العيد" كما كانوا يتوقعون. "ويقولون أين ذاك" – إن في كلمة: "ذاك", نغمة تحقير يمازجها حقد. ويقول لوثر: "أن اليهود من فرط كرههم للمسيح لم يطيقوا أن يذكروا اسمه على شفاههم فكأنهم أرادوا أن يقولوا: أين ذاك الشخص الذي حاز شهرة واسعة من غير حق. فأزعجنا وأقلقنا"؟ ويقول وستكوت: "أنهم كانوا في تفتيشهم عنه محمولين بنية سيئة يمازجها حب الاستطلاع والتعجب".

عدد١. (ب) المناجاة المتضاربة: "وكان الجموع" – جماعات المعيدين. وردت كلمة: "جموع", في بشارة يوحنا هذه المرة وحدها. "مناجاة كثيرة" – قيل وقال, أقرب إلى التمتمة في الخفاء, منها إلى الكلام

مُنَاجَاةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ نَحْوِهِ. بَعْضُهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّهُ صَالِحٌ». وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: «لاَ بَلْ يُضِلُّ الشَّعْبَ». ١٣وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ عَنْهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

علانية وجهراً. "من نحوه"- الإشارة إلى الكلام بوجه عام: سواء أكان في جانب المسيح أم ضده. من هذه الكلمة العامة: "مناجاة, كثيرة" ينتقل يوحنا البشير إلى الكلام التفصيلي, فيرينا أن أولئك الجموع المتناجين كانوا على طرفي نقيض: "بعضهم"- الطرف الإيجابي – "يقولون أنه صالح" – غير محب لذاته, شفوق, صادق في ادعائه, محسن, شريف المقصد, حقيق بأن يتبع (مرقس ١٠: ١٧) –"وآخرون" – الطرف السلبي – "يقولون لا. بل يضل الشعب" – كلمة "شعب" تعني الجماهير السريعة التأثر والتقلب. أهكذا تصف البشرية منقذها ومحررها؟! اهذا هو الحكم الذي يصدره المتهمون المتحزبون على ديان الأرض؟!.

عدد ١٣. (جـ) سرية هذه المناجاة: إن السر في كون هذه المناجاة خفية هو: "السبب الخوف من اليهود". لأن الرؤساء لم يكونوا قد أعلنوا رسمياً رأيهم في المسيح, مع أن اتجاه أفكارهم كان معروفا. فالذين أثنوا على المسيح خافوا من أن يعلنوا هذا الثناء, فيجلب عليهم غضب الرؤساء. والذين كانوا يذمون المسيح, خافوا من أن يصرحوا جهراً برأيهم لئلا يكونوا مفرطين في هذا الذنب أو مقصرين, سيما وهم يعلمون أن رؤساءهم غير ثابتين على رأيهم فقد يمتدحون غدا من ينتقدون اليوم. مسكين ذلك الشعب الأعمى, الذي أسلم قياده لقوم, أقل ما يقال فيهم, إنهم: "عميان قادة عميان". كلمة "جهرا" قد

جِهَاراً لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ. ١٤وَلَمَّا كَانَ الْعِيدُ

تعني في الأصل جلاء في التعبير(١٠: ٢٤ و ١١: ١٤ و ١٦: ٢٥ و ٢٩ و ١٨: ٢٠). أو حرية في إذاعة الرأي من غير خوف ولا وجل(١١: ٥٤). وهي كما استعملت هنا, تفيد المعنى الثاني.

ثانياً – ما حدث أثناء العيد ٧: ١٤-٣٦.

هدأت ثائرة اليهود, الذين كانوا يطلبون المسيح في العيد, ولم يجدوه, فانصرف كل منهم إلى الممارسات التي يتطلبها العيد, وما هي إلا أيام معدودات حتى ظهر المسيح في الهيكل معلماً. غير أن رؤساء اليهود, لم يتعرضوا له بشيء, فكان أمام المسيح متسع من الوقت حتى نهاية العيد, ليتمم رسالته التي صعد إلى أورشليم لأجلها.

يتضمن خهذا الفصل ثلاثة خطابات مختصرة فاه بها المسيح إجابةً على أسئلة واعتراضات وجهت إليه من المعيدين: - الخطاب الأول- ٧: ١٤-٢٤. الخطاب الثاني:-٧: ٢٥-٣٠. الخطاب الثالث:-٧: ٣١-٣٦.

الخطاب الأول: -فاه به المسيح رداً على تعجب اليهود وتساؤلهم. وموضوعه (أ) أصل تعليمه (٧: ١٤-١٨). (ب) تبرير موقفه: في إتيانه المعجزة المذكورة في الإصحاح الخامس: (٧: ١٩-٢٤). والخطاب الثاني: نطق به جواباً على سؤال قوم من سكان أورشليم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتناول فيه الكلام عن أصله ومصدره. والخطاب الثالث: ألقاه على الخدام الموفدين من الفريسيين ورؤساء الكهنة, ليلقوا القبض عليه, وقد تكلم فيه عن غايته ومصيره, ولكل خطاب

قَدِ انْتَصَفَ

رسالته, وغرضه, ونغمته. فالخطاب الأول مفرغ في قالب دفاع,والثاني في صورة احتجاج, والثالث في شكل إنذار.

الخطاب الأول:- ٧: ١٤-٢٤. يقع هذا الخطاب في شطرين, بينهما كلام جاف موجه إلى المسيح من الجمع: (أ) الشطر الأول: (٧: ١٤-١٨) يتضمن كلام المسيح عن أصل تعليمه(ب) الشطر الثاني: (٧: ١٩-٢٤) يشتمل على كلام المسيح عن عمله المعجزة المدونة في الإصحاح الخامس.

وجدير بنا أن نمعن النظر في موقف الجمع إزاء المسيح, فهو موقف يدعو إلى الإعجاب, لأنه سائر على ناموس التدرج والتقدم. فهو إذاً مطبوع بنفس الطابع الذي دمغت به هذه البشارة: - في عدد ٢٠ نلمح الجمع وقد اتخذوا من المسيح موقف الجفاء, فصدرت منهم كلمات قريبة جداً من التجديف- إن لم تكن تجديفاً, وفي عدد ٣١نراهم أقرب إلى الإيمان منهم إلى الشك, وفي عدد ٤٠ نجدهم قد بلغوا في الإيمان مرتبةً راقية, فأضحى إيمانهم يقيناً.

الشطر الأول من الخطاب الأول:-٧: ١٤-١٨. (١)وجود المسيح في الهيكل(٧: ١٤). (٢) تعجب اليهود وتساؤلهم (٧: ١٥). (٣) جواب المسيح(٧: ١٦-١٩).

عدد ١٤. (١)وجود المسيح في الهيكل: -٧: ١٤. "ولما كان العيد قد انتصف" يستغرق العيد عادة سبعة أيام مضافاً إليها اليوم الثامن الذي"اليوم الأخير العظيم من العيد" (٧: ٣٧ ولاويين ٢٣: ٣٦). فنحن الآن في

انْتَصَفَ صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْهَيْكَلِ وَكَانَ يُعَلِّمُ. ١٥فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟» ١٦أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «تَعْلِيمِي

اليوم الرابع من العيد. "صعد يسوع إلى الهيكل ليعلم" – هذه أول مرة, في هذه البشارة, نرى المسيح معلما في الهيكل. الظاهر أنه في المرة الأولى٠ التي فيها طهر الهيكل, لم يعلم هناك. ويغلب على اعتقادنا, أن المسيح عرج على "بيت عنيا", قبل ذهابه إلى أورشليم في هذه المرة (لوقا ١٠: ٣٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٥. (٢) تعجب اليهود وتساؤلهم: ٧: ١٥ "فتعجب" (مت ٢٢: ٢٢ ولوقا ٤: ٢٢)- "اليهود"- أي الرؤساء الدينيون الفخورون بألقابهم العلمية والأدبية. "قائلين كيف هذا"- كلمة: "هذا", تنم عن شيء غير قليل من التحقير والإزدراء, يمازجهما الحقد والبغضاء (٦: ٤٢ و٧: ١٢)."يعرف الكتب وهو لم يتعلم". المفهوم أن يسوع المسيح ذهب إلى مدرسة قريته المعروفة بـ"بيت المدراش" كما يذهب عادة كل صبي عند بلوغه سنا معينا. فالكلام هنا, ليس عن عدم تعلم المسيح على الإطلاق, بل عن عدم حيازته درجة "العالمية" من مدرسة الرابيين, لأنه لم يتعلم إلى هذا الحد. وعلى الرغم من هذا فإن معرفته بالكتب, أدهشت العلماء. مع أن كلمة: "كتب" تشير بنوع خاص إلى الكتب المقدسة, إلا أنها ليست قاصرة على الكتب المقدسة (أعمال ٢٦: ٢٤).

عدد١٦. (٣) جواب المسيح(٧: ١٦-١٩):"أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني" (أ) مصدر تعليم المسيح (عدد ١٦). أراد

لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي. ١٧إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِفُ

الفادي الذي يماشيهم في الإعتقاد بأن لابد لكل معلم من أن يكون عالما ومتعلما, فأفهمهم أنه "عالم" بالمعنى الصحيح, لا بالمعنى الذي يفهمونه هم, وأنه تخرج من مدرسة أعلى من مدرسة الرابيين –فلا يقول كلامه نقلا عن الحاخام هليل ولا تسلم رسالته من الراب عزريا, بل تسلم مقاليد رسالته من الله رأسا. فهو إذا "يتكلم بما يعلم ويشهد بما رأى" (٣: ١١). لا مراء في أن المسيح يتكلم هنا عن نفسه باعتبار كونه معلما مرسلا من الآب, حاملا رسالة خاصة, لا باعتبار كونه إلهاً. على أن هذا الكلام لا يطعن على لاهوته بل يعطيه مقاما فريدا ممتازا, لأنه يبين متانة الصلة الوثيقة الدائمة التي تربطه كابن بالآب (٣: ١٢ و١٣). كلمة: "تعليمي" لا تتقيد بتعليم خاص نطق به المسيح في مناسبة خاصة لكنها تشمل كل تعليم المسيح في كل ظرف. فهي إذا تعني خلاصة رسالة المسيح التي جاء أرضنا لأجلها. هذه ذروة الأمانة العليا.

عدد ١٧الطريقة المثلى لتمييز مصدر تعليم المسيح "إن شاء أحد أن يعمل مشيئته" – مشيئة الله - "يعرف التعليم. هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي". أعلن المسيح في العدد السابق أن تعليمه صادر من عند الله, ولم يشأ أن يلقي القول على عواهنه, بل قدم فرصة لمن يشاء من سامعيه أن يتحقق صدق كلامه, فأراهم أن الطريقة الوحيدة التي بها يتبينون حقيقة مصدر تعليمه, هي إطاعة مشيئة الله والعمل بها, فالطاعة العملية هي المفتاح الوحيد لكنوز المعرفة. إن العقبة الكؤود في سبيل إيمان الأكثرين ليست في

التَّعْلِيمَ هَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ أَمْ أَتَكَلَّمُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عقولهم, بل قلوبهم. ولن يفتح الله عقل إنسان ما لمعرفة الحق, إلا متى كان قلبه منعطفاً في هذا الحق, ومطيعاً لإرادة الله, ومحباً لها:"سر الرب الخائفية". "تعال أولاً ثم انظر" ولكن ما هي "مشيئة الله" هذه المشار إليها في العدد؟ يقول أغسطينوس ولوثر أن هذه المشيئة هي الإيمان بالمسيح:"هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله" (٦: ٢٩). ويقول روس ولامب: أنها هي المسيحية العملية. من أراد أن يعرف العقائد المسيحية, فعليه أن يقوم بالواجبات المسيحية, الأدبية والروحية. ويقول جودي – وهو أقربهم إلى الحق- أنها هي الإعلانات الإلهية التي أوحى بها الله إلى اليهود عن طريق موسى والأنبياء. كأنما المسيح أراد أن يقول لليهود: "لو كنتم أمناء في العمل بالإعلانات التي بين أيديكم, لأتمنكم الله على المزيد منها, وأعلن لكم أن تعليمي هو منه لا مني". هذا يوافق قوله في ٥: ٤٦ "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني" – تؤمنون بي- "لأنه هو كتب عني". إن الله واحد, فإعلاناته تتجه إلى غاية واحدة. فالذي يتتبع النهر من منبعه لا بد واصل في النهاية إلى مصبه. إن المسيح هو روح النبوة, وإليه يشير موسى وجميع الأنبياء.

على أنه وإن كانت "مشيئة الله" منصرفة في هذا الباب, إلى معلناته التي أرسلها تعالى على أيدي موسى والأنبياء, "وهي التي تشهد للمسيح" (٥: ٣٩), إلا أنها – من باب التطبيق- تعني أيضاً إرادة الله التي يلاقيها

أَنَا مِنْ نَفْسِي. ١٨مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ

البشر في اختباراتهم اليومية: "من يعمل الحق يقبل إلى النور" (٣: ٢١). إن الذي يعمل إرادة الله يتشرب من روح الله. ولا يقدر أحد أن يسلم بأن يسوع رب إلا بالروح القدس. في مدرسة الله لا يرتقي إلى القسم العالي إلا من يتخرج من القسم الإعدادي. فلا يعرف من هو "كلمة الله" المتجسد, إلا من أطاع كلمة الله المعلنة, وروحه المرشد(أعمال ٥: ٣٢).

عدد ١٨. (ج) برهان صدق رسالة المسيح. استدل المسيح على صدق رسالته من غايتها. فالغاية تنبأ بالمصدر, كما أن المصب يهدي إلى المنبع. أما غايتها فهي أنه يطلب مجد الذي أرسله. ولو كان مرسلاً من قبل نفسه لطلب مجد نفسه. "من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم". هذه أكبر حجة تقضي على اتهامهم إياه بأنه "يضل الشعب" (عدد ١٢).هذا أكبر معول هادم لتقولات البعض بأن المسيح دعا إلى الشرك بالله. فهو لم يسلب حق من أرسله, بل مجده.إن المسيح القائل عن نفسه: "أنا والآب واحد", يمجد الله. فمن يؤمن بالمسيح رباً وفادياً, يمجد الله.

تذكرنا كلمات المسيح الواردة في ٧: ١٦-١٨ بما سبق فقاله في ٥: ١٩و٣٠و٣٧و٤٤.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن العبارة الأخيرة: "فهو صادق وليس فيه ظلم البتة", هي نقطة انتقال

وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ. ١٩أَلَيْسَ مُوسَى قَدْ أَعْطَاكُمُ النَّامُوسَ؟ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَعْمَلُ النَّامُوسَ! لِمَاذَا تَطْلُبُونَ

بين تبرير المسيح لتعليمه, وبين دفاعه عن أعماله وتصرفاته. أو هي نقطة اتصال بين شطري الخطاب الأول الذي فاه به المسيح. فقوله: "صادق" يدفع به اتهامه إياه بأنه "يضل الشعب" (عدد ١٢). وقوله: "ليس فيه ظلم البتة" يفع به اتهامه إياه بأنه هادم للناموس ومعتد على السبت (٥: ١٦) فالمسيح: "صادق" في ما يقول, "وليس فيه ظلم" في ما يعمل.

ويجوز أن نعتبر قول المسيح: "ليس فيه ظلم", نقطة انتقال من دفاعه عن نفسه إلى مهاجمته لمن تبرعوا له بالاتهام: فهو خال من الظلم, لأنه لم يطلب مجد نفسه بل مجد الذي أرسله. وأما من يتهمونه وهو بريء ويطلبون أن يقتلوه, فهؤلاء هم مرتع الظلم, بل هم الظلم مجسماً (٥: ١٦ و٧: ١٩).

عدد ١٩- الشطر الثاني من الخطاب الأول – دفاع المسيح عن عمله ٧: ١٩-٢٤. "أليس موسى قد أعطاكم الناموس". أشار المسيح بهذا القول, إلى محاولة اليهود أن يقتلوه بعد أن شفى مريض بركة بيت حسدا في السبت (٥: ١٦). وأي أمر أدعى إلى التعجب, بل إلى التألم, من أن نرى أناسا يدعون أنهم يدافعون عن الناموس, وهم في مقدمة مقاوميه وكاسريه!؟ هذه هي التهمة التي وجهها المسيح إلى كل منهم "أليس موسى قد أعطاكم ناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس. لماذا تطلبون أن تقتلوني"؟ إذا هم المستحقون للقتل لأن "أجرة الخطية هي موت", وأما المسيح البار, ومبرر الفجار,

أَنْ تَقْتُلُونِي؟» ٢٠أَجَابَ الْجَمْعُ: «بِكَ شَيْطَانٌ. مَنْ يَطْلُبُ أَنْ

فلماذا يطلبون أن يقتلوه إلا لكي يتخلصوا منه, فتستريح ضمائرهم التي كانت تثور عليهم عند سماعها "شهادة المسيح عليهم بأن أعمالهم شريرة" (عدد ٧).

إن رؤساء اليهود اعتدوا على روح الناموس, كما أنهم عطلوا حرفة أيضا. أما اعتداؤهم على روحه, فظاهر من الغلة الذي ملأ قلوبهم, فأرادوا أن يطفئوا نيرانه بسفكهم دم المسيح. ومن أكبر الأدلة على تعطيلهم حرف الناموس, أعمالهم العديدة التي يكسرون بها السبت, مثل ممارسات الهيكل المنوعة, وتقديسهم فريضة الختان فوق تقديسهم فريضة السبت. كما سنرى في عددي ٢٢ و٢٣. فإذا كانوا هم يكسرون بعض أركان الناموس, بدافع الحرص على أركان أهم, مع كونهم عبيد الناموس, فكم بالأحرى يجوز للمسيح أن يكسر حرفية ناموس السبت في سبيل تقديسه لناموس أفضل – أعني به ناموس الرحمة والحنان, حال كونه هو صاحب الناموس, بل روحه, وغايته؟؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٠ مقاطعة الجمع له: "أجاب الجمع وقالوا" – كان هذا الجمع ساذجا غبياً, غير عالم بنوايا رؤساء اليهود نحو المسيح. وقد ظهرت غباوته المزدوجة في جهله حقيقة الرؤساء, وفي جهله حقيقة المسيح. ظن ذلك الجمع أن المسيح عصبي المزاج, سريع الإنفعال, يعيش متأثرا بهواجس وهمية, لا وجود لها إلا في مخيلته, فيتوهم أن الناس يقصدون به شراً: "بك شيطان". قابل هذا القول بذاك الذي وجه إلى يوحنا المعمدان (مت ١١: ١٨و لوقا

يَقْتُلَكَ؟» ٢١فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: «عَمَلاً وَاحِداً عَمِلْتُ فَتَتَعَجَّبُونَ جَمِيعاً.

٧: ٣٣). هذه الكلمات اتخذت شكلاً أشد وأقوى في ص ٨: ٤٨و٥٢و١٠: ٢٠. مسكين ذلك الجمع الساذج الذي يحمل بكل ريح تعليم, ويساق سوق الإنعام.

عدد٢١-٢٤ جواب المسيح. تغاضى المسيح عن مسبة هذا الجمع له, وبحلمه المعهود وجه الخطاب إلى الجمع وإلى الرؤساء معاً, مبرراً عمله في إتيانه تلك المعجزة المذكورة في الإصحاح الخامس (٧: ٢١) مبيناً لهم عدم محافظتهم هم على الناموس – معنى ومبنى – لأنهم يكسرون السبت في سبيل محافظتهم على الختان (عدد ٢٢), وموبخاً إياهم على خطأهم في إدانته, لأنه كسر السبت في سبيل محافظته على سلامة الإنسان بأكمله (عدد٢٣). ثم ختم جوابه بكلمة حكمية أفرغت في شكل نصيحة تصلح لأن تكون مبدأ عاماً تسير عليه جميع الأجيال (عدد ٢٤)..

"أجاب يسوع وقال لهم" – للجمع الذين سبه (عدد ٢٠). ولرؤساء اليهود الذين تعجبوا من غزارة عمله (عدد ١٥). – "عملاً واحد عملت فتتعجبون جميعاً"- يشير المسيح بهذا العمل الواحد إلى معجزة إبرائه مريض بركة بيت حسدا, وقد اختار هذه المعجزة بالذات, مع إن وقتاً غير قصير مضى عليها, لأنها عينة صحيحة لأعمال رحمته, وفيها تجلت عواطف اليهود الثائرة عليه, وعنها رفعوا التقريرات المطولة إلى السلطات الرسمية, وبمناسبتها ألقى المسيح خطاباً مستفيضاً عن بنوته لله, وعن كونه رب الموت والحياة, فطلبوا أن يلقوا القبض عليه لكي يحاكموه كمجدف, ويقتلوه (٥: ١٦-١٨)

٢٢لِهَذَا أَعْطَاكُمْ مُوسَى الْخِتَانَ لَيْسَ أَنَّهُ مِنْ مُوسَى بَلْ مِنَ الآبَاءِ

عدد ٢٢."لهذا" – لسبب سيأتي بيانه بعد, وهو أن عمل الخير في السبت لا ينقض السبت (ع ٢٢و٢٣)- "أعطاكم موسى الختان". أدخل موسى وصية الختان ضمن وصايا الناموس المتضمن أيضاً وصية السبت – "ليس أنه"-الختان- "من موسى بل من الآباء"- هذه جملة معترضة, وهي تفسيرية لما قبلها, قصد بها: أنه وإن كان موسى قد أعطاهم الختان رسمياً كوصية من ووصايا الناموس الكامل, إلا أن فريضة الختان لم تبدأ بموسى بل بابراهيم رئيس الآباء, فهي إذاً وصية قديمة, ولعلها أقدم من وصية السبت. ومع أنه كان ينتظر أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الوصية الجديدة تنسخ القديمة, إلا أن وصية السبت خاضعة لوصية الختان. فقد قضى ناموس موسى(لاويين ١٢: ٣) بأن يختن الطفل الذكر في اليوم الثامن, مع أن ذلك الناموس عينه قضى بأن لا يعمل اليهودي عملاً ما يوم السبت(خر ٢٠: ٨-١٠). وقد أفتى رؤساء اليهود وعلماؤهم بأنه إذا وافق موعد ختان الطفل يوم سبت, فإن فريضة الختان تنسخ وصية السبت. هذا ما يقول به المدراش اليهودي: "كل مستلزمات الختان ينبغي أن تنجز يوم السبت". وقال الراب عقيبة: "كل عمل يقع في يوم السبت عادة, يجوز تقديم موعده إلا ما قبل السبت, إلا الختان. فإذا وافق يوم سبت, فمن المحال تقديمه أو تأخيره".

من أجل ذلك, برر المسيح إبراؤه ذلك المريض يوم سبت, مستنداً إلى ثلاث حجج: الحجة الأولى- ما عمله موسى: بإعطائهم وصية الختان

. فَفِي السَّبْتِ تَخْتِنُونَ الإِنْسَانَ. ٢٣فَإِنْ كَانَ الإِنْسَانُ يَقْبَلُ الْخِتَانَ فِي السَّبْتِ لِئَلَّا يُنْقَضَ نَامُوسُ مُوسَى أَفَتَسْخَطُونَ عَلَيَّ لأَنِّي شَفَيْتُ إِنْسَاناً كُلَّهُ فِي السَّبْتِ؟ ٢٤لاَ تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّاهِرِ

التي تنقض وصية السبت"لهذا أعطاكم موسى" – أي لهذا السبب الذي أتبرر به أمامكم, وهو أن وصية الختان تنسخ وصية السبت. إذاً كان موسى مدافعاً عن المسيح مقدماً وهو لا يدري.

الحجة الثانية – ما يعملونه هم: "ففي السبت تختنون الإنسان".

عدد ٢٣. الحجة الثالثة- سيادة ناموس الرحمة "فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا ينقض ناموس موسى. أفتسخطون علي لأني شفيت إنساناً كله في يوم السبت"؟ إذا كان ناموس الضرورة ينسخ ناموس الوصايا, ووصايا الناموس, فبالأولى ناموس الرحمة يسود على كل ناموس: "شفيت إنساناً كله"- فمن هذا نرى أن المعجزة التي أجراها المسيح تمتاز على فريضة الختان: (أ) في طبيعتها: لأنها معجزة رحمة: "شفيت" (ب) في كفايتها وفاعليتها: "إنساناً كله". فالرجل شفي من مرضه الجسدي إذ قام وحمل سريره, ومن مرضه الروحي: "لا تخطيء أيضاً " (٥: ١٤). (ج) في ضرورتها لأن تأجيل الشفاء قد يقضي على حياة المريض, مع أن تأجيل الختان يوماً أو بعض يوم لا تأتي بضرر معلوم.

عدد ٢٤. خاتمة الخطاب الأول – نصيحة في صيغة مبدأ عام: "لا تحكموا حسب الظاهر...".ينبغي أن لا يكون الحكم مبنياً على ظواهر الأمور,

الظَّاهِرِ بَلِ احْكُمُوا حُكْماً عَادِلاً». ٢٥فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ أُورُشَلِيمَ: «أَلَيْسَ هَذَا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مثلما نظر اليهود إلى معجزة الشفاء, نظرة سطحية, فحكموا بأن المسيح معتد على الناموس, بل مؤسساً على بواطن الأمور وخفاياها. فرب أعمال تكون في ظاهرها مطابقة لحرف الشريعة, وفي حقيقتها منافية لروح الشريعة.وكم من مسكين في غياهب السجون يستحق

ان يكون بديلاً لمن يرتع في نعيم القصور قاتلوا الأجساد يرسفون في القيود, وقاتلوا الأرواح تنحني أمامهم الرقابة, آكلوا لحوم البشر يحسبون متوحشين, وناهبوا أعراض إخوتهم هم المتدينون !!!

الخطاب الثاني ٧: ٢٥-٣٠

أصل المسيح : نحن الآن أمام منظر آخر, حدث أيضاً في الهيكل (ع ٢٨) وإن لم يكن قد حدث بالضرورة في ذات الوقت الذي فاه فيه المسيح بالخطاب الأول. في هذا المشهد الجديد, يتجلى لنا شعور جديد, هو شعور"أهل أورشليم" الذين كانوا أعلم بنوايا رؤساء اليهود, من الجمع الساذج (ع ٢٥), ومع أنهم لم يوجهوا إليه كلاماً جارحاً كما فعل أولئك (ع٢٠) إلا أنهم جهلوا حقيقته بسبب ادعائهم كثرة العلم (ع ٢٧). لا شيء أخطر من الجهل, سوى العلم الناقص.

عدد ٢٥. تساؤل أهل أورشليم ٧: ٢٥-٢٧: "فقال قوم من أهل أورشليم"- هذه ثاني مرة وردت فيها كلمة "أهل أورشليم "في العهد الجديد(المرة الأولى في مرقس ١: ٥). "أليس هو الذي يطلبون أن يقتلوه"؟

هُوَ الَّذِي يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ؟ ٢٦وَهَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جِهَاراً وَلاَ يَقُولُونَ لَهُ شَيْئاً! أَلَعَلَّ الرُّؤَسَاءَ عَرَفُوا يَقِيناً أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ حَقّاً؟ ٢٧وَلَكِنَّ هَذَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ

فبلاً كان المسيح في موقف الاتهام, لأنه كسر السبت, و الآن نرى أهل أورشليم وقد زجوا برؤسائهم في قفص الاتهام, ملصقين بهم تهمة الشروع في القتل: "يطلبون أن يقتلوه" كأنهم في سعي متواصل ليتحينوا كل فرصة للإيقاع به.

عدد ٢٦و٢٧. جهلهم بطبيعة ظهور المسيح ٧: ٢٦و٢٧ "وها هو يتكلم.." كان أهل أورشليم على وشك أن يكونوا فكرة صائبة عن المسيح, لولا أن غلبت عليهم فكرة كانت شائعة وقتئذ: وهي أن المسيح يأتي مستتراً فلا يدري أحد عن أصله شيئاً. فقد جاء في التلمود: "ثلاثة تأتي على غير انتظار: "مسيا (المسيح), والكنز المكنون,والتنين". وكانت هنالك فكرة فاشية بين قوم منهم, وهي "أن مسيا متى جاء, يكون مجهولا من الناس, ويظل هو أيضا جاهلا ذاته, حتى يأتي إيليا ويمسحه, فيظهره لذاته وللجميع". والظاهر أن هذه الأفكار الخاطئة, نشأت في مخيلة بعض منهم نتيجة سوء فهمهم لبعض النبوات (دانيال ٧:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٣ أشعياء ١١: ١ و٥٣: ٢ و٨), مع أن هذه النبوات لا تعني سوى أن بيت داود يكون في حالة وضيعة وقت مجيء المسيح. لكن ما الحيلة في من أعماهم الادعاء بالعلم: "نحن نعلم" فتبرعوا لأنفسهم ولغيرهم بالجهالة: "لا يعرف أحد"! أن قولهم: "من أين هو"

وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَمَتَى جَاءَ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ هُوَ». ٢٨فَنَادَى يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا وَمِنْ نَفْسِي

لا يشير إلى المكان الذي ولد فيه المسيح بل إلى أصله وأبويه. إن هذه العبارة تنم عن جهلهم المطبق, لأنهم كانوا إلى الآن يعتقدون أنه ابن يوسف!

عدد ٢٨ و٢٩. جواب المسيح: "فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً.." اتخذ المسيح من اعتراض "أهل أورشليم", سلماً لخطاب جديد عن موضوع جديد. في خطابه الأول تحدث عن أصل تعليمه, وبرر موقفه في إبرائه مريض بركة بيت حسداً. وفي خطابه الثاني, خاطبهم عن أصله هو, وعن مصدر رسالته. فالكلمات التي يرتكز عليه هذا الخطاب هي: "لأني منه وهو أرسلني" عدد ٢٩. "فنادى يسوع وهو يعلم" – رفع صوته مجاهراً, ومعلناً, وكارزاً ومقرراً. وبدت هذه الكلمة في الأصل, أربع مرات في هذه البشارة (١: ٥ و٧: ٢٨ و٧: ٣٧ و١٢: ٤٤). "في الهيكل" – هذه العبارة تدل على فترة وقعت بين الخطاب الأول والثاني, وترينا أن المسيح جاهر بهذه الكلمات على مسمع من الرؤساء والزعماء. إن مقادس الله حقيقة بأقدس الإعلانات: "قائلا تعرفونني وتعرفون من أين أنا" – تفترض هذه الكلمات أن المسيح سلم بأنهم يعرفون عنه وعن أصله بعض المعرفة. لكن ما عرفوه عنه لا يساوي مثقال ذرة مما جهلوه. لقد عرفوه أنه من بيت لحم أو من النصرة, وأنه إنسان أرضى ولد كما يولدون, فكانوا في معرفتهم هذه أغبياء جاهلين فإذا كان المسيح قد سلم بأنهم يعرفون بعض المعرفة إلا أنهم شديداً على فرط جهالتهم. لم تكن معرفتهم

لَمْ آتِ بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ.

به ناقصة وكفى, بل كانت ممتزجة بجهالة. "ومن نفسي لم آت" – أجمع علماء اللغة الأصلية على أن الواو التي تبدأ بها هذه العبارة, حرف عطف له قوة الاستدراك. فهي في قوة كلمة "لكن". بهذا أعلن المسيح لهم أنه لم يرتفع على أجنحة مطامحة الذاتية, لأنه ليس من طراز الملوك الذين يتوجون أنفسهم, ولا الرسل الذين يستمدون رسالتهم من نبع ادعائهم – "بل الذي أرسلني هو حق" – هو مرسل حقيقي, له حق الإرسال, وله أن يقلد من يرسله حق تبليغ الرسالة. ويستفاد أيضاً من هذه العبارة, أن المسيح شاعر بمن أرسله ومتيقن أنه شخص حقيقي. إلى هنا كان المسيح مدافعاً ومقرراً. وفيما بعد ينتقل من الدفاع إلى الهجوم: - "الذي أنتم لستم تعرفونه". هذه طعنة نجلاء صوبها المسيح إلى رؤساء اليهود فأصابت منهم الصميم. ويزيدها حدة أنها صوبت إليهم في الهيكل الذي يظنون أنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

محط تعبدهم لله ومهبط معرفتهم به. كان من السهل عليهم أن يتهموا في جهلهم بالعلوم والفلسفة, ولكن أن يتهموا في جهلهم بالله, فهذا مما لا يطاق. فلا عجب إذا كانت نيران هذه الكلمات قد أنضجت عوامل حقدهم على المسيح. كانوا يزعمون أنهم يعرفون الله, ويعلمون "من أين أتى المسيح" (عدد ٢٧), فأتاهم حكم السماء – أنهم لا يعرفون الله, وبالتالي, يجهلون من أين أتى المسيح. كلمة "أنتم" وردت في الأصل بصيغة التوكيد.

من فمهم يدانون. فإذا كانوا قد اعترفوا في عدد ٢٧ أن جهلهم بالمسيح, يؤيد رسالته, فأنا نحمد لهم هذا الجهل المطبق الذي تطوعوا له من غير قصد, فقدموه حجة دامغة على أن يسوع, هو المسيح.

٢٩أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ وَهُوَ أَرْسَلَنِي». ٣٠فَطَلَبُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ وَلَمْ يُلْقِ أَحَدٌ يَداً عَلَيْهِ

إن جهل اليهود بالله, يقابله علم المسيح به: "أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني". "أنا أعرفه" – هذه معرفة حقيقية اختبارية. بنى المسيح هذه المعرفة على أساسين – أولهما: أن أصله من الله – فمنه اشتق جوهره, وطبيعته, ووجدانه, باعتبار كونه أباه. وثانيهما: أن رسالته صادرة منه: "وهو أرسلني".إن الأساس الأول مختص بكيانه, والثاني برسالته. الأساس الأول نبع الثاني, والثاني مشتق من الأول ومتفرع منه.

مما ذكر, يتضح لنا أن المسيح كشف في خطابه الثاني عن ثلاث حقائق مهمة: (أ) العلم الناقص الذي اتصف به أهل أورشليم: "تعرفونني وتعرفون من أين أنا". (ب) الجهل الكامل الذي ملك قلوبهم ومشاعرهم: "أنا اعرفه". إن معرفة الله أس كل معرفة, والجهل به هو الجهالة مجسمة: "قال الجاهل في قلبه ليس إله". (مز ١٤: ١).

عدد ٣٠. مبلغ تأثرهم من كلامه "فطلبوا أن يمسكوه. ولم يلق أحد . ." لقد تأثروا شديد التأثر من كلامه. وقويت لديهم فكرة الاعتداء عليه, فتوطدت عزيمتهم على أن يلقوا القبض عليه. في هذا العدد نرى: (أ) سعيهم الغير المشكور: "فطلبوا أن يمسكوه". والظاهر أن هذا السعي كان مصدره رؤساء اليهود كما في ص ٥: ١٦-١٨. (ب) ضعف قوتهم: "لم يلق احدا يداً

عَلَيْهِ لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ. ٣١فَآمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ

عليه". مهما كانت إرادة البشر قوية, فإنها تعجز كل العجز عن أن تستقدم أي عمل من الأعمال التي رتبها الله في سلطانه. كان اليهود إلى الآن يخشون هياج الشعب الذي كلن يحترم المسيح (لوقا ٢٠: ١٩) وكانت ضمائر أولئك الرؤساء واقفة سداً منيعاً بينهم وبين عمل الإجرام الذي كانوا مقدمين عليه, لأن هذه الضمائر لم تكن قد تقست بعد, بل كان فيها بصيص من النور. وفوق ذلك فإن المسيح, كان يحف به سلطان ممتاز, وكانوا إلى الآن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يخشون رهبته. كل هذه علل ثانوية ظاهرة, منعتهم من القاء القبض عليه. (ج) العلة الأصلية الحقيقية لعجزهم: "لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد" ليست هذه مجرد ساعة القبض عليه (١٨: ١٢), بل هي ساعة صلبة, التي كانت ساعة القبض عليه, ممهدة لها (راجع ٧: ٨).

الخطاب الثالث ٧: ٣١ -٣٦. قرب انطلاق المسيح:

(١) موقفان متناقضان ٧: ٣١ و٣٢.

كلمات واحدة نطق بها فم واحد, وألقاها بروح واحد, فأنتجت نتيجتين متناقضتين, تختلفان باختلاف استعداد قلوب السامعين. هذه الكلمات. سمعها الجمع الطيب القلب, "فآمن به كثيرون" (عدد ٣١). وسمعها الفريسيون ورؤساء الكهنة, "فأرسلوا خداماً ليمسكوه"(عدد ٣٢).

عدد ٣١. (أ) إيمان كثيرين من الجمع بالمسيح: "فآمن به كثيرون من الجمع وقالوا . . " بينما كانت عوامل البغضاء تختمر في قلوب العادين للمسيح,

وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ يَعْمَلُ آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الَّتِي عَمِلَهَا هَذَا؟». ٣٢سَمِعَ الْفَرِّيسِيُّونَ الْجَمْعَ يَتَنَاجَوْنَ بِهَذَا مِنْ نَحْوِهِ فَأَرْسَلَ الْفَرِّيسِيُّونَ

كانت بذار الإيمان تزداد نمواً في قلوب أحبائه ومريديه. إن شعاعة الرجاء التي دخلت قلوب هؤلاء الجموع (عدد ١٢), قد أصبحت الآن نوراً, فأضحت إيمانا. إلا إيمانهم لم ينضج بعد, لأنه كان متهجماً إلى معجزات المسيح, لا إلى شخصه (٢: ٢٣). لذلك كانوا بالرغم من إيمانهم هذا, مستسلمين لسطوة الرؤساء, فلم يعترفوا بإيمانهم به اعترافاً إيجابياً صريحاً. إن مركز الدائرة في المسيحية, ليس معجزات المسيح, ولا كلماته, بل شخصه. وأن مركز الدائرة في شخصه ليس حياته, بل موته, وقيامته.

عدد ٣٢. (ب) جحود الفريسيين ورؤساء الكهنة: "سمع الفريسيون الجمع . . . فأرسل . . . خداماً ليمسكوه". إن إيمان الجمع بالمسيح, قد أيقظ الفتنة التي كانت نائمة في قلوب الفريسيين ورؤساء الكهنة, وأثار حفيظة نفوسهم. لم يكن مكان التئام السنهدريم, بعيدا عن المكان الذي كان الجمع جالساً فيه (٨: ٢٠), فمن المحتمل أن بعض أعضاء السنهدريم, الذين من شيعة الفريسيين, سمعوا بآذانهم كلام الجمع عن المسيح. كما أنه من المحتمل أيضاً, أنهم كانوا قد أرسلوا "عيونهم" ليتجسسوا, ويقدموا إليهم تقريراتهم. لأن كلمة: "سمع", تحتمل أحد الفرضين, أو كليهما معاً. هذه أول خطوة رسمية اتخذها السنهدريم ضد المسيح. بل هذه أول حلقة من سلسلة المؤامرات الرسمية التي أختتمت بصلبه. إن تكرار كلمة "الفريسيين",

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الْفَرِّيسِيُّونَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ خُدَّاماً لِيُمْسِكُوهُ. ٣٣فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً يَسِيراً بَعْدُ ثُمَّ أَمْضِي

مرتين في هذا العدد, وتقديمها على كلمة: "رؤساء الكهنة" يفيدان إن الفريسيين كانوا متوالين الزعامة في هذا العمل الغير المبرور. كانوا هم القوة المفكرة, وكان رؤساء الكهنة القوة المنفذة. ويستدل من ذكر الفريسيين ورؤساء الكهنة معاً, إن هذين الحزبين اللذين يتألف منهما السنهدريم, كانا متحالفين في هذه المسألة, على الرغم كونهما متخالفين في سائر المسائل. فكأن عدائهم المشترك نحو المسيح قد جمع بين قلوبهم. فياله من صانع سلام حتى بين صفوف أعدائه!

إن كلمة: "رؤساء الكهنة" تضم بين ذراعيها رئيس الكهنة الذي يشغل هذه الوظيفة, وجميع رؤساء الكهنة السابقين: مثل حنان, وابنه اليعازار, وشمعونبن قمحى, واسماعيل بن فابي. ولعلها تشمل أيضا: "جميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة" (أعمال ٤: ٦). هذه أول مرة وردت فيها كلمة "الفريسيين" في بشارة يوحنا.

والمستفاد من كلمة: "أرسل", أن الخدام كانوا مزودين بسلطان رسمي, من قبل السنهدريم (٧: ٤٥ و١٨: ٣ و١٢ و١٨ و٢٢ و١٩: ٦ وأعمال ٥: ٢٢ و٢٦). فكان عليهم أن يتحينوا فرصة فيها يمسكونه بكلمة, ومتى رأوا تيار الرأي العام متحولاً عنه, ألقوا القبض عليه.

عدد ٣٣. (٢) خطاب المسيح ٧: ٣٣ و٣٤: "قال لهم يسوع . . ". في هذا الخطاب حدثهم المسيح عن: (أ) قصر حياته الأرضية: "أنا معكم زماناً . . "

أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٣٤سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا». ٣٥فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: «إِلَى أَيْنَ هَذَا

(ت)جلال مآله: ". . ثم أمضى . . ". (ج) سوء مآلهم: "لا تقدرون . . . "

(أ) قصر حياته الأرضية. لم تكن مؤامراتهم خافية عليه. لذلك بين لهم أن أمامهم فرصة نادرة. فخير لهم أن ينتهزوها, فيتمسكوا به, بدلا من أن يمسكوه.

(ب) جلالة مآله. لم يأت المسيح أرضنا ليعمر عليها, بل جاءها برسالة, ومتى أتم رسالته عاد إلى الذي أرسله. هذا مآل طبيعي لذلك الذي أتى من الآب. لأن المياه تعلوا إلى المستوى الذي منه نبعت.

عدد ٣٤. (ج) سوء مآلهم. يتضمن هذا العدد عبارتين – تشير أولهما إلى مصيرهم كأفراد: "حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا", لأن المياه لا تعلو فوق منبعها. في العبارة الأولى أزاح المسيح الستار عن الخيبة المرة التي ستصيب اليهود كجموع عندما يطلبون "مسيحهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المنظر", فلا يجدونه, لأنه يكون قد مضى عنهم في شخص يسوع الذي يحدثهم الآن.وفي العبارة الثانية, أراهم أن كلا منهم منحدر إلى مكان الظلمة حيث البعد عن الله.

عدد ٣٥ و٣٦. (٣) تساؤل اليهود "فقال اليهود فيما بينهم . . ". نطق اليهود بهذه الكلمات متهكمين, كأنهم أرادوا أن يقولوا "إذ كانت رسالة هذا المسيح قد فشلت بين اليهود الحقيقيين الساكنين في الأرض المقدسة,

هَذَا مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى لاَ نَجِدَهُ نَحْنُ؟ أَلَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمَ الْيُونَانِيِّينَ؟ ٣٦مَا هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَ: سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟». ٣٧وَفِي الْيَوْمِ

و المتكلمين بلغة اليهود السامية. فهل يعلن نفسه مسيحياً على اليهود المشتتين في ربوع اليونان؟ لعله إذا مسيح للأمم"!! كلمة "يونان" ليست قاصرة على الروم, لكنها تعني الأمميين مطلقا, غير اليهود.

لقد كان هؤلاء اليهود في تهكمهم, أحكم منهم في جدهم, لأنهم نطقوا بما لم يعملوا, فكانوا "أنبياء", أو أنصاف أنبياء, وهم لا يعلمون. مثلهم مثل قيافا الذي تكلم عن موت المسيح بحكمه شبيهة بالنبوات (١١: ٥١).

لم يمض سوى وقت قصير حتى تمت هذه النبوة غير المقصودة, فصار المسيح بحق "مسيح الأمم". وكتب إنجيله بلغة اليونان. وان خير دليل على هذا, هو بشارة يوحنا, التي نحن بصددها الآن, إذ كتبت أصلا بلغة "اليونان"!.

ثالثاً: في اليوم الأخير العظيم من العيد – ٧: ٣٧- ٥٣

(أ) المسيح النبع الحقيقي -٧: ٣٧- ٤٤

(ب) التئام مجمع السنهدريم -٧: ٤٥- ٥٣

(أ) المسيح النبع الحقيقي ٧: ٣٧- ٤٤. (١) خطاب المسيح (٧: ٣٧ و٣٨). (٢) تعقيب البشير على خطاب المسيح (٧: ٣٩). (٣) تأثرات الجموع المختلفة (٧: ٤٠- ٤٤).

الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ

(١) خطاب المسيح (٧: ٣٧ و٣٨)."وفي اليوم الأخير العظيم من العيد . . ".

بلغنا الآن اليوم الأخير العظيم من عيد المظال, وهو أرهب أيام العيد وأقدسها, وفيه نلحظ نغمة جديدة من كلام المسيح. فيما مضى كان كلامه مفرغا في قالب منطقي احتجاجي,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والآن نجده مقدماً في صيغة دعوة الملكية, فالتقت فيه رهبة كلام المسيح, بهيبة ذلك اليوم الأخير العظيم, وتكون منهما صوت قوى بجلاله, معلناً أن المسيح هو الجوهر الذي تنتهي عند الظلال اليهودية, وهو الرمز الحقيقي الذي تلتقي فيه خلاصة رموز العهد القديم.

في الإصحاح الثاني وجدنا في المسيح الهيكل الحقيقي, الذي كان يرمز إليه هيكل اليهود. وفي الإصحاح الثالث رأينا فيه الترياق الحقيقي الذي كانت ترمز إليه الحية النحاسية. وفي الإصحاح السادس عرفنا فيه الخبز الحقيقي الذي كان المن له رمزاً. وفي هذا الإصحاح السابع نشاهد فيه النبع الحقيقي الذي كانت ينابيع البرية رمزاً له. وفي الإصحاح الثامن نلمح فيه النور الحقيقي الذي كان يرمز إليه عمود النار في البرية وفي الإصحاح التاسع عشر نكتشف فيه الفصح الحقيقي الذي كان فصح اليهود ظلاً له.

عدد ٣٧. (أ) الوقت الذي قيل فيه الخطاب: "وفي اليوم الأخير العظيم من العيد" – في اليوم الثامن الذي هو خاتمة المطاف في هذا العيد (ولاويين ٢٣: ٣٦ ونحميا ٨: ١٨). وفيه كان ينتظم المعيدون صفوفاً ويدخلون الهيكل, ثم

وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ

يقفلون راجعين إلى بيوتهم, ويبيتون هناك(لا ٢٣: ٣٩) , ويقيمون فيه ذبائح خاصة (عدد ٢٩: ٣٦-٣٨). فإذا كانت سبعة أيام العيد التي يقضيها المعيدون في المظال, ترمز إلى تغرب الإسرائيليين في البرية, فـ'ن اليوم الثامن الذي فيه يتركون مظالهم ويرجعون إلى بيوتهن, يرمز إلى دخولهم أرض الموعد واستراحتهم فيها. حسناً قال فيه فيلون: (إن اليوم الثامن في عيد المظال هو خاتمة أعياد السنة المقدسة). وفيه قال يوسيفوس :"هو الختم المقدس للسنة".

(ب) الكيفية التي قيل بها:"وقف يسوع"- على خلاف عادته, لأنه كان يتكلم غالباً وه جالس (مت ٥: ١) ولعله كان يراقب خروج الناس من مظالهم قاصدين الهيكل.وبما وقف ليضيف إلى صوته رهبة, رهبة وقوة, وارتفاعاً. "ونادى قائلاً " – بصوت جهوري واضح النبرات, لتنفتح آذان من يريدون أن يسمعوا وتصم آذان من وضعوا أصابعهم على آذانهم.

عدد ٣٧و٣٨. قلب الخطاب: "إن عطش أحد. ." كان المعيدون يستقون مياهاً من برركة سلوام في صباح كل يوم من السبعة الأيام الأولى في العيد. فبعد تقدمة الصباح يذهب الكاهن في مقدمة الشعب, وبيده إبريق من ذهب, فيملأه ماء من بركة سلوام, ويتقدم به إلى الهيكل, والشعب من خلفه, يؤلف موكباً عظيماً, مخترباً طرقات المدينة, بأناشيد وهتاف, وأصوات أبواق تشق كبد الفضاء- ويقول الرابيون إن من فإن من أفراح

هذا اليوم فقد فاته أن يتذوق طعم الفرح الحقيقي. وإذ يبلغون الهيكل, يصعد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ

الكاهن إلى مذبح المحرقة, فيناديه الشعب: "شمر عن ذراعك", فيجيبهم بسكب المياه التي في الإبريق, إلى جهة المغرب. وفي هذه اللحظة يرتل الشعب التسبحة القائلة: "تستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص" (إشعياء ١٢: ٣). وقد اتفقت كلمة المفسرين على أن المعيدين كانوا يمارسون هذا الطقس مدة السبعة الأيام الأولى من العيد. ويكفون عن ممارسته في اليوم الثامن. فكان من الطبيعي أن يقف المسيح في هذا اليوم الثامن الذي تعطل فيه هذه الفريضة الطقسية, ليقرر للمعيدين أنه هو نبع الماء الحقيقي, الذي تختفي أمامه المياه الطقسية فهو الحقيقة التي تتلاشى أمامها الظلال. وهو الجوهر,الذي أمامه تتخذ الرموز أجنحة أثيرية وتطير.

على أن هذا الطقس الرمزي كان يذكر اليهود بحقيقة تاريخية مجيدة فكما أن أسكنهم المظال, كان يذكرهم بتغربهم في البرية, كذلك كانت فريضة الماء المنسكب, مذكرة إياهم بالماء الذي تفجر من الصخرة في البرية. وفي اعتقادنا أن المسيح لم يقف في خطابه هذا عند حد الإشارة إلى الماء الذي كانوا يستقونه مدة أيام العيد, بل تناول أيضاً الإشارة إلى تلك الحقيقة التاريخية, التي كانت فريضة الماء المنسكب رمزاً لها. فكأنما المسيح قصد أن يعلن لأولئك المعيدين أنه هو الصخر الحقيقي الذي كانت صخرة البرية رمزاً له. هذا يؤيده قول بولس الرسول: "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم. والصخرة كانت المسيح" (١ كو ١٠: ٤), ويدعمه قول المسيح نفسه: "إن عطش أحد " . لأن مياه العيد لم تكن ليشرب منها كل من

وَيَشْرَبْ. ٣٨مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ

عطش, بل كانت تقدم سكيباً. وأما ماء الصخرة في البرية فقد شرب منها العطاش, ثم عادوا إلى عطشهم السابق , فماتوا

يتضمن هذا الخطاب – دعوة, ووعداً, ولكل منهما شطران الشطر الأول, شرط. والثاني جوابه. وشطرا الوعد يوضحان شطري الدعوة.

(أ) الدعوة: "إن عطش أحد" – هذا هو الشرط. "فليقبل إلي . . ." – هذا جواب الشرط.
(ب) الوعد: "من آمن بي" – هذا هو الشرط ". . . تجري من بطنه" - هذا جواب الشرط.
وهذه الأربعة الأشطر, سائرة في نظام تدرجي. فالعطش يؤدي إلى الإقتبال إلى المسيح والإرتواء منه, والاقتبال إلى المسيح يتطور فيصير إيماناً به. والإيمان به يكافىء بما هو أفضل من الارتواء – أن يصير المؤمن نبعاً فياضاً وصخراً حياً, يتفجر منه ماء حي لإرواء الآخرين.فالتعطش إلى المسيح هو الإيمان في درجته الإبتدائية. والإرتواء منه هو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مكافأة هذا الإيمان الإبتدائي. والإيمان بالمسيح هو ثمرة الإقتبال إليه, وإرواء الأخرين هو نتيجة طبيعية للإرتواء الروحي. إن قوله: "كما قال الكتاب", يصف ما بعده لا ما قبله, ولا يشير بالضرورة إلى قول معين بنصه, بل إلى روح الكتاب (انظر إشعياء ٤٤: ٣؛ ٥٥: ١ و٥٨: ١١؛ يوئيل ٣: ١٨؛ زكريا ١٤: ٨؛ حزقيال ٤٧: ١).

ولعل أقرب الأقوال إليه , ما جاء بصدد الصخرة في البرية: "يخرج منه ماء"

أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ». ٣٩قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ

(خروج ١٧: ٦), "فخرج ماء غزير" (عدد ٢٠: ١١). إن قول المسيح هذا برهانا ضمنيا على حقيقة لاهوته. لأنه من يستطيع أن يروي عطش كل البشرية ويملأ احتياجاتها إلا الله وحده؟!!

عدد ٣٩. (٢) تعقيب البشير على خطاب المسيح ٧: ٣٩. "قال هذا عن الروح الذي . . . ". إن خير مفسر لكلمات المسيح هو أقرب التلاميذ إلى قلبه- يوحنا الذي عرف معنى هذه الكلمات وتشبع بقوتها اختباريا. وإن أصدق مفسر لكلمات يوحنا هو الاختبار المجيد الذي حصل عليه الرسل في يوم الخميس "استقر" الروح القدس على كل واحد منهم و "امتلأ الجميع منه". إن الإيمان بالمسيح هو الوسيلة المثلى الامتلاء من الروح القدس. وعندما يملأ الروح القدس قلب المؤمن يصير فيه "ينبوعاً حيا ينبع إلى حياة أبدية" (٤: ١٤). إن الوقت المقصود في قوله: "مزمعين أن يقبلوه", يشير إلى يوم الخمسين. فمع أن التلاميذ نالوا نصيبا من الروح القدس مذ آمنوا بالمسيح, إلا أنهم لم يمتلئوا بالروح إلا يوم الخمسين. فقد يحل الروح القدس في قلب المؤمن, من غير أن يكون قلب المؤمن ممتلئاً به. وقد يمتد الزمن بين الاختبارين إلى بضع سنوات – كما في اختبار الرسل. وقد يكون بضعة أسابيع- كما في اختبار أهل السامرة, وسكان أفسس (أعمال ٨: ١٧ و١٩: ١ - ٧), وقد يقتصر على ثلاثة أيام- كما في اختبار بولس الرسول (أع ٩: ١٧).

لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ.

وقد يملأ الروح القدس قلب المؤمن يوم حلوله فيه بالذات – كما في اختبار كرنيليوس (أع ١٠: ٤٤).

أما سبب عدم امتلاء التلاميذ بالروح القدس وقت كلام المسيح, بدلاً من يوم الخمسين, فقد ذكره البشير في قوله: "لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد. لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد". كان ينبغي أن يكمل عمل المسيح الفدائي, قبل أن يحل عصر الروح القدس في الكنيسة. لأن أهم عمل يقوم به الروح القدس هو تخصيص فوائد الفداء لكل مؤمن. فمع أن الروح القدس كان موجودا وعاملا في بعض الأفراد, لكنه لم يعط بملئه وفيضانه, ليكون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نائب المسيح في كنيسته على الأرض, إلا بعد أن قبلت ذبيحة المسيح الكفارية. وعلامة قبولها: قيامته وصعوده. إن قوله: "لم يكن قد مجد بعد"يشير إلى صلب الفادي الذي ختم بقيامته وتوج بصعوده. هذه حقيقة تاريخية: إن الروح القدس لم يعط بملئه الفياض إلا بعد أن جلس المسيح عن يمين العظمة في الأعالي, فأرسله إلى الكنيسة. وهي أيضاً حقيقة اختبارية. فلن يملأ الروح قلباً, إلا إذا كان المسيح ممجداً في ذلك القلب. على قدرة ما نعطي من قلوبنا للمسيح, يعطينا الروح القدس من المسيح. فعلى قدر ما نفرغ نمتلئ. وبقدار ما نخضع نرفع.

هذه أول مرة ذكر فيها "تمجيد" المسيح بحصر اللفظ في هذه البشارة

٤٠فَكَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ لَمَّا سَمِعُوا هَذَا الْكلاَمَ قَالُوا: «هَذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ». ٤١آخَرُونَ
قَالُوا: «هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ».

عدد٤٠. (٣) تأثرات الجموع المختلفة ٧: ٤٠ -٤٤. كان البشير حريصا على تسجيل التأثرات المختلفة التي بدت من الجموع, لكي يرينا أن الحنطة والزوان كانا ينميان معاً, وإن طريق المسيح إلى الصليب صار معبداً, وأن حفيظة اليهود صارت تمتلئ تدريجياً بالمواد الملتهبة, منتظرة فرصة يقدح فيها شرر ضئيل فتندلع نيرانها.

بعد أن سكن صوت المسيح, وارتفعت أصوات كثيرة بأقوال متضاربة شبيهة بأصوات الأمواج الكثيرة بعد ارتطامها بالصخر.

وفي هذه الأعداد (٧: ٤٠-٤٤), يحمل إلينا البشير أربعة أصوات: فالصوتان الأولان منبعثان من أشخاص أحسنوا الظن بالمسيح ولو أن كلمتهم لم تجتمع على رأي واحد. والصوتان الأخيران منبعثان من قوم معارضين.

(أ) صوت الفريق الأول: "لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي"- المتنبأ عنه في تث ١٨: ١٥, والذي ظنه بعضهم شخصاً مستقلاً عن المسيح, ومهيئاً الطريق قدامه – على رتبة يوحنا المعمدان (انظر شرح ١: ٢١ و٦: ١٤). لقد تكون هذا الاعتقاد في نفوسهم, بعد سماعهم, كل الخطابات التي فاه بها المسيح أثناء العيد, لا نتيجة خطاب اليوم الأخير وحده. هذا ما تفيده العبارة: "هذا الكلام", كما وردت في الأصل.

عدد٤١. (ب) صوت الفريق الثاني. "آخرون قالوا هذا هو المسيح".

وَآخَرُونَ قَالُوا: «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ يَأْتِي؟ ٤٢أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ إِنَّهُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ وَمِنْ
بَيْتِ لَحْمٍ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ فِيهَا يَأْتِي الْمَسِيحُ؟» ٤٣فَحَدَثَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَمْعِ لِسَبَبِهِ.
٤٤وَكَانَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ وَلَكِنْ لَمْ يُلْقِ أَحَدٌ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة: "قالوا" كما هي في الأصل تعني أنهم ظلوا يرددون هذا القول كعقيدة راسخة في أذهانهم. هذان هما الفريقان اللذان أحسنا الظن بالمسيح.

(ج) عدد ٤٢. صوت الفريق الثالث. اكتفى هذا الفريق بالتساؤل والاعتراض: "وآخرون قالوا ألعل المسيح من الجليل يأتي. ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح"؟.

عدد ٤٣. انشقاق الجميع بسببه. لم يرغب البشير أن يرد على هذا الاعتراض, لأنه رآه يحمل في نفسه حجة بطلانه. أن قليلاً من المعرفة يريكم يا أيها المعترضون أن المسيح ولد في بيت لحم, لأنه من نسل داوود حقاً(مز ١٣٢: ١١وأرميا ٢٣: ٥وإشعياء ١١: ١و١٠وميخا٥:: ٢و١ صم ١٦ مع متى ص ١و٢ولوقا ١و٢). فمع أنه عاش في الجليل إلا أنه ولد في بيت لحم.

عدد ٤٤.(د) صوت الفريق الرابع. "وكان قوم منهم"- غير الخدام الموفدين من السنهدريم – "يريدون أن يمسكوه" –إما بتحريض من خدام السنهدريم, أو وبتطوعهم ليقدموه إلى أنفسهم للمحاكمة, أو ليوقعوا به الأذى من تلقاء ذواتهم (عدد ٣٠و٣٢) "ولكن لم يلق أحد عليه الأيادي" تهيباً من

عَلَيْهِ الأَيَادِيَ.٤٥فَجَاءَ الْخُدَّامُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ. فَقَالَ هَؤُلاَءِ لَهُمْ: «لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ؟» ٤٦أَجَابَ الْخُدَّامُ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ

هالة المجد الذاتي التي كانت تحف به, تخوفاً من حماسة الجماهير المعجبة به, فاستكانوا أمام العناية الربانية الخفية: "لأن ساعته لم تأت بعد".

(ب) التئام مجمع السنهدريم ٧: ٤٥-٥٢. ما أمر الحقد! إنه يبعث بالقوانين, ويزيل الفوارق والحدود! فعلى خلاف أحكام الناموس التئام المجمع السنهدريم في اليوم الأخير العظيم من عيد المظال, على زعم كون ذلك اليوم "سبتاً". وعلى خلاف ما بين الكهنة والفريسيين من خلاف المستحكم. التئام شملهم في انتظار تقرير الخدام الذين أرسلوا القبض على يسوع إن حقدهم على المسيح قد كسر أحكام الناموس, وأزال ما بين هاتين الطائفتين من فوارق وحدود. فالحقد الذي يفرق بين القلوب المتحابة, هو ذاته الذي يجمع بين القلوب المتنابذة, ولكن إلى حين. حتى يقضي الوطر, فتعود القلوب إلى ما كانت عليه من تحاسد وتنابذ.

عدد ٤٥. (١) عودة خدام السنهدريم واستجوابهم. عاد الخدام من مهمتهم التي كلفوا بها (عدد ٣٢)"فجاءوا إلى رؤساء الكهنة الفريسيين"- لا بخف حنين بل بشهادة الحق واليقين (عدد ٤٦)."فقال هؤلاء لهم لماذا لم تأتوا به" – كأن السنهدريم لم يوصهم أن يفحصوا الأمر بل أن يكلبوه بالقيود, مذنباً كان أم بريئاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٤٦. (٢) جواب الخدم المفحم "أجاب الخدام: لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان"هذه لطمة على وجه أعضاء السنهدريم,

هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الإِنْسَانِ». ٤٧فَأَجَابَهُمُ الْفَرِّيسِيُّونَ: «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً قَدْ ضَلَلْتُمْ؟ ٤٨أَلَعَلَّ أَحَداً مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَوْ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ آمَنَ بِهِ؟ ٤٩وَلَكِنَّ هَذَا الشَّعْبَ الَّذِي لاَ يَفْهَمُ

موجهة إليهم من خدامهم, ولو دروا بها لتركوا كراسي القضاء, بعد أن صاروا متهمين : "لم يتكلم قط إنسان "- ولا أنتم أيها العلماء الحكماء أساتذة الناموس وحملة مفاتيح المعرفة.

هذه شهادة غير مقصودة من الخدام, على أن المسيح أعظم من إنسان. أنهم بقولهم هذا كانوا أحكم من أنفسهم. فإذا كان البطل يجعل الإنسان جباناً, فإن الحق يلبسه قوة الأبطال.

عدد ٤٧. (٣) جواب الفريسيين (٧: ٤٧-٥٠) "فأجابهم الفريسيون ألعلكم". كان لكلمات الخدام وقع أليم على قلوب الفريسيون, مدعى العلم. إن في جوابهم خليطاً من (أ) اتهام: "ألعلكم أنتم أيضاً- يا من اتخذناكم عدتنا في الهجوم عن المسيح-"قد ضللتم" كغيركم (عدد ١٢). إذا كان كل الضلال من هذا النوع, فيا ليت جميع الناس يضلون! هذا الضلال هو الهدى بعينه.

عدد ٤٨. (ب) تخوف وفزع ٧: ٤٨ "ألعل أحداً من الرؤساء"؟ أي نعم! والجواب في عدد ٥٠. فالذي تحذرون قد وقع.

عدد ٤٩. (ج)سب وشتم "ولكن هذا الشعب الذي لا يا فهم الناموس هو ملعون". ليس في الدنيا أضعف من إنسان تستد أمامه مسالك الحجج

النَّامُوسَ هُوَ مَلْعُونٌ». ٥٠قَالَ لَهُمْ نِيقُودِيمُوسُ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ لَيْلاً

المقنعة, فيلجأ إلى السب والشتم, سوى إنسان يستتر وراء حق مزيف. هذه خطية الفريسيين المزدوجة, تلقاء الخدام. ولعل الفريسيين استندوا في قولهم هذا, إلى قول الرابيين: "من المحال أن يكون الجاهل قديساً. لأن العلماء يحظون وحدهم بالقيام من الأموات". إذا كان خدامكم جهلة يا أيها الفريسيون فمن المسئول عن جهلهم سواكم ألستم مكلفين من قبل الله تعليمهم الحق؟ لكن هو التعصب قد أعمى بصائر هؤلاء الفريسيين, فظنوا أن معرفة الناموس لا تتأتى إلا على طريقتهم هم, زمن خالف تفسيرهم, فهو جاهل للناموس, وإن الناموس الذي يشهد للمسيح ليس في نظرهم ناموساً, لأن المسيح كسر ناموس السبت, كما يزعمون.

عدد ٥٠و٥١. (٤) احتجاج نيقوديموس. "قال لهم نيقوديموس" في هذا العددين نجد (أ) وصفاً مزدوجاً لنيقوديموس (عدد ٥٠)(ب) صيغة احتجاج نيقوديموس (عدد ٥١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(أ) وصف مزدوج لنيقوديموس- إن جانبه الأول هو:"الذي جاء إلى يسوع ليلاً"- هذا هو اللقب الذي خلعه البشير على نيقوديموس فلابسه في الثلاث المرات التي ورد فيها اسمه في بشارته (٣: ١؛ ٧: ٥٠؛ ١٩: ٣٩). ما أعظم الفرق بين نيقوديموس الإصحاح السابع, و نيقوديموس الإصحاح الثالث! لقد نما إيمانه وازدهر وبدأت براعمه تتفتح. فينشر منها عبير جميل, وفي الإصحاح التاسع عشر نرى الإيمان المزدهر وقد جاد بأطيب الثمر, فصار

وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: ٥١«أَلَعَلَّ نَامُوسَنَا يَدِينُ إِنْسَاناً لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلاً وَيَعْرِفْ مَاذَا فَعَلَ؟» ٥٢أَجَابُوا: «أَلَعَلَّكَ أَنْتَ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ؟

ثمره "طيباً"(١٩: ٣٩). الجانب الثاني من الوصف: "وهو واحد منهم" – هذا جواب يوحنا البشير على تخوف الفريسيين المذكور في العدد ٤٨.

(ب) صيغة احتجاج نيقوديموس(عدد ٥١): "ألعل ناموساً يدين . . "؟ من فمهم دانهم نيقوديموس, فألصقوها بالخدام ظلماً, فصاروا مستحقين لعنة أشر. قالوا عن الخدام: "هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون", فقال لهم نيقوديموس: "ألعل ناموساً الذي نتهم غيرنا بالتعدي عليه, يدين إنساناً لم يسمع منه"(تث ١: ١٦و١٧؛١٧: ٨؛١٩: ١٥)أم هل نحمي الناموس من غيرنا, ولا نحميه ن أنفسنا؟ فيا حماة الناموس احموا من أنفسكم أولاً. ويا من تعتقدون أنكم أنتم الناموس متأنساً, ارفعوا عن أنفسكم الشريفة أذى أنفسكم الخبيثة. كلمة:"ناموس" في هذا العدد, تعني الناموس ممثلاً في هؤلاء الفريسيين الذين تصدروا للحكم باسم الناموس.

عدد ٥٢ (ج) جواب الفريسيين:"أجابوا وقالوا له:".يتضمن جوابهم: (أ)تعنيفاً لنيقوديموس:"ألعلك أنت أيضاً من الجليل"! عجباً أنهم لم يتزحزحوا عن اعتقادهم الخاطىء بأن المسيح جاء من الجليل(عدد٤١) فحكموا على أنفسهم بالجهل في وقت ينسبون فيه الجهل إلى خدامهم. فكانوا خدامهم أحكم منهم. وكم من خدام في لباس سادات. وسادات في ثياب خدام!في تعنيفهم لنيقوديموس, اتهموا بالتحيز للمسيح, كأنه من بلده

فَتِّشْ وَانْظُرْ! إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ». ٥٣فَمَضَى كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ.

وعشيرته. فدلوا بكلماتهم هذه على تخوفهم من أن يكون نيقوديموس موالياً للمسيح سراً. (ب)حكماً مطلقاً: "فتش وانظر إنه لم يقم نبي من الجليل"-مساكين! لقد أعماه التعصب فجهلوا – أو تجاهلوا – أن يونان النبي قام من الجليل.وما قولهم في ناحوم, وإيليا, وهوشع؟! ولنفرض جدلاً أنه لم يقم نبي في الجليل في الماضي, فمتى كان الماضي حكماً مطلقاً على المستقبل؟ ومن أرهم أن المسيح قام من الجليل لقد كانوا عائشين في الماضي,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مع أنهم محسوبين ظلماً على حاضرهم. وكذلك يفعل التعصب فعله في القلوب! هذا هو العمى الاختياري!.

عدد ٥٣. كلمة تاريخية. بهذه الكلمة التاريخية, يختتم هذا الإصحاح, ويستهل الإصحاح التالي. إنها تصور لنا جمهور المعيدين, وقد حلوا مظالهم, وقفل"كل واحد" منهم راجعاً"إلى بيته". كما تصور لنا أعضاء السنهدريم وقد استولت عليهم خيبة مرة فعجزوا عن مقاومة الحكمة التي فاه بها نيقوديموس ولم يستطيعوا أن يصدروا حكماً. وكأن روح من ظنوه جليلياً, قد أبكمت عواطفهم الجامحة, كما أسكتت وأبكمت عواصف البحر الثائرة,فتركوا مجمعهم حيارى مضطربين: "ومضى كل واحد إلى بيته".

رجل واحد هو نيقوديموس, قال كلمة هادئة, فصارت هادية للجمع بأسره. فقد تجد واحداً واقفاً منفرداً, لكنه يكون أغلبية متى كان في جانب الحق. وقد يتفوه به رجل واحد بكلمة واحدة,فيحول تيار اضطهادات لا حصر لها, إلى اتجاه جليل ومجيد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عطف المسيح وصفحه

اَلأَصْحَاحُ الثَّامِنُ

٨: ١- ١١

1َمَّا يَسُوعُ

هذه حادثة فريدة في بابها, موسومة في طابع خاص في أسلوبها وموضوعها لذلك قد أحيطت بشيء من الشبهة, سيما من جانب الذين لم يفهموا حقيقة مراميها, فظنوا خطأ أنها تعلم التساهل في الشر, وقد فاتهم أن الصفح عن الشر شيء, وأن التساهل في شيء آخر. هؤلاء يمسخون رسالة هذه الحادثة إذ يبترونها, فيذكرون الجزء الأول من قول المسيح للمرأة: "ولا أنا أدينك" وينسون – أو يتناسون – الجزء الثاني منه : "اذهبي ولا تخطئي أيضاً". لم يقصد المسيح بالجزء الأول من كلامه, أن يشجع المرأة على الشر, وإنما أراد أن يشجعها على ترك الشر. فكانت كلمته لها, مشرطاً حاداً قطع به كل صلة بينها وبين ماضيها الأسود. بل كانت يداً لطيفة رفعت عنها حملاً أثقل كاهلها, وبلسماً شافيا للشلل النفسي الذي أصابها بسبب الخوف, والفزع, وتأنيب الضمير. لا بل كانت قوة سحرية, فتحت أمامها باباً متسعاً من الرجاء.

ما أشبه هذه الحادثة بشعاع قوة كشاف, كشف لنا عما في قلب المسيح من طهر وصفاء وتسامح. وأعلب ما في قلوب الكتبة والفريسيين من خبث, وقسوة, وعدم نزاهة.

في هذا الحادث, يتجلى أمامنا سلطان المسيح البار, وجبن الفريسيين

فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. ٢ثُمَّ حَضَرَ أَيْضاً إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ

الأشرار. كلمة واحدة وجهها المسي إليهم, كانت شبيهة بقذيفة شتت شملهم, فخرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ. وما هي إلا كلمة الحق أمتد أمامهم فلول البطل. ولا شيء يعدل شجاعة البار, سوى جبن الشرير.

عدد ١ كلمة تاريخية عامة: "أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون". هذه الكلمة التاريخية, مكملة لتلك التي أختتم بها الإصحاح السابق: "فمضى كل واحد إلى بيته . . اما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون" – هذا هو بيت المسيح الذي قضى فيه ليلي عديدة منفرداً في الصلاة.

من السنهدريم إلى جبل الزيتون! لعله وجد في وحوش البرية قلوبا أكثر إيناسا من قلوب أولئك الوحوش المتسربلين لباس البشر. فكم من وحوش مستأنسة, وكم من بشر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مستوحشين! "إلى جبل الزيتون"! في بيوت البشر لم يجد مكانا يسند إليه رأسه, فوجد هذا المكان بين أحجار الجبال فيا لظلم البشرية, ويا لتعاستها. فقد جهلت فاديها. وأنكرت أكبر محسن إليها.

عدد ٢. كلمة تاريخية خاصة بالحدث: "ثم حضر أيضا إلى الهيكل في الصبح . . ". طلعت شمس الطبيعة من وراء أفق جبل الزيتون, وأطلت على العالم الذي خيم عليه ظلام الليل الدامس, فنثرت عليه أشعتها الذهبية حاملة ضياء وشفاء. وفي هذا الوقت عينه, "في الصبح", خرج "شمس البر", تاركا جبل الزيتون عينه, وأطل بوجهه الوضاح على الساكنين في وادي ظلال الموت, "فأشرق عليهم, وفي أجنحته شفاء". وأول ما كان نشر في

وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. ٣وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِناً. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسَطِ

أشعة أنواره, هو "الهيكل": "وجاء إليه جميع الشعب" المتشوق للنور, "فجلس يعلمهم". والعلم نور سواء كان في عالم الأدب أم في عالم النور.

عدد ٣. (أ) عدم نزاهة الفريسيين ووحشتهم: "وقدم إليه الكتبة الفريسيين امرأة أمسكت في زنا" – هذا برهان عدم نزاهتهم. لم فشل هؤلاء القوم في إلقاء القبض على المسيح, وعجزوا عن أن يقاوموا حكمته المقنعة, لجأوا إلى حيلة مقنعة, ليقيموا منها فخا يمسكون فيه المسيح بكلمة. ولا شيء دل على عدم نزاهتهم أكثر من انتهازهم فرصة ضعف امرأة مسكينة اغويت على الشر, وذلت بها القدم, فاتخذوا منها وسيلة بها يمسكون المسيح بكلمة. فكأنهم جعلوا من ضعف المرأة وقودا لتغذية نيران حقدهم على المسيح. وإن أناسا هذا شأنهم, لو لم يجدوا امرأة ساقطة, لأسقطوا امرأة لينالوا مأربهم. "ولما أقاموها في الوسط" – ياللقسوة! بدلا من أن يقيموها من سقطتها, ويعالجوا بقوتهم ضعفها, عرضوا بها وشنعوا بخطيتها. إذ "أقاموها في الوسط", فأقاموا منها جحة على قسوة قلوبهم وهم لا يدرون. لم يبالوا بانكسار قلبها, وتعاموا عن مرارة نفسها وهم فرحون شامتون. وأي شخص انحدر إلى مهاوي الرذيلة, مثل إنسان يهنىء نفسه على سقوط غيره. هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة: "كتبة" في بشارة يوحنا, مع أن كلمة "الفريسيين" وردت فيها ٢٠ مرة .

٤قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ ٥وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ.

عدد ٤. (ب) عدالتهم العرجاء : "قالوا يامعلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل". ما هي الصفات التي يوسم بها قوم نصبوا أنفسهم بوليساً على الآداب، تطفلا منهم,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حتى يمسكوا امرأة في ذات الفعل؟ وإذا أرادوا أن يكون حماة الآداب حقاً ، فلماذا أتوا بالمرأة وحدها؟ أين الرجل الساقط الذي شاركها, بل أسقطها في فعلتها؟ حقاً إن الحياء يستحى منهم!

عدد ٥و٦. (ج) خداعهم المبرق "وموسى في الناموس" – كلمة: "موسى في الناموس", اختص بها يوحنا البشير وحده (١: ٤٥و٩: ٤).

كان الوقت عيداً, والمنازل مزدحمة بساكنيها مع الضيوف الآتين إلى العيد, فاضطر كثيرون وكثيرات أن يناموا في الخلاء. هذه الظروف هيأت مزالق انحدرت عليها قدما تلك المرأة المسكينة, وكان في إمكان أولئك الكتبة والفريسيين أن يرثوا لحالها, وينظروا إليها نظرتهم إلى مريضة تحتاج إلى الشفاء, لا إلى مجرمة يتقدمون بها إلى القضاء.

"موسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم" – تظاهروا بالحرص على وصية موسى, لكنهم كانوا حريصين على الإيقاع بالمسيح. فوجهوا هذا السؤال إلى المسيح, لا لكي يستنيروا برأيه, فقد اعترفوا بأنهم عالمون بالناموس (تث ٢٢: ٢٣و٢٤, ولاويين ٢٠: ١٠), بل قصدوا من سؤالهم هذا, شركاً يوقعون المسيح فيه. فان قال لهم: "ارجموها

فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» ٦قَالُوا هَذَا لِيُجَرِّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ

واقتلوها", ألصقوا به تهمة الاعتداء على حقوق قيصر (أنظر يوحنا ١٨: ٣١), واشتكوا عليه لدى بيلاطس.وإن قال لهم: "ارحموا واعفوا عنها",نسبوا إليه تهمة الاعتداء على حقوق موسى الذي قال في ناموسه: "إن مثل هذه ترجم", واشتكوا عليه لدى مجمع السنهدريم. هذه أحبولة خفية دنيئة, نصبوا ليوقعوا فيها مخلص البشرية, فهي شبيهة بحرب الخنادق. إن قوما كهؤلاء لا يستحقون أن يحسبوا في عداد بني آدم. بل هم من أبناء المجرب (٨: ٤), فالكلمة التي استعملت عنهم في عدد٦: "ليجربوه", هي عين الكلمة التي استعملت عن إبليس المجرب (مت ٤: ١و٣).

فلا عجب إذا امتلأ قلب المسيح بالحزن عليهم: "فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض". إن في صمت المسيح أبلغ جواب على سؤالهم المليء بالمكر. ولعله امتنع عن الجواب لأن مثل سؤالهم لا يستحق جواباً, ولأنه صرح مراراً وتكراراً, أنه لم يأتي ليدين بل ليخلص.

تشعبت أفكار المفسرين في محاولة أن يعرفوا السبب الذي من أجله أجاب المسيح بالكتابة على الأرض, يقول بعضهم إن المسيح كان يكتب على الأرض بعض الكلمات التي تفض

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا الأشكال, كتلك التي جاءت في لاويين ٢٠: ١٠, وتث ٢٢: ٢٢. ويقول الآخر إنه كان يكتب ما جاء في عدد ٥: ١٧, عن شريعة تقدمه الغيرة المتعلقة بامرأة تحيد عن

بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ. ٧وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ:

رجلها وتخونه: "يأخذ الكاهن وتخونه من الغبار . . . . ويجعل في الماء ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب . . ". ويقول آخرون إن المسيح كان يشير بكتابته إلى ما جاء في أرميا ١٧: ١٣ "الحائدون عني في التراب يكتبون". ويقول قوم إن المسيح لم يقصد بكتابته على الأرض شيئاً, سوى عدم إجابة المشتكين على سؤالهم. ويقول آخرون إن المسيح أشار بكتابته إلى الشريعة المكتوبة على صفحات ضمائرهم بإصبع الله. ويعتقدون آخرون كتابة المسيح على الأرض, تشير إلى كآبته وحزنه على القوة التي تملكت بها الخطية على قلوب الناس, فأغرت امرأة على السقوط, وهوت بالزعماء الدينيين إلى حضيض الخبث. ويقول غيرهم أن المسيح كان يكتب حكم القضاء عليهم, وأنه كتبه على دفعتين. وربما كان الفكران الأخيران أقرب الجميع إلى الصواب.

وجدير بنا أن نلاحظ أن هذه هي المرة الوحيدة التي نرى فيها المسيح يكتب.

عدد ٧. الجواب الفاحص. "ولما استمروا يسألونه انتصب وقال:". لم يعتبر أولئك القوم بصمت المسيح. ولعلهم ظنوه صمت العجز, فألحوا عليه في الكلام, "ولما استمروا يسألونه" ألقى سلاح الصمت جانباً, وصوب إليهم جواباً قاطعاً كالسيف, نافذاً كالسهم, كاشفاً كالنور, لاذعاً كالسوط, ملهباً كالنار . . "فانتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا

«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!» ٨ثُمَّ انْحَنَى أَيْضاً إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ. ٩وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا

بحجر". أمام هذا القول الفاحص وقعوا في الهوة التي حفروها بأيديهم.

عدد٨. تتمة القضاء. ولكي يترك المسيح لضمائرهم مجالا لتحتج عليهم, عاد إلى صمته الأول: "ثم انحنى أيضا إلى أسفل وكان يكتب على الأرض". ومن المهم أن نذكر أن المسيح لم يجبهم بهذا الجواب, من قبيل التحدي والإفحام وكفى, لكنه قدم بقوله هذا, مبدأ أساسيا للدينونة الحقيقية. لأنه لا يحق لشخص أن يجلس على كرسي الدينونة إلا المسيح الكامل الأوحد. بهذا الجواب أراهم المسيح أن سلطة القضاء قد ذهبت عنهم بسبب خطاياهم واستعبادهم للنير الأجنبي. على أن المسيح لم يقدم هذا الجواب باعتبار كونه ديانا, إنما قدمه باعتبار كونه مخلصاً ومعلما أديباً, وروحياً. فكان جل قصده أن يحمل أولئك المشتكين على أن ينصرفوا عن مراقبة الناس, إلى إصلاح ذواتهم – هذا خير وأبقى. سيما وأنهم لم يكونوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قضاة بحكم وظيفتهم بل بحكم ادعائهم. بهذا القول أنقذ المسيح المرأة من الموت, من غير أن ينقض ناموس موسى, إذ عطل الأيادي المنفذة من غير أن يعطل الشريعة. أما احترامه لناموس موسى, فظاهر من قوله, "فليرمها أولا بحجر". وأما تعجيزه للأيادي المنقذة, فواضح من القول: "من كان منكم بلا خطية".

عدد ٩. (أ) القضاة يدخلون قفص الاتهام: "وأما هم فلما سمعوا . . " في الفترة التي انحنى فيها المسيح ليكتب على الأرض, استراح أولئك الناس

وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِداً فَوَاحِداً مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ

من نظرات الفادي التي كانت مصوبة إليهم, لكنهم لم يستريحوا من تأنيب ضمائرهم. ومن العجب, أن ضمائرهم ظلت حية متيقظة رغم خطاياهم المنوعة التي كانوا عائشين فيها. فقد كنا نخشى, ومع تلك المرأة المسكينة, أنه بمجرد خروج آخر كلمة من فم المسيح, ينهال عليها أولئك الناس بالأحجار, ليبينوا بذلك أنهم بلا خطية, لكننا نحمد الله على وجود الضمير في قلب جميع الناس حتى المنحطين. فهو البقية الباقية من نور الله في قلب الإنسان بعد سقوطه. إن كلا منهم تطلع إلى الآخر منتظراً أن يكون هو البادىء برمي أول جحر, فخاب انتظارهم في بعضهم البعض, بعد أن خاب انتظارهم في أنفسهم. فلم يبق أمامهم إلا أن ينسلوا خارجين, مبتدئين من المعتبرين. وهنا أمسى القضاة متهمين, فتطوعوا بالدخول إلى قفص الاتهام فرداً فرداً, لأن الضمير يحاكمنا أفراداً لا جماعات. ولأن قضاءه يبتدىء من المتقدمين فالآخرين. كذلك قضاء الله العادل – فردي, ويبتدىء أولاً من بيت الله (١ بط٤: ١٧). عجيب أن شيخوخة الشيوخ لم تنسهم خطاياهم, وأن نزق الشباب لم يدفعهم إلى الاقتحام. وربما خرج الشيوخ أولا لأن قائمة خطاياهم كانت قد طالت بطول أعمارهم.

إن كل خاطىء يحمل في قلبه أسداً رابضة, وعند أقل إشارة من الضمير, تثور هذه الأسد الضارية فتسلب الإنسان كل سلام واطمئنان.

(ب) الكامل الأوحد: "وبقي يسوع وحده والمرأة واقفا في الوسط"

وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسَطِ.

إننا نحتاج إلى ريشة ملائكية لتصوير إحساس تلك المرأة المسكينة, بعد أن وجدت نفسها أمام يسوع وحده. هنا التقت الإنسانية في أحط دركاتها – ممثلة في تلك المرأة الساقطة, بالإنسانية في أسمى درجاتها – ممثلة في المسيح. هنا تلاقى قلب الليل بصدر النهار. هنا شعرت المرأة أن غمامة سوداء قد أزيحت عنها ورأت نفسها وجها لوجه أمام "شمس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

البر". "يسوع وحده"- هذا هو الكامل الأوحد الذي لم يعرف خطية. فهو وحده الذي له الحق أن يرميها أولا بحجر, وهو وحده الذي لم يفعل ذلك. لأنه لم يأت ليدين بل ليخلص. إن أسرع الناس إلى الحكم على الناس, هم أحط الناس لا أشرفهم. وكلما ارتقى الإنسان على سلم الشرف صار أكثر عطفاً على الجهال والضالين. العين الشريرة ترى لتحكم. والعين الطاهرة ترى لتنصح وتصلح. القلب الدنس يفتش عن المعايب بمصباح ديوجين ليشهرها, والقلب الطهور يفتش عن المحاسن ليشجعها. يسوع وحده هذا جبل تجل آخر رفعت عليه المرأة (قابل مت ١٧: ٨). الآن وقد انصرف عنها الوحوش المتأنسة رأت نفسها أمام الله المتأنس.

الآن سكتت عنها أصوات المشتكين لكن لم يسكت عنها صوت الضمير. وذهب عنها حكم الناموس فبقى لها أن تسمع حكم النعمة.

"وقفت في الوسط"- في المكان الذي أوقفها فيه المشتكون, بل في المكان الذي أوقفتها فيه خطيتها, بل في المكان الذي ينبغي أن يقف فيه كل خاطئ أمام الله, ولولا أن أدركها المسيح بكلمة الغفران لظلت واقفة في ظلام وحدتها ووحشتها إلى الأبد.

١٠فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَداً سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» ١١فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ يَا سَيِّدُ». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «ولاَ أَنَا أَدِينُكِ.

عدد ١٠. استجواب النعمة "قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتمون عليك. أما دانك أحد"؟ كان في إمكان المسيح أن يرميها بحجر, وأن يوقع عليها أي قصاص, ليبرهن أنه هو بلا خطية, وليعلن تفوقه في السلطان على المشتكين. إلا أنه أظهر فعلاً هذا النفوق في السلطان, ولكن برحمة النعمة, لا برجمه الناموس. فإذا كان رجم المذنب يستلزم سلطان القاضي, فإن غفران الخطايا يستلزم سلطاناً أعظم – سلطان الله نفسه, لأن غفران الخطايا, حق لله وحده.

سأل المسيح هذين السؤالين لكي يعيد إلى المرأة المسكينة اطمئنانها, ولكي يفهم الموجودين من الجمع – وهم غير المشتكين – أن القضية سقطت, لأن المشتكين انسحبوا من الجلسة. فلا مدع ولا شاهد.

عدد ١١. حكمة النعمة. "فقال لها يسوع ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضا". في جواب المسيح هنا, نرى رحمة, فتبريراً, فقضاء. أما الرحمة فظاهرة من القول: "ولا أنا أدينك". إذا كان الذين أجلسوا أنفسهم على كراسي الدينونة قد تنازلوا عن الدينونة, فهل يدينها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفادي الذي جاء ليخلص (يو ٣: ١٧)؟ تذكرنا هذه الكلمة بما جاء في رومية ٨: ٣٤ "من هو ليخلص الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات". أما التبرير فواضح من قوله: "اذهبي".

اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضاً».

ولا يبرحن عن أذهاننا أن البراءة شيء والتبرير شيء آخر. فالبراءة إعلان برارة البار. لكن التبرير هو حسبان المذنب كأنه بار ومسامحته على ذنبه. لم يقل المسيح للمرأة: "اذهبي بسلام", كما قال لغيرها (لوقا ٧: ٥٠, ٨: ٤٨), ذلك لأنها لم تأت طائعة مختارة طالبة الغفران, لكن غيرها قد أتى بها. إنما هذه هي هبة الغفران قدمت لها, ولها الحق أن تقبلها أو أن ترفضها. هذا باب جديد للرجاء, لها أن تدخله أو أن تتحول عنه. فلن يكون السلام من نصيبها حتى تدخل إلى فردوس الغفران وتتمتع بلذيذ ثماره. وأما القضاء, فظاهر من قوله: "لاتخطئي أيضا". نعم هذا قضاء, بل دينونة – ولكن على الخطية, لا على المرأة. فالمسيح برر المرأة. ودان خطيتها. وهو لم يدن تلك الخطية الخاصة التي وقعت فيها وكفى, لكنه دان الخطية بوجه عام. فقد عالج شجرة الخطية من جذعها, لا من أحد فروعها.

يخطئ من يعتقد أن المسيح تساهل معها في خطيتها. ذلك لأنه لم يتجاهل خطيتها. بل ذكرها بها, ولكن بلطف. إذ قال لها: "لاتخطئي أيضاً".

علم الفادي أن أكبر عقبة في سبيل تلك المرأة, هي خطيتها. فلو بقيت عائشة تحت سحابة خطيتها, لانغمست في الشر, وعاشت فيه محترفة. لذلك رأى الفادي أن أعظم علاج لها, أن يقطع كل صلة تربطها بالماضي, وأن خير علاج يقطع صلتها بالماضي هو الغفران. فلم يرد المخلص أن يتركها فريسة الماضي الأسود, بل جعلها ابنة المستقبل المنير.

 All rights reserved © 2008-2018

يسوع نور العالم

٨: ١٢- ٢٠

١٢ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً قَائِلاً: «أَنَا هُوَ

نرى في هذا الفصل: أولاً شهادة ٨: ١٢. ثانياً: اعتراض ٨: ١٣. ثالثاً: جوابا ٨: ١٤-١٩. رابعاً: كلمة تاريخية ٨: ٢٠.

عدد ١٢. أولاً: شهادة يسوع عن نفسه أنه نور العالم – أو – الإعلان الثاني في بشارة يوحنا " . . . أنا هو نور العالم".

"في الصبح" وقد أشرقت شمس الطبيعة من وراء جبل الزيتون, طلع أيضاً "شمس البر" من وراء الجبل عينه, وأشرقت أنواره في أرجاء الهيكل فنادى سامعيه قائلاً: "أنا هو نور العالم".

في ذلك الوقت كان رب الهيكل قد دخل إلى هيكل الرب, ونطق بهذا الكلام: "في الخزانة وهو يعلم في الهيكل". وهنالك تجاه الخزانة كانت منارتان مضيئتين في الليل مدة العيد, في دار النساء. وكانت أنوارهما ساطعة في أرجاء أورشليم كما يقول الرابيون, وفي ضوء أنوارهما كان يطرب المعيدون ويقول بعضهم أن المسيح أشار إلى المنارتين عند ما قال: "من يتبعني فلا يمشي في الظلمة". على أنه من المحقق أن هاتين المنارتين, كانتا رمزاً لعمود النار, الذي كان يقود الإسرائيليين ليلاً مدة ارتحالهم في البرية الموحشة المظلمة. فيكون المسيح إذاً, قد حول أنظار سامعيه عن المنارتين, وعن عمود النار, إلى شخصه العجيب قائلاً: "يا أيها الناس حولوا أنظاركم عن الرمز إلى الحقيقة, وانصرفوا عن الظلال إلى الجوهر. إن عمود النار كان يضيء على

نُورُ الْعَالَمِ.

جماعة قليلة في البرية. أما أنا فإني نور العالم بأسره".

هذا هو الإعلان الثاني الذي فاه المسيح عن نفسه في هذه البشارة.

إن لهذا الإعلان جانبين: أولهما – يتصل بالمسيح نفسه: "أنا هو نور العالم". وثانيهما – يتصل بتابعيه: "من يتبعني فلا يمشي في الظلمة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجانب الأول يصف المسيح: في شخصه وفي طبيعته, وفي عمله. فالمسيح نور في شخصه – هذه شهادة ضمنية للاهوت المسيح. فالله نور في تجلياته, وفي صفاته. ظهر الله لموسى في هيئة نار (خروج ٣: ٣١), وعند ارتحال بني إسرائيل من سكوت ونزولهم في طرف البرية "كان الرب يسير أمامهم . . ليلا في عمود نار ليضيء لهم (خروج ٣: ٢٠و٢١). ويقول داود: "الرب نوري" (مزمور ٢٧: ١) ومن المحقق أن كل الأوصاف التي قيلت عن "يهوه" في العهد القديم هي بعينها أوصاف المسيح الذي هو"الله ظهر في الجسد".

المسيح نور في طبيعته – "لا ظلمة فيه البتة", "من منكم يبكتنى على خطية"؟ "يأتي رئيس هذا العالم وليس له في شيء" "هو نور من نور. إله حق من إله حق". هو "النور المضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه".

المسيح نور في عمله. ومن عمل النور: حفظ الحياة, والإضاءة, والشفاء, والهداية, والعزاء.

المسيح نور العالم لا نور اليهود وكفى, لأنه نشر نوره ساطعاً على كل شيء في الوجود, فأرانا كل شيء في قيمته الحقيقية. لقد ألقى نوراً ساطعاً على

مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي

الطفولة إذ رجب بالأطفال: "دعوا الأولاد يأتون إلي". ولقد أحاط المرأة الضعيفة بنور سماوي فرفع قيمتها. وقدسها إذ ولد من امرأة. ولقد أنار الحياة والخلود بالإنجيل. قبله كان القبر مظلماً ذا باب واحد, يأخذ الأحياء ويضمهم إلى هاويته العميقة التي لا تشبع. لكن بموت المسيح وقيامته صار القبر مضيئاً مشرقاً, إذ فتح فيه باب آخر يطل على عالم الخلود فصار القبر يعطي كما يأخذ. فمن يأخذهم في عالم الفناء, يقدمهم إلى دار البقاء.

وقد أشعل المسيح نور الحكمة في صدور كل الحكماء في العالم[١] على ممر الأجيال. فهو نور أغسطينوس, وسقراط, والغزالي, وغاندي "كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" باعتبار كونه كلمة الله (١: ٩).

الجانب الثاني من الشهادة يتعلق بتابعي المسيح: "من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة" – الإشارة هنا إلى موقف الإسرائيليين في البرية, حين كانوا يتبعون عمود النار (عدد ٩: ١٦و١٧).ومن الأهمية بمكان, أن نلاحظ, أن المسيح مع كونه نور العالم. إلا أنه لا يعلن لنا نوره إلا خطوة خطوة. فهو لا يعلن لنا نور الخطوة الثانية إلا بعد أن نكون قد خطونا الخطوة الأولى بأمانة. إنه لا يقدم لنا خريطة الحياة بأكملها, لنراها دفعة واحدة, لئلا نؤخذ بمفشلاتها فنضجر, وتبهرنا مشجعاتها فنفخر. لكنه يرينا من خريطة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحياة ما يكفي لسيرنا ساعة فساعة, يوماً فيوماً. نعم هو يكشف لنا جعالة دعوة الله, لكن في مسيرنا اليومي يقدم نور الكفاف

فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ

لأرجلنا, لكي يحفظنا على الدوام قريبين منه, موالين له مطيعين لإرشاداته, معتبرين بتحذيراته. فمن واجبنا أن نسير وراءه متمهلين غير متباطئين, نشطين غير مستعجلين. فلا نتباطأ لئلا يسبقنا فلا نراه, ولا نستعجل لئلا نسبقه فنضل الطريق. وليس النور للكسالى المتنعمين بل للمجاهدين المتقدمين.

ومتى قبلناه وتبعناه, صار حقنا أن نتمتع بالبركة الموعودة: "فلا يمشي في الظلمة" – هذا وعد سلبي- والظلمة رمز الخطية والشك, والحزن, واليأس. "بل يكون له نور[٢] الحياة"- هذا وعد إيجابي – والنور رمز الخلاص, واليقين, والفرح, والرجاء.

يراد بنور الحياة, ذلك النور الذي: (أ) ينبع من الحياة (١: ٤) "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس". (ب) وينشيء الحياة. فالحياة منبعه ومآله. منها يأتي وإليها يؤول. وكما أن المسيح هو "خبز الحياة" و"ماء الحياة".

لم يضع المسيح نفسه جنباً لجنب مع سائر المعلمين. فهو لم يقل: "أنا أعطي نوراً", بل أردنا أنه نور, فلن نحظى بالنور إلا إذا قبلنا المسيح نفسه في قلوبنا. وليس نوراً ينال نفعه بالنظر إليه, بل بقبوله والاستفادة منه. هنا تمت لليهود تلك النبوات الجليلة التي تحدث عنها أشعياء: "الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً" (إش ٩: ٢و٦٠: ٣).

نُورُ الْحَيَاةِ». ١٣فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: «أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ. شَهَادَتُكَ لَيْسَتْ حَقّاً».

أما كلمة: "أيضاً" التي في مقدمة هذا العدد, فهي تفيد انتقالاً في الفكر. فكما كلمهم المسيح في الإصحاح السابق, عن شخصه باعتبار كونه الصخر الحي الذي كان صخر البرية رمزاً له (٧: ٣٧), كذلك كلمهم هنا عن شخصه باعتبار كونه النور الكامل, الذي كان نور البرية رمزاً له.

إن موضوع الحديث الأول, هو الحياة, وموضوع الحديث الثاني هو النور الذي ينبع من الحياة ويؤدي إليها. إن واجبنا تلقاء نعمة الحياة, أن نقبلها. وواجبنا حيال نعمة النور, أن نتقدم إليه ونقدم للآخرين. فالواجب الأول يعبر عنه بالإيمان, والواجب الثاني يعبر عنه بالحياة العملية.

عدد ١٣. ثانياً: اعتراض الفريسيين: "فقال له الفريسيون . . ". من أقوال الرابيين المأثورة: "ليس من حق إنسان أن يشهد لنفسه". بناء عليه, قدم الفريسيون اعتراضهم. فلم يقصدوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بقولهم: "ليست حقاً", أنها شهادة كاذبة, بل أنها غير مبنية على أساس متين. أنهم لم يستجوبوه عن طبيعتها, بل عن سلطانها. ومع أن سلطانها أفحمهم, إلا أنهم أناس "رسميون", كانوا يطلبون سلطاناً "رسمياً". فاعتراضهم كان منصباً على "الشكل" لا على "الموضوع" – هذا ينم عن حقيقة حياتهم: "لهم صورة التقوى لكنهم ينكرون قوتها". ولعلهم في اعتراضهم هذا, قصدوا أن يستغلوا كلام المسيح الذي فاه به في ٥: ٣١ "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً".

١٤أَجَابَ يَسُوعُ: «وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ لأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ.

عدد ١٤. ثالثاً: جواب المسيح على اعتراض الفريسيين "أجاب يسوع وقال لهم . . . " ٨: ١٤-١٩. في هذه الأعداد أجابهم المسيح مدافعاً عن: (أ) شهادته في موضعها وجوهرها (٨: ١٤), (ب) شهادته في شكلها وسلطانها (٨: ١٥-١٨).

(أ) دفاعه عن شهادته في موضوعها وجوهرها: "أجاب يسوع وقال لهم . . ."- إن شهادته حق, لأنها شهادة الواثق المتيقن. فهو عالم موقن, ليس فقط بما يقول, بل بمن يقول. ولقد جمع في عالمه طرفي الأزل والأبد إذ جاز إن يكون لهما طرفان: "لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب". إن كلام المسيح هنا, لا يتناقض مع كلامه في ٥: ٣١. لأنه أثبت حقه في الشهادة هناك, فلا داع لتكرار هذا الإثبات هنا. نطق بقوله السابق, قبل أن يؤيد شهادته بشهادة الآب, وشهادة يوحنا المعمدان, وشهادة المعجزات. أما وقد أيدها, فمن حقه أن يقول: "وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق", زد على ذلك أن شهادته هنا, شهادة وجدانية ذاتية, كشهادة النور لذاته.

تتضمن شهادته هذه شعوراً ذاتياً بـ :

(أ) وجدانه الحالي: "لأني أعلم . . " (ب). أصله: "من أين أتيت".

(ج) مآله: "وإلى أين أذهب" – هذه دعامة مثلثة.

كان من مقتضيات كلامه في ٥: ٣١, أن يتخذ طوعاً واختياراً موقف

وَأَمَّا أَنْتُمْ فلاَ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. ١٥أَنْتُمْ حَسَبَ

الشاهد العادي, فدعمها بشهادة الآخرين. ولكن من مقتضيات كلامه هنا, بعد أن توغل أعداؤه في الخصومة, وتمادوا في الاعتراض, أن يتبوأ مقامه الممتاز, المخول له, بحق نسبته الفريدة إلى الآب. فمن حقه أن يستخدم جلال لاهوته, ومن حقه أن يتخلى عنه. فمن حق القائد أن يستل سيفه, ومن حقه أيضاً أن يغمده (أنظر ٨: ١٧و١٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لا يوازي علم المسيح بحقيقة نفسه, سوى جهل الفريسيين به: "وأما انتم فلا تعلمون من أين أتى ولا أين ذهب". في هذه العبارة يقرر المسيح حقيقة راهنة,ويوجه اتهاماً إلى خصومه, الذين زعموا أنهم حملة مفاتيح العلم: "وأما أنتم فلا تعلمون". إن جهالتهم اختيارية, تبرعوا بها لأنفسهم, لأنهم أغلقوا قلوبهم ضد النور. فهم وحدهم المسئولون عن هذه الجهالة. ولو شاءوا لعلموا من نيقوديموس ومن سواه, من أين جاء المسيح, وإلى أين يذهب(يوحنا ٣: ٩-١٣). بل كان في إمكانهم إن يعلموا ذلك من أعمال المسيح, وحياته الفريدة الناطقة بذلك.

عدد ١٥. (ب)شهادته في شكلها وسلطانها (٨: ١٥-١٨) "أنتم حسب الجسد تدينون". يشير المسيح بقوله هذا إلى إدانة الفريسيين له, التي ينم عنها اعتراضهم عليه (عدد ١٣). يراد بقوله "حسب الجسد": (أ) المظهر الخارجي الذي يحيط بمن يجعلونه موضوعاً لدينونتهم – هذا بمثابة القول : "أنتم تحكمون حسب الظاهر" (٧: ٢٤). هذا قول عام. ومن قبيل التخصيص

الْجَسَدِ تَدِينُونَ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَداً.

ينطبق عليهم في إدانته المسيح. لأنهم في حكمهم عليه, نظروا فقط إلى رداء الجسد الذي كان متسربلاً به, فلم يعرفوا "من أين هو",ولا "إلى أين يذهب".لأن نظرهم لم يتعد أفق عائلته الوضيعة فتصوروه ابن مريم ويوسف "على ما كان يظن" (٧: ٢٧. (بالحجاب المادي الذي حجب عيونهم عن النظر إلى العمق, والروح, والحقيقة.لأنهم لم يحكموا بالعقل الباطني المستنير, بل بمرأى عقولهم المادية الطبيعية, والتي يرتد بصرها حسيراً أمام الروحيات, وبالأولى أمام شخص المسيح.

إذا كانت الأشياء تتميز بضدها, فإن أنوار رحمة المسيح تجلت وسطعت تجاه لوحة تصرفاتهم السوداء. "أنتم تدينون حسب الجسد. أما أنا فلست أدين أحداً" يشير المسيح بهذا, إلى القصد الأولى من مجيئه إلى العالم "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم": (٣: ١٧). "لست أدين أحداً"- ألا يحمل قوله هذا, إشارة ضمنية إلى كلامه للمرأة: "ولا أنا أدينك" (٨: ١١)؟ بلى. لم يأت المسيح ليدين أحداً سوى ذاك الذي يرفض النور, فيجلب الدينونة على نفسه. لأنه وإن كان النور قد أعطى أصلاً ليضيء. لكن من ضرورات وجوده أنه يحكم على الظلمة. فليست الدينونة غاية مجيئة, بل هي إحدى نتائج مجيئه "لم يرسل الله ابنه ليدين العالم . . وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة" (٣: ١٧و١٩).هذه حلقة الاتصال بين هذا العدد وما بعده.

١٦وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدَيْنُونَتِي حَقٌّ لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٦. الشاهد يصبح قاضياً: "وإن كنت أنا أدين فدينونتي حق لأني لست وحدي[٣] بل أنا والآب الذي أرسلني". وفي هذا العدد, تدرج المسيح من الكلام عن نفسه كشاهد (عدد ١٤), إلى الكلام عن شخصه كديان – والدينونة نتيجة الشهادة. فكلمة: "حق"في عدد ١٤, تشير إلى موضوع شهادته. وكلمة: "حق" في هذا العدد تشير إلى السلطان المخول له كديان.

ولئلا يتطرق إلى ذهن الفريسيين, أن المسيح ليس أهلاً للدينونة, أراهم في هذا العدد, أن له كل المؤهلات ليدين, متى جاء ميعاد الدينونة. كأنه في العدد السابق, أشار إلى القصد الأساسي من مجيئه الأول إلى العالم: "ليخلص لا ليدين",لكنه في هذا العدد أشار إلى الغاية من مجيئه الثاني: "ليدين لا ليخلص".

يعتقد بعضهم أن المسيح أراد بقوله: "لست أدين أحداً", أنه"لا يدين

بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ١٧وَأَيْضاً فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ: أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ. ١٨أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي

أحداً" على الطريقة الفرنسية: "حسب الجسد". ويقول جودي أن المسيح نفى إدانته للأفراد, وقرر إدانته للجماعات وللعالم.

أما سلطانه في الإدانة, فإنه مستمد مع شركته مع الآب "لأني لست وحدي بل أنا الآب الذي أرسلني". فالآب يفحص ويحكم. والمسيح ينطق بالحكم. فهو إذا حاكم بلسان وسلطان الله الآب, ديان الأحياء والأموات.

عدد ١٧و١٨. الشهادة المزدوجة "وأيضاً في ناموسكم مكتوب . . ." بعد أن أقام المسيح الحجة في الأعداد السابقة على أن شهادته لنفسه حق كشهادة النور لنفسه, أراد – تنازلاً منه – أن يماشي محاجيه, فأثبت لهم من ناموسه أن شهادته ليست فردية وإنما هي مشفوعة بشهادة "الآب الذي أرسله". وقد خاطبهم المسيح بقوله: "ناموسكم" لا "ناموسنا", لأنهم كانوا يتمسحون بالناموس ويتخذونه حجتهم في إدانتهم المسيح, ويعتقدون أنهم قيمون عليه, فمن كلامهم دانهم. ومن جعبتهم امتشق سهماً وطعنهم. فضلاً عن ذلك فإن نسبتهم إلى الناموس, غير نسبة المسيح إليه. هذا من قليل قول المسيح: "أبي وأبيكم" (يو ٢٠: ١٧). فهو ناموسهم المفروض عليهم, ليخضعوا له جبراً واضطراراً. لكنه ناموس المسيح, الذي وضعه هو وخضع له حباً واختياراً (متى ٣: ١٥؛ ١٧: ٢٧).

ليست شهادة الآب للمسيح, قاصرة على المعجزات, التي هي إحدى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي». ١٩فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ هُوَ أَبُوكَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً».

البينات على مرافقة الآب له, لكنها تعني أيضاً ذلك الجلال الرهيب الذي كان يحف بالمسيح بشكل لا تميزه العين المجردة.

أقبس المسيح في رده عليهم ما جاء في تث ١٧: ٦و١٩: ١٥. ومراده من إيراد القول على هذه الصورة, أن يثبت لهم أنه إذا كانت شهادة رجلين, مقبولة شرعياً, فكم بالأولى شهادة أعظم شخصين – الآب والمسيح.

عدد ١٩. سؤالهم وجواب المسيح: (أ) سؤالهم: فقالوا له أين هو أبوك؟ لم يسألوه هذا السؤال, على سبيل الاستنارة, بل على سبيل الاستنكار, والتحدي والتحقير. "أين هو أبوك"؟- أحضره إن استطعت, لتسمعنا شهادته. هذا سؤال قد نفثوا فيه سموم ازدرائهم بالمسيح, والآب الذي أرسله.

(ب) جواب المسيح: "لستم تعرفونني . .". في هذا الجواب بين لهم أن سؤالهم نم عن جهلهم بالله, الذي يدعون أنهم في مقدمة عارفيه. وأن برهان جهلهم بالله, هو جهلهم بالمسيح المرسل منه. لأن الله الآب قد أعلن ذاته في المسيح وحده. فمن لم ير في المسيح سوى ذاته الناسوتية, فقد غابت عنه رؤية الله الذي أرسله. ولكن أنى للعيون الجسدية أن ترى من لا يرى, متجلياً في من يرى!؟ "لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً". حقاً "لا يستطيع أحد أن يقول إن يسوع المسيح رب إلا بالروح القدس".

٢٠هَذَا الْكَلاَمُ قَالَهُ يَسُوعُ فِي الْخِزَانَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَلَمْ يُمْسِكْهُ أَحَدٌ لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ.

عدد ٢٠. رابعاً: كلمة تاريخية: "هذا الكلام قاله يسوع . . " كان تأثير هذا الكلام عظيماً, لدرجة أن نصف قرن لم يستطع أن يمحوه من ذاكرة يوحنا البشير, ذلك المكان الخاص الذي قال فيه المسيح ذلك الكلام: "في الخزانة".

كلمة: "الخزانة" كانت تطلق غالباً على كل المكان الذي كانت تحفظ فيه التقدمات المجموعة لأجل الهيكل وخدماته. ويستفاد من مرقس ١٢: ١٤ ولوقا ٢١: ١, أن الصناديق وهي على شكل أبواق وتعرف عند اليهود بالـ "شوفيروت" وعددها ثلاثة عشر – كانت موضوعة في المكان المعروف "بالخزنة" أي في دار النساء. وبما أن مجلس السنهدريم, كان يلتئم عادة في البهو المعروف ب "الجازت" بين دار النساء والدار الداخلية, وبما أن المسيح قال هذا الكلام, والسنهدريم ملتئم, فمن المحقق أن كلامه هذا قد بلغ آذان أعضاء السنهدريم (٧: ٤٥-٥٢). ولعل البشير ذكر المكان الذي قال فيه المسيح هذا الكلام, لكي ينبهنا إلى هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحقيقة الأخيرة, وليبين لنا, أن الفادي لم يقل كلامه في الخفاء, بل في قلب الهيكل, الواقع في قلب أورشليم, وعلى مسمع من أكبر هيئة دينية رسمية. ومع ذلك "لم يمسكه أحد" لأن الرؤساء كانوا يهابون الشعب الذي كان يكن للمسيح كل أنواع الاحترام, ولأن المسيح كان يحف به نطاق رهيب من المجد والكرامة, ولم يمكنهم اختراق هذا النطاق "لأن ساعته لم تكن جاءت بعد". (انظر شرح ٧: ٨و٣٠؛ ٢: ٤)

وكذلك كل خادم خالد, حتى تأتي "ساعته".

٢١قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي وَتَمُوتُونَ فِي

"أنا هو" ٨: ٢١- ٢٩

أعلن المسيح لليهود, في كلامه السابق, أنه هو الصخر الحقيقي الذي كانت صخرة البرية رمزاً له (٧: ٣٧ - ٣٩), وأنه هو النور الحقيقي الذي كان عمود النار في البرية ظلاً له (٨: ١٢). فكان من واجبهم أن يؤمنوا أنه هو المسيح, وأن يسيروا في النور ما دام النور موجوداً معهم. لأنه سيأتي وقت فيه يرفع عنهم فيتركهم في ظلامهم يعمهون.

عدد ٢١. إنذار في أوانه: "قال لهم يسوع أيضاً" – بعد أن شلت يديهم عن إلقاء القبض عليه: "أنا أمضي" – بالموت, والقيامة, والصعود- "وستطلبونني" – فلا تجدونني – "وتموتون في[٤] خطيتكم" – لأني جئت لأنقذكم من حالة الموت التي أنتم فيها, فلم تريدوا, لذلك ستتركون في حالتكم الطبيعية, حال الخطية والموت.

"حيث أمضي أنا لا تقدرون أن تأتوا" – لأن الهوة عظيمة بين السماء التي سأكون أنا فيها, وبين الهاوية التي أنتم فتها, سيما بعد أن تكونوا قد رفضتم شخصي الذي جاءكم سلم اتصال بين سمائي وهاويتكم.

في نس المكان الذي فاه المسيح فيه بكلامه السابق (٧: ٣٧- ٨: ٢٠) استطرد في ذكر هذا الكلام اللاحق (٨: ٢١), فقدم لليهود: (أ) انذاراً "أنا أمضي". ولقد أتاهم هذا الانذار في أوانه. لأن هذا كان آخر يوم في

خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا» ٢٢فَقَالَ الْيَهُودُ:

آخر عيد, اجتمع فيه المسيح باليهود كمجموع, فلم تبقى سوى بضعة أشهر على حلول عيد الفصح الذي فيه رفع المسيح على الصليب فصحاً لنا. إن هذه الحقيقة تكسب هذا الإنذار مسحة من الرهبة والوقار. (ب) نبوة: "ستطلبونني" – بعد فوات الفرصة حيث لا ينفع الندم بعد العدم إن قول المسيح هنا اشد منه في ٧: ٣٣-٣٤. لأن طلب اليهود إياه فيما بعد, ليس طلن الإيمان, بل طلب افنقاذ من الضيقات الزمنية, التي ستحيط بهم عند خراب أورشليم,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتشتت شملهم كأمة. (ج). حكماً: "وتموتون في خطيتكم". ذكرت كلمة: "خطية" بالمفرد, إشارة إلى حالة قلوبهم الطبيعية في بعدها عن الله, وعدم إيمانها بالمسيح. فالمفرد يصف الأصل – كقولنا "تينة" للتعبير عن شجرة التين. والجمع يصف الأفرع والثمر, كقولنا "تين" في التعبير عن الثمر. (د) إعجازا: "حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا". إن الهوة العظيمة التي كانت بينهم وبين المسيح, والتي كان في إمكانهم أن يرتقوها بسلم الإيمان, ستثبت بواسطة عدم إيمانهم ويختم عليها(انظر لوقا ١٦: ٣٦). هذا هو الموت الروحي الأبدي – انفصال النفس نهائياً عن المسيح – وهو يختلف كل الاختلاف عن الافتراق الوقتي, الذي تحدث عنه المسيح مع تلاميذه في يو ١٣: ٣٣ حين وعدهم أن يأتي ويأخذهم إليه (١٤: ٣)

عدد ٢٢. رد اليهود. "فقال اليهود ألعله يقتل نفسه". كان قول المسيح في العدد السابق كطعنة نجلاء, جرحت كبرياءهم. فقصدوا أن ينتقموا لأنفسهم,

«أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولُ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟» ٢٣فَقَالَ لَهُمْ: « أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ

ويردوا الطعنة إلى صدر المسيح, فقالوا: "ألعله يقتل نفسه"؟ فجاءت طعنتهم هذه أحد منها في ٧: ٣٥ . لقد آلمهم قول المسيح: "لا تقدرون أنتم أن تأتوا", وفي ثورة كبريائهم ألصقوا به تهمة الانتحار- وعقاب الانتحار كما كان معروفاً لديهم, عن حق, هو الانحدار إلى الهاوية (تاريخ يوسيفوس الجزء الثالث الفصل الثامن). فإذا سلموا معه بعجزهم عن اللحاق به, فما هذا إلا- حسب ادعائهم- عجز السماويين عن أن ينحدروا إلى الهاوية!

عدد٢٣. جواب المسيح ٨: ٢٣و٢٤"فقال لهم انتم من أسفل . ." لقد شهد عليهم كلامه السابق, بأنهم كانوا في أنفسهم مخدوعين لذلك أراد الفادي أن يكشف لهم حقيقة حالهم, فبين لهم أنهم واهمون, وأن الأمر على عكس ما يزعمون. فإن عجزهم عن اللحاق به, ليس سوى عجز أبناء الهاوية السفلى, عن أن يصلوا إلى ابن الله. وهو عجز الأرضيين عن أن يدركوا ابن السماء الذي رضي, تواضعاً منه وتنازلاً, أن يقابلهم بنفسه مقابلة مزدوجة :(أ) من حيث الطبيعة:"أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق". (ب) من حيث الأميال والإرادة: "أنتم من هذا العالم" – تعملون إرادتكم المنافية لإرادة الله – "أما انا فلست من هذا العالم" – لأن طعامي, أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله. فهو يختلف عنهم أصلاً, وطبعاً, وإرادة, وعملاً. فإذا كانوا قد

مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. ٢٤فَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أجازوا لأنفسهم أن ينسبوا إليه نية الانتحار الذي ينتهي بالهاوية, فما ذلك إلا لأنهم هم من أبناء الهاوية.

عدد ٢٤. من أنذر فقد أعذر: "فقلت لكم إنكم تموتون في خطاياكم" . وردت كلمة "خطايا" في هذا العدد, بصيغة الجمع, على خلاف وردها في عدد ٢١ بصيغة المفرد. فالكلام في عدد ٢١ يتناول الخطية في أصلها الواحد – حال العداوة لله. والكلام هنا, يتناولها في مظاهرها المنوعة. " إن أجرة الخطية هي موت" . فهم أبناء الموت بحكم خطاياهم. لأن الخطية تنقدهم أجرتها على آخر قسط. وما من أحد يغير طبيعتهم الخاطئة, ويخلصهم من سلطان الخطية وذنبها, سواه "هو" . ولا سبيل إلى اتصالهم بالمسيح سوى الإيمان. "إن لم تؤمنوا أني هو تموتون في خطاياكم". إن قول المسيح: "إني أنا هو" – في معناه, ومبناه حسب الترجمة السبعينية – هو ذلك القول عينه الذي نطق به الرب "يهوه"في العهد القديم (تث ٢٣: ٣٩وإشعياء ٤٣: ١٠). إن رسالة الله في العهد القديم هي: "أنا أنا هو وليس إله معي". ورسالته في العهد الجديد هي. "أنا أنا هو الفادي وليس غيري مخلص". ويعتقد جودي أن المسيح قصد أن يقول لليهود : "إن لم تؤمنوا أني أنا هو مسيحكم المنتظر تموتون في خطاياكم", وأنه حدث كلمة "مسيحكم المنتظر", ليكون بلاغه أوقع في نفوسهم. وما المسيح سوى "يهود" إله العهد القديم, الذي ظهر في الجسد.

تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ». ٢٥فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مِنَ

وردت كلمة: "أنا هو" , ثلاث مرات في هذا الفصل(عدد ٢٤و٢٨و٥٨).

عدد ٢٥. سؤالهم وجواب المسيح عليه ٨: ٢٥-٢٩: (أ) سؤالهم (عدد ٢٥(أ)): "فقالوا له". لم يسألوا سؤالهم هذا بلهجة المستفهمين المستنيرين, بل بلهجة الهازئين الساخرين, المتحفزين لوقوع كلمة منه من سكونه بها, ويتقدمون به إلى القضاء. (ب) جواب المسيح (عدد ٢٥(ب)- ٢٩) . يقع جواب المسيح في ثلاثة أشطر. أولها يختص بشخصه (عدد ٢٥(ب)) وثانيها يتعلق بهم (عدد٢٦). وثالثها يتعلق بشخصه أيضاً (عدد ٢٨و٢٩). أما عدد ٢٧فهو كلمة تفسيرية.

(١) الشطر الأول (عدد ٢٥(ب)) ز هذا جواب غاية في الحكمة مفاده: "ليس لكم أن تتنظروا مني إعلاناً جديداً عن شخصي فوق ما أعلمتكم به منذ بدء خدمتي وكرازتي. فاستجمعوا أقوالي السابقة عن نفسي, تعرفوا من أنا. إن حاجتكم ليست إلى إعلان جديد بل إلى قلوب جديدة تفهم الإعلانات التي سبقت فقلتها منذ بدء خدمتي". ويجمل بنا الآن أن نستعرض الإعلانات التي فاه بها المسيح عن نفسه فيما مر بنا من هذه البشارة:فهو الكلمة الأزلى (ص ١) وهو الهيكل الحقيقي(ص ٢), وهو المخلص الحقيقي (ص ٣), وهو الماء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحي (ص ٤),وهو الابن الحقيقي (ص ٥), وهو الخبز الحي (ص ٦), وهو الصخر الحقيقي(ص ٧), وهو

الْبَدْءِ مَا أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِهِ. ٢٦إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً

النور الحقيقي(ص ٨),فلو كانت لهم عقول مستنيرة, وقلوب متجددة, وبصائر تقدر الحقائق, لهتفوا بملء أفواههم قائلين مع بطرس: "نحن قد آنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي" (٦: ٦٩). ولكن أنى للذين من أسفل أن ينقوا بلغة السماء؟!.

ويقول ويستكوت إن كلام المسيح يفهم على هذا الوجه: "إن شخصي هو تعليمي". ويعتقد هنجستنبرج, إن معنى كلام المسيح في هذا العدد : "إني أنا منذ الأزل هو يهوه المتجسد الذي أكلمكم عنه الان" لكن العقبة في سبيل الأخذ بهذا الرأي الأخير هي قوله: "ما أكلمكم به", لا "من أكلمكم به". ويميل غيرهما إلى تفسير كلام المسيح على الوجه الآتي: "أنا منذ الأزل ما صرحت به الآن" – أي "إني أنا هو". ونميل نحن إلى الرأي الأول الذي أوضحناه: أي إن كلمة"من البدء" كما استعملت هنا , معناها: "منذ بدء خدمتي", لا "منذ الأزل".

عدد ٢٦. (٢) الشطر الثاني:"إن لي أشياء كثيرة .." إذاً لم يكن أولئك القوم في حاجة إلى إعلانات جديدة عن المسيح, بل كانوا في مسيس الحاجة إلى إعلانات جديدة عن أنفسهم. فالعقبة الكؤود في سبيل إيمانهم به, لم تكن فيه, بل فيهم هم . لقد تقدموا إليه وهم متخذون, بالنسبة له, موقف الحكم المتحكم, فأراهم هو أنهم هم المتهمون الذين عليهم أن يسمعوا حكمه عليهم"إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم". وفي

أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ. وَأَنَا.

الحقيقة أن كل حكم يصدره الإنسان على المسيح أوله, إنما هو حكم يصدره الإنسان على نفسه أولها[٥] .

"إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها." . بهذه الكلمات وما بعدها تابع المسيح حديثه المذكور في عدد ٢٤, وفعلاً قد أسمعهم هذه الأحكام المدونة في عدد ٣٤ و٣٧ و٤٠ و٤١ و٤٣ و٤٤ و٤٩ و٥٥. "ولكن الذي أرسلني هو حق" – شعر المسيح أن أحكامه عليهم ستكون أليمة وشديدة الوقع. "ولكن" – لم يكن لديه بد, مع أن يسمعهم هذه الأحكام وذلك لسببين – أولهما: انه مكلف برسالة. فمن الضروري أن يؤديها على أكمل وجه, وإن تكن أداتها أليمة عليه وعلى غيره : "لكن الذي أرسلني .." . ثانيهما: إن هذه الرسالة حق. لأنها صادرة من الله الحق: "الذي أرسلني هو حق". ومهما يكن الحق مراً, فلا بد من أن يقال. إذاً كان الله هو "الحق" في جوهره فمن المحقق ان رسالته هي "الحق" في ظهوره. إن نسبة رسالته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إليه كنسبة أشعة الشمس إلى جرمها. "وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم" – لا يقتصر كلام المسيح هنا على ما سمعه من الآب منذ الأزل بل يتناول بالأولى الكلام الذي كان يسمعه من الآب باستمرار حتى قبيل تكلمه مع اليهود, وذلك بحكم صيغته الدائمة, المستمرة مع الآب. (قابل هذا بما جاء في ٥: ١٩ و٨:٢٨). يتكلم المسيح هنا عن نفسه باعتبار كونه

مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ فَهَذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ». ٢٧وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ عَنِ الآبِ. ٢٨فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ

"كلمة الله". الذي أعلن إرادة الله للعالم. وهو أيضاً على هذا الاعتبار, الوسيط الأوحد بين الله والناس.

عدد ٣٧. كلمة تفسيرية. "ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب" هذه الكلمة التفسيرية, سجلها قلم يوحنا البشير ليعطينا صورة دقيقة لعقلية أولئك اليهود, الذين كانوا يعتقدون أن الفهم هجر عقول جميع الناس, واستقر في أدمغتهم وحدهم. فكلن جميلا ذلك الوصف الذي خلعه البشير عليهم. "ولم يفهموا . . . " – كانت عقولهم في واد, وكلام المسيح في واد. وكيف يأتي للعقل الطبيعي أن ما لروح الله؟ إن الفهم المقصود هنا هو فهم التمييز. فمع أن المسيح لم يذكر لفظة "الآب" تصريحاً, وحديثه الأخير (عدد٢١ - ٢٧) إلا إنه ذكره تلميحاً في قوله: "الذي أرسلني". . "ما سمعته منه".

كان أولئك القوم ماديين منتظرون مسيحاً مادياً سياسياً, فلم يميزوا أن الذي كان يخاطبهم هو المسيح المرسل من الآب.

عدد ٢٨. (٣) الشطر الثالث. الحجة القاطعة. "فقال لهم يسوع متى رفعتم" إن الحر تكيفه الإشارة. لكن أولئك اليهود كانوا عبيداً (عدد ٣٤), فلم يفهموا الكلام الصريح, لذلك أنبأهم المسيح بآية عملية تكون حجة قاطعة نهائية – هي آية "رفع ابن الإنسان". ومتى تمت هذه الآية أمام عيونهم, فحينئذ يفهمون أنه هو المسيح. إن الصليب هو المقصود بالذات في قوله:

ابْنَ الإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي.

"متى رفعتم" وإن يكن الصليب والقيامة, والصعود, وعطية الروح القدس, متضمنة كلها في معنى "رفع ابن الإنسان". أليس من المحزن أن اليهود يظلون غير مقدرين قيمة المسيح, حتى يفرغوا من جريمتهم برفع إياه على الصليب؟ عندئذ يفهمون – لكنه من لا يقدر قيمة النور إلا بعد أن يغمره الظلام, ومن لا يفهم قيمة تاج الصحة إلا بعد أن يبتلي بالعلل, ومن لا يدرك قيمة الحياة, إلا عند مجيء ساعة المنون.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على أن الصليب في ذاته, لم يكن كافياً لإعلان شخص المسيح لليهود, لو لم يجعله الله في تدبيره سلماً للقيامة, والصعود إلى عرش العظمة في الأعالي. كأن المسيح قال لهم مؤنباً: متى صلبتموني وأدركتم بعد ذلك أنكم بصلبكم إياي قد أجلستموني على العرش, فحينئذ تعلمون:

(١) حقيقي شخصي: "إني أنا هو". لقد وصف نفسه بقوله: "ابن الإنسان" دلالة على مظهره الوضيع الذي بسببه خفيت عنهم حقيقته, "فلم يفهموه".

هذه الكلمات تعيد إلى أذهاننا كلمات يهوه في العهد القديم: "فلا تشفق عليك عيني: . . فتعلمون أني أنا الرب" (حزقيال ٧: ٤). (أنظر أيضاً حزقيال ١١: ١٠و١٢: ٢٠ وخروج ١٠: ٢ومت ١٢: ٣٩و٢٦: ٦٤).

(٢) حقيقة تعليمي:"لست أفعل شيئاً من نفسي" – إن كلام المسيح جزء من عمله الموكول إليه – "بل أتكلم بهذا كما علمني أبي"(انظر ٧: ١٦و١٧).

٢٩وَٱلَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ».

عدد ٢٩.(٣)حقيقة معيتي الربانية"والذي أرسلني هو معي. ولم يتركني الآب وحدي . . " بهذه الكلمات أراهم البوم العظيم بين موقفهم بالنسبة له, وبين موقف الآب معه. إذ كانوا هم سيرفضونه, فإن الآب معه. فإذا بهم إذاً انطفأت كل الشموع وظل وجه الشمس مشرقاً؟!.

إن طاعة المسيح الكاملة الاختيارية للآب, هي الضمان الأكيد لمرافقة الآب له. "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". لا لأن إرادة الآب فرضت على المسيح فرضاً, كناموس خارجي عنه, بل لأنها في أحشائه, فمن الطبيعي أن يعملها: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله". ليس وجه العجب أن المسيح عاش متمماً إرادة الآب, بل أن يكون هو المسيح ابن الله, ويقصر في أمر منها.

بما أنه جعل إرادة الآب, إرادته, لذلك صارت إرادته هو, إرادة الآب.

"في كل حين أفعل ما يرضيه". ليس هذا وصفاً لأعمال المسيح وكفى, لكنه وصف للبواعث التي كانت تدفع المسيح للقيام بأي فعل:"أفعل ما يرضيه"إن من يتجاسر أن يقول هذه الكلمة, لا يكون فقط واثقاً من أنه لم يرتكب خطية, بل إنه أيضاً لم يجد أمراً مرضياً لله إلا وأنجزه. ليس فقط أن كل أعماله كانت مرضية للآب, بل أن كل ما وجده مرضياً للآب قد أجراه بالتمام. كذلك كان المسيح – والمسيح وحده. ذلك لأنه "لم يكن وحده" ١٦: ٣٢,

٣٠وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا آمَنَ

 All rights reserved © 2008-2018

عدد ٣٠. شعاع من النور في ليلة ظلماء: "وفيما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون". على رغم الاعتراضات التي وجهها اليهود إلى المسيح, وجد كثيرون ممن آمنوا به, فلم تخل ليلتهم الظلماء من كواكب شاهدة لنور الفادي. "آمن به كثيرون " - هذه العبارة تعني أنهم ألقوا اعتمادهم على شخص المسيح. وهي كما وردت في الأصل, تختلف عن تلك التي وردت في عدد ٣١ "آمنوا به", التي تعني تصديقهم لكلام المسيح. في عدد ٣٠, كما وردت كلمة: "آمنوا" متبوعة بحرف الجر"بـ" أو "على". وفي عدد ٣١,وردت كلمة "أمنوا", مجردة , وترجمتها الحرفية "صدقوا المسيح".فالإيمان, كما يصفه عدد ٣٠,متوجه إلى شخص المسيح. وكما يوضحه عدد٣٠, متجه إلى كلام المسيح. فكل من العددين يصف فرقة من اليهود غير التي يصفها الآخر. عدد ٣٠, يصف قوماً استمعوا للمسيح, فصدقوا كلامه. ثم اعتمدوا على شخصه. ولكن عدد ٣١, يصف قوم آخرين استمعوا للمسيح, ثم صدقوا كلامه ووقفوا عند هذا الحد. فأراد المخلص أن يتقدم بهم خطوة جديدة في سبيل الإيمان إذ قال لهم "إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي" كلمة: "آمنوا به", كما جاءت في عدد ٣٠, تكررت مراراً عدة في هذه البشارة – ٢: ١١؛ ٣: ١٦و١٨و٣٦؛ ٤: ٣٩؛ ٦: ٢٩و٣٥و٤٠و٤٧؛ ٧: ٥و٣١و٣٨و٤٨و٩: ٣٥؛ ١٠: ٤٢؛ ١١: ٢٥و ٤٥و٤٨؛ ١٢: ١١و٣٦و٤٢و٤٤و٤٦؛ ١٤: ١و١٢و١٦: ٩؛ ١٧: ٢٠. مع أنها لم ترد سوى مرة واحدة في البشائر الأخرى

بِهِ كَثِيرُونَ. ٣١فَقَالَ يَسُوعُ

لتصف إيمان"الصغار" – إيمان البساطة (مت ١٨: ٦). فهي إذا من الكلمات التي أختص يوحنا البشير.

"أنتم وأنا" ٨: ٣١ – ٥٩

انتهينا مكن الحوار الذي دار بين المسيح واليهود, ونحن شاعرون أن المسيح لم يبلغهم بعد, رسالته إلى أقصى حدودها. لأنه أوقفنا وإياهم عند حد قوله لهم: "إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم". وبما أن كل ممنوع مرغوب, فمن المحقق أن من يسمع هذا القول, لا يتمالك نفسه من التساؤل عن هذه الأشياء الكثيرة التي كانت لدى المسيح, ولم ينطق بها بعد.

لقد جاد علينا المسيح بخير جواب على هذا التساؤل, في الجزء الأول من هذا الحديث (٨: ٣١ - ٤٧). أما الجزء الثاني منه (٨: ٤٨ - ٥٩), فقد وقفه على شهادته لبنوته وأزليته. فلنا أن نعتبر هذا الحديث بجزئيه, خير مفسر لقول المسيح في حديثه السابق: "إن كنت أنا أدين فدينونتي حق . . . أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الآب الذي أرسلني" (٨: ١٦ و١٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فالجزء الأول من هذا الحديث يفسر قوله الأول (٨: ١٦), والجزء الثاني يوضح قوله الثاني (٨: ١٨).

الجزء الأول من الحديث – حكم المسيح على اليهود ٨: ٣١ – ٤٧. في هذا الجزء أصدر المسيح على اليهود أربعة أحكام مؤلمة – الثلاثة الأولى سلبية, والرابع إيجابي. فالثلاثة الأحكام السلبية هي: (أ) "لستم أحراراً" (٨: ٣١ - ٣٦). (ب) "لستم ذرية إبراهيم" (٨: ٣٧ - ٤٠).(ج) "لستم أولاد الله" (٨: ٤١ - ٤٣). وأما الحكم الرابع الإيجابي فهو

لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ:

(د) "أنتم من أب هو إبليس" (٨: ٤٤-٤٧). وعند اختتام هذا الجزء الأول من الحديث, بعد عجز اليهود أن يردوا الأحكام الصادقة التي وجهها إليهم المسيح, لم يجدوا ما يروون به غليلهم سوى تهمة شنيعة وجهوها إلى "قدوس الله" (٨: ٤٨), فأجابهم عنها المسيح بترفع من غير كبرياء (٨: ٤٩ - ٥٠).

(أ) الحكم الأول: "لستم أحراراً": (٢: ٣١ - ٣٦). يتضمن هذا الفصل ثلاث حلقات: (١) كلام المسيح (٨: ٣١ - ٣٢). (٢) اعتراض اليهود عليه (٨: ٣٣). (٣) جواب المسيح على اعتراضهم (٨: ٣٤ - ٣٦).

عدد ٣١ و ٣٢. كلام المسيح. "فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به . . " قد يعجب المرء, لأول وهلة, إذ يجد أن هؤلاء اليهود الذين يصفهم البشير بالقول: "الذين أمنوا بالمسيح", هم بذاتهم الذين يقول لهم المسيح: "أنتم من أب هو إبليس". لكن لدى التأمل, ينكشف لنا السبب, فيبطل العجب. لم يكن إيمان هؤلاء متجه إلى شخص المسيح, كما كان إيمان أولئك المذكورين في العدد السابق[٦], لكنه كان متوجهاً فقط إلى كلام المسيح. هؤلاء كانوا مصدقين كلامه لكنهم لم يلقوا اعتمادهم بالتمام على شخصه. فقد يشاهد أحدهم في ساعة خطر, سلماً قائماً بين الأرض وبين دور علوي في إحدى ناطحات السحب, ثم يصدق كل ما يقال عن متانة تلك السلم. لكنه على رغم ذلك يظل خائفا فلا يلقي بنفسه على السلم. فالتصديق شيء والاعتماد شيء آخر,

«إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلاَمِي

التصديق من فعل العقل. الاعتماد من عمل القلب (راجع تفسير عدد ٣٠).

إن هؤلاء المذكورين في عدد ٣١, صدقوا أن يسوع هو المسيح, لكنهم كانوا يبيتون في قلوبهم أفكاراً غير صحيحة, عن حقيقة. لذلك لم يكونوا قد اعتمدوا عليه بعد. لقد فتحوا عيونهم للنور, فرأوا المسيح كمن يرى خيالاً في ضوء الفجر, وكان في إمكانهم أن يصلوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى نور النهار الكامل لو تبعوا السير والتقدم. والظاهر من قول المسيح لهم "إن ثبتم في كلامي" إنهم من النوع الذي وصفه يعقوب في قوله: "سامعين فقط خادعين نفوسهم . . . . . . رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة. فإنه نظر ذاته ومضى. وللوقت نسي ما هو.. ولكن من اطلع . . . وثبت . . . ." (يع ١: ٢٢ - ٢٥).

إن قوماً كهؤلاء قد يكونون مستنيرين لكنهم لا يضيئون. قد يذوقون لكنهم لا يأكلون ويشبعون. نصيبهم من التأثر بالحق قد لا يزيد عن تأثير جدران المكان الذي كان الرسل مجتمعين فيه (أعمال ٤: ٣١).

في هذين العددين قدم لهم المسيح: (أ) شرطاً: "إن ثبتم في كلامي". إن المسيح بوضعه هذا الشرط, رحب بالخطوات التمهيدية التي خطوها في سبيل الإيمان, وشجعهم على التقدم والمثابرة, ليتقدموا من ضوء الفجر إلى نور النهار الكاهل: "إن ثبتم في كلامي"- أي إن كان كلام المسيح بالنسبة لهم كالماء للسمك, وكالهواء للطير, وكالتربة الجيدة للنبات الحي, وكجذع الشجرة للأفرع. فالثبوت في كلام المسيح, يفيد الجلوس باستمرار

فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي ٣٢وَتَعْرِفُونَ

عند قدميه والتمكن منه والإغتذاء بعصارته. (ب) وعداً : "فبالحقيقة تكونون تلاميذي" هذا وعد يقيني في طبيعته, لأن المسيح استهله بقوله: "بالحقيقة", وهو مثلث في محتوياته. ما أشبه محتوياته, بكؤوس الورد, تتفتح إحداها من الأخرى. فالكأس المركزية في هذا الوعد, هي التلمذة الحقة "فبالحقيقة تكونون تلاميذي", ومنها تتفرع الكأس الثانية وهي: معرفة الحق "وتعرفون الحق" (عدد ٣٢). ومن هذه الكأس الثانية, تتفرع الكأس الثالثة وهي: حرية الحق: "والحق يحرركم". بل ما أشبه محتويات هذا الوعد بقمم جبل منيف, لا يرى الصاعد عليه سوى القمة الأولى. وبعد أن يرتقيها يجد القمة الثانية, ثم الثالثة. قمم عالية يأخذ بعضها بيد بعض. أنوار يأخذ بعضها برقاب بعض. هذا وعد متين – فالتلميذة الحقيقة غرته: "بالحقيقة تكونون. .", والحق عماده: "وتعرفون الحق", والحرية تاجه: "والحق يحرركم. ". الحق [٧] هو خلاصة كلام المسيح, بل هو كلام المسيح متأنساً. فهو إذا المسيح نفسه, الذي هو كلمة الله النهائية للبشر.

يمتاز الحق عن الصدق, في أن الصدق هو ما وافق عقيدة المتكلم. ولكن الحق هو ما وافق الواقع. فالصدق نسبي لكن الحق مطلق. "والحق يحرركم" – الحق والحرية صنوان لا يفترقان, فالحق يلد الحرية والحرية تدعم الحق. الحق يحرر من عبودية الموت والخوف, وعذاب الضمير,

الْحَقَّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والأضاليل, والذات المتمردة, والحرية الزائفة, التي هي العبودية بعينها. فكم من حريات بلا حرية. فالحرية الحقيقية لا تقوم بإطلاق العنان للشهوات والأميال العاطلة ليعمل المرء ما يريد ويهوى, بل هي القدرة على عمل ما هو واجب. هي الإرادة المتجددة, التي تريد ما يريده الله. فقد تخرج الأفعى من حجرها, لكنها تظل عبدة لغريزة الأذى المنطبعة عليها. فهي لن تتمتع بالحرية الحقيقية إلا متى تحررت من طبيعتها المؤذية, ولبست طبيعة جديدة تسعى وراء الخير, وتأنف الأذى.

هذا وعد جميل في ذاته, غني بمحتوياته لكنه لمزيد الأسف لم يصادف قبولاً لدى أولئك اليهود, الذين كانوا ينتظرون حرية سياسية من نير الرومان. فبدلاً من أن تتجه قلوبهم إلى محاسن هذا الوعد ليجتلوها, إذاً بهم قد بحثوا عن الوجه الجارح فيه, فاستنتجوا منه أن المسيح يتهمهم بالعبودية. وعوضاً عن أن يرحب بالوعد, حصنوا أنفسهم ضده, واحتجوا. بدلاً من أن يقبلوا المسيح مخلصاً ومسيحاً, اتخذوا منه خصماً, فاستجمعوا كل قواهم لمعارضته.

اعتراض اليهود -٨: ٣٣و٣٩و٤١و٤٨و٥٣و٥٧

وهنا يجدر بنا أن نلقي نظرة عامة على اعتراضاتهم, لنرى من وراء ظلالها أنوار كلمات المسيح. لقد قدموا ستة اعتراضات: - (١) "إننا: لم نستعبد لأحد قط" (عدد ٣٣). (٢) "أبونا هو ابراهيم" (عدد ٣٩). (٣) "إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله" (عدد ٤١). (٤) "ألسنا نقول حسناً

وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ».

إنك سامري وبك شيطان" (عدد ٤٨)؟ (٥) "ألعلك أعظم من أبينا الذي مات" (عدد ٥٣)؟ (٦) "‌. . أفرأيت إبراهيم" (عدد ٥٧)؟.

ولدى التأمل يتضح لنا انه في الثلاثة الاعتراضات الأولى, دافعوا عن أنفسهم. وفي الثلاثة الأخيرة هاجموا المسيح.

في دفاعهم تحصنوا بـ: (١) حريتهم الزائفة (عدد ٣٣). (٢) نسبهم الوراثي (عدد ٣٩). (٣) امتيازاتهم الدينية (عدد ٤١). وفي هجومهم طعنوه: (١) شخصه (عدد ٤٨). (٢) سلطانه (عدد ٥٣). (٣) أزليته (عدد ٥٧).

جواب المسيح ٨: ٣٤ -٤٧و٤٩-٥١و٥٤- ٥٦و٥٨.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على هذه الاعتراضات والمهاجمات, أجاب المسيح بستة أجوبة سديدة, نافذة بقوتها كستة سهام قوية : - بالثلاثة السهام الأولى دفع اعتراضاتهم على كلامه, فحكم على أشخاصهم. بالثلاثة السهام الأخيرة, صد النبال التي صوبوها إلى شخصه.

أما حكمه على أشخاصهم, فهو حكم مثلث : (١) "إنهم ليسوا أحراراً" (عدد ٣٤-٣٦), (٢) "ليسوا أولاد ابراهيم" (عدد ٣٧-٤٢), (٣) بل"أولاد ابليس" (عدد ٤٣-٤٧).

وأما فيما يختص بشخصه فقد قرر لهم: (١)أنه "ابن الله" (عدد ٤٩-٥٠). (٢) إن كلامه يهب الحياة للموتى (عدد ٥١-٥٣). (٣) إنه كائن قبل أن يكون ابراهيم (عدد ٥٤-٥٨).

٣٣أَجَابُوهُ: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ. كَيْفَ تَقُولُ

عدد ٢٣. اعتراضات اليهود – (أ) إعتراضهم الأول – إفتخارهم بحريتهم الزائفة: "أجابوه أننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط. . ". إن كلام المسيح عن حرية الحق, وقع على نفوسهم وقعاً أليماً. فكان كمياه باردة. صبت على أمالهم الوطنية "الغالية". فبدلاً من أن يتقدموا خطوة إلى الأمام في سبيل الإيمان نكصوا على أعقابهم. وعوضاً عن أن يعترفوا بحقيقة حالهم, ركبوا منطاد الغرور, وقالوا: "إننا ذرية ابراهيم". وبدلا من أن ينضعوا فيقبلوا هبة الحرية التي لوح بها أمام عينهم, نراهم وقد تمردوا, واحتجوا فاستعاروا كلمة نيقوديموس قبل أن تنفتح عيناه للنور, وقالوا: "كيف"!؟. إن اعتراضهم هذا مركب من ثلاثة عناصر: (أ) كبرياء: "إننا ذرية ابراهيم". (ب) مكابرة: "لم نستعبد لأحد قط" – وما رأيهم في المصريين الذين أذلوهم, والبابليين الذين سبوهم والرومان الذين كان "نسرهم" باسطاً جناحيه فوق هيكلهم؟؟! هذا الضرب من ضروب خداع الخطية, فانها تعمي العين عن حقيقة الواقع, فتجعل العبد يفخر بالسلاسل كأنها حلي وجلاجل؟ ألعلهم في قولهم هذا, تعلقوا بأهداب النظريات المعسولة, وأغمضوا عيونهم عن الواقع؟ ولكن ما النفع من حرية الطفولة ومرحها لمن يقضي رجولته في غياهب السجون؟ بل ما قيمة الأهرام التليدة لمصري يقضي حاضره في كوخ متهدم؟ يعتقد هنجستنبرج أن اليهود إنما كانوا يفخرون هنا بحريتهم الدينية, أي أنهم لم يستعبدوا قط لوثن. ويقول جودي أنهم قصدوا حريتهم كأفراد, على اعتبار على أن الشريعة الموسوية, كفلت لهم حريتهم

أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَاراً؟» ٣٤أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ

الفريدة (لاويين ص ٣٥). (ج) احتجاجا: "فكيف تقول أنت . . "؟ يلوح لأن كلمة: "أنت" يحيط بها جو من التحقير والإزدراء.

 All rights reserved © 2008-2018

عدد ٣٤. جواب المسيح – الشطر الأول من جواب المسيح على اعتراضهم الأول: "لستم أحرارا" (٨: ٣٤ - ٣٦): "أجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم . . ." أفتخر اليهود في اعتراضهم السابق لأمرين: بنوتهم لابراهيم وحريتهم. فنقض المسيح من فخرهم من أساسه, مبتدئاً بهدم الأساس الثاني – حريتهم (عدد ٣٤ - ٣٦), ثم عقب عليه بهدم الأساس الأول – بنوتهم (عدد ٣٧ و ٣٨). فضلاً عن كون هذا الجواب نافذاً كالسهم, فهو أيضاً قاطع كالسيف, راسخ كالصخر, فاستهله بقوله: "الحق الحق" كعادته – في هذه البشارة – كلما أراد أن يعلن حقاً جديداً, ممتازاً (انظر شرح ٣: ٣ و ٥).

في الشطر الأول من جواب المسيح الذي هدم به ثقة اليهود من حريتهم الموهومة, أعلن لهم: (أ) حقيقة حالهم (٨: ٣٤): "إن كل من يعمل الخطية هو عبد الخطية". هذا مبدأ عام, لأنه يضم بين ذراعيه جميع الجنس البشري, وهو أيضا مبدأ خاص لأنه ينطبق على الناس أفرادا لا جماعات: "كل منت". كلمة: "يعمل" تشير إلى حال الخطية المولود فيها الإنسان, وإلى ارتكاب الخطية, وإلى العيش في الخطية. فهي تناول الخطية من حيث كونها حالة طبيعية, وفعلاً, وعادة, وخلقاً. لأن من يزرع فكراً يحصد

هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. ٣٥وَٱلْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ أَمَّا الاِبْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ.

فعلاً, من يزرع فعلاً يحصد عادة, ومن يزرع عادة يحصد خلقاً, ومن يزرع خلقاً يحصد مصيرا.

من أقوى تأثيرات الخطية على مرتكبها, أنها تستعبده. لأن كل من يقع فيها المرء في الخطية, تسهل عليه العودة في ارتكابها, لأنها تضعف فيه قوة المقاومة, وتستأثر عقله وتستبعد إرادته, "وتسبيه إلى ناموس الخطية والموت" (رومية ٧: ٢٣). في بدء حياة الشر, ليسير الإنسان في منحدر متدرج. لأن هذا الانحدار يصير فيما بعد عمودياً. فليست العبودية أو الحرية قضية سياسية, لكنها حالة روحية نفسية.

عدد ٣٥. (ب) غاية مآلهم (٨: ٣٥). (١) الجانب السلبي: "والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد". بهذا الحكم نقد المسيح ادعائهم الكاذب لأنهم "ذرية إبراهيم", وأهل بيت الله – فلن يستطيع الإنسان أن يكون عبداً للخطية وابناً لله في آن واحد. وحاشى لله أن يكون أبناءه عبيداً لسواه إلى الآن, كان اليهود في بين الله, لكن بحكم عبوديتهم, قد أمسوا غريبين عن "البيت", على رغم كونهم متمتعين ببعض مزاياه الخارجية. فليست البنوة لإبراهيم أب المؤمنين, مسألة محلية جغرافية, ولا هي قائمة بالتسلسل التاريخي, وإنما هي اختيار قلبي روحي: "منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا" (١ يو ٢: ١٩).
وليس للعبد أن يبقى في البيت غلا على قدر الوقت الذي ينتفع به سيده منه. فمن الجائز أن يباع العبد في أي وقت, أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣٦فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ

يطرد. وقد حدث هذا بالفعل في عائلة ابراهيم – فإن اسماعيل ابن الجارية طرد, وتركز الوعد في اسحاق.

(٢)الجانب الإيجابي "أما الابن فيبقى إلى الأبد". الاشارة هنا إلى البنوة بوجه عام مقابل العبودة. وإنما من قبيل التطبيق تشير إلى المسيح بالذات.

عدد ٣٦. (ج) وعداً: "فإن حرركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً". بعد أن أبان لهم المسيح حقيقة حالهم – إنهم عبيد (عدد ٣٤), وغاية مآلهم: الطرد من بيت الله (عدد ٣٥), أراهم نوراً ساطعاً من الرجاء في شكل وعد يقين (عدد ٣٦). كلمة: "الابن" في هذا العدد. تشير إلى المسيح ابن الله.

إذا ألقينا مجملة إلى هذه الثلاثة أعداد (عدد ٣٤ و ٣٥ و ٣٦), ألفينا بينها تدرجاً فكرياً مزدوجاً - فمن العبودية بالخطية (عدد ٣٤), ينتقل الفكر إلى العبودية بالله (عدد ٣٥) ومن البنوة العامة في عدد ٣٥, ينتقل الفكر إلى البنوة الخاصة لله – بنوة المسيح ابن الله الوحيد (٣: ١٦). ولكونه هو الابن الأوحد, قد آلت غليه كل حقوق البيت. فهو لا يتمتع بالحرية وكفى, لكنه يهيب الحرية للعبيد ليسيرهم أبناء, لأنه صاحب الحرية وربها. لذلك يصبح تلاميذ المسيح أبناء الله بواسطة الإيمان بابن الله الوحيد. (غل ٣: ٢٦) فالمسيح هو الابن الأصيل, لكن المؤمنين به هم أبناء بالتبني. إن بنوة المسيح حق لكن بنوة المؤمنين هبة يمنحونا إياها بتحريرهم من الخطية بواسطة المسيح. على أن هذا لا يمنع بنوة المؤمنين بنوة حقيقية:

أَحْرَاراً. ٣٧أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ. لَكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي

"فبالحقيقة" – في الروح, وفي الداخل, وفي عين الحقيقة والواقع, على خلاف بنوة اسرائيل التي كانت سطحية وخارجية, وهمية. وردت كلمة: "بالحقيقة" في الأصل, في هذا المكان وحده في بشارة يوحنا. إن خير مفسر لهذه الأعداد هو ما جاء في غلاطية ص ٣و٤.

إن الابن الذي يحرر المؤمنين, هو الحق بعينه (عدد ٣٢). (انظر ١٤: ٦ و١يو ٥: ٢٠).

إذا كانت الخطية بغرورها, وبطلها, واستعبادها, قد صيرت الأبناء عبيدا وطردتهم من بيت أبيهم, فان المسيح, بحقه وحريته, يجعل العبيد أحراراً, ويردهم إلى البيت الذي منه طردوا.

عدد ٣٧. (٢) الشطر الثاني من جواب المسيح على اعتراضهم الأول: "لستم ذرية إبراهيم (٨: ٣٧ - ٤٢). بدأ المسيح حكمه هذا: (أ) بتسليمه معهم بأنهم أولاد إبراهيم حسب الجسد "أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم" – حسب السجل المدني التاريخي. (ب) ثم أورد لهم حجة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دامغة تفصم حلقات هذا التسلسل الجسداني, فبين لهم أن ثمار حياتهم الأدبية, تدل على أنهم متفرعون روحياً من شجرة أخرى غير زيتونة إبراهيم (مت ص٣, ورومية ص٩, وغلاطية ص٣). فالقتل ليس من ثمار زيتونة إبراهيم الطيبة: "لكنكم تطلبون أن تقتلوني".
(ج) ثم تعمق في البحث فوصل إلى العلة الدفينة لهذا الموقف الإجرامي الذي وقفوه تجاهه. فالعلة الحقيقية ليست فيه هو, بل فيهم

لأَنَّ كلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ. ٣٨أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ

هم –في قلوبهم. فقد أوصدوها ضد كلامه: "لأن كلامي لا موضع له فيكم". لأن الحقد, والتعصب الأعمى, والجهل المطبق – كل هذه قد خنقت كلام المسيح, فلم يجد له متسعاً في قلوبهم, للنمو والإثمار. الكلمة المترجمة: "موضع" معناها الحرفي. "تقدم أو سير إلى الأمام". فخي تستعمل في لغة الإغريق. عن السهم النافذ, والنبت المزدهر, والمال المتكاثر, والماء المتدفق. فهي تفيد الحركة, والقوة, والتقدم. إن كلام المسيح قد بلغهم وتركهم على ما هم عليه من تعصب وظلام (عدد ٣٣) لأنه اصطدم بقلوبهم المتحجرة فلم يجد له منفذاً إليها. فكان نصيبه نصيب البذار التي وقعت على الأرض المحجرة.

عدد ٣٨. مبدأ خالد: عن كل شخص مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأصل خفي, عنه يصدر كل كلامه وأعماله, وعن طبيعته ينم. وعلى هذا المبدأ قارن المسيح بين كلامه وأعمالهم.
فكلامه ينم عن أصله الروحي. كما أعمالهم تفصح حقيقة أصلهم: "أنا أتكلم بما رأيت عند أبي. وأنتم تعلمون ما رأيتم عند أبيكم". هذه مقابلة مزدوجة: (أ) "أنا أتكلم" – وكلامي روح وحياة. "أنتم تعملون – وعملكم ظلم وقتل". (ب)"أنا . . . أبي" – هو الحي المحي "وكلامي روح وحياة". "أنتم . . . . .أبيكم" – هو القاتل وأنتم تريدون أن تقتلوني. إن علة اختلاف المسيح عنهم, ناشئة عن اختلاف أصله عن أصلهم. وما قاله المسيح هنا عن اليهود يصدق أبداً على كل البشر في كل عصر.

عِنْدَ أَبِيكُمْ». ٣٩أَجَابُوا: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! ٤٠وَلَكِنَّكُمُ الآنَ

إذاً كان المسيح قد نسب إلى نفسه, "الكلام", وإلى اليهود, "الأعمال" فما ذلك إلا لأنه كان حينئذ يشهد لهم عن حق الله, وعن الله الحق, في وقت كانوا هم يدبرون فيه "كيف يقتلونه".

عدد ٣٩(أ). (٢) اعتراضهم الثاني: افتخارهم الوراثي "نحن ذرية إبراهيم . ." جرحت كبرياء اليهود, إذ أحسوا من كلام المسيح, في العدد السابق, بوخز يطعنهم في أعز ما يفخرون به, فقرروا له وكرروا ما سبقوا فقالوا في عدد ٣٣, واضعين النبرة على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة:"إبراهيم", وكانوا قد وضعوا النبرة في عدد ٣٣. على كلمة "لم نستعبد". قبلاً كانوا يفخرون بحريتهم لما رأوه يتهمهم بالعبودية, والآن نراهم يفخرون بكون إبراهيم أباً لهم حين سمعوه يطعنهم في شرف أصلهم وحسبهم.

عدد ٣٩(ب) – ٤١(أ). جواب المسيح على اعتراضهم الثاني. كان المسيح قد سلم معهم في عدد ٣٧, بأنهم أولاد إبراهيم حسب التسلسل الجسدي, والآن نراه ينكر عليهم تسلسلهم من إبراهيم بالروح والعمل. لآن فعلهم يدل على أصلهم: "لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم"- مثل طاعة إبراهيم لله (تك ص ٢٢و١٢), واحترامه لرسل الله, وبينهم ملاك العهد (تك ص ١٦و١٨). "ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني". فيمايلي من الكلام, وصف المسيح نفسه ثلاث أوصاف, متصاعدة في نظام

تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ. هَذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ.

متدرج إلى الأعلى: (أ) "إنسان": إن المسيح إله كامل وإنسان كامل, وإنما عبر عن نفسه بقوله : "وأنا إنسان", لكي يصف نفسه حال كونه فادياً ووسيطاً, ولأن القتل لا ينصب على إله بل على "إنسان". على انه ليس مجرد إنسان بل هو (ب) المتكلم بالحق – وهو الحق بالذات. وهو لم ينطق بحق ابتدعه من ذاته أو لذاته, إنما جاء (ج) متكلماً "بالحق الذي سمعه من الله" (عدد ٣٨). هذا الوصف المثلث يصف المسيح عن عمله الفدائي كرسول ووسيط بين الله والناس. وبحسب هذا الوصف المثلث تكون خطية اليهود مثلثة, ومستكملة. "هذا" –أي طلب قتل الرسول المتكلم بالحق من قبل الله – لم يعمله إبراهيم" – بل عمل ما هو ضد ذلك على خط مستقيم: "وظهر له الرب عند بلوطات ممرا . . فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال . . فلما نظر ركض لاستقبالهم وسجد" (تك ١٨: ١و٢).

بعد أن نفي المسيح عنهم انتسابهم الروحي إلى إبراهيم, نظراً لتناقض أعمالهم مع اعمال إبراهيم, أراد ان يدلهم على والدهم الحقيقي الذي تربطهم وإياه طبيعة العمل المشترك: "أنتم تعملون" – الآن, بمحاولتكم أن تقتلوني – "أعمال أبيكم". هنا وصف المسيح حقيقة حالهم التي نمت عنها طبيعة أعمالهم. وهو لم يكن بقوله هذا, محرضاً إياهم على عمل مقضي به عليهم, بل كان مقرراً حقيقة الواقع ليس إلا.

٤١أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِناً. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ».
٤٢فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:

عدد ٤١. (٣)إعتراضهم الثالث: "فقالوا له إننا نولد من زنا, لنا أب واحد وهو الله"(٨: ٤١). يقع اعتراضهم هذا, في شطرين – أحدهما سلبي, استنكروا فيه الاتهام الذي استنتجوه من كلام المسيح فقالوا بأنفة الغاضب: "لم نولد من زنا" ولعلهم أرادوا بذلك أنهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من دم يهودي, لم يداخله عنصر أممي, فهم عبرانيون من عبرانيين (فيلبي ٣: ٥), لأن زواج اليهود من الأمميات كان محسوبا ضرباً من الزنى. وربما أرادو بهذه الكلمة معنى روحياً أي أنهم مولودون من عنصر شريف, موال لله وحده, ولم يزن عن عبادته (هوشع ٢: ٤), على خلاف السامريين.

والشطر الثاني من اعتراضهم, إيجابي: "لنا أب واحد وهو الله" وهنا نلاحظ ارتقاء منهم على سلم العجرفة, فبعد أن تمسكوا ببنوتهم الجسدية لإبراهيم استطالوا بأعناقهم وفاخروا ببنوتهم الروحية لله. فهم على هذا الاعتبار وليدو العهد الذي قطعه الله مع شعبه إسرائيل.

عدد ٤٢-٤٧. جواب المسيح على اعتراضهم الثالث ٨: ٤٢-٤٧. في هذا الجواب نقض المسيح ادعائهم البنوة لله, بنفس المعول الذي هدم به ادعائهم البنوة لإبراهيم (عدد ٤٠), إذ قدم له محكاً طبيعياً, يتبينون به صدق دعواهم من بطلانها (أنظر عدد ١٤). بنظرة الواثق المتيقن, أبلغهم المسيح أنه"خرج من قبل الله" – بالتجسد- "وأتى" إلى العالم, حاملاً

«لَوْ كَانَ اللّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللّهِ

اسم مرسله وجلاله, وعلى جبينه الوضاح طابع الأزل والخلود. فلو كانوا هم من الله, لعرفوا مسيح الله, وفهموا كلامه, وأحبوه (عدد ٤٢), وأما وقد جهلوه – أو تجاهلوه - ولم يستمعوا لكلامه, وأبغضوه, ونكروا في قتله, فقد برهنوا بعدم معرفتهم إياه, على أنهم لا يعلمون المصدر الذي منه أتي – الله (عدد ٤٣).

وبمحاولتهم أن يقتلوه, أقاموا الحجة على أنهم ليسوا أبناء الله لآن الله محبة". فلا بد أن يكونوا إذاً أولاد القاتل الأعظم – إبليس (عدد ٤٤ (أ)). فثمار الشجرة, عنوان حقيقتها, والأعمال تنبىء عن حقيقة الخصال, وكل إناء ينضح بما فيه.

وبعدم سمعهم كلامه, قدموا دليلاً عملياً على أنهم أجنبيون عن لغته, وبما أن لغته هي "الحق", فمن لا يفهم "الحق" فهو ليس من أبنائه, بل من أبناء الكذب, ومن سلالة "الكذاب وأبي الكذاب" (عدد ٤٤(ب)و ٤٥).

أردف المسيح قوله هذا بتحد تاريخي, لم يجسر فم, غير فمه الطاهر أن ينطق بمثله: "من منكم يبكتني عن خطية؟" (عدد ٤٦), ثم ختم هذا التحدي بتقرير حقيقة طبيعية: "الذي من الله يسمع كلام الله" (عدد ٤٧).

عدد ٤٢. تجسد المسيح, وخدمته, ورسالته. إن العبارة الأولى: "خرجت من قبل الله" تشير إلى حقيقة التجسد في الماضي. والعبارة الثانية: "أتيت" تشير إلى خدمته في إتمامه إياه, وقت تكلمه معهم. والعبارة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي. ٤٣لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كلاَمِي؟

الثالثة: "لأني لم آت من نفسي . . بل ذاك أرسلني" تشير إلى حقيقة رسالته في مصدرها: بكلمتين – إحداها سلبية "لم آت من نفسي". والثانية إيجابية: "بل ذاك أرسلني".

إن قوله "من قبل الله خرجت" ورد مرة واحدة غير هذه (١٦: ٢٨), وهو يحمل إشارة إلى مصدر بنوة المسيح الأزلية – من الآب.

إذا كانت العبارة الأولى: "خرجت من قبل الله", تشير إلى التجسد في الماضي. والعبارة الثانية: "وأتيت", تصف حقيقة رسالته في الحاضر, فان هذه العبارة الثالثة: "لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني", تربط الماضي بالحاضر برباط مكين.

عدد ٤٣. علة عدم فهمهم كلامه هذا. "لماذا لا تفهمون كلامي لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي". أراد المسيح بقوله "كلامي", غير ما أراد بكلمة! "قولي", فالقول أعم وأوسع من الكلام. ولعله أراد بـ "قوله", جوهر رسالته, و بـ "كلامه" مضمون رسالته. فإذا مثلنا بقطعة موسيقية, قلنا "الكلام" هو لغتها وتعبيرها, "والقول" هو نغمتها. الكلام هو جسم رسالة المسيح, والقول هو روحها.

إن السمع الذي أراده المسيح بقوله: "أن تسمعوا قولي", هو القبول والترحيب – بالأذن المفتوحة, والقلب الواعي. هذا شرط لازم, بل خطوة

لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. ٤٤أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ

تمهيدية للفهم, والإدراك, والتمييز. وعدم القدرة, نتيجة طبيعية لعدم الإرادة. فقول المسيح: "لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي", إنما هو بمثابة قوله: "لأنكم لا تريدون أن تقبلوا قولي ورسالتي". إن عجزهم عن أن يسمعوا قول المسيح, ليس ناتجاً عن حالة فرضها الله عليهم, وهم غير مسئولين عنها, لكنه نتيجة طبيعية لحالة خلقوها لأنفسهم, بعنادهم وتمردهم (قابل هذا بما جاء في ٥: ٤٤ - ٤٧).

عدد ٤٤. المسيح يصارحهم بحقيقة بنوتهم. إن تصرف اليهود نحو المسيح يتلخص في كلمتين – (١) عدم محبتهم إياه – والبغضة هي القتل بعينه. (١ يو ٣: ١٥), (٢) - عدم قبولهم كلامه – وكلامه حق, بل هو الحق بعينه. إذ قد نمت أعمالهم عن هاتين الشهوتين – القتل والكذب ولما كان لكل شخص أصل ينتسب إليه, ويستمد منه عصارة حياته, وأخلاقه, فقد صاروا خليقين بأن يكونوا أولاد إبليس الذي اتصف بنفس هاتين الشهوتين: (١) القتل: "ذاك كان قتالاً للناس من البدء" لأنه أغرى أبوينا الأولين بمخالفة وصية الله, وأوقعهما في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

موت النفس والجسد. فإن "أجرة الخطية هي الموت". (٢) الكذب: "لم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له. لأنه كذاب وأبو الكذاب"

إن قول المسيح: "ذاك كان قتالاً للناس منذ البدء", يشتمل على إشارة

الْبَدْءِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. ٤٥وَأَمَّا أَنَا فَلأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ

ضمنية إلى أصل سقوط الجنس البشري. وقوله : "ولم يثبت في الحق", يحمل إشارة ضمنية إلى أصل سقوط إبليس. ولعل كلمة: "لم يثبت", تتضمن إشارة من طرف خفي إلى سقوط إبليس في امتحان أدبي وروحي, حين سقط من ثباته. وان علة سقوطه, لم تنشأ عن أمر خارجي عنه, بل عن استعداد داخلي فيه "ليس فيه حق.

وإنما تنجح المقالة في المرء إذا صادفت هوى في الفؤاد

"لم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. "حق في الخارج وهو إعلانات الله. لذلك لم يثبت إبليس في حق الله,لأنه كان خالياً من الإخلاص والبساطة, والاستقامة.

إن ما قاله المسيح, عن إبليس, بصيغة سلبية,: "لم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق", عاد فقرره بصيغة إيجابية, للتوكيد: "متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو كذاب".

عدد ٤٥. علة عدم إيمانهم: "وأما أنا" – الآن قد انتقلنا من بيئة كلها ظلام في ظلام(عدد ٤٤), إلى بيئة كلها قداسة في قداسة, وحق في حق. إن علة عدم إيمان اليهود بالمسيح, كائنة في الاختلاف البين, وبين ما نادى به هو : "الحق" وبين ما فيهم هم :"الكذب" وكيف يدخل

لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي. ٤٦مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟ ٤٧اَلَّذِي مِنَ اللَّهِ

الهواء في حراشف السمك؟ وكيف يدخل الماء على رئتي العصفور؟!.

عدد ٤٦. المسيح يتحدى الأجيال ."من منكم يبكتني على خطية . ." كما تتجمع أشعة الشمس في نقطة واحدة, ملهبة, محرقة, كذلك تجمعت كلمات المسيح, والتقت في هذه الكلمة المنيرة لقلوب المؤمنين, والمحرقة لأعشاب الافتراء في قلوب المفترين: "من منكم يبكتني على خطية"؟ من من البشرية يجسر أن يقول, إن الناطق بهذه الكلمات, مجرد إنسان؟ اللهم! إذا كان قائل هذه الكلمة إنساناً, فإنه غير موجود, لأن الإنسان الذي يتحدى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعداءه بمثل هذه اللغة, لم يخلق بعد. ولن يخلق, بل ينبغي أن يكون "مولوداً غير مخلوق. مساوياُ للآب في الجوهر"- هذا هو المسيح – والمسيح وحده.

أن المسيح بتحديه اليهود, قد تحدى كل الأجيال. فقد مضت عشرون قرناً, ولم يقم فيها واحد يستطيع أن يقول: "أنا أبكتك على خطية", هو بار بشهادة الأحباء, بار بشهادة الأعداء, بار بشهادة البر نفسه!!.

إن عجز اليهود – والعالم أجمع – عن أن يجدوا خطية واحدة في المسيح, معناه أنه يجب عليهم أن يسلموا بأنه نطق بالحق, بل انه هو "الحق", بل وجب عليهم أن يقبلوه في قلوبهم, لأن من يقبله, يقبل الحق.

عدد ٤٧. نتيجة طبيعة مؤسسة على مبدأ طبيعي: "الذي من . . ". أما

يَسْمَعُ كلاَمَ اللَّهِ. لِذَلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللَّهِ». ٤٨فَقَالَ

المبدأ الطبيعي فهو: "الذي من الله يسمع كلمة الله" – لأنه ما دام في الله, فالله فيه, وما دام الله فيه, فمن الطبيعي أن يسمع كلام الله.ويرحب به, ويطيعه. "وشبيه الشيء منجذب إليه".

الشطر الثاني من حديث المسيح ٨: ٤٨-٥٩

قبل الآن, كان اليهود متخذين من المسيح جانب الدفاع, ومنذ الآن سنراهم متخذين منه جانب الهجوم. إذ هاجموه في ثلاث نواحي:

(١) في شخصه (عدد ٤٨). (٢) في سلطته في (عدد ٥٢و٥٣).(٣) في أزليته(عدد ٥٧). فأجابهم المسيح أجوبة سديدة, شبيهة بسهام مسددة.

في جوابه على هجومهم الأول: أبان لهم: أنه يكرم الآب (عدد ٤٩), وأنه لا يطلب مجداً لنفسه(عدد ٥٠), ثم ختم هذا بتقديم وعد مجيد لمن يحفظ كلامه (عدد ٥١). وفي دفاعه عن هجومهم الثاني: أبان لهم أن سلطته مستمدة من الآب الذي يمجده, والذي يدعون هم أنه إلههم (عدد ٥٤). ثم صارحهم بحقيقة مؤلمة جارحة وهي أنهم لا يعرفون هذا الإله الذي يعرفه هو(عدد ٥٥). وقد بلغ سهمه صميم قلوبهم عندما أعلن لهم أن أباهم إبراهيم الذي يفاخرون به على الأجيال, "قد تهلل بأن يرى يومه فرأى وفرح" (عدد ٥٦), وفي دفاعه عن هجومهم الثالث, قرر لهم, بلغة الواثق المؤمن أنه أزلي – "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (عدد ٥٨).

عدد ٤٨. هجومهم الأول – موجه إلى المسيح في شخصه"فأجاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الْيَهُودُ: «أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَناً إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟» ٤٩أَجَابَ يَسُوعُ:

اليهود وقالوا له. ألسنا نقول حسناً أنك سامري وبك شيطان"؟ يستفاد من قولهم: "ألسنا نقول حسناً" إن العبارة التي تقولوا بها على المسيح, كانت متداولة بينهم. فقد كان في نظر اليهود: (أ) "سامرياً" – لأنهم كانوا يعتبرونه ألد عدو لوطنيتهم الضيقة الزائفة. (ب)"به شيطان". إن القلم ليرتجف في يد الكاتب عند تسطيره هذه التهمة النكراء التي وجهها اليهود إلى "قدوس العلى". (راجع تفسير ٧: ٢٠) أهكذا تصل البشرية إلى الحضيض في اتهامها ربها وفاديها ومسيحها. أراد اليهود بهذا القول المنكر أن يردوا على المسيح التهمتين اللتين ألصقهما بهم فيما مضى (عدد ٣٩و٤٤). فقولهم له: "انك سامري"ردوا به قوله لهم: "لستم أولاد إبراهيم" (عدد ٣٩). وقولهم له: "بك شيطان" ردوا به قوله لهم: "أنتم من أب هو إبليس"(عدد ٤٢). على أن المسيح لم يقل لهم القول جزافاً, ولا حباً لهم بالاتهام, وإنما أراد أن يصارحهم بحقيقة حالهم, فيصلحوها قبل فوات الفرصة – كان سلاحه كمشرط الطبيب المعالج, وكان سلاحهم كخناجر قطاع الطرق.

إن في قولهم له: "إنك سامري" اعترافاً منهم, على غير قصد, بأن شخصية المسيح جامعة لشتات البدائع, تضم بين جوانبها أبعد المتناقضات, ويجتمع في باحتها الفسيحة, اليهودي بعدوه السامري.

عدد ٤٩-٥١. دفاع المسيح ضد هجومهم الأول – المسيح يكرم الآب

«أَنَا لَيْسَ بِي شَيْطَانٌ لَكِنِّي أُكْرِمُ أَبِي وَأَنْتُمْ تُهِينُونَنِي. ٥٠أَنَا لَسْتُ

(٨: ٤٩-٥١). في هذه الكلمات, تغاضى المسيح عن اتهامهم إياه بأنه "سامري"ودفع عن نفسه التهمة الثانية "بك شيطان", مفرغاً دفاعه في كلمات هادئة كالنسيم, قوية كأشعة الشمس, جميلة كالقمر. "إذا شتم ولم يشتم عوضاً وإذا تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل" (١ بطرس ٢: ٣٢). إن كلمات بطرس هذه, تلقي نورا ساطعا على دفاع المسيح هنا. وكان بطرس كتبها في نور هذا الدفاع المجيد, الذي سجله يوحنا. فالشطر الأول من كلمات بطرس: "إذا شتم لم يكن يشتم عوضاً", يفسر عدد ٥٠, والشطر الثاني: "وإذا تألم لم يكن يهدد. بل كان يسلم لمن يقضي بعدل", يفسر عدد ٥١.

يتضمن دفاع المسيح في هذا الأعداد: (أ) إنكاراً صريحاً, للتهمة الثانية التي وجهوها إليه: "أنا ليس بي شيطان". (ب) تقريراً ايجابياً عن غاية رسالته: "أنا أكرم أبي". إذا لم تكن كلمات المسيح السابقة, صادرة عن قلب مملوء من الغل نحوهم, ولا عن عقل جامح, إنما هي رسالة الآب وقد بلغها لهم بأمانة. فكان بذلك مكرماً الآب. (ج)وصفاً هادئاً لحقيقة كلامهم: "لأنتم تهينونني" تظهر شناعة خطيتهم هذه, من كونهم يهينون المسيح أثناء تأدية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وظيفته بتكريمه الآب. إن النبرة في كلام المسيح واقعة على كلمتي "أنا" و "أنتم",وعلى كلمتي"أكرم" و"تهينون". (د) تسامحاً سخياً: "أنا لست أطلب مجدي" (عدد ٥٠).وكأني به يقول لهم أما إهانتكم لي, فلا يعنيني أمرها, لأني ما جئت لأطلب مجدي, وإنما الذي

أَطْلُبُ مَجْدِي. يُوجَدُ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ. ٥١اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كلاَمِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ».

"يطلب مجدي ويدين" من يهينوني, هو الآب, واليه اسلم الأمر: "كان يسلم لمن يقضي بعدل". إن الآب قد مجد المسيح, بإقامته من الموت, واجلاسه على يمين العظمة في الأعالي. وقد دان اليهود بتأسيس إسرائيل روحي – الكنيسة المسيحية- بدلاً من إسرائيل العتيق, وبتسليمه اليهود لمرامي أعدائهم, الذين أخرجوا مقدسهم وشتتوهم في أرجاء المعمورة. (د) وعداً أكيداً "الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد". على ذكر الدينونة التي اختتم بها المسيح كلامه في العدد السابق (عدد ٥٠), لم يشأ أن يتركهم في ظلامها, ولا أن يختتم دفاعه بها, بل قصد أن ينقلهم من ظلامها إلى نور الحياة, فأراهم وسيلة النجاة من الدينونة, والتمتع بالحياة – وهي حفظ كلامه: "إن كان أحد يحفظ كلامي" – إن حفظ كلام المسيح معناه الانتباه إليه,وقبوله قبول حسناً,بدلاً من عدم اعتباره والعبث به(أنظر عدد ٣١). ويراد بـ "كلام" المسيح خلاصة وصاياه وروح تعاليمه. أما الوعد المقدم لمن يحفظ كلام المسيح, فقد أفرغه المسيح في كلمات صريحة قاطعة: "لن يرى الموت إلى الأبد" (قابل هذا مع ما جاء في يو ٣: ٣٦ ولوقا ٢: ٢٦ وعبرانيين ١١: ٥ وأعمال ٢: ٢٧و٣١و١٣: ٣٥ ورؤيا ١٧: ٧).إن الرؤية المقصودة بقوله: "لن يرى", يراد بها رؤية التفرس, والاختبار, التي هي بمثابة اختبار الموت في الموت. (تكوين ٢: ١٧و١١: ٢٦و٦: ٥٠).

٥٢فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «اَلآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بِكَ شَيْطَاناً. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالأَنْبِيَاءُ وَأَنْتَ تَقُولُ: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كلاَمِي فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ». ٥٣أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ. وَالأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ

عدد ٥٢و٥٣. هجومهم الثاني – موجه إلى المسيح في سلطته(٨: ٥٢و٥٣) سمع اليهود هذا الوعد الذي اختتم به المسيح دفاعه سالف الذكر. فبدلاً من أن يقبلوه قبولاً حسناً, ويتمتعوا بالبركة المتضمنة فيه: "إن كان احد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد", نراهم يكيلون الشتائم جزافاً لقدوس الله متهمين إياه بأنه يتقلد سلطة ليست له: "من تجعل نفسك؟".

لو كان المسيح قد قال لهم, انه لن يموت إلى الأبد, لكان قوله هذا عسر القبول لديهم. لأن إبراهيم أباهم, والأنبياء الذين هم موضوع إجلالهم وتقديسهم, قد ماتوا, أما وقد قال لهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح أنه صاحب السلطان في إعطاء الحياة الأبدية لكل من يحفظ كلامه, فلم يتمالكوا أنفسهم من أن يهرفوا بهذه الكلمات: "الآن علمنا أن بك شيطاناً. قد مات الأنبياء وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد. ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات والأنبياء ماتوا. من تجعل نفسك؟".

إن اليهود في احتجاجهم هذا, قد حرفوا كلمة رئيسية في وعد المسيح, فبدلوا كلمة: "يرى" (عدد ٥١), بكلمة: "يذوق" (عدد ٥٢). إن "ذوق كأس الموت"يراد به الموت الجسدي, ولكن "رؤية الموت" يراد بها

نَفْسَكَ؟» ٥٤أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أُمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئاً. أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ ٥٥وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ.

الموت الروحي. وواضح من عبرانيين٢: ٩, أن المسيح "ذاق"الموت, مع أنه لم ير الموت, أي لم يمت روحياً.

عدد ٥٤-٥٦. دفاع المسيح ضد هجومهم الثاني – المسيح يمجد الآب, وسلطانه مستمد منه.أجابهم المسيح في دفاعه عن هجومهم الثاني, بأن سر مديته, وأن السلطة التي بها يهب حياة لمن يحفظ كلامه, ليستا مستمدتين من سلطان اختلسه لنفسه اختلاساً, بل من المجد الذي أعطاه الآب إياه. وأن أباه ليس أجنبياً عنهم, فإنهم يقولون أنه إلههم". ومن المؤسف أن ادعاءهم هذا باطل لأنهم لا يعرفون الله الذي ينسبون أنفسهم إليه ظلماً وبهتاناً.

ما كان أشد وقع هاتين الكلمتين على مسامعهم: "ولستم تعرفونه", وهم الذين يدعون العلم بكل شيء. كان من الصعب جداً عليهم أن يسمعوا شخصاً ينسب إليهم عدم المعرفة بالناموس, أو بتفسيره, أو بتقليدات الآباء. أما أن يتهموا بأنهم لا يعرفون الله – فهذا شيء لا تطيقه طبائعهم المتكبرة, والمكابرة.

في الوقت الذي صارح فيه المسيح أولئك اليهود بأنهم لا يعرفون الله,

قرر لهم محققاً أنه هو "يعرفه ويحفظ قوله". ومن الملذ أن نذكر أن المعرفة في قوله عنهم: "تعرفونه" تعني المعرفة الاكتسابية التعليمية, مع أن المعرفة في قوله عن ذاته: "أنا أعرفه" تعني المعرفة المباشرة, العانية, الجوهرية, الذاتية.

وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِباً لَكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ. ٥٦أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ».

ولا يغرب عن بالنا أن المسيح لم يقرر لهم أنه يعرف الله, حباً في المقارنة بين جهلهم وعمله,وكفى, بل لأن تصريحه بهذه الحقيقة, قضت به ضرورة شهادته بكل الحق: "وإن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قلت أني لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً". لأن الكذب, لا ينحصر في إعطاء معلومات غير صادقة, وإنما هو أيضاً عدم التصريح بكل الحق. فالحق المبتسر, لا يختلف كثيراًَ, في نظر الله, عن الكذب الصراح.

إلى هنا جاوبهم المسيح عن سؤالهم: "من تجعل نفسك" (عدد ٥٣)؟.

وفي العدد الآتي (عدد ٥٦), جاوبهم عن سؤالهم "ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم" (عدد ٥٣)؟ فقرر لهم"أن أباهم إبراهيم تهلل بان يرى يومه فرأى وفرح".

جدير بنا أن نستوقف أنفسنا قليلاً, أمام هذا الإعلان الجليل, الخاص بنسبة المسيح إلى إبراهيم الخليل. لقد طرب إبراهيم متمنياً أن يرى يوم المسيح "فرأى وفرح". فالرؤية حصلت بالفعل – لا بالرجاء, ولا بالتوقع. وهي أيضاً حدثت لما كان إبراهيم بالجسد حياً – لا بعد ما خلع إبراهيم رداء الجسد وصار في عالم الأرواح. فالإشارة منصبة على الأوقات التي رأى فيها إبراهيم "ملاك يهوه" – "ملاك العهد" (اطلب تكوين ١٥: ٨و١٨: ١). ويجوز أن يكون قد رآه في نور المواعيد(عب ١١: ١٣) وفي ضوء ذبيحة اسحق, والكبش الذي وجده معداً لفدائه (تكوين ٢٢: ١٣).

٥٧فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» ٥٨قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ».

عدد ٥٧. هجومهم الثالث- موجه إلى المسيح في أزليته: "فقال له اليهود. ليس لك خمسون سنة بعد: أفرأيت إبراهيم"؟ هذه هي المرة الثانية التي حرفوا فيها كلمات المسيح. لم يقل لهم الفادي أنه رأى إبراهيم. بل أن إبراهيم رأى يومه(أنظر أيضاً عدد ٥٢).

إن قولهم له: " ليس لك خمسون سنة " لا يستدل منه شيء عن مقدار عمر المسيح وقتئذ, لأنهم لم يذكروا العدد ٥٠ إلا لكونه عدداً كاملاً, وعنده ينتهي دور الرجولة (عدد ٦: ٣). فكأنهم أرادوا أن يقولوا له: إنك لم تتم بعد دور الرجولة, فهل تحسب نفسك معاصراً لإبراهيم.

عدد ٥٨. دفاع المسيح ضد هجومهم الثالث. المسيح أزلي مطلق. هنا قرر لهم المسيح بلغة الواثق المطمئن, أنه أزلي: "قبل أن يكون إبراهيم, أنا كائن" (عدد ٥٨). ومن الأهمية بمكان عظيم أن نلاحظ الفرق بين صيغة الفعل الذي استعمله المسيح عن لإبراهيم: "يكون"وبين صيغة الفعل الذي وصف به نفسه: "كائن". فهو لم يقل: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت" وإنما قال "أنا كائن". فليس في سجل الزمن وقت لم يكن فيه المسيح كائناً.إن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الوقت الذي وجد فيه المسيح, لم يولد بعد على أحضان الزمن. فالمسيح هو رب الزمن لأنه أزلي, أبدي (١: ١).

٥٩فرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازاً فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا.

عدد ٥٩. خاتمة محزنة: لم يتلق اليهود هذه السهام المسددة إليهم, بصدرو رحبة, بل – كما عهدناهم - حنقين غضوبين, إذ لم يبق في قوس صبرهم منزع "فرفعوا حجارة ليرجموه". الآن قد تبلور كلامهم السابق وتحجر, وبهذه اللغة الحجرية الجامدة, أرادوا أن يقذفوا المسيح.هذه خاتمة محزنة دلت على الحالة النفسية التي وصلت إليها نفوسهم من الجمود والتحجر! قلوب حجرية بين ضلوعهم, ومواد حجرية في أيديهم.

وكم من "حجارة" يتناولها اليوم كثيرون, ليرجموا بها المسيح, في مدارس النقد الإباحي, وفي برية الشكوك وفيافي العلم الغبي, وظلمات العناد.فالحجارة هي, في كل عصر, جواب محبي الظلمة على ناشر النور.

ولكن إذا كانت الظلمة تجاوب النور بالأحجار على إطفاء النور؟ فهل إذا رجمت الشمس بالأحجار, كل صباح, تكف عن الإشراق, وهل عوى الذئاب بقادر أن يمنع جبار الفضاء عن المسير في فلكه؟!

"أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل, مجتازاً في وسطهم" – من غير أن يلجأ إلى معجزة خاصة – "ومضى هكذا".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تقسيم تفصيلي لبشارة يوحنا

من الأزل	المسيح يتجلى للعالم ص ١: ١٩ – ص ١٢	المسيح يتجلى لخاصته ص ١٣ – ١٧
(١) "الكلمة" فبل التجسد ١: ١ و ٢ (٢) صلة "الكلمة" بالخلق ١: ٣ – ٥ (٣) صلة "الكلمة" بالعالم الأزلي ١: ٦ – ١٨ (أ) بزرة عدم الإيمان ١: ٦ – ١١	إعداد الطريق لخدمة المسيح ١: ١٩ – ٢: ١١ (١) شهادة يوحنا المعمدان ١: ١٩ – ٣٤ (٢) شهادة التلاميذ الأولين ١: ٣٥ – ٥١ (١) طلائع المسيح ٢: ١٢ – ٤ – ٥٤ (٣) المعجزة الأولى٢: ١-١١ (١) في أورشليم ٢: ١٢ – ٣: ٣٦ (٢) في السامرة ٤: ١ – ٤٢ (٣) في الجليل: - العجزة الثانية ٤: ٤٣-٥٤ المعجزة الثالثة ٥: ١-٤٧ المعجزة الرابعة ٦: ١-١٥ المعجزة الخامسة ٦: ١٦-٤٠ (٢) قلب خدمة المسيح ٦: ٤١ – ص١١ (١) الإعلان الأول: "أنا هو خبز الحياة" ٦: ٤١ – ٧: ٥٣ (٢) الإعلان الثاني: "أنا هو نور العالم" ٨ (التمثيل لهذا النداء بحادثة الأعمى) المعجزة السادسة ٩ الإعلان الثالث "أنا هو الباب" ١٠: ١ – ١٠ الإعلان الرابع "أنا هو الراعي الصالح" ١٠: ١١ – ٤٢ المعجزة السابعة ١١: ١ – ٢٧ الإعلان الخامس: "أنا هو القيامة	(١) المحبة ١٣ و ١٤ (أ) خدمة المحبة ١٣ (ب) كلمات المحبة المشجعة ١٤ (١) الأمان "لا تضطرب قلوبكم" ١٤: ١ – ١٤ الإعلان السادس: "أنا هو الطريق والحق والحياة". (٢) اليقين "لا أترككم يتامى" ١٤: ١٥ – ٢٥. (٣) البهجة "سلاما أترك لكم" ١٤: ٢٦ - ٣١ (٢) الحياة ١٥ (١)الثبوت المتبادل ١٥: ١ – ١٠ الإعلان السابع: "أنا هو الكرامة " (٢) التلاميذ والمسيح ١٥: ١١ – ١٦ (٣) التلاميذ والعالم ١٥: ١٧ – ٢٧ (٣) النور ١٦ و ١٧ (أ) الروح القدس ١٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب) بزرة الإيمان ١: ١٢ ـ ١٨	والحياة" ١١: ٢٨ ـ ٥٠ (٣) خاتمة خدمة المسيح الجهارية ١٢ ثمرات الإيمان ١٢: ١ ـ ٣٦ ثمرات عدم الإيمان ١٢: ٣٧ ـ ٥٠	(١) الروح المبكت ١٦: ١ ـ ١١ (٢) الروح المعلم ١٦: ١٢ ـ ٢٤ (٣) الروح المعزي ١٦: ٢٥ ـ ٣٣ (ب) شفاعة رئيس الكهنة ١٧ (١) رئيس الكهنة والآب ١٧: ١ ـ ٥ (٢)رئيس الكهنة والعالم ١٧: ٦ ـ ١٩ (٣) رئيس الكهنة والكنيسة ١٧: ٢٠ ـ ٢٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصليب ص ١٨ و ١٩	إلى الأبد ص ٢٠ و ٢١
(١) ظل الصليب ١٨ – ١٩: ١٦ أ) البستان ١٨: ١ – ١١ (ب) المحاكمة الدينية ١٨: ١٢ – ٢٧ (حـ) المحاكمة السياسية ١٨: ٢٨-١٩: ١٦ (٢) الصليب ١٩: ١٧ – ٣٠ (أ) الشروع في الصلب ١٩: ١٧ – ٢٢ (ب) شهود الصلب ١٩: ٢٣ – ٢٧ (حـ) تنفيذ الصلب ١٩: ٢٨ – ٣٠ (٣) ما وراء الصليب ١٩: ٣١ – ٤٢ (أ) الاستعداد للدفن ١٩: ٣١ – ٣٧ (ب) طلب أحبائه ١٩: ٣٨ و ٣٩ (حـ) إتمام الدفن ١٩: ٤ - ٤٢	(١)النور ٢٠: ١ – ٣١ القبر الخالي ٢٠: ١ – ٣١ شهادة مريم شهادة يوحنا شهادة بطرس شهادة التلاميذ عدا توما شهادة التلاميذ وتوما (٢) "المحبة أقوى من الموت" ٢٠: ١ – ١٤ (٣) الحياة الأفضل ٢١ العرش الممتلىء ٢١: ١٥ - ٢٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٥- جاء في التلمود – قسم السبت – الفصل الثاني: "كان آدم الأول نور العالم".

٦- يقول أغسطينوس: "النور يكشف المرئيات, ويفتح العيون السليمة, وهو خير شاهد لنفسه".

٧- توضيحاً لهذا القول, نستعير من التاريخ حادثة, من قبيل القياس مع الفارق. في عام ١٦٦٠م. تجرأ واعظ اسمه هدنجر Hedinger فوبخ حاكم بلاده على خطية خاصة فثارت ثائرة ذلك الرجل واستدعى الواعظ أمامه ليحاكمه ويوقع عليه قصاصاً مريعاً. وبعد صلاة عميقة ظهر الواعظ أمام الحاكم وعلى وجهه مسحة ملائكية. فتفرس فيه الحاكم متأملاً وقال: "يا هدنجر ألم أوصك أن تظهر أمامي وحدك"؟أجابه الواعظ: "عفواً!فقد جئتك وحدي كما أمرت". فظهرت على ملامح الحاكم علائم الاضطراب والارتباك كأنه رأي شخصاً غريباً في معية هدنجر, وقال فزعاً: "ولكنك لست وحدك يا هدنجر". أجابه الواعظ كل ثبات: "إذا كان إلهي قد سر بأن يضع في معيتي ملاكاً من حرسه الأعلى, فما علب إلا أن أشكره تعالى". فتاب الوالي عن شره, واعتذر للواعظ!

٨- يميل بعض المفسرين مثل هنجستنبرج إلى إبدال حرف "في" بحرف الباء في الترجمة فيقولون "وتموتون بخطيتكم" أي بسببها.

٩- ذهب أحدهم إلى متحف خاص وهناك رأى صورة فنية أثرية معروضة في إحدى قاعاته. فهزأ من تلك الصورة وسخر بها. وأخيراً جاءه الرقيب ومس في أذنه قائلاً: "احترس لأن هذه الصورة ثمينة نادرة وقد وضعت هنا لتحكم على أذواق الناس!".

١٠- يعتقد جودي أن يوماً أو بعض يوم توسط بين عددي ٣٠ و ٣١,

١١- يعتقد يوحنا فم الذهب وأغسطينوس أن المسيح إنما قصد نفسه بقوله "والحق يحرركم".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المعجزة السادسة: المسيح يرى الأعمى. والأعمى يرى المسيح

اَلأَصْحَاحُ التَّاسِعُ

هذا فصل جليل, عامر بالعظات والعبر. فيه شقاء وشفاء, فيه عذاب وعزاء, فيه دموع وابتسام, فيه شك ويقين –كذلك الحياة. فالشقاء, والعذاب, والدموع مرتسمة على جبين الأعمى. والشك يختلج في قلوب التلاميذ.

في هذا الفصل نرى ظلام البصر متمثلا في شخص ذلك البائس, الذي ولد أعمى. وظلام البصيرة متجسداً في الفريسيين, فتفيض عيوننا بالدموع. لكننا إذ نرى نور الأبصار والبصائر متأنساً في شخص المسيح الذي قال: "أنا هو نور العالم", يغلب علينا الفرح, والرجاء, والابتسام.

هذا فصل مطبوع بالطابع المزدوج الذي دمغت به كل بشارة يوحنا – تدرج في الإيمان بالمسيح, وفي الشهادة للاهوته, يرافقه تدرج في عدم الإيمان به.

فالتدرج, نلمسه في إيمان الأعمى: - في أول درجات إيمانه, قال عن المسيح: "إنسان يقال له يسوع" (عدد ١١), وسرعان ما ارتقى إيمانه, درجة أخرى حتى قال: "إنه نبي" (عدد ١٧), ثم تطور إيمانه متسامياً حتى قال فيه: "إنه الرسول الكامل الفرد" (عدد ٣٢و٣٣). وأخيراً تدرج إيمانه متصاعداً حتى قال فيه: "ابن الله" (عدد ٣٧). وما هي إلا لحظات حتى تطور إيمانه فأضحى عبادة (عدد ٣٨).

وأما الشهادة للاهوت المسيح, فإننا نراها مدعمة ببراهين لا تدحض. لأن المعجزة الناطقة بهذه الشهادة, لم تجر في الخفاء, بل على مرأى ومسمع من جوه اليهود الرسميين, فاعترفوا صراحة بصدق المعجزة (٩: ١٥و١٦), واعترفوا ضمناً بصحة رسالة المسيح (٩: ٣٤).

هذا أصحاح جميل, فالمسيح هو أول من نرى فيه. وهو آخر من نودع.

ينقسم هذا الإصحاح إلى ثلاثة أقسام: أولاً: الوضع التاريخي للمعجزة (٩: ١-٥) ثانياً: قلب المعجزة (٩: ٦و٧). ثالثاً: نتائج المعجزة (٩: ٨-٤١): (أ)موقف الجيران (٩: ٨-١٢). (ب) موقف الفريسيين (٩: ١٣-٣٤) (ج) موقف المسيح: (٩: ٣٥-٤١).

أولاً : الوضع التاريخي للمعجزة (٩: ١-٥)

يرتبط هذا الفصل بالفصل الماضي, ارتباطاً وثيقاُ, فكلاهما موعظة مبنية على قول المسيح: "أنا هو نور العالم" (٨: ١٢و٩: ٥). والفرق بينهما هو, أن الفصل الماضي هو موعظة أفرغت في قالب كلام. وهذه المعجزة, موعظة تمثلت في إنسان. الفصل الماضي معجزة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحكمة, وهذه المعجزة آية العمل. تلك موعظة في دائرة الروح, وهذه موعظة في منطقة الحياة العملية. تلك موعظة موجهة إلى "مدينة نفس الإنسان" عن طريق السمع فقط. وهذه موعظة موجهة إليها عن طريق السمع, والبصر, واللمس.

في إحدى المعجزات الاختيارية التي أجراها المسيح إجابة لداع في قلبه. فلم يسترحمه الأعمى, وإلا استعطفه التلاميذ- وكذلك كل المعجزات المدونة في يوحنا- ما عدا واحدة (٤: ٤٧). بل هذه إحدى المعجزات

١وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى

التي تفرد بذكرها يوحنا البشير.وهي الثانية بين المعجزات التي أجراها المسيح في اليهودية حسب رواية يوحنا. وهي إحدى المعجزات التي سبق العهد القديم فأنبأ بحدوثها في العصر المسيحي: "وتنظر من القتام والظلمة عيون العمى" (إش ٢٩: ١٨), بل هي أولى المعجزات التي تحدث عنها المسيح مع رسولي المعمدان: ". . . . العمي يبصرون" (متى ١١: ٥).

ومن الأمور التي تستدعي الالتفات, أن المعجزات التي أجراها المسيح لشفاء العمي, أكثر من معجزاته التي أجراها في أي مرض آخر. فالإنجيل يعرفنا أن المسيح, مرة واحدة شفى أعقد أصم. ومرة واحدة أيضاً شفى مفلوجاً, ومرتين أبرأ أبرصاً, وثلاثة مرات أقام ميتاً, وأربعة مرات فتح عيون عميان.

أولاً : الوضع التاريخي لهذه المعجزة (٩: ١-٥),. في هذا الوضع التاريخي, نرى: (١) الظرف الذي تمت فيه: "وفيما هو مجتازاً رأى إنساناً". (٢)الإنسان الذي صارت فيه آية الشفاء: "إنسان أعمى منذ ولادته" (عدد ١) . (٣) المشكلة الفلسفية التي سبقتها(عدد ٢-٥).

عدد ١. (١) الظروف التي تمت فيه المعجزة "وفيما هو مجتاز رأى إنساناً" هذه حلقة الاتصال التي تربط الفصل الماضي بالفصل الآتي فكلاهما موعظة مبنية على كلمة المسيح: "أنا هو نور العالم".الفصل الماضي ينتهي بالقول: "أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا". ويبتدىء هذا الفصل بقوله :"وفيما هو مجتاز رأى"

إِنْسَاناً أَعْمَى

فالحادثتان يربطهما معاً زمن قصير[١]. ويعتقد جودي أن هذا الزمن القصير قد يمتد إلى بضع ساعات . فإذا كانت الحادثة الأولى قد تمت في الصباح, فإن الثانية قد وقعت قبيل الغروب ذلك اليوم عينه. لأن نغمة عددي ٤و٥, تتفق وساعات الغروب. على أنه ليس من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الضروري أن نستنتج أن المشهد المذكور في الإصحاح التاسع, حدث حالاً بعد المشهد الذي ودعناه في الإصحاح الثامن. لأن سؤال التلاميذ للمسيح (عدد ٢), لا يتفق والحالة النفسية التي يكون عليها قوم قد نجوا حالاً من بين أفواه الأسود.

غالباً جداً, كان ذلك الأعمى جالساً يستعطي عند مدخل الهيكل (أعمال ٣: ٢)أو عند أحد أبواب أورشليم .(وفيما هو مجتاز رأى إنسان) – إذاً كانت هذه العبارة تربط مشهد الإصحاح الماضي بمشهد هذا الإصحاح, فهي أيضاً تفتح بوناً شاسعاً بين روح المشهدين. في الإصحاح الثامن رأينا مشهد البشرية العمياء العنيدة – ممثلة والفريسيين- ثائرة على فاديها ومخلصها, فرفعت حجارة لترجمه. وفي الإصحاح التاسع نرى الفادي مشفقاً على البشرية العمياء, البائسة – ممثلة في المولود أعمى – ففتح عينيها لتتمتع بالنور والحرية. فما أكبر جرن الإنسان , وما أجمل تسامح الفادي. وما أشد قدرته إذ يقابل الرجل بالأحجار, بمعجزة رحمة من أجل معجزاته!

مُنْذُ وِلاَدَتِهِ

(٢)الإنسان الذي صارت فيه آية الشفاء: "إنسان أعمى منذ ولادته". أي مشهد في الوجود أكثر إيلاماً من هذا: "إنساناً أعمى منذ ولادته". في كل الصلبان التي توضع على أكتاف البشر لا يوجد أثقل من العمى. فالكلمة نفسها مكروهة يمجها السمع. وهل في العالم مصور يستطيع أن يرسم آلام من يولد أعمى؟! إن عاهته هذه تفصله عن المجتمع البشري كما لو كان في جزيرة نائية, بل تحسبه في عالم مستقل بذاته تسود فيه الظنون السيئة, والأفكار المظلمة, والشكوك المتضاربة, فهو محروم من اتسام الزهور, وبهاء الشمس, وجمال القمر, وكنوز الكتب, ومرح الأطفال.

"وفيما هو مجتاز رأى إنسان" – قد يظهر لنا أن رؤية المسيح للأعمى جاءت عن طريق المصادفات. والحقيقة انه لا يوجد شيء اسمه "مصادفات" في برنامج العناية. وإنما ما نحسبه مصادفات في أعمال العناية ليس سوى ترتيبات في برنامج الرحمة الإلهية, التي أوحت للمسيح أن يسلك هذا الطريق حيث كان الأعمى جالساً يستعطي.

"رأى إنساناً" – غير المسيح ينظر المسيح إلى العمى فلا يرى فيه سوى كتلة مهملة من سقط المتاع, لكن المسيح نظر إلى الأعمى فرأى فيه إنساناً "من أجل ذلك لم يمر به,كما يمر غير الكرام, بل اعتنى به عناية الإله الرحيم محب الأنام".

٢فَسَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا

عدد ٢. (٣) مشكلة فلسفية (٩: ٢-٥).(أ) سؤال التلاميذ (عدد ٢) (ب) جواب المسيح (عدد ٣-٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(أ) سؤال التلاميذ (عدد ٢). عجيب أن هؤلاء الصيادين يلهون بالمشاكل الفلسفية عن أعمال الرحمة,في وقت ينشغل فيه رب الحكمة والعلم, عن كل فلسفة كلامية, بأعمال الرحمة الإلهية, ربما في هذا برهان على أن أكثر الناس رغبة في إثارة المشاكل اللاهوتية الفلسفية, ليسوا هم أوسع الناس عقولاً, بل أضيقهم قلوباً. فوا رحمتاه على القرون الطويلة التي سبقتها الكنيسة في المجادلات الكلامية وانصرفت بها عن المشرعات التبشيرية الجليلة!

من الاعتقادات التي كانت شائعة بين اليهود وغيرهم وقتئذ, أن الآلام تحل بالإنسان عقاباً على خطايا معينة (سفر أيوب وأعمل ٢٨: ٤ ولوقا ١٣: ١-٥). وبما أن التلاميذ فهموا أن هذا الرجل كان أعمى منذ ولادته – سواء منه أو من أحد القريبين منه- أرادوا أن يرجعوا بعلة مرضه إلى مصدر من اثنين إما: (١) إلى خطية ارتكبها هو: "من أخطأ. هذا"؟ على اعتبار أن أرواح البشر كانت عائشة قبل حلولها في الأجساد, وأنها ارتكبت خطأ في وقت سابق لتجسدها: (أنظر سفر الحكمة[٢] ٨: ٢٠) وكان هذا الاعتقاد

أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» ٣أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ

متغلغلاً في كتاب الرابيين. فضلاً عن ذلك, فإن فكرة تناسخ الأرواح, لم تكن غريبة عن هاتيك الأيام (أنظر أيضاً تك ٢٥: ٢٢ ومزمور ٥١: ٧) . أو (٢) إلى خطية ارتكبها أبواه :"أم أبواه". ولعل هذا الاعتقاد مؤسس على ما فهموه من قول الله في الخروج ٢٠: ٥ "أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء". وبما أن التلاميذ لم يكونوا مقتنعين بأحد هذين الحلين, نظراً للصعاب التي تحيط بكل منهما: فالأول عسير والكلام فيه كثير, والثاني يتنافى ظاهره مع عدالة الله, لذلك التجأوا إلى المسيح ليحل لهم هذه المشكلة القديمة المجددة: -مشكلة "علة البلايا". وربما شجعهم على اعتقادهم بأن المرض مرتبط بالخطية, ذلك الكلام الذي حذر به المسيح مريض بركة حسدا (٥: ١٤) .

عدد ٣. (ب)جواب المسيح(٩: ٣-٥). إن إجابة المسيح على التلاميذ تعتبر المثل الأعلى لأسلوب الحكيم. لأنه لم يقتصر في كلامه على الإجابة عن سؤال التلاميذ, بل تعداه إلى ما هو أسمى وأجل, فرفع عقول التلاميذ وقلوبهم, من التفكير في أصل الشر, إلى التأمل في الخير الأعظم, إذ حدثهم عن: (١)قصد الله السامي في السماح بالمصائب(عدد ٣). (٢) الرسالة المعجلة المسلمة إلى المسيح(عدد ٤). (٣) طبيعة رسالة المسيح(عدد ٥).

(١) قصد الله السامي في السماح بالمصائب: "لا هذا أخطأ ولا أبواه"

لم يقصد المسيح بجوابه هذا, أن ينفي عن الأعمى, ولا عن أبويه, تهمة ارتكاب الخطية, وإنما أراد أن ينفي الصلة التي ظنها التلاميذ قائمة بين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَلاَ أَبَوَاهُ لَكِنْ لِتَظْهَرَ

عمى الرجل وبين خطيته, أو خطية أبويه. لأن قول المسيح: "لا هذا أخطأ ولا أبواه",تكمله جملة محذوفة تقديرها(". . . أكثر من غيره حتى ولد أعمى").

فمع أن البلايا بوجه عام, دخلت من الباب الذي دخلت منه الخطية, ومع أن الأمراض يرسلها الله تأديباً على خطايا خاصة, إلا أنه لا يستنتج من هذا بالضرورة. أن كل مرض جاء نتيجة خطية معينة. وغلا فلماذا يتألم الأبرار, وينعم الأشرار؟

كان جل قصد المسيح في هذا العدد, أن يحول اتجاه أفكار التلاميذ من التوغل في مجاهل البحث عن الشر وظلماته, إلى التأمل في مقاصد الله السامية, التي تسيطر على الشر, وتتخذ منه فرصة لعمل الخير والرحمة: "لكن لتظهر أعمال الله فيه". كان قصد هذا المعلم الأعظم, كقصد معلم مدرسة, يريد أن يحول أنظار التلاميذ عن الانشغال باللوحة السوداء التي في غرفة الدراسة, إلى جمال الكتابة البيضاء المسطرة عليها.

مهما يكن من أمر الشر, فإن يد الله مسيطرة عليه. فلولا الضعف لما وجدت فرصة للرحمة. ولولا الفقر لما أتيحت فرصة للإحسان. ولولا الشر لما وجد مجال للغفران التام. فبدلاً من التأمل في أسرار الشر فنفشل, ينبغي لنا أن نتأمل في مقاصد الله المرتبة التي "تظهر" لنا تدريجياً على لوحة البلايا. ويكفينا أن نذكر "أن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً" (يعقوب ١: ١٣).

أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ. ٤يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي

على أنه لا يستفاد من هذا, أن المسيح أراد أن يسد أمامنا سبل المباحث اللاهوتية, إذ لا يعقل أن من أوصانا أن نحب الرب إلهنا من كل عقولنا, يمنع عنا لذة البحث الفكري. فالمباحث الفلسفية جميلة – ولكن على شرط أن تكون في مكان درس هادىء, ولكن ما أقبحها في وجود ذلك البائس المولود الأعمى. إن وجود الأعمى ينبغي أن يثير عطف القلوب لا فلسفة العقول.إذ ما رأى أحدهم النار مشتعلة في مكان ما, فإن أول واجب عليه, أن يسعى في إطفائها. لا أن يقف جانباً يبحث عن أسبابها. وإذ ما لمح أحدهم غريقاً, فإن أوجب ما عليه, أن يجري لإنقاذه لا أن يقف مستمعاً لمحاضرة عن ثقل الماء النوعي, أو عن أسباب تيارات البحار.

إننا نزداد قرباً من الله, لا بعدد المباحث الفلسفية التي نضيفها إلى قائمة مباحث الأولين, بل بعدد الويلات التي نخففها والدموع التي نجففها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٤. (٢) الرسالة المعجلة المسلمة إلى المسيح: "ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار . . " إن حلقة الاتصال بين هذا العدد وبين سابقه, هي كلمة: "أعمال": "لكي تظهر أعمال الله فيه . . ". "ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني". فالبلايا بأنواعها, فرصة تظهر فيها أعمال الله, لكن المسيح هو العامل الفعال في إظهارها. ولولاه لأصبحت البلايا فرصة يظهر فيها إبليس أعماله بإيقاعه بالناس في الشكوك والتجاديف. (١ بطرس ٥: ٨و٩). هذه هي الرسالة المعجلة, التي قبلها المسيح مختارة

مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. ٥مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا

وكان يدفعه على التعجيل بها عاملان أحدهما: داخلي, وهو التزام الأدبي الذي فبله على نفسه, بحق نسبته إلى الآب "ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني". هذا تطوع الابن المختار, الذي قبل إرادة أبيه, فامتزجت بعصارة حياته, وأصبحت لذاته الخالدة: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله" – (إذا أردت المزيد من الإيضاح فاطلب شرح بشارة لوقا صفحة ٢٤٣). والعامل الثاني – خارجي وهو قصر الوقت: "ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل". ربما كان المسيح في ذلك الوقت, ناظراً إلى الشمس وهي تتهيأ للغروب, فكان غروب شمس النهار الطبيعية, رمزاً لغروب شمس حياته على الأرض, وراء أفق الصليب والقبر (٨: ٢١). فمع أن اليوم كان "سبتاً": إلا أنه لا يستطيع أن يترك فيه فراغاً إلى اليوم التالي.

عدد ٥. (٣) طبيعة رسالة المسيح: "ما دمت في العالم فأنا نور العالم". كما أن شمس الطبيعة تنير العالم مدة إشراقها عليه, كذلك "شمس البر", هو نور الأبصار والبصائر. هذه لغة الواثق من جلال رسالته, وسموها, ونفعها. فهل يجسر شخص غير المسيح أن يتفوه بمثلها؟ على أنه لا يغرب عن أذهاننا أنه وإن كان المسيح قد ارتفع بجسده عن العالم, لكنه لا يزال بشخصه وروحه في العالم, فهو إلى اليوم في العالم, وإلى اليوم هو نور العالم. فلئن كانت هذه الكلمات, تحمل معنى خاصاً لوقت خاص, إلا أن معناها

فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ».٦قَالَ هَذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً وَطَلَى

الأكمل يضم بين ذراعيه مدة تجليات المسيح قل التجسد حتى يأتي ثانية. وهو الآن في المجد يتمم ما قد أكمله على الأرض.

إذا ألقينا نظرة إجمالية إلى هذه الثلاثة الأعداد, المتضمنة جواب المسيح (عدد ٣و٤و٥), وجدنا أن أولها (عدد ٣) يحدثنا عن رحمة المسيح الفائقة نحو البشر. وثانيها (عدد ٤), يكلمنا عن ولائه التام للآب. وثالثها (عدد ٥) يكشف لنا عن ثقته التامة بجلال شخصه, وجمال رسالته وعظيم نفعها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: قلب المعجزة (٩: ٦و٧)

في هذين العددين تمت المعجزة الجليلة التي هي محور الأصحاح كله. وفيها يينا البشر: (أ) ما عمله المسيح: "تفل على الأرض . . " (عدد ٦) (ب) ما قاله المسيح: "وقال له اذهب واغتسل . . ". (جـ) ما عمله الأعمى: "فمضى واغتسل". (د) ما ناله الأعمى: "وأتي بصيراً". هذه هي الدرجات الأربع التي ارتقت عليها هذه المعجزة: فعلاً, فوصية, فطاعة, فشفاء.

عدد ٦. (أ) ما عمله المسيح: "قال هذا وتفل على الأرض . . ". إن حرف الواو السابق لكلمة "تفل" يفيد أن فعله المسيح, كان تطبيقاً عملياً لما قاله في الأعداد السابقة[٣] . هل قام المسيح بهذا العمل المثلث الكامل – "تفل. صنع. طلى" – ليعين إيمان الرجل الأعمى, بهذا العمل المادي الذي يعتبر بمثابة جسر, يلتقي عليه إيمان الأعمى بقوة الفادي؟ أو لكلي يحمل قوة

وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. ٧وَقَالَ لَهُ: «ٱذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ».

الشفاء إلى الأعمى عن طريق حاسة اللمس, بعد أن حرم حاسة البصر, فحرم معها رؤية نظرات المسيح, ورحمته, المرتسمة على جبينه الوضيء (مر ٧: ٣٣؛ ٨: ٢٣)؟ أو لأن المسيح, هو ذات الخالق الذي سبق فجبل ذلك الإنسان من طين (تك ٢: ٧), فأراد أن يكمل ما نقص منه بقطعة من ذات الطين الذي منه جبله؟ أو أو لأن الفادي ستر عمي الرجل الطبيعي بحجاب كثيف من الطين, ليعطي فرصة لعينيه حتى تتفتحا تدريجياً للنور؟أو أن المخلص غطى عمي الرجل الطبيعي, بغلاف من العمي الصناعي. ليكسب معجزة الشفاء قوة مضاعفة (١ مل ١٨: ٣٤)؟ أم أن المسيح المرسل من الآب, أراد أن يدخل الماء"عين سلوام[٤]", في عملية الشفاء. لينتقل بالرجل وبمشاهدي معجزة الشفاء, من الرمز إلى الحقيقة, فيكشف لهم أن بركة سلوام التي كان يستقي منها المعيدون ماء للعيد, ليست إلا رمزاً للمسيح – فـ "سلوام" معناها"مرسل" والمسيح حدثنا عن نفسه, إنه بعمله هذه المعجزة, إنما جاء ليعمل أعمال الذي أرسله (عدد ٥)؟؟ أم أن طبيب الأرواح, قصد أن يضيف إلى قوته الاعجازية, وسيلة طبيعية للشفاء. لأن التفل كما أعتقد الرابيون كان ضمن وسائل شفاء العيون وقتئذ؟ (أنظر تاريخ تاسيتوس ٤: ٨١)؟ أم كانت كل هذه الأسباب – أو بعضها- مجتمعة معاً؟؟

عدد ٧. (ب) ما قاله المسيح: "وقال له اذهب واغتسل ببركة سلوام". لقد أمره المسيح بهذا, ليقوم له فرصة, يظهر فيها إيمانه بالطاعة.

الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ. فَمَضَى وَاغْتَسَلَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فإذا كانت قوة المسيح, وهي العامل الأساسي في الشفاء, فإن إيمان الرجل هو اليد التي تقبل الشفاء, وإن طاعته هي برهان إيمانه. وكذلك قيل عن البرص العشرة: "وفيما هم منطلقون طهروا" (لوقا ١٧: ١٤), وعن الرجل الذي كانت يده يابسة: "فمدها فعادت صحيحة" (مرقس ٢: ٥).

" الذي تفسيره مرسل" – هذه جملة تفسيرية من كلام البشير. بركة سلوام واقعة عند ملتقى وادي يهوشافاط بوادي ابن هنوم, وتغذيها قناة صغيرة, منحدرة من "نبع العذراء" في وادي يهوشافاط. فالكلمة "مرسل" قد تكون صفة لماء عين سلوام, أي أنه ماء آت أو مرسل, من مكان بعيد. ومن المحتمل أن تكون صفة للعين نفسها, باعتبار أنها "هبة" مرسلة من الله. وهذا قريب من الاعتقاد السائد في الشرق, إن عيون الماء هبة مرسلة من الله. ومهما يكن من أمر تسميتها بهذا الاسم, فإن بركة سلوام كانت رمزاً إلى المسيح.

ويغلب على اعتقادنا, أن المعنى الرمزي الذي تحمله "مياه سلوام", يرجع تاريخه إلى العهد القديم (إشعياء ٨: ٦و٧), حيث يقابل النبي بين مياه شيلوه الهادية المنسابة من تحت أقدام الهيكل, رمزاً للخلاص الذي يأتي به مسياً, وبين المياه القوية والكثيرة – مياه نهر الفرات – التي كانت رمزاً للقوة الطبيعية الغشومة.

(ج) ما عمله الأعمى: "فمضى واغتسل" – هذا هو الإيمان العامل

وَأَتَى بَصِيراً. ٨فَالْجِيرَانُ

باطاعة. "وأتي" – هذه أولى ثمرات الإيمان العامل بالشكر. لأن الرجل أتي إلى المكان الذي فيه وجده المسيح, ليقدم له الشكر على الشفاء, فلم يجده. لأن المسيح كان "مجتازاً". ومما يلذ لنا ذكره عن المرتين اللتين التقى فيهما المسيح بالأعمى – أولاهما قبل الشفاء (عدد ١), وثانيتهما بعد الشفاء (عدد ٣٥), إن الأعمى لم يسع إلى المسيح, وإنما المسيح سعى إليه. في المرة الأولى رآه المسيح. وفي المرة الثانية, وجده المسيح. هذه حجة مزدوجة, تشهد بصدق قول يوحنا: "في هذا هي المحبة. ليس لأننا نحن أحببنا الله بل لأنه هو أحببنا" . . "ونحن نحبه لنه هو أحبنا أولاً" (١ يو ١٠: ١٩).

(د) ما ناله الأعمى: "وأتي بصيراً". هنا نمسك القلم عن وصف السرور الذي ملأ قلب هذا الذي كان أعمى منذ ولادته, ونترك المجال للقارىء حتى يصور لنفسه, بعض هذا الفرح "الذي لا يعبر عنه ومجيد".

ثالثاً: نتائج المعجزة (٩: ٨-٤١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(أ) موقف الجيران (٩: ٨-١٢). (ب) موقف الفريسيين (٩: ١٣-٣٤). (ج) موقف المسيح (٩: ٣٥-٤١).

(أ) موقف الجيران(٩: ٨-١٢). رجع الرجل من بركة سلوام التي لم تبعد كثيراً عن الهيكل, ليقدم الشكر للمسيح, ولما لم يجده في المكان الذي فيه شفاه – لأن المسيح كان قد مضى وعر – رجع إلى بيته. وهنا يصف البشير موقف الجيران وصفاً بليغاً ببساطته, سامياً بدقته. فإذا ألقينا

وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلاً أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى قَالُوا: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟» ٩آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ».

نظرة عامة على هذه الأعداد, رأينا فيها: (١) وصفاً لموقف الجيران قبل أن يسمعوا شهادة الرجل الذي تمت فيه آية الشفاء (٩: ٨و٩) (١وب). (٢)موقفهم بعد أن سمعوا شهادته (٩: ١٠و١٢). أما شهادته, فلها جانبان أحدهما عن نفسه: "أنا هو"(٩: ٩(ج)). وثانيهما عما كان يعتقد به وقتئذ عن المسيح (٩: ١١و١٢(ب)).

إن تأثرت الجيران, قبل استماعهم لشهادة الرجل الذي تمت فيه المعجزة ترينا:(أ) أن الجنس البشري واحد في جميع الأجيال, فما أسرع الناس إلى التقولات والاستنتاجات, قبل أن يستمعوا لشهادة صاحب الشأن نفسه.(ب) إن الطبائع البشرية متنوعة على قدر تنوع استعداد كل شخص. وإليك بعض هذه الأنواع:

عدد ٨. النوع الأول – المتعجبون: "فالجيران والذين كانوا . . قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي" – في هذا العدد. أنبأنا البشير بمهنة ذلك الرجل بل شفائه: "يستعطي".

عدد ٩. النوع الثاني – المصدقون: "آخرون قالوا هذا هو" (٩(١)). النوع الثالث – المتشككون: "وآخرون إنه يشبهه" (٩(ب)). وهنا نأتي إلى إقرار الرجل. فإذا به إقرار مختصر, واضح, يقيني, جريء: "أنا هو". لعل تضارب آرائهم, يعزى إلى الفرق العظيم بين

وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ». ١٠فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟» ١١أَجَابَ: «إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِيناً وَطَلَى عَيْنَيَّ وَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ سِلْوَامَ وَاغْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ». ١٢فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ ذَاكَ؟»

صورة الرجل في عماه وعبوسته, وبؤسه, ويأسه, وبين صورته بعد الشفاء وقد ارتسم على محياه السرور والرجاء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٠. استجواب واستيضاح. من هنا انتقل موقف الجيران, من التعجب والتحير, إلى الاستجواب والاستيضاح: فقالوا له: "كيف انفتحت عيناك". من الأهمية بمكان, أن نذكر أنهم لم يسألوه عن حقيقة المعجزة, بل عن كيفية اتهامها. مثلهم مثل نيقوديموس حين قال: "كيف يمكن أن يكون هذا"؟ هذا موقف الإنسان الطبيعي على ممر الأجيال: "كيف"؟

عدد ١١. مطلع شهادة الرجل. في هذا العدد, سجل الوحي شهادة الرجل منذ بداءتها. هذه ألف باء الشهادة للمسيح: "إنسان يقال له يسوع". فمع أن عيني الرجل الطبيعيتين قد انفتحتا بالتمام, إلا أن عينيه الروحيتين لم تنفتحا إلا تدريجياً. ومهما يكن من بساطة هذه الشهادة, فهي إلى هذا الحد مقبولة. لأن الإخلاص يحدوها, والشكران ينطق بها, والبساطة تدعمها. ومما لا شك فيه, أن المسيح يزيد النور تدريجياً لمن يكون أميناً للنور خطوة خطوة.

عدد ١٢. (١) سؤالهم: "فقالوا له أين ذاك"؟ الآن قد أصبح

قَالَ: «لاَ أَعْلَمُ». ١٣فَأَتَوْا إِلَى

المستفهمون باحثين. فمن سؤالهم عن كيفية إتمام المعجزة, أضحوا باحثين عن المسيح. ومن بحثهم عن الكيفية, صاروا باحثين عن الحقيقة, بل باحثين عن الحق نفسه: "أين ذاك".

إن فريقاً كبيراً من هؤلاء السائلين, كان مدفوعاً في سؤاله بذات الباعث, الذي دفع هيرودس إلى أن يقول للمجوس: "اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي" (مت ٢: ٨).

(ب) جوابه: "لا أعلم" – هذا جواب قاطع كالسيف, خاطف كالبرق. هذا جواب تمتزج فيه البساطة, والأمانة, بالجرأة, والحكمة. . فالبساطة ظاهرة من سهولته, والأمانة واضحة من كون الرجل لم يدع فوق ما يعلم. والجرأة برزت في عدم استحيائه من قوله: "لا أعلم". أما الحكمة فقد تجلت في علمه بالحد الذي ينتهي عنده علمه. هذه دليل على أنه كان عارفاً بالأمور التي يعلمها. بخلاف من يزج بنفسه في كل شيء ويتخبط في مجاهل الحقائق وهو لا يدري ما يعلم مما لا يعلم.

(ب) موقف الفريسيين (٩: ١٣-٣٤). هذا دور تحقيق واستجواب كما لو كانت المعجزة جريمة ارتكبت, لا نعمة منحت. في هذا الدور ترتسم أمامنا صورتان متقابلتان: إحداهما تمثل دركات الانحطاط التي هوى إليها عدم إيمان الفريسيين (عدد ٦و٢٤و٣٤) والثانية تمثل درجات النمو التي ارتقى إليها إيمان الرجل الذي تمت فيه معجزة الشفاء (عدد ١٧,٣٠و٣٨).

الْفَرِّيسِيِّينَ بِالَّذِي كَانَ قَبْلاً أَعْمَى. ١٤وَكَانَ سَبْتٌ حِينَ صَنَعَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقع هذا الدور في ثلاث حلقات: (١) الفريسيون يستجوبون الرجل (٩: ١٣-١٧) ۰ (٢) الفريسيون يواجهون الرجل بأبويه (٩: ١٨-٢٣). (٣) الفريسيون يعيدون استجواب الرجل (٩: ٢٤-٣٤)۰

عدد١٣. (١) الفريسيون يستجوبون الرجل(٩: ١٣-١٧) ۰"فأتوا إلى الفريسين . . "- في العدد الماضي, تركنا أولئك "الجيران" ,يبحثون عن المسيح. والآن –وقد عز عليهم أن يهتدوا إليه – أمسكوا بالرجل الذي تمت فيه عملية الشفاء, وأتوا به إلى الفريسين, ليتعرفوا رأيهم في أمره, وفي طبيعة شفائهٍ العجيب، وفي حقيقة الشخص العجيب الذي شفاه، سيما وأن المعجزة تمت في يوم "سبت" (عدد١٤).إن الفريسيين هم الفريق الأكثر عددا، والأقوى نفوذا، والأشد تعصباً، في مجمع السنهدريم. ويجوز أن البشير اختصهم بالذكر دون سواهم، من باب التغليب، الذي يجوز فيه إطلاق اسم الأغلبية على المجموع. ويعتقد وستكوت أن الفريسيين المذكورين هنا، هم الذين تتألف منهم المحكمة الدينية الجزئية. ولكن الحكم الذي صدر عن الرجل (عدد٣٤)، يرجح كفة الرأي الأول ، لان مثل ذلك الحكم، لا يجوز صدوره إلا من مجمع السبعين المعروف بالسنهدريم.

عدد١٤.توقيت تاريخي "وكان سبت ": ربما ذكرت الواو السابقة لكلمت "كان"، على سبيل ذكر السبب الذي لأجله أتى بالرجل إلى الفريسيين. ومن المحقق، أن ما بعدها يعين السبب الذي لأجله استجوب الفريسيون ذلك الرجل، واعتقادا منهم أن في صنع "عجينة " الطين (عدد١)

ِيسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ. ١٥فَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضاً كَيْفَ أَبْصَرَ فَقَالَ لَهُمْ: «وَضَعَ طِيناً عَلَى عَيْنَيَّ وَاغْتَسَلْتُ

يوم السبت,كسراً للسبت, على رغم كونها قد صنعت لشفاء أعمى. على أن المسيح بعمله هذا, لم يكسر السبت, إنما كسر ذلك التمثال الهزلي, الذي أقامه الفريسيون للسبت, في مخيلاتهم. وأن كسر مثل هذا التمثال الوهمي النفعي, لا يعتبر أمراً جائزاً وكفى, بل هو أمر واجب, لا بل "فرض عين ".

لقد أجاز الناموس إقامة ثور عائر, يوم السبت, فكم بالأولى إقامة رجل متعثر بأذيال عماه المستديم !!

عدد ١٥. سؤالهم الأول: "فسأل الفريسيون أيضاً . ." إن قوله: "أيضاً" يرجع بنا إلى عدد١٠, حين استجوبه الجيران. والسؤالان مشتقان من مصدر واحد لأنهما يستهلان بكلمة: "كيف؟". عجيب أن حقيقة الشفاء لا تفرحهم, قدر ما تزعجهم طريقة الشفاء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جوابه الأول: أجاب الرجل على سؤال الفريسيين, بصيغة أكثر اقتضاباً من جوابه على سؤال الجيران. وربما ملكه شيء من الملل والتعجب, بسبب استجوابهم إياه عن إحسان صنع له, كما لو كانت الحسنة رشوة يعاقب من يحصل عليها. وغنى عن البيان أن هذا الرجل قد تمتع بشفاء مضاعف – شفاء بصره, وشفاء بصيرته. ببصره استطاع أن يرى وجوههم الجاحدة, التي كانت تنظر إليه بعيون جامدة, كأنها من زجاج. وببصيرته

فَأَنَا أُبْصِرُ». ١٦فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ: «هَذَا الإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ لأَنَّهُ لاَ يَحْفَظُ السَّبْتَ». آخَرُونَ قَالُوا: «كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ

استطاع أن ينفذ إلى قلوبهم المتحجرة, فكشف نياتهم المخبوءة وراء استجوابهم إياه, فأجابهم بنغمة العابث, المتضجر: "وضع طيناً . . .".

عدد ١٦. انقسامهم إلى فريقين: "فقال قوم . . . آخرون قالوا . . . ". كان جواب هذا الرجل, بسيطاً, قوياً, شاطراً. كَسَهم من ضوء الفجر, شقهم إلى شطرين كما إلى ليل ونهار. أما ليلهم فقد استتر تحت جنحة المظلم فريقهم الأول: "فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت". ومن أقوى الأدلة على أن هؤلاء يكونون فريق الظلام, كونهم وضعوا النتائج قبل المقدمات. وقدموا النظريات على الحقائق, وفضلوا السبت على الإنسان. فبدلاً من إن يفحصوا المعجزة من حيث هي, فيكونوا رأيهم عن صانعها, إذ بهم قد كونوا أولاً رأياً في السبت, فحكموا على من يظنون أنه كسره. يقولون"أن السبت مقدس.إذاً فكل عمل يتم فيه, ليس بمعجزة, وكل شخص يأتي هذا العمل, ليس من الله". ومن المحزن أن هذا الصنف من الناس, له أنسال في عصرنا الحاضر – يقولون مثلاً: إن المعجزات, لا وجود لها. إذاً فكل المعجزات التي يقول بها الكتاب, ليست معجزات. مثلهم مثل من يضع العربة أمام الحصان.

على أنه وإن وجد بين الفريسيين, قوم مكابرون ومعاندون, فإن بينهم أيضاً فريقاً ثانياً, سطع عليه نور الحقيقة: "آخرون قالوا كيف يقدر

أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الآيَاتِ؟» وَكَانَ بَيْنَهُمُ انْشِقَاقٌ. ١٧قَالُوا أَيْضاً لِلأَعْمَى: «مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» فَقَالَ: «إِنَّهُ

إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات"؟هؤلاء هم المنطقيون, الذين قدموا الحقائق على النظريات. فالمعجزة تمت. أما الاعتقاد بكسر السبت, أو بعدم كسره, فليس سوى نظرية. ومن حيث أن المعجزة تمت بشهادة كثيرين"من أهلها", فلا بد أن يكون الشخص الذي صنعها, رجلاً صالحاً. لأنها معجزة شفاء, ولا بد أن يكون على الأقل: "إنسان غير خاطىء".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٧. سؤالهم الثاني: "قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه"؟ إن الشقاق الذي أوجده جواب الرجل بين صفوفهم,قد شق قلوبهم, فأوقعهم في حيرة. ولا عجب, فليست القوة بكثرة العدد, ولا هي بغزارة العلم, وإنما هي قوة الحق. وإن رجلاً واحداً معه الحق, يكون أغلبية ساحقة, ولو كان كل العالم ضده. لأنه واقف في جانب الواحد الأحد.

إن الحيرة التي وقع فيها أولئك الفريسيون, قد قدمت للرجل فرصة نادرة, ليشهد فيها المسيح, مع أنهم كانوا قصدوا أن يعطوا فرصة ليشهد عليه: "ماذا تقول أنت عنه"؟ لأنهم لما رأوه قد فتح ثغرة في صفوف ائتلافهم, أرادوا أن يتحايلوا عليه, ليفتحوا هم أيضاً, ثلمة بين حلقات أجوبته. لكنهم كلما تمادوا في الاضطراب, تقدم هو في الإيمان.

جوابه الثاني: "فقال إنه نبي" – هذه هي الدرجة الثانية في سلم إيمانه. أما الدرجة الأولى, فقد مررنا بها في عدد ١١: "إنسان يقال له يسوع".

نَبِيٌّ». ١٨فَلَمْ يُصَدِّقِ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبَوَيِ

الآن وقف الرجل على مستوى واحد مع نيقوديموس الذي قال: "ليس لأحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه" (٣: ٢).

(٢) عدد ١٨.الفريسيون يواجهون الرجل بأبويه (٩: ١٨-٢٣).(أ)الشك الذي يلده التصعب: "فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى". إن كلمة "اليهود", تصف الفريق العنيد في الفريسيين, الموصوف في الجزء الأول من عدد ١٦, وهي تعين موقفهم العدائي نحو المسيح. كما أن كلمة: "فريسيين" تصفهم في مقامهم الديني بين أمتهم. لقد تمثل فيهم ذلك الشك الذي هو وليد التصعب, هؤلاء مغرضون في أحكامهم. لأنهم يرتبون نظرياتهم الجامدة المتحجرة, وعلى أحجارها يكسرون هيكل الحقائق الملموسة. فإذا حدثتهم نظرياتهم بأن الشمس تطلع من الغرب, جعلوا الشرق غرباً, والغرب شرقاً. في سبيل تحقيق نظرياتهم – في السبت وغيره – "يجعلون المر حلواً والحلو مراً, يصيرون الظلام نوراً والنور ظلاماً". ولا شيء أدل على جهلهم المطبق, من إنكارهم الحقائق الراهنة. فماذا ينفعهم قولهم إن المعجزة لم تحدث حال كون الأعمى قد أبصر.

أي شهادة أقوى, وأفصح, من الرجل نفسه؟ إنه تمثال حي للشهادة الحقيقية. لكن ما قيمة مثل هذه الشهادة القوية لمن وضعوا حجاباً كثيفاً على عيونهم. إنهم لا يصدقون لأنهم لا يريدون.

(ب) استدعاؤهم أبويه "دعوا أبوي الذي أبصر" – لقد أغرقهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الَّذِي أَبْصَرَ. ١٩فَسَأَلُوهُمَا: «أَهَذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولاَنِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ؟»
٢٠أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ: «نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا ابْنُنَا وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى ٢١وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ فلاَ نَعْلَمُ. أَوْ
مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فلاَ نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السِّنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ».

تعصبهم في لج الشك والتورط. فصاروا يتخبطون, علهم يهتدون إلى خيوط واهية يتمسكون بأهدابها, ليتخلصوا من تورطهم. ولكي يكونوا "قانونيين", دعوا أبوي الذي أبصر. على أمل أن يجدوا – أو يوجدوا – تناقضاً بين شهادتهما وشهادة ابنهما.

عدد ١٩. استجوابهم أبويه:"فسألوهما قائلين": يتضمن استجوابهم لأبويه ثلاثة أمور- أولهما: التحقق من شخصية ابنهما: "أهذا ابنكما". ثانيهما: التثبت من ولادته أعمى: "الذي تقولون إنه ولد أعمى". وثالثهما الاستعلام عن كيفية شفائه: "فكيف يبصر الآن"؟

عدد ٢٠و٢١.(د)جواب أبويه: "أجابهم أبواه . . ". إن في جواب الأبوين جبناً معجوناً بدهاء. وهما خلتان قلما تفترقان. أما جبنهما, فيحدثنا عنه البشير في عدد ٢٢. وأما دهاؤهما, فنمت عنه إجابتهما عن السؤالين الأولين, وتخلصهما من السؤال الثالث, وابتكارهما حجة قانونية معقولة تساعدهما على هذا التخلص: "هو كامل السن".

إن تكرارهما لضمير الغائب: "هو" ثلاث مرات في عدد ٢١- في الأصل- ينبىء عن نغمة تهكمية لاذعة, تمشت مع إجابتهما عن أسئلة الفريسيين

٢٢قَالَ أَبَوَاهُ هَذَا لأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنِ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ. ٢٣لِذَلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ: «إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ اسْأَلُوهُ».

عدد ٢٢و٢٣. الباعث لهما على اجابتهما هذه: "لأنهما كانا يخافان من اليهود". مع أننا لا نلتمس لهما عذراً في هذا الخوف, إلا انه لم يكن خوفاً على غير أساس: "لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج[٥] من المجمع". إن هذا التعاهد وحده كان يكفي لإخراج هذه الفئة من حظيرة القضاء الشريف, لأنهم تعاهدوا على حكم معين, قبل سماعهم حجة المتهمين. وليس أقبح من جبن المتهم, سوى عدم نزاهة القاضي. إن هذا الحكم دليل على اتجاه قلوب اليهود, التي كانت تزداد تحجراً على ممر الزمن (ص ١١: ٥٣). كما إن جبن المتهمين, يعتبر رمزاً لجبن الشعب اليهودي الأعمى الذي كان يقوده عميان في شكل حكماء.

بين هذا العدد, وبين الأعداد التالية, خلا القضاة إلى أنفسهم, فاستقر رأيهم على أن يعيدوا استجواب الإنسان الذي كان أعمى لعل توطئواً قد حدث سراً بينه وبين المسيح.

٢٤فَدَعَوْا ثَانِيَةً الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى وَقَالُوا لَهُ: «أَعْطِ مَجْداً لِلَّهِ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٣) الفريسيون يعيدون استجواب الرجل ٩: ٢٤-٣٤

عدد ٢٤. هجومهم الأول: في هجومهم هذا, حكموا بإدانة الرجل, وقدموا له فرصة للتوبة: "فدعوا ثانية الإنسان الذي كان أعمى وقالوا له أعط مجداً لله" - هذه صيغة عبرية توجه عادة لمن يثبت عليه ارتكاب ذنب مهين لله, فتعطى له الفرصة ليغسل هذه الإهانة, ويرد المجد لله (قضاة ٧: ١٩و ١ صموئيل ٦: ٥). كأن أولئك الفريسيين, قد حكموا بأن الرجل أهان الله إن المسيح نبي(عدد ١٧), لأن الله – حسب فكرهم الأضيق – أقدس من أن ينسب إليه نبي كاسر للسبت.

ولكي يبرهنوا على عدم أهلتهم للجلوس على كراسي القضاة, حاولوا أن يقنعوا الرجل, بحجة أو هي من خيوط الرداء الذي كان يستترون به, أن ينكر حقيقة لمسها وذاق حلاوتها, وأن يعتنق نظرية وهمية, لا وجود لها إلا في مخيلتهم الضعيفة: "نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطىء" – فمن أين استقوا هذا العلم, مع أنهم اعترفوا فيما بعد, بأنهم لا يعلمون (عدد ٢٩)؟ لقد أجهدوا أنفسهم في أن يظفروا من فم الرجل بإقرار, يعترف فيه بان المسيح خاطىء, وان الشفاه أتاه من الله رأساً. وكل حجتهم في هذا - : "نحن نعلم". إذاً لقد غامروا بأشخاصهم وقامروا بمراكزهم في هذا الميدان, فباءوا بخسران مبين.

"نحن نعلم" – بحكم وصايتنا على الشعب, وبحق حملنا "مفاتيح الملكوت" "إن هذا الإنسان خاطىء" – هذا ادعاء الجهلاء اللابسين لباس العلماء.

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ خَاطِئٌ». ٢٥فَأَجَابَ: «أَخَاطِئٌ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئاً وَاحِداً: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ». ٢٦فَقَالُوا لَهُ أَيْضاً: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟

نحن نعلم أن الله لا يسمع للخطاة "(عدد ٣١) – هذا يقين العالم المرتدي رداء البسطاء – هذا علم متواضع.

عدد ٢٥. الرجل يرد هجومهم الأول. في بادئ الأمر, لم يرغب الرجل في أن يزج بنفسه معهم في منطقة المجادلات اللاهوتية الفلسفية, التي يدعون لأنفسهم التفرد فيها, بل تمسك بيقين المعرفة الاختبارية التي ذاق حلاوتها ولمس قوتها: "أخاطئ هو. لست أعلم" – أي لست أعلم العلم الكافي لإقناعكم (لوقا ٢٢: ٦٧ أعمال ٤: ١٩و١٩: ٢). "إنما أعلم شيئاً واحداً" – لا تستطيعون أن تجادلوني فيه – "إني كنت أعمى والآن أبصر". بهذا الإقرار اليقيني, قدم لنا هذا الرجل البسيط, المثل الأعلى للشهادة للمسيح. إن درهماً واحداً من المعرفة الاختبارية, خير من قناطير مقنطرة من المعرف النظرية. بهذا الإقرار قدم "المتهم" "لقضاة", المثل الأعلى للسير في القضايا – وذلك بأن يقدموا الوقائع الحقيقية على النظرات الاستدلالية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حجتهم هم – أن المسيح خاطئ لأنه كسر السبت, والخاطئ لا يكون نبياً حجته هو – أن المعجزة تمت فعلاً, فالمسيح نبي, لأن الله لا يسمع للخطاة.

عددهم ٢٦. هجومهم الثاني. شعر الفريسيون بمثابة موقف الرجل, فأعادوا هجومهم عليه, واستجوبوه عن طبيعة المعجزة: "ماذا صنع

كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» ٢٧أَجَابَهُمْ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضاً؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تلاَمِيذَ؟» ٢٨فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا: «أَنْتَ تِلْمِيذُ ذَاكَ

بك"؟ وعن كيفيتها: "كيف فتح عينيك"؟, أملاً منهم في أن يتلعثم في الإجابة, ويورط نفسه بالتناقض. وهم لا يعلمون أنهم كانوا يطيلون حبال تورطهم.

لما تعذر عليهم, أن يظفروا عليه باستنتاجاتهم الفلسفية, قصدوا أن يصوبوا إلى كلامه سهام النقد, علهم يوقعونه.

عدد ٢٧. الرجل يصد هجومهم بهجوم أشد. "قد قلت لكم ولم تسمعوا . . . ." هنا يتطور الموقف, فيصبح المتهم متهماً, والقضاة متهمين. لأن الرجل (١) اتهمهم بالصمم الأدبي: "ولم تسمعوا". كأنه أراد أن يفهمهم أن عاهته التي كان مصاباً بها قبلاً, أخف بكثير من عاهاتهم هم, عاهته هو, عمي البصر. أما عاهتهم هم فهي الصمم الأدبي الناتج عن عمى البصرة. (ب) استجوابهم بنغمة تهكمية لاذعة: "لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً؟ ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ"؟ هنا تسلح الرجل بشجاعة نادرة.

عددهم ٢٨: جبنهم الفادح: "فشتموه وقالوا أنت تلميذ ذاك". أمام شجاعته النادرة لم يقووا على الوقوف, فاحتموا وراء أكمة الشتم: "فشتموه". على أنهم في شتمهم إياه قد رفعوه, وفي محاولتهم أن يرفعوا أنفسهم عليه. انخفضوا إلى الحضيض.

"أنت تلميذ ذاك" – وأي شرف أعظم من هذا؟! لقد نطقوا بكلمة

وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تلاَمِيذُ مُوسَى. ٢٩نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَمَّا هَذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ». ٣٠أَجَابَ الرَّجُلُ:

"ذاك", مرسلين معهم وابلا من سخطهم وتحقيرهم, فكانوا بذلك محقرين أنفسهم. "أما نحن فإننا تلاميذ موسى". بهذا قد برهنوا على أنهم لأبناء الماضي البالي. لقد أشرق عليهم نور الإنجيل والنعمة, لكنهم ظلوا متمسكين بأهداب السبت والناموس.

عدد ٢٩. تقهقرهم غير المنظم: "نحن نعلم . . وأما هذا فما نعلم من أين هو". إنهم بقولهم هذا, قد أنكروا ما سبقوه فقالوه في عدد ٢٤, "نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ". الآن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صروا أقل منهم ثقة بعلمهم "الغير المحدود", واعترفوا من غير قصد, بأنهم "لا أدريون": "فما نعلم من أين هو". أهكذا يفر "الجبابرة" من الميدان, أمام رجل أعزل إلا من السلاح الحق؟

تقول الأمثال: "إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً", ولكن أني لمثل هؤلاء القوم أن يذكروا ما قالوه في مناسبة أخرى!! لو ذكروا لعلموا أنهم بقولهم: "أما هذا فما نعلم من أين هو؟", قد حكموا له بأنه هو المسيح لأنهم سبقوا فقالوا "أما المسيح متى جاء لا يعرف أحد من أين هو" (٧: ٢٧). قابل هذا مع ما قاله المسيح عن نفسه في ٨: ١٤.

عدد ٣٠. الرجل يهاجمهم ويطاردهم (٩: ٣٠ - ٣٣). "أجاب الرجل وقال لهم إن في هذا عجباً . . . ". في بادئ الأمر (عد ٢٥), لم يأنس الرجل في نفسه شجاعة للدخول مع الفريسيين في مجادلات كلامية.

«إِنَّ فِي هَذَا عَجَباً! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. ٣١وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللَّهَ

أما الآن, وقد اكتسب من ضعفهم قوة, ومن تقهقرهم تقدماً[٦], هم لمواجهتهم بقضية منطقية, استهلها: (١) بتعجبه منهم (عدد ٣٠), (ب) كبرى (عدد ٣٢). (د) وأخيراً توجها بنتيجة منطقية (عدد ٣٣).

(١)تعجبه (٩: ٣٠): "إن في هذا عجباً". رأى الرجل في جهلهم الاختياري, عجيبة تفوق عجيبة شفائه من عماه. أما وجه تعجبه, فهو أنهم وهم حملة مفاتيح العلم, والمتصدرون عامة الشعب "لا يعلون" من أين أتى المسيح, حال كونه قد فتح عينيه. طبعاً بعد أن تمتع الرجل بالشفاء, صار له المسيح الكل في الكل, فمن حقه أن يعجب من لا يعرف من أين أتى هذا المسيح, وقد أتى بمعجزة في دائرة النعمة لا في دائرة النقمة.

عدد ٣١. (ب) المقدمة المنطقية الصغرى: "ونحن نعلم . . .". "نحن" – عامة الشعب اليهودي, "نعلم" – علماً بسيطاً, لا كعلم الفريسيين الفلسفي "إن الله لا يسمع للخطاة . . " (عدد ٢٤ و ٢٩) ولكن إن كان أحد "يتقي اله ويفعل مشيئته" – أي يقوم بواجبه نحو الله والناس (١ تي ٢: ١٠) – "فلهذا يسمع". إذاً قد حق للرجل أن يعجب, لأن "الخاصة" يؤكدون أنهم لا "يعلمون" (عدد ٢٩) بينما تقرر "العامة" أنهم هم "يعلمون".

مَشِيئَتَهُ فَلِهَذَا يَسْمَعُ. ٣٢مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَداً فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. ٣٣لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً». ٣٤قَالُوا لَهُ: «فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى الآن, لم يكن إيمان هذا الرجل قد بلغ دور النضوج, لأن بلغ فقط حد الثقة بأن المسيح من أتقياء الله الذين يسمع الله صلاتهم, وأنه إنما عمل هذه المعجزة نتيجة استجابة صلاته. لا بقدرة ذاتية فيه. وما علينا إلا أن ننتظر حتى عدد ٣٨, لنرى إيمان الرجل بالغاً حد النضوج.

عدد ٣٢. (ج) المقدمة المنطقية الكبرى: "منذ الدهر لم يسمع". من المقدمة المنطقية الصغرى الخاصة بعلمه هو, ومن على شاكلته من أهل جيله, انتقل الرجل بهم إلى شهادة الأجيال بأسرها منذ بدء التاريخ: "منذ الدهر لم يسمع". فما أحكمه لأنه لم يكتف بشاهد واحد, بل استدعى جميع الأجيال لتشهد معه على جهالة هؤلاء الحكماء في أعين أنفسهم.

عدد ٣٣. (د) النتيجة المنطقية: "لو لم يكن هذا من الله" (٩: ٣٣) هذا منطق عجيب. حقاً ينطبق على هذا الرجل البسيط ذلك القول الجليل: "كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يخرج من كنزه جدداً وعتقاء".

عدد ٣٤. هروبهم من الميدان: "أجابوا وقالوا له.في الخطايا ولدت". إنهم بقولهم هذا, قد عبروا عن: (أ) عقيدتهم الباطلة في علة البلايا. فقدموا جواباً عاطلاً على سؤال التلاميذ (عدد ٢), كأنهم أرادوا أن يقولوا إن العمل مظهر لعلة دقيقة أشد منه خطورة – أعني بها الخطية. لكنهم في الوقت نفسه,

وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» فَأَخْرَجُوهُ خَارِجاً. ٣٥فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ

فضحوا أنفسهم لأنهم عبروا أيضاً عن: (ب) اعتقادهم بصحة المعجزة. الآن قد اعترفوا بأن الرجل كان أعمى منذ ولادته. وأن المسيح شفاه. إن النتيجة الوحيدة التي ينتهي بها عدم الإيمان, هي القضاء على نفسه بنفسه.

يراد بالقول: "فأخرجوه خارجاً"- إنهم طردوه من المكان الذي كانوا ملتئمين فيه, بحجة ظاهرية, وهي: "أنه لا يستحق الفحص", وبحجة حقيقية أقوى منها, وهي: "أنهم لم يقدروا أن يقاوموا روح الحكمة الذي كان متسلحاً به". وقد كان إخراجهم إياه من مكان التآمهم, تمهيداً وأساساً لإخراجهم إياه من المجمع.

هذا مطلع الصراع بين المجمع اليهودي. وبين كنيسة المسيح في نواتها

(ج) موقف المسيح (٩: ٣٥ - ٤١). يحدثنا هذا الفصل عن أمرين مهمين – أولهما: المعجزة الروحية التي تبعث المعجزة المادية: (٩: ٣٥ - ٣٨). وثانيهما: المغزى الأدبي للمعجزتين – العمي يبصرون, والمصرون يعمون (٩: ٣٩ - ٤١).

(١) المعجزة الروحية: الأعمى يبصر: (٩: ٣٥ - ٣٨).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣٥. (أ) المسيح يجد الرجل الطريد. مضي بعض الزمن على إخراج الفريسيين ذلك الرجل, "فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجاً, فوجده[٧]".عندما توصد طاقات الأرض, تنفتح أبواب السماء. وغضب العبد,

فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟»

عربون رضى الرب. ولعنات الظالمين, عربون ابتسامات أرحم الراحمين. لما طرد ذلك الرجل من محضر اليهود, أدخل المسيح إلى محضره: "ليظهر مجد الله فيه" (عدد ٣و ٤). وهو دائماً يفتش عن المطرودين من أجل اسمه. إن الإخفاق الذي نلقاه من البشر هو توفق لنا من الله. فقد قصد المسيح في مراحمه, أن يجود على الرجل بمعجزة أسمى وأهم من معجزة فتح عينيه الجسديتين, فيتمم فيه معجزة فتح عينيه الروحيتين, لذلك أراد بحكمته أن يعد الرجل ويهيئه للمعجزة الثانية, بعد أن تمت فيه المعجزة الأولى. وأن الصراع العنيف, الذي اجتازه الرجل في احتجاجه لدى اليهود, كان خير وسيلة, لإعداده لقبول بركة المعجزة الثانية. وربما لو أجريت المعجزتان في وقت واحد, لما قوى نظر الرجل على مواجهة أنوار المعجزتين في آن واحد.

تنكشف أمامنا هذه الحقيقة في ضوء التدرج الذي استخدمه المسيح مع الرجل – لقاء: "وجده", فدعوه: "أتؤمن", فاعلان: "هو هو".

(ب) المسيح يدعوه إلى الإيمان بابن الله: "أتؤمن بابن الله"؟ هذا سؤال يحمل معه نوراً ساطعاً, رفعه المسيح أمام عيني الرجل, داعياً إياه إليه. وكأني بالفادي يقول له: "يا من وقفت أمام عاصفة الفريسيين وانتصرت, هل أنت مستعد الآن, أن تخطوا الخطوة الثانية الايجابية, ونؤمن بابن الله"؟؟ ومما لا ريب فيه, أن المسيح أراد "الإيمان" في أسمى درجاته, وأعمقها, وأكملها, على خلاف الإيمان السماعي السطحي. كما أنه قدم نفسه للرجل في أرفع ألقابه وإكمالها, وأعمقها: "ابن الله".

٣٦أَجَابَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لِأُومِنَ بِهِ؟» ٣٧فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ

مع أن هذه دعوة حرة, إلا أنها تحمل معها إيحاء, ووعداً, وتشجيعاً.

عدد ٣٦. (ج) الرجل يظهر استعداده لتلبية الدعوة: "أجاب ذاك وقال من هو يا سيد لأومن به". هذا قبول من غير تردد, مما يدل على أن دعوة المسيح للرجل صادفت منه صدراً رحيباً, وأن الخطوات التي اجتازها إيمانه – من القول إنه "إنسان" (عدد ١٠), إلى الاعتقاد بأنه "نبي" (عدد ١٧). قد أعدته بالمسيح "ابن الله".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فرق عظيم بين سؤال الجيران: "أين ذاك"؟ (عدد ١٢), وبين سؤال هذا الرجل: "من هو"؟ أولئك يسألون عن البعيد: "ذاك", وهذا يسأل عن القريب: "هو". هل داخل الرجل شيء من الظن, إنه ربما كان هذا "هو"؟؟!.

عدد ٣٧. (د) المسيح يعلن نفسه للرجل: "فقال له يسوع قد رأيته والذي يتكلم معك هو, هو". ما أحكم هذه الطريقة التي بها أعلن المسيح نفسه للرجل! كان من الممكن أن قول له: "أنا هو", لكنه أراد بحكمته السامية, أن يعلن نفسه بكيفية تشعره بفضله عليه, وتذكره بحسن صنيعه معه: "قد رأيته". بهذه الكلمة ذكره المسيح في لمح البصر: بماضيه التعيس: "كان أعمى", وأشعره بحاضره المجيد: "والآن يبصر". فأوقعه في دين خالد لا يمكنه أن يتخلص من التزاماته: "قد رأيته". بهذه

وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ». ٣٨فَقَالَ: «أُومِنُ

الكلمة ذكره المسيح بفصلين – أولهما: أنه وهبه نعمة البصر في حد ذاتها. وثانيهما: وهو الأهم: أنه متعة برؤية شخصه العجيب: "الذي هو أبرع جمالاً من بني البشر". فضل عظيم أن الرجل استطاع أن يرى على الإطلاق, وأعظم منه, أنه استطاع أن يرى المسيح نفسه.

في مقدمة هذا الإصحاح, رأينا المسيح ناظراً إلى الأعمى, والآن نرى الأعمى ناظراً إلى المسيح. "نحبه لأنه هو أحبنا أولاً". "أنا لحبيبي وحبيبي لي"

"والذي يتكلم معك هو هو" – إذا كان المسيح قد ذكر الرجل بفضله الخاص عليه, بقوله له: "قد رأيته", فإنه بقوله: "والذي يتكلم معك هو هو", قد أوقفه أمام فضله العام على جميع البشر, ومنهم هذا الأعمى الذي اختصه بالتكلم معه: "الذي يتكلم معك هو هو" – وأي فضل أهم من تجسده "الكلمة"؟ .

"الذي يتكلم معك هو هو" – إن خير تفسير لهذه الكلمات, نجده في مقدمة الرسالة إلى العبرانيين: "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عب ١: ١ و٢). "هو هو" إن الذي يقول عنه الناس: "ذاك", متخيلين إياه شبحاً بعيداً بعيداً, هو الآن أقرب إليك من حبل الوريد. هذا هو المحبة متجسدة. بقول المسيح له: "قد رأيته", أشعره بنعمة الشفاء. وبقوله له: "الذي يتكلم معك ", أشعره بنعمة الخلاص. "لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك".

عدد٣٨. (هـ) الرجل يجيب الدعوة نهائياً ويعبر عن إيمانه: عبر

يَا سَيِّدُ». وَسَجَدَ لَهُ. ٣٩فَقَالَ يَسُوعُ: « لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الرجل عن إيمانه تعبيراً مزدوجاً – جانبه الأول, بالكلام و اللسان: "فقال أومن يا سيد". وجانبه الثاني: بالعمل والحق: "وسجد له". هنا بلغ الرجل ذروة الإيمان في العبادة. فليس هذا سجود الاحترام وكفى, بل هو سجود العبادة أيضاً (يوحنا ٤: ٢٠؛ ١٢: ٢٠).

عجيب أن هذا الرجل الذي وقف جامداً أمام كبرياء الفريسيين, ينحني بكل إجلال أمام ابن الله ويسجد "له", لا "أمامه". فالإنسان أسير الإحسان

الآن قد أثمر إيمانه شكراً, فأضحى شكره محبة, فصارت محبته عبادة.

ومن الأهمية بمكان, أن نذكر أن، المسيح قبل هذا السجود, فإذا لم يكن المسيح إله تاماً, فمن المستحيل أن يكون إنساناً كاملاً, لأن الإنسان الكامل لا يقبل العبادة التي تقدم له وهو عالم أنها لا تجوز إلا لله وحده.

هذا هو "ابن لله " بشهادته, وبشهادة معجزاته, وبشهادة أعماله.

(٢) المغزى الروحي للمعجزة- "حتى يبصر. . . ويعمى " (٩: ٣٩- ٤١).

عدد٣٩. إعلان رهيب: أمام هذا المشهد المقدس الذي نرى فيه الرجل جاثياً عند قدمي المسيح, فاه المخلص بهذا الإعلان الرهيب, موجهاً الخطاب إلى التلاميذ, وإلى بعض الفريسيين الذين كانوا معه, تلاميذ سطحيين. ولعلهم كانوا جواسيس, فقال: "لدينونة أتيت إلى هذا العالم". إن الغرض الأساسي من مجيء المسيح إلى العالم, هو منح البصر للعميان. لكن العيون التي لا ترحب بنوره, يدركها الظلام. لأن للنور تأثيراً مزدوجاً: هو بهجة

حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى

العيون السليمة, وأذى العيون الرمداء. فمع أن الدينونة ليست غاية المسيح من مجيئه, إلا أنها إحدى النتائج الطبيعية الناشئة عن هذا المجيء. فالذراع التي توقف عن الحركة, يدركها الجمود. والعيون التي تظل مدة طويلة في الظلام, تفقد قوة البصر. فالمسيح نور, وهو أيضاً موضوع الإبصار, فكل عين تراه وترحب به, يتزايد نورها إلى النهار الكامل . وكل عين تتحول عنه, يرفع عنها النور, فيدركها الظلام الليل الدامس.

هذه النتيجة الأخيرة هي حكم الإنسان على نفسه.

إن قول المسيح: "إلى هذا العالم ", (عدد٥). وأن "الذين لا يبصرون ", هم العائشون في ظلمة الجهل, ويشعرون بحقيقة حالهم . بل يقرون بها. وهم الذين وصفهم المسيح بـ "الأطفال" (لوقا١٠: ٢١ مت١١: ٢٥). ولعل منهم أولئك الذين وصفهم الفريسيون, بـ "الشعب الذي لا يفهم الناموس" (٧: ٤٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

و "الذين يبصرون ", هم الذين يملأون الجو صياحاً بقولهم: "نحن نعلم " (عدد٢٤ و ٢٩), وهم الذين وصفهم المسيح بـ "الحكماء والفهماء" (لو ١٠: ٢١ مت ١١: ٢٥) – هؤلاء المغتربون بمعرفتهم الضئيلة, فتحرم أنفسهم من المعرفة الحقيقية الكاملة – هم الذين يتمثلون في شخصية الملاك كنيسة اللاودكيين, الذي وجه إليه المسيح قائلاً: "لأنك تقول. إني أنا غني. وقد استغنيت, ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أ،ك أنت الشقي البئس وفقير و أعمى وعريان" (رؤيا٣: ١٧)

الَّذِينَ يُبْصِرُونَ». ٤٠فَسَمِعَ هَذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُ: «أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضاً عُمْيَانٌ؟» ٤١قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَاناً لَمَا

من حكمة المسيح أنه لم يقل عن البسطاء أنهم عميان, بل اكتفى بأن وصفهم: بـ "الذين لا يبصرون". في الوقت نفسه, حكم على الحكماء في أعين أنفسهم, بالعمى التام.

عدد٤٠. اعتراض السامعين من الفريسيين: "فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين"

. يقول يوحنا الذهبي الفم, "إن هؤلاء كانوا تلاميذ سطحيين للمسيح, يرتدون لدى قيام أية صعوبة"ز ويقول عنهم ديفد سميث "إنهم كانوا جواسيس على المسيح في صورة تلاميذ". وربما انطبق عليهم الوصفان معاً. "وقالوا له ألعلنا نحن أيضاً عميان"؟ - يريدون بكلمة " أيضاً " أن يتعالوا عن غيرهم. كيف لا, وهم العلماء المعروفون عند عامة اليهود بـ "المتفقحقيم" أي المتفقهين, و المفتوحي العيون؟ أي نعم. وقد كانوا كذلك. إلا أن مثلهم مثل بلعام الذي قال عن نفسه إنه مفتوح العينين- ولكن في الظلام!! (عدد ٢٤: ٣).

عدد٤١. حكم لا يقبل استئنافاً: "لو كنتم عمياناً, لما كانت لكم خطية". قد نعجب لسماعنا هذه الكلمات, من فم حمل الله الوديع, على أن عجبنا يزول متى ذكرنا, أن حمل الله الوديع هو هو الأسد الخارج من سبط يهوذا. إن قلب الحمل يفيض حنواً على قدر ما تقدح عينا الأسد ناراً وشراراً. وفي اتقادنا أن المسيح نطق بهذه الكلمات الجارحة, وقلبه يتوجع.

كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلَكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ».

يا ليتهم كانوا من الذين وصفهم المسيح في بدء عدد ٣٩:بـ "الذين لا يبصرون"!عندئذ, كان يتزايد لهم النور الكامل. أما وقد اغتروا بعلمهم بالناموس والأنبياء, فقالوا عن أنفسهم إنهم مبصرون, "فخطيتهم باقية". لقد ركز المسيح كل خطاياهم, في خطية واحدة – خطية عدم إيمانه به. هذه بذرة كل خطية. "أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي", "هذا هو الوارث هلم نقتله". هذه خطية العارفين, التي تبقى بلا غفران, وتتقدمهم إلى القضاء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن المسيح نور ورؤيا, فبالإيمان به نرى شخصه, وفيه نرى الله. ها قد وضح السبيل الذي به يستطيع الإنسان أن يراه – وذلك بسماع صوته, وإطاعة أمره, والاعتراف بشخصه, والتسلح بنية قبول كل إهانة من أجل اسمه, والسجود له.

إن لهذه المعجزة مغزى تاريخيا يتمشى مع مغزاها الأدبي والروحي. فالرجل الذي كان أعمى فأبصر, تتمثل فيه نواة الغرس الجديد الذي أنبته المسيح, ليأخذ مكان زيتونة المجمع اليهودي التي أدركها البلى. هذه هي الحصاة الأولى في هيكل المسيحية الجديد الذي قامه المسيح على أنقاض هيكل سليمان. منذ الآن سيحمي وطيس القتال والصراع بين النظامين, حتى يراق دم المسيح على تربة الجلجثة, فتغتذي به زيتونة الكنيسة, وتترعرع, وتفرخ, وتثمر, فتتآوى في أغصانها طيور كثيرة, في وقت تصاب فيه زيتونة النظام اليهودي, بالانحلال والذبول.

١٢- يعتقد ويستكوت بناء على استقرآت عملية, لا يتسع لها المقام هنا, أن الإصحاح التاسع منفصل عن الإصحاح الثامن, ومتصل بالإصحاح العاشر, من حيث الزمن. وأن الحوادث التي تمت في كليهما –ص ٩و١٠- حدثت في عيد التجديد ١٠: ٢٢و٢٣.

١٣- وهو أحد الأسفار المعروفة بـ "الأبوكريفا".

١٤- الظاهر أن المسيح رأى في ذلك الأعمى صورة مجسمة للعالم المحاط بالظلمة.

١٥- كلمة " سلوام" , آرامية. وهي متطورة في النطق والاشتقاق من كلمة "شلح" العبرية, ومعناها "أرسل" ولعل منها أيضاً "شيلوه" (إشعياء ٨: ٦).

١٦- كان لمجامع اليهود وقتئذ أن تصدر حكم "الإخراج من المجمع" على ثلاث درجات. الدرجة الأولى كانت معروفة "بالندوى" وبسببها يحرم المحكوم عليه, مزاياه الدينية والاجتماعية مدة ثلاثين يوماً. والدرجة الثانية كانت معروفة بـ "الشماتا" وبسببها تطال هذه المدة ثلاثين يوماً أخرى. والدرجة الثالثة كانت معروفة بـ "المحرم" وبسببها كان يحرم هذا الامتيازات مدة مديدة. أما حكم الموت فكان من الضروري أن يصادق عليه الرومان.

١٧- اعتقد الرومان قديماً أنه إذا تصارع خصمان وغلب أحدهما الآخر, فالقوة تنتقل من ذراع المغلوب إلى ذراع الغالب.

١٨- يقول حنا فم الذهب: لما طردوه من هيكل الرب, وجده رب الهيكل. ولما رذله و أذلو المسيح, قبله المسيح الممجد من الملائكة والقديسين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الراعي والرعية

اَلأَصْحَاحُ الْعَاشِرُ

علم المسيح بما قضى به الفريسيون على ذلك الرجل الذي تمت فيه معجزة الشفاء, إذ "أخرجوه خارجاً" (٩: ٣٤), فرأى في علتهم هذه, مثالاً لما سيفعلوه مع غيره في المستقبل, ففتح فاه بكلمات تحمل عزاء "للمطرودين من أجل البر", مؤكداً لهم, أنه في الوقت الذي نوصد فيه أبواب المجمع اليهودي أمام وجوههم, ينفتح لهم باب السماء. وحين يخرجون من حظيرة اليهود الضيقة. يفتح لهم باب حظيرة أوسع, وأفضل.

إن الروح الذي يسرى في هذا الفصل ، هو بعينه الذي أمليت به الرسالة إلى العبرانيين. ويلوح لنا إن مفتاح هذا الفصل. هو بعينه مفتاح تلك الرسالة - أعنى به كلمة: "أفضل". (يو١٠:١٠وعب ٧:٢٢).

إذا كانت هذا الفصل، مستمدة روحها من موقف الفريسيين تجاه ذلك الرجل، فإن الأمثال المتضمنة فيه, ومستعارة غالباً من الوقت الخاص الذي كان المسيح موجوداً فيه مع تلاميذه, وبعض الذين رافقوه من الفريسيين، خارج أسوار أورشليم. كانت شمس ذلك النهار قد أذنت بالمغيب. بعد إن فرغ الفريسيون من محاكمة الأعمى الذي أبصر، ومن المحتمل جدا إن رعاة فلسطين، كانوا آنئذ راجعين بأغنامهم[١] من البادية إلى إحدى الحظائر، التي كانت عبارة عن سور من غير سقف، لتقضى فيها الأغنام فحمة الليل، في حراسة "بواب" خاص. فأمام حكم الفريسين على الرجل من جهة, وأمام هذا المشهد الطبيعي المألوف, من جهة أخرى فاه المسيح بهذا الإعلان, المطبوع بسلطانه المطلق المعهود, ملبسا إياه لباس المثل: "الحق. الحق. أقول لكم إن الذي لا يدخل من الباب...".

في هذا الفصل, فاه المسيح - أولاً: بأمثال ثلاثة, خرج منها بالنتيجة: إنه "هو الراعي الصالح" (١٠: ١-١٨). ثانياً: بإعلان مجيد, قرر فيه أنه هو "يهوه" راعي إسرائيل في القديم(١٩:١٠-٤٢) ٠

أولاً: ثلاثة أمثال(١٠: ١-١٨). إن هذه الأمثال الثلاثة, تحمل معها رسالة مثلثة – توبيخ الفريسيين على تصرفهم العاتي مع ذاك الذي كان أعمى فأبصر, وتشجيع الرجل على النمو في الإيمان والثقة, ووصف إنجيل المسيح الشافي, والمحي, والمشبع.

هذه الثلاثة الأمثال مرتبطة معاً ارتباطاً وثيقاً, لدرجة تكاد تحسب فيها مثلاً واحداً, لا ثلاثة أمثال: (أ) فالمثل الأول, عام. والمثلان – الثاني والثالث تطبيقان تفسيريان. في المثل الأول (١٠: ١-٦), تكلم المسيح عن الباب الحقيقي, والراعي الحقيقي بوجه عام, فلم يفهموا قصده. وفي المثلين الأخيرين, خصص لنفسه, ما سبق فذكره في المثل الأول على وجه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التعميم. (ب) ففي المثل الثاني (١٠: ٧-١٠) خصص لنفسه العنصر الأول المتضمن فيه – "الباب", فقال "أنا هو الباب". (ج) وفي المثل الثالث (١٠: ١١-١٨) خصص لذاته العنصر الثاني – الراعي. فقال: "أنا هو الراعي الصالح".

ولقد رسم المسيح بهذه الأمثال الثلاثة, صورة كاملة, مثلثة في المثل

١«اَلْحَقَّ الْحَقَّ

الأول, رسم صورة للأغنام في الصباح الباكر, حين يأتي الراعي إلى باب الحظيرة, وعن طريق البواب, يدخل الحظيرة, وينادي خرافه الخاصة بأسمائها, ويخرج أمامها, وهي تتبعه. (عدد ٣و٤). وفي المثل الثاني, رسم صورة للأغنام في الظهيرة, حين تدخل إلى الحظيرة, ثم تخرج لتجد مرعى (عدد ٩). وفي المثل الثالث رسم صورة لها عند الأصيل, حين تتهيأ الشمس لتختبئ وراء أفق الغروب, فيخرج الذئب من مخبئه ليتصيد عشاءه.

(أ) المثل الأول (١٠: ١- ٦). يقدم لنا المثل صورة كاملة لما يعمله الراعي الحقيقي (١٠: ٢- ٤). ولكي يكشف الفادي, عن جمال صورة الراعي الحقيقي, أحاطها بإطار قاتم, به أبان قبح صورة الراعي الغير الأمين. فمهد لوصفه الراعي الحقيقي, وعقب عليه, بوصف بليغ للراعي الزائف (عدد ١ و ٥) – وبضدها تتبين الأشياء. ثم اختتم البشير هذا المثل بكلمة عامة, وصف فيها مبلغ الجهالة التي استحكمت على عقول أولئك الذين كانوا يحسبون أنفسهم متفقهين (عدد ٦). والظاهر من استهلال المسيح هذا المثل, واختتامه إياه بالكلام عن الراعي الزائف. أنه قصد أن يقدم للفريسيين أبلغ رد على ما عملوه بذلك الرجل الذي كان أعمى فأبصر (٩: ٣٤), إذ أراهم أصدق صورة لأنفسهم. ويكاد يكون من المحقق أن المسيح كان واضعاً نصب عينيه تلك الصورة المرسومة في زكريا ص ١١.

عدد ١. (١) الراعي الزائف: "الحق. الحق" – أطلب شرح ٣: ٣ –

أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لاَ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ بَلْ يَطْلَعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ فَذَاكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ. ٢وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ

"إن الذي لا يدخل إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر" – أي يتسلق الجدار أو يتسور السور – "فذاك السارق" – وهو من ينسل خفية (أنظر في الأصل ١٢: ٦ و ١ تس ٥: ٢) "ولص" – وهو من يقتحم عنوة (١٨: ٤٠ ومت ٢٦: ٥٥).

"الحظيرة" هي نظام خارجي, وهي تشير بمعناها الأولى إلى النظام اليهودي, وترمز بمعناها النهائي إلى الكنيسة المسيحية. و "الباب" هو المسيح سواء أكان في العهد القديم أم في العهد الجديد, لأن الكتاب المقدس يحدثنا عن أزلية المسيح, وعن عمله الفدائي في العهد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القديم, قبل التجسد. فكل أنبياء العهد القديم, وملوكه, وكهنته, إنما دخلوا إلى قدس وظيفتهم عن طريق هذا "الباب" الأوحد. و "السراق واللصوص" هم الفريسيون, الذين استلبوا خلسة حرية الشعب الساذج, واغتصبوا السلطة اغتصاباً.

عدد ٢. (٢) الراعي الحقيقي (١٠: ٢- ٤). في هذه الأعداد, نرى وصفاً سباعياً لمؤهلات الراعي الحقيقي, وفيه ترتسم أمامنا صورة كاملة لما يعمله عندما يأتي في الصباح, ليخرج قطيعه إلى المراعي:

(١) الراعي الحقيقي يدخل الحظيرة من الباب (عدد ٢): "و أما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف". إن طلاب وظيفة الراعي, طمعاً في المجد العالمي الذي يحف بها, هم متشامخون بسبب شوكة الغرور المتمكنة من

مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ. ٣لِهَذَا يَفْتَحُ الْبَوَّابُ

أعناقهم, فيتعذر عليهم أن ينحنوا ليدخلوا من الباب المنخفض الأعتاب, لذلك يلتجئون إلى التسور من موضع آخر. عجيب أن الإنسان يقبل عن طيب خاطر, ما تكلفه به إرادته النفسانية من المتاعب وتضحيات, ويتبرم من الهنات الهينات التي يتطلبها لله منه! "وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف". هذا مجاز مركب. فالمسيح "هو الراعي" الذي دخل إلى حظيرة الخراف, بتعيين من الآب (مز ٢: ٧ و ٨). وهو أيضاً "الباب" الذي به دخل الأنبياء, والمرسلون, والملوك, إلى هيكل وظيفتهم الرعوية. كلمة "راعي" كما وردت في الأصل – في هذه الآية – تصف الراعي في صفاته ومؤهلاته, لا في شخصه. فهي صفة لا ذات.

كما أن الحظيرة الواحدة كانت تضم أكثر من رعية واحدة (عدد ٢ و ٧), كذلك قد تكون الرعية الواحدة في أكثر من حظيرة واحدة (عدد ١٦).

عدد ٣. (ب) الراعي الحقيقي يعرفه البواب ويرحب به: "لهذا" – أي للراعي الحقيقي دون سواه – "يفتح البواب". قد تباينت أفكار المفسريين في تعيين المراد بـ "البوب". يقول لانجي: "يراد بـ "البواب", الروح القدس الذي يدعي الرعاة إلى وظيفة الرعاية". ويقول بنجال: "يراد به الله الآب الذي يجتذب الناس إليه بالمسيح" (٦: ٤٤). ويقول أغسطينوس: "إن البواب هو المسيح. فهو إذا الباب والبواب". ويعتقد وستكوت: "أن "البواب" لا يرمز إلى شخص معين, بل إلى عمل الروح

وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القدس العامل في الكنيسة بواسطة راعاتها". ويقول الذهبي الفم: "هو موسى" ويعتقد رايل: "أن كلمة: "بواب" لا ترمز إلى شخص معين, وإنما ذكرت تكملة للصورة المرسومة في المثل". ويعتقد جودي: "أن البواب هو يوحنا المعمدان" استنادا إلى ما قاله البشير عنه في صدر هذه البشارة (١: ٦ و ٧).

(ج) الراعي الحقيقي يدخل الحظيرة وينادي, فتسمع جميع الخراف صوته: "والخراف تسمع صوته". يقول آدم سميث في كتابه "الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة" إنه بينما كان جالساً ليستريح على مقربة من عين ماء, مستظلاً بفيء إحدى الأشجار, أقبل إلى العين أربعة رعاة, لكل منهم قطيع خاص. وإذا بقطعانهم قد اندفعت لترتوي من عين الماء, فاختلط حابلها بنابلها. وبعد أن استقى الرعاة للأغنام سوية وكان وقت القيلولة قد انقضى, أخذ العجب من هذا السائح كل مأخذ, حين رأى الرعاة, وقد انفرد كل منهم عن الآخر, ووقف في مكان ظاهر على رأس الوادي, وأطلق صوته الرنان بنداء خاص, وإذا بالأغنام قد افترق بعضها عن بعض, كما يفترق الليل عن النهار, وما هي إلا لحظة, حتى التأم معاً كل فريق منها مكوناً قطيعه الخاص, كما تلتئم الجداول الصغيرة لتصب في النهر.

كلمة: "الخراف" في بدء هذا العدد تعني جميع خراف الحظيرة, بما فيها خراف الراعي. فالنداء مسموع من الجميع. وما أشبهه بالدعوة العامة التي يسمعها جميع الناس, لكن لا يميزها ويفهمها سوى المدعوين بأسمائهم دعوة خاصة.

فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا. ٤وَمَتَى أَخْرَجَ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا

(د) الراعي الحقيقي يدعو خرافه الخاصة بأسماء: "فيدعو خرافه الخاصة بأسماء". الدعوة هنا خاصة. موجهة على كل بمفرده كما لو يكن في كل القطيع إلاه, مقابل الدعوة العامة المنوه عنها سابقاً. هذا يذكرنا بقول "يهوه": "دعوتك باسمك, أنت لي" (إشعياء ٤٣: ١, ٤٥: ٣).

(هـ) الراعي الحقيقي يخرج رعيته: "ويخرجها". فهو يخرجها ليكون منها قطيعة. هذا "خروج" يعقبه "التكوين". ويجمل بنا أن نذكر أن كلمة "يخرج" الواردة هنا, هي بعينها التي وردت في ٩: ٣٤ و ٢٢. أخرج الفريسيون الرجل, طاردين إياه, فأخرجه المسيح من الحظيرة اليهودية العتيقة إلى حرية مجد أولاد الله. إن عمل الفريسيين معه كان حكماً منهم عليه. لكن عمل المسيح معه, بركة إنجيلية مجيدة لا تمتاز عنها بركة "خروج" بني إسرائيل من مصر. أخرج الفريسيون الرجل بقوة سخطهم, والمسيح أخرجه إلى الرحب بسلطان محبته (٢ كو ٥: ١٤). فكأن اليهود صاروا خدام مقاصد المسيح وهم عميان!! (٩: ٤٠ و ٤١). في هذا تعزية كبرى للرجل. لأن الفريسيين لم يخرجوه إلا إلى المراعي الخضراء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٤. (و) الراعي الحقيقي يقود خرافه إلى المراعي الخضر: "ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها". في أثناء إخراجه إياها مت الحظيرة, يقف خلفها لكي لا تتخلف منها واحدة. ومتى أخرجها كلها يذهب أمامها

وَالْخِرَافُ تَتْبَعُهُ لأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ. ٥وَأَمَّا الْغَرِيبُ فلاَ تَتْبَعُهُ

في بعض البلدان يسوق الرعاة أغنامهم أمامهم ولكن في فلسطين يتقدم الرعاة الخراف. وهذا أفضل لأنه يجعل الراعي زعيم رعيته, وهاديها, وحاميها, ومثلها الأعلى. إن في رضا المسيح بأن يكون راعياً لنا, اتضاعاً عظيماً. لأن الرعاية في حد ذاتها كانت خدمة حقيرة في نظر الممالك القديمة – وفي مقدمتها مصر. فضلاً عن ذلك فإن المسيح لم يكتف بأن يكون راعياً لنا, بل صار واحداً منا لكي يتقدمنا حقاً (رو ٧: ١٧).

(ز) الراعي الحقيقي تعرفه رعيته فتقبل زعامته. "والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته". فالمعرفة متبادلة بين الراعي والرعية – هو يعرفها بأسمائها وهي تعرفه بشخصه وذاته. وهو يتقدمها وهي تتبعه – ولو قادها إلى المخاطر. وأن مخاطر يتقدمها فيها راعيها خير من أمن تكون فيه وحيدة موحشة. "الإتباع" يفيد الاعتراف بالزعامة, والطاعة, والولاء. إنه إتباع عن علم لا عن جهل وغباوة: "لأنها تعرف صوته". ولئن جهلت الخراف أشياء كثيرة حتى صارت مضرب الأمثال في الجهالة, إلا أنها تعرف صوت راعيها. في هذا إشارة ضمنية إلى طاعة الرجل المولود أعمى, لدعوة المسيح (٩: ٣٥).

عدد ٥. (٣) الراعي الغريب: "وأما الغريب فلا تتبعه فتهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء". "الغريب" هو غير السارق واللص (عدد ١). إن عمل السارق اللص, موجه إلى الأغنام وهي داخل الحظيرة, ولكن عمل الغريب موجه إلى الخراف وهي تتبع راعيها خارج الحظيرة. السارق يختلس

بَلْ تَهْرُبُ مِنْهُ لأَنَّهَا لاَ تَعْرِفُ صَوْتَ الْغُرَبَاءِ». ٦هَذَا الْمَثَلُ قَالَهُ لَهُمْ يَسُوعُ وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا

خفية, واللص يهاجم عنوة, والغريب يغوي ويغري بالوعود الجاذبة الخلابة. ولعل في قوله: "لا تتبعه بل تهرب منه" إشارة ضمنية إلى عدم انصياع الرجل لنصح الفريسيين حين قالوا له "أعط مجداً لله" (٩: ٢٤) على أن هذه الأوصاف الرباعية: "سارق", "لص" (عدد ١), "غريب" (عدد٥), "أجير" (عدد ١٣), ليست سوى مظاهر متنوعة لتصرف الفريسيين ومن إليهم.

عدد ٦. جهالة العلماء: "هذا المثل قاله لهم يسوع, وأما هم فلم يفهموا.. " كان أمام المسيح غرض مزدوج في نطقه بالأمثال: لكي يبصر العميان, ولكي يعمى المبصرون (مت ١٣:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٠ و ١٣). "وأما هم فلم يفهموا" على رغم كون يعقوب أبيهم قد تحدث عن الله كراع (تك ٤٩), وداود ملكهم ترنم برعاية الرب له (مز ٢٣), وإشعياء نبيهم تغنى برعاية الرب لشعبه (إش ٤٠: ١١). (أنظر أيضاً حزقيال ٣٤ وزكريا ١١). إن السر في عدم فهمهم, كائن في الغشاوة التي أعمت بصائرهم, والكبرياء التي ملكت قلوبهم. فلم يخطر لبالهم أن أمثالهم يكونون "سراقاً ولصوصا". وكم للكبرياء من ضحايا, هؤلاء هم الذين لم يقبلوا أن يقال عنهم إنهم عميان (٩: ٤٠)!!

(ب) المثل الثاني – مثل باب الخراف (١٠: ٧ - ١٠). في هذا المثل خصص المسيح لنفسه أحد العناصر المكون منها المثل الأول (١٠: ٢), فقال: "أنا هو الباب" مقرراً بهذا أنه هو الواسطة الوحيدة للدخول إلى الكنيسة

مَا هُوَ ٱلَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ. ٧فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «ٱلْحَقَّ ٱلْحَقَّ

في كل العصور. به يدخل المؤمنون, وبه يستمتعون بكامل حقوقهم المقدمة لهم من الله. في هذا المثل تقدم كلام المسيح, مرحلة أخرى عن كلامه في المثل الأول. فما قاله في المثل الأول بوجه التعميم, فاه به هنا على وجه التخصيص, فقال: "أنا هو الباب". المثل الأول يقدم لنا مشهداً صباحياً حين يأتي الراعي إلى الحظيرة ويكون قطيعه مخرجاً إياه إلى المراعي. والمثل الثاني يصور لنا مشهداً نهارياً حين تكون الرعية قد خرجت من الحظيرة العامة, لتسرح وتمرح في المراعي, حيث يقام لها عادة سياج مفتوح بابه باستمرار, لتحتمي فيه عند قيلولة النهار. فإن أرادت حمى لجأت إليه, وإن طلبت مرعى, خرجت منه إلى المراعي, وهي متمتعة بكمال الحرية التي يتمتع بها ابن البيت.

عدد ٧. باب الخراف: "فقال لهم يسوع أيضاً" – مفسراً لهم بعض ما أشكل عليهم فهمه في المثل الأول – "الحق الحق لقول لكم" – بذات التوكيد الذي أورد به المثل الأول – "إني أنا باب الخراف". في الغالب جداً, مضى بعض الوقت بين المثل الأول وبين هذا المثل. ومن المحقق أن في هذا المثل الثاني انتقالا في الفكر عما في المثل السابق. في المثل الأول تكلم المسيح عن "باب الحظيرة", وهنا قال عن نفسه إنه "باب الخراف". في الكلام عن "باب الحظيرة" المعنى منصرف إلى النظام الخارجي المتعلق بالرعية. وفي الكلام عن "باب الخراف" المعنى منصب إلى الحياة الخلاصية الروحية الخاصة بالرعية. ويقول جودي إن "باب الحظيرة" يرمز إلى نظام العهد

أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ ٱلْخِرَافِ. ٨جَمِيعُ ٱلَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ

القديم. ولكن "باب الخراف" يشير إلى الخلاص التام المقدم في الإنجيل. وإن "باب الخراف" هو الباب الذي تدخل إليه الخراف, للخلاص والحماية, ومنه تخرج للرعاية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وللرياضة (عدد ٩). ويظن ماير وآخرون أن "باب الخراف" هو الباب الذي منه يدخل الرعاة إلى الخراف. على انه إذا كان هذا المعنى الأخير متضمناً في العبارة, فإنما يكون من باب التطبيق.

"أنا باب الخراف" – هذا هو الإعلان الثالث الذي فاه به المسيح في هذه البشارة (أطلب ٦: ٣٥ و ٨: ١٢).

عدد ٨. صفات من يدعون أنهم باب الخراف: "جميع الذين أتوا قبلي" – زاعمين أنهم باب الخراف – "هم سراق ولصوص" – "ولكن الخراف" – أعني بها خرافي الخاصة التي تعرف صوتي. هذا لا خوف عليها منهم لأنها عرفت أيضاً صوتهم – "ولم تسمع لهم".

إن الكلمة الأصلية المترجمة: "قبلي", تعني إما: (أ) قبلي في الزمان, أو (ب) قبلي في المكان, أو (ج) قبلي قي المقام, أو (د) قبلي من حيث الحلول محلي. وهي في هذا المجال تحمل على المعنين الآخرين. هؤلاء هم الكتبة والفريسيين ومن إليهم, من معاصري المسيح.

ما أعظم الفرق بين ادعاآتهم وبين شهادة يوحنا المعمدان: "هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي". ويهمنا أن نلاحظ أن المسيح لم يصفهم كأنهم عاشوا في زمن مضى. بل اعتبروا كونهم معاصرين

وَلُصُوصٌ وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. ٩أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ

له. فلم يقل "كانوا سراقاً" بل "هم" – في الحال – "سراق ولصوص".

"ولكن الخراف لم تسمع لهم" – إن الذين كانوا ينتظرون تعزية إسرائيل لم تشبعهم الوعود الخلابة, ولم تخدعهم الكلمات المعسولة, التي قصد بها أضداد المسيح أن يصرفوهم عن رجال إسرائيل. وفي الحقيقة لم يقم إنجيل للمساكين إلا بمجيء المسيح (لو ٦: ٢٠ و مت ١١: ٣).

إن مثل الكرامين المذكور في سائر البشائر يعتبر خير تفسير لهذا الكلام.

عدد ٩. مزايا الداخل من هذا الباب: في هذا العدد, عاد المسيح فقرر لهم مؤكداً, ما سبق فقاله في العدد السابع, ثم بين لهم المزايا الكاملة التي يتمتع بها من يدخل من هذا الباب. هذه مزايا اختبارية تمنح لكل من يتحد اتحاداً روحياً وحيوياً بالمسيح, ويتخذه لذاته فادياً وشفيعاً. "فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله". وهي أيضاً مزايا مثلثة – والثلاثة رمز الكمال. فهي (أ) خلاص تام: "فيخلص". (ب) حرية[٢]: "ويدخل ويخرج". وهذا تعبير يطلق على من صار متمتعاً بحرية وحقوق أبناء البيت, الذين يدخلون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويخرجون من غير حرج ولا استئذان (تث ٢٨: ٦ و إرميا ٣٧: ٤ و أعمال ١: ٢١). (ج) شبع "ويجد مرعى". إن أبناء

وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى. ١٠اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ

العالم لا يعرفون الشبع. لأن كلمة "شبع" محذوفة من قاموسهم. ولكن من يعرف الله, ويصير من أبناءه, يشهد لصدق القول: "أمامك شبع سرور".

يعتقد مايروستراخان وغيرهما, أن "الداخلين" من هذا الباب هم الرعاة الذين يدخلون إلى أقداس الشركة مع الله, فيتمتعون بالخلاص التام لأنفسهم (١ تى ٤: ١٦), ويدخلون ويخرجون ليجدوا مرعى لرعيتهم. ولا يبعد أن يكون هذا المعنى متضمناً في الآية من قبيل التطبيق.

عدد ١٠. (١) غرض السارق من مجيئه (١٠: ١٠ أ). "السارق لا يأتي ليسرق ويذبح ويهلك". يلاحظ بنوع خاص من هذا المثل, أن كل عدد فيه متخالف في معناه مع سابقه, ومتحالف مع سابق سابقه. هذا هو التوازن المتباين: فعدد ١٠ متخالف في معناه مع عدد ٩, ومتحالف مع عدد ٨. وكذلك عدد ٩ متخالف مع عدد ٨, ومتحالف مع عدد ٧. ومن محاسن هذا المثل أنه يبتدىء بالحسن وينتهي "بالأفضل".

من كلام المسيح عن الشبع, الذي تجده الرعية في راعيها الحقيقي, انتقل إلى الكلام عن الهلاك الذي تمنى به الرعية, من السارق الذي لا يأتي إلا "ليسرق ويذبح ويهلك".

هذه الكلمات الثلاث: "يسرق, يذبح, يهلك" سائرة في نظام تدرجي فالقتل أشد من السرقة, والهلاك نتيجة لكليهما

وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ. ١١أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ

(٢) غرض المسيح من مجيئه (١٠: ١٠ ب). "وأما أنا فقد أتيت". إن العطايا الحقيقية, مشتقة من قلب معطيها, فهي عنوان حياته, ورمز صفاته: فالسارق, لا يمكنه إلا أن يسرق, ويذبح, ويهلك – لأن هذه من طبعه. أما المسيح رب الحياة, فلا يمكنه غلا لان يكون واهب الحياة الفضلى: "لتكون لهم الحياة وليكون لهم أفضل". والمراد بقوله: "أفضل" إن الرعية تجد مراعي أوفر مما تستطيع أن تأكل. فبعد أن تأخذ كفايتها من الحياة وتشبع, تفضل عنها الحياة وتزيد "كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز" (لوقا ١٥: ١٧). "ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يو ١: ١٦). فالمسيح جاء لكي ما تكون الحياة, وتكون لنا أفضل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في كميتها, وقياسها, ونوعها. السارق لا يأتي إلا ليستلب الحياة, وينتقص منها, أما المسيح فإنما أتى لكي يفيضها فتغمرنا.

(ج) المثل الثالث – مثل الرعي الصالح (١٠: ١١-١٨). في هذا المثل, خصص المسيح لنفسه, المتضمن في المثل الأول – الراعي. إن المثل الأول, تجمله أشعة الصباح البهية. والمثل الثاني يظلله فيء الظهيرة, والمثل الثالث مصطبغ بأشعة الغروب الذهبية, حين تميل الشمس لتختبيء وراء الأفق, فتقفل الأغنام راجعة إلى الحظيرة, وتتعرض لهجمات الذئاب التي تكون كامنة في مخابئها, متحينة الفرصة لتفتك بها. في هذا المثل الثالث بلغ المعنى ذراه, فقد قال فيه المسيح عن نفسه إنه "الراعي الصالح".

وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ

فالمقابلة فيه, ليست بين الراعي واللص كما في بدء المثل الأول وفي المثل الثاني, بل بين الراعي الصالح والراعي المأجور. فالمسيح ليس مجرد راعي, بل هو الراعي الصالح. كلمة "صالح" كما وردت في الأصل معناها "الجميل, والبديع, والفاضل, والخير". لأن اليونان, الذين كتب الإنجيل بلغتهم, كانوا يرون "الخير الأعظم" في الجمال. ومن مميزات هذا الراعي الصالح: (أ) تضحية نفسه عن الرعية (١٠: ١١-١٣). (ب) المعرفة المتبادلة بينه وبين الرعية (١٠: ١٤-١٦). (ج) تضحية اختيارية لا اضطرارية (١٠: ١٧ و ١٨).

عدد ١١. "الميزة الأولى للراعي الصالح: تضحية نفسه عن الخراف" (١٠: ١١-١٣). "والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف". هذا هو العنصر الفدائي في مزايا الراعي الصالح. الكلمة المترجمة: "يبذل", وردت في العهد الجديد ضمن كتابات يوحنا البشير دون سواه (١٠: ١٥ و ١٧ و ١٣: ٣٧ و ٣٨ و ١٥: ١٣ و ١ يو ٣: ١٦). وفي كل هذه المواضيع ترجمت إلى "يضع". ويقول بعض الثقاة إن هذه الكلمة كانت تستعمل "لتقديم الفدية" التي يشترى شيء ثمين (قابل هذا بما جاء في مت٢٠: ٢٨). ومعناها الحرفي: "خلع"[٣] (أنظر يوحنا ١٣: ٤) – أي أن الراعي الصالح "يخلع" حياته على رعيته. ومن المحتمل جداً أنها تحمل بين

عَنِ الْخِرَافِ. ١٢وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ وَلَيْسَ رَاعِياً الَّذِي لَيْسَتِ الْخِرَافُ لَهُ فَيَرَى الذِّئْبَ مُقْبِلاً وَيَتْرُكُ الْخِرَافَ وَيَهْرُبُ فَيَخْطَفُ

دفتيها إشارة ضمنية إلى ما جاء في إش ٥٣: ١٠ "جعل نفسه ذبيحة إثم". أما كلمة: "عن", فمعناها: "من أجل" – هذا تعبير آخر لكفارة الصليب. هذه هي التضحية العظمى, التي تنطوي على: (١) حب الراعي الصالح لرعيته (٢) شجاعته التي يستخف بالمخاطر. (٣) حرصه على ألا يتبدد من الرعية أحد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"أنا هو الراعي الصالح" – هذا هو الإعلان الرابع الذي فاه به المسيح عن نفسه في هذه البشارة (قابل ٦:/ ٣٥ و ٨: ١٢ و ١٠: ٧).

عدد ١٢ و ١٣. الأجير. مقابل تضحية الراعي الصالح لرعيته, وصف المسيح أنانية الأجير. إذ كانت تضحية الراعي تنطوي على حبه للرعية, وشجاعته, وحرصه عليها, فان أنانية الأجير, تنطوي على: (١) حب الأجير لذاته, فهو يقدم رعيته على بح مصلحته الذاتية: "وأما الذي هو أجير وليس راعياً" – على الإطلاق: فلا هو بالراعي الصالح ولا الطالح, بل مأجور من الراعي لحراسة الأغنام – "الذي ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلاً, ويترك الخراف". المقابلة هنا ليست بين الراعي الصالح وبين السارق واللص كما في عددي ٨ و ١٠, بل بين الراعي الصالح وبين الأجير. ليس من الضروري أن نقرر أن المسيح قصد بـ "الأجير" شخصاً خاصا أو طبقة معينة, فربما ذكر الأجير والذئب كعنصرين مكملين للمثل. على أننا إذا حسبنا "السراق واللصوص", ممثلين للفريسيين الذين كانوا متقلدين السلطة

الذِّئْبُ الْخِرَافَ وَيُبَدِّدُهَا. ١٣وَٱلأَجِيرُ يَهْرُبُ لأَنَّهُ أَجِيرٌ وَلاَ يُبَالِي بِالْخِرَافِ.

التنفيذية في الأمة اليهودية, فإن "الأجير", يمثل الكهنة واللاويين الذين استودعوا نفوس الشعب باعتبارها مرشديهم الروحيين, وهم الطبقة المأجورة في النظام اليهودي. إن من خصائص "السارق واللص", السلب والنهب كذلك كان الفريسيون. ومن خصائص "الأجير", الجبن والهرب – كذلك كان الكهنة (يوحنا ١٢: ٤٢).

الفريق الأول يمثل العنصر المعادي للمسيح: "فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله". والفريق الثاني يمثل العنصر الذي يميل إلى الإيمان بالمسيح, لكنه يخشى بطش المشاغبين: "آخرون قالوا كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات" (٩: ١٦). "الذئب", يرمز إلى الشيطان, أو إلى أي قوة يتخذها الشيطان آلة في يده لاختطاف رعية المسيح.

(٢) جبن الأجير: "ويهرب" إن لهروبه نتيجتين – إحداهما منصبة على الرعية أفراداً: "يخطف الذئب الخراف". فالذئب لا يخطف إلا فردا فردا. والثانية واقعة على الرعية كالجماعة, وهي مترتبة على النتيجة الأولى. لأن الرعية بعد أن ترى الذئب يخطف منها واحدا فواحدا. لا تستطيع أن تقف ضد هجماته "فتتبدد".

عدد (١٣). عدم مبالاة الأجير: "... ولا يبالي بالخراف". في هذا العدد كشف المسيح عن علة هروب الأجير – عدم المبالاة. فالهرب عمل خارجي. وعدم المبالاة إحساس داخلي في القلب. هذه خطية سلبية – فهي خطايا الترك – لكنها من أشنع الخطايا (يعقوب ٤: ١٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٤أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي ١٥كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ.

عدد ١٤. الميزة الثانية للراعي الصالح – المعرفة المتبادلة بينه وبين الرعية: "أما أن" – على خلاف الأجير – "فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي" – ليست هذه مجرد معرفة سطحية تميز الرعية من شكلها الخارجي, لكنها معرفة عميقة داخلية. هي معرفة العين المحبة الفاحصة التي تصل إلى أعماق قلوب الرعية فتعرفها فردا فردا. وتعرف حالة كل فرد معرفة دقيقة. تحيط بكل صغيرة وكبيرة في حياته. كلمة "خاصته" معناها "الذين هم له" ويقابلها في عدد ١٢ "الذي ليست الخراف له". هذا هو الجانب الأول والأساسي لهذه المعرفة – إن المسيح يعرف خاصته. أما جانبها الثاني الذي ينبني على الجانب الأول ويشتق منه فهو – إن خاصة المسيح تعرف: "وخاصتي تعرفني". هو يعرف "خاصته" بأسمائها وبكل ما يحيط بها. و "خاصته" تعرفه بصوته وشخصه.

مقياس للمعرفة المتبادلة ونبعها (١٠: ١٥ أ). "كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب". أن مقياس المعرفة المتبادلة بين المسيح ورعيته هي المعرفة المتبادلة بين المسيح والآب. فهي معرفة مؤسسة على وحدة الطبيعة والحب الصادق, والتفاهم المتبادل. يا عجبي من هذا الحب المجيد الذي به رفعنا المسيح إلى نفسه. فلقد تنازل ليرفعنا إليه. وشاركنا في لحمنا ودمنا ليجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية - هنا يطرح المفسر قلمه جانبا ليجلس مبهوتاً من فرط هذه الأمجاد التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها.

وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ.

وسيلة المعرفة المتبادلة وغايتها (١٠: ١٥ ب). "وأنا أضع نفسي عن الخراف". هذه العبارة سببية للجملة التي قبلها وتابعة لها. لأن وحدة الطبيعة التي بين المسيح ورعيته, لم تتخذ لها حيزا في الظهور إلا بالصليب. كما أن معرفة المسيح بحقيقة حالات الرعية وحاجاتها, لا يمكن أن تنتهي بالصليب.

ما أشبه قول المسيح: "وأنا أضع نفسي عن الخراف" بقرار نشيد محبب ردده الفادي وأعاده ثلاثة مرات (عدد ١١ و ١٥ و ١٨). فإذا كان مخلصنا قد وجد لذة في أن يلهج بموته عنا – والموت كأس مريرة. أفلا نجد نحن لذة في أن نلهج بالحياة التي صارت لنا بهذا الموت – والحياة حلوة لذيذة؟!

ليست هذه أول مرة نعثر فيها عن مثل هذا القرار. فقد سبق الفادي فردد قرارا آخر: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (٦: ٣٩ و ٤٠ و ٤٤ و ٥٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في هذا المثل رفع المسيح حب الراعي لرعيته إلي مستوى يعلو عما جاء في مثل الخروف الضال, الذي في بشارة لوقا. هناك رسم المسيح صورة الراعي وقد وضع عنقه تحت الخروف. وهنا أرانا الراعي الصالح, وقد وضع نفسه من أجل الحمل. إن موضوع المثل في لوقا هو الراعي العادي: "أي إنسان منكم" ولكن موضوع المثل في يوحنا هو الراعي الصالح متفرداً في جماله وجلاله.

كلمة: "الخراف" تعني جميع المؤمنين. إن كفارة المسيح "عامة" من حيث كفايتها, "خاصة" من حيث فاعليتها. فهي "كافية" لجميع الناس, "شافية" لجميع المؤمنين (١ يو ٢: ٢). على أن المؤمنين بالمسيح لا تحدهم طائفة ولا تحصرهم أنظمة منظورة بل هم في كل قبيلة وأمة.

١٦وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ

عدد ١٦. رعية واحدة في حظائر متعددة: "ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة... ". يخيل إلينا أن المسيح نطق بالكلمات المدونة في العدد السابق, وهو مثبت نظره في الصليب الذي كان منه قاب قوسين أو أدنى. وما هي إلى هنيها حتى رفع عينيه التين تخترقان حجب المستقبل, فرأى جمهور المؤمنين به مقبلاً إليه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة. فأراد أن يرفع أنظار سامعيه على ما وراء أفق الحظيرة اليهودية الضيقة: "ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة". في الأعداد ١ و ٢ و ٣ حدثنا المسيح عن حظيرة واحد تضم رعايا كثيرة. وفي هذا العدد (عدد ١٦) يكلمنا عن رعية واحدة موجودة في حظائر كثيرة. كلمة "هذه الحظيرة" تعني النظام اليهودي. و "الخراف الأخر" تعني أتباع المسيح من الأمم. إذا كان النظام اليهودي أضيق من أن يضم كل أتباع المسيح, فإن أي كنيسة نظامية مهما علا شأنها وكبر, لن تستطيع أن تضمن بين جدرانها كل المؤمنين بالمسيح. فالكنيسة الغير منظورة أوسع مدى من أية كنيسة منظورة. إن أتباع المسيح لا يمكن أن تحصرهم جدران معينة. وإنما تحصرهم محبة المسيح. فعلى قدر ما ضيق المسيح مبادىء ملكوته, بهذا القدر عينه وسع أفق حدوده. فإلى الأخ المسلم تمد المسيحية يدها وتفتح قلبها مرحبة به ليأخذ مكانه في صدر المسيح. وإلى كل يهودي تقدم الدعوة ليأخذ مقامه في الزيتونة الأصيلة. إن شخصية المسيح الغنية هي المغناطيس الأكبر الذي يجتذب أبناء الله المتفرقين ويضمهم إلى صعيد واحد (١١: ٥٢). هذه رسالة المسيح التي جاء

أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ. ١٧لِهَذَا يُحِبُّنِي

ليتممها فهو عالم أنه تحت إلزام أدبي قبله على نفسه طائعاً مختاراً. لذلك قال: "ينبغي أن آتي بتلك أيضاً". ما دامت الرعية له فهي ملكه لذلك يجب أن تكون عنده "فتسمع صوتي" – (أعمال ٢٨: ٢٨) – "وتكون رعية واحدة وراع واحد" – (أفسس ٢: ١٤-١٧). إن كل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مؤمن بالمسيح واقع تحت هذا الالتزام عينه: "صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً". ويضاف إلى هذا الالتزام الاختياري التزام آخر إجباري: "ويل لي إن كنت لا أبشر". لأن كل مسيحي واقع تحت دين: "إني مديون لليونانيين والبرابرة. للحكماء والجهلاء" (روميا ١٤: ١).

عدد ١٧. الميزة الثالثة للراعي الصالح – ضحيته الاختيارية (١٠: ١٧ و ١٨). لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي". لاحظ المسيح أنت الصورة المرسومة في الأعداد السابقة (١٤ و ١٥ و ٦), لا تمكنه تماماً لأن الذئب لا يستطيع أن يفترس الراعي المضحي بنفسه عن الخراف, إلا إذا استضعف الراعي أمامه فمع أن الراعي متصف بالشجاعة والتضحية, إلا أنه محاط بالضعف الذي لولاه لما تمكن الذئب منه. وإن هذا الضعف هو وجه الخلاف بين المسيح وبين أي راع. فالمسيح لم يسلم نفسه للموت, عن ضعف, بل عن سلطان إرادته الحرة المختارة. فبإرادته الحرة, أسلم نفسه للموت. وبإرادته الحرة كسر شوكة الموت وقام: "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً". الراعي العادي يضحي بنفسه, ولا قدر له على ردها. لكن المسيح يضع نفسه ليأخذها أيضاً..

الآبُ لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي

ما أشبه هذين العددين بجناحين, بهما ترتقي النفس وتصعد داخلة إلى ما وراء الحجاب, في محضر مشورة الله, قبل كون العالم, وقت تدبير الفداء, حين قبل المسيح على نفسه طائعاً مختاراً, باعتبار كونه "الابن", أن يجيء إلى أرضنا ليتمم مشيئة الآب, فيجعل إرادة الآب طعامه الذي به يقتات, ويتلذذ, ويشبع, ولما جاء ملء الزمان مات, وفي الوقت المعين قام.

في هذين العددين يصف المسيح ضحيته الاختيارية, وصفا رباعياً: (١) في صلتها بمحبة الآب له: "لهذا يحبني الآب" (عدد ١٧ أ). (٢) في حقيقتها الذاتية: "أضع نفسي لآخذها أيضاً" (عدد ١٧ ب). (٣) في صلتها بقوة إرادته: "ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا في ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (عدد ١٨ أ). (٤) في صلتها بوظيفته الفدائية: "هذه الوصية قبلتها من أبي" (عدد ١٨ ب).

(١) تضحية المسيح في صلتها بمحبة الآب له: "لهذا يحبني الآب". إن تضحية المسيح نفسه اختيارياً, هي علة محبة الآب له. إن الأب يحب الابن منذ الأزل. لكن هذا التعبير مستعار من لغة البشر, ليترجم لنا عن الصلة المتبادلة بين الآب والابن في تدبير الفادي. فالمسيح كابن مطيع للآب. والآب يحب الابن. على أن هذه الصلة مبينة على الرضا المتبادل. فالابن راض بمشيئة الآب إلى درجة السرور بها: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" إذا كان الآب قد سر بابنه الحبيب في شخصه, وكلامه,وأعماله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لِآخُذَهَا أَيْضاً.

وطاعته, فإن طاعة الابن للآب بلغت ذروتها,ز في الصليب: "وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً" (فيلبى ٢: ٩ و ١٠). لهذا السبب عينه, يعتبر بولس الرسول أن كفارة المسيح "نسيم رائحة طيبة" لدى الله الآب (أفسس ٥: ٢).

(٢) تضحية المسيح في حقيقتها الذاتية: "لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً". وفي هذا أيضاً يمتاز المسيح عن الراعي البشري. لأن الراعي البشري, متى بذل نفسه عن الخراف, لا يبقى في مقدوره أن يستردها بعد. لأنها تخرج من حوذته عن بذله إياها. أما المسيح, ففي سلطانه أن يضع نفسه بموته الاختياري, وفي سلطانه أيضاً أن يأخذها بقيامته المقتدرة. فلقد مات بقوة إرادته, وقام بقوة هذه الإرادة عينها. إن قيامته غير منفصلة عن صليبه. لأنه وضع نفسه وهو متسلح بنية أخذها. وفي كل البشائر لا تجد المسيح يتحدث عن الصليب إلا ويردف حديث صليب بنبوة القيامة. هذا دليل قاطع على أن المسيح كان مقدراً قيمة التضحية العظمى التي بذلها لأجلنا. إذ لم يبذل نفسه كرهاً منه لها, كمن يضع شيئاً في نية التخلص منه, بل وضعها في نيته أن يستردها, بعد قيامته وصعوده, ليتمم ما أكمله على الصليب, إلا أن يأتي بآخر حمل من تلك الخراف الأخر التي ليست من الحظيرة اليهودية, فيعود متحداً بالآب قبل التجسد.

يقول جودي: لو اكتف المسيح بتقديمه نفسه على الصليب بغير قيامة, لأعتبر موته انسحاباً للمحضر الآب.. وبذبيحة ناقصة كهذه, لا يرضى الآب.

١٨لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً.

عدد ١٨. (٣) ضحية المسيح في صلتها بمحض سلطانها "ليس أحد.. بل أضعها أنا... لي سلطان...". في هذا العدد يصف المسيح موته الاختياري: (١) وصفاً سلبياً: "ليس أحد يأخذها مني". فلا اليهود, ولا بيلاطس, ولا هيرودس, ولا يهوذا هم الذين أسلموه. إنما المسيح هو الذي أسلم نفسه لأنه أحب, وأحب لأنه أراد (١٤: ٣١). لم تكن المسامير بقادرة أن تثبت يديه ورجليه في الصليب. لكن حبه للبشرية, ورضاه بمشيئة الآب, هما اللذان ثبتا يديه ورجليه بخشبة اللعنة, إن كلمة: "أحد" تعني كل هؤلاء جميعاً, وتمتد إلى كل قوة أرضية, وهي أيضاً تعني "الآب". فالمسيح لم يشرب من يد الآب كأس الصلب المريرة لأنها فرضت عليه فرضاً, بل شربها لأنه قبلها راضياً مسروراً: "الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها"؟. (ب) وصفاً ايجابيا: "بل أضعها أنا من ذاتي", هذا يذكرنا يقوله لبيلاطس(١٩: ١١). (ج) وصفاً يقينياً: "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها" هذه نغمة الواثق – بدليل تكرار كلمتي "لي سلطان". لم يكن الموت "فرض عين" على المسيح,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا فرض كفاية, لأن الموت قصاص الخطية. والمسيح خلو من الخطية بشهادة الأعداء والأصدقاء.

إن هذه الكلمات تقرر لنا أيضاً بطريقة حاسمة, أن قيامة المسيح كانت من عمله الخاص وبقوته الذاتية. لأن نفسه التي "خلعها" بالموت لأجل

هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي». ١٩فَحَدَثَ أَيْضاً انْشِقَاقٌ بَيْنَ الْيَهُودِ بِسَبَبِ هَذَا الْكَلاَمِ. ٢٠فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ:

البشرية كانت تحت إذنه حتى استردها. هنا يلتقي عمل الآب بعمل الابن, لأن القيامة من عمل الآب أيضا.

(٤) ضحية المسيح في صلتها بوظيفته الفدائية: "هذه الوصية" - - أي مأمورية موت المسيح وقيامته اختيارياً – "قبلتها من أبي" – هذه الكلمات تعود بنا إلى حيث ابتدأنا في غرة العدد السابق: "لهذا يحبني الآب". هذه مهمة عجيبة بل هي مهمة الأجيال, بل مهمة الأزل والأبد, فليس الصليب إذا وليد المصادفات, ولا هو ثمرة مؤامرات الكتبة والفريسيين, ولا هو غضبة الأرض الظالمة, بل هو تدبير أزلي محكم في حضرة الله, والمسيح, تواضعاً منه, يسمى هذا التدبير "وصية" بالنسبة له "كابن" لكنه قام به لأنه "قبله".

عدد ١٩. نتيجة وقع كلام المسيح على سامعيه (١٠: ١٩-٢١). "فحدث أيضاً" – كما حدث سابقاً (٧: ١٢ و ٣٠ و ٣١ و ٤٠ و ٤١ و ٩: ٨ و ٩ و ١٦). كلمة "أيضا" تفيد عملية متكررة. في هذا تم قول المسيح: "ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً", وتمت كلمات سمعان عنه: "وضع لسقوط وقيام كثيرين". وكما أن النور يشق غلاف الليل, فيفصل بين الخيط الأسود والخيط البيض كذلك كان كلام المسيح "نور العالم". فحدث بسببه "انشقاق" بين اليهود.

عدد ٢٠. هذيان أبناء الليل "فقال كثيرون منهم" – وللأسف الأشواك أكثر من الورود. والرخم أكثر من الأسود – "به شيطان وهو يهذى".

«بِهِ شَيْطَانٌ وَهُوَ يَهْذِي. لِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ لَهُ؟» ٢١آخَرُونَ قَالُوا: «لَيْسَ هَذَا كلاَمَ مَنْ بِهِ شَيْطَانٌ. أَلَعَلَّ شَيْطَاناً يَقْدِرُ

هذا ضرب من هذيانهم حين رأوا السلطة تفر منهم هاربة ولاجئة إليه. وأكبر دليل على هذيانهم, خوفهم على الناس منه. وهم يعلمون أنه لم يعمل ذنباً. بل أن كل أعماله وأقواله معجزات, وكل معجزاته حسنات. فقالوا: "لماذا تسمعون له؟" فإذا كان كلامه شراً, فليميزه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الناس, وإن خيراً فمم يخافون؟ كما أن المسافر في قطار سريع, يتخيل أعمدة التلفون متحركة كذلك عبر هؤلاء القوم عن هذيانهم بقولهم عن قدوس الله: "به شيطان" وعن رب الحكمة بقولهم: "يهذى". هذه خطية التجديف على الروح القدس.

عدد ٢١. منطق أبناء النور "آخرون قالوا" – عن حكمة ففاهوا بحجتين منطقيتين – أولاهما مستمدة من طبيعة كلامه: "ليس هذا كلام من به شيطان" – والثانية مبنية على طبيعة أعماله: "ألعل شيطان يقدر أن يفتح أعين العميان؟" إن الشيطان قاتل, فلن يجد الإحسان إلى قلبه باباً. هؤلاء هم طليعة رعية المسيح الحقيقية, وقد خرجوا من الحظيرة اليهودية الضيقة إلى حرية مجد أولاد الله.

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن في تشبيه المؤمنين بالخراف أوجه شبه كثيرة, نذكر منها بعضها: (أ) عدم الأذى. (ب) الوداعة. (ج) الضعف. (د)الاحتياج إلى راع. (هـ) الطاعة. (و) قبول التعليم. (ز) النفع للآخرين.

فالمؤمنون هم رعية المسيح وخاصته, للأسباب الآتية: (١) لمحبته لهم.

يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ أَعْيُنَ الْعُمْيَانِ؟».٢٢وَكَانَ عِيدُ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ

(ب) لكونهم عطية الآب له. (ج) لأنه افتداهم واشتراهم بموته. (د) لأنه اختارهم ودعاهم. (هـ)لأنه يرعاهم ويحميهم ويكفل لهم الأمن والصيانة والأشباع. (و) لكونه قد اختاروه.

ثانياً: الخطاب الأول ١٠: ٢٢-٣١. والكلام منقسم فيه إلى (أ) مقدمة ١٠: ٢٢-٢٤. (ب) نص الخطاب ١٠: ٢٥-٣٠. (ج) تأثير الخطاب ١٠: ٣١.

عدد ٢٢. (أ) مقدمة تاريخية ١٠: ٢٢-٢٤. "وكان عيد التجديد في أورشليم وكان شتاء". بهذه الكلمات يقدم لنا البشير وصفاً دقيقاً للملابسات الخاصة التي أحاطت بهذا الحديث الثاني, من حيث الزمان: "عيد التجديد". والمكان: "في أورشليم", والطقس "وكان شتاء". إذاً قد توسط شهران بين عددي ٢١ و ٢٢. فأولهما يختتم حديثاً فاه به المسيح بعيد عيد المظال الذي يقع عادة في الخامس عشر من شهر تشرين (أكتوبر). وثانيهنما يمهد لحديث نطق به الفادي في عيد التجديد الذي يقع عادة في الخمس والعشرين من كسلو (ديسمبر). هذا العيد الثاني الذي أنشأه يهوذا المكابي بعد أن طهر المذبح من الرجاسات والنجاسات التي ألحقها به أنطيوخوس الشهير وأعاد الذبيحة. وكان يظل قائما مدة ثمانية أيام ابتداء من ١٩ ديسمبر في ذلك العام (٢٩ للميلاد). وكان يسمى أيضاً "عيد الأنوار" نظراً للنوار البهية التي كانت تضاء بها أورشليم, وكل الأراضي المقدسة آنئذ, ومن فرط ابتهاج اليهود بهذا العيد أنهم كانوا يحرمون فيه الصوم والحزن. "ليفرح الشعب فرحاً كاملا أمام الرب".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَكَانَ شِتَاءٌ. ٢٣وَكَانَ يَسُوعُ يَتَمَشَّى فِي الْهَيْكَلِ فِي رِوَاقِ سُلَيْمَانَ ٢٤فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ

ومن المؤسف, أن اليهود لم يأخذوا من تلك الأنوار البهية إلا ظلها الكثيف. فلا تجد ما يناسب حالتهم التعسة, ومن الملابسات الطبيعية المحيطة بهم إلا هذا الوصف الدقيق: "وكان شتاء". فلقد كانوا في شتاء حساً ومعنى فالشتاء يمثل عواطفهم في عواصفه الباردة, لا في ثلوجه الفضية الناصعة (١٣: ٣٠).

قضى المسيح تلك المدة التي بين غيد المظال وعيد التجديد, في الجليل, ولما أقبل عيد التجديد, عاد المسيح إلى أورشليم ومعه بعض رسله, تاركاً السبعين ليتمموا رسالتهم في البلاد التي أرسلهم إليها. هذا يوافقه ما جاء في سائر البشيرين (مت ١٩: ١ ومر ١٠: ١ ولوقا ٩: ٥١).

عدد ٢٣. البقعة الخاصة التي كان المسيح موجوداً فيها وقتئذ "وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان". بسبب زمهرير الشتاء وأمطاره, اعتكف المسيح في الهيكل في رواق سليمان. فلا يفوتنا أنه إنسان تام وإله تام.

ومما يروي عن هذا الرواق أنه كان قائماً على أعمدة في جهة الهيكل الشرقية, في الساحة المعروفة بـ "دار الأمم". والمعرف عنه أنه بناء سليمان, وهو ما سلم من الخراب, الذي ألحقه بالهيكل, نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م. وشغلت هذه البقعة التاريخية حيزاً في ذاكرة البشير, لأنها شهدت حوادث مهمة في تاريخ الكنيسة الأولى (أعمال ٣: ١١).

عدد ٢٤. (١) المناورة العسكرية التي قام بها اليهود: "فاحتاط

وَقَالُوا لَهُ: «إِلَى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ

اليهود" بدلا من أن يحتاطوا به. كما تحتاط النجوم بالقمر, فتكسب بهاء وجمالاً, أو كم يحتاط النحل بالزهر فيكتسب منه عصارة شبيهة, نراهم وقد قاموا بمناورة وضربوا حوله نطاقاً "عسكرياً", فقطعوا عنه كل اتصال بتلاميذه, محتاطين لخروجه بكل وسيلة. وساعدهم على ذلك, موقع رواق سليمان بالنسبة للهيكل.

(٢) استجوابهم إياه: "وقالوا له إلى متى تعلق أنفسنا" – هذه نغمة المهددين الذين أشهروا سلاحهم عليه مقدمين له فرصة وحيدة لجواب مختصر, قاطع: نعم أو لا, واضعين أمامه, الموت والحياة. إن باستجوابهم إياه في مرة سابقة (٨: ٢٥) ولكن بطريقة تهديدية صارمة. لقد عيل صبرهم, ولم يبق لهم في قوس الرجاء منزع, والنير الروماني كان يحز رقابهم حز السكين. وقد تعلقت أنفسهم طويلاً بأجوبته غير المفهومة تماماً, وكأنى بهم قد وضعوا فأسهم على أصل شجرة حياته الأرضية, وألزموه أن يقول صراحة ما إذا كان هو المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المنتظر, الذي يحررهم من النير الروماني.كما حررهم يهوذا المكابي من نير أنطيوخوس إبيفانوس, أم أن يقول إنه ليس المسيح, فينفضوا من حوله, إذ يعرفون نهاية أمره. ويكاد يكون محققاً, إن بين هؤلاء, قوما كانوا متسلحين بنية سيئة, آملين أن يفوزوا منه بالجواب: "أنا المسيح" لكي يقتنصوه, فيقدموه للمحاكمة.

في قلب هذا النطاق العسكري, فاه المسيح بجواب غاية في الحكمة

لَنَا جَهْراً». ٢٥أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ

وسداد الرأي, وقوة المنطق. ويقع جوابه في دورين, انتهى أولهما بشروع اليهود في رجمه بالحجارة (١٠: ٢٥-٣١) واختتم ثانيهما بمحاولتهم أن يلقوا القبض عليه (١٠: ٣٢-٣٩).

عدد ٢٥. (ب٩ نص الخطاب الأول (١٠: ٢٥-٣١) "أجابهم يسوع" إن الإجابة على سؤالهم, على جانب عظيم من الصعوبة. لأن العلم بحقيقة المسيح يستلزم معرفة اختبارية, ولا تكفي فيه الأخبار السماعية – هذا من جهة. ومن الجهة الأخرى لأنهم يفهمون من كلمة: "المسيح" غير ما تعنيه هذه الكلمة. هم ينتظرون "مسيحاً" سياسياً يرفع عن أعناقهم نير الرومان. وهو في حقيقته مسيح روحي سماوي يهب الحياة لموتى الرجاء, ويمنح الحرية امن يرسفون في قيود الخطية والآثام. فإن قال: "أنا هو المسيح", كان بذلك مخالفاً الحق كما يفهمونه هم. وإن قال: "لست أنا المسيح" كان بذلك مخالفاً الحق كما يقصده الله, وكما فهمه الأنبياء. وما قيمة الجواب الذي يقال تحت سيف التهديد, لقوم يريدون أن يتخذوا من جوابه سبباً للوقيعة بينه وبين الهيئة الرومانية الحاكمة, ولا يريد أن يستقدم ساعة صلبه ولا يستأجرها؟

أمام هذه الصعاب يمكننا أن نقدر الحكمة الممتازة التي أملت هذا الجواب الواضح, القاطع, الجريء, الذي فيه أبان لم, بكيفية لا يأتيها الريب من ناحية من نواحيها, أنه سبق فعرفهم بحقيقة شخصه, وان السبب في عدم إيمانهم, ليس في قلة التصريحات التي بلغتهم منه, بل في عدم إيمانهم به.

وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. اَلأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي. ٢٦وَلَكِنَّكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ

فالتصريحات متوفرة, والشهادات لصدقها متواترة, إنما قلوبهم هي المتوترة بعدم الإيمان: "لستم تؤمنون".

في هذا الجواب, قدم لهم المخلص شهادة مثلثة على أنه هو المسيح:

(١) شهادة تصريحاته السابقة (٨: ٢٥). "إني قلت لكم" – إني أنا المسيح – "ولستم تؤمنون". (٢) شهادة معجزاته: "الأعمال التي أنا أعملها... هي تشهد لي" – إني أنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح. لقد نبر المسيح على كلمة: "أنا", كما نبروا هم على كلمة "أنت", في استجوابهم إياه (عدد ٢٤). إن في استعماله كلمة: "أعمل", بصيغة الحاضر, بدلاً من الماضي, دليلاً على أنه لم يكف عن صنع المعجزات: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل". (٣) شهادة الآب له: "باسم أبي" لو يكن الآب مصادقاً على أن يسوع هو المسيح, لما سمح له بإتيان هذه المعجزات باسمه, لأن اسمه الكريم ختم جليل على رسالة المسيح (قابل هذا بما جاء في ٣: ٢ و ٥: ٣٦ و ٧: ٣١ و ٩: ٣٣ و ٣٤ وأعمال ٢: ٢٢). كلمة: "باسم أبي", معناها: "حال كوني مرسلاً من أبي, وعاملا باسمه".

عدد ٢٦. "سحابة قاتمة – الذين ليسوا له" "أنتم.. ": "ولكنكم لستم تؤمنون...". في هذا العدد بين لهم المسيح, عن علة عدم اقتبالهم إليه, كائنة في عدم إيمانهم به: "ولكنكم لستم تؤمنون". وإن عدم إيمانهم به, بينة واضحة على أنهم ليسوا من خرافه, لأن من مميزات خرافه الخاصة أنها:

لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي كَمَا قُلْتُ لَكُمْ. ٢٧خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. ٢٨وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي.

(١) تسمع صوته, (٢) وتعرفه, (٣)وتتبعه (عدد ٣و ٤). هذا معنى كلمة: "لأنكم". فهي لا تدل على كونهم من غير خرافه, منعهم من الإيمان به, بل إن عدم إيمانهم به, برهان على أنه ليس من خرافه. إن استعمال كلمة "لأن" هنا, يتفق واستعمالها في لوقا ٧: ٤٧: "قد غفرت خطاياه الكثيرة. لأنها أحبت كثيراً". فكلمة "لأن" في كلا الموضعين "برهانية" وليست "سببية". "كما قلت لكم" – الإشارة هنا إلى ما تحدث به المسيح إليهم في ١٠: ٣ و ٤ و ٨: ٤٧, وقت اجتماعه بهم في عيد المظال, والخطاب في هذا الكلام موجه إلى الذين كانوا حاضرين وقت إلقائه خطابه السابق في ذلك العيد.

عدد ٢٧ و ٢٨. – سحابة نيرة – الذين هم له – "رعيتي... وأنا": "خرافي تسمع صوتي..." إذا كنا قد رأينا في جو العدد السابق, سحابة قاتلة مظلمة, يستتر وراءها الذين لم يؤمنوا بالمسيح. فإننا نرى في جو هذين العددين سحابة نيرة تظلل خاصة المسيح التي تؤمن به: "خرافي تسمع صوتي" من الممكن أن نفصل هذين العددين كما ترى على الصفحة التالية:

إن استماع الخراف لصوت راعيها يتمشى مع معرفة الراعي لراعيته. وإن إتباعها إياه, يكافأ بمنحه إياها هبة حياة الأبد. وإن صيانتها من الموت مضمونة بقوته. هذا الوعد الأخير من الأدلة على ثبات المؤمن في النعمة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ما الداعي لوجود أربع بشائر؟

بشارة متى	بشارة مرقس	بشارة لوقا	بشارة يوحنا
كتبت لليهود	للرومان	لليونان	للعالم أجمع
ترينا المسيح ابن داوود	صانع المعجزات	ابن الانسان	ابن الله
تقدم لنا المسيح الملك المشترع	رجل الأحزان	صديق البشر	كلمة الله
فيها ترى المسيح رئيس بيت داوود	خادم الانسانية	الانسان الكامل	اله المتجسد
بشارة الماضي	بشارة الحاضر	بشارة المستقبل	البشارة السرمدية
البشارة النبوية	البشارة العملية	البشارة التاريخية	البشارة الروحية
بشارة الوجدان	بشارة الإرادة	بشارة العقل و العاطفة	بشارة الروح
بشارة اليهودية وقد كملت	بشارة الحوادث التاريخية	بشارة المسيحية المتقدمة	بشارة المسيحية الممجدة
بشارة كلمات المسيح	بشارة معجزات المسيح	بشارة شخصية المسيح	بشارة لاهوت المسيح
تفردت بذكر ٢١ معجزة	تفردت بذكر ٥ معجزات	تفردت بذكر ٧ معجزات	تفردت بذكر ٧ معجزات
شعارها: "ما جئت لأنقض بل لأكمل" ٥: ١٧	شعارها: "جاء يسوع إلى الجليل ليكرز" ١: ١٤	شعارها: "ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص" ١٩: ١٠	شعارها: "والكلمة صار جسداً وحل بيننا": ١: ١٤
البشارة الإتفاقية			البشارة التكميلية
سجلت فيها ٤٠ معجزة			سجلت فيها ٧ معجزات
بشائر الجليل			بشارة اليهودية
بشائر الجماهير			بشارة الخاصة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بشائر الكنيسة في جهادها	بشائر الكنيسة في جلالها

عدد ٢٧ و ٢٨. المسيح ورعيته. من الجائز أن نضع هذين العددين في أحد الثلاثة الأوضاع الآتية:

الوضع الأول: يتألف من ثلاثة حقول: الحقل الأول يتركب من مقطع واحد, والثاني من مقطعين, والثالث من ثلاثة مقاطع:

خرافي تسمع صوتي (ميزة الخراف)	وأنا أعرفها (ميزة الراعي)	فتتبعني (طاعة الخراف)	وأنا أعطيها حياة أبدية	ولن تهلك إلى الأبد	ولا يخطفها أحد من يدي
			(هبات الراعي لرعيته)		

الوضع الثاني: يتألف من حقلين: وكل حقل منهما يتركب من ثلاثة مقاطع:

خرافي تسمع صوتي	وأنا أعرفها	فتتبعني	وأنا أعطيها حياة أبدية	ولن تهلك إلى الأبد	ولا يخطفها أحد من يدي
الخراف: مزاياها المثلثة			الراعي: هباته المثلثة لرعيته		
(١) تسمع صوت الراعي	(٢)معروفة منه	(٣) تتبعه	(١)الحياة الأبدية	(٢)الصيانة الدائمة	(٣)الحرز الحرير الحصانة ضد الهجمات
(١) قابليتها	(٢) عظم قيمتها	(٣)طاقتها	(١)الحياة الايجابية	(٢)المناعة ضد الموت	

 All rights reserved © 2008-2018

الوضع الثالث: يتألف من ثلاثة حقول: كل حقل منها يتركب من مقطعين, وكل مقطع منهما متبادل مع سابقه:

خرافي تسمع صوتي	وأنا أعرفها	فتتبعني	أنا أعطيها حياة أبدية	ولن تهلك إلى الأبد	ولا يخطفها أحد من يدي
(١) الخراف	(٢) الراعي	(١) الخراف	(٢) الراعي	(١) الخراف	(٢) الراعي
(١)"هي"	(٢) "أنا"	(١) "هي"	(٢) "أنا"	(١) "هي"	(٢) "أنا"
(١) هي تسمع	(٢) أنا أعرف	(١) هي تتبع	(٢) أنا أعطي	(١)هي لن تهلك	(٢) أنا أقوى المهاجمين
معرفة متبادلة (١٠: ١-٦)		نشاط متبادل (١٠: ٧-١٠)		ضمان شامل (١٠: ١١-١٨)	

٢٩أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. ٣٠أَنَا وَالآبُ

عدد ٢٩ و ٣٠. الختم الملكي – الضمان المزدوج: "أبي.. وأنا". إذا كان موضوع الكلام في عدد ٢٦: "أنتم... وأنا", وفي عددي ٢٧ و ٢٨ "رعيتي.. وأنا". هذا هو الضمان الكامل الذي به تختم هبات المسيح لرعيته. إن كلام المسيح في هذين العددين متصاعد كما على سلم, حتى بلغ القمة عند قوله: "أنا والآب واحد". فالكلام في عدد ٢٩ له جانبان – أحدهما إيجابي "أبي هو أعظم من الكل" – أي من كل القوات المهاجمة لرغبتي – قوة العالم, والجسد, والشيطان. والجانب الثاني سلبي – وهو نتيجة للجانب الإيجابي: "لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي". ولئلا يتبادر إلى ذهن بعض سامعيه أن كلمة "الكل" قد تتسع وتبسط جناحيها, وتظلل المسيح تحتها, قرر لهم بطريقة قاطعة, لا يأتيها الشك من ناحية من نواحيها, أنه: "هو والآب واحد" – فهو واحد معه في: الجوهر. والقدرة. والإرادة. هذا هو المعنى الذي فهمه اليهود. لذلك أرادوا أن يرجموه. بل هذا هو المعنى الذي أرادهم المسيح أن يفهموه. لأنه لم يعتذر عما قال. ولا هو تراجع في هذا الإعلان. لا بل هذا هو المعنى الذي يريدنا المسيح أن نفهمه الآن. أنه هو والآب واحد: جوهره. جوهر الآب. قدرته قدرة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الآب. وإن لم يكن المسيح إلهاً. فهو مجدف. ولا موقف متوسط. فإلى الذين يريدون أن يعتقدوا

وَاحِدٌ». ٣١فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. ٣٢فَقَالَ يَسُوعُ:

بكماله وينكروا لاهوته, نوجه الخطاب: فإما أن تقولوا صراحة إنه مجدف فترجموه. أو أن تعترفوا به إلهاً فتعبدوه. وإن لم تكونوا ضمن عابديه باختياركم, فأنتم على رغم إرادتكم من راجميه!.

إن حياة المؤمنين مدعمة بأسس أربعة: (أ) كون الله أعطى المسيح إياهم. (ب) تحصيل يسوع الحياة الأبدية لهم ومنحهم إياه. (جـ) تعهد الآب والابن معاً بوقايتهم. (د) ليس لقوة في العالم أن تبطل مقاصد الله.

عدد ٣١. تأثير خطاب المسيح: "فتناول اليهود أيضاً"- مرة أخرى علاوة على المرة السابقة (٨: ٥٩) – "حجارة ليرجموه" – بسبب كلامه في عدد ٣٠, الذي اعتبروه تجديفاً. لم يكن عملهم في هذه المرة. على سبيل التهديد, بل كانوا يقصدون ما يعملون. لقد كانوا في هذه المرة أشد انتقاما منهم في المرة السابقة. لأن حقدهم استوى ونضج. هذا هو التدرج السفلي إلى دركات عدم الإيمان – بل هذا هو التدهور إلى الهوة التي لا تعرف قراراً.

ثالثاً: الخطاب الثاني: (١٠: ٣٢ - ٣٩). في هذا الخطاب عالج المسيح مسألتين مهمتين: أولاهما – تهمة التجديف التي وجهت إليه (١٠: ٣٢ - ٣٦) وثانيتهما نسبته إلى الآب (١٠: ٣٧ و ٣٨). وفي عدد ٣٩ وصف البشير مبلغ تأثير اليهود من هذا الخطاب الثاني.

عدد ٣٢. (أ) المسيح يدفع عن نفسه تهمة التجديف (١٠: ٣٢ - ٣٩). (١) المسيح يستجوبهم (١٠: ٣٢). لم ينسحب المسيح في هذه المرة كما فعل

«أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي - بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» ٣٣أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهاً»

في المرة السابقة (٨: ٥٩), بل قارعهم بالحجة. فحبس الحجارة في أيديهم, بسؤال منطقي أطفأ به نار حقدهم: "أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني"؟ إن أعمال المسيح حسنة بكمال قداستها, وسلطانها, وفائدتها. وقوله "أريتكم" يدلنا على أن الأعمال الحسنة التي أتاها المسيح, هي عينات لأعمال الله المكنونة والمستورة في خبايا عمله الأزلي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا سؤال لاذع بتأنيبه. جارح بعذوبته ورقته. فهو موجه إلى ضمائرهم. ولكن أين هذه الضمائر وقد عبث بها الحقد وحب الإجرام؟ وهل من برهان أدل على هذا, أكثر من كونهم لا يثورون عليه إلا كلما رأوه يعمل خيراً بالإنسانية المعذبة؟ فلقد ثاروا عليه بعد إبرائه مريض بركة بيت حسداً (ص ٥) وبعد فتحه عيني المولود أعمى (ص ٩). وفيما بعد سنراهم هائجين عليه بعد إقامته لعازر من القبر (ص ١١)!!.

عدد ٣٣. (٢) جوابهم المنمق "لسنا نرجوك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف" – هذا هو التكييف القانوني الذي صاغوا فيه عملهم لكي يرضوا بهم ضمائرهم المشتكية والمحتجة. إن جوابهم هذا واقع قي شطرين – أولهما ذكر على وجه التعميم "لأجل تجديف". والثاني ذكر على سبيل التخصيص والتطبيق: "لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً".

٣٤أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ ٣٥إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ ٣٦فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ

عدد ٣٤-٣٦. (٣) احتجاج المسيح المنطقي "أجابهم يسوع...". يقع هذا الاحتجاج المنطقي في حجتين متدرجتين – من الأدنى على الأعلى. الدرجة الأولى: إذا كان كتابكم الذي بين أيديكم قد قال عن قضاتكم, وهم بشر مثلكم, إنهم آلهة (ألوهيم) (مز ٨٢: ٦), ولم تستطيعوا أن تتهموا هذا الكتاب بالتجديف "لأنه لا يمكن أن ينقض المكتوب", فعلى فرض أني لست سوى بشر كأحد قضاتكم, وقلت على نفسي أني إله, فلماذا تتهمونني إذا أنا بالتجديف مع أني لم أقل إلا ما قاله كتابكم المعصوم؟ الدرجة الثانية: إذا جاز لكتابكم أن يخلع هذا اللقب الجليل على بشر, لأنهم كانوا يحكمون باسم الله, حال كونهم خطاة وقد تكون أحكامهم خاطئة – كما يشهد بذلك العدد الثاني من ذات المزمور – فكم بالأحرى يحق لي أنا,أن أقول عن نفسي: إني ابن الله, حال كوني أنا "الكلمة" الحي المعصوم, وقد قدسني الآب وكرسني منذ الأزل, لأنني بأخذي ذاتي منه في ميلادي الأزلي, قد أخذت كمال الفدا, وفي ملء الزمان أرسلني للعالم مخلصاً وفادياً؟؟!

المراد "بالناموس", كلمات الله المكتوبة. وقد أطلقت عليها كلمة "الناموس" من باب التغلب الذي يجوز فيه أن يسمى الكل باسم أحد أجزائه. وقد أسند المسيح كلمة: "ناموسكم" إلى ضمير المخاطبين,

أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟ ٣٧إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. ٣٨وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لا ليخرج نفسه عن دائرة احترامه وتقديسه للناموس. بل لكي يتخذ من كتابهم سهماً يرد به هجماتهم. (أطلب تفسير هذه الكلمة في ٨: ١٧).

كلمة "قدسه" معناها الحقيقي كرسه ومسحه لأجل الفداء.

عدد ٣٧ و ٣٨. (١) المسيح يدعوهم إلى الإيمان به كإله "إن كنت لست..". لم يكتف المسيح بأن دفع عن نفسه تهمة التجديف. بل تقدم فقرر لهم حقيقة لاهوته بطريقة قاطعة.ولم يقنع بأن وقف منهم موقف المدافع, كأنه لم يقل شيئاً لا شراً ولا خيراً, بل واجههم مهاجماً إياهم هجوماً لطيفاً, ودعاهم إلى أن "يعرفوا ويؤمنوا إن الآب فيه وأنه هو في الآب".

لقد صرح لهم الفادي في عدد ٣٧, أنه وإن تسامح معهم في عدم تصديقهم شهادة كلامه لحقيقة الوهيته, فإنه لن يتسامح معهم في عدم إيمانهم به, بسبب شهادة أعماله. فصوت الأعمال أعلى من صوت الكلام, وإذا كان كل عمل مطبوعاً بطابع الشخصية التي تعمله.. فإن الأعمال التي أتاها المسيح مطبوعة بطابع الشخصية التي تعمله. فإن الأعمال التي أتاها المسيح مطبوعة بطابع شخصية الآب. وإذاً فالآب في المسيح. والمسيح فيه. فإن لم تكن لهم آذان لتسمع كلامه, فإن لهم عيوناً لترى أعماله, وتميز الطابع المطبوعة به

"آمنوا.. تعرفوا.. تؤمنوا.." – هنا درجتان في الإيمان تتوسط بينهما المعرفة. (أ) "آمنوا" – هذه هي الدرجة الابتدائية في الحياة المسيحية.

لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ». ٣٩فَطَلَبُوا أَيْضاً أَنْ يُمْسِكُوهُ فَخَرَجَ مِنْ أَيْدِيهِمْ

إيمان التصديق والطاعة. هذا الإيمان يسبق المعرفة, كما قال المسيح لأحد تلاميذه الأولين "تعال وانظر" (يو ١: ٤٦), وكما قال لليهود في عيد المظال "إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم" (٧: ١٧). (ب) "تعرفوا.." هذه أولى ثمرات شجرة المسيحية الجديدة – شجرة معرفة الخير الأعظم. إذا كان الإنسان الأول قد سقط بأكله من شجرة معرفة الخير والشر, فإن الإنسان الجديد يتجدد حسب صورة خالقه بأكله من شجرة معرفة الخير الذي لا يدنوا منه شر (جـ) "وتؤمنون.."هذه درجة أرقى في سلم الإيمان – إيمان التمييز والتحقق. إننا نصدق أولاً. ثم نعرف. ثم نميز ونتحقق فيما بعد "أن الآب في وأنا فيه" – ما أشبه هذا الكلام بقوله "أنا هو الآب الواحد" (عدد ٣٠). هذا إفصاح عن الاتحاد الكلي, والمساواة, بينه وبين الآب.

عدد ٣٩. وقع هذا الخطاب الثاني: "فطلبوا أيضاً" – مرة أخرى – "أن يمسكوه", ولعلهم عدلوا عن رجمه بالأحجار في الهيكل, حرصا على حرمة الهيكل الرسمية, فطلبوا أن يمسكوه ليقتلوه في مكان آخر, أو لكي يقدموه للمحاكمة أمام السنهدريم, بحجة أنهم وجدوه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

متلبساً بجريمة التجديف. إنهم يقدسون الهيكل المبني بالأحجار, ولا يخافون الاعتداء على رب الهيكل!!

"فخرج من أيديهم". ليس من الضروري أن يكون هذا الخروج بمعجزة, ولعله كان كخروج سابق (٨: ٥٩ و لو ٤: ٣٠).

٤٠وَمَضَى أَيْضاً إِلَى عَبْرِ الأُرْدُنِّ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِيهِ أَوَّلاً وَمَكَثَ هُنَاكَ.

عدد ٤٠ – ٤٢. خاتمة تاريخية. "ومضى أيضاً" علاوة على المرة المذكورة في ١: ٢٨ – "إلى عبر الأردن". أمام هذه المقاومة التي اتخذت الآن شكلا عنيفاً, ما كان من الممكن أن يظل المسيح في أورشليم من غير أن تثور ثائرة اليهود عليه, فيقدموه للصلب, ولما تأت ساعته بعد. لذلك انتهز فرصة انقضاء عيد التجديد, وترك العاصمة اليهودية, قاصداً ببرية "إلى عبر الأردن, إلى المكان الذي كان يوحنا يعمد فيه أولا ومكث هناك". ولا شك في أن زيارة المسيح وتلاميذه لهذا المكان التاريخي, قد ملأت نفوسهم بالتذكارات العميقة المقدسة. هذا هو المكان الذي وجد فيه المسيح تلاميذه الأولين. وفيه تفتحت عيونهم إلى "نور الحياة" لأول مرة. ومن الملذ أن يعود المسيح, عند اختتام خدمته إلى المكان الذي شهد بدايتها. هنا, في هذا المكان, خدم الرجل الذي لم يخف أحد إلا الله فكانت الناس تخشاه. هنا أقام أعظم المولودين من النساء بعد المسيح. هنا رن صوت الحق الصارخ, الذي أخفت في ظلمات السجن بعد حين. هنا نزل الروح القدس بهيئة جسمية على المسيح.

كلمة: "أولا". تحمل مقارنة بين المكان الذي خدم فيه يوحنا في ١: ٢٨, وذاك الذي خدم فيه في ٣: ٢٣. كان المسيح قبيل خدمته الجهارية في هذا المكان. وقبيل صليبه عاد إليه حيث كان أولا.

٤١فَأَتَى إِلَيْهِ كَثِيرُونَ وَقَالُوا: «إِنَّ يُوحَنَّا لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ كُلُّ مَا قَالَهُ يُوحَنَّا عَنْ هَذَا كَانَ حَقّاً». ٤٢فَآمَنَ كَثِيرُونَ بِهِ هُنَاكَ.

عدد ٤١. إيمان الكثيرين به: "فأتى إليه كثيرون". فرق عظيم بين جمود أهل اليهودية وجحودهم, وبين إيمان أهل ببرية المبنى على الفحص والاستقراء أنهم بإيمانهم هذا أضافوا تهمة جديدة إلى قائمة الاتهام التي لصقت باليهود.

يتضمن أيضاً هذا العدد التاريخي, مقارنة مزدوجة بين المعمدان وبين المسيح. جانبها الأول: أن المعمدان لم يفعل آية واحدة – بشهادة أهل تلك البقعة, وإن المسيح عمل معجزات كثيرة. جانبها الثاني: أن يوحنا لم يكن هو الشخص الذي يحقق انتظارهم لكن يسوع هو المسيح المنتظر الذي قد تحققوا فيه كل ما قال فيه المعمدان: "كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"إن يوحنا لم يفعل أية واحدة. ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً". إذا لم تكن قوة يوحنا في عمل المعجزات, بل في الشهادة بالحق وللحق. أو ليست الشهادة بالحق, من أسمى المعجزات في عالم هو البطل مجسماً.

غير أنه كان عصر المعجزات قد مضى وانقضى, فإن عصر الشهادة للحق لم ينقض, ولن ينقضي. وإن في ميدان الشهادة للحق متسعاً للجميع.

عدد ٤٢.ختام جليل "فآمن كثيرون به". إيماناً قلبياً عملياً – "هناك" – في عبر الأردن – لا في أورشليم. هذه طعنة نجلاء في قلب أورشليم!!.

١- كان في أورشليم سوقان - إحداهما للأغنام, والثانية للأصواف.

٢- قابل هذا بما هو معزوف في هذه الأيام من أن مجلس إحدى المدائن أنعم على شخص ممتاز بنيشان: "حرية المدينة".

٣- بين هدايا الملوك وجوائزهم شيء يعرف "بالخليعة" - وهي ما تعود الملوك تقضيمه من الثياب لمن يجد نعمة في أعينهم. وآخر من أعطى خلعة من الملوك, هو الملك فيصل حين كان سلطان على سوريا.

المعجزة السابعة: إقامة لعارز – أو المسيح رب الحياة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اَلأَصْحَاحُ الْحَادِي عَشَرَ

في هذا الأصحاح وفي الأصحاح الذي يليه, يمتد أمامنا بستان منزرع على أكمة مرتفعة, تشبعت ثماره بحرارة الشمس, ونضجت. فما كان منها صالحاً اكتسب صلاحاً فوق صلاح, وما كان منا مريراً, ازداد مرارة على مرارة. في هذا البستان الجليل نرى ثمرة الإيمان وقد نضجت. فأضحت دانية القطاف (١١: ١٥ و ٤٥), وثمرة عدم الإيمان وقد بلغت أشدها من النمو, فأمست "قريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق" (١١: ٤٦-٥٣).

من كل معجزة عملها المسيح في الماضي, استجمع اليهود "باروداً" ضموه إلى مستودع الذخائر الملتهبة, المختزنة في قلوبهم ضد المسيح. فكانت المعجزة الأخيرة – إقامة لعازر – أشبه الأشياء بشرار نار, ألهبت الذخائر المفرقعة فاندلعت نيران الحقد والغيظ في صدورهم, فنمت عن الحفيظة الكامنة فيهم, وفضحت حقيقة نواياهم (١١: ٥٣).

بين هذا الأصحاح وبين سابقه, وقعت الحوادث المدونة في لوقا ١١: ١- ١٧: ١٠. أما معجزة هذا الأصحاح, وما ترتب عليها من نتائج, فيقع ترتيبها ما بين العدد العاشر والعدد الحادي عشر من لوقا ١٧.

هذا الأصحاح. لؤلؤة درية في عقد هذه البشارة, فيه امتزج الجلال بالبساطة, واقترن الحنان بالمهابة, وتجلى ناسوت المسيح, جنباً إلى جنب مع لاهوته, فيه نرى دموع المسيح الإنسان, وقدرة المسيح الإله.

أما المعجزة التي تشع بها صفحات هذا الأصحاح, فهي تاج معجزات المسيح, إذا استثينا معجزة قيامته من بين الأموات. بل هي الدرة اليتيمة في تاج المعجزات. لا ينتقض من قيمتها, كون يوحنا البشير قد انفرد بتسجيلها. فهي معجزة المسيح المحب, وقد أجراها في لعازر الحبيب, فكان من الطبيعي أن يختص بذكرها يوحنا الحبيب, الذي كان أقرب التلاميذ إلى قلب المسيح. (يوحنا ١٣: ٢٣). وفوق ذلك, فإن سائر البشيرين قد اختصوا بالمعجزات التي أجراها المسيح في الجليل, وفقاً لوجهة نظر كل منهم في كتابة بشارته. مع العلم أنه لا هذا البشير ولا ذاك, ولا كلهم مجتمعين معاً, قد دنوا كل معجزات الفادي (مت ١١: ٥ ويوحنا ٢١: ٢٥).

هذه معجزة عظيمة في سجلها. لأن البشير كتب فيها بإفاضة لا عهد لنا بها من قبل. وهي عظيمة بعدد الأدلة المؤيدة لصحتها, فالمكان الذي تمت فيه, وزمانها, وظروفها, وملابساتها, والشخصيات البارزة فيها, والأسلوب البسيط الذي كتبت به, والعواطف الطبيعية التي تجلت فيها, واعتراف أعداء المسيح بصحتها, كل هذه شهادات صريحة, متجمعة, صارخة بأن هذه المعجزة حدثت حقاً. وإذا لم تكن هذه المعجزة حقيقية, فليس في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كل التاريخ شيء حقيقي. لأن صعوبة إنكارها أعظم بكثير من صعوبة تصديقها. وان القوة اللازمة لتنفيذها, أكبر من القوة اللازمة لتأييدها. وهي عظيمة أيضاً بنتيجتها الخطيرة فهي الخطوة التمهيدية التي خطاها المسيح إلى الصليب! وربما قصد المسيح أن يقيم من هذه المعجزة نبوة لقيامته هو.

إذا ألقينا نظرة عامة على المعجزات السبع التي كتبت في هذه البشارة (٢: ١ و ٤: ٦ و ٥: ١ و ٦: ٥ و ٦: ١٩ و ٩: ١ و ١١: ١) تبين لنا أن هذه السبع المعجزات, شبيهة بسبع حلقات مكونة لسلسلة واحدة, يلتقي طرفاها معاً, ويتصلان بل يتحدان في نقط عدة. فالمعجزة الأولى, والمعجزة الأخيرة, أجريتا في دائرة الحياة العائلية, وفي بيئة تربطها بالمسيح صلة الصداقة والتفاهم. وكان قصد المسيح في كلتيهما: إظهار مجده (٢: ١١ و ١١: ٤٠). وتقوية إيمان تابعيه (٢: ١١ و ١١: ١٥). وفي كلتيهما حدث تأجيل موعد اتهامهما عن الوقت الذي ظنه البشر ملائماً (٢: ٤ و ١١: ٦). وكلتاهما أنجزت في الوقت الذي رآه المسيح موافقاً (٢: ٧ و ١١: ١١). والطلب في كلتيهما أتى إلى المسيح من شخص تربطه به صلة قوية (٢: ٣ و ١١: ٣). وكلتاهما ذات صلة بالحياة. فالأولى أنجزت لتغذية بهجة الحياة, وقد نضبت معينها (٢: ٣). والأخيرة أجريت لإعادة الحياة وقد أنطفأ سراجها (١١: ١٤). وكلتاهما تمت في ظرف كانت فيه العواطف البشرية ثائرة – إما لفرط السرور في عرس (٢: ١) أو لعمق الألم في مأتم (١١: ٣٣).

هذه معجزة جليلة بدقائق الأمور التي ذكرت فيها, وبالتفصيلات التي حذفت منها. فمن الأمور الدقيقة التي رويت فيها: صلة المسيح بالعائلة المنكوبة (عدد ٦), وتأجيله الذهاب إلى بيت عنيا يومين, (عدد ٦), وتعيين موقع بيت عنيا بالضبط (عدد ١٨), ووجود اليهود (عدد ١٩), والرسالة الخفية (عدد ٢٨). واللقب العام الذي يلقب به المسيح (عدد ٢٨). وتمهل المسيح (عدد ٣٠), وخروج اليهود مع مريم (عدد ٣٠), ومشاركتهم إياها في البكاء (عدد ٣٣), وسجود مريم (عدد ٣٢), والإفاضة في وصف شعور المسيح الإنساني (عدد ٣٣ و ٣٥ و ٣٨), ومنظر لعازر خارجاً تواً من القبر (عدد ٤٤). كل هذه أدلة صريحة, على أن الكاتب شاهد عيان.

ومن الأمور التي تحاشى الكاتب ذكرها لحكمة جليلة: عودة الرسول (عدد ٤). والرسالة التي بعث بها المسيح إلى مريم (عدد ٢٨), والترحيب بالحبيب المقلم من الأموات (عدد ٤٤), مما يدل على أن يداً رفيعة كانت تسوق قلم الكاتب فحفظته من الاختصار المخل والإسراف الممل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في هذه المعجزة, تجتمع الثلاثة العناصر المكونة للحياة الفضلى: "المحبة" "والنور", "والحياة". فكأنها أبراج ثلاثة تقسم منطقة هذه المعجزة إلى ثلاثة حقول: المحبة (١١: ١-٦), النور (٧: ١٦). الحياة (١٧: ٤٦).

ويجوز أن ننظر إلى هذا الأصحاح, فنراه مصطبغاً كله بصبغة واحدة – هي صبغة المحبة ذات السبعة الألوان: (١) انتظارات المحبة (١١: ١-٣). (٢) تأجيلات المحبة (١١: ٤-٧). (٣) إطمئنان المحبة (١١: ٨-١٠). (٤) تعب المحبة (١١: ١١-١٦). (٥) عواطف المحبة (١١: ١٧-٣٧). (٦) إنتصارات المحبة (١١: ٣٨-٤٤). (٧) ضحية المحبة (١١: ٤٥-٥٧).

وفي درسنا هذا الأصحاح, نلاحظ أن النقطة المركزية فيه, هي هذه المعجزة. وأنه على هذا الاعتبار يقسم نفسه إلى خمسة أقسام رئيسية: أولاً – ديباجة المعجزة (١١: ١-١٦). ثانياً – المشهد في بيت عنيا (١١: ١٧-٣٧).

١وَكَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضاً وَهُوَ لِعَازَرُ مِنْ

ثالثاً – قلب المعجزة (١١: ٣٨-٤٤). رابعاً – الأثر الذي تركته المعجزة (١١: ٤٥-٥٣). خامساً – خاتمة تاريخية (١١: ٥٤-٥٧).

أولاً: ديباجة المعجزة (١١: ١-١٦). وهي تتضمن: (أ) توطئة (١١: ١ و ٢). (ب) رسالة الأختين (١١: ٣). (جـ) المسيح يؤجل إجابة رسالتهما إلى حين (١١: ٤-٦). (د) المسيح يجيب رسالتهما في وقته الخاص (١١: ٧-١٦).

عدد ١. (أ) توطئة (١١: ١ و ٢). القصد من هذه التوطئة وصف الظروف الخارجية والداخلية التي اكتنفت المعجزة. في العدد الأول, نجد وصفاً مثلثاً للإنسان الذي أجريت فيه المعجزة. وفي العدد الثاني نرى الصلة التي كانت تربط عائلة هذا الإنسان بالمسيح. في عدد ١ يصف البشير هذا الإنسان في: (١) حالته: "مريضاً". مع أن المريض في حد ذاته من البلايا التي تحيق بالإنسان, لكنه متى تقدس بيد الله, أضحى مصدر بركات عدة. (٢) اسمه: "لعازر". هذا السم, مقتضب من الاسم "اليعازار" ومعناه: "الهي يسند ويعضد". وهو غير لعازر الذي ورد اسمه في لوقا ١٦: ٢٠. (٣) بلده: "من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا". وتكررت كلمة: "من", مرتين في هذه الجملة, لتفيد أن العبارة الثانية: "من قرية مريم ومرثا" توضيحية للأولى: "من بيت عنيا". أي أن "بيت عنيا" هي بعينها قرية مريم ومرثا أختها. ويقول جودي وآخرون من المفسرين: إن "من" الأولى تصف مسكن لعازر, الذي كان يعيش فيه, و "من" الثانية, تعين موطنة الذي إليه

بَيْتِ عَنْيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرْيَمَ وَمَرْثَا أُخْتِهَا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ينتسب. أي أنه من بيت عنيا وطناً وسكناً (عدد ١٨). "بيت عنيا" – ومعناها بيت البؤس أو النحس, وقد صارت في هذه المعجزة بيت الظفر والفرح – هي قرية, إلى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون, على بعد ميلين تقريباً من مدينة أورشليم, وتدعى الآن: "ألعازرية" – نسبة إلى لعازر – وهي قرية صغيرة مبنية على لأكمة صخرية عسرة المسالك. وقد شهدت هذه القرية الصغيرة حوادث جساماً في حياة الفادي سيما في أيامه الأخيرة (مت ٢١: ١٧ و ٢٦: ٦ ومر ١١: ١١ و ١٢ و ١٤ ويو ١٢: ١). ويزعم بعضهم أن بقايا بيت لعازر لا تزال موجودة إلى يومنا الحاضر, وأما قبره فمنحوت في الصخر وله مدخل,علوه ثلاثة أقدام ونصف, وعرضه قدمان, وفيه سبع وعشرون درجة, تنتهي إلى غرفة مساحتها تسعة أقدام مربعة, وداخلها أربعة نواويس. "مريم ومرثا": ذكر البشير هاتين الأختين, من غير مقدمة ولا تمهيد, اعتقادا منه, أنهما كانتا معروفتين لدى قارئتي بشارته, مما كتبه عنهما لوقا البشير (لوقا ١٠: ٣٤-٤٢). وجدير بالذكر, أن التصرفات المنسوبة إلى كل من هاتين الأختين, تتفق تماماً وما نعلمه عن طبع كل منهما في بشارة لوقا. والظاهر أن مرثا كانت أكبر من أختها سناً. وأكثر منها نشاطاً. وأن مريم كانت أقوى من أختها شخصية, وأكثر منها ورعاً ورزانة, وأوسع شهرة. وقد ذكر اسم "مريم", مقدماً على اسم "مرثا" في هذا العدد, تمهيداً لذكر العمل الممتاز الذي قامت به دون أختها (عدد ٢).

٢وَكَانَتْ مَرْيَمُ الَّتِي كَانَ لِعَازَرُ أَخُوهَا مَرِيضاً هِيَ الَّتِي دَهَنَتِ الرَّبَّ بِطِيبٍ وَمَسَحَتْ رِجْلَيْهِ بِشَعْرِهَا. ٣فَأَرْسَلَتِ الأُخْتَانِ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ:

عدد ٢. الخدمة الممتازة التي اشتهرت بها هذه العائلة: "وكانت مريم.." يفترض البشير في هذا العدد أن الخدمة التكريسية التي قامت بها مريم للمسيح كانت معروفة لدى جمهور قارئيه, مع أنه لم يكن قد حدثتهم عنها بعد (١٢: ٣ و ٤), لأن خبرها كان قد ذاع, وشاع, وملأ الأسماع. "وكانت مريم... هي التي.." – هذه جملة تفسيرية, كتبها يوحنا كعادته, تميزاً لشخصية مريم. لأن هذا العمل الجليل لازم اسمها في أدوار التاريخ. فهي غير مريم زوجة كلوبا, وغير مريم المجدلية. "دهنت الرب بطيب" – في الغالب دهن الرب بطيب ثلاثة مرات[١]. المرة الأولى: في بيت سمعان الفريسي, في الجليل, في بدء خدمة المسيح (لوقا ٧: ٣٧ و ٣٨). والثانية: في بيت لعازر ومريم ومرثا, قبل الصلب بستة أيام (يوحنا ١٢: ٣ و ٤). والثالثة: في بيت عنيا أيضاً, في منزل سمعان الأبرص, قبل الصلب بيمين (مر ١١: ١١-١٤).

عدد ٣. رسالة الأختين إلى المسيح: "فأرسلت الأختان إليه قائلين

«يَا سَيِّدُ هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ».

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يا سيد هو ذا الذي تحبه مريض": هذه الرسالة البليغة الموجزة, هي المثل الأعلى للصلاة الحقيقية في مثل هذا الظرف, فهي تنم عن (١) رجاء وطيد – هذا واضح من حرف "الفاء" الذي به يبتدىء العدد, وأيضاً من قولها: "هو ذا الذي تحبه". (٢) احترام شديد: "يا سيد". فمع أنه كان معروفاً بـ "المعلم", إلا أنه قدرته كصانع معجزات جعلتهما يوجهان إليه الخطاب بقولهما: "يا سيد". (٣) خبر خطير: "هو ذا الذي تحبه مريض" هذا كل ما تضمنته رسالتهما – مجرد التبليغ عن مرض أخيهما (٢ مل ١٩: ١٤). (٤) اطمئنان أكيد – هذا ظاهر من صمتها, فلم تزيدا على خبر مرض أخيهما كلمة, بل تركنا الأمر للمسي.

وهكذا فلتكن الصلاة مصحوبة بتسليم تام. يا ترى ه كانت الأختان عالمتين بالخطر الذي كان رابضاًً للمسيح في أورشليم؟ (٥) حجة بليغة: "هو ذا الذي تحبه" – هذه أبلغ حجة يتقدم بها المصلي. وخليق بنا أن نذكر أن حب المسيح لنا. لا يمنع عنا الأمراض والبلايا, التي هي ميراث طبيعي مشترك لجميع بني البشر. ولا تمنع عن عيوننا سح الدموع.

إن الكلمة التي عبرت بها الأختان عن حب المسيح لأخيهما في عدد ٣, هي غير الكلمة التي عبر بها يوحنا عن هذه المحبة عينها في عدد ٥. فالكلمة التي استعملتها الأختان تشير إلى الشعور الشخصي الناشىء عن العاطفة الطبيعية. والكلمة التي استعملها يوحنا البشير, تصف شعور الناتج عن المعرفة الاختبارية. الكلمة الأولى تصف محبة هي وليد العاطفة, والكلمة الثانية تصف محبة هي

٤فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ: «هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ

وليدة حكم العقل والإرادة. الكلمة الأولى تفيض بروح الحنان, والكلمة الثانية مشبعة بروح السمو والرفعة.

جميل أنهما لم تتوسلا إلى المسيح بمحبة أخيهما له, بل بمحبته هو لأخيهما.

(ج) المسيح يؤجل إجابة رسالتهما إلى حين (١١: ٤ - ٦). تتضمن هذه الأعداد: (١) إعلاناً جليلا فاه المسيح عن غاية هذا المرض (عدد ٤). (٢) عبارة تفسيرية من قلم البشير (عدد ٥), (٣) تأجيلا مقصوداً (عدد ٦).

عدد ٤. (١) إعلاناً جليلا, فاه به المسيح عن غاية هذا المرض: "فلما سمع يسوع قال: هذا المرض ليس للموت". إن في هذا الإعلان الجليل, إجابة ضمنية لرسالة الأختين, وتهدئة لروعهما وسط عاصفة المرض, وتحريضاً لهما على أن تتسلحا برجاء حي, توقعاً لعمل جليل آت, سيما وأن الرسالة بلغت المسيح في وقت كان فيه المريض قد مات
ودفن[٢] (عدد ١٧ و ٣٩). هذه بينة واضحة على ثقة المسيح بنفسه, فهو يعلم ما سيأتيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من أعمال في المستقبل, علمه بما يعمله في الحاضر, وبما أتاه في الماضي. ولا يفوتنا أن نذكر الدرس الذي تلقاه التلاميذ من هذا الإعلان, لأن المسيح فاه به على مسمع منهم.

إن لهذا الإعلان الجليل جانبين – الجانب الأول سلبي: "هذا المرض ليس للموت" – أي إن النصرة النهائية في هذا المرض, ليست للموت بل للحياة, وفعلا قد كسبت الحياة هذه المعركة الفاصلة بقيامة لعازر من

بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ». ٥وَكَانَ يَسُوعُ

الأموات. ومن الجائز أن تطلق هذه العبارة, من قبيل التطبيق, على مرض كل قديس – وإن مات بسببه – لأن الموت, وإن انتصر في أمراض القديسيين, فإلى حين. الجانب الثاني الإيجابي: "بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به" (٩: ٣). يراد بـ "مجد الله", جلالة الذي يتألق وينشر في قلوب البشر, نتيجة ظهور كمال قداسته, وجلال رحمته, واقتدار قوته, في انتصار الحياة على الموت. فكأن هذا المرض لوحة سوداء تظهر عليها الكتابة البيضاء. أو كظلام الليل الدامس, يتجلى على صفحته, جلال النجوم وجمالها. كلمة: "لأجل" كما وردت في الأصل, تفيد أن مرض لعازر, كان أداة إظهار مجد الله. أما الغاية النهائية التي قصدها الله, بهذا المرض, وبالموت الذي عقبه, وبالقيامة التي توجهما فهي: "ليتمجد ابن الله به". وربما خير تفسير لهاتين العبارتين: "لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به", هو كلام المسيح, الوارد في عددي ٤٠ و ٤٢.

إن في قوله: "ليتمجد ابن الله به" إشارة صريحة إلى المجد الذي يعود على المسيح, لا من إقامته لعازر, وكفى, بل من آلامه, وصليبه, وقيامته, التي كانت نتيجة لازمة لقيامة لعازر, التي أيقظت الحسد, والحقد, والضغينة, الكامنة في قلوب اليهود (قابل هذا بما جاء في ١٢: ٢٣ و ١٣: ٣١). إن تمجيد الله يقوم بتمجيد المسيح, وإن تمجيد المسيح يقوم بالإيمان به, وإن الإيمان بالمسيح يقوم بتوجيه القلب إلى آلامه, وصليبه, وقيامته.

عدد ٥ – جملة تفسيرية: "وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر". ذكر

يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ. ٦فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ

البشير هذه الكلمات, تمهيداً وتعليلا لما سيوضحه في عدد ٦ – أي أن تأجيل المسيح إجابة طلب الأختين, لم يكن ناشئاً عن فتور, ولا عن عدم اكتراث, بل عن المحبة الصادقة.
ويعتقد جودي, أن ما جاء في هذا العدد (عدد ٥), يعد تعليلا لتصرف المسيح الموصوف في عدد ٦, لا ذاك الموصوف في عدد ٧. أي أن محبة المسيح لهذه العائلة, حملته على أن يلبي نداء الأختين, فيخاطر بحياته ويذهب إلى اليهودية (عدد ٧), مع أنه أجل إجابة طلبهما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى حين. والظاهر من حروف "الفاء" الذي به يستهل العدد السادس, أن الرأي الأول, اقرب إلى روح الحادثة, ولو أن شقة الخلاف بين الرأيين ليست متسعة.

إن الكلمة التي يستعملها البشير لوصف محبة المسيح للعائلة, تختلف – في الأصل – عن الكلمة التي استعملتها الأختان (عدد ٣). (راجع شرح عدد ٣).

في هذا العدد قدم البشير اسم مرثا على اسم مريم, لأن الأولى كانت أكبر سناً من أختها على ما يظهر, ولأن السبب الذي لأجله قدم اسم مريم على اسم مرثا في عدد ١, هو عمل مريم الممتاز المذكور في عدد ٢.

عدد ٦. تأجيلاً مقصوداً: "فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ... يومين". لم يكن هذا التأجيل ناشئاً عن عدم مبالاة المسيح بمرض لعازر, ولا صدر عنه عفواً, بل جاء تنفيذاً لقصد معين, تنبئنا عنه كلمة: "حينئذ". ويعتقد بعض المفسرين أن المسيح أجل ذهابه إلى بيت عنيا انتظارا لمعجزة

مَكَثَ حِينَئِذٍ فِي الْمَوْضِعِ

أعظم. فلو ذهب تواً إلى بيت عنيا لشفي مريضاً, لكنه أرجأ سفره حتى يموت المريض, يذهب ليقيم ميتاً. إلا أن هذا الرأي – على رغم ما فيه جمال – لا يستند إلى أساس متين, لأن لعازر كان قد مات حين جاء الرسول إلى المسيح. إذ بين أريحاً وعبر الأردن – حيث كان المسيح (في بيت عنيا الثانية) – يقطعهما المسافر في ساعتين. إذا أضفنا إليه اليومين اللذين مكثهما المسيح في بيرية. بعد أن قابله حامل الرسالة (عدد ٦), ويوماً آخر قضاه المسيح في السفر من بيرية إلى بيت عنيا, اتضح لنا أن ما حدث مذ أن خرج رسول الأختين من عند المريض حتى وصل المسيح إلى قبر الميت, يستغرق أربعة أيام – وهي المدة التي كان لعازر قد قضاها في القبر حين جاء المسيح (عدد ١٧ و ٣٩). فيكون لعازر قد مات قبيل خروج الرسول من بيت عنيا, ودفن[٣] قبل بلوغ الرسالة إلى المسيح. ويعتقد آخرون, أن المسيح بقى يومين في بيرية, لكي يتمم عمله في تلك الجهة, سيما لأنه سيتركها في هذه المرة نهائياً متجهاً إلى الصليب. ويقول أصحاب هذا الرأي: إن كلمة "حينئذ" إنما ذكرت لمجرد سرد حقائق تاريخية. على أن قصد المسيح بهذا التأجيل. يتبين لنا من مقابلة ما جاء في ٢: ٣ – ٥ و ٧: ٣ – ١٠ بما جاء في هذه الحادثة التي نحن بصددها. فالطلب

الَّذِي كَانَ فِيهِ

في كل من هذه الثلاث الحوادث, قدم للمسيح من أشخاص تربطهم به صلة خاصة. وفي كل من الثلاث الحوادث استخدمت العاطفة الطبيعية – سواء أكانت عاطفة الأمومة (٢: ٣), أم عاطفة الأخوة (٧: ٣ و٦), أم عاطفة الصداقة (١١: ٥), لحمل المسيح على أن يأتي أمراً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قبل وقته الذي عينه الآب. وفي كل من هذه الثلاث الحوادث رفض المسيح الطلب – إلى حين – حتى تدق الساعة التي جعلها الآب في سلطانه (٢: ٨ و ٧: ١٠ و ١١: ٧), لأن وإن كان المسيح يحترم كل صلة طبيعية, إلا أن صلة قوية, روحية, باطنية, كانت تربطه بمن هو أعظم من الكل – الآب, لذلك قد صم أذنيه عن أصوات الصلات الطبيعية, لأن صوت هذه الصلة الروحية كان أعلى. وفي اعتقادنا أن انتظار المسيح يومين, بعد أن أخبره الرسول بمرض حبيبه لعازر, وبعد أن علم هو من ذاته بموت هذا الحبيب, يستلزم قوة أكبر من القوة اللازمة للذهاب عاجلا إلى بيت عنيا. لأن من يقوى على مثل هذا الانتظار, لا بد وأن يكون واثقاً من نفسه, مطمئناً إلى سلطانه المطلق على الحياة والموت, مسلماً تمام التسليم لإرادة الآب – مما يدل على أنه إله تام وإنسان تام. هذه إحدى المرات التي يرى فيها المسيح كأنه نائم على وسادة في سفينة الحياة, وتلاميذه واقعون فريسة لعواصف الفزع, والقلق!.

قد رسم الآب في برنامجه الأزلي, أن لا يذهب المسيح إلى بيت عنيا, إلا بعد أن يكون الميت قد أنتن ليقطع السبل على الذين ادعوا فيما بعد, إن

يَوْمَيْنِ. ٧ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِتلاَمِيذِهِ: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَيْضاً».

لعازر لم يكن ميتاً, بل كان مغشياً عليه؟! لذلك كان خليقاً بهذه المعجزة أن تكون خاتمة معجزات المسيح, لأن حجتها أقوى من الحجة الناطقة بها معجزتا إقامة ابنة يايرس كانت ميتة ولم تكفن بعد, وابن أرملة نايين كان مكفناً, ولم يكن قد دفن بعد, وأما لعازر فكان قد مات, وكفن, ودفن, وانتن. لذلك حاول اليهود أن يقتلوه ليهدموا الحجة التي أقامتها قيامته, ولما عجزوا عن قتل المقام, صلبوا من أقامه. وما كانوا يستطيعون ذلك, لولا أنه هو أراد (١٠: ١٨).

عدد ٧. (د) المسيح يجيب رسالة الأختين في وقته الخاص (١١: ٧ - ١٦). تتضمن هذه الأعداد حواراً طريفاً بين المسيح وتلاميذه, ما أشبه بكنانة ذات سبعة سهام:

(١) السهم الأول – عزيمة المسيح – أو إقرار المحبة المتجسدة: "ثم بعد ذلك" – أي بعد انتظاره يومين في بيريه, حتى جاءت ساعته – "قال لتلاميذه: لنذهب إلى اليهودية" – ولم يقل لهم لنذهب إلى بيت عنيا, لكي ينبه أذهانهم للخطر الذي ينتظره وإياهم, فتثور في نفوسهم عاصفة الخوف, من ثم تتهيأ له الفرصة لتهدئة هذه العاصفة. "أيضاً" – أي مرة أخرى, علاوة على تلك التي حاول فيها اليهود أن يرجموه, إن المحبة الحقيقية تطرح الخوف إلى خارج. والظاهر أن المسيح كان يقصد أيضاً أن يضع أمام التلاميذ مقابلة صريحة بين إيمان "بيرية", وعدم إيمان "اليهودية".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٨قَالَ لَهُ التّلاَمِيذُ: «يَا مُعَلِّمُ الآنَ كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ وَتَذْهَبُ أَيْضاً إِلَى هُنَاكَ».
٩أَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَتْ سَاعَاتُ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي النَّهَارِ لاَ يَعْثُرُ لأَنَّهُ يَنْظُرُ نُورَ هَذَا الْعَالَمِ

عدد ٨. (٢) السهم الثاني: احتجاج التلاميذ على عزيمة المسيح – أو الجهل يقيم العقبات في سبيل المحبة: "قال له التلاميذ" – حالما سمعوا منه كلمة: "اليهودية", ثارت في نفوسهم عوامل الاحتجاج, فقالوا له: "الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك". ولشدة فزع التلاميذ من هول تلك الحادثة (١٠: ٣١), ظلت ماثلة أمام أذهانهم, فقالوا: "الآن".

عدد ٩ و ١٠. (٣) السهم الثالث: مبدأ جليل عن الولاء للواجب – أو ولاء المحبة المتجسدة: "أجاب يسوع أليست ساعات النهار إثنتي عشرة.. " يذكرنا قول المسيح هنا, بقوله السابق في ٩: ٤ و ٥. فكلاهما مكمل للآخر, بل هما تعبيران لحقيقة واحدة, وما نراه بينهما من فارق, إنما نشأ عن الوقت الذي فيه قيل كل منهما. فأولهما (٩: ٤ و ٥) فاه به المسيح, والشمس مائلة إلى خدرها في الغروب, وثانيهما نطق به والشمس خارجة من حجلتها عند الشروق. إن رسالة المسيح في كلامه الأول هي: أن ساعات النهار محدودة وثمينة, فليس للمرء أن يضيع منها شيئاً بتهاونه في واجبه. أما رسالته في كلامه الثاني فهي: أن ساعات النهار كافية لإتمام الرسالة التي وضعها الله عليه, فليس له أن يستزيدها بمحاولته الفرار من الواجب خوفاً من المخاطر. لأن كل إنسان خالد حتى يتمم رسالته, إما إذا فر من طريق

١٠وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي اللَّيْلِ يَعْثُرُ لأَنَّ النُّورَ لَيْسَ فِيهِ».

الواجب, طمعاً منه في إطالة حياته, عن الحد الذي رسمه الله لها, فقد حرم نفسه من نور رضى الله, وعرض حياته للخطر المحقق.

قد يحمل كلام المسيح في هذين العددين, على معنيين – المعنى الأول: حرفي, مادي – على اعتبار أنه كان يكلم تلاميذه عن ذهابهم وإياه إلى بيت عنيا, فإن ساعات النهار الإثنتي عشرة كافية ليقطعوا فيها الطريق من بيريه إلى بيت عينا – هذا إذا شرعوا في المسير من غير توان ولا تردد. أما إذا قدموا رجلا وأخروا أخرى, خوفاً من شبح الموت الذي تخيلوه ماثلا أمامهم في اليهودية – ففي ترددهم خطر محقق. لأن شمس النهار لا بد أن تغيب عليهم وهم في الطريق, فتدركهم ظلمة الليل, عندئذاك يتعثرون في مسيرهم. والمعنى الثاني روحي مجازي, كما أجملنا آنفاً. فيكون "النهار" رمزاً للحياة – في مدتها وفي رسالتها. و "السير في النهار" يشار به إلى السلوك في نور إرادة الله. و "المشي في الليل" يكنى به عن خروج المرء عن دائرة نور الله. إن تعثر الإنسان يبتدئ ببدء الساعة الثالثة عشرة – أي في اللحظة التي يحاول فيها أن يطيل عمره بهروبه من المخاطر التي يتمثلها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمامه. لأن حياة المرء ليست من المصادفات. وإنما هي رسالة من الله. وأن موتاً نلقاه في سبيل إرادة الله, هو خير حياة. وأن حياة نتلمسها في الفرار من طريق إرادة الله, هي شر من الموت. لأن الحقيقة هي التمتع برضى الله. فالحياة لا تقاس, بل توزن. وليس الخطر في ما يراه الإنسان خطراً, ولا الأمن

١١قَالَ هٰذَا وَبَعْدَ ذٰلِكَ قَالَ لَهُمْ: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ.

في ما يتصوره الفتى أمناً, بل الخطر كل الخطر في الحيدان عن إرادة الله, والأمن كل الأمن في إتمام إرادته ولو كانت هذه الإرادة صليباً لنا.

صرح المسيح بهذا المبدأ الجليل, أمام تلاميذه, لينفخ فيهم روح الإقدام والشجاعة في هذا الظرف الخاص الذي كانوا فيه, ولكي يحصنهم بمناعة روحية كافية لمغالبة المخاوف التي كانت تنتظرهم في خدمتهم المقبلة, ولكي يبعث فينا, نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور, نصيباً من روحه في الولاء لإرادة الآب, والشجاعة في القيام بالواجب.

عدد ١١.

السهم الرابع. المسيح يخصص هذا المبدأ لنفسه في هذه الحادثة – أو أقدام المحبة: "قال هذا" – كمبدأ عام – "وبعد ذلك" – خصص هذا المبدأ لنفسه في هذه الحادثة و "قال لهم" – بروح النبوة – "لعازر حبيبنا قد نام". هذه النبوة تكشف لنا عن ثلاث حقائق مهمة – (١) أن المسيح خلع على الموت اسما جديداً, فدعاه: "نوماً" – ومن أوجه الشبه بينهما: (١) أن الإنسان ينام ليستريح. كذلك من يموت في الإيمان, يستريح من أتعاب الحياة, وأعماله تتبعه. (ب) أن من ينام لا يزال متمتعاً بالحياة كذلك المؤمنون لا يموتون, بل ينقلون إلى عالم الأحياء. (ج) أن الإنسان ينام على أن يقوم مجدد القوى, وكذلك المؤمن, يموت على رجاء القيامة المجيدة. (د) أن نوم الإنسان لا يزعج أهله بل يبعث في قلوبهم اطمئناناً عليه. (٢) أن لعازر بانتقاله إلى العالم الآخر لم يخرج عن

لٰكِنِّي أَذْهَبُ لِأُوقِظَهُ». ١٢فَقَالَ تلاَمِيذُهُ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَهُوَ يُشْفَى».

دائرة نفوذ محبة المسيح, لأن المحبة أقوى من الموت. (٣) أن المسيح أدخل تلاميذه معه في هذه الصلة التي بينه وبين لعازر فقال "حبيبنا". يا ليت المسيحيين يشطبون من قاموسهم كلمة: "فقيدنا" و "راحلنا" و "سندنا" وما إليها, ويستعيضونهما بكلمة "حبيبنا".

"لكني أذهب لأوقظه" – هذه لغة الواثق من اقتداره على الموت. يقول البشير من فرط تخوفهم "الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضاً إلى هناك"؟ ويقول الإله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المتجسد, في ثقة ويقين: "ولكني أذهب لأوقظه" هنا نرى "المحبة" المتجسد, مقتدراً على الموت, وطارحاً الخوف إلى الخارج.

عدد ١٢. السهم الخامس – عجز التلاميذ عن البلوغ إلى عمق كلمات المسيح – أو أعماق المحبة "يا سيد إن كان قد نام". لم يفهم التلاميذ عن هذا النوم "الجديد", أكثر مما فهم نيقوديموس عن الولادة الجديدة. أو المرأة السامرية عن ماء الحياة الأبدية. فالمؤمن يجد نفسه كل يوم أمام اكتشافات جديدة. ولعل عجزهم هذا نشأ عن سوء فهمهم كلام المسيح في عدد ٤. فربما ظنوا خطأ, أن المسيح كلمهم عن "النوم" الذي ينامه المريض عند بدء اتجاهه إلى الصحة – "نوم العافية"! لذلك قالوا: "إن كان قد نام فهو يشفى". فلم يبقى إذا ما يدعو إلى هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر, سيما وأن خدمة سيدهم قد صادفت نجاحاً في بيرية, حيث كانوا موجودين وقتئذ.

١٣وَكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ عَنْ مَوْتِهِ وَهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ. ١٤فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينَئِذٍ
علاَنِيَةً: «لِعَازَرُ مَاتَ. ١٥وَأَنَا أَفْرَحُ لأَجْلِكُمْ إِنِّي لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ لِتُؤْمِنُوا.

فلماذا يتركون نجاحاً قد ذاقوا حلاوته, ويطوحون بأنفسهم في إقليم منزرعة أرضه بالأشواك المريرة؟!

الكلمة المترجمة: "يشفي", يجوز أن تترجم حرفياً: "يخلص". فالشفاء هو خلاص الجسد, كما أن الخلاص هو شفاء الروح.

عدد ١٣. جملة تفسيرية: "وكان يسوع يقول عن موته" – هذا توضيح لقصد المسيح – "وهم ظنوه أنه يقوا عن رقاد النوم" – هذا مبلغ ظن التلاميذ.

عدد ١٤ و ١٥. (٦) السهم السادس – المسيح يصارح التلاميذ بموت لعازر – أو يقظة المحبة. في هذين العددين أعلن المسيح لتلاميذه ثلاثة أمور – (أ) صارحهم بموت لعازر باللغة التي يفهمونها, من غير تحفظ, ومن غير التجاء إلى استعارات ومجازات: "علانية" (عدد ١٤). (ب) شعوره نحو هذا الحادث التاريخي: "وأنا فرح" – عجيب أن نرى المسيح يفرح في نفس اللحظة التي ينبئ فيها تلاميذه بموت لعازر. غير أنه لم يفرح لقيامة لعازر في حد ذاتها, بل فرح بالأمر الذي نتجت عنه قيامة لعازر – أي غياب المسيح عن بيت عنيا وقت مرض لعازر. فلو كان هناك لشفى مريضاً, لكنه بغيابه أقام ميتاً. وفرح أيضاً بالخير الروحي الذي أثمرته للتلاميذ قيامة لعازر: "لتؤمنوا". فمع أن التلاميذ كانوا مؤمنين بالمسيح فبل قيامة لعازر, إلا أن

وَلَكِنْ لِنَذْهَبْ إِلَيْهِ». ١٦فَقَالَ تُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ لِلتَّلاَمِيذِ رُفَقَائِهِ: «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضاً
لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ».

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه درجة أرقى في الإيمان. هذا هو إيمان التدرج والنمو. إن العين الجسدية تحصر نظراتها في الواقع فتكتئب وتتجسر, لكن العين الإلهية تنظر إلى الواقع, فتراه حلقة في سلسلة العناية الذهبية, فتفرح بالحلقات السابقة, وتبتهج بالحلقات اللاحقة. كان موت لعازر حادثة وقتية في سجل الزمن. لأنه قام من ذلك الموت. وكذلك كانت قيامته, لأنه مات بعد تلك القيامة. لكن الخير الروحي الذي أنتجته القيامة, قد طبع بطابع الخلود. هذه هي الحلقة الخالدة في سلسلة العناية الإلهية. (جـ) ما ينوي أن يقوم به تجاه هذا الحادث الجلل: "ولكن لنذهب إليه". هذا آخر سهم من النور, صوبه المسيح إلى قلوب تلاميذه فطرد منها ظلمة الخوف. يستفاد من كلمة: "ولكن", إن المسيح لم يرغب في أن يفسح أمامهم مجالاً للاستسلام للحزن, ولا للتساؤل عن سبب الفرح. لأنه حينما تدق ساعة العمل, لا يبقى مجال للكلام. والظاهر أن التلاميذ أذعنوا للمسيح, ولو أنهم لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى عمق قلبه وأفكاره, كما يبدو في كلام توما.

عدد ١٦. السهم السابع – المحبة الساذجة التي أظهرها توما – أو المحبة في الظلام: "فقال توما – لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه" – هذه محبة قوية, لكنها ليست حسب المعرفة. فهي تدل على عزيمة قوية, وفهم ضعيف. هذا برهان على أن توما كان يحب شخص المسيح, ولكنه لم يكن

١٧فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ

قد أخذ من روحه بعد. إن شخصية توما, الظاهرة في هذه الكلمات, هي في شخصيته التي تنم عنها كلماته في ص ١٤: ٥ و ٢٠: ٢٥. ففي هذه الثلاثة مواضع, نرى شخصية مطبوعة على الصراحة والعزيمة – كدت أقول العناد – وعدم تضحية المنظور. الكلمة: "توما" مشتقة من أصل آرامي, ومعناها: "التوأم" – هذا هو اللقب المعروف به – غالباً – في نواحي آسيا الصغرى, التي عاش فيها يوحنا البشير. وإذا كان توما "توأماً" في ميلاده الجسدي,فهو في الغالب توأم أيضاً في روحه. ففي شخصه التقى الإيمان بعدم الإيمان, والمحبة بالسذاجة. فكأننا نرى فيه يعقوب وعيسو, يصارع أحدهما الآخر. وإننا نحمد الله لأن النصرة في النهاية للمحبة والإيمان: "ربي وإلهي".

لا يغرب عن بالنا أن توما هذا قد أظهر استعداداً لأن يموت عن المسيح الذي عرض حياته للخطر لأجله ولأجل التلاميذ رفاقه. هذه شهادة لتوما بأنه قدر تضحية سيده, بل هي شهادة لسيد توما بأنه أمير المضحين.

ثانياً: المشهد في بيت عينا (١١: ١٧ - ٣٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقع هذا المشهد في ثلاث مناظر: (١) وصف تاريخي لحقيقة الموقف في بيت عنيا (١١: ١٧ - ١٩). (٢) مرثا تلاقي المسيح (١١: ٢١ - ٢٧). (٣) المسيح يلتقي بمريم (١١: ١٨ - ٣٧).

عدد ١٧. (١) وصف تاريخي لحقيقة الموقف في بيت عنيا (١١: ١٧ - ١٩). "فلما أتى يسوع وجد.. ". بين عددي ١٦ و ١٧ انقضت

قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. ١٨وَكَانَتْ بَيْتُ عَنْيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسَ عَشْرَةَ غَلْوَةً. ١٩وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ

سحابة يوم كامل في السفر من بيرية إلى بيت عنيا. كلمة "وجد" تصف الغرض الرئيسي الذي لأجله جاء المسيح إلى بيت عنيا. (أنظر ١: ٤٣؛ ٢: ١٤؛ ٥: ١٣؛ ٩: ٣٥). "قد صار له أربعة أيام في القبر" – (أطلب شرح عدد ٦).

عدد ١٨ و ١٩. سهولة مجيء يهود كثيرين من أورشليم إلى بيت عنيا. "وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة". كانت الغلوة مقياساً يونانياً, نحو ١٤٥ خطوة, أو ثمن ميل. وتسمى أيضاً فرسخاً. فالمسافة التي بين بيت عنيا وأورشليم, تقل عن ميلين, مما يدل على أن المكانين كانا قريبين من بعضهما. فكان هيناً على كثيرين من اليهود أن يجيئوا من أورشليم إلى مريم ومرثا, ليعزوهما عن أخيهما. هذه حلقة محكمة في تدبير العناية الإلهية, لأن وجود كثيرين من اليهود في بيت عنيا, أعطاهم فرصة ليضعوا إيمانهم في المحك النهائي, فيخرجوا من هذه المعجزة إما مؤمنين أو جاحدين. والظاهر أن كلمة "يهود" استعملت هنا كما في سائر المواضع في هذه البشارة, لتصف جماعة خاصة اصطبغت بعدم إيمانهم بالمسيح. (راجع المقدمة العامة). على أن وجود كثيرين من اليهود في مأتم لعازر, يدل على ما كان لهذه العائلة من مكانه في نظر اليهود.

مراراً نسمع عن ولائم استحالت مأتم. وقلما نسمع عن مأتم استحال وليمة (٢) مرثا تلاقي المسيح – أو مجاهدة الإيمان (١١: ٢٠ - ٢٧)

جَاءُوا إِلَى مَرْثَا وَمَرْيَمَ لِيُعَزُّوهُمَا عَنْ أَخِيهِمَا.

هذا الفصل غني بالحقائق السامية, فيه نجد درساً تحليلياً لإيمان مرثا. والأدوار التي اجتازها حتى بلغ ذراه, والعوامل التي عملت على تطوره:

(١) إيمان مرثا قبل مع المسيح (١١: ٢١ و ٢٢): كانت مرثا مؤمنة بـ:

(أ) أن المسيح شخص ممتاز: "يا سيد" (عدد ٢١). (ب) أن المسيح يقدر أن يشفي المريض – على شرط أن يكون حاضراً عند المريض: "لو كنت ههنا لم يمت أخي" (عدد ٢١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(جـ) أن في إمكان المسيح أن يقيم الميت – على شرط تأتيه القيامة هبة من الله, استجابة لصلاته: "كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه" (عدد ٢٢). إذا كانت مرثا تعتقد أن قدرة المسيح محدودة – بالمكان, والزمان, وبإرادة الله في استجابة الصلاة.

(٢) إيمان مرثا أثناء حديث المسيح معها (عدد ٢٤). كانت مرثا مؤمنة بالقيامة – ولكن في اليوم الأخير: "أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير" (عدد ٢٤). إذا كان إيمانهم بالقيامة محدودا بالزمن.

(٣) الوسائل التي بها عالج المسيح إيمان مرثا (١١: ٢٠ - ٢٦). (أ) غياب المسيح عن بيت عنيا أثناء مرض لعازر (عدد ٢٠). (ب) تباطؤ المسيح عن الحضور في الوقت الذي كانت تستحسنه مرثا (عدد ٢١). (حـ) حضور المسيح في الوقت الذي استحسنه هو (عدد ٢١). (د) الوعد الغير المعين الذي قدمه لها (عدد ٢٣). (هـ) الإعلان الصريح الذي أفضى به إليها (عدد ٢٥ و ٢٦). (و) استجواب المسيح إياها: "أتؤمنين"

٢٠فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْثَا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لاَقَتْهُ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ.

(٤) القمة العليا التي سما إليها إيمان مرثا (عدد ٢٧). الآن أضحت مرثا مؤمنة: بأن يسوع هو المسيح: "أنا قد آمنت أنك أنت المسيح" وبأنه هو: "ابن الله". وبأنه هو المسيح المشهود له من الأنبياء, الموعود به, والمنتظر من الشعب: "الآتي إلى العالم".

الآن, بعد أن درسنا هذا الفصل درساً تحليلياً, لننتقدم إلى درسه تفسيرياً:

عدد ٢٠. (أ) مرثا مترقبة ومريم ساكنة: "فلما سمعت مرثا... لاقته وأما مريم فاستمرت جالسة في البيت". هذا يتفق تماما وما نعلمه عن الأختين من بشارة (لوقا ١٠: ٣٩ و ٤٠). إن الخواص التي انطبعت بها شخصية الأختين, قد ظهرت بارزة في وقت حزنهما العميق (يو ١١: ٢٠), كما في وقت سرورهما بإضافة زائر كريم (لوقا ١٠: ٣٩ و ٤٠). فمرتا في كلا الظرفين, قلقة, كثيرة الحركة, لا تطيق صبراً على التمهل والانتظار – هذا مما يخفف عنها أعباء الحياة, سيما في أوقات الأحزان, لأن الحزن الصامت, أشد فتكاً من الحزن الناطق. وكذلك مريم في كلا الحالين كانت جالسة صامتة. على أن الأختين كانتا في انتظار السيد, فمرتا كانت في انتظارها مترقبة – مثلها مثل الرقيب الذي يقف على المرصد ليكون أول من يرحب بأشعة شمس الصباح. ومريم كانت في انتظارها, هادئة – مثلها مثل زهرة نابتة في كنف صخر منتظرة بسكون أشعة النور.

٢١فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي. ٢٢لَكِنِّي الآنَ أَيْضاً أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ».

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢١ (ب) مرثا متحسرة:"فقالت مرثا يا سيد لو كنت ههنا لم يمت". هذه نغمة التحسر, وهي لا تخلو من رنة عتاب خفيف. إذا جاز لنا أن نرسم صورة رمزية للتحسر, فلنا أن نتمثل شخصيا دامع العينين, دامي القلب, متجها بوجهه إلى الماضي: وفي فمه كلمتان مقتضبتان لا يعرف إلا هما - "لو كنت... ".لو كنت بكرت في استدعاء الطبيب... ! لو كنت اخترت ذلك السبيل دون هذا... ! لو كنت تلفظت بتلك الكلمة دون هذه... ! لو كنت! لو كنت! إن هاتين الكلمتين شبيهتان بشوكتين سامتين في وسائد كثيرين, وبسببهما لا ترى أجفانهم نوما ولا عينهم نعاسا. هاتان سكينتان تحزان في قلوب الكثيرين, فتدميانها.

مسكينة مرثا, هذا أقصى ما بلغ إليه إيمانها حتى الآن. كانت تؤمن أن المسيح مجرد طبيب يشفي المرضى, وأن قدرته, لا تفترق عنه قيد شبر, فان غاب بجسده, غابت معه قدرته, إذا كان إيمان قائد المئة الوثني أقوى من إيمان مرثا, لأنه كان يعتقد أن قدرة المسيح تتخطى المسافات وتجتاز الأبعاد. (متى ٨: ٨).

عدد ٢٢. (جـ) مرثا مؤملة – "لكن الآن أيضا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك إياه". ما أجمل كلمة: "لكن", بعد كلمة: "لو"! إذا كانت كلمة: "لو", لاوية عنقها إلى الوراء باستمرار, فإن كلمة

٢٣قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكِ».

"لكن" تمتد بهاماتها إلى الأمام. "لو" يائسة متحسرة, أما "لكن" فهي مؤملة راجية. بعد أن لفظت مرثا كلمات التحسر المدونة في العدد السابق, لمحت عيناها من خلال دموعهما, بارقة أمل مبني على اعتقادها باقتدار المسيح في الصلاة, فلو طلب من الله أن يهبه حياة جديدة للعازر, لأعطاه الله إياها. وربما كان أملها هذا مبنيا على فهمها للكلمة التي فاه بها المسيح أمام رسول الأختين: "هذا المرض ليس للموت" (عدد ٤). قابل بين قول مرثا في هذا العدد: "أنا أعلم", وبين قولها في عدد ٢٧: "أنا قد آمنت". هذا إيمان حي, ولكن يعوزه النور. مثله مثل تائه يتلمس في الظلام. ومما يدل على محدودية إيمانها ترديدها لاسم الجلالة: "الله" مرتين في عبارة قصيرة, في سياق كلامها عن قدرة المسيح كرجل صلاة ليس إلا. ويجدر بنا أن نلاحظ, أن الكلمة التي عبرت بها مرثا عن صلاة المسيح: "تطلب", تفيد سؤال التوسل, وهي لم ترد قط على لسان المسيح في كلامه عن نفسه, مع أنه استعملها مرارا ليعبر بها عن صلاة البشر (١٤: ١٣ و ١٥: ١٦ و ١٦: ٢٣).

عدد ٢٣. (د) المسيح ينير السبيل أمام إيمان مرثا, بوعد غير معين: "قال لها يسوع سيقوم[٤] أخوك". إن العين الرمداء لا تتحمل النور القوي إذا سلط عليها دفعة واحدة. فالطبيب الماهر, يقدم لها النور أقساطا. هذه خطة حكيمنا الأعظم في معالجته ضعف إيمان مرثا, لأنه إذا رأى إيمانهم في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢٤قَالَتْ لَهُ مَرْثَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ

حاجة إلى النور, رفع بيديه الرقيقتين مصباح هذا الوعد, ليهدي به إيمانها بعض الخطوات إلى الأمام. وليعدها به لانتظارات أفضل. لأنه قبل أن يهب هباته, يهيء القلوب والأيادي لتتسلمها. هذه خطته التي تجلت لنا في الإصحاحين – الخامس والسادس, إنه يمهد لعطاياه بوعود مفرغة في صيغة عامة, تكاد تكون غامضة: "سيقوم أخوك" – مهما تكن طبيعة الموت, فليس الموت آخر فصل في سجل الحياة, إنما الفصل الأخير في الحياة نفسها.

هذا اصحاح عامر بالعبارات التي ترينا الحياة من خلال الموت (عدد ٤ و ١١ و ١٦), والموت من خلال الحياة (عدد ٥٠).

عدد ٢٤. (هـ) مرثا منتظرة: "قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير". في هذا الكلام, أقرت مرثا بإيمانها بالقيامة – إيمان لا يخلوا من قوة, إلا أنه من حقيقته محاط بضعفات كثيرة – فمنها:

(١) إنه إيمان يتطلع إلى المستقبل البعيد: "في اليوم الأخير" لذلك فهو منعدم من كل تعزية في الحاضر. إننا نريد الإيمان الذي يملأ قلوبنا بالأبدية في هذه الحياة, قبل أن نذهب نحن إلى الأبدية في الحياة العتيدة.

(٢) إنه إيمان ممسك بعقيدة لا بشخص.. "سيقوم". بما أننا أشخاص, لا أشياء, فلن تستريح نفوسنا إلا إذا كلن إيماننا ممسكا بشخص حي. إننا ندين بالمسيح الذي هو روح المسيحية, وحياة المسيحية, بل حياة المسيحيين.

(٣) إنه إيمان عام, متعلق بأمر عام يشترك فيه جميع الناس سواء بسواء: "في القيامة". فما قيمة القيامة العامة لمرثا التي لا ترتوي إلا متى رأت لعازر

فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ». ٢٥قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ.

أخاها مقاما الآن. فلا عجب إذا رأينا مرثا غير قانعة, متبرمة, منتظرة, "أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة".

(٤) إنه إيمان مادي لا يرتضى إلا بالنتائج الملموسة: "قيامة لعازر".

فاهت مرثا بهذه الكلمات, بروح التساؤل, وهي تنتظر شيئا أفضل, كأني بها سألت السيد قائلة: "ماذا تعنى بقولك سيقوم أخوك"؟ إذا كنت تقصد القيامة في اليوم الأخير, فهذا ما تعلمته منذ حداثتي. أما إذا كنت تعني قيامة أخرى, فأسعفني حالا وأوضح قصدك, لأني منتظرة على أحر من الجمر".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٥ و ٢٦. (و) المسيح يقوي إيمان مرثا بتصريح واضح: "قال لها يسوع. أنا هو القيامة والحياة.. ". هذا هو التصريح الخامس في هذه البشارة, وبه عالج المسيح ضعف إيمان مرثا, فنقلها من الاعتقاد بعقيدة إلى الإيمان بشخص. ومن الإيمان بشيء مخبوء في بطن المستقبل البعيد البعيد, إلى الثقة بذات حي, حاضر أمامها. ومن التعلق بأهداب أمر عام يشترك فيه جميع الناس, إلى التمسك بشخصية فردية. ومن الاعتقاد بأن الحياة هبة من الله للمسيح, إلى اليقين بأن المسيح هو الحياة ذاتها. يتضمن هذا التصريح:

(١) إعلانا مجيدا: "أنا هو القيامة والحياة" – في هذا الإعلان ذكر المسيح النتيجة قبل العلة, وقدم الثمرة على البزرة, ودل على المصب قبل المنبع. فالقيامة هي ثمرة الحياة, وهي نتيجة لها. لأن الحياة أصلية, والموت معتد وإنما النصرة النهائية, هي للحياة, التي تتخذ القيامة من الموت مظهراً

مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا

لها. "أنا هو.. " بهذه العبارة حول المسيح نظر مرثا من التلمس في الظلام, إلى التمسك بشخصه الحي, الحاضر الآن: "أنا هو" لا: "أنا سأكون". والظاهر أنه ذكر القيامة قبل الحياة, لأن القيامة كانت الشغل الشاغل لمرثا, بل للجميع, وفي هذا الظرف التاريخي. لم يقل المسيح لمرثا: "أنا أهب الحياة" – كأن الحياة شيء منفصل عنه, وإنما قال "أنا هو الحياة". إن الحياة مودعة فيه, لأنه هو أصلها, وينبوعها, وحياتها (١٤: ٦). فالمسيح هو الحياة – بكل أنواعها – لكل إنسان على حدة (رو ٦: ١١), وهو الحياة لكل الكتلة البشرية (كو ١: ١٧).

في هذا الإعلان, استعمل المسيح خطة التدرج التي استعملها في مناسبات سابقة – من التعميم إلى التشخيص, ومن المادي إلى الروحي. ومن الكلام عن القيامة بوجه عام, إلى تخصيص القول عن نفسه إنه, "هو القيامة", ومن التحدث عن القيامة المادية إلى الكلام الأخص عن ذاته أنه هو الحياة. بهذه الدرجات هذب المسيح إيمان مرثا, ورفعه من الماديات إلى الروحيات.

(٢) وعدا جليلا: "من آمن بي.. وكل من كان.. " (عدد ٢٥ و ٢٦) كما أن تصريح المسيح في العدد السابق, له جانبان – أولهما عن القيامة, وثانيهما عن الحياة, كذلك لهذا الوعد جانبان, أولهما عن القيامة وثانيهما عن الحياة. فكأن جانبي الوعد يسيران جنبا إلى جنب مع جانبي التصريح السابق. فقول المسيح: "أنا هو القيامة". يوافقه وعده القائل: "من آمن بي ولو مات فسيحياً". وتصريحه القائل: "أنا هو

٢٦وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا؟»

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحياة",يترتب عليه وعده القائل: "وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد". وكما أنه في تصريحه, ابتدأ من المظهر المادي الخارجي, حتى بلغ الجوهر الروحي الباطني – فتكلم أولاً عن القيامة ثم عن الحياة, كذلك أيضاً في وعده, بدأ بالمظهر الخارجي للحياة التي تنتصر على الموت الجسدي,:"من آمن بي وإن مات" – كما في أمر لعازر – "فسيحيا", ثم تحدث بعد ذلك عن الجوهر الباطني الروحي للحياة الأبدية, التي لن تصل إليها يد الموت: "وكل مكن كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" – كما في أمر مرثا وسائر المؤمنين.

الجانب الأول من هذا الوعد, يرينا معنى الموت. فهو ليس موتاً حقيقياً – وإن ظهر بمظهر الموت, والجانب الثاني يريق نوراً سماوياً على معنى الحياة الأبدية – فهي سلسلة ذهبية طويلة لن تنكسر فيها حلقة ما. الجانب الأول – يتناول الحاضر, والجانب الثاني يضم المستقبل بين ذراعيه. ‘ن هذا الجانب الثاني هو العنصر الخالد في هذه المعجزة – بل هو الغرض الذي جاء به المسيح إلى أرضنا لأجله. إن إقامة لعازر من الموت, مسألة وقتية, لأن لعازر عاد بعدها إلى القبر كما كان, إنما المعجزة الأعظم الخالدة, هي إقامة النفوس من قبور الخطية – هذه هي الحياة الأبدية.

(ز) المسيح يستخلص من مرثا إيماناً حياً باستجاوبه إياها: "أتؤمنين بهذا"؟ قبل أن وقف المسيح على قبر لعازر, وأخرج لعازر بكلمة, نراه هنا واقفاً أمام مرثا, وبكلمة منه استخلص منه إيماناً حياً: "أتؤمنين

٢٧قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ».

بهذا"؟ هذا بمثابة القول: "هل هذا هو إيمانك"؟

عدد ٢٧. (حـ) مرثا منتظرة: "قالت له نعم يا سيد". إن مرثا, بقولها هذا: (١) أقرت بقبولها كلام المسيح أنه هو "القيامة والحياة". فرق عظيم بين موقفها هذا, وموقفها السابق حين قالت "يا سيد لو كنت". إننا في حاجة إلى الملاك الذي رآه حزقيال في رؤياه (حز ٤٧), ليقيس لنا المسافة بين الموقفين! (٢) اعترفت بإيمانها اليقيني, المبني على التحقق والاختبار: "قد آمنت". هذا هو الاكتشاف الأعظم الذي وجدته مرثا في هذه المرحلة الشاقة التي قطعتها نفسها الحزينة المتألمة: "قد آمنت". "قد" – كما يقول النحاة, تفيد التحقيق.

أما موضوع إيمانها, فهو: أن يسوع هو: (١) "السيد", المعظم فوق كل عظيم. (٢) "المسيح" – الممسوح من الله نبياً, وكاهناً, وملكاً. فهو ملتقى آمال اليهود, وموضوع نبوات الأقدمين. (٣)"ابن الله" – الذي تربطه بالله صلة قدسية, سرية, روحية, لا يدانيه فيها سواه, وهو بحق هذه النسبة يستطيع أن يصالح العالم مع الله, لأنه هو: "الله ظهر في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجسد". هنا قد ارتقت مرثا إلى صف نثنائيل, وبطرس, ويوحنا المعمدان. (٤) "الآتي إلى العالم" – فهو مشتهى الأمم. إن هذه الكلمات التي فاهت بها مرثا ليست سوى ترجمة أخرى لتصريح المسيح بأنه "هو القيامة والحياة". ما دام هو القيامة والحياة, فهو المسيح. وما دام هو المسيح فهو ابن الله. وما دام هو المسيح ابن الله, فهو الذي أتى إلى العالم ليفدي, وسيأتي عند القيامة ليحكم ويدين.

٢٨وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا مَضَتْ وَدَعَتْ مَرْيَمَ أُخْتَهَا سِرّاً قَائِلَةً: «اَلْمُعَلِّمُ قَدْ حَضَرَ وَهُوَ يَدْعُوكِ».
٢٩أَمَّا تِلْكَ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَامَتْ سَرِيعاً

(٣) المسيح يلتقي بمريم (١١: ٢٨-٣٧). في هذا الفصل نرى مشهدين (أ) حزن مريم (١١: ٢٨-٣٣). (ب) تأثرات المسيح (١١: ٣٣-٣٧).

(أ) حزن مريم (١١: ٢٨-٣٢). في هذا نرى: (١) مريم مدعوة. (٢) مريم تلبي الدعوة. (٣) مريم ساجدة باكية.

عدد ٢٨. (١) مريم مدعوة: "ولما قالت هذا" – أي كلامها المذكور في العدد السابق, وبه رفعت الغمة عن نفسها, "مضت ودعت مريم أختها سراً" – من غير أن تعلم اليهود الموجودين, لأن جلهم كانوا معزين رسميين وبعضاً منهم كانوا جواسيس للفريسيين (عدد ٤٧). "قائلة المعلم" – بهذا اللقب كان المسيح معروفاً بين خاصته (أنظر ٢٠: ١٦؛ ١٣: ١٣؛ مت ٢٦: ١٨). "وهو يدعوك" – الظاهر أن السيد أرسل فدعا مريم سراً, اعتقاداً منه أن الحزن العميق يكون صامتاً أمام الجماهير, فلا يبوح مكنوناته, إلا للرب وحده, وكذلك سر الرب لخائفيه.

يعتقد كيرلس الاسكندري, أن مرثا تطوعت, ودعت أختها لمقابلة السيد, لتنيلها معها نصيباً من العزاء الذي نالته هي. ونميل نحن إلى الرأي الأول.

عدد ٢٩. (٢) مريم تلبي الدعوة عاجلاً. إن السرعة التي بها أجابت مريم هذه الدعوة, لدليل على استعداد إيمانها. فمع أنها بطبيعتها متأنية, إلا أنها بروحها نشيطة. إنها بعملها هذا, قدمت لنا أجمل تفسير للقول

وَجَاءَتْ إِلَيْهِ. ٣٠وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ بَلْ كَانَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لاَقَتْهُ فِيهِ مَرْثَا.
٣١ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ يُعَزُّونَهَا لَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ قَامَتْ عَاجِلاً وَخَرَجَتْ تَبِعُوهَا قَائِلِينَ: «إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِيَ هُنَاكَ».

"أجذبني وراءك فنجري". هنا تركت المعزين المتعبين, قاصدة المعزي الصالح الأوحد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣٠. جملة تفسيرية "ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية.". كان قبر لعازر خارج القرية لأن مدينة الأموات بعيدة عن حي الأحياء كما في سائر العصور. وغالبا لم يذهب المسيح إلى بيت مرثا ومريم. لأنه لم يأت ليعزيها بكلمات مهما تكن طيبة, بل جاء ليقيم أخاهما الميت. لذلك دعاهما إلى المكان الذي سيكون مسرحا لأكبر معجزة في التاريخ – بعد قيامته هو – لتشهدا تلك المعجزة ومعهما المعزون من اليهود.

عدد ٣١. المعزون الذين أصبحوا فيما بعد شهوداً: "ثم إن اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها.. ". لما خرجت مرثا لملاقاة المسيح (عدد ٢٠) لم يخرج معها اليهود المعزون, لأن أختها مريم استمرت جالسة في البيت (عدد ٢١), فظلوا معها. أما وقد خرجت الأختان معا, فبقي أمام المعزين أمر من أثنين: إما أن ينصرفوا إلى بيوتهم – وهذا غير طبيعي, لأن مدة "المأتم" لم تنقض بعد, أو أن يتبعوا الأختين إلى القبر, ليكملوا "المناحة" هناك. ولعل بعضا منهم خاف على مريم من الاستسلام للحزن عند القبر –

٣٢فَمَرْيَمُ لَمَّا أَتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ: «يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي».

والقبور مثيرة الأشجان – فذهبوا معها ليشجعوا ويواسوها. كان هذا قصدهم في خروجهم لكن الله قد قصد بهم أن يكونوا شهودا لحقيقة المعجزة, فيؤمنوا أو يتقسوا.

عدد ٣٢. مريم ساجدة باكية: "فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع. خرجت عند رجليه.. " يختلف حزن مريم عن حزن مرثا أختها, باختلاف طبيعتهما. مرثا كثيرة النشاط, فهي في حزنها مجاهدة. ومريم ميالة إلى السكون والهدوء, فهي في حزنها مسلمة باكية, فجاءت هذه إلى المسيح معبرة عن حزنها العميق بأمرين: (١) أولهما سجودها عند قدميه "خرجت عند رجليه" هذا هو المكان الذي سبقت فاختارته مريم لنفسها, فصار لها خير نصيب (لوقا ١٠: ٣٩؛ يوحنا ١٢: ٣). هذا موقف مثلث – فهو: موقف المتواضع وموقف التلميذ المكرس, وموقف المصلي الساجد. (٢) ثانيهما دموعها الناطقة بلغة التحسر. "يا سيد لو كنت ههنا" بهذه العبارة عينها استقبلت مرثا المسيح. والفرق بينهما هو أن مرثا نطقت بها وأردفتها بوابل من الكلام. ومريم فاهت بها وسقتها بوابل من الدموع (عدد ٣٣), فكانت بدموعها أكثر اقتدارا من أختها بكلامها. فإذا كان كلام مرثا قد أنطق فم المسيح بوعود وتشجيعات, فإن دموع مريم, استدرت من قلبه عطفا, ومن شخصه اقتداراً.

يظهر من ترديد الأختين للعبارة الواحدة: "لو كنت ههنا", إن الشغل الشاغل, لهما ولأخيهما, في ساعات المرض الأخيرة, كان غياب المسيح وقتئذ.

٣٣فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي وَالْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(ب)تأثرات المسيح (١١: ٣٣-٣٧). في هذا المشهد نرى: (١) تأثرات المسيح (١١: ٣٣-٣٥). (٢) تعليل اليهود لهذه التأثرات (١١: ٣٦ و ٣٧).

عدد ٣٣. تأثرات المسيح: (١١: ٣٣-٣٥). نحن واقفون الآن على أرض مقدسة, فلنخلع نعالنا من أرجلنا. إن كل محاولة يراد بها تحليل هذه التأثرات القدسية, مقضي عليها بالفشل. فلسنا ندري: أنحن أمام ناسوت المسيح المتأثر, أم أمام لاهوته المقتدر المؤثر, أو أمام الاثنين معاً! إن ناسوته غير منفصل عن لاهوته, ومظاهر الناسوت معبرة عن جوهر اللاهوت. فالله يسخط, ويعلم, ويحرك, ويحب. والإنسان يرتعش, ويستعلم, ويبكي. فارتعاش الناسوت معبر عن سخط اللاهوت وغضبه, ودموع الناسوت معبرة عن حب اللاهوت. في هذه الثلاثة الأعداد تتجلى ثلاثة مظاهر:

(أ) تأثر يسوع في روحه (عدد ٣٣). (ب) استفهام يسوع عن موضع القبر (عدد ٣٤).
(جـ) دموع يسوع (عدد ٣٥). (أ) تأثر يسوع في روحه في هذا العدد يتجلى أمامنا أمران:
(١) ما رأى يسوع: "فلم رآها يسوع تبكي" الكلمة المترجمة: "تبكي" تعني الزفرات والعويل, وهي غير الكلمة التي قيلت عن المسيح في عدد ٣٥, التي تعني مجرد سكب الدموع الصامتة. كان نوح مريم مظهراً من مظاهر ضعف الإيمان. لأنها لم تكن قد ارتقت بعد إلى مستوى الإيمان الذي بلغته مرثا في عدد ٢٧. على أن نظر المسيح لم ينته عند رؤيته دموع مريم, ودموع اليهود الذين جاؤوا معها, بل نفذ إلى ما وراء حجب المادة, فرأى العوامل المختلفة التي كانت

انْزَعَجَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ

نبعث هذه الدموع. وعلم بكسر قلب مريم, ولمس عدم إيمانهم, وكشف رياء بعض أولئك اليهود المتباكين, الذين كانوا يسكبون دموعا رخيصة هي دموع التماسيح. وأدرك أن كثيرين غيرهم, كانوا بعويلهم يطرحون وقوداً على نيران حزن مريم لتزداد اشتعالا. (٢) ما شعر به يسوع: "انزعج بالروح[٥] واضطرب". ربما كان أقرب إلى الأصل أن تترجم هذه العبارة إلى: "ارتعش بالروح وحرك نفسه". هذا إحساس من يرى أمراً مخالفا للصواب, فتحتد روحه فيه, ويغضب لأجل الحق, ثم يستخدم قوة إرادته لصد تيار هذا السخط, ومنعه من الظهور, فيهتز من أعماق نفسه.

فما هو هذا الأمر الذي كان موضوع غضب المسيح وسخطه؟ أهو رياء اليهود المتباكين الذين جاؤوا ليعزوا مريم عن فقد أخيها, وصاروا فيما بعد, من المؤتمرين على قتل أخيها (١٢: ١٠)؟ أم هو عدم إيمان مريم ومن كانوا معها؟ أم أن المسيح احتدت روحه فيه, لأنه علم أن وراء دموع مريم وعدم إيمانها, ووراء رياء اليهود, يختبيء شبح قبيح أسود – هو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الموت, وأن وراء هذا الشبح الأسود يستتر شبح آخر, أشد منه قبحاً وسواداً يقال له "إبليس", وأن في كنف إبليس تختبيء غدارة خائنة اسمها

٣٤وَقَالَ: «أَيْنَ

الخطية؟ أم هذه كلها مجتمعة معاً؟ أم لأسباب لا نعلمها؟ على أن هذا الارتعاش الذي حدث ليسوع, لم يكن نتيجة ضعف بشري. وإنما كان بإرادته القوية. لذلك قال البشير عنه إنه "حرك نفسه". أي أنه أدخل على نفسه هذه التأثرات طوعاً واختياراً. وهو في تحريكه نفسه, لم يكن متصنعاً التأثير بل كان متأثراً من صميم نفسه. من هذا نرى أن هاتين العبارتين: "ارتعش بالروح" و "حرك نفسه" متشابهان, تدعم إحداهما الأخرى وتثبتها. ويعتقد جودي أن الروح هي مركز التأثرات الروحية, وأن النفس هي مركز الانفعالات الطبيعية. وأن العبارة: "انزعج بالروح" لم تطلق على المسيح سوى مرة أخرى في هذه البشارة (١٣: ٢١) – حينما كان موجهاً خيانة يهوذا, وأنه انزعج في روحه, لأنه من الجهة الواحدة. رأى أن دموع الباكين على حبيبهم, تناديه بل تستعطفه, أن يقيم لعازر – حبيبه هو أيضا – من الأموات. ومن الجهة الأخرى, وهي منة منه على البشرية, ستكون أول خطوة حاسمة تؤدي به إلى الصليب. فتمثلت له خطية البشرية في أقبح مظاهرها, حين ردت عليه حسناته سيئآت واتخذت من نعمه عليها, فرصة لنقمتها عليه. لذلك احتدت روحه فيه, "وحرك نفسه", إما لينهض نفسه للصراع العنيف الذي ينتظره, ضد الخطية, والموت, وإبليس, أو ليدفع عن نفسه هذا التأثر, ويتقدم للقيام بالمعجزة.

عدد ٣٤. (ب) استفهام يسوع عن موضع القبر: "وقال أين

وَضَعْتُمُوهُ؟» قَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ تَعَالَ وَانْظُرْ».

وضعتموه" – هذه هي المرة الوحيدة – في كل البشائر – التي يرى فيها يسوع مستعلما عن أمر ما. على أن علام الغيوب, لم يسأل هذا السؤال, لأنه كان يجهل – أو يتجاهل – الموضع الذي دفن فيه لعازر. فليس من العسير على الذي استطاع أن يرى نثنائيل تحت التينة, أن يرى لعازر في القبر, وإنما سأل هذا السؤال إيقاظاً للحاضرين إلى المعجزة التي كان مزمعاً أن يصنعها جهراً. فكان سؤاله هذا بمثابة دعوة قدمت إليهم ليحضروا هذه الوليمة الروحية فتكون لهم رائحة حياة لحياة أو رائحة موت لموت. أما جوابهم على سؤاله هذا فهو: "تعال وانظر" – هذا صدى صوت المسيح في ١: ٤٦؟!

عدد ٣٥. (جـ) دموع يسوع – "بكى يسوع". عظيم هو الفرق بين اللغة التي تكلم بها المسيه مع مرثا واللغة التي خاطب بها مريم.كانت مرثا مجاهدة جهاد الإيمان الحسن, فوجه إليها كلمات طيبة, هداها بها سواء السبيل أما مريم فجاءته ساجدة باكية, فخاطبها بالدموع,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبهذه الكلمات المتبلورة الصامتة جبر كسر قلبها. كلمة: "بكى" التي عبر بها البشير عن تأثرات يسوع, غير كلمة: "بكى" التي عبر بها عن تأثرات مريم ومن معها (عدد ٣٣). فهي لم ترد سوى هذه المرة في العهد الجديد, وترجمتها الحرفية: "دمع يسوع". فالمسيح, في حزنه الصامت, سكب دموعا هادئه. "بكى يسوع" – هذه أقصر آية في الكتاب المقدس, لكن من يستطيع أن يقيس اتساعها وعمقها وسموها! هذه قصيدة كاملة

٣٥بَكَى

مركزة في نبرة, وبحر خضم متجمع في قطرة, وأبدية طويلة مختزلة في لحظة وثروة طائلة مختزنة في لؤلؤة.

"بكى يسوع"[٦] – هنا نرى دموع يسوع الإنسان, معبرة عن محبة المسيح الإله. هذا ختم ناسوته الكامل الذي به صار واحداً منا, نائلا قسته من هذا الميراث المشترك. بل هذا مظهر لاهوته الكامل, الذي نقرأ عنه في العهد القديم: "في كل ضيقهم تضايق". بهذه الدموع اللؤلؤية, الفدائية, تشفى العيون التي قرحها البكاء والعويل, ويزال صدأ اليأس المتراكم على النفوس. بل بهذا المرهم البلوري, تجبر القلوب الكثيرة.

من لنا بالمنديل الذي مسحت به هذه الدموع القدسية, لنكفكف به الدموع! فلقد بكى الفادي لنبكي نحن, وبكى لكي نفرح!!!.

ما أجمل دموعك أيها الفادي! وما أثمنها, وما أطهرها! فما قطر الندى الجميل, تسكبه أجفان على أكمام الأزهار, إلا قبحا بجانب جمالها. ولا اللآلئ الكريمة تزين تيجان القياصرة سوى تراب أمام تبرها. ولا عين الشمس الوضية ساكبة أشعتها الوهاجة لتنقي أدران الكون, سوى قذر بجانب طهارة دموعك القدسية النقية! إننا نكرمك لأجل كلامك, ونعظمك لأعمالك, ونجتذب إليك بسبب ابتسامك. لكننا إذا نراك دامعاً لأجلنا, نخر عند قدميك خاشعين ساجدين. فليس أعز من دموعك سوى دمائك – هذا إذا جازت المفاضلة في الكمال – وهيهات! إن دموعك هي مادة سحرية

يَسُوعُ.

تذيب القلوب المتحجرة, وهي "كيميا" مقدسة تجمع بين القلوب المتنافرة.

"انزعج بالروح واضطرب... بكى يسوع" – بعد العاصفة نزل المطر. ليس بعجيب أن يبكي المسيح, مع علمه بأنه سيقيم لعازر بعد دقائق, لأن "الكلمة" صار جسداً وحل بيننا, ولأن من يقف على قبر ميت ليقيمه, لا يمكن أن يضم بين ضلوعه قلبا من حجر. "من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيما ورئيس كهنة أميناً في ما الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حتى يكفر خطايا الشعب" (عب ٢: ١٧). ومن المهم, ألا ننسى أن الكلمة: "بكى يسوع". التي تصف ناسوت المسيح التام, قد وردت في هذه البشارة المكرسة لإثبات لاهوت المسيح. فليس من المستغرب, أن نرى البشير الذي استهل بشارته بتجسد الكلمة الأزلي, يكثر من إيراد الأدلة المثبتة أن "الكلمة" المتجسد "حل بيننا", حقيقة ولا هماً. فيوحنا دون سواه, حدثنا عن عطش المسيح (٤: ٧ و ١٩: ٢٨), وتعبه (٤: ٦). فالمسيح إله تام, وإنسان تام.

هل بكى يسوع متأثرا مما رآه؟ أم بكى عطفا على الباكين الذين لم يبكوا على أنفسهم؟ أم بكى منفعلا بسبب الأجرة القاسية التي نقدتها الخطية لحبيبه لعازر – بالموت؟ أم بكى إشفاقا على لعازر, إذ علم أنه بهذه المعجزة سيعيده إلى حياة الشقاء والهوان, بعد أن كان ناعما في جوار ربه؟ أم بكى لأسباب لا نعلمها؟

(٢) تعليل اليهود لتأثرات المسيح (١١: ٣٦ و ٣٧) – "فقال اليهود.. وقال بعض منهم". أي نعم! وعلى قبر لعازر أيضا "تعلن أفكار من قلوب كثيرة". وفي ساعة الحزن أيضا يعرف المخلصون من

٣٦فَقَالَ الْيَهُودُ: «انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ». ٣٧وَقَالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ: «أَلَمْ يَقْدِرْ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا أَيْضاً لاَ يَمُوتُ؟».

عدد ٣٦. (أ) اليهود الحسنو الظن بالمسيح: "فقال اليهود" – وهم فريق منهم – "أنظروا كيف كان يحبه" (انظر ٢٠: ٢). جميل بهؤلاء القوم أن يقدروا دموع المسيح, وأن ينسبوها إلى باعث شريف كحبه للعازر. ولكن كان عليهم أن ينظروا إلى العمق, ويعلموا أن المسيح بكى, لأن في عينيه دموعا. وأن عينيه دموعا لأن له عينين طبيعيتين, وأن له عينين طبيعيتين لأنه إنسان, وأنه إنسان لأنه تجسد طوعاً واختياراً لأجل خطايانا نحن وخطاياهم هم.

عدد ٣٧. (ب) اليهود الجامدون: "وقال بعض منهم.. ألم يقدر هذا" – ولعلهم لفظوا كلمة: "هذا", بنغمة التحقير والازدراء – "الذي فتح عيني الأعمى" – المذكورة سيرته في ص ٩. وربما أشاروا إلى هذه الحادثة دون سواها, لأنها كانت ماثلة أمام أعينهم, وقد أجراها المسيح في مدينتهم منذ عهد قريب. "أن يجعل هذا أيضا لا يموت" – فكأنهم نسبوا إلى المسيح أمراً من اثنين. إما أنه غير مخلص في حبه للعازر, أو أنه كان مغروراً حين أفهم الناس أنه فتح عيني الأعمى. وهل في الإمكان أن يهوى إنسان إلى درك أسفل من هذا الذي هبط إليه هؤلاء, الذين يكيلون هذه التهم لأقدس شخص, في أقدس ظرف؟! هذه حال قوم أغلقوا قلوبهم ضد النور, فعجزت نار الأحزان عن أن تصهرها, وقصرت رهبة الموت عن أن تطهرها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣٨فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ.

ثالثا: قلب المعجزة (١١: ٣٨ - ٤٤)

أفاض البشير في وصف المراحل التي قطعنها هذه المعجزة, وصفا دقيقاً, لا يترك مجالا للشك في أنه كان شاهد عيان. فلم يكتف بذكر ما عمله المسيح بل حفظ لنا: (أ) تأثرات المسيح (عدد ٣٨) و (ب) كلمات المسيح (عدد ٤٤).

عدد ٣٨. (أ) تأثرات المسيح وشروعه في عمل المعجزة: "فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء إلى القبر". ويحدثنا هذا العدد عن: (١) تأثر المسيح: "فانزعج يسوع أيضا في نفسه". إن تأثر المسيح الموصوف هنا لم يتخذ مظهرا قويا, كتأثره الموصوف في عدد ٣٣. ويستنتج من حرف الفاء الذي به يستهل هذا العدد, إن سخرية اليهود بدموع المسيح, كانت إحدى العوامل التي أثارت فيه هذا الثائر. ويضاف إليها وقوف المسيح محاطا بدموع الباكين, وشك الغير المؤمنين, ورياء المتباكين.

(٢) شروعه في عمل المعجزة: "وجاء إلى القبر". هذه أول خطوة فعلية, خطاها المسيح نحو إتمام المعجزة, بل هذه أول خطوة خطاها حومة الوغى ليصارع الموت في عرينه, فيصرعه.

(٣) وصف علم للقبر: "وكان مغارة وقد وضع عليه حجر" – إما أن فم القبر كان مفتوحا إلى فوق, والحجر موضوعا عليه – وعلى هذا الاعتبار تكون الحفرة عمودية. أو أن فم القبر كان متجها إلى أحد الجوانب,

٣٩قَالَ يَسُوعُ: «ٱرْفَعُوا الْحَجَرَ». قَالَتْ لَهُ مَرْثَا أُخْتُ الْمَيْتِ: «يَا سَيِّدُ قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ».

والحجر موضوعاً مقابله - وعلى هذا الاعتبار تكون الحفرة أفقية.

عدد ٣٩. (ب) كلمات المسيح (١١: ٣٩ – ٤٤). هذه خمس كلمات:

(١) كلمته الأولى للواقفين: "قال يسوع ارفعوا الحجر". هذا يتفق وما نعلمه عن المسيح وميله إلى الاقتصاد. فلا إسراف ولا تبذير في تدبير عنايته. بطلبه هذا علم الأجيال كلها أن الله لن يقوم بواجب الإنسان بدلا منه, مادام في قدرة الإنسان أن يقوم بواجبه. فلن يساعد القدير إلا المجدين. ولن تمطر السماء ذهبا وفضة على رؤوس من يقعدون عن القيامة بواجباتهم.

فالمسيح بطلبه هذا, قدم لهم فرصة بها يظهرون طاعتهم وولاءهم له.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفوق ذلك فإنهم, برفعهم الحجر, أضحوا شهود عيان لصحة هذه المعجزة.

كلمة مرثا: "قالت له مرثا أخت الميت يا سيد: قد أنتن لأنه له أربعة[٧] أيام". إننا مدينون لمرثا بهذه الكلمات التي شهدت بها أمام الأجيال – من غير قصد – بأن لعازر أخاها لم يكن في حالة إغماء ولا إعياء, بل كان قد أنتن.في هذا يصدق القول: "وشهد شاهد من أهلها".

إن وصف البشير لمرثا بأنها "أخت الميت",يريق نورا ساطعا على

٤٠قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكِ:

كلام مرثا, فيعلن لنا قصدها.علمت مرثا أن جثة أخيها قد أنتنت, فأشفقت على حاسة المسيح, والواقفين معه, من الرائحة الكريهة التي تنبعث من قبر أخيها, متى رفع الحجر عنه, لأنها بحكم قرابتها لأخيها, لا تريد أن يظهر منه للناس إلا أحسن ما فيه, وفي الوقت نفسه لم ترد أن تكافىء المسيح على معروفة معها, ومع أخيها, بتلك الرائحة المنبعثة من قبره.

ويظهر من كلام المسيح لها, أن كلامها هذا نم عن تراجع في إيمانها الذي اعترفت به في عدد ٢٧. فالإنسان إنسان: في صعود وهبوط. وهبوط وصعود.

عدد ٤٠. (٢) كلمته لمرثا: "قال لها يسوع ألم أقل لك. إن آمنت ترين مجد الله". بهذه الكلمة إنتشل المسيح مرثا من الهبوط في لجة اليأس, وأعادها إلى يقينية الإيمان, بأن رفع فكرها من "الجثة" التي أنتنت, إلى العنصر الخالد في هذه المعجزة – "مجد الله". فلم تكن هذه المعجزة قاصرة على قيامة لعازر من الأموات, بل قصد بها أن تكون "آية" يتجلى فيها مجد الله. أما قيامة لعازر فهي حادث وقتي, لأن لعازر لم يخلد بل عاد فمات.

"ألم أقل لك إن آمنت ترين.. " – ومتى قال المسيح هذا الكلام لمرثا؟ هل في خلال حديثه معها (عدد ٢٣-٢٦)؟ أم في ثنايا الرسالة التي بعث بها إليها مع الرسول (عدد ٤)؟ أم كان هذا الوعد مستمداً من روح الرسالة والحديث معاً؟! إننا نميل إلى الأخذ بالرأي الأخير.

إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟». ٤١فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعاً وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي ٤٢وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي.

"إن آمنت ترين مجد الله" – لا يراد بهذا أن إتمام المعجزة كان موقوفاً على إيمان مرثا, بل إن إتمام مرثا كان شرطاً أساسياً لرؤيتها "مجد الله" في المعجزة. وكم من أعمال عظمى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تجري أمامنا, لكننا نحرم فيها رؤية مجد الله, بسبب عدم إيماننا. إن رؤية مجد الله هي نبع فرح فياض لا ينضب معينه.

يقول الناس عادة "أنظر لتؤمن". ويقول الله "آمن لترى".

لقد ظهر مجد الله في انتصار قدرة محبته وقداسته على الموت (٦: ٤).

عدد ٤١ و ٤٢. (٣) كلمته للآب: "فرفعوا الحجر.. ورفع يسوع عينيه.." لم يبد من الواقفين أي تردد. ولم يقدم أحدهم إعتراضاً ما على أمر المسيح لهم. "فرفعوا الحجر" – ولما قام البشر بنصيبهم, جاء دور المسيح "رفع يسوع عينيه إلى فوق..". ليس الله محدوداً بمكان, فقد وسع كرسيه السموات والأرض, إلا أن السموات المنظورة هي خير رمز للسماء الغير لمنظورة, حيث يسكن الله في نور لا يداني منه, لذلك رفع المسيح عينيه اللتين تخترقان حجب المادة إلى حث يسكن الله في عزته وبهائه.

أما الكلمات التي وجهها المسيح إلى الآب, فهي ليست صلاة بالمعنى الذي قصدته مرثا بقوله له. "كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه". فليس في كلمات المسيح ما يفيد التوسل ولا الطلب, وإنما هي شكر, واطمئنان,

وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي».

وثقة. هذا تعبير المسيح عن الصلة السرية, الوثيقة, الدائمة, التي تربطه بالآب. فليس شكر المسيح وليد هذه الحادثة, ولا هو قاصر عليها, بل هو لغة المسيح الدائمة, وهو حالته النفسية "في كل حين", بل هو شعاره في حياته التي قضاها على الأرض.وإنما عبر عن هذا الشكر بكلمات مسموعة لأنه كان ينتظر علامة منظورة نتيجة هذا الشكر فيؤمن الجمع الواقف "أن الآب قد أرسله". لقد فاز المسيح بحياة لعازر قبل أن أقام لعازر ببضعة أيام, وإلا لما استطاع أن يقول – وهو بعد في بيرية – "هذا المرض ليس للموت" (عدد ٤).

قبل أن يأتي المسيح إلى بيت عنيا, وقبل أن يطو خطوة على قبر لعازر (عدد ٣٨), كان قد سبق فقبض على ناصية الهاوية, وانتزع حياة لعازر من بين مخالبها, فلما جاءت ساعة إتمام المعجزة, وقف المسيح على قبر لعازر, لا موقف من استنفد موارده, فأرسل في طلب العون والمدد, بل موقف الظافر الغني بموارده, "يسحب" منها, ما يراه لازماً لإتمام قصده.

وكما هيأ المسيح قلب مرثا بوعوده المشجعة, وكما أعد قلب مريم بدموعه المعزية, كذلك أيضاً جهز قلوب الجمع الواقف بكلمات الشكر المسموعة, حتى يروا "العلامة" التي لأجلها صنع المعجزات:"ليؤمنوا أنك أرسلتني" وفي هذا خير تمجيد لله. لأن قيامة لعازر, بعد هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكلمات التي ارتفعت من المسيح إلى الآب على مسمع من ذلك الجمع, هي خير دليل على أن المسيح كان يأتي معجزاته بإصبع الله, لا بقوة بعلزبول.

٤٣وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجاً»

فيا من شكرت على قبر الميت, علمنا أن نشكر ونحن في الظلام, قبل أن يشرق علينا النور. إننا غافلون كثيراً عن الشكر على الماضي والحاضر, ومتغافلون أكثر عن الشكر على بركات المستقبل.

عدد ٤٣. (٤) كلمته للعازر: "ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجاً". هذه هي النقطة المركزية في المعجزة. فكل كلمات المسيح السابقة, ممهدة لها. وكلمته اللاحقة, ناتجة عنها.

بكلمتين وصف البشير تأثرات ابن الإنسان:: "بكى يسوع" (عدد٣٥). وبثلاث كلمات وصف النغمة التي بها تكلم "ابن الله". وبثلاث كلمات أيضاً خلص المسيح لعازر من فم الموت, خلاص عزيز مقتدر. "صرخ بصوت عظيم" – دلالة على الثقة الوطيدة والعزيمة الشديدة, والسلطان الذي لا يقهر.

"لعازر هلم خارجاً": دعا المسيح لعازر باسمه, كمن يوقظ نائماً من نومه.

"صرخ بصوت عظيم" – ايقاظاً لانتباه الحاضرين, وتميزاً لذاته عن المعزمين الذين يتمتمون. على أن قيامة لعازر لا تعزى إلى الصوت العظيم, بل إلى إرادة المسيح الهادئة. وما الصوت العظيم إلا تعبيراً لهذه الإرادة.

أين كنت يا لعازر حتى سمعت صوت المسيح, وقد فاتك أن تسمع زفرات مرثا وتنهدات مريم؟ أما الموضع الذي كان فبه لعازر, فليس لنا أن نعرفه, ولا نريد أن نعرفه, لكننا نعلم شيئاً واحداً, وهو أن صوت المسيح

٤٤فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ.

ينفذ إلى كل مكان. إن إرادته قانون السموات والأرض. وكلماته نسمة حياة تبعث الروح ي سكان القبور. وأن ما عمله المسيح هنا, ليس إلا عربونً لما سيعمله عند قيامة الساعة: "حين يسمع جميع الذين في القبور صوته".

عدد ٤٤. الميت يلبي النداء ويخرج: "فخرج الميت, ويداه ورجلاه." – كما يستيقظ النائم حالما يسمع اسمه على لسان من يحبه ويحترمه, كذلك قام لعازر من نوم الموت (عدد ١١ و ١٣), حالما سمع صوت المسيح. "فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات...". أية ريشة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تستطيع أن ترسم لنا صورة هذا الميت الحي الذي قام من قبره ملفوفاً بكفنه, ويداه ورجلاه مربوطتان بأقمطة وعيناه لا تقويان على مواجه شمس الطبيعة, بعد أن حرمتا منه, أربعة أيام فحال واجههما نور "شمس البر", طرد عنهما بقايا نعاس القبر؟

يعتقد بعض المفسرين, أن في خروج لعازر من القبر, على رغم كون يديه ورجليه مربوطتان, معجزة داخل معجزة, فليس ما يمنع من كثر سلاسل الموت, أن يفك أو يرخي أربطة من قماش. على أنه لم يكن من المستحيل على لعازر أن يحرك يديه ورجليه, من غير حاجة إلى قوة خارقة تساعده على ذلك, لأن أقمطة الموتى لم تكن محكمة إلى الحد الذي تستحيل معه الحركة. ومن المحتمل أن كل رجل كانت مربوطة على حدة وكذلك كل يد – حسب عادة المصريين االقدماء في تقميط جثث موتاهم.

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ». ٤٥فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ آمَنُوا بِهِ. ٤٦وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ

(٥) كلمة المسيح الثانية للواقفين: "فقال لهم يسوع. حلوه ودعوه يذهب" إن قصد المسيح في الكلمة لا يخرج عن قصده في كلمته الأولى لهم (عدد ٣٩). فاطلب الشرح هنالك. (أنظر أيضا لو ٧: ١٥ و ٨: ٥٥).

رابعاً: الأثر الذي تركته المعجزة (١١: ٤٥-٥٧): (أ) الأثر القريب (١١: ٤٥ و ٤٦). (ب) الأثر البعيد المدى (١١: ٤٧ - ٥٣).

(أ) الأثر القريب الذي تركته المعجزة (١١: ٤٥ و ٤٦). مرة أخرى, نرى إحدى معجزات المسيح تقسم مشاهديها إلى صنفين متقابلين, مثلما يفصل نور الصباح بين النهار والليل. على أن الأثر الذي تركته هذه المعجزة, بعيد المدى, لأن نورها الفاحص والمميز, قد إمتد إلى اليهود أنفسهم فشطرهم شطرين – مؤمنين وغير مؤمنين. فكأن معجزات المسيح قد وضعت "لسقوط وقيام كثيرين".

عدد ٤٥. (١) الشهود المؤمنون: "فكثيرون من اليهود الذي جاءوا إلى مريم ونظروا.. آمنوا ". أن بعضاً من هؤلاء, جاءوا ليعزوا مريم. وجاءوا إلى مريم. وجاء بعضهم ليروا, وفي النهاية آمنوا. هؤلاء رأوا أحد أعمال المسيح, وفيه رأوا شخصه "لأن أموره غير المنظورة ترى بالمصنوعات. قدرته السرمدية ولاهوته".

عدد ٤٦. (٢) الشهود المتجسسون: "وأما قوم منهم فمضوا إلى

وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. ٤٧فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفريسيين وقالوا لهم...". كلمة: "أما" تضع حداً فاصلاً بين هؤلاء وبين سابقيهم. لم يكن هؤلاء مخلصين في ذهابهم إلى الفريسيين, بل كانوا "مخبرين سريين" وكانت نيتهم أن يشوا بيسوع. ذهبوا إلى الفريسيين ليسروا إليهم الحيرة التي ملكتهم.

عدد ٤٧ و ٤٨. الثر البعيد المدى (١١: ٣٧-٥٣). لم تكن قيامة لعازر, علة الحكم على المسيح بالموت, لكنها عجلت بهذا الحكم. إن كأس اليهود كانت مليئة بالحقد والسعاية ضد المسيح, فلما تمت هذه المعجزة طفحت الكأس, "فجمع رؤساء الكهنة" – وهم من الصدوقيين الذين كان بيدهم زمام السلطة, فكانوا بحكم وظيفتهم المنفذين لهذه الحركة الآثمة – وقد اتفق معهم "الفريسيون" الذين كانوا متخذين غالباً موقف المحرضين. ومع أن الصدوقيين كانوا مختلفين مع الفريسيين في العقيدة, إلا أن حقدهم على "عدوهم المشترك", قد ألف بين قلوبهم. ولكم تجمع أيها الناصري بين القلوب المتنافرة, حتى في وقت التآمر عليك. دعا رؤساء الكهنة والفريسيون, مجمع السنهدريم إلى التئام خاص للنظر في هذه الحالة الطارئة التي كانت تهدد كيانهم.

(١) المتآمرون المتحيرون. لما أستقر بهم المقام, قالوا: "ماذا نصنع. فان هذا الإنسان يعمل آيات!" (١١: ٤٧ و ٤٨). إنهم إلى تآمرهم هذا قد طبقوا على أنفسهم تلك النبوة القديمة, التي طالما رددوها في

مَجْمَعاً وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. ٤٨إِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا

تلاواتهم وهم لا يفهمون حقيقتها: "تآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه" (مزمور ٢: ٢). عندما خلا هؤلاء القوم إلى أنفسهم, صرحوا بما كانوا يضمرون. فاعترفوا (أ) بحيرتهم وعجزهم: "ماذا نصنع"؟ (ب) بصحة معجزات المسيح: "فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة". (جـ) بتخوفهم على مصالحهم الشخصية: "يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون"... إذاً كانوا يتخوفون من أمرين, يترتب ثانيهما على أولهما. وفي كلا الأمرين, كانوا يخافون على مصالحهم هم, لا على الدين ولا على مصالح الشعب. هؤلاء هم الرعاة الذين يرعون أنفسهم – ولكن ليوم الذبح الذين هم عنه غافلون. وكم من كثيرين يصيحون وينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور, لا لأن الدين أصبح في خطر, بل لأن مصالحهم النفسانية, العالمية, قد صارت مهددة. الأمر الأول الذين كانوا يخشونه هو انصراف الجميع إلى المسيح, وانصرافهم عنهم. وربما كان انصراف الناس إلى المسيح مصحوباً بشيء من الحماس, مما يعطي الرومان حقاً في التدخل, لمنع الثورة التي يحدثها الشعب – وكثيرون منهم لا يفهمون طبيعة ملكه, فقد يطمعون في جعله ملكاً. والأمر الثاني: تدخل السلطة الرومانية في صد تيار هياج الشعب, مما يؤدي إلى سلخ البقية الباقية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من السلطة التي كانت بيد أعضاء السنهدريم. هذا مرادهم من القول: "يأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا":ولعلهم قصدوا بـ "موضعهم" كراسي الحكم التي في أورشليم, وما فيها من أسباب السلطة:

وَأُمَّتَنَا». ٤٩فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ قَيَافَا كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ:

كالهيكل وما إليه, ويعتقد بنغال: أن كلمة "موضع" تعني أرض اليهودية. ولكن الرأي الأول أقرب إلى الصواب حسب اعتقادنا. والمراد بكلمة "أمتنا" الشعب اليهودي. فكأنهم كانوا حريصين على أورشليم والهيكل – وهما مكان الحكم والسلطة, وعلى أمتهم – وهي الرعية المحكومة بهذه السلطة. إذاً كان خوفهم منصباً على النفع المادي, والنفوذ الأدبي, الإجتماعي ليس إلا. أما الدين... وأما الله.... (مت ٢١: ٣٨).

عدد ٤٩ و ٥٠. (٢) الكاهن المتكهن: "قال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيستا للكهنة في تلك السنة". قضت تقاليد اليهود, بان يكون رئيس الكهنة, رئيساً من مجمع السنهدريم. ولكن يظهر في القول: "واحد منهم", إن قيافا لم يكن رئيساً لهذه الجلسة, وغالباً كان الالتئام غير رسمي, لأنه كان غير عادي (عدد ٤٧). والمراد يقوله: "في تلك السنة", إن قيافا كان رئيساً للكهنة في السنة الموعودة – كدت أقول المشئومة! لأن لتلك السنة مقاماً خاصاً في ذهن البشير فهي نقطة الارتكاز في التاريخ. وغالباً قال البشير: "في تلك السنة", تنويهاً بالتقلقل الذي كان يتهدد وظيفة رئيس الكهنة في تلك الأيام[٨].

فاه قيافا بنصيحة التي أملاها عليه القدر الساخر. فلنتأمل في:

«أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئاً ٥٠وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ

(أ) نغمتها: كان قيافا من فئة الصدوقيين الذي عرفوا بالخشونة والعجرفة, فلم تبرحه خشونته وهو يتحدث إلى الفريسيين بنغمة العالم المتجبر: "أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون " (أعمال ٤: ٦ و ٥: ١٧).

(ب) غايتها: "خير لنا... ". كان قيافاً رئيساً للكهنة في تلك السنة", فكان إذاً بحكم وظيفته متكهنا بمقاصد الله, وناطقاً بلسانه, ومترجماً عن فكره (خروج ٢٨: ٣٠ وعدد ٢٧: ٢١ و ١صم ٣٠: ٧). فمع أنه لم يكن نبياً في ذاته, لأن أخلاقه بعيدة كل البعد عن صفات الأنبياء, سيما لأنه مقام في وظيفته بيد الرومان, لا بإرادة الشعب, إلا أنه كان يتقلد الوظيفة الكهنوتية, وكان "الأوريم والتميم". أداة التكهن بالمستقبل – في قبضة سلطانه. لذالك سخرته العناية فتفوه بـ "نبوة", وهو لا يدري. فجاءت منه "رمية من غير رام". إذا كان هذا الرجل أحكم من نفسه (٧: ٢٧ و ٣٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تفوه قيافا بهذه النصيحة, مدفوعاً بـ (أ) حبه لذاته: "خير لنا ". (ب) حبه لشعبه وأمته: "يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة". (جـ) عدم تقديره لشخص المسيح: "أن يموت إنسان واحد" – كما لو كان هذا الإنسان, كأي إنسان آخر من البشر - فلا مانع من أن يسفك دم هذا الإنسان الواحد, فدية عن أمة بأسرها. (د) عدم تقديره لمعنى العدالة.

كان هذا قصد قيافا, وقد فاته "أن الساكن في السماء يضحك,

وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا». ٥١وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ

ويستهزئ به" (مز ٢: ٤) فسخر القدر رئيس الكهنة الزائف وصيره أحكم مما هو, فلفظت شفتاه كلمات تتفق في ظاهرها مع قصد الله, مع أنها تختلف عنه كل الإختلاف في الباعث عليها وفي جوهرها, وفي نتيجتها.

عدد ٥١ و ٥٢. كلمة تفسيرية: "ولم يقل هذا من نفسه..". إن وجه الحق في كلمة قيافة, هو أن موت المسيح فدائي. من أجل ذلك, تبرع يوحنا البشير لهذه الكلمات بلقب "نبوة" مع أنها لا تحمل من علامات النبوة إلا صورتها. ويعتقد بعضهم, أن البشير قال هذا تهكما. كأنه والقدر يسخران بقيافا.

إن الذي دفع قيافا إلى النطق بهذه الكلمات, باعث شيطاني, سداه حب الذات ولحمته الحرص على المصلحة المادية. أما جوهر نصيحة قيافا صلب المسيح, وهو حب التضحية لأجل الآخرين. أما جوهر نصيحة قيافا فينم عن ظلم فاحش, لأنها ترمي إلى الموت البار عن الأثمة قسراً واعتباطاً, مع أن جوهر الفداء الإلهي هو موت البار عن الأثمة, تقديسا للعدالة, وتنزيها لقداسة الإله البار الذي قال "إن أجرة الخطية هي الموت".

كان يعتقد قيافا أن موت المسيح, خير وسيلة لحفظ كيان الشعب اليهودي, ماديا, واجتماعيا. لكن موت المسيح, كان في تدبير الله, المعول الذي هدم كيان الشعب اليهودي. فبسببه نقض الهيكل الذي كان رمز آمالهم, وحامل لواء مجدهم. وبسببه تشتت الشعب اليهودي وتفرقوا أيدي

مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ ٥٢وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ. ٥٣فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ

سبا, حتى لقد قيل: لا يوجد أقوى من اليهود أفراداً, وأضعف منهم جماعة وشعباً. وبسببه طارت ملائك المجد من موضع "الشكينا" في الهيكل وكتب عليه: "إيخابود" – "زال

 All rights reserved © 2008-2018

المجد". وبسببه إنشق حجاب الهيكل، وصار دم المسيح – حسب طلبهم – "عليهم وعلى أولادهم إلى الأبد".

على أن موت المسيح، وإن كان قد وضع جمرة نار حامية، على رؤوس اليهود، بخلاف رأي قيافا، إلا أنه كان بردا وسلاما على أبناء الله المؤمنين في كل العالم: "ليجمع أبناء الله المتفرقين" – في شتات اليونانيين وسائر الأمم – "إلى واحد" – أي إلى جسد واحد رأسه المسيح.

إذا أردنا أن نعرف من هو النبي الحقيقي, فهو يوحنا لا قيافا. ذلك لأن يوحنا رفع عينيه الشبيهتين بعيني النسر, وتتطلع إلى المستقبل البعيد, فرأى "الخراف التي ليست من هذه الحظيرة" – من الذين لم يكونوا بعد مؤمنين بالمسيح, لكنهم مع ذلك كانوا أبناء الله بحق امتلاكه إياهم, وباعتبار ما سيصيرون إليه, وبين لنا أن المسيح مات ليجمع هؤلاء المتفرقين في أطراف الأرض, إلى حظيرة واحدة, بل إلى جسد واحد رأسه المسيح.

عدد ٥٣. الأثر الذي تركته مشورة قيافا: "فمن ذلك الوقت تشاوروا يقتلوه". يستدل من قوله: "فمن ذلك الوقت", أن مشورة قيافا صادفت هوى في أفئدتهم, فصارت نواة لمؤامرات عديدة دبروها في الخفاء ضد

تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ. ٥٤فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضاً يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ علاَنِيَةً بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْكُورَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا أَفْرَايِمُ وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تلاَمِيذِهِ. ٥٥وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيباً. فَصَعِدَ كَثِيرُونَ مِنَ الْكُوَرِ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبْلَ الْفِصْحِ

الفادي. فكان قيامة لعازر كانت تحريضاً لليهود على قتل المسيح. وكم من خير يعمل في هذه الحياة, فينتج شراً, إلى حين. وإنما الغلبة النهائية للخير.

فترة هادئة (١١: ٥٤-٥٧)

عدد ٥٤. عزلة المسيح وتلاميذه في أفرايم: "فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية" – لا خوفاً ولا تخوفاً – لكن لأنه لم يرد أن يستقدم ساعة صليبه, فلم يشأ أن يتعرض لأخطار كان في غنى عنها – "بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى المدينة يقال لها افرايم ومكث هناك مع تلاميذه". إن موقع مدينة أفرايم, شمال غربي أريحة وتبعد عن أورشليم نحو ٢٤ كيلو متر إلى الشمال الشرقي. وفي أيامنا تقوم في موضعها "قرية الطيبة" (أنظر ٢ أي ١٣: ١٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التجأ المسيح مع تلاميذه إلى هذا المكان الهادىء, وما من شك إن أفكاره كانت مشتغلة بالصليب. ولا يبعد إنه في ذلك الحين, أسر لتلاميذه الشيء الكثير عن آماله وزودهم لتلك المعركة الفاصلة التي كانت تنتظره وإياهم.

عدد ٥٥ و ٥٦. مناجاة المعيدين من جهته: "وكان فصح اليهود

لِيُطَهِّرُوا أَنْفُسَهُمْ. ٥٦فَكَانُوا يَطْلُبُونَ يَسُوعَ وَيَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَهُمْ وَاقِفُونَ فِي الْهَيْكَلِ: «مَاذَا تَظُنُّونَ؟ هَلْ هُوَ لاَ يَأْتِي إِلَى الْعِيدِ؟» ٥٧وَكَانَ أَيْضاً رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْراً أَنَّهُ إِنْ عَرَفَ أَحَدٌ أَيْنَ هُوَ فَلْيَدُلَّ عَلَيْهِ لِكَيْ يُمْسِكُوهُ.

قريباً. فصعد كثيرون من الكور" – أي من الريف – "إلى أورشليم قبل الفصح ليطهروا أنفسهم" (تك ٣٥: ٢ وخروج ١٩: ١٠ و ١١ و ٢ أي ٣٠: ١٦-٢٠ وأعمال ٢١: ٢٤).وقد جاء في التلمود: "ينبغي لكل شخص أن يطهر قبل العيد". حالما وصل هؤلاء المعيدون إلى أورشليم, توجهوا إلى الهيكل, وهناك بدؤوا يتساءلون عن إمكانية مجيء المسيح إلى العيد. ولا يهمنا من تساؤلهم هذا, إلا كونهم ذكروا المسيح في الهيكل. هذه شهادة ضمنية على أن من أراد المسيح فيطلبه "هيكل قدسه". إن تساؤلهم هذا لا ينم عن حب ولا عن عداء.

عدد ٥٧. الذئاب المتعطشة لدم البار: "وكان أيضاً رؤساء الكهنة الفريسيون قد أصروا أمراً إنه إن عرف أحد أين هو, فليدل عليه لكي يمسكوه" – هذه حلقة جديدة تضم إلى سلسلة مؤامراتهم على قدوس الله, وقد حرص يوحنا البشير على أن يستعرض أمامنا سلسلة مؤمراتهم في حلقات متتابعة متدرجة (أنظر ٥: ١٦ و ١٨ و ٧: ٣٢ و ٩: ٢٢ و ١١: ٥٣).

إن رؤساء الكهنة هم أرباب السلطة التنفيذية. والفريسيون هم أصحاب الفكر المدبر. (٧: ٤٥).

٤- يعتقد هنجستنبرج – على غير أساس متين – أن سمعان الأبرص هو سمعان الفريسي, وإن مريم هذه هي "الخاطئة" التي وردت ذكرها في لوقا ٧, وأنها هي بذاتها مريم المجدلية التي اتخذت محدل مسرحاً غير النزيهة. وأنها في آخر أيامها تابت ورجعت إلى الله, وأن أختها مرثا كانت زوجة سمعان الأبرص, وكان يعيش معها في هذا البيت, أخوها لعازر وأختها مرثا!!؟

٥- استيضاحاً لهذا, اطلب شرح عدد ٦

٦- بهذا قضت عادات اليهود, أن يدفنوا الميت في يوم وفاته من غير إبطاء.

 All rights reserved © 2008-2018

٧- كان يعتقد كثيرون من اليهود, سيما شيعة الفريسيين, أن كثيرين من الراقدين في التراب سيقومون من الموت, استعدادا لمجيء "مسياً". وكان اعتقادهم هذا مؤسسا على تفسيرهم لما جاء في دانيال ١٢: ٢ و ٢ مكابيين ٧: ٩ و ١٤ (أحد الأسفار غير القانونية).

٨- يعتقد يوحنا "فم الذهب" وكيرلس الاسكندري, أن الروح الإنسانية في المسيح, قد ملكها التأثر حين رأى الفادي دموع الباكين, ولكن الروح اللاهوتية فيه, قد حجزت تأثرات الروح الإنسانية, فحدث هذا الاهتزاز كما تحدث الهزات الطبيعية نتيجة احتباس قوات ثائرة. ويشاركهما في هذا الرأي الدكتور دافيد براون.

٩- ثلاث مرات ذكر في الإنجيل, أن المسيح بكى – هنا, وعند دخوله أورشليم (لوقا ١٩: ٤١), وفي جشيماني (عب ٥: ٧).

١٠- وردت الكلمة الآتية في تلمود اليهود, وهي تريق نوراً ساطعاً على كلمات مرثا: لا يبلغ الحزن على الميت أشده, إلا بعد اليوم الثالث. لأن روح الميت تظل حائمة حول القبر مدة ثلاثة أيام آملة أن تعود إلى الجسد الذي منه خرجت, ولكنها بعد اليوم الرابع, إذا ترى أن الجسد بدأ في الانحلال, تتركه قاصدة موضعها في عالم الأرواح.

١١- جاء في تاريخ يوسيفوس: إن الحاكم الروماني فاليرموس جراتوس, عزل رئيس الكهنة حنان وأقام إسماعيل بدلاً منه. وبعد فترة وجيزة عزل إسماعيل وأقام اليعازر بن حنان عوضاً عنه. وبعد مضي سنة واحدة عزل اليعازر ونصب سمعان مكانه. وهذا الأخير لم يظل في وظيفته غير عام واحد, ثم عين بدلاً منه يوسف الملقب قيافا الذي ظل في وظيفته أحد عشر عاماً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأيام الأخيرة في خدمة المسيح على الأرض

اَلأَصْحَاحُ الثَّانِي عَشَرَ

ها قد بلغنا الآن نقطة انتقال مهمة في خدمة المسيح على الأرض. في الإصحاحات السابقة, رأينا المسيح في خدمته الجهرية. وفي الإصحاحات اللاحقة, سنراه على أكتاف هضبة الآلام والتضحية. وفي الإصحاح الذي أمامنا, نشهد ثلاث حوادث, هي أشبه الأشياء ببوغاز يوصل بين خدمته في الدائرة المتسعة – بحياته وكلامه, وبين خدمته لخاصتخ – بمعلناته وآلامه, وقيامته.

إننا مدينون ليوحنا البشير بترتيب حوادث أسبوع الآلام. فهو يرجع بنا ستة أيام قبل عيد الفصح اليهودي, ويستهلها بالوليمة التي صنعت تكريماً للمسيح الذي كسر أبواب الهاوية. واحتفاء بليعازر الذي عاد إلى العالم الحاضر, بعد مرحلة قصيرة من عالم الأبد.

في هذا الإصحاح حدثنا البشير عن: أولاً: الوليمة التكريمية في بيت عنيا (١٢: ١-١١). ثانياً: دخول المسيح أورشليم ظافراً (١٢: ١٢-٩). ثالثاً: قبل اليونانيين إلى المسيح (١٢: ٢٠-٣٦). وبعد هذه الحوادث الثلاث, يختتم الإصحاح بملحة عن تأثير خدمة المسيح على اليهود (١٢: ٣٧-٥٠)

أولاً: الوليمة التكريمية (١٢: ١-١١). (أنظر مت ٢٦: ٦ و مر ١٤: ٣).

في هذه الوليمة, تجلت عواطف أصدقاء المسيح في أسمى مظاهرها – ممثلة في أصحاب الوليمة. وفي الوقت نفسه ثارت عواصف ألداء المسيح في أبشع

١ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.

صورها – ممثلة في يهوذا الاسخريوطي.ومن المحزن جداً، أن يكون صفوف المقربين، رجل برهنت الأيام على انه كان مندوب المعادين!

عدد ١. (أ) ميعاد الوليمة: "ثم قبل الفصح بستة أيام". يقع الفصح اليهودي في اليوم الرابع عشر من نيسان (مارس - ابريل). إذاً قد أقيمت هذه الوليمة في اليوم الثامن منه. وبما أن الفصح، وافق يوم سبت في تلك السنة, طبق التقويم المعتمد، فتكون هذه الوليمة قد صنعت بعد غروب السبت.

"ستة أيام" – تقابلها ستة أيام التكوين التي فيها خلق الله العالم. إن ستة أيام الآلام، أهم في نظرنا من ستة أيام الخلق، لأننا بآلام المسيح، "ولدنا ثانية لرجاء حي"، بل خلقنا خليقة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جديدة، لولاها لكانت خليقتنا الأولى ويلا علينا ووبالا، هذه إحدى النقط التي يلتقي فيها يوحنا بموسى, ثم يسمو فوقه محلقاً بجناحي النسر. "ستة أيام" – بأسبوع مقدس يستهل يوحنا بشارته (١: ٢٩ و ٣٥ و ٤٣ و ٢: ١), وبأسبوع أكثر منه قدسية يختتم بشارته.

(ب) مكان الوليمة: "أتى يسوع إلى بيت عنيا", خرجنا من الإصحاح الماضي, مودعين المسيح في أفرايم, وها نحن نراه الآن, وقد ترك أفرايم إلى وادي الأردن, وقبل أريحا انضم إلى المعيدين, الصاعدين إلى أورشليم.

"حيث كان لعازر الميت الذي أقامه يسوع من الأموات" – بهذه الكلمات يمهد البشير للمناسبة المفرحة التي بسببها أقيمت هذه الوليمة.

٢فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. ٣فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَناً مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ

عدد٢.(ب) الوليمة:"فصنعوا له هناك عشاء" – إننا لا ندري بالتحقيق من هم الذين صنعوا العشاء. وفي الغالب هم آل لعازر. ويظن وستكوت أنهم أهل القرية, وقد صنعوا العشاء تكريماً للمسيح.

(ج) نصيب مرثا في الوليمة: "وكانت مرثا تخدم". لقد ظلت مرثا حريصة على "نصيبها" الذي حدثنا عن لوقا: "في خدمة كثيرة" (لو ١٠: ٤٠) وفي اعتقادنا أنها بعد قيامة أخيها, كانت تخدم مجردة عن روح التذمر, والشكوى, لأن الآلام قد صقلتها, والإيمان القويم قد قومها.

(د) نصيب لعازر من الوليمة: "وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه". يستنتج من وجود لعازر بين المتكئين, ومما جاء في متى ٢٦: ٦, ومرقس ١٤: ٤, إن صاحب الوليمة هو سمعان الأبرص وليس لعازر.

عدد ٣. (هـ) نصيب مريم في الوليمة: "أما مريم فكانت, كما عهدناها, ملازمة للمكان الذي اختارته نصيباً لها" – الجلوس عند قدمي المسيح. وفي بشارة لوقا (لو ١٠: ٣٩), رأينا مريم جالسة عند قدمي المسيح, مستمعة. وفي يو ١١: ٣٢ وجدناها ساجدة عند قدمي الفادي, باكية متألمة. وهنا نراها عند قدمي المخلص مقدمة أثمن وأذكى ما عندها.

بهذه الكلمات, يصف يوحنا تقدمة مريم: "مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن". "المنا" – أو المن – كما جاء في التلمود – هو اللتر.

الثَّمَنِ وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ. ٤فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ وَهُوَ يَهُوذَا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

و "الناردين" هو نوع من الطيب الزكى الصافي. وقد ذكر بين أطياب عروس سليمان (نشيد ١: ١٢ و ٤: ١٣ و ١٤) وهو يستخرج من ساق نبات من فصيلة حشيشة الهر, المعروفة اللاتينية باسم (Nardostachys Jatamansi) ويتبين من كلام يهوذا (عدد ٥), إن ثمن الناردين الذي دهنت به مريم قدما يسوع كان ثلثمائة دينار – والدينار يساوي أربعة قروش مصرية. فيكون ثمنه نحو اثني عشر جنيهاً مصرياً – أي نحو أربعة أضعاف الثلاثين من الفضة التي أخذها يهوذا ثمناً للمسي. فتأمل كم أعطت مريم وكم أخذ يهوذا!!

ولكي تعبر مريم عن كمال تكريسها للفادي القدوس, لم تكتف بتقديم ما عندها بل مسحت قدما يسوع بشعرها وهذا أقصى غاية التكريس (أنظر مز ٢٣: ٥). "فامتلأ البيت من رائحة الطيب" – هذه العبارة الأخيرة, من التفصيلات الدقيقة, التي لا يقوى على الإيمان بها إلا من كان شاهد عيان. يقول متى ومرقس, إن الطيب سكب على رأس المسيح. وفي هذا لا يختلفان عن يوحنا الذي قال إن قدمي المسيح قد دهنتا بالطيب. لأن مريم بعد أن سكبت الطيب على رأس المسيح كالعادة, دهنت أيضاً قدميه (لو ٧: ٤٤).

عدد ٤ و ٥. مصيب يهوذا في الوليمة – "فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا". بهذه الكلمة المرة اللاذعة, يعرفنا البشير يهوذا. هذه خير نعمة لمن يحفظها, وشر نقمة لمن لا يقدرها. ما كان نوراً لغير يهوذا صار له ناراً:

سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: ٥«لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هَذَا الطِّيبُ

"واحد من تلاميذه". وعلى قدر الصعود يكون الهبوط (٦: ٧١ و ١٣: ٢ و ٢٦) "المزمع أن يسلمه" –يستفاد من هذه العبارة, إن نية الخيانة كانت متوفرة في قلب يهوذا. فلقدبيتها بين ضلوعه, وغذاؤها, ورباها, حتى كملت, ونضجت, فأثمرت هلاكاً لنفسه, وخلاصاً للعالمين!.

"لماذا لم يبع هذا الطبيب...؟" (غريب أمرك يا يهوذا!) كان يكفينا منك أن تكون بغير ثمار حسنة, فتقف تجاه من يثمرون طيب الثمار, وثمار الطيب, موقف المحايد, على الأقل, إذا عز عليك أن تقف منهم موقف المشجع. ولكن إني للقلب الذي بيت الشرفية, أن يكف عن أن ينضج بما فيه؟ ألم يقل الفادي: "من فضلت القلب يتكلم اللسان"؟ وهكذا برهن يهوذا, من غير قصد منه, على أن من المستحيل على أي إنسان أن يكون بغير ثمر, فإن لم يثمر ريحاناً ووردأ, أثمر شوكاً وقتاداً.

"لماذا لم يبع هذا الطبيب بثلثمئة دينار ويعطي للفقراء"؟ - تحت ستار الشفقة على الفقراء, أراد يطعن مريم طعنة نجلاء, فطعن نفسه, وهو لا يدري. إن شر أنواع الشر هو ما كان ظاهره خيراً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لماذا لم يبع هذا الطبيب..."؟ بمثل هذه الكلمات, نطق قوم آخرون (مت ٢٦: ٨ ومر ١٤: ٤) لكنهم يختلفون عن يهوذا في أن ما قالوه كان تعبيراً عن طيف خطر لبالهم ثم ذهب, وأما يهوذا كان معبراً عن نية بيتها في نفسه, ليظهرها متى جاء أوانها. إن في كلمة يهوذا تعريضاً بالمسيح

بِثلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟» ٦قَالَ هَذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقاً وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ

من طرف خفي, كما لو كان مقدماً مصلحة الفقراء على مذبح منفعته الشخصية, وقد فات يهوذا أن أمر الفقراء لم يكن منسياً من المسيح (١٣: ٢٩), وأن الفادي إنما جاء لأجل الفقراء، فولد فقيراً، وعاش فقيراً، ومات في زمرة الفقراء, وأنه لأجل الفقراء افتقر وهو غني. إلا يخجل يهوذا من مريم, وقد قدمت للمسيح طيبا, يعادل أربعة أضعاف الثمن الذي هو باع به سيده.

عدد ٦. جملة تفسيرية معترضة: "فقال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء". الكلمة الأصلية المترجمة "يحمل", قد تترجم حرفيا إلى: "يحمل بعيداً" أو "يقصي وينهب" ما أقسى هذا الوصف الذي خلعه البشير على يهوذا: "لصاً". ولكن ما عيب المصور إذا كان الوجه المصور قبيحاً؟.

قد تساءل بعضهم قائلاً: "لماذا رضي المسيح بتسليم الصندوق ليهوذا وهو عالم أنه سيكون تجربة له"؟ وعلى قدر ما عندنا من النور نجيب بأن المسيح رضي بأن يتسلم يهوذا الصندوق, ربما لأنه كان أكثر التلاميذ كفاءة في الأمور المالية. على النقطة القوة في الإنسان, قد تستحيل يوما ما إلى نقطة ضعف إذا انغلب من التجربة التي تعرض لها من ناحيتها, كما أنها قد تصبح فيه مصدر قوة وبركة, إذاً استفاد من عوامل الخير والصلاح التي تعرض لها من ناحيتها. وبما أن هذين الطريقين كانا أمام يهوذا, بل كانت العوامل المحيطة به مما يساعد, ويرفع, ويشجع, إذا كان محاطاً بأحسن بيئة في

وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. ٧فَقَالَ يَسُوعُ: «اتْرُكُوهَا.

الوجود – أعنى بها المسيح نفسه, لكن يهوذا, اختار الظلام وهو في حضرة النور. ويقول وايس: "أن المسيح سلم الصندوق ليهوذا لأنه رأى فيه كفاءة لإدارة الشئون المالية, وفيما بعد, لم يرد أن يتدخل في أمر له مكانته في تنفيذ برنامج الفداء". وهذا ما نميل إلى الأخذ به. ويظن جودي أن المسيح لم يتدخل في تعيين يهوذا "أميناً" للصندوق, بل إن هذا التعيين تم بين التلاميذ وبين يهوذا, الذي أظهر غالبا ميلاً شديداً إلى هذه الوظيفة فأسلمه المسيح إلى "أهواء الهوان" (رومية ١: ٢٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٧. المسيح يثني على مريم: "فقال يسوع..." في هذه الكلمات أثنى المسيح على مريم وطيبها, ثناء مستطاباً وفي ثنائه عليها, قدم: -

(أ)دفاعاً: "أتركوها" – لا تزعجوها بانتقاداتكم وتأنيباتكم (مر ١٤: ٥).

(ب) تقديراً: "إنها ليوم تكفيني قد حفظته". إن المسيح بلطفه قد أعطى لعمل مريم قيمة أسمى مما قصدت هي, مثلما أعطى البشير كلمات قيافا معنى أبعد مما كان يرمي هو إليه (١١: ٥١). كان وجه انتقاد يهوذا لعملها إنه ذهب ضياعاً من غير فائدة, فأظهر الفادي إن لعمل مريم قيمة أعظم مما يحلم به يهوذا أو سائر الموجودين الذين ظنوا أن في عملها إتلافاً (مر ١٤: ٤). لقد رأت عين المسيح الطاهرة, في ما عملته مريم, أمرا سابقا لأوانه, وفي الوقت نفسه في أوانه الحقيقي. لأنه علم ببصره الثاقب أنه بعد موته ودفنه سيرفع بجسده إلى السماء ومتى جاء أوان وضع الطيب على جسده,

إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي

يكون هذا الجسد قد رفع من القبر (مر ١٦: ١) إذاً الأوان الحقيقي لوضع الطيب على جسده هو تلك الآونة التي قامت فيها مريم بعملها المبرور. كأنها ببصيرة المحبة تخطت الزمن فسبقته:"قد سبقت ودهت بالطيب جسدي للتكفين" (مر ١٤: ٨). هم يقولون: "لماذا هذا الإتلاف؟" والمسيح يقول: "إنها قد حفظته". إن خير وسيلة بها نحفظ ما لنا هي سكبه عند قدمي المسيح. لأن دهن قدمي المسيح هو أول خطوة في تكفينه.

هذا تقدير المسيح لعملها. أما هي فقد أرادت تكريم جسد المسيح الحي. في هذا يظهر تفوقها على نيقوديموس الذي جبن على أن يتبع المسيح الحي, فقدم أطياباً لجسده في القبر. إن كأس ماء بارد نقدمها لإنسان في حياته خير من ألف زهرة ننثرها على قبره ميتاً. وإن كلمات طيبة نقولها لصديق في حياته, خير من وابل الدموع نسكبها على تربته. فلا نؤجل عمل اليوم إلى الغد.

أما قوله: "قد حفظته" فمفاده أن مريم حرصت على هذا الطيب, ولم تبعه أو تتصرف فيه, لكنها كرسته لتكفينه. ويميل وستكوت إلى الاعتقاد بأن المسيح نطق بهذه الكلمة, والمستقبل ماثل أمامه كالحاضر, فتكلم عن التكفين كما لو كان مائلاً أمامه في ساعة دهن قدميه بالطيب. فرأى في دهن قدميه, درجة ابتدائية في تكفين جسده. هذه هي الفرصة الوحيدة التي فيها كان يمكن لمريم أن تشترك, في تكفينه (أنظر ١٩: ٤٠ و مر ١٦: ١).

هذا هو ثناء المسيح على مريم. ولكن ألا نلاحظ فيه تقريعاً خفيفاً,

قَدْ حَفِظَتْهُ ٨لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وخفياً ليهوذا؟ وهل في الإمكان أن نذكر تكفين المسيح, من غير أن نذكر الدور الذي لعبه فيه يهوذا الخائن؟ إن مريم بأمانتها وولائها رفضت أن تبيع طيباً ذكياً وكرسته لتكفين الجسد المقدس, الذي في سبيله كسب يهوذا ثلاثين من الفضة ليسلمه إلى الموت. إن عمل مريم قد ظهر مقابل عمل يهوذا فلا يوازي نور أولهما إلا ظلام ثانيهما. وبضدها تتبين الأشياء.

عدد ٨. (ج) تعليلاً جليلاً: "لأن الفقراء معكم في كل حين, وأما أنا فلست معكم" – بالجسد الذي يلزمه التكفين – "في كل حين". وأما بالروح, فالمسيح "معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠). فاه المسيح بهذا القول وهو يعني جسده الذي سيبعث إلى السماء, في الوقت تقضي فيه عادة اليهود بدهنه بالحنوط (مر ١٦: ١). ولا يفوتنا أن نذكر أن مريم هذه لم تكن بين النساء اللواتي قصدن القبر لهذا الغرض.

لم يقصد المسيح بقوله هذا, أن يزاحم الفقراء, وهو الذي قد علمنا أن شخصه قد يكون ممثلاً في الفقراء, وإن كان معروف يصنع مع الصغار, إنما هو مصنوع معه بالذات (مت ٢٥: ٤٠), بل أراد أن يفهم يهوذا والعالم أجمع, أن كل غال رخيص متى قدم لمن قدم ذاته لأجلنا, فلم يحسب نفسه عزيزة حتى الموت. وإنما ما قاله عن الفقراء, لما جاء في (تث ١٥: ١١).

إن أمثال يهوذا كثيرون في عصرنا الحاضر, ممن يعتبرون الأنفاق على التبشير باسم المسيح, إتلافا. ويفضلون عليه ما يسمونه بالمشروعات

مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ». ٩فَعَلِمَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّهُ هُنَاكَ فَجَاءُوا لَيْسَ لأَجْلِ يَسُوعَ فَقَطْ بَلْ
لِيَنْظُرُوا أَيْضاً لِعَازَرَ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. ١٠فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضاً

الإجتماعية, وقد فاتهم أن كل مشروع اجتماعي لا يقوم على اسم المسيح, محكوم عليه من ذاته بالفشل المحقق, وأن التبشير باسم الفادي فيه أكبر ضمان للعناية بالفقراء. فملاجيء الأيتام والعجزة, ومستوصفات الفقراء والفقيرات, المقامة في ظلال الصليب, أرفع عماداً, وأنبل قصداً, وأشرف غاية من كل مشروع خيري يقام في برية المجتمع المجدبة القاحلة.

عدد ٩ – ١١. (د) عاقبة الوليمة: "فعلم جمع.. فجاءوا.. لينظروا... فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضاً". إن بعضا من الحجاج الذين صعدوا مع المسيح من أريحا إلى أورشليم, نشروا بين معارفهم خبر وجوده على مقربة من أورشليم – في بيت عنيا, ولما كان المسيح موضوع حديث القوم (١١: ٥٥ و ٥٦), لم يتمالكوا أنفسهم من الذهاب إلى بيت عنيا, ليروه, ولينظروا أيضا لعازر الذي أقامه من الأموات. هؤلاء هم عامة الشعب. أما رؤساء الكهنة الذين ملأ الحسد والغل قلوبهم, فتشاوروا ليقتلوا لعازر أيضاً مثلما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تشاوروا ليقتلوا يسوع من قبل (١١: ٥٠). لأنهم رأوا في لعازر شهادة حية بأن يسوع هو المسيح, وقد غاب عنهم نور الشمس لا تحجبه الأكف. وأن الحق حق ولو مات بعض شهوده, فالحق أعظم شاهد لنفسه, وفعلاً قد كان ما خافوا أن يكون, فأن تيار الشعب

١١لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ. ١٢وَفِي الْغَدِ

قد بدأ يتحول إلى جسد المسيح, نتيجة الشهادة الحية التي قدمتها قيامة لعازر من الأموات. ومما أخجل كبرياء رؤساء الكهنة, أن شعب أورشليم, الذي كانوا يعتمدون عليه, في صد تيار شعب الجليل, قد صار من أتباع المسيح.

كان هذا يعتقد مقدمة إعدادية لدخول المسيح ظافرا إلى أورشليم. فساعته التي أرادت أمه أن يستقدمها (٢: ٤), والتي طلبها أخوته في وقتهم ولم تكن قد جاءت بعد (٧: ٤), قد دقت الآن.

ثانيا: دخول المسيح أورشليم ظافراً (١٢: ١٢ - ١٩)

أنظر شرح بشارة لوقا للمؤلف (صفحة ٤٩٠ - ٤٩٧)

اهتم الأربعة البشيريون بذكر هذه الحادثة التاريخية, لأنهم رأوا فيها إقرارا من الشعب, ومصادقة من المسيح نفسه, على أنه هو "مسيا" المتنظر, ملك اليهود. وقد كتب عنها البشيريون, كل بحسب وجهة نظره. فاتجه نظر متى بنوع خاص إلى هتاف الأولاد في الهيكل, وإلى مجيء العمي والعرج إلى المسيح لكي يستشفوا (مت ٢١: ١٤ و ١٥). والتفت مرقس إلى تسجيل نظرات المسيح "إلى كل شيء حوله في الهيكل" (مر ١١: ١١). وعنى لوقا بحفظ دموع المسيح على قرطاسه (لو ١٩: ٤١). وأرانا يوحنا ذلك الجمع الحافل الذي خرج من أورشليم للقاء المسيح, وهم يحملون سعف النخيل (يو ١٢: ١٢ و ١٣).

سبق للمسيح فكبح جماح الذين أرادوا, من مناسبات سابقة, أن يجعلوه

سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعِيدِ أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ ١٣فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: «أُوصَنَّا!

ملكاً (٦: ١٦ ولوقا ١٤: ٢٥ – ٣٣ و ١٩: ١١). لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد. فهو لا يقبل تاجاً منفصلاً عن الصليب.

عدد ١٢ و ١٣. (١) الجمع يحتفي بالمسيح – "وفي الغد" – أي في غد يوم الوليمة, وحسب التقويم المسلم به, وقع هذا اليوم في صباح الأحد ١٠ نيسان – "سمع الجمع الكثير

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذي جاء إلى العيد" – وجله, إن لم يكن كله من الجليليين. يمتاز هذا الجمع الجليلي, عن ذاك الجمع اليهودي المذكور في عدد ٩, بالإخلاص والولاء للفادي. "إن يسوع آت إلى العيد" – غالبا اتصل بهم هذا الخبر من المعيدين القادمين من بيت عنيا (انظر متى ٢١: ١).

لما علم هذا الجمع الجليلي أن يسوع آت إلى أورشليم, احتفوا بقدومه الميمون, وعبروا عن احتفائهم هذا, بوسيلتين – أولاهما رمزية: "فأخذوا سعوف النخل" – المنزرع على الطريق – "وخرجوا للقائه". وبما أن سعف النخيل دائم الاخضرار والازدهار, فهو رمز إلى النصرة, والفرح, والجمال, والخلاص (لاويين ٢٣: ٤٠ ورؤيا ٧: ٩). والوسيلة الثانية تعبدية: "كانوا يصرخون أوصنا" – هذه كلمة أرامية أصلها "هو شعنا" – أي خلصنا. ومنها تسمى هذا اليوم "بأحد الشعانين". "مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل". إن هذا القول مقتبس من مزمور ١١٨: ٢٥. ويعتقد فريق من المفسرين أن هذا المزمور تلي لأول مرة في حفلة تدشين

مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» ١٤وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشاً فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: ١٥«لاَ تَخَافِي يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ. هُوَذَا

الهيكل الثاني. يقول فريق آخر إن الجماعة أنشدته يوم وضع الحجر الأساسي للهيكل. ويظن فريق ثالث أنه أنشيء خصيصاً ليرتل يوم عيد المظال. فإذا صدق ظن هذا الفريق الثالث, كان لسعف النخيل معنى ممتاز في هذه المناسبة, لأن له مقاماً خاصاً عند اليهود في عيد رأس السنة, وفي أعيادهم القمرية. "الآتي باسم الرب.." – أن في هتافهم هذا, إقرارا منهم بـ (أ) مصدر رسالته: "الآتي باسم الرب". (ب) مقامه الملكي: "ملك إسرائيل" فهو مسيا المنتظر.

عدد ١٤ و ١٥. (٢) نبوة قديمة تمت: "ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه". هذا تسليم من المسيح بأنه هو مسيا المنتظر, ملك اليهود. نعم هو ملك, ولكن على طراز جديد. فهو الوديع المتواضع القلب, ورب السلام, لذلك امتطى الأتان – لا العربات المطهمة تجرها أفخر الجياد.

"كما هو مكتوب" – لم يكن إتمام المكتوب باعثاً للمسيح على إقدامه على هذا الأمر, وإنما أقدم عليه إجابة لنداء "الساعة", فتمت بعمله هذا, إحدى النبوات الرئيسية التي أشارت منذ القديم إلى "مسيا" (زكريا ٩: ٩).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن إتمام هذه النبوة الممتازة في هذا الظرف الخاص, يلقى نوراً ساطعاً على: (أ) حقيقة ملك المسيح. فهو ملك حقيقي, لا بشهادة الجماهير المتحمسة التي قد تخطئ محمولة وراء ثورة عواطفها, بل بشهادة نبي من

مَلِكُكِ يَأْتِي جَالِساً عَلَى جَحْشِ أَتَانٍ». ١٦وَهَذِهِ الأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تلاَمِيذُهُ أَوَّلاً وَلَكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هَذِهِ لَهُ.

خير الأنبياء الأقدمين – زكريا. (ب) طبيعة ملكوت المسيح – فإن ملكه مطبوع بطابع السلام. (ج) ميزة ملك المسيح – فهو ملك وديع ومتواضع القلب.

عدد ١٦. كلمة توضيحية: "وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً. ولكن لمل تمجد حينئذ تذكروا...". لا شك في أن هذه الذكرى, كان يمتزج فيها الفرح, فبالإعلانات الجديدة التي كشفت لهم. وأما الحزن, فعلى قصورهم – حتى هم – في الإدراك. وأما التعجب, فمن حكمة العناية الإلهية التي أتاحت لهم أن يكرموا سيدهم, وهم لا يدرون.

إن النور الذي كشف هذه الحقيقة للتلاميذ, لم يكن قاصرا على نور التاريخ الذي يريقه المستقبل على الحاضر والماضي, وإنما هو نور الروح القدس الذي استقر في قلوب التلاميذ بعد صعود المسيح وإرساله الروح القدس.

كانت لهذه الحقيقة مكانة خاصة في قلب يوحنا البشير, لذلك كرر كلمة: "هذه" ثلاث مرات في هذا العدد الواحد, مشيراً بها إلى المعنى الخفي الذي كان كامناً في هذا الحادث التاريخي. ولم ينس يوحنا أنه كان واحد منهم.

إن ضمير الجماعة في قوله: "وإنهم صنعوا هذه له", يعود على التلاميذ. وخير تفسير لهذه العبارة, ما جاء في لوقا ١٩: ٢٩ – ٣٦. هذا دليل جديد على اتفاق البشيرين, وعلى أن يوحنا أغفل عمداً بعض ما كتبه سائر البشيرين.

١٧وَكَانَ الْجَمْعُ الَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. ١٨لِهَذَا أَيْضاً لاَقَاهُ الْجَمْعُ لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هَذِهِ الآيَةَ.

عدد ١٧-١٩. (٣) تأثر هذا الحادث الجلل. "وكان الجمع.. يشهد...فقال الفريسيون". لم يقصد يوحنا أن يرسم صورة تاريخية كاملة لدخول المسيح ظافراً إلى أورشليم, وغنما أراد أن يبين (١) الصلة المزدوجة التي بين هذا الحادث وبين قيامة لعازر. (ب)التأثر الذي تركه هذا الحادث.

عدد ١٧ و ١٨. (١) الصلة المزدوجة التي بين هذا الحادث وبين قيامة لعازر. إن "الجمع" المذكور في عدد ١٧, يتألف غالباً من الذين كانوا مع المسيح حين أقام لعازر. وهم خليط

 All rights reserved © 2008-2018

من اليهود المذكورين في ١٢: ٩ و ١١, ومن أولئك المذكورين في ١١: ٤٩, ومن بعض مستوطني عنيا. إن شهادة هذا الجمع, شهادة عيانية يقينية, لم تقتصر على ذكر المعجزة بكلمة مجملة, بل وصفتها في درجتين متتابعتين – "دعا لعازر من القبر" و "أقامه من الأموات" من هذا يتضح لنا أن قيامة لعازر من الأموات, كانت موضوع شهادة الجمع الذي كان مع المسيح حين أقام لعازر,وظل في معيته حتى دخوله أورشليم.

على أن لمعجزة قيامة لعازر, صلة أخرى بهذا الحادث التاريخي. فهي أيضاً علة خروج الجمع من أورشليم لاستقبال المسيح عند دخوله إليها. وكان هذا الجمع, قد جاء إلى أورشليم ليعيد (عدد ١٢). وكانت قد انصلت به أخبار هذه المعجزة من الحجاج الذين مروا ببيت عنيا في طريقهم إلى أورشليم

١٩فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «اُنْظُرُوا! إِنَّكُمْ لاَ تَنْفَعُونَ شَيْئاً! هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!».

فإذا هذا "الجمع" المذكور في هذا العدد, هو غير "الجمع" المذكور في عدد ١٧.

عدد ١٩. (ب) تأثير هذا الحادث: "فقال الفريسيون.. " إن هذا الحادث المبهج الجلل, قد لعب هو أيضا دوره في إنضاج عوامل البغضاء الكامنة في قلوب الفريسيين, حتى عملوا على صلب المسيح. فإذا كان عددا ١٧ و ١٨ يحدثاننا عن صلة معجزة إقامة لعازر, بحادثة دخول المسيح إلى أورشليم, فإن عدد ١٩ ينبئنا بالصلة الكائنة بين دخول المسيح ظافراً إلى أورشليم, وبين رفعه على الصليب.

إن الفريسيين هم اللون القاتم, الذي يظل به البشيرون كل صورة جميلة. وإذا كان هؤلاء المساكين, والحسد يحز في رقابهم وقلوبهم من غير سكين, فهو أيضا لم ينس أن يذكرنا بغباوة هؤلاء الحكماء في أعين أنفسهم. فإنهم في كلامهم ضد المسيح, صاروا أحسن الشهود لنجاحه وانتصاراته: "انظروا.. هوذا العالم قد ذهب وراءه.. ". هذه إحدى الآيات التي تتألف منها "بشارة الفريسيين"! ما أشبهها بتلك التي فاه بها قيافا! (١١: ٥٠). أن مؤامرة هؤلاء, كان القصد منها تنفيذ مشورة ذاك. والجالس في السموات يضحك!

تتضمن كلمتهم هذه: (أ) توجيهات للالتفات: "أنظروا.." إنهم يشيرون بهذا إلى ما حدث عند دخول المسيح أورشليم. (ب) تحريضاً: "إنكم لا تنفعون شيئا". (ج) اعترافا بفشلهم ونجاحه: "هوذا العالم قد ذهب وراءه" – يريدون بـ "العالم", مستوطني أورشليم الغرباء. بهذا أيدوا اعتراف السامريين (٤: ٤٢).

٢٠وَكَانَ أُنَاسٌ يُونَانِيُّونَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثالثاً لإقبال اليونانيين إلى المسيح: (١٢: ٢٠ - ٣٦).

من كل الحوادث التي وقعت يوم الأحد – الذي فيه دخل المسيح أورشليم ظافراً – المعروف عادة "أحد السعف", وبين يوم الخميس المشهور بـ "خميس العهد" – الذي فيه أكل المسيح الفصح الجديد مع تلاميذه -, تفرد يوحنا بذكر حادثة واحدة أغفلها سائر البشيرين – وهي التي نحن بصددها الآن. لأنه رأى فيها صلة مكينة بآلام المسيح وأمجاده, ومنها تبينت وجهة نظر المسيح إلى الصليب. ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام:

(١) طلب اليونانيين وجواب المسيح (١٢: ٢٠ - ٢٧). (٢) الصوت السماوي وتأويله (٢٠: ٢٨ - ٣٣). (٣) تحذيرات ووعود (١٢: ٣٤ - ٣٦).

(١) طلب اليونانيين وجواب المسيح (١٢: ٢٠ - ٢٧). (أ) طلب اليونانيين (١٢: ٢٠ - ٢٢). عند مذود بيت لحم, جاء الأمم ممثلين في المجوس, وقبيل الجلجثة نرى الأمم أيضاً, ممثلين في هؤلاء اليونانيين.إن قوله: "ليسجدوا في العيد" دليل على أنهم كانوا يونانيين دخلاء. وقد جرت العادة, أن يقضي مثل هؤلاء اليونانيين مدة العيد في دار الهيكل الخارجية, المعروفة بـ "دار الأمم" (١ مل ٨: ٤١ - ٤٣). وفي الغالب وقع هذا الحادث في صباح الخميس, بعد أن دخل المسيح ظلال الصليب. هذه آخر مرة نشهد فيها المسيح في الهيكل.

عدد ٢٠. لمحة عنهم. سمع هؤلاء اليونانيين بدخول المسيح أورشليم ظافراً – إن لم يكونوا قد شاهدوه بعيونهم – وغالباً رأوا المسيح وهو يطهر

مِنَ الَّذِينَ صَعِدُوا لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ. ٢١فَتَقَدَّمَ هَؤُلاَءِ إِلَى فِيلُبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا الْجَلِيلِ وَسَأَلُوهُ: «يَا سَيِّدُ

الهيكل ويطرد التجار اليهود من المكان المخصص أصلاً للأمم – ومنهم هؤلاء اليونانيين. ولا شك في أنهم سمعوا تلك الكلمة الخالدة التي وبخ بها المسيح أولئك التجار قائلاً: "بيتي بيت الصلاة يدعى لجميع الأمم". فكانت هاتان الكلمتان بردا وسلاما على قلوب اليونانيين, فقالوا في أنفسهم من هو هذا اليهودي العجيب العامل على استرداد حقنا المهضوم؟ ومما لا جدال فيه, أنهم سئموا الفتات اليابسة المتساقطة من مائدة اليهودية المتعالية, ولم يجدوا طعاما في فلسفة الأبيقوريين المادية, ولا لذة في حكمة الرواقيين الغبيين, فتعطشت نفوسهم إلى ما هو أعلى, وتاقت قلوبهم إلى من هو أسمى. إلا أن تهيبهم وتغربهم الجنسي حالا دون تقدمهم بأشخاصهم إلى هذا السيد اليهودي الجديد. لذلك وسطوا أحد تلاميذه: "فيلبس".
والذي حدا بهم إلى اختيار "فيلبس" دون سواه, هو أن فيه عنصرا يونانيا, كما يستفاد من اسمه اليوناني, بخلاف سائر الرسل – ما عدا اندراوس – فان أسماءهم يهودية. وقد يستفاد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من ذكر وطن فيلبس: "من بيت صيدا الجليل" إن هؤلاء اليونانيين أتوا من مكان مجاور للجليل.

عدد ٢١. أمنيتهم. "يا سيد نريد أن نرى يسوع". إن مجد السيد, يكسب التلميذ رفعة, لذلك قالوا لفيلبس: "يا سيدا! نريد أن نرى يسوع". لم يقصدوا مجرد رؤية المسيح بالعين الجسدية, كما رآه زكا, لأن مثل هذه

نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» ٢٢فَأَتَى فِيلُبُّسُ وَقَالَ لأَنْدَرَاوُسَ ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوُسُ وَفِيلُبُّسُ لِيَسُوعَ.
٢٣وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمَا:

الرؤية كانت ميسورة لهم من غير وساطة, ويكاد يكون من المحقق, أنهم إلى الآن كانوا قد فازوا بهذه الرؤية, وإنما أرادوا أن يحلوا إلى المسيح حيناً من الزمن, فيه يبثونه أشواق قلوبهم, ويمتعون بصائرهم بمرأى سناه, ويلذذون أسماعهم بطيب حديثه ونجواه. ولعلهم أرادوا بأمنيتهم هذه, وقد رأوا مقاومة اليهود للمسيح, أن ينتهزوا هذه الفرصة فيقدموا إليه هذه الدعوة ليذهب إليهم[١], فينال منهم كل إجلال – بذلك كانت تتم كلمة اليهود التي ألقوها جزافا في مناسبة سابقة: "ألعله مزمع أ، يذهب إلى شتات اليونانيين" (٧: ٣٥).

عدد ٢٢. تصرف فيلبس بطلبهم: لم يأنس فيلبس في نفسه الشجاعة ليتقدم بهم إلى المسيح, ومن أجل ذلك استأنس برأي أندراوس – وهو أيضا يوناني الاسم – فاستقر رأي أندراوس على أن يرافقهما مع فيلبس إلى المسيح. في هذا العدد كما في ٦: ٧, يتمثل لنا فيلبس رجلا شديد الحرص, يحسب حسابا لكل خطوة يخطوها. وليس من المستبعد أنه حسب حسابا لهذه الخطوة, لأنه ذكر كلام المسيح في مناسبة سابقة: متى ١٥: ٢٤.

عدد ٢٣. (ب) جواب المسيح (١٢: ٢٣ - ٢٧). "وأما يسوع فأجابهما" – أي أندراوس وفيلبس – "قائلا..". رأى المسيح في طلب اليونانيين, قطرة من مطر غزير سوف ينهمر, وحبة من حصاد عظيم

«قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ

سيضم من حقول الأمم إلى خزائن الملكوت, لكنه علم أن العالم لن يقبل إليه أفواجا, إلا بعد أن يخلع هو الرداء اليهودي المتسربل به ويرفع على الصليب, فيخرج من البيئة الضيقة المنظورة ويدخل إلى المجد, فيضحي شخصية عامة تبسط قوة جاذبيتها على العالم أجمع. فالصليب إذاً هو باب النصرة, والمجد والحرية. هذه هي الحقيقة الباهرة التي أعلنها المسيح وأمام بهاء نورها لم نستطع أن نرى هؤلاء اليونانيين فيما بعد, ولا علمنا ماذا تم بطلبهم. فأمام شمس هذا الإعلان اختفت كواكب شخصياتهم. على أننا وإن كنا لا نجد في كلام المسيح جوابا مباشراً لهذا الطلب, إلا أننا نرى فيه تصريحا ضمنياً, بأن: (١) وقت اقتبال

 All rights reserved © 2008-2018

اليونان – والأمم – إليه قد حان. (٢) إن اقتبالهم إليه لا يتم إلا بعد صلبه, وقيامته, وصعوده.

"قد أتت الساعة" – التي جعلها الآب في سلطانه (أنظر تفسير ١٣: ١). "ليتمجد ابن الإنسان". يستفاد من قرينة الكلام أنه أراد بتمجيده أمرين – أولهما: اجتذاب الجميع إليه, بالصليب (عدد ٣٢),وثانيهما: ارتقاءه فوق القيود البشرية, وارتفاعه إلى المجد, عن طريق الصليب (عدد ٢٤).

إن قوله "ابن الإنسان" في هذا العدد, يقابله قوله "ابن الله" في ١١: ٤. هنا تحدث عن نفسه باعتبار كونه حاملا طبيعة الله وممثلا إياه على الأرض.

الإِنْسَانِ. ٢٤اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي

إن الحقيقة التي تنطوي عليها هذه العبارة: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان", هي نواة لكل الحديث الذي فاه به المسيح (١٢: ٢٣ - ٣٦), وقد أوضحها بـ (١) تمثيل من الطبيعة (عدد ٢٤). (٢) مبدأ أولي تناول حياة تلاميذه (عدد ٢٥ و ٢٦). (٣) تصريح عن الغاية المثلى من حياته (عدد ٢٧ و ٢٨).

عدد ٢٤. تمثيل من الطبيعة: "الحق الحق" - أطلب تفسير ٦: ٥٣ – "أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض.. " – ما أعمق فلسفة المسيح وما أبسطها! فهي عميقة لدرجة أنها غابت عن "الحكماء والفهماء". وبسيطة لدرجة أن حبة الحنطة تخبر بها! ثلاث حقائق تحدثنا عنها حبة الحنطة: (١) الموت باب الحياة لأن حبة الحنطة إن بقيت مخبوءة في المخازن, أكلها السوس. (٢) التضحية باب الإثمار والإنتاج: "إن لم تقع في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير". (٣) الصليب باب المجد. لأن حبة الحنطة المجردة تكاد تكون خالية من كل أسباب الجمال. لكنها متى ماتت, نبتت, فازدهرت, فأينعت, فلبست ثوباً أخضراً قشيباً, ثم توجت في النهاية بتاج السنبلة الذهبي. فما أقوى المسيح وما أقدره! لأنه بحبة الحنطة هدم صرح الفلسفة اليونانية المؤسسة على سفسطة ديمتريوس القائلة: "إن الحياة الطبيعية هي كل شيء, ومتى أدركها الموت, فلا مناص لها من الفناء والزوال". فأفهمهم المسيح أن فناء الحياة الطبيعية, هو بدء الحياة الأبدية..

بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. ٢٥مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أو لا نجد في هذا الكلام خير جواب لطلب اليونانيين – إذا صح الفرض إنهم طلبوه ليقدموا له في وطنهم كل إكرام وتمجيد – فصارحهم بأن الصليب – لا مجد وطنهم – هو خير باب المجد ؟!

عدد ٢٥ و ٢٦. مبدأ أولي يتناول حياة التلاميذ: "من يحب نفسه... ومن يبغض نفسه..". كلمة: "نفس", تعني الحياة الطبيعية الحسية. أما الحياة الأبدية فهي الحياة في كمال مظهرها: في طولها, وعرضها, وعمقها, وعلوها. إن من يحرص على حياته الجسدية حرص الغني الغبي على حنطته في مخازنه, لا يلبث أن يخسرها. لأن الحياة الطبيعية تحمل في قلبها بزور الفناء, ولكن من يضحي بهذه الحياة في سبيل الله والبشرية, فإنه يرفع حياته من المستوى الطبيعي الفاني، إلى المستوى الروحي الخالد. فالتضحية, وإنكار النفس, والموت, هي باب الحياة الفضلى. وحب الذات هو سمها القاتل! إن من يلصق نفسه بالفانيات, يحكم على نفسه بالفناء مثلها, ومن يرفعها عن الماديات, يمجدها. هذا أكبر معول ينقض الفلسفة اليونانية القائلة بأن الحياة وهمية.

مع أن هذا مبدأ عام (متى١٠: ٣٩ و ١٦: ٢٥ ومرقس ٨: ٣٥ ولوقا ٩: ٢٤ و ١٧: ٣٣), إلا أنه لا يوجد ما يحول دون إنطباقه على المسيح, فإنه ضحى بحياته الإنسانية, مختاراً, فربحها الحياة ممجدة و كسب نفوس جميع تابعيه.

على إن صليب المسيح, ليس فقط موضوع اتكالنا, بل هو أيضاً

٢٦إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي

مثالنا. هذه هي الحقيقة المبينة في عدد ٢٦: "إن كان أحد يخدمني فليتبعني" – الإتباع هنا منصب على ناحية خاصة – هي الصليب والتضحية. فقد نتبع المسيح إلى بحر الجليل فنأكل الطعام الذي يقدمه لنا, وقد نجلس تحت قدميه عند جبل الموعظة, وقد نرتقي معه صاعدين إلى جبل التجلي فنتملى من بهاء سناه, وقد نتبعه حتى جسيماني, ودار الولاية, والمحاكمة. ولكن إن لم تتبعه حتى الجلجثة – حتى الصليب – فإن كل خطواتنا السابقة تذهب هباء. نعم إن كل حياة المسيح مليئة بالمجد لكن المجد كله قد تركز على قمة الجلجثة – في الصليب. فإن لم نشاطره عاره, فلا نصيب لنا في أمجاده وفخاره.

يحدثنا هذا العدد عن ثلاث حقائق مهمة تتعلق بالخدمة: (١) شرط الخدمة: "إن كان أحد يخدمني فليتبعني". (٢) شرف الخدمة: "حيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي" – وهل من شرف معادل للوجود في معية المسيح – في الألم والمجد؟ إن كان تألمنا معه خير مجد لنا, فكم بالحري تمجيدنا معه؟ إن أفضل تفسير لهذه الكلمات, هو تلك الطلبة التشفعية التي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قدمها المسيح لأجل تلاميذه: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا. لينظروا مجدي الذي أعطيتني". (٢) مكافأة الخدمة: "إن كان أحد يخدمني" – سواء أكان من اليهود أم من الأمم –

يُكْرِمُهُ الآبُ. ٢٧اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا

"يكرمه الآب". للمسيح المحل (١٧: ٥), ولخادمه الأمين الكرامة. إن هذا العدد, خير مفسر للشطر الثاني من العدد السابق, وإليك البيان

"إن كان حد يخدمني":{"فليتبعني".."من يبغض نفسه في هذا العالم".} "حيث أكون أنا هناك

{"يكرمه الآب".. "يحفظها إلى حياة أبدية". } أيضاً يكون خادمي"

عدد ٢٧ و ٢٨.(١) (٤). الغاية المثلى من حياة المسيح: "الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول.." نطق المسيح بالكلمات السابقة, متمثلاً أمامه شبح الصليب الذي تأباه النفس الإنسانية بحكم طبيعتها. وكأني بموجة من التأثر, صدمت صخرة عزيمته, وما هي إلا لحظة حتى تكسرت هذه الموجة وزالت وبقيت عزيمته قوية كالصخرة – بل الصخرة قوية مثلها – فرحب بالصليب, وقهر المنون قهر عزيز مقتدر.

كلمة "نفس" المستعملة هنا, هي بعينها التي وردت في العدد ٢٥, وهي (نفس) المسيح الإنسانية التي تنفر بحكم طبيعتها من الموت, نفور البرارة من الظلام, سيما وإن موت المسيح لم يكن بالموت العادي, بل كان موتاً كفارياً, حمل فيه كل خطايا البشرية في جسده على الصليب, من غير أن تنقض ظهره. إنه لم يمت موت شهيد, بل موت المخلص الفادي المجيد.

ويغلب على اعتقادنا أن هذين العددين يصوران لنا صراعاً نفسياً اجتازه المسيح فخرج منه ظافراً. عندما رأى الصليب ماثلاً أمامه, أحست نفسه الإنسانية بقشعريرة, لكن روحه الإلهية ظلت مثبتة وجهها شطر الصليب فكان الفادي بين عاملين. فهل يستسلم لهزة نفسه الإنسانية ويقول "أيها

الآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ.

الآب نجني من هذه الساعة"؟ كلا. لأنه إنما لأجل هذه الساعة قد جاء – ساعة الصلب. أم يغضى عن إحساس النفس البشرية, ويصغي إلى إيحاء روحه الإلهية فيقول: "أيها الآب مجد اسمك"! – وهذا ما فعله المسيح هنا وفيه كمال الظفر والفوز.. لأن اسم الآب لا يتمجد إلا بالصليب الذي هو أعظم مترجم عن محبة الله المضحية, الغافرة, المجانية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يميل بعض المفسرين إلى الاعتقاد بأن الكلمات: "نجني من هذه الساعة" هي صلاة رفعها المسيح إلى الآب, ويرون فيها "جثسيماني[٢] بشارة يوحنا". لكننا نعتقد مع جمهور المفسرين الموثوق بهم بأن هذه الكلمات ليست سوى خاطر[٣] نفسي, لم يلبث أن تبخر أمام حرارة عزيمة المسيح الإلهية القوية فحلت محله هذه الأمنية الجليلة التي أفرغها في شكل طلب: "أيها الآب مجد اسمك". إن الإشارة إلى جثسيماني, هي البشارة, ليست في هذا العدد بل في ١٨: ١ "حيث كان بستان".

(٢) الصوت السماوي وتأويله (١٢: ٢٨ ب-٣٣). (أ) الصوت السماوي (١٢: ٢٨ ب).
(ب) تأويله (١٢: ٢٩-٣٣).

٢٨أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ». فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: «مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضاً».

عدد ٢٨ ب. (أ) الصوت السماوي: "فجاء صوت من السماء. مجدت وأمجد أيضاً". كان هذا الصوت إيجابة لأمنية المسيح التي أفرغها في شكل طلب. هذا مستفاد من حرف الفاء في كلمة "فجاء".

مثلما شهد الآب للمسيح شهادة مسموعة عند بدء خدمته وقت المعمودية (١: ٣٢), ومثلما شهد له أيضاً في قلب خدمته على جبل التجلي (متى ١٧), كذلك شهد له أيضاً عن خاتمة خدمته قبيل الصلب. وكان القصد من هذه الشهادة ختم عمل المسيح وشخصه, بخاتم رضا الآب.

ومن المحقق أن هذا الصوت للم يكن ظاهرة طبيعية أولها المسيح روحياً, وإنما كان علامة خارقة للطبيعة, فأولها الغير المؤمنين إلى ظاهرة طبيعية. ويختلف هذا الصوت عما يسميه اليهود الرابيون بـ "بت قول" – أي "بنت الصوت" أو "صوت الوجدان", في أن هذا الصوت كان مسموعاً, بخلاف صوت الوجدان الذي هو أشبه الأشياء بلسان الحال.

إن الكلمات الذي حملها هذا الصوت: (أ) تتناول الماضي: "مجدت" – يشير هذا القول إلى خدمة المسيح بين اليهود وقد دنت إلى النهاية. (ب) تمتد إلى المستقبل: "وأمجد أيضاً" – يشير هذا القول إلى خدمة المسيح بين الأمم وقد آذنت بالبداية. إن حلقة الاتصال بين الخدمتين هي "الصلب". بهذا يتمجد اسم الآب بين اليهود, وبين الأمم, فتتم بذلك نبوة سمعان – "نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك اسرائيل", (أنظر أيضاً يوحنا ١٧: ١ و ٢ و ٤ و ٥).

٢٩فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفاً وَسَمِعَ قَالَ: «قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ». وَآخَرُونَ قَالُوا: «قَدْ كَلَّمَهُ ملاَكٌ».
٣٠أَجَابَ يَسُوعُ: «لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هَذَا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٩ و ٣٠. تأويل هذا الصوت (١٢: ٢٩-٣٣). اختلف السامعون عن تأويل هذا الصوت, باختلاف استعدادهم. فالفرق الأول, وهم الغير المدربين على التمييز, قالوا: "قد حدث رعد". هؤلاء – لمزيد الأسف – كانوا الأغلبية. ومن المحزن, إن أنسالهم لا يزالون يعيشون بين ظهر أنينا إلى اليوم, إذ يحاولون أن يفسروا كل معجزة كتابية, كأنها ظاهرة طبيعية. والفريق الثاني – وهم أكثر تمييزاً من الأولين, استطاعوا أن يميزوا في الصوت بعد النبرات فسمعوا فيه كلمات, لكنهم جهلوا مصدرها, فقالوا: "قد كلمه ملاك". وكم من مرار يكلمنا فيها الله, فلا نفهم ولا نميز, لأن أسماعنا عليظة, وقلوبنا أشد علاظة. فالعبرة ليست بالصوت بل بالإذن السامعة, وبالعقل الذي يوحي إلى الأذن, ويترجم لها المعاني التي تحملها الأصوات. فالوحوش الغير المدربة, قد تسمع كلاماً, فلا تجد فيه إلا مجرد صوت. لكن الحيوانات الأليفة, تستطيع أن تميز في الصوت أمرا أو زجرا. والببغاء يفوق كل الحيوانات تهذيباً, يستطيع أن يميز الكلمات, لكن قوة المعاني تغيب عنه. لكن الإنسان العاقل, يفهم الفكر الذي تحمله الكلمات الصادرة من إنسان آخر.

إن صوت الله لم يميزه سوى الإله المتجسد: "أجاب يسوع وقال ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم". لم يكن المسيح في حاجة إلى الشهادة له بصدق رسالته, لأن له الشهادة في نفسه. وإنما جاءت هذه الشهادة

الصَّوْتُ بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ. ٣١اَلآنَ دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ.

ليسمعه كل من له أذنان, وليميزها كل من لم يضع أصابعه في أذنيه. وكان القصد منها امتحان إيمان السامعين, وتثبي إيمان المؤمنين.

أما رسالة هذا الصوت, فهي مثلثة, ولها صلة وثيقة بالعالم: (١) دنو ساعة دينونته هذا العالم (عدد ٣١): "الآن دينونة هذا العالم". (٢) حلول وقت إنزال رئيس العالم عن عرشه الزائف: "الآن يطرح رئيس هذا خارجاً". (٣) مجيء ساعة ارتقاء المسيح على عرش الصليب. (عدد ٣٢): "وأنا عن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع".

عدد ٣١. (١) دنو ساعة دينونة هذا العالم. يراد بدينونة العالم, إماطة اللثام عن وجه العالم الغادر, فيرى في صورنه الحقيقة. و "العالم" المقصود هنا, ليس العالم الطبيعي الذي خلقه الله: كالبحار والجبال وما إليها, ولا الناس العائشين على وجه هذه البسيطة, فهؤلاء قد أحبهم الله (٣: ١٦). وإنما يراد به الروح العالمية, المادية, الغارقة في الحاضر المنظور, والمعادية لروح الله "لأن كل ما في العالم شهوة الجسد, وشهوة العيون, وتعظم المعيشة. ليس من الآب. بل من العالم. والعالم يمضي:" (١ يو ٢: ١٦). هذا يوافقه قول بولس: "ديماس تركني إذا أحب العالم الحاضر" (٢ تيموثاوس ٤: ١٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن أداة الدينونة المقصودة هنا, هي الصليب. لأن في نور الصليب انكشفت نيات العالم وخفاياه وتجسمت عداوته للمسيح في أشخاص الذين عملوا على صلبه فالعالم, حين صلب المسيح, فضح نفسه وشهر لذاته. فإذاً

اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ

الصليب صلب العالم. فإن العالم, برفضه مسيح الله برهن على أن أفكاره مضادة لأفكار الله, لأن أفكار العالم سطحية أفقية, لكن أفكار الله علوية عمودية. وهل الصليب ألا تقاطع خط أفقي مع عمودي (+)؟!

إن دينونة العالم, التي ابتدأ أول فصل منها يوم "الجمعة الحزينة", وتم الفصل الثاني منها يوم "خراب أورشليم", وتنجز بعد فصولها مع تعاقب الزمان, سيتم آخر فصل منها يوم يقام العرش الأبيض العظيم (عدد ٤٨). وسيكون الصليب موضوع الدينونة, فكل الخطايا المنصوص عنها في ناموس موسى, تهون أمام خطية صلب المسيح. "من خالف ناموس موسى, فعلى شاهدين أو ثلاثة يموت بدون رأفة. فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنساً" (عبرانيين ١٠: ٢٨ و ٢٩). على إن خطية صلب المسيح ليست منحصرة في الذين قاموا بهذا الفعل الذميم في بدء القرن الأول للميلاد, لكنها تتعداهم إلى الذين يرفضون صليبه, ويقيمون في قلوبهم كل يوم جلجثة جديدة يصلبونه عليها في القرن العشرين ويشكرونه. (عبرانيين ٦: ٦).

(٢) حلول ساعة إنزال رئيس العالم عن عرشه الزائف: "الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً" – إذا كان الصليب قد أماط اللثام عن حالت العالم الروحية المعادية لله, فأنه قد استنفد آخر سهم في جعبة الشيطان – رئيس العالم الزائف, وإذ جرده عن سلاحه, طرحه خارجاً. في مناسبة سابقة

هَذَا الْعَالَمِ خَارِجاً. ٣٢وَأَنَا

(لوقا ١٠: ١٨), سمعنا المسيح يقول إنه: "رأى الشيطان ساقطاً" أمام كلمة البشارة التي حملها تلاميذه. وهو الآن يراه وقد قوض الصليب دعائم عرشه الزائف, وطرحه خارجاً. في الصليب ظهرت خطية الشيطان الخاطئة في أشنع مظاهرها. فقديماً حرض الشيطان حواء على الأكل من الثمرة المحرمة, وبعدها بقليل سول لقايين أن يقتل أخاه هابيل, ولكن أشنع الخطايا التي ارتكبها إبليس هي تحريضه البشر على قتل المسيح البار الذي جاء أرضهم ليخلصهم. وبخطية الخطايا هذه, جرد الشيطان من رياسته للعالم, ونفى كما ينفي أسرى الحروب. إن الصليب هو المعركة الفاصلة بين المسيح وإبليس, فيها استجمع إبليس كل قواه, وضرب ضربة, فكانت القاضية – ولكن عليه لا على المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومن المؤسف أن معلمي اليهود, كانوا يقولون إن الله أسلم العالم كله – إلا اليهود – ليد إبليس. فبرهنت الأيام على أن إبليس استخدمهم هم – قبل سواهم – في صلب ملكهم ومسيحهم.

إن قوله: "يطرح خارجاً" يشار به إلى تجريده من سلطته التي يسبى بها النفوس تحت سحر تأثيره (١يو ٥: ١٩). فعندما أكمل الفداء على الصليب (١٩: ٣٠), تم الفصل الأول من هزيمة الشيطان, وعندما تتم عملية الفداء (رؤيا ٢١: ٦), يختتم الفصل الأخير من انهزامه. إن هذا اللقب "رئيس العالم" يقابله ذلك اللقب الجليل الذي وصف به المسيح: "رئيس الحياة" (أعمال ٣: ١٥).

عدد ٣٢. مجيء ساعة ارتقاء المسيح على عرش الصليب."وأنا".إن

إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ

ساعة انكسار "رئيس العالم", هي ساعة انتصار "رئيس الحياة ". وأن سقوط الملك الزائف, هو قيام الملك الحقيقي. وما كان الصليب الذي رفع المسيح عليه إلا عرشاً جلس عليه, وما كان الرداء الأرجواني الذي ألبسه إياه البشر هزءاً وسخرية, إلا حلة ملكية ألبسه الله إياها حقاً, وما كانت تلك القصبة سوى صولجان. أما أسلحته التي بها يملك, فهي سهام محبته. وجواهره التي يزين بها تاجه هي قطرات دمه الثمين. ليس في معداته شيء من القوات الدافعة,فكل قواته رافعة, وليس بين جيوشه جنود غاصبة, فكل قواته تأثيرات جاذبة: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع".

كان الصليب, رفعة للمسيح حساً ومعنى. أما حساً, فلأن صليب المسيح كان مرفوعاً عن الأرض فوق أكمة. وأما معنى, فلأن صليب الفادي كان أفصح ترجمان عن محبته المضحية, فانتهى بالقيامة وتوج بالصعود, فالجلوس على العرش في الأعالي (٣: ١٤ و ٨: ٢٨). (أطلب تفسير هذين العددين في موضعيهما). إن مركز الجاذبية في المسيحية هو صليب المسيح.

ومن المهم أن نذكر أن المسيح لم يجلس على عرش الأرض, إلا بعد ارتفاعه عن الأرض, وفوقها. أما الغارقون في الأرض وفي مادتها ومجدها, فليسوا ملوكها. وإنما هم عبيدها المتوجون: فلا عرش أساساً وأثبت على تقلبات الزمان من العرش المخضب – لا بدماء الرعية بل بدم الراعي.

إن هذا العرش الصليبي أو الصليب الملكي الذي رفع عليه المسيح, قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إِلَيَّ الْجَمِيعَ». ٣٣قَالَ هَذَا مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يَمُوتَ. ٣٤فَأَجَابَهُ الْجَمْعُ: «نَحْنُ سَمِعْنَا مِنَ النَّامُوسِ

جرده من القيود لجسدية التي قبلها على نفسه بالتجسد, ورفعه فوق الحدود الوطنية, التي كان مرتبطاً بها كيهودي, فصار مسيحاً للعالم أجمع – ولليونانيين بنوع خاص: "أجذب إلى الجميع" – أي جميع الناس من كل أمة, ولغة, وجنس. نعم إن "الجميع" لم يأتوا إليه بعد, لأن الكثيرين لا يزالون مقاومين سحر تأثيره الخفي, لكن الغلبة في النهاية هي لمصلوب الجلجلة, الذي أضحى وهو على الصليب أعز من ألف ملك, على ألف عرش, في ألف مملكة.وعما قريب "تصير جميع ممالك العالم للرب ولمسيحه". "فيملك من البحر إلى البحر, ومن النهر إلى أقاصي الأرض". (أنظر رومية ٥: ١٨ و ٢ كورنثوس ٥: ١٥ و ١تيموثاوس ٢: ٦ وعبرانيين ٢: ٩ و١ يوحنا ٢: ٢ وكولوسي ١: ٢٠).

عدد ٣٣. كلمة تفسيرية: "قال هذا مشيراً إلى أي ميتة كان مزمعاً أن يموت". هذه كلمات يوحنا البشير- كعادته في تعليقه على بعض الحقائق. ليس كلام المسيح منحصراً في "الميتة التي كان مزمعاً أن يموت", بل يتناول أيضا القيامة والصعود, اللذين يتبعان موته, وإن تكن الإشارة في كلامه متجهة بنوع خاص إلى الصليب قابل هذا بما جاء في ١٨: ٣٢ و ٢١: ١٩,

٣- تحذيرات ووعود (١٢: ٣٤-٣٦). (أ) اعتراض الجمع: (١٢: ٣٤). (ب) جواب المسيح (١٢: ٣٥ و ٣٦).

عدد ٣٤. (أ) اعتراض الجمع: "فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس

أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟ مَنْ هُوَ هَذَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟»

أن المسيح يبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت..". كان يفهم اليهود مما جاء في أشعياء ٩: ٦ ومزمور ١٠٠: ٢-٤ ودانيال ٧: ١٤, إن المسيح سيأتي لقيم ملكوتاً أرضياً مستديماً, يظل هو عليه ملكاً إلى الأبد. فوجد في كلامه عن موته وارتفاعه عن الأرض, صعوبتين – إحداهما: كيف يقول عن نفسه إنه "ابن الإنسان" – بوجه التعميم – حال يكون مسيحهم المنتظر يلقب بـ "ابن داوود" على وجه التخصيص. فمن هو "ابن الإنسان" هذا؟ أهو شخصية مستقلة عن المسيح, أم هو مسيح على طراز جديد لم يسمعوا به من قبل؟
والصعوبة الثانية: كيف يتأتى وجود ملك منفصل عن ملوكته؟ فإن كان يسوع هو المسيح باعتراف الجماهير يوم أحد السعف, وبإقراره هو, وإذا كان سقيم ملكوتاً أرضياً مستديماً,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فماذا يعني انفصال هذا الملك عن ملكوته بارتفاعه عنه؟ وأي نوع من الملكوت هذا؟ بل وأي طراز من الملكوت هذا؟.

إن في قولهم له: "أنت", نغمة استهانة بشخصه, مقابل تكريمهم للناموس. (قد أوضحنا معنى كلمة "ناموس" في ١٠: ٣٤ فاطلبها هناك). غير أن المسيح لم يذكر كلمة: "ابن الإنسان" في عرض كلامه عن ارتفاعه, وإنما ذكرها في عدد ٢٣ في كلامه عن تمجيده. ولعل اليهود ربطوا هاتين الآيتين معاً في احتجاجهم عليه. أما "ارتفاع ابن الإنسان" بحصر اللفظ, فقد تكلم عنه المسيح في ٣: ١٤ "هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان".

٣٥فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «اَلنُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلَّا يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ

(ب) جواب المسيح: "فقال لهم يسوع. النور معكم زماناً قليلاً..." لم يشأ المسيح أن يدخل معهم في حوار جدلي, بل قدم لهم مزيداً من حقه الإيجابي وإذا كان قد تكلم عن صلة الصليب بشخصه وبتلاميذه في الأعداد ٢٣ – ٢٧, فقد تحدث في عددي ٣١ و ٣٢ عن صلة الصليب بالعالم, وفي عددي ٣٥ و ٣٦, عن صلة الصليب بالمستمعين له من اليهود. إن الكلام المتضمن في هذين العددين, أشبه بكلمات وداع من المسيح لليهود كأمة. لأنه بعد هذا, مضى واختفى عنهم, فغابت شمس مجدهم وراء الأفق. يتضمن كلامه في هذين العددين:

عدد٣٥. (١) إعلاناً خطيراً بأن شمس نعمتهم آذنت بالمغيب: "النور معكم زماناً قليلاً ". لعل المسيح ذكر هذه العبارة معارضة لقولهم له: "إن المسيح يبقى إلى الأبد" (عدد ٣٤). إن الشمس التي ستغرب عنهم لا تزول, لكنها تشرق في حي الأمم. وسفر الأعمال, خير موعظة على هذه العبارة.

٢ – تحريضاً: "فسيروا مادام لكم النور" في السير حياة, ونفع, وتقدم. والويل كل الويل لمن يقف لأن الوقت قصير, والمسافة طويلة. كلمة: "مادام" تتمشى مع كلمة "زماناً يسيراً بعد".

٣ – تحذيراً "لئلا يدرككم الظلام" – بعد غروب شمس النغمة عنهم, فيكونون كبني إسرائيل في البرية من غير عمود النار. (قابل هذا بما جاء في إرميا١٣: ١٦). "والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب", لأن الظلمة

إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. ٣٦مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ». تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ. ٣٧وَمَعَ أَنَّهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعمت عينيه. ومن المحزن جداً أن يغمض الإنسان عينيه في الظلام والشمس لا تزال مشرقة – هكذا فعل اليهود.

عدد٣٦. (٤) وعداً: "مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور". لم يشأ رب النعمة أن يختتم كلامه معهم بالتحذير, بل خاطبهم مشجعاً وواعداً, بل داعياً إياهم إلى الإيمان به, على اعتبار أنه هو "النور". إن من يسير في الظلام, لا يقف عند حد صيرورته أعمى, بل يصير مظلماً, وفي النهاية يمسى ظلاماً مجسماً. وكذلك من يؤمن بالنور, ويقبل إليه, لا يكتفي بأن يكون مبصراً, بل يصير منيراً لأن طبيعته تستحيل إلى نور – هذا معنى قوله "لتصيروا أبناء النور". قابل هذا بما جاء في لوقا ١٦: ٨ "أبناء النور في جيلهم", وفي ١ تس ٥: ٥ "جميعكم أبناء نور وأبناء نهار", وفي أفسس ٥: ٨ "اسلكوا كأولاد نور". إن كل شخص يتأثر بالبيئة المحيطة به, فتصير هي فيه, وهو فيها.

دينونة عدم الإيمان: (١٢: ٣٧ - ٥٠).

بهذا الفصل, يختم القسم الأول من هذه البشارة. في القسم الأول حدثنا البشير عن خدمة المسيح الجهرية في العالم, وسيحدثنا في القسم الثاني عن خدمة المسيح الخاصة بين خاصته. ثمرة القسم الأول – عدم الإيمان. وثمرة القسم الثاني – الإيمان. شعار القسم الأول: "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم". وشعار القسم الثاني: "أترك العالم وأذهب إلى الآب" (١٦: ٢٨).

كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هَذَا عَدَدُهَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ٣٨لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: «يَا رَبُّ مَنْ صَدَّقَ

فما أشبه هذا الفصل ببرزخ يفصل بين بحر خدمة المسيح الجهرية, وبحر خدمته الخاصة. بل ما أشبهه بأكمة وقف عليها البشر وألقى نظرة استشفاف إلى الماضي, فحدثنا عن: (أ) وصف عدم إيمانهم وعلته (١٢: ٣٧ - ٤٣). (ب) كلمات ختامية عن مقام المؤمن, ومقام غير المؤمن (١٢: ٤٤ - ٥٠).

(أ) وصف عدم إيمانهم وتعليله: (١٢: ٣٧ - ٤٣).

عدد ٣٧. (١) كان عدم إيمانهم عنادياً, على رغم كثرة الوسائط: "ومع أنه" – أي المسيح – "كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها, لم يؤمنوا به". هذا إقرار من البشر, بأن المسيح صنع معجزات أكثر كثيراً من السبع المدونة في بشارته كعينات رمزية, تحمل كل منها "آية" لقوم يعقلون. فهي "آيات" في السماء, وفي الأرض, وفي البحر. منها "آيات" صنعت في الأحياء, وأخرى تمت في الموتى. منها ما تم في بيت الوليمة, وما أجري في بيت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

النوح. لكن اليهود, على الرغم من ذلك, لم يريدوا أن يؤمنوا, لأنهم أغمضوا عيونهم عن النور لئلا يروا!.

عدد ٣٨. (٢) لم يمكن عدم إيمانهم, حادثا جديدا: - فقد سبق وتنبأ عن أشعياء: "ليتم قول إشعيا النبي الذي قال يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب": يراد بقوله "خبرنا" – تلك الرسالة التي حملها أشعياء وسائر الأنبياء, إلى الناس. إن إشعياء, في قوله "من صدق"

خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟» ٣٩لِهَذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضاً: ٤٠«قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ لِئَلَّا

(٥٣: ١), يشكو قلة عدد المؤمنين لا عدم وجودهم على الإطلاق. وهو يشكو عدم إيمان الناس بأمرين – أولهما: الخبر الذي جاءهم من الله على يد أنبيائه: "خبرنا". وثانيهما: القدرة الإلهية التي استعلنت لهم: "ذراع الرب". ولا يبرح عن أذهاننا أن النبوة التي يستهلها إشعياء بهذا القول: "من صدق خبرنا", خاصة بمسيا (المسيح) المتألم. وإذا كان الشعب في أيام إشعياء لم يصدق هذه النبوة لغموضها وعدم وضوحها, فتمت فيه هذه النبوة مبدئياً, إلا أن زعماء اليهود العائشين في وقت المسيح, لم يصدقوا تعاليم المسيح – المعبر عنها بقوله: "خبرنا", ولم يؤمنوا بمعجزاته وآياته المنوه عنها بقوله: "ذراع الرب", على رغم جلائها ووضوحها, فتمت فيه نبوة إشعياء كمالياً. إذاً لم يكن عد إيمان الشعب في أيام إشعياء, سوى رمز ونبوة لعدم إيمان زعماء اليهود أيام المسيح.

عدد ٣٩ و ٤٠. عدم قدرتهم على الإيمان كلن نتيجة طبيعية لعدم إرادتهم أن يؤمنوا: "لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن إشعياء قال أيضا..". ليس معنى هذا, أن ما قاله إشعياء كان له تأثير عليهم, بل أن المبدأ الذي قالع إشعياء ينطبق عليهم: إن من يرفض الإيمان في بادئ الأمر, حراً مختاراً, يرفضه الإيمان في نهاية الأمر, قهراً وإجباراً. وإن من يغمض عينيه عن النور, يرفع عنه النور, وتسحب منه قوة الإبصار. هذا مبدأ طبيعي بل حكم إلهي لأن الله يستخدم العوامل الطبيعية لإتمام مقاصده. إن من يكف عن تحريك

يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ». ٤١قَالَ إِشَعْيَاءُ هَذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ. ٤٢وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَيْضاً

ذراعه حينا من الدهر, لا يلبث أن يخسر هذه الذراع, لأنها تصبح فريسة للجفاف والجمود. ويقول علماء الأحياء, إن في كهف "ماموث" بأمريكا الشمالية, بركة مظلمة, يعيش فيها نوع من السمك, وإن هذا السمك أمسى بلا عيون, لأن عدم فتح العيون إلى حين, انتهى إلى فقدها. فأما أن ننتفع بما عندنا فيزاد لنا, أو نحسره فيزال عنا. وما ربك بظلام للعبيد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٤١. كلمة تفسيرية: "كان إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه" بهذه الكلمات قدم يوحنا المفتاح الحقيقي لرؤيا إشعياء (إش ٦), ومن غير يوحنا الرائي, يستطيع أن يكشف أسرار رؤيا إشعياء؟ هذا دليل من أقوى الأدلة لإثبات لاهوت المسيح, وحجة دامغة على أن المسيح كائن قبل التجسد, فرأى إبراهيم يومه (٨: ٥٦), ورأى إشعياء مجده, حين "رأى السيد (أدوناي) جالسا على كرسي عال ومرتفع. وأذياله تملأ الهيكل" (إش ٦: ١). هنا يلتقي يوحنا ببولس في تفسير رموز العهد القديم (أنظر ١ كورنثوس ١٠: ٤). إن ضمير "الهاء" في كلمة "عنه" يعود على المسيح.

عدد ٤٢ و ٤٣. الإيمان الذي حجزه الخوف: مع أن السواد الأعظم من اليهود لم يؤمن بالمسيح كمجموع, كما يستفاد من عدد ٣٧ – ٤١, "ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً" – وهم أفراد مثل نيقوديموس,

غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ لِئَلَّا يَصِيرُوا خَارِجَ الْمَجْمَعِ ٤٣لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ
النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللَّهِ. ٤٤فَنَادَى يَسُوعُ: «اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي

ويوسف الرامي, الذين تغلبا على ضعفهما فيما بعد (١٩: ٣٨ - ٤٢), وغمالئيل الذي غالبه الضعف فغلبه. وقد دلنا يوحنا في هذين العددين على العلة التي كانت السبب في خنق إيمان أمثال غمالئيل – وهي: الخوف على المركز الاجتماعي: "غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيرون خارج المجمع". أما علة هذا العلة فقد كشف عنها يوحنا بقوله: "لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله"! ألا ننجد في قوله "أكثر من مجد الله" مقابلة بين هؤلاء الرؤساء المستضعفين, هواة الصيت والمديح المستطاب, وبين إشعياء الذي شبع وارتوى من رؤية "مجد الرب" (عدد ٤٠)؟ إن قوله "مجد الرب" يعني المجد الذي أعده الله للمؤمنين به (أنظر رومية ٣: ٢٣).

(ب) كلمات ختامية عن مقام المؤمن, ومقام غير المؤمن ١٢: ٤٤ – ٥٠ ليست هذه كلمات جديدة فاه بها المسيح في الوقت الذي انتهت فيه خدمته الجهرية, وإنما هي خلاصة استجمعها البشير, من أقوال المسيح, ليبين لنا منها: (١) مقام المؤمن (١٢: ٤٤ - ٤٦). (٢) مقام الغير مؤمن (١٢: ٤٧ - ٤٩). (٣) مقام كلام المسيح (١٢: ٥٠).

عدد ٤٤ – ٤٦. (١) مقام المؤمن: مراراً وتكراراً شهد المسيح بالصلة المكينة التي بينه وبين الآب – تلك الصلة التي أظهرت الآب بكمال تجلياته

بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. ٤٥وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٤٦أَنَا قَدْ جِئْتُ نُوراً إِلَى الْعَالَمِ حَتَّى
كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ. ٤٧وَإِنْ سَمِعَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في شخص المسيح. فكل من يؤمن بالمسيح لا يقف إيمانه عند شخص يسوع الإنسان, بل يمتد إلى الآب الذي أرسله. وكذلك كل من يرى المسيح, لا يقف نظره عند حجاب جسد المسيح, بل يتعداه إلى شخص الآب الذي أرسله. هذه شهادة قوية, من فم المسيح, تدحض قول القائلين بأن من أرسله. هذه شهادة قوية, من فم المسيح, تدحض قول القائلين بأن من يؤمن بالمسيح, يعد كافراً بالله. لقد كذبوا في ما يدعون. لأن من يؤمن بالله, يؤمن بالمسيح ومن يؤمن بالمسيح يؤمن بالله (١٤: ١).

ليس في هذا القول أية رائحة للادعاء, لكنه ينم عن تضحية تامة, وإخلاء للذات: "أنا قد جئت نوراً إلى العالم, حتى كل من يؤمن بي, لا يمكث في الظلمة" – الطبيعية المولود فيها, بل يرى الله الذي جاء المسيح ليرينا إياه. (١٤: ٩). وكما أن النور لا يجذب الأنظار إلى ذاته, بل إلى المرئيات التي يكشفها, كذلك جاء المسيح نوراً إلى العالم, ليرينا الله ما هو ومن هو. ولا يبرح عن بالنا أن المسيح تكلم في هذا العدد الأخير, عن وظيفته, لا عن مقامه.

عدد ٤٧ – ٤٩. (٢) مقام الغير المؤمن. إذا كان المجد من نصيب من يؤمن بالمسيح, فالدينونة واقعة على من لا يؤمن به. لأنه كما أن شخص المسيح, هو مرآة تجليات شخص الآب, كذلك كلامه, مرآة فكر الآب. فهو المحك الذي يدان به الغير المؤمنين. وجدير بنا أن نلاحظ الأهمية الكبرى التي جعلها المسيح لكلامه, إذ جعله في مقام شخصه بالذات: "وإن سمع

أَحَدٌ كلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. ٤٨مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ ٤٩لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. ٥٠وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هَكَذَا أَتَكَلَّمُ».

أحد كلامي ولم يؤمن" (عدد ٤٧), "من رذلني ولم يقبل كلامي" (عدد ٤٨). أما قول المسيح: "لأني لم آت لأدين العالم .." فارجع في تفسيره إلى ٨: ١٥.

من الكلام عن الدينونة الأدبية, في هذه الحياة, انتقل المسيح إلى الكلام عن الدينونة الأبدية, في اليوم الأخير, وبما أن كلامه, هو مرآة فكر الله وإرادته, فهذا الكلام هو خير شاهد في القضاء, بل أكمل مقياس للدينونة العتيدة. لأنه وصية تسلمها المسيح من الله.

عدد ٥٠. مقام كلام المسيح. "وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية.." إن الوصية التي تسلمها المسيح من الآب, ليست مأمورية تلقاها منه دفعة واحدة قبل التجسد, وإنما هي رسالة متواصلة كانت تبلغ إليه على التوالي حسب مقتضيات الأحوال. وقد تكلم بجزء منها للعالم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

الخارجي, وأما جزؤها الباقي, فسيتحدث به إلى التلاميذ الأخصاء فيما يلي. يراد بقوله: "هي حياة أبدية", إنها تبعث الحياة في القلوب الميتة, وتأتي بالناس إلى معرفة الإله الحقيقي وحده, ويسوع المسيح الذي أرسله – هذه المعرفة هي الحياة الأبدية.

١٢- يقول يوسابيوس المؤرخ الكنسي الشهير إن ملك ادسا Edessa من أعمال سورية, أرسل وفداً إلى المسيح طالباً إليه أن يقيم معه, واعدا إياه بحفاوة ملكية, تعوض عليه رفض اليهود إياه.

(تاريخ يوسابيوس الجزء الأول صفحة ١٣).

١٣- لقد أجاد احد المصورين الإيطاليين إذ رسم صورة الملاك الذي ظهر في جثسيماني حاملا صليباً في يده ليقوي المسيح به.

١٤- يختلف هذا الخاطر عن صلاة جثسيماني في أنه مجرد من القول: "إن أمكن" و "لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (متى ٢٦: ٣٩) - أنظر شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٥٧٦-٥٨٣.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قدس الأقداس

اَلأَصْحَاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ

بهذا الأصحاح, يستهل القسم الثاني الرئيسي في هذه البشارة الخالدة. في القسم الأول أظهر المسيح ذاته للعالم, وفي القسم الثاني أعلن ذاته لخاصته. استغرقت حوادث القسم الأول ثلاثة وثلاثين عاماً ونيفاً من حياة المسيح, أما حوادث القسم الثاني فلم تستغرق إلا يوماً واحداً. في القسم الأول, وردت كلمة: "آية" ١٦ مرة, ولم ترد سوى مرة واحدة في القسم الثاني (٢٠: ٣٠). في القسم الأول, أجريت ٧ معجزات, وفي الثاني تمت ٢٥ نبوة.

في درسنا هذا الأصحاح, والأربعة الأصحاحات التي تليه, نشعر أننا دخلنا "قدس الأقداس" في هيكل هذه البشارة,"قداس أقداس" المعلنات الإلهية كلها. في هذه الأصحاحات الخمسة, بنوع خاص يلتقي جلال لاهوت المسيح وهيبته. بحنو ناسوته ورقته. وتجتمع في أقواله, بساطة الكلام, بعمق المعاني.

في هذه الأصحاحات, وقد حان وقت افتراق المسيح عن تلاميذه, ودنت ساعة ارتقائه إلى الجلجلة, كشف لتلاميذه القناع عن وجهه الوضيء. وفتح لهم قلبه الرحيب, ومن مكنوناته أخرج لهم لآلئ وجواهر, قد يراها غيرهم يجهل قدرها, لأن كنوز المحبة لا يقدرها غير المحبين.

في "قدس الأقداس" هذا, الذي لا يسمح بدخوله, إلا الذين جعلهم المسيح "ملوكاً وكهنة", استراحت نفوس متعبة, واطمأنت قلوب مضطربة, وتشددت ركب مخلعة. أما جدرانه فكم سمعت من تأوهات استحالت إلى ترنيمات, وكم شهدت من دموع حالت إلى ابتسامات. وكم أصغت إلى أنات, آلت إلى تشكرات. تنقسم هذه الأصحاحات إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

أولاً: المسيح ينقي التلاميذ بفعلين (١٣: ١ – ٣٠): (أ) بغسله أرجلهم (١٣: ١ – ٢٠). (ب) بإماطة اللثام عن يهوذا (١٣: ٢١ – ٣٠).

ثانياً: المسيح يشدد التلاميذ بسلسلة أحاديث (١٣: ٣١ – ص ١٦):

(أ) أحاديثه التي فاه بها في العلية (١٣: ٣١ – ١٤: ٣١). (ب) أحاديثه في الطريق (١٥ و١٦).

ثالثاً: صلاة كاهننا الأعظم (١٧): (أ) المسيح والآب (١٧: ١ – ٥). المسيح والتلاميذ (١٧: ٦ – ١٩). (ج) المسيح والكنيسة (١٧: ٢٠ – ٢٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً: المسيح ينقي التلاميذ بغسله أرجلهم (١٣: ١ – ٢٠). يقع هذا الفصل في ثلاثة أدوار: (١) تمهيد (١٣: ١ – ٣). (٢) المسيح يغسل أرجل التلاميذ (١٣: ٤ – ١١). (٣) المسيح يوضح مغذى الحادث (١٣: ١٢ – ٣٠).

١- تمهيد (١٣: ١ – ٣). نحن الآن في العلية التي كلف المسيح اثنين من تلاميذه بإعدادها, وهناك أكل الفصح معهم, "قبل أن يتألم". ويقول سائر البشيرين, إن خلافاً جرى بين التلاميذ عمن يكون الأعظم فيهم. من أجل هذا أراد السيد أن يطهرهم ويصهر إيمانهم.

يستهل يوحنا البشير هذا الأصحاح بمقدمتين – إحداهما عامة (عدد ١), وهي تمهيد لما عمله المسيح وما قاله في الأصحاحات الخمسة (ص ١٣ – ١٧). والثانية خاصة (عدد ٢ و٣), وهي منصبة على العمل الخاص الذي أجراه المسيح بغسله أرجل التلاميذ. وكل مقدمة منهما تتضمن ثلاثة ظروف ملابسة

١أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ

للفعل الممتاز الممهدة له. وكل ظرف من الثلاثة الظروف التي في المقدمة الأولى يتمشى مع الظرف الذي يقابله في المقدمة الثانية. وإليك البيان:

عدد ١		يقابله	عدد ٢ و٣
الظرف الأول توقيت تاريخي	..."قبل عيد الفصح" (عدد ١-أ)		"... فحين كان العشاء" (عدد ١- أ)
الظرف الثاني شعور يقيني	"... وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب" (عدد ١- ب)		"يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي" (عدد ٣)
الظرف الثالث	" ... إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم"		"وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه" (عدد ٢ ب)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حالة نفسية (عدد ١ ج)

العمل
الممتاز "أحبهم إلى المنتهى"
"قام عن العشاء .... " (عدد ٤)
الذي (عدد ١ د)
أظهره

من مميزات قلم يوحنا البشير, أنه يستهل أعمالاً وأقوالاً للمسيح بمثل هذه المقدمة, التي بين دفتيها, توقيتاً تاريخياً, وحالة نفسية. فمن مثيلاتها ٢: ٢٣ – ٢٥ و٣: ٢٢ – ٢٤. إن نسبة كل من هذه المقدمات إلى الحادث الذي يليها, كنسبة المقدمة المتضمنة في ١: ١ – ١٨, إلى البشارة كلها.

عدد ١. مقدمة عامة: "أما يسوع" – وهل يوجد اسم أعذب من هذا الاسم المقدس, ليكون براعة استهلال لـ"قدس أقداس" هذه المعلنات الإلهية؟!.

الظرف الأول – توقيت تاريخي: "قبل عيد الفصح". يذكرنا

عِيدِ الْفِصْحِ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ

هذا الظرف التاريخي, بذاك الذي استهل به الأصحاح السابق: "قبل الفصح بستة أيام" (١٢: ١). على أن التعبير الذي استهل به هذا الأصحاح, يختلف نوعاً ما عن ذاك الذي أفتتح به الأصحاح السابق. هناك قيل: "قبل الفصح", وهنا قيل "قبل عيد الفصح". يراد بـ"الفصح", ذلك العشاء الذي كانوا يأكلون فيه الحمل التذكاري, في المساء الواقع في تمام اليوم الرابع عشر من شهر نيسان (مارس – أبريل). (خروج ١٢: ٨ ولاويين ٢٣: ٥ وعدد ٢٨: ١٦).

أما كلمة: "عيد الفصح" التي يبدأ بها هذا الصحاح, فهي أعم وأوسع من كلمة: "الفصح", فهي تشمل اليوم الرابع عشر, الذي كانوا ينزعون فيه الخمير من البيت, ويحسبونه عادة ضمن أيام العيد (عدد ٣٣: ٣). قابل هذا بما جاء في يشوع ٥: ١١ حيث يعتبر اليوم الخامس عشر, ضمن أيام عيد الفصح. فإذاً قوله: "قبل عيد الفصح" يحملنا إلى أواخر اليوم الثالث عشر من شهر نيسان, الذي صادف في تلك السنة يوم خميس. وأما اليوم الرابع عشر الذي هو يوم نزع الخمير من السبت, فقد وافق يوم جمعة, وفيه رفع المسيح على الصليب, في نفس الوقت الذي ذبح فيه حمل الفصح في الهيكل, ليكون المسيح – حساً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومعنى – "فصحنا الأعظم". على هذا الاعتبار, يكون المسيح قد أكل الفصح مع تلاميذه قبل موعد الفصح المعتاد بيوم واحد.

لمزيد الإيضاح, أطلب "شرح بشارة لوقا" للمؤلف, صحيفتي ٥٥٢ و٥٥٣.

الظرف الثاني – شعور يقيني: "وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل

مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ

من هذا العالم إلى الآب". هذا برهان ناسوته الكامل, وحجة لاهوته الشامل. بناسوته الكامل أحس الإحساس عينه, الذي يجيش في قلب كل إنسان, عند دنو ساعة توديعه أصدقاءه. فمن منا لا يشعر عند اقتراب ساعة الوداع, إن القلب يكاد يضيق بما فيه من شعور فياض, فيحاول أن يعبر عما يكنه بكلمة ملتهبة, أو هدية ثمينة, أو خدمة جليلة ممتازة؟ أما لاهوته الشامل فقد ترجم عنه علمه اليقيني بمجيء "ساعته لينتقل من هذا العالم" – حيث التقلقل والشقاء, والغدر, والخيانة, "إلى الآب" - هناك البقاء, والراحة, والأمن, والحب الخالص. أما "ساعته", فهي تلك التي قال عنها في مناسبات سابقة, إنها قد أتت بعد (٢: ٤ و٧: ٦ و ١١: ٩) - أعني بها ساعة صلبه الذي توج بالقيامة والمجد.

يكتم الله عن الناس ساعة موتهم, إشفاقاً عليهم من هولها, ورغبة منه في أن ينتفعوا من جهلهم بميعادها. فيكونوا مستعدين على الدوام للقائه. أما المسيح, المتحد بالآب, فقد كان عليماً بهذه "الساعة", وواثقًاً من أنها ليست بساعة موت, بل ساعة "انتقال" من دائرة إلى دائرة أرقى وأوسع. فهي إذاً ساعة ارتقائه, ومجده, ومآبه إلى حيث أتى. إذاً لم يكن صلبه حكماً إجباريا, بل فعلاً اختيارياً . وما كان موته انحداراً إلى القبر, بل ارتفاعاً إلى الآب.

ومما يلذ لنا ذكره, أن المسيح "وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب",, وموقن أن هذه الساعة مريرة بآلامها, لم بسمح

إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى

لآلامها بأن تلهيه عن الاهتمام بتلاميذه, بل انشغل بحبهم عن نفسه- هذا أقصى غاية الحب.

الظرف الثالث – حالة نفسية: "إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم". إن محبة المسيح التي أظهرها لخاصته, لم تكن عاطفة مرتجلة, ولا هي بنت ساعتها, كيقظة يونان التي ترعرعت في يوم وذبلت في ليلة. بل كانت مبنية على تصميم أزلي. وأن أزليتها خير ضمان لأبديتها. فكل مياه لا بد مرتفعة إلى المستوى الذي منه نبعت. كلمة: "خاصته", تعني الذين اشتراهم بدمه, واقتناهم بحبه (أعمال ٤: ٢٣ و٢٤ و ١تي ٥: ٨). إن "العالم"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذي كان المسيح مزمعاً أن ينتقل منه, هو نفس "العالم" الذي ترك فيه "خاصته". ووردت كلمة :"العالم", في كتابات يوحنا, في ٨: ٢٣ و٩: ٣٩ و١١: ٩ و١٢: ٢٥ و٣١ و١٦: ١١ و١٨: ٣٦ ورسالته الأولى ٤: ١٧. وهي كثيرة الورود في كتابات بولس الرسول.

العمل الممتاز الذي أظهره: "أحبهم إلى المنتهى" - أي أظهر لهم حبه إلى الغاية. إن اقتراب ساعة افتراق المسيح عن تلاميذه, لم يزد في حبه لهم. لأن حبه, نظير شخصه, غير متغير. لكن المسيح اتخذ من هذه المناسبة الخاصة, رصة أظهر فيها أقصى حدود محبته, كما لو أراد أن يستنفذها. إن قوله: "إلى المنتهى", ليس قاصراً على وصف محبة المسيح في زمنها ومداها, بل يصفها أيضاً في نوعها, وقياسها, وشدتها – فقد أحبهم

الْمُنْتَهَى. ٢فَحِينَ كَانَ الْعَشَاءُ وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا

إلى غاية الحب. هذه العبارة: "إلى المنتهى", يقابلها القول: "قد أدركهم الغضب إلى النهاية" – أي إلى نهاية حدود الغضب (١ تسالونيكي ٢: ١٦), وقوله: "ولما انتهى يشوع من ضربهم ضربة عظيمة" (يشوع ١٠: ٢٠). وقوله: "فلم يهلكه تماماً" (٢ أيام ١٢: ١٣٢).

عدد ٢ و٣. مقدمة خاصة: "فحين كان العشاء ...". إذا اعتبرنا العدد الأول, مقدمة عامة لما عمله المسيح وما قاله في الخمسة الأصحاحات الآتية (ص ١٣-١٧), فإن عددي ٢ و٣ يحسبان مقدمة خاصة لعمل المسيح الممتاز الذي أجراه بغسله أرجل تلاميذه. وهي نظير المقدمة العامة- تقع في ثلاثة أدوار:

(أ) الظرف الأول- توقيت تاريخي "فحين كان العشاء" –أي ولما اجتمعوا معاً للعشاء, الذي أكله المسيح مع تلاميذه, وفيه رسم فريضة العشاء الرباني (راجع تفسير العدد السابق). يغلب على اعتقادنا أن يوحنا البشير لم يذكر رسم فريضة العشاء الرباني, لأن سائر البشيرين سبقوه إلى ذلك. وكانت هذه الفريضة وقت كتابة بشارته أعرف من أن تعرّف.

الظرف الثاني – حالة نفسية: "وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي". ما أعظم الفرق بين الموقف الروحي في هذا العدد, وبين ذلك الموقف الموصوف في العدد الأول: "إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم"! ذاك وصف منير يكشف عن قلب المسيح الفياض بالمحبة الأزلية لخاصته. وهذا وصف مظلم يلقي حجاباً كثيفاً على قلب يهوذا وقد اختاره الشيطان

سِمْعَانَ الإسخريوطي أَنْ يُسَلِّمَهُ ٣يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ

حقلاً خصيباً ألقى فيه بزور مؤامراته وايحاآته. إن هذا التلميذ التعيس, لم يحصن قلبه بالسهر والصلاة, فلما جال الشيطان مفتشاً عن قلب يلقي فيه بذاره السامة, وجد قلب يهوذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كمدينة بغير سور, فألقى فيه بذاره ومن المحزن, أنها وجدت في هذا القلب التعس تربة خصيبة, فارتوت من مياه عدم إخلاصه, واغتذت بعصارة حبه للمادة, فأزهرت, وأثمرت هلاكاً لنفسه. لم يكن حب المسيح لتلاميذه, حباً ارتجالياً وكذلك بغض يهوذا لسيده لم يكن أيضاً ارتجالياً. وما كان كلام المسيح له (عدد ٢٦), إلا نوراً كاشفاً القناع عن حقيقة نياته. ومن العجيب أن محبة المسيح لتلاميذه, كانت بلا سبب, وكذلك كانت كراهية يهوذا له. وخليق بنا أن نذكر أن يوحنا البشير ذكر هذا الخائن باسمه الخاص: "يهوذا", واسمه العام: "سمعان", ولقبه "الإسخريوطي" تمييزاً له عن "يهوذا ليس الإسخريوطي" (١٤: ٢٢).

عدد ٥٣ الظرف الثالث – شعور يقيني: "يسوع وهو عالم..". يدخلنا هذا الكلام إلى أعماق قلب المسيح, ويكشف لنا المعنى الحقيقي لاتضاعه. يختلف موضوع علمه المذكور هنا, عن ذاك الوارد في العدد الأول في هذا: هناك رأيناه عالماً بدنو ساعة افتراقه عن خاصته, وهنا نراه شاعراً ب: (١) مقامه الملكي وسلطانه المطلق: "إن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه" – هذا علمه بحقيقة حاضرة. (٢) علو أصله وسمو رسالته: "وإنه من عند الله خرج" – هذا علمه بحقيقة ماضية. (٣) جلال مآبه "وإلى الله يمضي" –

دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي

هذا علمه بحقيقة مستقبله. بهذا الشعور المثلث الذي تناول حاضره, وماضيه, ومستقبله, اتضع المسيح إلى الحد الذي فيه غسل أرجل تلاميذه بما فيهم يهوذا الخائن. لم يكن اتضاع فادينا متنافياً مع شعوره بعظمته فإن العظمة الحقيقية ليست عقبة في سبيل الاتضاع , وإنما هي باعث له, وأقوى تحريض عليه. ومما يكسب عظمة المسيح ثوباً بهياً, وضاعة مركز التلاميذ. إن الاستعباد لأجل العبيد هو العظمة مجسمة, لكن الاسترقاق لأجل السادات, هو العبودية بعينها. التواضع الاختياري, عظمة مقنعة, والتواضع الإلزامي, مذلة سافرة.

(٢) العمل الممتاز الذي قام به المسيح – غسل أرجل التلاميذ ١٣: ٤ – ١١. إننا مدينون ليوحنا المؤرخ الباطني الذي عرفناه في الأعداد السابقة, بالحالة النفسية الداخلية التي كان عليها المسيح, فكانت تحريضاً له على إتيان العمل الجليل الذي قام به, إذ غسل أرجل تلاميذه. وكذلك نحن مدينون أيضاً للوقا البشير المؤرخ, لأنه أعلمنا بالموقف التاريخي الذي كان محيطاً بالتلاميذ, فكان بمثابة فرصة خارجية, هيأت للمسيح القيام بها العمل الفذ (لوقا ٢٢: ٢٤ – ٢٧): "وكانت بينهم مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر".

من هذا يتضح لنا, أن المسيح وهو مشبع بالحالة النفسية التي وصفها قلم التلميذ الذي كان يسوع يحبه, قد وجد في مشاجرة التلاميذ مع بعضهم البعض, فرصة سانحة لينزع من قلوبهم بقايا خمير الطمع, والكبرياء, والحسد, قبل أن يأكلوا فصحهم الجديد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَأَخَذَ مِنْشَفَةً

يقع هذا الفصل في دورين رئيسيين: الدور الأول – غسل أرجل التلاميذ (١٣: ٤ و٥). الدور الثاني: حوار بين المسيح وبطرس (١٣: ٦ – ١٠). ثم ختمها يوحنا البشير بكلمة توضيحية (١٣: ١١).

الدور الأول – غسل أرجل التلاميذ (١٣: ٤ و٥).

عدد ٤. (ا) المسيح يتهيأ لهذا العمل الجليل: "قام ....". وصف البشير استعداد المسيح لهذا العمل بأربع خطوات متتابعة, متدرجة, مما يدلنا يقيناً, على أن كاتب هذه الأوصاف الدقيقة كان شاهد عيان, فأخذ بهذا المشهد العجيب, الذي ترك في ذاكرته أثراً لم يمحه كر الأيام ومر العشي. كان التلاميذ, في مسيس الحاجة إلى من يقوم لهم بخدمة غسل الأرجل من الأتربة والغبار, بعد المرحلة التي قطعوها من بيت عنيا إلى أورشليم في حر النهار.

ومن المرجح أن كلاً منهم امتنع عن القيام بهذه الخدمة الوضيعة, فكان رب المجد أسبقهم إليها. أما الخطوات الأربع التي اتخذها المسيح في هذا العمل الإعدادي, فهي: (١) "قام عن العشاء" – ولاشك أن عيون الجمع شخصت إليه متفرسة, منتظرة أن ترى ماذا يبغي من قيامه هذا. (٢) "خلع ثيابه" الخارجية, وبينها ذلك الثوب المنسوج كله بغير خياطة. وغالباً هذه هي الثياب عينها التي اقتسمها الجنود عند الصليب (٣) "أخذ منشفة" – هذا هو المنديل الذي كان يلبسه العبيد عند قيامهم بخدمة أسيادهم. فياله من تواضع عجيب! (٤) "واتزر بها" – كما يتمنطق العبد الواقف على

وَاتَّزَرَ بِهَا ٥ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ

خدمة سيده. هل كنت مقدراً هذا الصنيع يا يهوذا؟ وهل أدركت قيمته يا بطرس؟ وهل تقدرينه أنت يا نفسي؟ وجدير بالذكر أنه لا يوجد عنصر ناقص في استعداد المسيح. لأن كل عمل يقوم به, يتممه على أكمل صورة.

عدد ٥. (ب) المسيح يغسل أرجل تلاميذه: "ثم صب ماء .... وابتدأ يغسل .... ويمسحها بالمنشفة". هذه ثلاث درجات متتابعة في هذه الخدمة الشريفة. ومع أنه كان في إمكان المسيح أن يكلف غيره بمعاونته في أحد هذه الخدمة أو في بعضها, إلا أنه رضي أن يقوم هو وحده بكل أركانها. حتى متى حان الوقت الذي يقول فيه: "قد أكمل", لا يبقى مجال لإنسان ما, أن يدعي أن كانت له يد في ما عمل المسيح.

(١) "صب ماء في مغسل" – كان الماء موضوعاً عادةً في ردهة الطعام, لمثل هذا الغرض (انظر ٢ ملوك ٣: ١١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٢) "ابتدأ يغسل أرجل التلاميذ". لو غسل المسيح عيون التلاميذ, لحسب هذا منة منه وتكرماً. ولو غسل أيديهم, لكان هذا منه منتهى التواضع. أما وقد تنازل وغسل أرجلهم القذرة, فإن الملائكة وحدهم, قد يستطيعون أن يقدروا هذا العمل الجليل. يقول أهل التلمود - في تفسيرهم ما جاء بحزقيال ١٦: ٩ - "عند البشر, يقوم العبيد بغسل أقدام أسيادهم. ولكن عند الله, الأمر بالعكس". (انظر تكوين ١٨: ٤ و١٩: ٢ و٢٤: ٣٢ و٤٣: ٢٤ وقضاة ١٩: ٢١ و١ تيموثاوس ٥: ١٠). إن كلمة "ابتدأ" كثيرة الورود في كتابات سائر البشيرين, لكنها لم ترد في

وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِراً بِهَا.

يوحنا سوى هذه المرة. ويهمنا أن نلاحظ, أن "الغسيل" يعبر عنه في اللغة اليونانية بثلاث كلمات وردت كلها في العهد الجديد, ولكل منها معنى خاص. فالكلمة الأولى وردت في مرقس ٧: ٣ وهي تعني غسل جزء من الجسد كاليدين والرجلين – هذه هي الكلمة المستعملة في هذا العدد. وقد وردت خمس مرات أخر في الأعداد التالية عند الكلام عن غسل الرجلين, والكلمة الثانية تعني غسل الجسد كله (الاستحمام) – هذه هي الكلمة الواردة في عدد ١ من هذا الأصحاح. والكلمة الثالثة تفيد غسل الملابس وقد وردت في سفر الرؤيا ٧: ١٤ و٢٢: ١٤ وسنتبين ضرورة التمييز بين هذه الكلمات الثلاث لدى بلوغنا العدد العاشر. (٣) "ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراًَ بها" – لكي يكمل تعب محبته.

"قام عن العشاء" و"خلع ثيابه" و"أخذ منشفة" و"أتزر بها" ثم "صب ماء في مغسل" و"ابتدأ يغسل أرجل التلاميذ" و"يمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها" – هذه سبع خطوات تاريخية متتابعة, قد تحمل بين ثناياها رمزاً ضمنياً إلى الخطوات التاريخية الخالدة التي اتخذها الفادي في تنفيذه تدبير الفداء العجيب. فقيامه عن العشاء, يرمز إلى تركه أمجاد السماء. وخلعه ثيابه, يشير إلى إخلائه نفسه. وأخذه المنشفة, يكنى به عن لبسه بشريتنا. واتزاره بالمنشفة يرمز إلى أخذه صورة العبد. وصبه الماء في المغسل, يشير إلى بذله دمه الثمين لأجلنا. وغسله أرجل التلاميذ, يكنى به عن تطهيره إياهم. ومسحه أرجلهم, يرمز إلى إتمامه عملية التقديس.

٦فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ أَنْتَ

حوار بين المسيح وبطرس (١٣: ٦ – ١٠). يقع هذا الحوار, في ثلاثة أدوار – وفي كل دور منها كان بطرس البادئ بالكلام. في الدور الأول (١٣: ٦ و٧), نرى بطرس مستفهماً متعجباً. في الدور الثاني (١٣: ٨), نجد بطرس محتجاً ممانعاً. وفي الدور الثالث (١٣: ٩ و١٠), نشاهد بطرس مندفعاً متطرفاً. وفي كل دور من هذه الأدوار نرى الفادي المحب, معالجاً ضعفات بطرس بلطف حازم لا يأتيه الضعف من ناحية من نواحيه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٦. الدور الأول (١٣: ٦ و٧). (أ) بطرس مستفهماً متعجباً "فجاء إلى سمعان بطرس ...". يقول تقليد قديم: "إن المسيح, عندما شرع في غسل أرجل تلاميذه, ابتدأ بيهوذا الذي خانه, واختتم ببطرس الذي أنكره, لكي يفهم يهوذا أنه أحبه فضلاً, ولكي يقدم لبطرس أطول وقت ممكن, ليعتبر فيه بتواضع سيده العجيب". ومهما يكن نصيب هذا التقليد من الصحة, فإنه يكاد يكون من المحقق, أن بطرس لم يكن أول من غسل المسيح رجليه (عدد ٢٤). يؤيد هذا قول البشير: "فجاء إلى بطرس". ويغلب على اعتقادنا, أن بطرس, بعد أن رأى أن من سبقوه من التلاميذ, سمحوا للمسيح بأن يغسل أرجلهم, أراد أن يسبقهم هو إلى فضيلة التواضع, ليبرهن على أنه أعظم منهم في هذا الباب أيضاً. لذلك سأل متعجباً "يا سيد أنت تغسل رجلي؟!" هذا تكبر مقنع يدل على محبة ذات كامنة في القلب. إن احترام بطرس لسيده, ظاهر من تنبيره على المخاطب:

تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!» ٧أَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ».
٨قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَداً!» أَجَابَهُ يَسُوعُ:

"أنت", وعلى ضمير المتكلم في: "رجلي". ير أنه احترام زائف. فهو وليد عدم الاحترام الحقيقي (أنظر متى١٦: ٢٢). لأن أثبت علامة للاحترام, هي الطاعة.

عدد ٧. جواب المسيح: "أجاب يسوع وقال له لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد" – كما نبر بطرس, في سؤاله, على ضميري المخاطب والمتكلم, كذلك وضع المسيح النبرة في جوابه, على كلمتي: "أنت" و"أنا". إن في جواب المسيح شطرين متقابلين. فقوله في الشطر الأول: "لست تعلم", يقابله قوله في الشطر الثاني: "لكنك ستفهم". وكلمة "الآن" تقابلها كلمة: "فيما بعد".غالبا فهم بطرس أول معنى من معاني اتضاع المسيح, عندما أوضح المسيح له, ولسائر التلاميذ, مغزى هذا العمل الجليل الذي قام به (عدد ١٤). لكن المعنى العميق, لم يفهمه بطرس إلا "فيما بعد", لما أرسل الروح القدس بملئه إلى الكنيسة. والمعنى الأكمل, لم يفهمه بطرس إلا "فيما بعد" حينما رفع هو على الصليب منكس الرأس – كما يحدثنا التقليد.

عدد ٨ . الدور الثاني: بطرس محتجاً ممانعاً: "قال له بطرس لن تغسل رجلي أبدا". في عدد ٦, رأينا بطرس مستفهماً. وكأن لطف السيد قد شجعه على التمادي في موقفه, فأضحى الآن رافضاً, ومتصلباً في رفضه إلى النهاية: "لن" جواب المسيح "أجاب يسوع إن كنت لا أغسلك فليس لك

«إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ».

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معي نصيب". إن تشدد بطرس في رفضه خدمة التواضع المقدمة له من المسيح, جعل السيد يتشدد أيضاً في إفهام بطرس حقيقة موقفه. وما كان أشد وقع هذه الكلمات على أذني كليم الرسل: "ليس لك معي نصيب!" وفي الغالب لم يكن بطرس منتظراً أن يسمع من فم المسيح مثل هذه الكلمات, جواباً على ممانعته التي لم يقصد بها سوى مبالغته في التواضع . إلا أنه اتضاع نم عن كبرياء وصلف. ولعل المسيح قصد بجوابه هذا, أن يضع بطرس على المحك الحقيقي, فيرى ما إذا كان يقدر حرمانه من سيده, فيعدل عن امتناعه, أم يصر على موقفه مضحياً بهذه الصلة القدسية؟ يراد بـ"الغسل" غفران الخطايا, في الولادة الجديدة. ويعبر عنه أيضاً بـ"غسل الميلاد الثاني" (تيطس ٣: ٥) و"غسل الماء بالكلمة" (أفسس ٥: ٢٦). و"الميلاد من الماء والروح" (رو ٣: ٥).

أما "النصيب" الذي أراده المسيح, فهو القسم الذي يصيب المرؤوس من غنيمة ظفر بها رئيسه (يشوع ٢٢: ٢ و٢ صموئيل ٢٠: ١ و١ ملوك ١٢: ١٦) وهو يشير: إما إلى نصيب بطرس من المسيح في الحياة الحاضرة أو نصيبه في الحياة العتيدة. على أن جواب المسيح, لم يكن فيه شيء من الصرامة, فهو نتيجة طبيعية لتطرف بطرس, لأنه برفضه خدمة التواضع التي قدمها له المسيح, برهن على أنه كان بعيداً عن "روح المسيح". "ومن ليس له روح المسيح فذلك ليس له. هذا يؤيده قول المسيح "الحق الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل هؤلاء الأولاد, فلن تدخلوا ملكوت السموات. فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات". (متى ١٨: ١ - ٤).

٩قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً يَدَيَّ وَرَأْسِي». ١٠قَالَ لَهُ
يَسُوعُ: «اَلَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى

عدد٩ و١٠. الدور الثالث – بطرس مندفعاً متطرفاً "قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجلي فقط يل أيضاً يدي ورأسي" إن هذا القول يرسم أمامنا صورة وافية لبطرس

كما عهدناه في اندفاعه, وتطرفه. فمن الرفض بإباء في عدد ٨, إلى رفض ذلك الرفض, بنفس ذلك الإباء. قبلاً رفض رغبة المسيح, والآن نراه طالباً أكثر مما رغب المسيح. لم يطلب المسيح منه سوى غسل رجليه, لكنه بعد أن رفض بتطرف, عاد فطلب غسل رجليه, وزاد عليهما يديه, ورأسه. هذا هو بطرس بعينه الذي نراه ي سائر البشائر. ففي لحظة يندفع ليمشي على الماء. وبعد لحظة أخرى يصرخ قائلاً: "إني هلكت". بغير استئذان, يقطع أذن عبد رئيس الكهنة, وفي لمح البصر يهرب كالجبان. في برهة يندفع داخلاً بيت رئيس الكهنة, وبعد هنيهة , ينكر سيده أمام جارية. مثله مثل "رقاص الساعة", لا ينتقل من أبعد نقطة عن اليسار إلا إلى أبعد نقطة عن اليمين. وأما الموقف الوسط فلا يعرفه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٠ جواب المسيح: "قال له يسوع الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه". كلمة: "اغتسل" تختلف في الأصل, عن كلمة "غسل". فالأولى تعني كل الجسد بالاستحمام في الصباح, وهي ترمز إلى غسل الميلاد الثاني دفعة واحدة عند التجديد - هذا الفعل لا يتكرر في اختبار المؤمن. ولكن الثانية, تعني تنظيف القدمين مما علق بهما من غبار

غَسْلِ رِجْلَيْهِ بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ». ١١لأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ
لِذَلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ».١٢فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضاً قَالَ
لَهُمْ:

الطريق اليومي. وهي ترمز إلى عملية التقديس التي تتكرر مراراً في اختبار المؤمن. من أجل هذا, قال المسيح لبطرس: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه". أراد المسيح أن يعلم بطرس وسائر التلاميذ, درساً في التواضع, بغسل الرجلين. لأن هذا العمل يتطلب انحناء. وأما غسل اليدين أو الرأس, فلا شيء فيه من معنى التواضع. (راجع شرح عدد ٥).

ما أسرع انتقال المسيح من الماديات إلى الروحيات (٤: ١٣)! فمن الكلام عن الغسل المادي انتقل إلى الكلام عن الطهارة الروحية "بل هو طاهر كله" وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم" – لأن بينهم واحداً لم يكن قد اغتسل بعد بغسل الميلاد الثاني. فلم يكن قد تطعم بعد, في الكرمة الحقيقية. وهذا الواحد هو الذي كان أحوجهم إلى ما طلبه بطرس _ إلى غسل الرجلين, وأيضاً اليدين والرأس. هذه أول إشارة خفية إلى خيانة يهوذا, الوشيكة الظهور, بل ربما كانت هذه أول نبرة من ذلك الصوت العلوي, الذي أريد به رد يهوذا عن ضلال طريقه. ولكن ما نفع الأصوات, لمن قد وضع أصابعه في أذنيه!!

عدد ١١. كلمة تفسيرية: "لأنه عرف مسلّمه.." هذا دليل على أن المسيح لم يؤخذ بخيانة يهوذا على غرة.

«أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ ١٣أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّماً وَسَيِّداً وَحَسَناً تَقُولُونَ لأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ.
١٤فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ
بَعْضٍ ١٥لأَنِّي

المسيح يوضح لتلاميذه مغزى هذا الحادث (١٣: ١٢ - ٢٠). تكلم المسيح في هذا الفصل عن أمرين: (١) عظيم القوم خادمهم (١٣: ١٢ - ١٧). (٢) وجود الحصى بين الجوهر (١٣: ١٨ - ٢٠).

عدد ١٢ - ١٧. (١) عظيم القوم خادمهم (١٣: ١٢ - ١٧). بعد أن أتم المسيح هذه الخدمة الجليلة, لبس ثيابه التي كان قد خلعها, وعاد فاتكأ. ثم فتح فاه قائلاً: "أتفهمون ما قد صنعت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بكم. أنتم تدعونني معلماً وسيداً. وحسناً تقولون. لأني أنا كذلك". من هذا نفهم أن التلاميذ كانوا يطلقون على السيد لقبين: أولهما "معلم" - وهو يصف المسيح في تنوير العقل والقلب. وثانيهما: "سيد" وهو يصف المسيح في تسلطه على الحياة, وسيادته عليها, وامتلاكه إياها. اللقب الأول تقابله في اللغة الآرامية, كلمة: "رباي". والثاني تقابله كلمة "مار". اللقب الأول يفترض أن تابع المسيح تلميذ له. واللقب الثاني أنه عبد له. وقد ذكر هذان اللقبان من الأدنى إلى الأعلى - "معلم", "سيد", على سبيل التدرج.

عدد ١٤ و١٥. مثلنا الأعلى "فإن كنت .... لأني أعطيتكم مثالاً, حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً" – هذا هو مثلنا الأعلى. ظن فريق من المسيحيين أن المسيح أراد حرفية هذا العقل بقوله: "فأنتم

أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً. ١٦اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ وَلاَ رَسُولٌ

يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض". فأصدر مجمع توليدو قراراً سنة ٦٩٤ ميلادية, يقضي بضرورة ممارسة هذا الفعل كفريضة, في أسبانيا والغال, مساء "خميس العهد" من كل سنة. وإلى يومنا الحاضر, يمارسها رئيس الكنيسة الرومانية, في حفل حافل, تحف به مظاهر الأبهة والجلال, وترنم له أناشيد الإطراء والتمجيد. وكان ملوك انجلترا يمارسون هذه العادة كفريضة, حتى أيام حكم جيمس الثاني. على أن المسيح لم يقصد شكل ذلك القول ولا صورته, لأن الشكل والصورة, أوحت بهما ظروف الحادثة المحلية. وهما عرضة للتقلب, حسب مقتضيات الظروف الملابسة لهما. فقد تتخذ هذه الخدمة شكل التنازل عن حق, أو "شكل" البدء بالاستغفار بين شخصين متنابذين, أو "شكل" الصبر على الأذى, بقلب صفوح غافر. "فالشكل" ليس بذي خطر, ولكن "الموضوع" ذو خطر بعيد الأثر.

إن المبدأ الذي قصده المسيح, هو: أن العظمة الحقيقية, هي العظمة متواضعة. وأن التواضع الحقيقي هو التواضع خادماً, وأن الخدمة الحقيقية هي الخدمة مخلصة ومخلصة. وأن عظيم القوم خادمهم. ومما يجدر بنا ملاحظته إن المسيح, وإن يكن مثالاً لنا في كل شيء - في المحبة, والطهارة, والكمالات الأخلاقية, إلا أنه بنوع خاص مثال لنا في التضحية (٢ بطرس ٢: ٦).

عدد ١٦. السيد مثال للعبد. من المحال, أن يكون العبد أحقر من

أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. ١٧إِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ.١٨لَسْتُ أَقُولُ عَنْ جَمِيعِكُمْ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن يقوم بعمل قام به سيده من قبل. أو أن يكون الرسول أشرف من أن يؤدي رسالة, قد سبقه سيده في تحمل أعبائها. ولقد ورد ذكر هذا المبدأ في مناسبات أخرى (لوقا ٦: ٤ ومتى ١٠: ٢٤ و٢٥).

عدد ١٧. تطويب العالم العامل. هنا أضاف المسيح تطويبة جديدة إلى قائمة التطويبات التي استهل بها موعظته على الجبل (متى ٥) - أعني بها "الطوبى" التي ينالها العالم العامل: "إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه". سهل على المرء أن يعرف لزوم خدمة الآخرين, وأسهل منه أن يتكلم عن اللذة الكامنة في القيام بخدمتهم, لكن من الصعب جداً أن يطبق الإنسان العلم على العمل سيما في هذا الباب. وأن من يقوى على هذا, هو السعيد حقاً.

إن المسيحية الحقيقية, هي المسيحية الخادمة - لا من المنبر, "الكلام واللسان", بل في سبيل الحياة, "بالعمل والحق".

(٢) وجود الحصى بين الجواهر (١٣: ١٨-٢٠).

إن غبطة التلميذ الحقيقي, المقدم نفسه قرباناً على مذبح خدمة الآخرين, تقابلها شقاوة ذلك "التلميذ الزائف" الذي قدم سيده على مذبح منفعته الذاتية. هذا هو الفكر الذي يربط هذا الفصل بسابقه. فبعد أن تكلم المسيح والسرور يطفح على محياه, عن سعادة التلميذ الحقيقي, تكلم والحزن يملأ قلبه, عن شقاوة يهوذا الذي "أكل معه الخبز" مدة ثلاث سنوات - والثلاثة عدد كامل - وفي نهايتها "رفع عليه عقبه". "لست أقول عن

أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ اخْتَرْتُهُمْ. لَكِنْ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ: اَلَّذِي يَأْكُلُ مَعِي الْخُبْزَ رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ. ١٩أَقُولُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ

جميعكم أنا أعلم الذين اخترتهم" – ليس هذا اختيار التلاميذ للخلاص قبل تأسيس العالم, وإنما هو اختيارهم للتلمذة والرسولية منذ بدء خدمة المسيح الجهرية . ومع أن المسيح كان "يعلم الذين اختارهم, لكن" - اختار يهوذا وهو عالم به هو أيضاً - "ليتم الكتاب" - القائل - "الذي يأكل معي الخبز رفع على عقبه". ورد هذا القول في مزمور ٤١: ٩ ومع أنه ينطبق مبدئياً على أخيتوفل مشير داود وخائنه, إلا أنه ينطبق كمالياً على يهوذا الإسخريوطي تلميذ يسوع, ومسلمه . إن رفع العقب بعد الأكل هو من عمل الحيوان الناكر الجميل, الذي بعد أن يأكل العلف يرفس صاحبه. وقد استعملت هنا مجازياً للتعبير عن جحود الإنسان, وتعمده الأذى, والغدر. ومن المؤسف أن الإنسان, قد يهوى إلى درك الحيوان, وقد يمسي أحط وأسفل: "الثور يعرف قانيه, والحمار معلف صاحبه . أما شعبي فلا يعرف" (إشعياء ٣١: ٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يستنتج من قوله "ليتم الكتاب", إن خيانة يهوذا, لها مكانها في تدبير الله الأزلي. والظاهر أن يوحنا استعمل هذه العبارة "ليتم الكتاب" من قبيل القول: "مصداقاً لما جاء في الكتاب" (أنظر أيضاً ١٨: ٩ و١٧: ١٢).

عدد ١٩. حجر عثرة يستحيل إلى حجر معونة: "أقول لكم قبل أن يكون" - أي قبل أن تظهر خيانة يهوذا - "حتى متى كان" - أي

حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ. ٢٠اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: الَّذِي يَقْبَلُ مَنْ أُرْسِلُهُ يَقْبَلُنِي وَالَّذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي».

متى تمت هذه الخيانة وبانت لكم - "تؤمنون إني أنا هو". لولا هذا التصريح الذي أفضى به المسيح إلى تلاميذه عن خيانة يهوذا قبل ظهورها, لصارت لهم حجر عثرة. أما وقد نبههم الفادي إلى الخطر قبل وقوعه, فمتى وقع بعد هذا التنبيه, أضحى وقوعه "حجر معونة" في صرح إيمانهم, إذ يتأكدون حينئذ أن فاديهم يعلم بالمستقبل, علمه بالحاضر والماضي. ويعتقد المفسر وايس, إن خيانة يهوذا صارت سبباًًً في ازدياد إيمان التلاميذ بالمسيح. لأنها عجلت بالصليب, والقيامة, والصعود - وبهذه الخطوات,أعلن لهم سيدهم, رباً ومسيحاً.

عدد٢٠. مجد الرسول مشتق من مجد مرسله: "الحق. الحق. أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني". بعد أن تكلم المسيح في عددي١٨ و١٩, عن شقاوة يهوذا, عاد إلى كلامه الذي بدأه في عددي ١٦ و١٧ عن غبطة التلاميذ الحقيقي, فأكد لتلاميذه في هذا العدد أن الرسول الأمين لا تفترق عنه شخصية مرسله: "الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني". في عدد ١٦ قرر المسيح أن الرسول ليس بأعظم من مرسله, وفي هذا العدد أكد, أن الرسول ليس دون مرسله.

إذا كانت الكلمات تبين عظمة مكافأة خادم المسيح الأمين, فهي أيضاً تصف المكافأة العظمى التي يحظى بها من يرحبون بخدام المسيح, كما أنها تحدد المسؤولية الخطيرة الواقع تحتها من يرفض خدام العلي.

٢١لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ وَشَهِدَ وَقَالَ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي». ٢٢فَكَانَ التَّلاَمِيذُ

ثانياً. المسيح يميط اللثام عن يهوذا (١٣: ٢١ - ٣٠).

هذا هو العمل الثاني الذي به نقى المسيح تلاميذه في تلك الليلة الوداعية إذ انتزع من بينهم ذلك العضو الدخيل - يهوذا الإسخريوطي - الذي تمثلت فيه الآمال العالمية التي كانت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تنتظر مسيحياً سياسياًًًًًًًًًًًً أرضياً غير المسيح المخلص الروحي, فاصطدمت بصخره وتحطمت.

عدد ٢١. شعور المسيح تجاه هذا الحادث المروع. يحدثنا هذا العدد عن أمرين - أولهما مبلغ إحساس المسيح بهذا الحادث الجلل: "لما قال يسوع هذا" - أي كلامه عن خيانة يهوذا - "اضطرب بالروح". ليس هذا اضطراب الخوف أو الجزع, وإنما هو شعور عميق روحي تولد في روح الفادي الإنسانية, تجاه أكبر خيانة في التاريخ, لأن المخلّص, رأى وراء هذه الخيانة, شبح يهوذا الذي كان واحداً من أتباعه, ووراء يهوذا الخائن شبح إبليس الغادر الذي استجمع كل قواه لمحاربة قدوس الله (راجع شرح ١١: ٣٣).

الأمر الثاني: تصريح المسيح من خلال هذا الشعور: "وشهد وقال الحق. الحق. أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني", لقد صرّح المسيح في هذه العبارة, بما سبق فلمّح به في عددي ١٠ و١٨, كما تدل عليه كلمة: "شهد". إن قوله: "الحق الحق", يعطي لهذا التصريح يقينية أكيدة.

عدد ٢٢. حيرة التلاميذ الناشئة عن عدم ثقتهم ببعضهم البعض,

يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَهُمْ مُحْتَارُونَ فِي مَنْ قَالَ عَنْهُ. ٢٣وَكَانَ مُتَّكِئاً فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ.

وعن شكهم في أنفسهم: "فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون في من قال عنه". لم يكن شك التلاميذ متجهاً إلى كلام الفادي, بل كان منصبّاً على أشخاصهم. ويحدثنا متّى البشير (متى ٢٦: ٢٢ و٢٥) أنهم "حزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا يا رب؟" ومن العجيب أن يهوذا أيضاً سأل قائلاً: "هل أنا هو يا سيد"!. والظاهر أن المسيح أجاب على تساؤلهم جميعاًً, بذلك الجواب العملي الذي دونه يوحنا في عدد ٢٦.

عدد ٢٣ - ٢٥. بطرس ويوحنا يحاولان أن يتعرفا شخصية الخائن: كان المسيح وتلاميذه متكئين حول مائدة العشاء, فكان كل منهم متوكئا ًبذراعه اليسرى على وسادة, مسنداً رأسه, وهو يأكل بذراعه اليمنى, ومادأ رجليه إلى الخلف. وعلى هذا الوضع, كان رأس كل منهم قريباً من صدر المتكئ عن يساره - هذا معنى القول "متكئاً في حضنه". لأن هذا هو المكان الذي كان يشغله يوحنا بالنسبة إلى المسيح في هذا العشاء الأخير. لذلك قال البشير "وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه. كان يسوع يحبه" – قاصداً نفسه بهذا لقول. فقد أجمع كل مؤرخي العصور الأولى على أن يوحنا البشير هو المعني بالقول: "واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه" (عدد ٢٣).

راجع المقدمة العامة في صدر هذا التفسير, تظهر لك هذه الحقيقة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢٤فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ. ٢٥فَاتَّكَأَ ذَاكَ عَلَى
صَدْرِ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدُ مَنْ هُوَ؟» ٢٦أَجَابَ يَسُوعُ: «هُوَ ذَاكَ الَّذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ
وَأُعْطِيهِ». فَغَمَسَ

عدد ٢٤. بطرس يومئ إلى يوحنا ليتعرف حقيقة الأمر. يستفاد من كلمة "أومأ", أن بطرس كان متكئاً قبالة يوحنا, وغالباً كان بعيداً عنه حتى أنه استعمل الإيماء دون الكلام, وأنه (بطرس), لم يكن متكئاً في جوار المسيح, وإلا كان قد سأله هذا السؤال بنفسه, من غير أن يوسط يوحنا. فيا ترى ما هو قول الذين يحتكرون الزعامة لبطرس دون سواه من الرسل؟!

عدد ٢٥: يوحنا يلبي نداء بطرس: لبى يوحنا النداء, الذي استوحاه إليه بطرس, بإيمائه فمال بذراعه اليسرى ولامس صدر يسوع. وقال: "يا سيد من هو"؟

عدد ٢٦. جواب المسيح: قضت عادة اليهود, في ممارستهم الفصح, أن يتصدر رب العائلة مائدة العشاء, ويقدم لضيوفه قطعة من لحم, أو لقمة خبز, مغموسة في خلاصة فاكهة ممزوجة بعصير العنب. فاتخذ المسيح من هذه العادة القديمة, أداة بها أجاب بها يوحنا, جواباً عملياً, على سؤاله الذي أوحى به بطرس إليه. وكان هذا الجواب العملي, متفقاً عليه

بين المسيح ويوحنا وحدهما: "فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا الإسخريوطي". لم يكن إذاً في إعطاء هذه اللقمة ليهوذا أي إحراج لمركز يهوذا ولا ثمة تحريض له على القيام بفعلته الشنعاء. فقد كان في إمكان يهوذا أن يرى في

اللُّقْمَةَ وَأَعْطَاهَا لِيَهُوذَا سِمْعَانَ الإسخريوطي. ٢٧فَبَعْدَ اللُّقْمَةِ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:
«مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ

اللقمة علامة جديدة من علائم محبة المسيح له – تلك المحبة التي لا تعرف نهاية لأنها أزلية لا بداية لها. لكنه بدلا من أن يفتح قلبه لعوامل الخير, فتحه للشيطان, وأدخله إليه على الرحب والسعة, وبدلاً من أن يتشدد بالرب, تقوى بالشيطان.

عدد ٢٧ (١) الشيطان يحتل قلب يهوذا احتلالاً مؤبداً. "فبعد اللقمة دخله الشيطان". كما أن دخول الروح القدس قلب إنسان ما, يتم تدريجياً, وبإرادة الإنسان نفسه, كذلك دخول الروح النجس, يتم أيضاً تدريجياً (عدد ٢), ويرضي الإنسان نفسه.

ظن بعضهم خطأ أن دخول الشيطان قلب يهوذا, كان نتيجة تأثير سحري, فعلته اللقمة في قلب يهوذا. لكن بطلان هذا الظن, يتضح لنا, متى ذكرنا أن الشيطان لم يدخل قلب يهوذا مع القمة, بل بعدها. فكأن هذه اللقمة كانت آخر شعاع من نور المحبة, وجهه المسيح إلى قلب يهوذا. وإذ رفضه يهوذا, أدخل نفسه إلى ظلمة الليل الدامس طائعاً مختاراً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٧. (ب) رسالة المسيح الأخيرة إلى يهوذا: "فقال يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة". ليس في هذا القول, تصريح ولا تحريض من المسيح ليهوذا, بأن يشرع في أمر لم يكن قد بدأ به, لكنه حث من المسيح ليهوذا, لينجز ما سبق فشرع فيه بنيته – والأعمال بالنيات. فلم يقل له المسيح: ما أنت "ستهمله" بل: ما أنت "تعمله" – أي ما قد شرعت

فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ». ٢٨وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْهَمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ لِمَاذَا كَلَّمَهُ بِهِ ٢٩لأَنَّ

فيه فعلاً, أنجزه بسرعة. هنا ذكر المسيح تصريحاً, ما فاه في عدد ٢٤ تلميحاً.

الآن, وقد وطن يهوذا نفسه على فعل الشر, وأدخل نفسه, باختياره, في منطقة العدو, رغم كل نداء, معتقداً بأن السيد صار في قبضة يديه, لم يجد المسيح بداً من أن يستحثه على إتمام مأموريته التي شرع فيها, سيما وأن الليل قد أرخى سدوله (عدد ٣٠), والفادي يريد وقتاً يخلو فيه إلى خاصته ليبوح لهم بأسرار قلبه قبيل ساعة الوداع, فلا مندوحة من أن يزيح هذا "الحاجز" الآدمي الكثيف الذي كان يحول دون كشفه مكنونات قلبه لتلاميذه. وفوق هذا, فإن المسيح أراد أن يعبر بهذه الكلمات عن استعداده التام لمواجهة الصليب لأن يهوذا وسيده الجديد, عاجزان عن صلب المسيح لو لم يرد هو.

يعتقد الدكتور إدي أن هذا إذن من المسيح ليهوذا, على قياس إذن الله لبلعام حينما كان مع رسل بالاق (عدد ٢٢: ٢٠), وعلى نمط قول المسيح للفريسيين "إملأوا أنتم مكيال آبائكم" (متى ٢٣: ٣٢).

عدد ٢٨. عدم فهم المتكئين مغزى هذه الرسالة. "وأما هذا". إن إشارة البشير إلى يهوذا بكلمة "هذا" بدلا من ذكره اسمه – في هذا العدد وفي عدد ٣٠ – لدليل على أن يهوذا لم يعد محسوباً فيما بعد في عداد الرسل. "فلم يفهم أحد من المتكئين" – إلا يوحنا البشير (عدد ٢٦) - "لماذا كلّمه به".

عدد ٢٩. تأويل بعضهم لهذه الرسالة, وعلة هذا التأويل: "لأن

قَوْماً إِذْ كَانَ الصُّنْدُوقُ مَعَ يَهُوذَا ظَنُّوا أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: اشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْعِيدِ أَوْ أَنْ يُعْطِيَ شَيْئاً لِلْفُقَرَاءِ. ٣٠فَذَاكَ لَمَّا أَخَذَ اللُّقْمَةَ

قوماً" – أي بعضاً منهم – "إذ كان الصندوق مع يهوذا" – وهل كان هذا الصندوق علة انحدارك إلى الهاوية يا يهوذا؟! فيا ويلنا من الصناديق الخاوية التي تكسر القلب بخلوها, ويا ويحنا من الصناديق المليئة التي تحجر قلوبنا بوفرتها – "ظنوا أن يسوع قال له اشتر ما نحتاج إليه للعيد" – من هذا يستنتج أن الفصح اليهودي لم يكن قد ابتدأ بعد, وإلا لما جاز الشراء فيه. لأن كل يوم فيه, سبت. فضلاً عن ذلك, فإن كل "لوازم" العيد كانت تشترى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قبيل العيد, قبل إعداد حمل الفصح. إذاً قد مارس المسيح و تلاميذه فصحاً جديداً قبل الفصح اليهودي, بيوم واحد (راجع عدد ١).

ألا تلقي هذه الكلمات نوراً على أخلاق يهوذا الشاذة؟ إن في تكتمه الشديد, وإخفائه نياته عن زملائه, دليلاً على أنه لم يكن منهم, على رغم كونه معهم.لأن له تدبيرات ومؤمرات لا يطلع عليها أحداً.

عدد ٣٠. الليل المزدوج: "فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت. وكان ليلاً". هذا ليل مزدوج – ليل طبيعي وليل معنوي. وكذلك حرص البشير على أن يربط بعض الأعمال بما يناسبها من الملابسات الطبيعية المحيطة بها انظر (١٠: ٣٠). إن الوقت الذي ارتكب فيه بطرس خطيته, غير الوقت الذي اقترف فيه يهوذا جريمته. فبطرس أنكر السيد عند إقبال السحر, ويهوذا باع مولاه عند إقبال الليل الدامس. فخرج بطرس من خطيته إلى فجر خَرَجَ لِلْوَقْتِ. وَكَانَ لَيْلاً. ٣١فَلَمَّا

التوبة, الذي أعقبه صبح الغفران. وخرج يهوذا من خطيته إلى ليل داج ظلامه, فالتقت ظلمة الليل الطبيعي, بظلمة قلبه الطبيعي الغير المتجدد.

يحاول بعض المفسرين أن يعين الوقت الذي فيه رسم المسيح فريضة العشاء الرباني في هذه البشارة. فيميل هنجستنبرج إلى وضع هذه الفريضة ما بين عددي ٢٧ و٣٠. ويعتقد جودي أن توزيع الخبز حدث قبل الكلام الذي في عدد ١٨, وأن توزيع الكأس بعد الكلام المدون في عدد ٣٠ ولكننا نعترف أن تقرير هذا الأمر بالضبط, ليس ميسوراً لنا.

الخطاب الوداعي – (١) حديث العلية (١٣: ٣١ - ١٤: ٣١).

ينقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين:

أولاً: افتراق المسيح عن تلاميذه: ماهيته, وضرورته, ونتيجته (١٣: ٣١ – ٣٥).

ثانياً: أربع محادثات دارت بين المسيح وبعض تلاميذه (١٣: ٣٦ - ١٤: ٣١).

المحادثة الأولى – بين بطرس والمسيح – (١٣: ٣٦ – ٣٨).

كلمة تشجيع للتلاميذ – (١٤: ١ – ٤).

المسيح المحادثة الثانية – بين توما والمسيح – (١٤: ٥ و٦).

والآب كلمة ترغيب للتلاميذ – (١٤: ٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحادثة الثالثة – بين فيلبس والمسيح – (١٤: ٨ – ١١).

المسيح وإتيانه إلى تلاميذه – ثلاث مزايا - (١٤: ١٢ – ٢١). المحادثة الرابعة – بين المسيح ويهوذا ليس الإسخريوطي (١٤: ٢٢ – ٢٦).

كلمة ختامية للشطر الأول من الخطاب الوداعي (١٤: ٢٧ - ٣١).

خَرَجَ قَالَ يَسُوعُ:

(١) افتراق المسيح عن تلاميذه –ماهيته, وضرورته ونتيجته (١٣: ٣١ – ٣٥). الآن, قد انعزل من التلاميذ, ذلك العنصر الممثل للظلام, وكان خليقاً به حقاً أن "يخرج في الظلام", فيتلاءم ظلام الطبيعة الخارجي, وظلام نفسه الباطني, ويكون الظرف الخارجي متناسباً مع الحالة الداخلية. وفي الوقت نفسه خلا الجو لرب النور, فانفرد بأبناء النور, فاطمأن إليهم, وحدثهم بلغة المحبة التي تأبى أن يعكر صفاءها وجود عدو أو رقيب, عن:

(أ) مجد الصليب – (١٣: ٣١ و٣٢) (ب) دنو ساعة افتراقه عنهم ١٣: ٣٣). (ج) الشعار لذي تركه لهم في غيابه (١٣: ٣٤ و٣٥). (د) التدريب اللازم لهم, قبل أن يشاطروه أمجاده (١٣: ٣٦ – ٣٨).

عدد ٣١. مجد الصليب: "فلما خرج" – يهوذا من تلقاء ذاته - "قال يسوع: الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه" – إن حرف الفاء الذي به بدئ هذا العدد, يدل على أن لكلمات المسيح المدونة في هذين العددين, صلة قوية بخروج يهوذا.

تبين لنا هذه الصلة من ملاحظة أمرين. أولهما – أن خروج الخائن من مجلس المسيح وأحبائه يعد بمثابة إزاحة حاجز كان عائقاً لحرية التعبير, بين قلب المسيح وقلوب أحبائه. لأن زهرة المحبة لا تتفتح إلا في جو يسوده الصفاء, والإخلاص, والمودة. وثانيهما – أن خروج يهوذا كان أول خطوة تنفيذية في الإتيان بالصليب, مما جعل المسيح يرى الصليب ماثلاً أمامه

«ٱلآنَ تَمَجَّدَ

كحقيقة قد تمت, وقلبه عامر بالثقة والظفر, فصرح بهذه الكلمات بنغمة الهتف والتمجيد: "الآن تمجد ابن الإنسان...". أراد بقوله: "الآن", أن وقت خدمته على الأرض, على وشك الانتهاء بموته. وقد وردت كلمة "تمجد" بصيغة الماضي, للتحقيق لأن خروج يهوذا كان أول حلقة من سلسلة حلقات متصل بعضها ببعض تمام الاتصال, فهي الخطوة العملية المؤدية للقبض عليه, فمحاكمته, فصلبه, فقيامته, فصعوده, فجلوسه عن يمين العظمة في الأعالي. وأن وقوع أول حلقة من هذه الحلقات المتماسكة كان بمثابة انفراط السلسلة كلها,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لذلك قال المسيح "الآن تمجد" مع أن هذه كانت بداية التمجيد. لأن الماضي أدخل في حكم الحاضر والماضي, "باعتبار ما سيكون". وقد اختار المسيح لنفسه, في هذا الظرف, لقب "ابن الإنسان", بياناً أنه لم يبلغ التمجيد المقصود هنا إلا باتضاعه. إن اتضاع المسيح يسير جنباً إلى جنب مع تمجيده – حتى في بشارة يوحنا التي عرف عنها أنها "بشارة لاهوت المسيح".

أما التمجيد الذي ذكره المسيح في هذين العددين, فهو تمجيد مثلث: (١) ابن الإنسان تمجد بالصليب: "الآن تمجد ابن الإنسان". (٢) الله تمجد في ابن الإنسان: "وتمجد الله فيه" (عدد ٣١). (٣) ابن الإنسان تمجد وسيتمجد في ذات الله: "فإن الله سيمجده في ذاته" (عدد ٣٢).

(١) ابن الإنسان تمجد بالصليب: "الآن تمجد ابن الإنسان". عجيب أن يكون الصليب أداة تمجيد للمسيح. فالصليب رمز العار, واللعنة.

ابْنُ الإِنْسَانِ

لأن "المعلق على الخشبة ملعون" (تثنية ٢١: ٢٣). فكيف يتأتى لرمز اللعنة والعار, أن يصير أداة للمجد والفخار؟!

صار الصليب وسيلة لتمجيد المسيح, من وجهين – أولهما: أن الصليب هو أكمل مظهر لأعظم نصرة أحرزها المسيح. فمع أن المسيح أظهر قوة فائقة في صنعه المعجزات, ومع أنه رأى الشيطان نازلاً مثل البرق من السماء حين أذاع رسله كلمة بشارته, إلا أنه على الصليب, جلس على عرش الحياة والقوة, لأن الصليب كان أكمل مظهر لأبهى انتصاراته. هنالك استجمع الشيطان كل قواته على أمل أن يظفر بالمسيح في معركة فاصلة, فكان الصليب معركة فاصلة حقاً – ولكن في جانب المسيح. ففي الصليب كسر المسيح شوكة الخطية, "إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض, الذي كان ضداً لنا, وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب. إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً, ظافراً بهم فيه" (كولوسى ٢: ١٤ و١٥). ثانيهما: أن الصليب هو أعظم مظهر لمجلي محبته المضحية للبشر. وفي إعلان هذه المحبة للبشر, تمجيد للمسيح. نعم ظهرت محبة المسيح المضحية, في رضاه أن يتسربل لباس البشر, وفي ميلاده في المذود, وفي رضاه أن يعلم الخطاة المحتقرين الأشقياء, وفي إبرائه العمى, والبرص, والجدع, إلا أن محبته للبشر تجلت في أكمل مظاهرها على الصليب, لأنه في تجسده تنازل عن مقامه. وفي تعاليمه جاد على البشر بكلامه. وفي معجزاته منّ على البشر بقوة من قواته. لكنه على الصليب, جاد على البشر بنفسه وحياته, إذ بذل

وَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِيهِ. ٣٢إِنْ كَانَ اللَّهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دمه – والدم هو النفس – هذا أقصى غاية الجود. إن محبة المسيح المضحية, منشورة باستمرار في كلام حكمته, وأعمال قدرته. لكن على الصليب, قد تركزت أشعة أنوارها في نقطة واحدة مضيئة, لامعة, ملتهبة, ملهبة.

(٢) الله تمجد في ابن الإنسان: "وتمجد الله فيه". إن أسرار المعلنات الإلهية تزداد عمقاً, كلما تقدمنا في هذه البشارة. ليس بعجيب أن يتمجد الله في ابن الإنسان, ولكن وجه العجب أن يتمجد الله في موت ابن الإنسان البريء, موت مجرم أثيم؟ فأين إذاً جزاء الفضيلة؟ بل أين العدالة الإلهية؟ بل أين سلطان الله المسيطر على الكون؟ إن الجواب على هذه الأسئلة, وعلى سواها, نجده متى ذكرنا أن ابن الإنسان الذي رفع على الصليب وهو بار, قدم للعالم صورة جلية واضحة لمحبة الله وعطفه على البشر "أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه. غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كورنثوس ٥: ١٩) فإذا كانت كلمات المسيح هي مجلى حكمة الله, وإذا كانت أعماله, مظهر قدرته, فإن صليبه هو مجلى محبة الله البار, للبشر الفجار. على الصليب تكلمت محبة الله للناس بلغة بليغة واضحة, مؤثرة, مفتنة للقلوب الحجرية.

عدد ٣٢. (٣) ابن الإنسان تمجد وسيتمجد في ذات الله: "إن كان الله قد تمجد فيه" – في ابن الإنسان - "فإن الله سيمجده في ذاته" – أي في ذات الله- " ويمجده سريعاً". إن خير تفسير لهذه الكلمات, نجده في قول

قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُمَجِّدُهُ فِي ذَاتِهِ وَيُمَجِّدُهُ سَرِيعاً. ٣٣يَا أَوْلاَدِي أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ. سَتَطْلُبُونَنِي

المسيح في ١٧: ٤ و٥ "أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجدني أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". إن تمجيد ابن الإنسان. المذكور في العدد السابق, هو تمجيد علني أمام الناس, لكن تمجيده المذكور في هذا العدد, هو تمجيد سري خاص, فيه يرفع ابن الإنسان, ويقبل إلى المجد الذي يتمتع به الآب ذاته, فيكون الجو المحيط به مجداً في مجد (راجع ١: ١٨). إن كلمة: "في ذاته" تتمشى مع كلمة: "فيه". فالجزاء من جنس العمل والوقت المقصود في قوله: "سيمجده سريعاً". هو وقت قيامته وصعوده بعد أن أكمل الفداء.

عدد ٣٣. افتراق المسيح عن تلاميذه: "يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد..". من التفكير في الصليب وما يجلبه له من مجد, انتقل المسيح بفكره إلى تلاميذه, وما يصيبهم بعد أن يرفع هو عنهم, فالتفت إليهم بوجه يفيض عطفاً, وحنواً, ورقة, ووجه إليهم الخطاب, قائلاً: "يا أولادي. أنا معكم زماناً قليلاً بعد", إن هذه الكلمة الرقيقة: "يا أولادي" لم ترد سوى هذه المرة وحدها في كل البشائر, وقد أوحى بها ذلك الظرف الخاص, الذي شعر فيه المسيح,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بأن تلاميذه سيكونون يتامى, بعد افتراقه عنهم. ولقد عبر الفادي أجمل تعبير عن شعورهم في وحشتهم, بقوله: "ستطلبونني" كان المسيح للتلاميذ خير عضد وسند, فهو الآب, والمرشد, والمؤدب.

وَكَمَا قُلْتُ لِلْيَهُودِ: حَيْثُ أَذْهَبُ أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا أَقُولُ لَكُمْ أَنْتُمُ الآنَ. ٣٤وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ:

لقد عرفهم وعرفوه, فتركوا الاشتغال بأعمالهم الاعتيادية, وانصرفوا عن دينهم الأصلي – اليهودية, واعتنقوا المسيح ديناً لهم. ومن المحقق أن غيبته عنهم, في وقت قيام اليهود عليهم, ستشعرهم بمسيس الحاجة إليه – وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر. عندئذ يتمنون اللحاق به ولكن هيهات! "وكما قلت لليهود" – منذ ستة أشهر – "حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" – ٧: ٣٤ و٨: ٢١, "أقول لكم أنتم الآن" – لأنكم لستم مستعدين بعد للحاق بي. على أن عجز التلاميذ عن اللحاق بالمسيح يختلف عن عدم قدرة اليهود على اللحاق به, في أنه عجز التلاميذ, وقتي. فالنبرة في كلام المسيح لليهود واقعة على كلمة "لا تقدرون", وفي كلامه مع التلاميذ, واقعة على كلمة: "الآن". فمتى انقضت هذه الفترة الإعدادية التي سيكمل فيها التلاميذ سعيهم, يأتي المسيح "ويأخذهم إليه" (١٤: ٣). ولكن عجز اليهود كان حكماً عليهم, قضت به طباعهم العنيدة, والبعيدة عن الإيمان. وهو لمزيد الأسف حكم نائي لا استئناف له, ولا يقبل نقضاً ولا إبراماً.

عدد ٣٤ و٣٥. شعار التلاميذ في غيبة سيدهم – أو الوصية الجديدة: "وصية جديدة أنا أعطيكم ....". قد نعجب لقول المسيح عن المحبة أنها: "وصية جديدة", لعلمنا أن هذه الوصية وردت في لاويين ١٩: ١٨. فبأي معنى إذا, اعتبرها المسيح "وصية جديدة"([١])؟ يقول ناب, إن هذه وصية

أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً. ٣٥بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ

جديدة في قياسها – لأن قياسها كان قبل المسيح: "تحب قريبك كنفسك". فأضحى, مذ أن نطق بها المسيح: "تحب قريبك أكثر من نفسك", "مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة", "حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسكم" (رومية ١٢: ١٠ وفيلبي ٢: ٣). ويقول أولزهوزن: إنها "جديدة" بمعنى أنها "متجددة على الدوام". ويقول أوغسطينوس إنها "وصية مجددة". وفي اعتقادنا أن المحبة التي أوصى بها المسيح تلاميذه, جديدة في نوعها, وفي مثالها, وفي الباعث لها, وفي غايتها: "كما أحببتكم". "فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح بحسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بين محبته لنا, لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٧ و٨). إن محبة اليهودي لليهودي, مبعثها الاعتقاد

 All rights reserved © 2008-2018

بأن الله اختار اليهود ليكونوا له شعباً خاصاً. لكن محبة المسيحي للمسيحي, ولغير المسيحي مستمدة من الاعتقاد بأن المسيح مات لأجل الأعداء, فهو يحبهم "في المسيح". إن قوله "كما أحببتكم" لا يقتصر على وصف المحبة في قياسها, بل يصفها أيضاً في طبيعتها, وفي جوهرها.

علاوة على الباعث المذكور في عدد ٣٤: "كما أحببتكم", أضاف المسيح, باعثاً آخر في عدد ٣٥: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب" – أي أن محبتهم لبعضهم البعض, هي الميزة الخاصة التي تميزهم عن سواهم, في غيبة سيدهم عنهم, فهي إذاً رمز حضورهم معهم,

بَعْضاً لِبَعْضٍ».٣٦قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟»

وشعاره الدائم الذي خلعه عليهم. وقد تم هذا فعلاً. قال مينوتيوس فيلكس: "لقد نجح سيدهم في إقناعهم بأنهم جميعاً اخوة". وقال طرطليانوس: "لقد دهش الوثنيون من محبة المسيحيين لبعضهم البعض حتى الموت".

منذ الآن حتى نهاية الأصحاح الرابع عشر سنستمع لأربع محادثات جرت بين المسيح وبعض تلاميذه.

عدد ٣٦ – ٣٨. المحادثة الأولى – بين بطرس والمسيح.

عدد ٣٦. (أ) سؤال بطرس "قال له سمعان بطرس يا سيد إلى أين تذهب؟"([٢]) هذه أول حلقة من سلسلة أسئلة ألقاها التلاميذ على المسيح, بعد أن سمعوا كلامه عن مبارحته لهم. ومن يكون البادئ بهذه الأسئلة, سوى بطرس كليمهم؟! ولاشك في أن بطرس كان مخلصاً في سؤاله هذا, لأنه أراد أن يتحاشى به افتراق المسيح عنه وعن سائر التلاميذ, بعد أن سمع من فم المسيح هذه الكلمة الأليمة: "حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا (عدد ٣٣). على أن بطرس, في سؤاله هذا, كان مدفوعاً أيضاً برغبته في أن تكون له الأسبقية على سائر التلاميذ في التضحية والإقدام.

أَجَابَهُ يَسُوعُ: «حَيْثُ أَذْهَبُ لاَ تَقْدِرُ الآنَ أَنْ تَتْبَعَنِي وَلَكِنَّكَ

(ب) جواب المسيح: "أجابه يسوع. حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني. ولكنك ستتبعني أخيراً". لم يكن سؤال بطرس قاصراً على استعلامه عن المكان الذي يذهب إليه المسيح, بل كان منطوياً على رغبة منه في الذهاب معه. فهو شبيه بقول الولد لأبيه حينما يراه خارجاً: "إلى أين أنت ذاهب" ولسان حاله يقول: "خذني معك يا أبي". لذلك لم يكتف المسيح بأن يجيب عن سؤال بطرس, بل جاوبه أيضاً عن رغبته المستترة وراء سؤاله. فكأني به يقول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

له: "ليس المهم عندك يا بطرس أن تعرف إلى أين أنا ذاهب, وإنما يهمك أن تعلم أنك لا تقدر أن تتبعني الآن, لكن لا تيأس ولا تقنط, فإنك ستتبعني بعد حين". بهذا الجواب قرر المسيح لبطرس: (١) أن افتراقه عنه وعن سائر التلاميذ, أمر لابد منه, (٢) أن هذا الافتراق وقتي: "الآن", (٣) أن بطرس لا يقدر أن يتبع سيده الآن لأن عليه رسالة لم تكمل بعد, ولأنه للآن لم يفهم معنى الصليب. سواء أكان الصليب الذي سيحمله سيده من أجله, أم الصليب الذي سوف يحمله هو من أجل سيده. ولأن الفداء لم يكمل بعد (١٩: ٣٠), وبالتالي فإن مكان بطرس في المجد, غير معد (١٤: ٢ و٣), وبطرس غير معد لهذا [٣]

سَتَتْبَعُنِي أَخِيراً». ٣٧قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ لِمَاذَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَتْبَعَكَ الآنَ؟ إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي عَنْكَ». ٣٨أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَتَضَعُ نَفْسَكَ عَنِّي؟ اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ يَصِيحُ الدِّيكُ حَتَّى تُنْكِرَنِي ثلاَثَ مَرَّاتٍ».

المكان. (٤) إن بطرس سيتبع سيده بعد وقت, حين يكون قد امتلأ من روح المسيح في التضحية, وإنكار الذات, والشجاعة.

عدد ٣٧. (ج) اندفاع بطرس: "قال له بطرس يا سيد. لماذا". عز على بطرس أن يسمع هذا الجواب الصريح, فأخذته الحمية على كرامته الشخصية. لقد مشى على الماء ليكون مع سيده (مت ١٤: ٢٩), وارتقى معه على جبل التجلي (لوقا ٩: ٢٨), ووقف معه في وجه الموت (لوقا ٨: ١٥). فأي مكان إذاً يتعذر عليه أن يتبع سيده إليه؟ هل إلى الموت؟. وهنا بلغ الغرور ببطرس مبلغاً عظيماً, وفي ثور اندفاعه, توهم نفسه "فادياً للفادي", فقال – ولم يكن يدري ما يقول "إني أضع نفسي عنك". (انظر لوقا ٩: ٣٣).

عدد ٣٨. (د) الحق المر: "أجابه يسوع أتضع نفسك عني؟" عرف المسيح بطرس أكثر مما عرف بطرس نفسه. فصارحه بحقيقة حاله – والحق مر, لكنه لازم – وخاطبه بنغمة يمازجها الحزن والأسى: "أأنت يا بطرس تبذل نفسك عني"؟ نعم سأمتعك بهذا الشرف – ولكن فيما بعد. أما الآن, "فالحق الحق أقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات".

وقعت هذه الكلمات على مسمع بطرس, وقع الصاعقة. فحبست لسانه عن الكلام والاستفهام إلى ما بعد نور القيامة (٢١: ٢١).

---

(١) اعتاد هليل, أحد أحبار اليهود, أن يقول: "لا تصنع بقريبك ما تكرهه لنفسك.

(١) جاء في أسطورة قديمة, أن بطرس كان في سجنه الأخير في رومية, متوقعاً الحكم عليه بالصلب. ولما هاله توقع هذا الحكم, انسل من الحراس, وهرب من السجن, فانطلق في الطريق الموصل بين رومية وجنوبي إيطاليا, المعروف بـ"طريق ابيوس". وهنالك تمثل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

له المسيح حاملاً صليبه, ومتوجهاً إلى رومية. فابتدره بطرس بالقول: يا سيد: "إلى أين أنت تذهب؟". فأجابه السيد: "أنا ذاهب إلى رومية". فقال بطرس: "ولأي غرض؟" فكان جواب الفادي: "لكي أصلب ثانية". فصرخ بطرس قائلاً: "ولكنك صلبت مرة يا سيد".

فأجابه المسيح: "نعم صلبت مرة في أورشليم. وها أنا ذاهب لأصلب مرة ثانية في رومية". "ولم يا سيد"؟. "عوضاً عنك يا بطرس. لأنك هربت من صليبك هناك". فحزن بطرس وبكى بكاء مراً. ثم عاد إلى رومية, قابلاً حمل صليبه. ولما جاءت ساعة صلبه, قال للجلادين: "لا تصلبوني مرفوع الرأس كسيدي. بل اصلبوني منكساً".

تشجيعات ووعود

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اَلأَصْحَاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ

١ «لاَ تَضْطَرِبْ

ترتبط فاتحة هذا الأصحاح, بخاتمة الأصحاح السابق, ارتباطاً مكيناً لأن الكلام لم ينقطع بين الأصحاحين, لدرجة يخيل إلينا فيها, أنهما أصحاح واحد.

ودعنا الأصحاح السابق وداعنا لليل داج ظلامه – فالعقول حائرة, والعواطف ثائرة. العواصف عنيفة, والسحب كثيفة, والصواعق مخيفة. فقد أنبأ المسيح تلاميذه, بأن ساعة افتراقه عنهم قد دنت, وأن واحداً منهم سيخونه, وبأن بطرس سوف ينكره ثلاثاً. فخابت آمالهم الوطنية التي عقدوا لواءها على مسيا المنتظر. وملأ الاضطراب قلوبهم. وما هي إلا هنيهة, حتى طلع عليهم المسيح بنور الرجاء المتلألئ في غرة هذا الأصحاح. معزياً إياهم ومشجعاً, بالقبول: "لا تضطرب قلوبكم".

في استهلال هذا الأصحاح, تابع المسيح وعده الذي صرح به لبطرس في خاتم الأصحاح السابق: "ولكنك ستتبعني أخيراً". فأبان له وللتلاميذ: أنه وإن كان افتراقه عنهم, أمراً لا مفر منه, فإن لحاقهم به, أمر لابد منه. وأنهم سيقيمون معه, في بيت أبيه حيث المنازل الكثيرة (عدد ٢). بذلك قدم المسيح خير جواب على سؤال بطرس: "يا سيد إلى أين تذهب" (١٣: ٣٦).

عدد ١. ترياق اضطراب القلوب: في هذا العدد وضع طبيب القلوب, يده على موطن الداء في التلاميذ, فبين لهم أن الداء دفين في القلب:

قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

"لا تضطرب قلوبكم". إن مرض القلب من أخطر الأدواء الجسدية التي يمنى به الإنسان. فبعض القلوب الجسدية مصاب بخفقان, والبعض الآخر مبتل بلغط في شريان القلب الرئيسي. فكم يكون حال من يمنى بهذين المرضين أو ما يماثلهما في قلبه المعنوي؟! على أن طبيب القلوب والأرواح, لم يكتف بأن وضع مبضعه على الداء, بل تقدم فوصف الدواء: "أنتم تؤمنون بالله. فآمنوا بي". يجوز أن تترجم هذه الكلمات. كما وردت في الأصل – إلى إحدى هذه الأربع صيغ:

١- "أنتم تؤمنون بالله, فطبعاً أنتم تؤمنون بي أيضاً" – فالجملتان خبريتان.

٢- "آمنوا بالله تؤمنون بي أيضاً" – فالجملة الأولى أمرية والثانية خبرية.

٣- "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي" – فالجملة الأولى خبرية, والثانية أمرية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤- "آمنوا بالله. وبي أيضاً آمنوا" – فالجملتان في صيغة الأمر. هذا رأي أحدث

المفسرين. على هذا الاعتبار يكون الجزء الأول من العدد – حيث وصف الداء – مفرغاً في صيغة نهي: "لا تضطرب قلوبكم". والجزء الثاني منه – حيث وصف الدواء – مفرغاً في صيغة أمر: "آمنوا بالله. وبي أيضاً آمنوا". من هذا نلاحظ: (١) أن الإيمان بالله, هو ترياق لغط القلوب واضطرابها. (٢) أن الإيمان بالله يقود حتماً إلى الإيمان بالمسيح. (٣) أن الإيمان بالمسيح يدعم الإيمان بالله. هذه حجة لاهوت المسيح, ووحدانيته مع الله. وإلا كان الإيمان به شركاً بالله. (٤) مع أن التلاميذ كانوا

فَآمِنُوا بِي. ٢فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ

مؤمنين بالله وبالمسيح, إلا أن المسيح دعاهم إلى إيمان أرقى نوعاً, وأقوى فاعلية, وأوسع مدى من إيمانهم الذي كانوا عليه مرة, فقالوا فيه: "يا رب زد إيماننا". وهل يقوى شخص غير المسيح أن يقول "آمنوا بالله فبي أيضاً آمنوا", مع أن بينه وبين الموت يوماً واحداً؟! فإذا لم يكن المسيح إلهاً تاماً, فمن المحال أن يكون إنساناً كاملاًً. لأن صدور مثل هذا القول من مجرد إنسان يعتبر تجديفاً.

لاحظ الألقاب التي وصف بها المسيح اسم الجلالة: "الله" (عدد ١). "أبي" (عدد ٢), "الآب" (عدد ٦).

عدد ٢. ضمان, وتطمين, وتشجيع.

ضمان: "في بيت أبي منازل كثيرة". يراد بالمنازل, تلك المساكن الخالدة التي كان الهيكل الزائل رمزاً لها (٢: ١٦). قابل هذا بما جاء في ٨: ٣٦. إن في قوله "منازل" مجازاً مبنياً على ما في قصور ملوك الأرض: من محال كثيرة و"أجنحة" لهم, ولذريتهم, وحاشيتهم, وضيوفهم. ويقول وستكوت إن هذا المجاز مبني على ما كان في الهيكل اليهودي من غرفات و"أروقة" وطباق كثيرة (١ ملوك ٦: ٥ و٦ و١٠ وحزقيال ٤١: ٦). ومع أن السماء حالة روحية, إلا أنها أيضاً مكان علوي معد لأناس معدين له. ويكفينا أن نعرف عن موضع هذا المكان أنه حيث يوجد المسيح. "اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣: ٤٣), "أن أكون مع المسيح ذاك أفضل جداً" (فيلبي ١: ٢٣), "نستوطن عند الرب",

وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ.

٢ كو ٥: ٨. وأن المسيح موجود حيث الآب: "أبانا الذي في السموات". أما عمل المؤمن هناك فقد عبر عنه يوحنا نفسه في رؤياه: "وعبيده يخدمونه, وهم سينظرون وجهه" (رؤيا ٢٢: ٣ و٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة: "منازل" – كما جاءت في الأصل – لا تعني الدرجات التي يكون عليها المؤمنون, لكنها تعني المساكن المستديمة. فهي جمع "منزل", لا "منزلة". هذا المعنى يتفق تماماً وغرض المسيح في سياق كلامه. فإن خوف التلاميذ لم يكن من عدم وجود درجات في السماء, بل من عدم وجود أمكنة كافية لهم جميعاً. مثلما كان يحدث عادة في فنادق أورشليم سيما في أيام الأعياد كما يدل عليه المكان الذي وضعت فيه أم المخلص ابنها البكر: "إذا لم يكن لهما موضع في المنزل". ويقول وستكوت: إن كلمة: "منازل" كما وردت في الأصل, قد تعني "المحطات" أو "الأبراج" التي عندها يستريح المسافرون, وفيها يجدون عزاء وغذاء – مما يدل على أن هذه الكلمة تنطوي على عنصرين: - الراحة, والتقدم. ويقول لانجي إن المسيح فاه بهذه الكلمات وهو شاخص إلى السماء المتلألئة بالنجوم.

تطمين: "وإلا فإني كنت قد قلت لكم" – أي لو كنت سأفترق عنكم فراقاً لا لقاء من بعده في المساكن السماوية – حيث تكونون معي, لكنت قد أعلمتكم بهذا من قبل, لأني لا أرضى لنفسي بأن أترككم معلقين أنفسكم إلى الآن, برجاء غير وطيد. ويعتقد دافيد سمث, وكايل, بأن قول المسيح: "وإلا فإني كنت قد قلت لكم", راجع إلى قوله: "في

أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً ٣وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً

بيت أبي منازل كثيرة". أي لو لم يكن للتلاميذ منازل كافية, لكان المسيح قد سبق فأنبأهم بهذا من قبل. على إننا نعتقد بالرأي الأول. لأن التلاميذ لم يكونوا خائفين من قلة المنازل, وإنما كانوا يخشون تعذر لحاقهم بسيدهم أنى ذهب.

تشجيع: "أنا أمضي لأعد لكم مكاناً". يتضمن هذا الوعد جواباً صريحاً على سؤال بطرس الذي عبر به عن أشواقه وأشواق سائر التلاميذ (١٣: ٣٦).

إن أيمانهم بالله يضمن لهم حق دخول المنازل السماوية, وإيمانهم بالمسيح يفتح لهم الطريق إلى تلك المنازل. لأن المسيح بموته, وقيامته, وصعوده, فتح طريق السماء, ودخل كسابق لنا. وهل من كلمات, تصف محبة المسيح لتلاميذه, ورغبته ي خدمتهم وإراحتهم, أبلغ من قوله: "أنا أمضي لأعد لكم مكاناً"؟ عادة يمضي الخادم ليعد مكاناً للسيد. ولكن في هذه الحال, ذهب السيد ليعد مكاناً للعبيد. إن القلب ليهتف من سويدائه قائلاً: ما أعجب الفادي, وحبه الشديد. إذ بالرضى السامي ابتغى, أن يخدم العبيد.

"أنا أمضي لأعد لكم مكاناً" – تذكرنا هذه الكلمات بما جاء في سفر العدد ١٠: ٣٣ "فارتحلوا (بنو إسرائيل) من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلاً".

عدد ٣. وعد, فلقاء, فبقاء. "وإن مضيت ....".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعد: "وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً". هو إذاً وعد بعودة المسيح إلى تلاميذه. وقد تم هذا الوعد تدريجياً على دفعات متتابعة.

آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا

فتم في معناه الابتدائي للتلاميذ وقت ظهور المسيح لهم في الفترة التي بين القيامة والصعود. وتم لهم روحياً في مجيء المسيح إليهم في شخص الروح القدس يوم الخمسين, وتم لهم اختبارياً بمجيء المسيح لهم ساعة موت كل منهم, وسيتم لهم وللمؤمنين كمالياً بمجيء المسيح ثانية ليملك, ويحكم, ويدين. وبنفس هذه الأدوار المتعاقبة – إلا أولهم – يتم هذا الوعد لجميع المؤمنين. إن أظهر وجه في هذا الوعد, هو مجيء المسيح بشخصه إلى التلاميذ والمؤمنين, وقد كان في إمكانه أن يكل هذه المهمة إلى ملاك أو رسول. إن قوله: "إن مضيت وأعددت" يتمشى مع قوله في العدد السابق: "أنا أمضي لأعد".

لقاء: "وآخذكم على". لا ينم هذا اللقاء إلا بعد أعداد المكان, كما أن ذهاب التلاميذ إلى المساكن السماوية لا يتأتى لهم إلا وشخص المسيح معهم, ليتقدم بهم إلى الآب: "ها أنا والأولاد الذين أعطيتني". وهذا تم أما عند موت كل منهم, أ, يتم في مجيء المسيح الثاني. إن قوله "وآخذكم إلى" يفيض رقة وحناناً, فيه نتمثل أباً محباً عائداً إلى صغاره ليأخذهم معه حيث كان, فيضمهم إلى صدره الحنون, ثم يتقدم حاملاً إياهم طيلة مدة السفر.

بقاء: "حتى حيث أكون أنا, تكونون أنتم أيضاً". هذه هي الشركة الدائمة بين المسيح وتلاميذه. إننا لا نعلم بالضبط موقع السماء, ولا نريد أن نعلم. ويكفينا أن نعرف أن السماء هي حيث يكون المسيح, فهو منبع الفرح والمجد. فوجهه نور السماء, وابتسامته بهجة السماء, وصوته موسيقى

تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً ٤وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ».٥قَالَ لَهُ تُومَا: «يَا سَيِّدُ لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ

السماء, وشخصه سماء الآب. "حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً". ألا يحمل هذا القول إشارة ضمنية إلى مشاركة المؤمنين للمسيح في طبيعته الممجدة على اعتبار أنه صعد إلى المجد حاملاً معه جسم بشريتنا؟ (انظر ١ يو ٣: ٢ ويوحنا ٧: ٣٤ و٣٦).

عدد ٤. التلاميذ يعلمون بالغاية وبالطريق, وهم لا يعلمون: " وتعلمون حيث أنا أذهب. وتعلمون الطريق". وهل كان التلاميذ يعلمون حقاً؟ نعم. ولا. أما نعم, فلأنهم كانوا يعرفون المسيح, الذي هو الطريق. وأما لا, فلأنهم ما كانوا يعلمون بعد أن المسيح هو الطريق. لأن أفكارهم عن المسيح, لم تزل أرضية كأفكار سائر اليهود (١٢: ٣٤), ولأن آمالهم لم تنتقل

 All rights reserved © 2008-2018

بعد من الرجاء المنظور, إلى الملكوت الغير المنظور. ومن الجائز, أن المسيح صرح بهذا القول لكي يحرض شهية التلاميذ انتظاراً إعلانات أجل.

المحادثة الثانية: بين توما والمسيح: المسيح هو الطريق (١٤: ٥ و٦)

عدد ٥. التلاميذ يصرحون بلسان توما بأنهم لا يعلمون أنهم يعلمون "قال له توما يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق". ثلاث مرات نواجه توما في هذه البشارة. لأولى في ١١: ١٦, والثانية في هذا العدد, والثالثة في ٢٠: ٢٦. وفي هذه الثلاث المرات نرى فيه الرجل الصريح, المحكوم بحواسه, والمتحمس لما "يلمسه" من الحق. ي خاتمة الأصحاح الثالث عشر, رأينا بطرس في اندفاعه وهو يريد أن يتبع المسيح

فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» ٦قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ

حالاً, فصب المسيح مياهاً باردة أخمد بها حماسه غير المهذب, وأفهمه أنه سيتبعه – ولكن فيما بعد. فجاءت فرصة توما ليستعلم عن "المكان" الذي يذهب إليه المسيح, والطريق إلى هذا المكان, فصاغ سؤاله في نفس الكلمة, القصيرة البصر, التي سمعناها من نيقوديموس (٣: ٤و ١١), والسامرية (٤: ٩), واليهود (٦: ٥٢) – "كيف"!؟ كانت الغاية مجهولة من توما – حسب نظره القصير – فكيف يقدر أن يعرف الطريق؟ على أننا مدينون لتوما بهذا السؤال الذي فاز من السيد بالجواب الخالد, الذي حفظ لنا في العدد التالي.

عدد ٦. جواب المسيح: "أنا هو ...". هذا جواب جامع: "أنا هو الطريق ..." مانع: "ليس أحد .... إلا بي". في الشطر الأول منه, أجاب المسيح صراحة على قول توما: "كيف نعرف الطريق". وفي الشطر الثاني, أجاب ضمناً على قوله: "لسنا نعلم أين تذهب".

"أنا هو الطريق ....". إن الكلمة الرئيسية في جواب المسيح, هي: "الطريق". وقد ذكر "الحق" و"الحياة" توضيحاً لها. "فالحق" هو الله معلناً في قداسته ومحبته (عدد ٩), و"الحياة" هي الله متصلاً بالنفس في قوته وغبطته. فالمسيح هو الطريق لأنه هو الحق والحياة. يقول كالفن ولوثر إن هذه الثلاث الكلمات: "الطريق. والحق. والحياة".منسقة تنسيقاً بديعاً. فالطريق هي البدء, والحق هو الوسط, والحياة هي الختام.

"أنا هو الطريق. والحق. والحياة" – هذا تصريح خطير لا يقوى

وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ

على النطق به إلا المسيح. فهو لم يقل إنه يدل على الطريق, ويقول الحق, ويهدي إلى الحياة, بل قال بصورة قاطعة: "أنا هو الطريق" – فلا طريق إلاه. وأنا هو "الحق" – فلا حق سواه. وأنا هو "الحياة" – فلا حياة بغيره. أمام هذه الكلمات الجليلة يستد كل فم. قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول غير المسيح أنه هو الطريق فتظهر الأيام بطلان ادعائه. لكن المسيح هو الطريق والحق. وقد يقول غير المسيح أنه هو الطريق وأنه يأتي بالحق, فيأتي الموت في نهاية الأمر ويسحقه بين يديه. أما المسيح فهو وحده الطريق, والحق, والحياة. في هذه الثلاث الكلمات تجد البشرية رياً لعطشها في كل زمان ومكان. فالباطني المتصوف يجول هائماً في مجاهل العبادة قائلاً: "أين الطريق"؟ والعالم المتفلسف يهيم باحثاً في فيافي الفلسفة العقلية قائلاً: "أين الحق"؟ وجميع الناس يصرخون سواء بسواء قائلين: "أين الحياة"؟ فيقول المسيح للأول: "أنا هو الطريق", وللثاني: "أنا هو الحق", وللآخرين: "أنا هو الحياة".

المسيح هو الطريق لأنه هو الوسيط الأوحد بين الله والناس. وهو الحق لأنه هو كلمة الله. وهو الحياة لأنه هو الفادي الذي مات وقام.

النفس تائهة – فالمسيح طريقها. النفس في وادي البطل – فالمسيح حقها. النفس ميتة, فالمسيح حياتها.

المسيح هو "الطريق" الحي الحقيقي بين الناس والله.

المسيح هو "الحق" لأنه يعلن لنا كل ما يلزمنا معرفته عن نفوسنا, وعن الله.

يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. ٧لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً.

المسيح هو "الحياة" لأنه اشترى لنا الحياة بموته, ووهبنا إياه بروحه (عب ١٠: ٢٠ وإش ٣٥: ٨ – ١٠ ويو ١١: ٢٥ و٦: ٥٧ و١٠: ١٠).

"أنا هو الطريق": هذا جواب المسيح على المتسائلين: "أين الطريق"؟.

"أنا هو الحق": هذا جواب المسيح على القائلين: "كيف نعرف"؟.

"أنا هو الحياة": هذا جواب المسيح على المتسائلين: "إلى أين تذهب"؟.

"ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" – هذا هو الجانب المانع في هذا الجواب الخالد. والكلام فيه منصرف إلى العبارة الرئيسية: "أنا هو الطريق". فكل طريق غيره ضلال. وكل حق عداه بطل. وكل حياة سواه موت.

"أنا هو الطريق" – هذا موضوع كلام المسيح ي عدد ٧ – ١٤. "أنا هو الحق" – هذا هو موضوع الكلام في عددي ١٧ و١٨ – عن "روح الحق". "أنا هو الحياة". هذا هو موضوع الكلام في عدد ١٩ – ٢١ "إني أنا حي. فأنتم ستحيون".

عدد ٧. حث, وتبليغ, وتحقيق:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحث: "لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضا" – في هذا القول لا ينكر المسيح على التلاميذ معرفتهم به, وإنما أراد أن يستحثهم لمعرفة أرقى, وأعمق, وأدق. هذا على مثال قولهم في عدد ٢٨ "لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون", وقوله لهم في لوقا ١٧: ٦ "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل", جواباً على طلبهم منه أن يزيد إيمانهم.

وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ». ٨فَقَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ:

التبليغ: "ومن الآن تعرفونه" – يعتقد يوحنا الذهبي الفم أن كلمة "من الآن" تعني وقت حلول الروح القدس يوم الخمسين. ولكن هذا الرأي يطوح بكلمة "الآن" أكثر مما تحتمل, فيجعلها في حكم "سوف", ويعتقد ماير أن معناها "منذ تصريحي الذي أفضيت به إليكم في عدد ٦". ولكننا نعتقد أنها تعني "من الوقت الذي شرع فيه المسيح يخاطبهم بهذا الخطاب الوداعي".

التحقيق: "وقد رأيتموه" – هذه هي الرؤية الروحية التي امتاز بها التلاميذ عن أحبار اليهود الأقدمين. بما أن المسيح هو صورة الله غير المنظور, وطبيعته وطبيعة الآب كلتاهما شيء واحد, وليس الإثنان إلا إلهاً واحداً ولكن يتميزان بالأقنوم, فينتج من هذا أن من رأى المسيح فقد رأى الآب. على أن التلاميذ لم يكونوا قد تحققوا هذا الامتياز بعد, لأنهم لم يكونوا يعرفون ذلك معرفة جليلة, لغلبة الحواس عليهم.

"وقد رأيتموه" – كما أن قول المسيح للتلاميذ "وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق" (عدد ٤), وقد استحث توما إلى أن يسأل قائلاً: "كيف نقدر أن نعرف الطريق"؟ كذلك كان قول الفادي للتلاميذ: "وقد رأيتموه", محرضاً فيلبس على أن يطلب الطلبة المدونة في العدد التالي.

المحادثة الثالثة: بين فيلبس والمسيح: المسيح في الآب, والآب فيه (١٤: ٨ – ١٠).

عدد ٨. طلبة فيلبس: "قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا".

«يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا». ٩قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هَذِهِ مُدَّتُهُ

تعذر على بطرس أن يتبع المسيح حالاً, وعز على توما أن يعرف الطريق تماماً, فجاء دور فيلبس الرجل العملي الذي يكتفي بعمل حساب للمنظور (٦: ٧), فعبر عن أمنية قلبه, التي هي أمنية الأجيال بأسرها: "أرنا الآب وكفانا" – فإن هذه الرؤية تكفينا مؤونة الأسئلة الكثيرة, وتمنع عنا اضطراب القلوب. قديماً كانت هذه أمنية موسى, لكنها عزت عليه (خروج ٣٣: ١٨ – ٢٣). وفيما بعد تغنى بها داود, ومات على رجاء توقعها: "أما أنا فبالبر أنظر وجهك" (مزمور ١٧: ١٥). غالباً جداً كان فيلبس ينتظر استعلاناً لمجد الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مصحوباً بآيات وقوات وعلامات من السماء. فكانت طلبته هذه شبيهة بطلب اليهود آية من المسيح. وقد فاتهم أن الله محبة, وأنه قدوس, لذلك فإن تجلياته لا تكون على أتمها, في مظاهر القوة الجامدة, بل ي شخصية حية, أدبية, كاملة, تنطق بلغة الله وتعمل أعمال الله – هذه هي شخصية المسيح الحي, الكامل, الأوحد, الذي رآه التلاميذ.

عدد ٩ – ١٤. جواب المسيح: "قال له يسوع أنا معكم ....". يعتقد بنجال أن جواب المسيح على قول فيلبس "أرنا الآب", واقع في عدد ٩ – ١١, وأن جوابه على قوله: "وكفانا" متضمنة في عدد ١٢ – ١٤. ويلوح لنا أن جواب المسيح في الأعداد ٩ – ١٤ شبيهة بكنانة ذات خمسة سهام:

السهم الأول – عتاب لطيف: "قال له يسوع أنا معكم .... ولم تعرني يا فيلبس"؟ في هذه الكلمات تذكير, يمازجه عتب لطيف, موجه

وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟ ١٠أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا

إلى فيلبس باسمه – كنائب عن التلاميذ – ليرفعه وإياهم إلى الحالة الروحية الراقية التي يريدهم المسيح أن يكونوا عليها. ولا تخلو هذه الكلمات من رنة حزن, كأن تعب السيد طوال هذه المدة قد ذهب ضياعاً, لأن فيلبس بإنكاره معرفته بالآب, أنكر ضمناً معرفته بالمسيح. لأن المسيح في الآب والآب فيه.

السهم الثاني – تصريح خطير: "الذي رآني فقد رأى الآب". إن نفس الإنسان تطبع تأثراتها, وصفاتها, وإرادتها, على صحيفة جسده, كذلك صفات الله, وإرادته, ومقاصده, تجلت في المسيح الذي هو "صورة الله غير المنظور". على أن جوهر الله لا يرى.

لو لم يكن المسيح إلهاً, لما جاز له أن يفوه بهذا التصريح.

السهم الثالث – توبيخ خاص: "فكيف تقول أنت ألانا الآب"؟ النبرة في هذه الكلمات, واقعة على كلمة "أنت". كأني بالمسيح يقول لفيلبس: لو صدرت هذه الكلمة من غيرك, لكان وقعها هيناً, أما أن تصدر منك أنت يا من أطعت أمري منذ بدء خدمتي (١: ٤٣ و٤٤), فوجدت في شخصي ملتقى نبوات الله ومواعيده (١: ٤٥)؟! فهذا لا يطاق. إذ كيف تلجأ أنت, عند ختام خدمتي, إلى طلب آية منظورة لتتحقق بها من صدق أقوالي (١: ٤٦)؟.

عدد ١٠. السهم الرابع – توضيح صريح: "ألست تؤمن أني أنا في الآب, والآب في"؟ إن في طلب فيلبس من المسيح, أن يريه الآب,

فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

اعترافاً ضمنياً من فيلبس بأن المسيح في الآب, والآب فيه. وإن لم يكن المسيح ذلك, فلن يبقى في طاقته أن يجيب يلبس إلى طلبه. هذا مفاد قول المسيح لفيلبس: "ألست تؤمن"؟ بل هذا ما كان يجب أن يؤمن به فيلبس, حتى ولو لم يطلب هذه الطلبة, لأن المسيح سبق فقرر هذه الحقيقة على مسمع من جميع تلاميذه, بما فيهم فيلبس.

"أنا في الآب, والآب في". إن الآب والابن أقنومان متميزان. وأن الاتحاد بينهما, تام في القصد, والعمل, ولا يجوز فيه الانفصال, لأن لهما جوهرً واحداً. وأن موضوع الإيمان الذي توقعه المسيح من فيلبس, له ركنان: أولهما: "أنا في الآب" – أي المسيح أخلى نفسه, ليحيا في الآب. ثانيهما: "الآب في" – أي أن الآب قد أودع كل ملء قدرته, وحكمته في المسيح الذي: "فيه يحل كل ملء اللاهوت" (كو ٢: ٩).

وعلى كل من هذين لركنين تبنى نتيجة مهمة, كما يظهر من باقي العدد, فالركن الأول – أي إخلاء المسيح نفسه ليحيا في الآب, تبنى عليه النتيجة الأولى وهي: "الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي". والركن الثاني – أي إبداع قوات اللاهوت في المسيح, تبنى عليه النتيجة الثانية وهي: "الآب الحال في هو يعمل الأعمال". فالنتيجة الأولى خاصة بأقوال المسيح كلها. والنتيجة الثانية تتعلق بأعماله وكل أعمال معجزاته.

هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. ١١صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا. ١٢اَلْحَقَّ

النتيجة الأولى سلبية: مفادها أن كل كلماته ليست من عندياته. والثانية إيجابية: مفادها أن كل معجزاته مصنوعة بإصبع الله.

عدد ١١. السهم الخامس – مطالبة حقة: "صدقوني ....". بناء على الحجتين اللتين أوردهما المسيح في العدد السابق, تقدم مطالباً تلاميذه, بأن يصدقوه: (١) يحق كلامه: "صدقوني إني في الآب والآب في". (٢) لسبب أعماله: "صدقوني لسبب الأعمال". إن كلامه يحمل في ذاته برهان صدقه. فكان من الواجب على التلاميذ أن لا يحتاجوا مع كلامه إلى برهان آخر. ولكن إذا لم يقتنعوا بحجة كلامه, عليهم أن يقتنعوا بحجة أعماله, المنبئة بطبيعة أقواله, والمؤيدة لصدقها. فمن لا يقنع بسمع أذنيه, عليه أن يقتنع بمرأى عينيه. لأن جلال أعمال المسيح, يشهد لكمال أقواله, وكمال أقواله يشهد لسمو طبيعته.

عدد ١٢ – ٢١ وعود التلاميذ: ثلاث مزايا تعود عليهم (١٤: ١٢– ٢١)

بعد أن أجاب المسيح على سؤالي توما وفيلبس, عاد إلى مواصلة كلامه الذي استهل به هذا الأصحاح, مشجعاً التلاميذ ومواسياً إياهم في اضطرابهم الذي أصابهم بسبب توقع افتراقه عنهم. فذكر لهم في هذه الأعداد ثلاث مزايا سيتمتعون بها متى غاب عنهم. الأولى – أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التلاميذ سيواصلون القيام بالأعمال التي ابتدأها المسيح, ويقومون بأعمال أعظم (١٤: ١٢ – ١٤).

الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:

والثانية – أن المسيح سيرسل إليهم معزياً آخر يمكث معهم (١٤: ١٥ – ١٧)

والثالثة – أن المسيح يأتي إلى التلاميذ بذاته (١٤: ١٨ – ٢١).

عدد ١٢ – ١٤. الميزة الأولى التي تعود على التلاميذ من افتراق المسيح عنهم – مواصلتهم أعماله وقيامهم بأعمال أعظم (١٤: ١٢ – ١٤). هذه الأعداد تصف: (١) طبيعة الأعمال التي تجري بعد صعود المسيح: "الحق الحق" – فاه المسيح بهاتين الكلمتين تقريراً للتصريح الممتاز الذي يعقبها (اطلب شرح ٣: ٣ و٥) – "أقول لكم.... الأعمال" – أي المعجزات – "التي أنا أعملها" – كانت هذه المعجزات ماثلة أمام المسيح والتلاميذ, كما لو كانت في حكم الحاضر, لا الماضي. "يعملها هو أيضا", ويعمل أعظم منها" ليست هذه الأعمال أعظم من أعمال المسيح في مظهرها ولا في فخامتها. – إذ لا تفاضل في المعجزات – بل في طبيعتها ومداها, لأنها في دائرة الروح: مثل تخليص ثلاثة آلاف في يوم واحد على يدي بطرس يوم الخمسين, لأن تخليص النفوس الهالكة, أعظم من إبراء الأجسام المريضة, وإقامة الأجساد الميتة. ولأن أعمال المسيح, كانت غالباً قاصرة على اليهود, لكن الأعمال التي أجريت على أيدي التلاميذ تمت في الأمم أيضاً. ويعتقد بنجال أنها أعمال أعظم في مظهرها أمام عيون الناس, مشيراً بذلك إلى المرضى الذين كانوا يستشفون بظل بطرس (أعمال ٥: ١٥), وبالمناديل التي كان يمسها جسد بولس (أعمال ١٩: ١٢).

مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي.

(٢) العامل الثانوي الظاهر في هذه الأعمال الأعظم – هو التلميذ المؤمن بالمسيح: "من يؤمن بي". هذا هو إيمان الثقة, والاتكال, والتسليم. وهو أرقى من إيمان التصديق الذي تحدث عنه المسيح في عدد ١١, بقوله: "صدقوني ..وإلا فصدقوني". وهل يكون التلميذ أعظم من معلمه, والعبد أكثر اقتداراً من سيده؟ إن الجواب على هذا السؤال نجده في الحقيقة التالية:

(٣) العامل الأول الخفي المحرك – هو المسيح الممجد "لأني ماض إلى أبي" (عدد ١٢). "فذلك أفعله" (عدد ١٣) .... "فإني أفعله" (عدد ١٤). فما نصيب أيدي التلاميذ في هذه المعجزات, بأكبر من نصيب يد الصبية الصغيرة التي تمسك بها يد أبيها فترسم بها أبدع الصور, أو توقع بها أجمل الألحان. لم يكن في الإمكان القيام بهذه المعجزات الأعظم إلا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد ذهاب المسيح إلى الآب. عند ذاك تكون ذبيحة المسيح الفدائية قد قبلت بقبول السماء إياه, ويكون حائط السياج المتوسط بين الأمم واليهود, قد أزيل. ويكون المسيح قد تمجد, فيرسل الروح القدس ليملأ التلاميذ والكنيسة فيتم اتحاد التلاميذ بالمسيح, ويكون في استطاعتهم حينئذ أن يواصلوا عمله الذي بدأه على الأرض (أعمال ١: ١). (انظر أيضاً يوحنا ٧: ٣٩) وكما أن الأغصان الشجرة لا تقوى على الإتيان بثمار إلا إذا اتحدت اتحاداً حيوياً بالكرمة, كذلك لا تجود الكرمة بثمرها إلا عن طريق الأغصان الحية ١٣وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالِابْنِ. ١٤إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي

المتحدة بها. (٤) نصيب التلاميذ في القيام بهذه الأعمال الأعظم – الصلاة باسم المسيح: "مهما سألتم باسمي" (عدد ١٣) ... "إن سألتم شيئاً باسمي" (عدد ١٤). هذه أداة الاتصال بين العامل الثانوي والعامل الأولي في هذه المعجزات. على أن الصلاة باسم المسيح, لا يراد بها مجرد ذكر اسم المسيح في نهاية الصلاة أو في بدايتها, وإنما يراد بها الصلاة في روح المسيح, واستحقاقاته, بل في شخصه, كما لو كانوا هم هو – كل هذا في نور الإعلانات الجليلة التي أفضى بها إليهم عن شخصه وعمله, لأن اسم شخص ما, لا يعبر عن الحروف التي يتركب منها هذا الاسم وكفى, بل يشتمل الذات, والصفات, والمقام, والمؤهلات, المعروفة عنه. في صلبه عنا, قام مقامنا, ليحق لنا أن نقوم مقامه متى طلبنا شيئاً لأجل ملكوته. (٥) الغاية القصوى من إتيانه هذه الأعمال الأعظم: "ليتمجد الآب بالابن". ذلك لأن المسيح لم يؤسس ملكوتاً لأجل مجد الآب. فالإيمان به, يدعم الإيمان بالآب (١٤: ١), وتمجيد اسمه, تمجيد للآب, فهو والآب واحد (١٠: ٣٠).

في عدد ١٤, قرر المسيح مؤكداً ما سبق فقاله في عدد ١٣. ولعل النبرة واقعة على كلمة: "أفعله". فمع أن الصلاة مقدمة إلى الآب, إلا أن المجيب عنها هو المسيح العامل

باسمه وسلطانه. فالتلاميذ يصلون باسم المسيح, والمسيح يعمل باسم الآب.

فَإِنِّي أَفْعَلُهُ.١٥«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا

كرر المسيح هذا الوعد: (أ) للتوكيد. (ب) لبيان مدى اتساع الوعد: فإن كلمة "مهما" لا حد لها. (ج) لبيان أن المجيب هو المسيح.

عدد ١٥ – ١٧. الميزة الثانية – المسيح يرسل معزياً آخر ليمكث معهم: هذه هي ميزة المزايا, فهي أس كل المزايا التي يتمتع بها التلاميذ بعد صعود سيدهم عنهم. في هذه الأعداد أبان المسيح لتلاميذه:

(١) الشرط الأدبي لخطواتهم بهذا المعزي الآخر: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب" (عدد ١٥). يتضمن هذا الشرط بذرة وثمرها, أما البذرة فهي محبة التلاميذ للمسيح,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأما الثمرة فهي حفظهم وصاياه. أو قل أن هذا الشرط يتضمن أساساً هو المحبة, والبناء هو الطاعة, وعلى هذا الأساس بني الكلام في عدد ١٧. إن الوصايا التي يطالبهم المسيح بحفظها هي التزامات المحبة التي وضعها المسيح عليهم مدة اتباعهم إياه, وبخاصة في هذه الليلة الأخيرة. وبما أنها التزامات,فلا يستطيعون القيام بها إلا بقوة المحبة التي أفاضها السيد عليهم, فجاءت محبتهم له صدى صوت محبته لهم, ولا فضل لهم. لأن الفضل للمتقدم. لقد أحبنا هو حتى الموت, أفكثير علينا إذا نحن أحببناه حتى الحياة؟!

ليس في قول المسيح لهم "إن كنتم تحبونني ...." إنكار لمحبتهم له, ولا إظهار لتشككه في هذه المحبة, بل حض على المزيد منها. زكما سبق فحضهم على المزيد من الإيمان به (عدد ١), استحثهم هنا على المزيد من المحبة له.

وَصَايَايَ ١٦وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ

وقد كرر المسيح هذا القول – ولكن بصورة أخرى – في عدد ٢١. فالكلام في عدد ١٥ يبدأ بالبذرة ويصل منها إلى الثمرة – فالبذرة الحية تجود بثمر حتماً, والكلام في عدد ٢١ يتناول الثمرة ويرجع بها إلى البذرة – فالثمرة تنم عن البذرة: "من ثمارهم تعرفونهم".

عدد ١٦. (٢) العلة الفعالة لخطوة التلاميذ بالمعزي الآخر – شفاعة المسيح. "وأنا أطلب من الآب" – هذا ركن من أركن شفاعة المسيح. وموضوع هذه الشفاعة: عطية الروح القدس للتلاميذ. على أن كلام المسيح في هذا العدد, لا يتعارض مع قوله في ١٦: ٢٦ "في ذلك اليوم تطبون باسمي ولست أقول لكم إني أنا اسأل الآب من أجلكم". فالكلام هنا يشير على ما قبل يوم الخمسين. لكن الكلام في ١٦: ٢٦ يشير إلى ما بعد يوم الخمسين حين يكون الروح القدس قد حل بملء في التلاميذ ليمكث فيهم إلى الأبد. فلا يبقى بعد مجال لأن يتشفع المسيح عن التلاميذ بشأن عطية الروح القدس لهم.

(٣) أوصاف المعزي الآخر. في عددي ١٦ و١٧ وصفه المسيح وصفاً سداسياً – أ – في عمله: "معزياً" – الكلمة المترجمة "معز" وردت في الإنجيل خمس مرات – في أربع منها, قيلت عن الروح القدس (١٤: ١٦ و٢٦ و١٥: ٢٦ و١٦: ٧) وفي الخامسة عن المسيح(١ يوحنا ٢: ١). الكلمة الأصلية "باركليتوس" تتضمن ثلاثة معان: "المستعان" و"المعزي" و"الوكيل" - في القضاء - أو الأفوكاتو. وليس فيها على الإطلاق شيء من

لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ

معنى الحمد. نقول هذا بمناسبة زعم بعضهم أن المسيح إنما أنبأ في هذه الآية بمجيء نبي العرب, مرتكنين فعلاً إلى ما جاء في سورة الصف آية ٦ "ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد". ورداً على هذا نكتفي بإيراد حجتين – أولاهما: أن الأوصاف المنسوبة إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المعزي في يوحنا ١٤: ١٦ و١٧, تتناقض كلياً والأوصاف المعروفة عن نبي العرب في: (١) أن المعزي روح لا يراه العالم ولا يعرفه وأما نبي العرب هو إنسان رآه العالم وعرفه. (٢) أن المعزي يمكث بشخصه مع المؤمنين, على الأبد, وأما نبي العرب فقد مات, وقبره معروف أمره, وإليه يحج كثيرون من أتباعه في كل عام مرة. (٣) أن المعزي أرسل إلى تلاميذ المسيح وهم يهود جنساً وأما نبي العرب فقد جاء إلى العرب. (٤) أن الغاية القصوى من رسالة الروح هي تبكيت العالم عن خطية عدم الإيمان بالمسيح (يوحنا ١٦: ٩), والشهادة للاهوت على محاولة هدم لاهوت المسيح.

والحجة الثانية هي: أن معنى الكلمة الأصلية المترجمة "المعزي" ينقض هذا الرأي من أساسه. ذلك لأن معناه الأساسي: "الوكيل". وواضح من سورة الإسراء آية ٥٤, أن نبي العرب ليس بالوكيلً: "وما أرسلناك عليهم وكيلاً", كما أنه يتضح جلياً من سورة النساء آية ٨٠, أن الله وحده هو الوكيل: "وكفى بالله وكيلاً", وبما أن كلمة "الوكيل" قد نسبت في الإنجيل إلى الروح القدس, وإلى المسيح (١ يوحنا ٢: ١), فهذه شهادة ضمنية من القرآن للاهوت المسيح.

إِلَى الأَبَدِ ١٧رُوحُ الْحَقِّ

وفوق هذا, فإننا نهمس في آذان أخوتنا الذين يزعمون هذا الزعم, مسرين إليهم بأن حسبانهم ما جاء في الإنجيل عن "المعزي" منطبقاً على نبيهم, يعتبر اعترافاً ضمنياً منهم بأن نبيهم هو رسول المسيح. لأن المسيح يقول فيه "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم" (يوحنا ١٥: ٢٠), فينتج عن هذا أن المسيح هو الله, الذي يرسل الأنبياء والمرسلين.

ولنعد الآن إلى الوصف الثاني الذي به وصف المسيح المعزي: (ب) في أقنومية: "آخر" – فالمسيح هو المعزي الأول الذي مكث مع التلاميذ بالجسد مدة خدمته على الأرض (لوقا ٢: ٢٥). هذا دليل على أن الروح القدس أقنوم([١]) ذاتي لا مجرد تأثير. فهو الأقنوم الثالث في اللاهوت القائم مقام المسيح في الكنيسة, بعد صعوده. (ج) في مدة عمله: "ليمكث معكم إلى الأبد" – على خلاف مدة إقامة المسيح معهم بالجسد. فإنها كانت قصيرة. وأما إقامته معهم بالروح, فإلى جيل الأجيال (متى ٢٨: ٢٠). هذه الإقامة الروحية, تمت للتلاميذ, وتتم للكنيسة بواسطة الروح القدس.

عدد ١٧. (د) في لقبه, وطبيعته, ومصدره – "روح الحق" – أي الروح الذي يبلغ الحق إلى روح الإنسان, ويرشد إلى الحق (١٥: ٢٦ و٢٦: ١٣ و١ يو ٤: ٦) – مقابل روح الضلال الذي يبث الضلال في الأذهان والقلوب. ويراد أيضاً بـ"روح الحق", روح المسيح الذي هو"الحق" (١٤:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. ١٨لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى.

٦), فكلمة: "الحق" تصف الروح في طبيعته, وفي مصدره (هـ) في موقف العالم إزاءه – الذين هم في الضلال: "الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه". بما أن العالم مشبع بروح الضلال فمن الطبيعي أن لا يقبل روح "الحق". ولأنه مغلوب بالمادة, فقد عميت عيناه عن أن يرى "روح" الحق. ولأنه "قد وضع في الشرير", فلا يقدر أن يعرف "روح الحق". يراد "بالعالم" الناس الذين باعوا أنفسهم للعالم, وتشبعوا من روحه, فصاروا ماديين أو طبيعيين (١ كو ٢: ١٤ و١: ٢١ و٢ كو ٤: ٤). من أجل ذلك "لا يستطيع العالم أن يقبل" الروح القدس – قبول الإيمان (١: ١١ و١٢) "لأنه لا يراه" – لأن البصيرة الروحية منعدمة فيه. "ولا يعرفه" – معرفة التمييز, والتحقق, والاختبار. (و) في موقف التلاميذ تجاهه – الذين هم في النور: "وأما أنتم فتعرفونه" – مذ أن عرفتموني فعرفتموه من كلامي, وأعمالي, واختبرتموه يوم ولدتم الولادة الجديدة (٣: ٥ و٦). "لأنه ماكث معكم" – الآن, للعون والتعضيد. "ويكون فيكم" – بعد أن تمتلئوا به يوم الخمسين, للتقوية, والتعزية. قبل يوم الخمسين كان الروح مع التلاميذ ليسندهم, وبعد يوم الخمسين صار في التلاميذ نبع قوة فياض.

الميزة الثالثة: المسيح يأتي إلى التلاميذ بذاته: (١٤: ١٨ – ٢١).

عدد ١٨. (ا) وعد جليل – إتيان المسيح إلى التلاميذ: "لا أترككم.

إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. ١٩بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضاً وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي.

إني آتي". إن لهذا الوعد جانبين – أولهما سلبي: "لا أترككم يتامى". هذه كلمة والد يفيض قلبه حنواً على أولاده, قبيل تركه إياهم (١٣: ٣٣). إن كلمة: "يتامى", لها وجهان أحدهما

مظلم – يصف حالة التلاميذ التاعسة بعد مبارحة المسيح لهم. والآخر منير – يرفع التلاميذ إلى مصاف الأبناء. أما الجانب الثاني من هذا الوعد فهو إيجابي: "إني آتي إليكم". في اعتقادنا أن هذا الوعد منصرف إلى مجيء المسيح إلى تلاميذه بالروح القدس يوم الخمسين. على أن بعض المفسرين يميلون إلى الاعتقاد بأن هذا المجيء تم تدريجياً على دفعات, كما في ١٤: ٣. فاطلب شرحه في موضعه. ومع أن الروح القدس معز آخر, إلا أن مجيئه إلى التلاميذ, يعتبر مجيئاً روحياً للمسيح بذاته. هذا وان مجيء المسيح روحياً لا يمنع كونه مجيئاً ذاتياً أيضاً, لأن "الرب (لمسيح) هو الروح" (٢ كورنثوس ٣: ١). وهذا لا يمنع كون المسيح أقنوماً, والروح القدس أقنوماً آخر, حال كونه أيضاً "روح المسيح".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٩. (ب) امتياز خاص – غروب شمس المسيح عن العالم, وشروقها على التلاميذ: "بعد قليل" - هذا القليل ينقص عن يوم. لأن المسيح قال هذا الكلام ليلة النهار الذي رفع فيه على الصليب, ومن ثم رفع إلى المجد. "لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فترونني". إن هذا الوعد الجليل, الذي حرم منه العالم, قد تم للتلاميذ, على صورة جزئية ابتدائية يوم قيامة المسيح من الأموات, حين ظهر لخاصته – دون العالم. وقد تم أيضاً على

إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ. ٢٠فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي

صورة أبقى وأوفى, يوم الخمسين, حين رأى التلاميذ سيدهم بعيون الإيمان. هذا اليوم الثاني هو المقصود بقوله: "في ذلك اليوم".

إن المسيح الممجد, والآتي إلى تلاميذه سيكون لهم أيضاً مصدر قوة وحياة: "إني أنا حي فأنتم ستحيون". من المهم أن نلاحظ الفرق بين الكلمة التي قالها المسيح عن نفسه: "أنا حي", وتلك التي عبر بها عن اختبار التلاميذ: "ستحيون". فالمسيح "حي" في الماضي, والحال, والاستقبال. فالموت الذي اعترى جسده, لم يجد إلى إماتته سبيلاً, ولكن التلاميذ سيتمتعون بفيض الحياة الروحية عندما يمتلئون من روح المسيح. إن كون المسيح حياً, مكن التلاميذ من رؤيته. ورؤية التلاميذ إياه, بعثت في نفوسهم الحياة.

إن حياة المسيح ضمان لحياة المؤمنين, فهي عربونها. وإن حياة التلاميذ مستمدة من حياة المسيح, فهي ثمرتها.

عدد ٢. (ج) علم يقيني – النور الذي سيصيبهم من إشراق المسيح عليهم: "في

ذلك اليوم" – يوم الخمسين حين يأتي إليهم المسيح بروحه الأقدس متمماً ما وعدهم به في عدد ١٨, "تعلمون" – علم اليقين والاختبار لا بسمع الأذان (قابل هذا بما جاء في ١٦: ٢٥). هذا العلم مثلث: (١) علمهم بأن المسيح في الآب: "أني أنا في أبي" – أي أن المسيح يحيا في الآب. ويتكلم باسمه و يعمل بسلطانه. فهو متحد وإياه اتحاداً حيوياً (١٠: ٣٨). (٢) علمهم بأنهم هم في المسيح: "وأنتم في" – أي

وَأَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. ٢١اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي

أنهم أحياء في المسيح, ومتحدون به, وثابتون يه. هذا أكبر ضمان لأمنهم, ومصدر قداستهم, وأساس قبولهم لدى الآب. (٣) علمهم بأن المسيح فيهم: "وأنا فيكم" – ومورد شجاعتهم, وضمان نجاحهم. هذه بعض "عظائم الله" التي تكلم بها بطرس يوم الخمسين (أعمال ٢: ١١). (قابل هذا بما جاء في يوحنا ١٧: ٢١ و٢٣ و١ يو ٣: ٢٤).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢١. (د) شرط تمتعهم بإشراق المسيح عليهم: "الذي عنده وصاياي ...". إن الكلمة المركزية في هذه الآية هي "يحبني". ومن هذه الكلمة يمتد الجزء الأول من هذه الآية, ويتفرع الجزء الثاني. فالجزء الأول خاص بعلامة المحبة أو برهانها: "الذي عنده وصاياي ويحفظها". والجزء الثاني متعلق بمكافأة المحبة المطيعة: "يحبه أبي. وأحبه أنا. وأظهر له ذاتي". أما الجزء الأول فقد سبق المسيح وصرح به في عدد ١٥ – ولكن بصيغة أخرى. في عدد ١٥, أبان لهم أن حفظهم وصاياه شرط لازم لطلبه الروح القدس ليمكث معهم, وفي عدد ٢١ أوضح لهم أن حفظهم وصاياه شرط لازم لإظهاره ذاته لهم. بإرساله الروح القدس إليهم. "الذي عنده وصاياي" – كذخر في أعماق نفسه, "ويحفظها" – عملياً كنبراس لحياته

فقد برهن بذلك على أنه يحبني. هذا برهان محبة التلميذ للمسيح.

أما مكافأة محبة التلميذ للمسيح, فهي مثلثة: (١) إنها تجعله موضوع

يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي».٢٢قَالَ لَهُ

محبة الآب الخاصة: "يحبه أبي". بما أن المسيح, هو موضوع مسرة الآب, فكل من يحفظ وصاياه, يصير موضوع محبة الآب الممتازة, وهي غير تلك المحبة العامة المذكورة في ٣: ١٦ "هكذا أحب الله العالم". تلك تمثل بمحبة جار لجاره الذي اعتدى عليه وأساء له. وأما هذه فهي محبة الأب لأبناء بيته. تلك عامة. وهذه خاصة. (٢) إنها تصيره موضوع محبة المسيح الممتازة: "وأحبه أنا". ن المحبة الممتاز التي يختص الله بها حافظي وصايا المسيح, تربط المسيح وإياهم برابطة قوية متينة, وتزيد حب المسيح لهم بعد إذ صاروا موضوع عناية الآب الخاصة.

من النتيجتين السابقتين اللتين تكافأ بهما محبة التلميذ للمسيح, تتفرع نتيجة ثالثة, وهي: (٣) إظهار المسيح ذاته لتلميذه. من أجل ذلك يستطيع التلميذ أن يرى المسيح ويعرفه, في الوقت الذي لا يستطيع العالم أن يراه فيه. هذا هو التجلي الروحي الذي لم يفهمه "يهوذا الاسخريوطي" فسأل وتساءل. وعلى الرغم من سؤال يهوذا وغيره, لم يتحول المسيح عن قصده الذي رسمه في هذا الخطاب الوداعي, ب اتخذ من كل سؤال أداة لمتابعة كلامه, فكان كربان سفينة ماهر اقتاد سفينته من غير أن تؤثر في اتجاهها التيارات المعاكسة, بل استعانت بهذه التيارات على بلوغ غرضه.

المحادثة الرابعة – بين المسيح ويهوذا الاسخريوطي" المعلنات المسيحية: شرطها, وأستاذها, وأسلوب أستاذها في التعليم: (١٤: ٢٢ – ٢٦).

عدد ٢٢. (ا) سؤال يهوذا ليس الاسخريوطي: "قال له يهوذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يَهُوذَا لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِيَّ: «يَا سَيِّدُ مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا

ليس الاسخريوطي". عرف هذا التلميذ باسمه "يهوذا" في هذه البشارة وفي كتابات لوقا (لوقا ٦: ١٦ وأعمال ١: ١٣). وعرف بلقبيه: لباوس وتداوس – أي الشجاع والمعزز – في كتابات متى (مت ١٠: ٣). ومرقس (مر ٣: ١٨). ولقد حرص يوحنا على أن يحفظ لهذا الاسم – ومعناه المحمود – نقاوته التي دنسها الاسخريوطي بفعلته الشنعاء, فقال البشير: "يهوذا ليس الاسخريوطي". ولعله ذكر هذه العبارة ليبعد عن فكر القارئ احتمال عودة الاسخريوطي إلى زمرة التلاميذ بعد أن خرج "وكان ليلاً" (١٣: ٣٠). وربما أورد البشير هذه العبارة, لأن يهوذا الاسخريوطي كان اكثر شهرة من يهوذا الآخر – للأسف! وهكذا يشتهر الناس بأعمالهم البارزة, إن في قائمة الخير أو الشر. أما الذين لا يتحمسون لا لهذا ولا لذاك, فهؤلاء يصيرون نسياً منسياً.

لقد دل سؤال هذا اليهوذا الغير الاسخريوطي على ما كان في قلبه من انتظارات خاطئة من جهة "مسيا المنتظر". فقد كان يتوقع مع كثيرين غيره من التلاميذ, أن المسيح سيظهر ذاته لخاصته وللعالم معاً, بأن يقيم نسه ملكاً أرضياً, سياسياً, مادياً. وإذ سمع يهوذا قول المسيح: "بعد قليل لا يراني العالم. وأما أنتم فترونني"..."والذي يحبني أظهر له ذاتي" ١٤: ١٩ و٢١), شعر كأن آماله وانتظاراته في المسيح قد خابت, وأحس أن برنامج المسيح قد تغير فجأة لسبب ما, فأراد أن يسأل عن هذا السبب

وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟» ٢٣أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي

قائلاً: "ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا" – وحدنا – "وليس للعالم"؟ كان سؤال يهوذا مؤلفاً من شطرين: أحدهما اختصاص المسيح تلاميذه بهذا الإعلان الممتاز. وثانيهما حرمان العالم منه. على أن يهوذا, بدلاًً من أن يشكر سيده على امتياز نعمته, لوى عنقه سائلاً: "ماذا حدث؟!" وكذلك الإنسان بوجه عام!

عدد ٢٣ و٢٤. (ب) جواب المسيح "أجاب يسوع وقال له ....". في جواب المسيح على سؤال يهوذا, واصل كلامه الذي انتهى إليه قبل أن يسأل يهوذا سؤاله, فكرر في عدد ٢٣ الشرط الذي وضعه في عدد ٢١ – يكاد هذا خير جواب على الشطر الأول من سؤال يهوذا "ماذا حدث حتى ..؟. تظهر ذاتك لنا؟. وفي عدد ٢٤ قرر بصيغة سلبية ما سبق فصرح به في عدد ٢٣ بصورة إيجابية – هذا جوابه على الشطر الثاني من سؤال يهوذا: "وليس للعالم؟".

عدد ٢٣ شرط التمتع بالمعلنات المسيحية: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي, هذا هو الشرط الذي تفرضه محبة التلميذ لسيده. حفظ كلام المسيح في أعماق القلب, لا في الذاكرة على

 All rights reserved © 2008-2018

ظهر القلب. على أن محبة التلميذ لسيده, وإن كانت تفرض شيئاً على التلميذ, فإنها تجلب له مكافآت وامتيازات. فمنها: (١) محبة الآب له: "يحبه أبي". راجع عدد ٢١. (٢) إتيان الابن والآب إليه: "وإليه نأتي". إن في قول المسيح عن نفسه وعن الآب "نأتي" لأكبر دليل على لاهوت المسيح. (قابل هذا مع ١٠:

وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. ٢٤اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كلاَمِي. وَالْكلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٢٥بِهَذَا كَلَّمْتُكُمْ

٣٠ و٢٠: ١٧). (٣) سكن الابن والآب مع التلميذ المحب المطيع, سكناً دائماً: "وعنده نصنع منزلاً". هذا يماثله كلام المسيح في لوقا ١٧: ٢ "ها ملكوت الله داخلكم", وعلى نسق قوله في رؤيا ٣: ٢٠ "إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي". إن قول المسيح "نصنع منزلاً", يعيد إلى ذاكرتنا كلامه في غرة هذا الأصحاح: "في بيت أبي منازل كثيرة" (١٤: ٢). هنا على هذه الأرض, يصنع الله "منزلاً" عند المؤمنين ويسكن معهم. في السماء, يسكن المؤمنون مع الله في "المنازل" السماوية. فالحل الأولى إعدادية للثانية, وفي كلتيهما تنازل من الله ومجد للمؤمنين. (لمزيد الإيضاح, راجع تفسير ١: ١٤).

عدد ٢٤. علة حرمان العالم من المعلنات المسيحية, ومسئوليته. أما علة الحرمان فهي: "الذي ر يحبني لا يحفظ كلامي". لأنه لا يستطيع, ولا يريد. ذلك لأنه في واد ووصايا المسيح في واد آخر. أما مسؤولية العالم في عدم حظ كلام المسيح, فهي: أن كلام المسيح ليس من عندياته, وإنما هو كلام الآب الذي أرسله. "والكلام الذي تسمعونه" – الآن وفي كل المناسبات السابقة – ليس لي" أي لم ابتدعه أنا من ذاتي – "بل للآب الذي أرسلني".

عدد ٢٥ و٢٦. المعلنات المسيحية – أستاذها وأسلوبه في التعليم: في عدد ٢٥, قرر المسيح لتلاميذه أنه في الوقت الحاضر, كلمهم هو بشخصه: "بهذا كلمتكم وأنا عندكم", وفي عدد ٢٦, أبان لهم أن "المعزي" سيكون

وَأَنَا عِنْدَكُمْ. ٢٦وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ

العامل في هذه المعلنات في المستقبل. فالمسيح تكلم في الحال, والمعزي سيعلم ويذكر في الاستقبال. المسيح تكلم "بهذا" أي بكلمات مركزة قد لا تكون مفهومة تماماً, لكن الروح القدس سيعلمهم "كل شيء" ويذكرهم بكل ما قاله لهم.

على أن المعزي ليس منفصلاً عن المسيح بل متحداً به اتحاداً وثيقاً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(١) في شخصه لأنه سيأتيهم مرسلاً من الآب "باسم المسيح". فكما أن المسيح متحداً اتحاداً تاماً بالآب, وجاء باسمه (٥: ٤٣ و١٠: ٢٥), هكذا المعزي متحداً اتحاداً تاماً بالمسيح وسيأتي باسمه. إن مهمة المسيح هي إظهار الآب للناس. ومهمة المعزي هي إظهار المسيح للكنيسة وللعالم. ويراد بـ"اسم" المسيح: - ذاته, ومقامه, وصفاته, وكل ما يتصل بهذا الاسم المبارك, من سلطان وأعمال. ويجوز أن يكون معنى كلمة بـ"اسمي" أن الآب سيرسل الروح القدس إجابة لشفاعة المسيح (عدد ١٦).

أما اسم المعزي فقد ذكره المسيح كاملاً في هذه الآية: "الروح القدس". كلمة "القدس" تصف طبيعة الروح, وتعين نوع عمله – فهو مقدس الكنيسة ومهيأ إياها للمسيح. هذه هي المرة الوحيدة التي ورد فيها هذا الاسم كاملاً في هذه البشارة. وقد ورد في مواضيع عدة في سائر البشائر (مت ١٢: ٣٢ ومر ٣: ٢٩ ولوقا ١٢: ١٠ و١٢ ومر ١٣: ١١ ومت ٢٨: ١٩).

(٢) في أسلوبه: "فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته

وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.٢٧«سلاَماً

لكم". مع أنه يظهر كأن عمل الروح القدس أوسع من عمل المسيح, إذ قيل "يعلمكم كل شيء", إلا أن الروح, في الواقع, لا يأتيهم بشيء لم يكن موجوداً, بل يعلمهم كل شيء عن طريق تذكيره إياهم بكل ما قاله لهم المسيح. إن عماد أسلوبه, هو الاكتشاف, وليس الاختراع. فالتعليم والتذكير يسيران معاً ويغذي أحدهما الآخر, لأنه إذ يعلمهم ويذكرهم, وكلما ذكروا, ازدادوا علماً.

إن كلام المسيح لهم شبيه بالبذار, لكن تعليم الروح لهم, شبيه بتغذية هذه البذار, وإنمائها حتى تستحيل إلى ثمار.

عدد ٢٧ – ٣١. كلمة ختامية للشطر الأول من الخطاب الوداعي – سلام المسيح في وجه العواصف والمهاجمات (١٤: ٢٧ – ٣١).

عدد ٢٧. سلاماً! – بهذه الكلمة تستهل التحية, ويختتم الوداع. على أنها في فم المسيح أضحت أكثر من تحية وأجمل من وداع, فاستحالت إلى بركة, وتركة, وعطية: "سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم". في عددي ٢٥ و٢٦ قدم المسيح لتلاميذه نوراً جلا به ما غمض عليهم من كلامه, وفي الأعداد التي أمامنا أخلف لهم تركة مجيدة, ومنحهم منحة خالدة, لمواجهة العواصف التي تصادمهم, والصعاب التي تصادفهم في مستقبل الأيام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السلام خير ميثاق عقده الله قديماً مع فينحاس ونسله من بعده: "هاأنذا أعطيه ميثاقي, ميثاق السلام" (عدد ٢٥: ١٢). وهو خير ما ترك المسيح لتلاميذه وكنيسته. قال ماثيو هنري: "قبل أن يغادر المسيح هذا العالم, رتب

أَتْرُكُ لَكُمْ. سلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا.

وصيته. فترك روحه للآب, وجسده ليوسف الرامي ونيقوديموس. وثيابه للجنود الذين صلبوه. وأمه ليوحنا الحبيب, وأما التلاميذ, فلم يترك لهم ذهباً ولا فضة, وإنما ترك لهم ما هو أثمن وأنقى وأبقى – إذ ترك لهم سلامه".

السلام هو اطمئنان القلب, على رغم ما يحيط به من عوامل القلق. أساس هذا السلام, المصالحة مع الله. وشعاره التسامح مع الناس. ورمزه, راحة الضمير. هذا هو السلام الذي اشتراه لنا المسيح بموته على الصليب, إذ صالحنا مع الله, ووضع لنا المثل الأعلى في التسامح, ووهبنا راحة الضمير.

"سلاماً أترك لكم" – هذا هو السلام العام الذي أنتجته كفارة المسيح. "سلامي أعطيكم" – هذا هو السلام المشتق من قلب المسيح المطمئن الهادئ, وهو خير هدية منه للمؤمنين به. فهو هبة مستمدة من كنز قلبه الطاهر الصفوح. هنا أعطى المسيح سلامه لتلاميذه, وفي لوقا ١٠: ٥ و٦. قلد تلاميذه سلطان إعطاء السلام للناس.

"سلاماً أترك لكم سلامي أعطيكم" – وهل في قلب الحزن المخيم, وفي مواجهة الصليب, وأما العواصف المقبلة, يليق التحدث بالسلام؟ أي نعم! وإن لم يكن السلام ذلك, وجب أن يكون كذلك. هذا هو الفرق بين السلام الذي يهبه المسيح, والسلام الذي يعطيه العالم: "ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا". إن العالم يكتفي بأن "يلقى" السلام بكلمة جوفاء لا شيء فيها من الاطمئنان أو السلام. لكن المسيح يعطي السلام حقاً. العالم يعطي السلام

لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ. ٢٨سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ

- كمجرد أمنية. لكن المسيح يهب سلامته لتلاميذه هبة أكيدة. العالم يعطي سلاماً ظاهرياً, بمحاولته أن يحسن الظروف المحيطة بالإنسان – وهيهات! لكن المسيح يعطي سلاماً عميقاً قلبياً وسط كل انزعاج واضطراب, كالواحة في قلب الصحراء القاحلة الجرداء. ومن المهم أن نذكر أن للمسيح سلاماً يعطيه – فهو إذاً يعطي مما يملك: "سلامي". وأما العالم فلا سلام له. فهو يحاول أن يعطي مما لا يملك. فالسلام محذوف من عطية العالم: "سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم". فأي شيء يعطيه العالم؟ إنه يعطي الصدفة من غير اللؤلؤة. والقشور مجردة من اللب. والمصباح خالياً من النور. أما المسيح, فانه يعطي النبع

 All rights reserved © 2008-2018

الفياض وسط الصخور والأحجار. لذلك أردف كلامه بالقول: "لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب". فردد النغمة التي بها استهل هذا الأصحاح, مؤكداً ومقرراً: "لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب" فالرهبة وليدة الاضطراب. أما سبب عدم اضطرابهم وعدم رهبتهم, فقد أوضحه المسيح في العددين التاليين:

عدد ٢٨ و٢٩. انطلاق المسيح عن التلاميذ, ينبغي أن يكون موضوع فرحهم, وعزاء إيمانهم: "... لكنتم تفرحون .. وتؤمنون". لم يكتف المسيح بأن أوصى تلاميذه بعدم الاضطراب, وعدم الرهبة, بل انتظر منهم فرحاً إيجابياً, وإيماناً قوياً: "لكنتم تفرحون .. حتى متى كان تؤمنون". "سمعتم إني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم" – (عدد ٢ و١٢

لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. ٢٩وَقُلْتُ لَكُمُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. ٣٠لاَ أَتَكَلَّمُ أَيْضاً مَعَكُمْ كَثِيراً لأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي

و١٨) - "لو كنتم تحبونني" - محب مجردة من حب ذواتكم. على مثال محبتي لكم - "لكنتم تفرحون" – لأجلي, ولأجل أنفسكم بالتالي - "لأني قلت أمضي إلى الآب. لأن أبي أعظم مني". ليست المقارنة هنا بين الآب والابن في الطبيعة, فهما فيها متساويان, ولا في الجوهر فان لهما جوهراً واحداً, ولا في المقام فمقامهما واحد. لكنه قارن بين ذاته في حال الاتضاع والتجسد, وبين الآب في مجده الأعلى. أو قل إن المقارنة قائمة بين المسيح في حال اتضاعه وبينه هو نفسه في حال الارتفاع والمجد, لأن الابن ذاته سيعود إلى الآب ليتمتع بالمجد الذي أخلى نفسه منه عند التجسد, ويسترد السلطان الذي تنحى عنه طوعاً واختياراً, أثناء وجوده على الأرض. من أجل ذلك رغب المسيح إلى تلاميذه أن يجعلوا عودته إلى المجد موضوع فرحهم, وغذاء إيمانهم (١: ١- ١٨).

عدد ٣٠ و٣١. نظرة إلى قلب المسيح – برارته, ومحبته, وطاعته, وشهامته: "لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً" – فالوقت ليس وقت الكلام, بل وقت الصراع الذي ينتظرني. غير أني لا أخشى هذا الصراع فأنا واثق من النصرة قبل دخولي المعمعة "لأن رئيس هذا العالم" – أي الشيطان – "يأتي وليس له في شيء". هذا دليل قويم على شعور المسيح ببرارته التامة وخلوه من كل شبه شر. وهل يجرؤ أقدس قديس على القول: "ليس له في شيء"؟!

وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ. ٣١وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الآبَ وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ. قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ هاهنا».

وهل يقوى المسيح نفسه على أن يقول هذا القول لو كان مجرد إنسان؟! "ليس له في شيء" – أي ليس له سلطان, ولا رياسة, ولا ملكية, لأي شيء في. ولو كان للشيطان أي شيء في المسيح, لكان له عليه حق الموت,وبهذا الحق كان يذهب المسيح إلى الصليب جبراً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

واضطراراً, لا طوعاً واختياراً "لأن أجرة الخطية هي الموت". أما وأن المسيح أبر من البر نفسه, فلم ذهب إلى الصليب إذاً؟ الجواب في هذه الكلمات: لكن ليفهم العالم أني أحب الآب, وكما أوصاني الآب هكذا أفعل".. إذاً رغبة المسيح في تفهيم العالم مقدار كمال محبته وولائه للآب, هي التي تقدمت به إلى الصليب. فليست حبال الجند الرومان, هي التي أوثقت يدي المسيح, بل هي حبال محبته للآب, وطاعته الكاملة له. إذ كان في إمكانه أن لا يصلب لو لم يرد!

أما شهامة المسيح فقد تجلت في قوله لتلاميذه "قوموا ننطلق من هنا" وهو عالم أنه منطلق لمواجهة يهوذا الخائن, ورؤساء الكهنة الأشرار, وبيلاطس المراوغ, وهيرودس اللاهي, والجنود القساة القلوب. على أنه لم يذكر شيئاً عن هؤلاء. إنما ذكر الشيطان. لأنهم كانوا آلات يحركها الشيطان.

"قوموا ننطلق من هنا" – لم يترك المسيح تلاميذه وحدهم, بل ذهب وإياهم – ما خلا يهوذا – إلى وادي قدرون – وإلى جثسيماني, ومنها ذهب وحيداً إلى الجلجثة – وإلى القبر – وإلى المجد!.

---

(١) كلمة "أقنوم" سريانية الأصل: "قناماً" ومعناها شخص أو ذات.

حديث الطريق

اَلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ عَشَرَ

ص ١٥ و١٦

فاه المسيح بالكلمات التي بها اختتم الأصحاح السابق, وقام مع تلاميذه من العلية حيث أكل عشاء الفصح الأخير مع تلاميذه. وتحدث إليهم أحاديث أعذب وأحلى من لذيذ الأطايب, وشهي الطعام. فانطلق وإياهم قاصداً جبل الزيتون, فاجتازوا شوارع أورشليم الضيقة في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سكون الليل الرهيب, وبدر العيد في تمامه يحيي "شمس البر" قبيل وقت غروبه, وغالباً عرجوا في طريقهم على الهيكل الذي كانت أبوبه مفتوحة طوال ليالي العيد فلمحوا لآخر مرة, تلك الكرمة الذهبية التي كانت تزين باب الهيكل وترمز إلى مجد إسرائيل (تاريخ يوسيفوس). ومن هناك ساروا في الطريق المؤدي إلى وادي قدرون وكانت لأرضه يومئذ منزرعة بكثير من الكروم, فانتحى وإياهم بقعة هادئة في ذلك المكان. وهنالك استأنف حديثه الوداعي الذي مررنا بالقسم الأول منه في ١٣: ٣١ – ١٤: ٣١, وكان تلاميذه ي هذا القسم الثاني من الحديث, مستمعين في صمت رهيب, من غير أن يجرأ أحدهم على مقاطعته بسؤال أو استفهام, إلا مرة واحدة أرادوا فيها أن يسألوه فملكتهم الرهبة, واكتفوا بأن يهمسوا إلى بعضهم البعض بما كانوا يضمرون (١٦: ١٧), فتساءلوا من غير أن يسألوا (١٦: ١٩). أما المسيح فقد استهل هذا الجزء من الحديث باستعارة مستمدة من البيئة المحيطة بالتلاميذ – سواء أكانت الكرمة التي على باب الهيكل, أم كروم وادي قدرون, فقال: "أنا الكرمة الحقيقية"..

١«أَنَا الْكَرْمَةُ

يتضمن هذا الجزء ثلاثة أفكار رئيسية: أولاً. مقام التلاميذ في المسيح (١٥: ١ – ١٧). ثانياً. موقف العالم تجاه التلاميذ (١٥: ١٨ – ١٦: ٤). ثالثاً. النصرة التي سيظفر بها الروح القدس على العالم بواسطة التلاميذ (١٦: ٥ – ١٥). كلمات ختامية (١٦: ١٦ – ٣٣).

ويجوز أن ننظر إلى هذا الجزء نظرتنا إلى جعبة فيها سبعة سهام نورانية: (١) التلاميذ ولمسيح (١٥: ١ – ١١). (٢) التلاميذ وبعضهم البعض (١٥: ١٢ – ١٧). (٣) التلاميذ والعالم (١٥: ١٨ – ١٦: ٤). (٤) العالم والمعزي (١٦: ٥ – ١١). (٥) المعزي والتلاميذ (١٦: ١٢ – ١٥). (٦) حزن يستحيل إلى فرح (١٦: ١٦ – ٢٤). (٧) نصرة بعد كسر (١٦: ٢٥ – ٣٣).

السهم الأول – التلاميذ والمسيح (١٥: ١ – ١١). هذا سهم سباعي:

عدد ١ – ٣. (١) الاتحاد الحي الذي بين التلاميذ والمسيح – التلاميذ في المسيح, والمسيح فيهم, كالأغصان في الكرمة والكرمة في الأغصان: "أنا الكرمة الحقيقية". هذا هو الإعلان السابع في هذه البشارة, وبه تختتم سباعية التصريحات المجيدة التي أفضى بها المسيح إلى تلاميذه عن ذاته: "أنا الكرمة الحقيقية". لقد تباينت أراء المفسرين في تعيين الكرمة الغير الحقيقية التي اتخذ منها المسيح مناسبة خارجية لقوله: "أنا الكرمة الحقيقية". فجمهور المفسرين الذين يعتقدون بأن المسيح لم ينتقل من العلية بعد قوله: "قوموا ننطلق من هاهنا", يظنون أن الفادي, حين قال "أنا الكرمة الحقيقية",

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الْحَقِيقِيَّةُ

كان ناظراً إلى كرمة طبيعية كانت أغصانها وثمارها متدلية على جوانب العلية. أو أن المسيح استعار هذا المجاز من نتاج الكرمة الذي استعمل في العشاء الأخير. ويعتقد هنجستنبرغ أن المسيح قصد أن يقابل بين نفسه وكنيسته, وبين إسرائيل الذي كان يرمز إليه بالكرمة في العهد القديم (أشعياء ٥: ١ ومزمور ٨٠: ٩). ونميل نحن إلى الاعتقاد بأن المسيح كان يشير ضمناً إلى الكرمة الذهبية التي كانت تزين باب الهيكل, أو إلى كرمة كانت منزرعة في وادي قدرون (انظر مقدمة هذا الأصحاح). إن قوله: "الكرمة الحقيقية" معناه الكرمة الروحية, الحاملة في ذاتها نموذج الكمال.

وقد اختار المسيح الكرمة([١]) – دون غيرها من الأشجار – لأنها تضل سواها في تأدية المعنى الذي أراده. فالكرمة غنية بعصارتها, سخية بثمارها التي هي خير غذاء, وبهجة, وعزاء. وفي الكرمة لا تجد حداً فاصلاً بين جذعها وأغصانها. ولا قيمة لأغصان الكرمة إلا في ثمارها. بخلاف أغصان سائر الأشجار. وقد قال باسيلوس في عظته الشهيرة بـ"عظة المستشفى": "إن الكرمة وهي تمد أذرعها على خشب "كربال" العنب, تحمل صورة معنوية للمسيح وهو ممدود الذراعين على خشبة العار والهوان".

الكلمة: "الكرمة" تعني الجذع والأغصان معاً. مثل كلمة "الجسد" في ١ كو ١٢: ١٢ حيث تعني المسيح والكنيسة معاً. ووجه الشبه الرئيسي

وَأَبِي الْكَرَّامُ. ٢كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ وَكُلُّ مَا يَأْتِي

بين المسيح والكرمة هو النظام الحيوي الذي به تصير حياة الجذع, حياة للأغصان أيضاً.

"وأبي الكرام" – أشار المسيح بهذه العبارة إلى أن الله الآب قد أرسله إلى العالم, وجعله في تدبير الفداء مصدر حياة للعالمين, وبه أسس الكنيسة التي هو ملكها, ومالكها, وحارسها, ومتعهدها بأعمال العناية, وبروح قدسه. وقد شبه الله بالكرام في مزمور ٨٠: ٩ ومتى ٢١: ٣٣ ومرقس ١٢: ١ ولوقا ٢٠: ٩.

عدد ٢. الكرام يتعهد الكرمة: "كل غصن في ....". إن الكرام ينزع الغصن الميت, الذي ليس في حقيقته غصناً. بل له صورة الغصن واسمه. فهو مثبت في الكرمة تثبيتاً آلياً صورياً, وليس ثابتاً فيها ثبوتاً حياً. وأما الغصن المثمر فإن الكرام يتعهده بالتنقية, ليحفظ عصارته من أن تتوزع عبثاً في أطرافه المترامية, فتتركز في اللمة وهي في دور التكوين, فتستحي إلى ثمر كثير. يستنتج هنجستنبرغ أن الغصن الغير المثمر هو الأمة الإسرائيلية. على أن هذا بعيد الاحتمال. وفي اعتقادنا أن الغصن الغير المثمر هو يهوذا, وأولئك "التلاميذ" الذين انصرفوا عن المسيح بعد حديثه عن الخبز الحي (٦: ٦٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن العضو الأمثل, قد ينتزع من كنيسة المسيح بسبب تجربة لا يقوى عليها, أو بسبب قصاص يوقعه الله عليه في هذه الحياة, أو بفأس الموت.

وأما العضو الحي فهو موضوع تأديبات الله ي هذه الحياة. والتأديب

بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. ٣أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. ٤اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ.

غير القصاص. فالنزع قصاص. لكن التنقية تأديب. وقد يكون المؤمن موضوع تأديبات الله في وقت فتور بعد نهضة, أو تواكل بعد انتعاش, أو بسبب انصراف قواه إلى اتجاهات جسدانية. فمن فرط حب الله له, بل من علامات رضاه عنه, أنه ينقيه لتصير حياته الروحية منصرفة إلى الثمر الروحي, وأدوات التنقية, هي أعمال العناية, والكلمة.

عدد ٣. المسيح يطبق الجانب المنير من هذا المبدأ على التلاميذ "أنتم ...." لئلا يتبادر إلى ذهن التلاميذ شك في ما إذا كانوا هم من الأغصان الغير المثمرة أم من الأغصان المثمرة, تداركهم المسيح بلطفه, فقال: "أنتم الآن أنقياء". هذا دليل على أنهم من الأغصان المثمرة لا الغير المثمرة. ومن فرط لطفه لم يشأ أن يتركهم تحت مرارة التخوف من ألم التنقية, بل قرر لهم مؤكداً أنهم "الآن أنقياء". فإذاً هم أغصان مثمرة منقاة. "لسبب الكلام الذي كلمهم به". لأن "كلام المسيح حي وفعال وأمضى من كل سيف ذي حدين, وخارق إلى مفرق النفس, والروح, والمفاصل, والمخاخ, مميزً أفكار القلب ونياته" (عب ٤: ١٢). (انظر يوحنا ٥: ٢٤ و٨: ٣١ و٣٢ و١٢: ٤٨).

عدد ٤. (٢) الناموس الذي يفرض هذا الاتحاد الحي – الثبوت المتبادل "أثبتوا في وأنا فيكم". إن الثبوت المتبادل بين الغصن والكرمة, هو ناموس حياة الغصن, وهو الشرط اللازم لإتيانه بثمر. وقد أفرغ المسيح هذا الناموس في صيغة واجب مفروض على التلاميذ القيام به, باعتبار كونهم أغصاناً في المسيح الكرمة الحقيقية "أثبتوا في .... كما أن الغصن لا يقدر

كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ

أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا في". يراد بثبوت المؤمن في المسيح, مثابرته على الإيمان به, وتسليم حياته له, مجردة عن كل حكمة جسدية أو إرادة نفسانية أو بر ذاتي. ويراد بثبوت المسيح في المؤمن امتلاك المسيح للمؤمن امتلاكاً تاماً, وامتلاء المؤمن منه امتلاء لا يعرف نقصاناً. فيحيا المؤمن – ولكن بحياة المسيح, ويفكر – ولكن بفكر المسيح, ويحب ويبغض – لا بقلبه هو, بل بقلب المسيح. كما قال بولس الرسول "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإيمان, إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (غلاطية ٢: ٢٠). إن ثبوت المؤمن لازم لثبوت المسيح في المؤمن. وأن ثبوت المسيح في المؤمن, نتيجة طبيعية لثبوت المؤمن في المسيح, وشرط لازم لحياة المؤمن وإتيانه بثمر. فإذا ما وضعنا قطعة من الإسفنج في الماء, قلنا إن الإسفنجة في الماء, والماء في الإسفنجة. فوجود الإسفنجة في الماء شرط لازم لوجود الماء في الإسفنجة. وقس على ذلك.

"أثبتوا في" – عندما دعا المسيح تلاميذه في غرة خدمته الجهرية قال لهم: "هلموا ورائي". وفي قلب خدمته , دعا بعضاً منهم وأخذهم معه إلى جبل التجلي. وعند ختام خدمته, قال لهم جميعاً: "اثبتوا في" – هذه ثلاث درجات متصاعدة. فالتلاميذ كانوا أولاً سائرين وراء المسيح, ثم تقدموا درجة فصاروا في معيته, ثم ارتقوا درجة أسمى فصاروا فيه. هاتان

كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. ٥أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ

الكلمتان: "في المسيح", هما مفتاح كنوز المعلنات الإلهية الجلية في العهد الجديد, وعلى نوع خاص في رسائل بولس الرسول, التي كانت كثيرة الذيوع والانتشار قبل أن تكتب هذه البشارة الرابعة. فقد وردت هاتان الكلمتان في العهد الجديد ١٣٠ مرة, وفي رسائل بولس ٦٠ مرة..

	الإنسان الطبيعي	المؤمن, في المسيح		الإنسان الطبيعي	المؤمن, في المسيح
	تحت الناموس	حر من الناموس		عبد للخطية	قديس بلا دنس
	تحت غضب الله	مصالح مع الله		في المستنقعات	في السماويات
كولوسي رسالة رومية	تحت الدينونة	لا دينونة عليه	تسالونيكي أفسس	يخشى المنون	منتظر لقاء الحبيب
	ناقص في كل شيء	مملوء في المسيح		في ظلمة القبر	في نور الفردوس
	ميت بالخطايا	مقام مع المسيح		بعيداً عن الله	مع الركب كل حين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٥. (٣) تطبيق هذا الناموس "أنا الكرمة وأنتم الأغصان". كرر المسيح في هذا العدد تصريحه الذي فاه به في العدد الأول: "أنا الكرمة", على سبيل التوكيد, مبيناً فيه صلة التلاميذ به كما بين في العدد الأول صلة الآب به. فقال في العدد الأول: "أنا الكرمة وأبي الكرّام" قال في هذا العدد: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان". وما قاله في العدد الرابع, عن الأغصان, خصصه ي العدد الخامس للتلاميذ. فأفهمهم أنهم ليسوا إلا أغصاناً, وحذرهم من أن يتوهموا يوماً أنهم الكرمة, فيستقلوا بأنفسهم

لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً. ٦إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجاً كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ.

عنه. لأنهم "بدونه لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً". فالمسيح هو الكل في الكل, والتلاميذ ليسوا شيئاً, إلا فيه, وبه.

عدد ٦. (٤) عقاب التفريط في هذا الناموس "إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه في النار فيحترق". إن الوقت الذي أفضى فيه المسيح بهذا الحديث إلى تلاميذه, يوافق وقت "تقليم" الكروم في فلسطين. وكان على مقربة من المسيح والتلاميذ وقتئذ, في زادي قدرون, كثير من الأغصان الجافة. مطروحة هناك والنيران تلتهمها. وغالباً, نطق المسيح بهذه الكلمات, وهو يوجه أنظار التلاميذ إلى هذا المشهد.

في هذه الكلمات ذكر المسيح خمس درجات للقضاء على الغصن الغير المثمر – أ – "يطرح خارجاً". هذه الدرجة, يقابلها في الروحيات طرد الخوارج والغير المستعدين (متى ٨: ١٢ و٢٢: ١٣) ... - ب – "فيجف". الجفاف يكنى به عن حالة الإنسان بعد أن يفارقه روح الله (عب ٦: ٦). _ ج _ "ويجمعونه". هذا كناية عن عمل ملائكة الدينونة في اليوم الأخير (متى ١٣: ٤١). – د – "ويطرحونه في النار". هذا رمز إلى عذابات الضمير والذاكرة وما إليها. – هـ - "فيحترق". بهذه الدرجة الختامية يسدل الستار على أولئك الذين ادعوا الإيمان بالمسيح من غير حق.

٧إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ. ٨بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ

عدد ٧ و٨. (٥) مكافأة الاحتفاظ بهذا الناموس. "إن ثبتم في". في هذين العددين ذكر المسيح مكافأتين للثبوت فيه:

(١) المكافأة الأولى: الصلاة حسب إرادة الله: "إن ثبتم قي وثبت كلامي فيكم تطلبون ....". استعاض المسيح بقوله "كلامي" عن قوله "أنا" جاعلاً في مقام شخصه. "تطلبون ما تريدون فيكون لكم". إن ثبوت كلمة المسيح في قلب المؤمن, يعرف المؤمن إرادة الله,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويجرده عن إرادته الذاتية, فلا يطلب ما لنفسه بل ما لله. وأن صلاة هذا وصفها, إلهي محققة القبول. فهي عبارة عن مواعيد الله مفرغة في قالب طلب, وهي حاملة جوابها في ثنايا طلبها. ومن المهم أن نذكر أن المسيح أبان للتلاميذ أن أول خطوة في أثمارهم هي الصلاة – فهي أساس أعمالهم, وهي خير ضمان لنجاحهم.

تعود أغسطينوس أن يقول: "اللهم هبني نعمة بها أجعل إرادتك إرادتي, فتجعل إرادتي إرادتك".

(٢) المكافأة الثانية: الإتيان بثمر كثير: "بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي" (عدد ٨). إن إتيان التلاميذ بثمر كثير له دلالته ونتيجته. أما دلالته فهي أنه حجة تلمذتهم الحقة وشعارها. "فتكونون تلاميذي" أي فتكونون أهلاً للاسم الشريف الذي تحملونه. وأما نتيجته فهي أنه يؤول إلى تمجيد الآب "بهذا يتمجد أبي". وأي شيء يعود على

فَتَكُونُونَ تلاَمِيذِي. ٩كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذَلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. أُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. ١٠إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي

الكرام بالمجد أكثر من إتيان كرمه بثمر كثير؟!

وكما أن الكرمة لازمة للأغصان, لأن الأغصان تستمد منها عصارتها. كذلك الأغصان لازمة للكرمة لأن الكرمة تقدم ثمارها للعالم بواسطتها وعن طريقها.

عدد ٩ و١٠. (٦) المثل الأعلى للثبوت في المحبة. "كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا ....". أمامنا في هذين العددين ست حقائق منقسمة إلى صفين متوازين. وكل حقيقة في الصف الأول, أساس للحقيقة التي تليها في صفها, ونموذج كمال للحقيقة التي تقابلها في الصف الثاني, وإليك البيان:

(١) محبة الآب للمسيح	(١) محبة المسيح للتلاميذ
(٢) ثبوت المسيح في محبة الآب له	(٢) ثبوت التلاميذ في محبة المسيح لهم
(٣) ثبوت المسيح في محبة الآب له	(٢) ثبوت التلاميذ في محبة المسيح لهم
يقوم بحفظهم وصاياه	يقوم بحفظهم وصاياه

فمحبة الآب للمسيح, مبنية على كمال الاتحاد بينهما, وهي مثال لمحبة المسيح لتلاميذه في عمقها, وسموها, وطهارتها, وأزليتها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وثبوت المسيح في محبة الآب نتيجة لمحبة الآب له, ومثال لثبوت التلاميذ في محبته. فكما أن المسيح فتح قلبه الرحب لمحبة الآب له, وأفسح لها كل مجال لتتغلغل في كل جوانبه, وثبت فيها, كذلك على تلاميذ المسيح أن يفسحوا قلوبهم لمحبته لتدخل أنوارها وتنير كل زاوية فيها. ومتى قبل التلاميذ

كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. ١١كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَيْ يَثْبُتَ

محبة المسيح لهم, وأحلوها المكان الأول في قلوبهم. فإنها تولد في قلوبهم محبة له من نوع محبته لهم, وعلى قياسها. لأن محبتنا للمسيح ليست سوى قبول أنوار محبة المسيح إلى قلوبنا.

وكما أن ثبوت المسيح في محبة الآب يقوم بحفظه وصايا الآب, باعتبار كون المسيح فادياً متجسداً, كذلك ثبوت التلاميذ في محبة المسيح ينبغي أن يقوم أيضاً بحفظهم وصايا المسيح باعتبار كونهم تلاميذه.

ومن الأهمية بمكان ألا ننسى أن المسيح تكلم في حفظه وصايا الآب باستعماله الفعل الماضي: "حفظت". لأن حياته الأرضية كانت وقتئذ في دور الانقضاء. ولكنه في تكلمه عن ثبوته في محبة الآب, استعمل الفعل الحاضر المستمر: "أثبت" فلا انقضاء لمحبة الآب له, ولا نهاية لثبوته هو في هذه المحبة.

عدد ١١. (٧) الثبوت في المحبة, هو سر الفرح الكامل: "كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم". لئلا يتبادر إلى ذهن التلاميذ. إن في ثبوتهم في محبة المسيح, إرهاقاً لهم, وتثقيلاً عليهم, قرر لهم الفادي أنه إنما تحدث إليهم عن ثبوتهم في محبته, لكي يشاطروه فرحه الذي يتمتع به هو, نتيجة ثبوته في محبة الآب: "لكي يثبت فرحي فيكم, ويكمل فرحكم". وكما أن فرح المسيح كامل بسبب كمال طاعته للآب, كذلك أراد هو أن يكون فرح التلاميذ كاملاً, بسبب طاعتهم الكاملة لوصاياه. فالمحبة أساس الطاعة,

فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ.١٢«هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي

والطاعة سر الفرح المستديم, الفياض. إن قول المسيح: "فرحي", يقابله قوله: "سلامي" في ١٤: ٢٧. وبما أن الشيء يلد نظيره, فينتج من هذا, أن الفرح الذي يتمتع به المسيح نتيجة ثبوته في محبة الآب, متى دخل إلى قلوب التلاميذ وثبت فيها, ولد فيها فرحاً من نوعه, وإن لم يكن بمقداره. هذا مراده من قوله .... "فرحكم".

السهم الثاني – التلاميذ وبعضهم البعض (١٥: ١٢ – ١٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الكلام المتضمن في السهم الأول (١٥: ١ – ١١) تقابله الكلمات المكتوبة في اللوح الأول من الشريعة الأدبية – واجبات الإنسان نحو الله. والكلام المتضمن في هذا السهم الثاني (١٥: ١٢ – ١٧) تقابله الكلمات المكتوبة في اللوح الثاني من الشريعة – واجبات الإنسان نحو الإنسان. إن الكلمة المركزية في هذه الأعداد, هي قوله: "هذه وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً", إذ بها تستهل هذه الأعداد, وبها تختتم (عدد ١٢ و١٧). هذه هي الحقيقة المتضمنة في عدد ١٢, والموضحة في الأعداد التي تليه. لأن ما قاله المسيح في عدد ١٣ – ١٦, يعتبر شرح لقوله: "كما أحببتكم" (عدد ١٢).

عدد ١٢. المحبة – لزومها ومثالها: "هذه هي وصيتي ....". يتضح لزومها من قول المسيح "هذه هي وصيتي ...". كأن لا وصية له سواها. (اطلب تفسير ١٣: ٣٤). ليس بعجيب أن المسيح لم يوص تلاميذه, قبل تركه إياهم, بأنظمة وترتيبات وعقائد – مع أن هذه كلها لها قيمتها في بابها.

أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ. ١٣لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ

ولكنه أوصاهم بالمحبة. ومن أوصى بالمحبة فقد أوصى وزاد. فهي أس الفضائل, وتاج الخصال

ورباط الكمال. أما مثال المحبة فقد بينه المسيح في قوله: "كما أحببتكم". هذا مثال المحبة في الباعث عليها, وفي ماهيتها, وقياسها, وغايتها. نعم إن محبتنا بعضنا لبعض, لا يمكن أن تكون من نوع محبة المسيح لنا في كفارتها, لكن في إمكاننا أن نحب بعضنا بعضاً حباً, يهون علينا فيه البذل لأجل الآخرين. فلئن تعذر على محبتنا أن تكون بحراً, فلا أقل من أن تكون قطراً. على أنه لا فضل لنا في محبتنا بعضنا لبعض, فهي محبة مستمدة من طبيعة نسبتنا إلى بعضنا البعض باعتبار كوننا أغصاناً حية في الكرمة الواحدة.

أما قياس هذه المحبة التي علت فوق كل قياس, فظاهر من كونها:

عدد ١٣. (١) محبة مضحية بنفسها: "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" – هذا أقصى ما تصل إليه محبة البشر, ولكن محبة المسيح قد ضربت الرقم القياسي المعروف في سجل التاريخ البشري, لأن المسيح أحبنا "ونحن أعداء" (رومية ٥: ١٠). فوا عجبي من هذه المحبة الشديدة التي سلطت أشعتها على من كانوا بالطبيعة أعداء فصيرتهم "أحباء!". إن الذين خلع عليهم المسيح لقب "أحباء", هم بعينهم الذين وصفهم بولس الرسول بقوله: "أعداء" (رومية ٥: ١٠). وإنما المسيح وصفهم من حيث شعوره هو نحوهم – فهم أحباؤه المحبوبون منه, ولكن بولس وصفهم في شعورهم نحو الله – فهم أعداء الله في أفكارهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ. ١٤أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ

وتصوراتهم, وأعمالهم: "وأنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن" (كولوسي ١: ٢١). لم يمض على قول المسيح: "يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" سوى يوم أو بعض يوم, حتى صار هذا القول في حيز الفعل – على الصليب. ولقد أوضحنا كلمة "يضع نفسه" في شرح ١٠: ١١ فاطلب تفسيرها هنا.

الكلمة الأصلية المترجمة "أحباء" يجوز أن تترجم إلى: "أصدقاء وأصفياء". ويقول ستراخان إن وظيفة رسمية كانت في وقت المسيح معروفة في البلاط الروماني, يتقلدها شخص ممتاز يقال له "صفي الإمبراطور". ولعل أقرب الوظائف إليها, وظيفة "كبير الأمناء" في مصر.

عدد ١٤. برهان المحبة الصادقة: "أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به". هذا توكيد لقول المسيح في عدد ١٠ "إن حفظتم وصاياي. تثبتون في محبتي". بما أن في المحبة طرفين – المحب والمحبوب, فعلى كل فريق منهما أن يقوم بما تفرضه عليه المحبة من واجبات. أما المسيح فقد قام بما أوجبته المحبة وزاد "فوضع نفسه لأجل أحبائه". وأما التلاميذ الذين هم الطرف الثاني, فعليهم أن يظهروا محبتهم لسيدهم بحفظهم وصاياه. فطاعتهم له برهان حبهم له. على أن طاعتنا للمسيح ليست علة محبته لنا, ولا هي أساسها – فقد أحبنا فضلاً إذ كنا بعد "ضعفاء" و"خطاة" (رومية٥: ٦ و٨), لكنها برهان محبتنا له, ووسيلة تمتعنا بمحبته لنا, وشرط دوامها لنا, وثبوتها

بِهِ. ١٥لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي
أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي. ١٦لَيْسَ

فيها. وقد لاحظ مكلارن أن كلمة "أحباء" كما وردت في عدد ١٣, تعني "محبوبي المسيح" ولكنها في عدد ١٤ تعني "محبي المسيح".

عدد ١٥. (٢) محبة رافعة: "لا أعود أسميكم عبيداً". مع أننا عبيد المسيح شرعاً وحقاً, لأننا صنعة يديه, ولأننا قد "اشترينا بدمه الكريم" (١ كورنثوس ٦: ٢٠ و٧: ٢٣ و١ بطرس ١: ١٩), إلا أن محبته العالية قد رفعتنا من درجة العبيد إلى درجة الأصفياء. وبرهان ذلك, أن المسيح لم يعاملنا معاملة السيد لعبيده الذين ينتظر منهم طاعة عمياء لأوامره من غير أن يفهموا مرامها ولا اتجاهاتها, بل عاملنا معاملة الصفي لأصفيائه. "لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي". غير أن المسيح لم يفض إلى تلاميذه بكل الأسرار التي عنده بتفصيلاتها (١٦: ١٢), وإنما قدمها لهم في البذرة. لأن قابليتهم الروحية لم تقو على تحمل أكثر من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذلك. وأما ما بقي من التفصيلات الدقيقة فقد تركه للروح القدس "الذي يعلمهم كل شيء ويذكرهم بكل ما قاله لهم" (١٤: ٢٦).

إن كثيرين من المسيحيين كانوا في القرون المسيحية الأولى, عبيداً لسادة وثنيين. فما كان ألذ وقع كلمة المسيح هذه على مسمع هؤلاء العبيد وأمثالهم "لا أعود أسميكم عبيداً"؟ على أن هذا لم يمنع رسل المسيح من أن يفخروا بكونهم عبيد المسيح: "بولس عبد يسوع المسيح" (رو ١: ١).

عدد ١٦. (٣) محبة لها فضل الأسبقية: "ليس أنتم اخترتموني...".

أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ

في هذا العدد, أبان المسيح لتلاميذه أمرين مهمين: أولهما: العامل الأصلي في صيرورتهم أحباء له "ليس أنتم .. بل أنا". وثانيهما: القصد الأساسي من جعله إياهم أحباء له: "لتذهبوا ...". أولاً: العامل الأساسي في صيرورتهم أحباء له. أشار المسيح إلى هذا العامل سلبياً: "ليس أنتم اخترتموني", وإيجابياً "بل أنا اخترتكم وأقمتكم". فقد أحبهم فضلاً – والفضل للمتقدم. أراد بقوله "اخترتكم", انتخابهم لوظيفة الرسولية (٦: ٧ و١٣: ٨ ولوقا ٦: ١٢). و قصد بقوله "وأقمتكم", تثبيتهم وتنصيبهم في هذه الوظيفة, وتزويدهم بثمين نصائحه. ثُانياً: القصد الأساسي من جعلهم أحباء له: "لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم ... لكي يعطيكم الآب". هذا قصد مزدوج. الجانب الأول منه – الإتيان بثمر مستديم: (أ) "لتذهبوا" – الإشارة في هذه الكلمة منصرفة إلى قيام الرسل بمهمة الكرازة التي وضعها المسيح على عاتقهم قبيل انطلاقه من العالم. إن كلمة "لتذهبوا", تحمل معنى من معاني الاستقلال الذاتي, يمازجه الاعتماد التام على المسيح أثناء تأديتهم وظيفتهم باسمه. (ب) "وتأتوا بثمر". إن أثمارهم المنوه عنها هنا, هي إيصال الحياة الروحية التي حصلوا عليها, للآخرين ليصيروا شركاءهم فيها, فضلاً عما تتطلبه خدمتهم من قداسة السيرة والسريرة (ج) "ويدوم ثمركم" – هذا امتياز ثمرهم على الثمر الطبيعي, لأن الثمر الطبيعي يدركه الفساد عاجلاً. بل هذا امتيازهم عن الأشجار الطبيعية التي تجود بثمر في أحد فصول السنة وتظل عقيمة جرداء فيما بقي

ثَمَرُكُمْ لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي. ١٧بِهَذَا أُوصِيكُمْ حَتَّى

من السنة. أما هم, والمؤمنون, فعليهم أن يجودوا بثمار تغالب عوامل الفساد وتغلبها, وعليهم أيضاً أن يكونوا دائمي الإثمار فيجودوا بثمار في "وقت مناسب وغير مناسب". لأن بستان الحياة الروحية لا يعرف وقتاً غير مناسب للإثمار.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما الجانب الثاني من هذا القصد فهو استجابة صلواتهم: "لكي يعطيهم الآب كل ما طلبتم باسمي". لنا أن نعتبر هذه العبارة من الجهة الواحدة, مرتبطة بالعبارة السابقة, وتابعة لها – أي أن الإتيان بثمر مستديم يزيد التلميذ ثبوتاً في المسيح وبالتالي تستجاب كل صلواته (عدد ٧), ولنا أن نعتبرها من الجهة الأخرى مستقلة عن العبارة السابقة وسائرة معها جنباً إلى جنب – أي أن استجابة الصلاة ليست نتيجة الثمر المستديم, وإنما هي والثمر المستديم, نتيجتان متوازيتان ومتماثلتان لصيرورتنا أحباء المسيح.

عدد ١٧. غاية وصية المسيح لتلاميذه "بهذا أوصيتكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً". كل شيء يلد شيئاً من جنسه. وكذلك المحبة تلد المحبة.

إلى الآن رسم أمامنا نهر المحبة بمياهه البلورية اللامعة. نبعه: محبة الآب للمسيح. ومجراه: محبة المسيح للتلاميذ. ومصبه: محبة التلاميذ لبعضهم البعض. وقد مثلت أمامنا شجرة دانية القطوف فبذرتها: محبة الآب للمسيح. وجذعها: محبة المسيح للتلاميذ. وثمرها: محبة التلاميذ لبعضهم البعض.

السهم الثالث – التلاميذ والعالم (١٥: ١٨ – ١٦: ٤).

لكل نور ظل, وكلما كان النور باهراً, كان ظله قاتماً. إن حب المسيح

تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً.١٨«إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. ١٩لَوْ كُنْتُمْ

لتلاميذه, وحب تلاميذه له, وحبهم لبعضهم البعض, تنشأ عنها نتيجة عكسية – بغضاء العالم لهم. ومما يجمل بنا ذكره, أن المسيح,في كلامه عن محبته لتلاميذه, ومحبة تلاميذه له, ومحبتهم لبعضهم البعض, كرر كلمة "أحب" ومشتقاتها ١٢ مرة (١٥: ٩ – ١٧), وفي كلامه عن بغضاء العالم لتلاميذه وله كرر كلمة "أبغض" ومشتقاتها ٧ مرات (١٥: ١٨ – ٢٥) وكلا العددين كامل.

ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام رئيسية: أولاً: بغض العالم للتلاميذ (١٥: ١٨ – ٢٥). ثانياً: شهادة المعزي والتلاميذ في وجه العالم (١٥: ٢٦ و٢٧). ثالثاً: تطور وبغض العالم لهم إلى بغضاء واضطهاد (١٦: ١ – ٤).

أولاً: بغض العالم للتلاميذ (١٥: ١٨ – ٢٥). لم يقصد المسيح بكلامه في هذه الأعداد, مجرد إحاطة التلاميذ علماً ببغض العالم لهم, وإنما أراد أن يحصنهم ضد هذه البغضة لتكون نيرانها عليهم برداً وسلاماً, فحدثهم عن:

عدد ١٨. (١) طبيعة بغضة العالم لهم – إنها على مثال بغضة العالم للمسيح: "إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم". لقد أوضحنا المراد من كلمة "العالم" في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شرح ١٤: ٢٢. إن علم التلميذ بأن الآلام الواقعة عليه, قد وقعت على سيده من قبل, يملأ قلبه عزاء كاملاً, ويحمله على أن يفتخر بالآلام التي ترفعه إلى مستوى الشركة مع سيده.

عدد ٩. (٢) العلة الثانوية لبغضة العالم لهم – إنهم يختلفون عن العالم طبعاً:

مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ. ٢٠اُذْكُرُوا الْكلاَمَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ

"لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم, بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم" – وهذا أمر طبيعي لأن شبيه الشيء منجذب إليه. وبالعكس. في هذا العدد وضع المسيح اختباره إياهم مقابل بغض العالم لهم. فوضع العزاء مقابل العذاب.

إن في قول المسيح عن العالم: "يحب خاصته", دليلاً على أن حب العالم مطبوع بطابع حب الذات. علة خلاف محبة المسيح المضحية.

وأن "الاختيار" المقصود بقوله "اخترتكم من العالم". هو اختيارهم للإيمان, لا للرسولية. وهو يشير إلى انتخاب المسيح إياهم. وإفرازهم من العالم, عند دعوته إياهم في بدء خدمته. وهو لا يحمل شيئاً من معاني "الاختيار السابق".

لقد كرر المسيح كلمة "العالم" ٥ مرات في هذا العدد الواحد للتوكيد.

عدد ٢٠. (٣) تذكير مشجع على الاحتمال: "اذكروا الكلام الذي قلته لكم", غالباً يشير المسيح إلى كلام سابق لما قاله في ١٣: ١٦. ولعله يشير إلى المناسبة التي سجلها متى البشير (متى ١٠: ٢٤). إن كلامه المذكور في يوحنا ١٣: ١٦ يعتبر تشجيعاً لهم على التواضع. وأما ما جاء في متى

كلاَمَكُمْ. ٢١لَكِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ بِكُمْ هَذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِي لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٢٢لَوْ لَمْ أَكُنْ

١٠: ٢٤, فهو تشجيع على الصبر والاحتمال. إن ما صادفه السيد من أغضاء موجه إليه من الجماهير, وإصغاء مقدم له من الأفراد, سيكون مثالاً لما سيلقاه التلاميذ.

عدد ٢١. (٤) العلة الأساسية لبغض العالم لهم: "لكنهم إنما يفعلون ....". إن العالم يبغض التلاميذ المرسلين باسم المسيح. لأنه يبغضه المسيح. وإن العالم أبغض المسيح الذي جاءه مرسلاً من الآب, لأنه لا يعرف الآب الذي أرسله. فالعلة الدفينة لبغضة العالم للتلاميذ, راجعة إلى عدم معرفة العالم بالله, معرفة روحية, قلبية, خلاصية (إش ١: ٣). يراد بـ"اسم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح", خلاصة ما أعلنه المسيح عن ذاته لتلاميذه, وما سيعلنه التلاميذ للعالم عن سيدهم. ومن المحزن أن جهل اليهود بالآب, جعلهم ينظرون إلى المسيح كأنه جاءهم من تلقاء نفسه, مع أنهم رأوه. أنها لا تعمي الأبصار ولكنها تعمي القلوب التي في الصدور.

عدد ٢٢ – ٢٥. (٥) مسؤولية العالم في بغضته للمسيح وتلاميذه. ما أشد خطورة مسؤولية العالم في بغضته للمسيح وللتلاميذ أيضاً: (أ) لأن العالم أبغض المسيح على رغم شهادة كلامه الذي أتى به من الآب (عدد ٢٢ و٢٣). (ب) لأنه أبغض المسيح على رغم شهادة أعماله الفريدة (عدد ٢٤).

إن الحقائق الرباعية المتضمنة في عدد ٢٢ و٢٣ تتمشى جنباً على جنب مع نظيرتها في عدد ٢٤. وإليك البيان:

قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ وَأَمَّا الآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيَّتِهِمْ.

عدد ٢٢ و٢٣	عدد ٢٤
(١) حالة فرضية "لو لم أكن قد	"لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً"
"جئت وكلمتهم"	"لم يعملها أحد غيري"
(٢) النتيجة المترتبة عليها "لم تكن	"لم تكن"
"لهم خطية"	"لهم خطية"
(٣) حالة واقعية "وأما الآن"	"وأما الآن"
(٤) المسؤولية المترتبة عليها "فليس"	"فقد"
"لهم عذر في خطيتهم"	"رأوا"
"الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً"	"وأبغضوني أنا وأبي"

عدد ٢٢. (أ) رفضهم المسيح على رغم شهادة أقواله: إن كل امتياز يحمل معه مسؤولية مكافئة له, ومترتبة عليه. فالمسيح بمجيئه إلى العالم, أدخل معه مسؤولية جديدة. وحمل العالم وزراً لم يكن في حيز الوجود, لو لم يكن قد جاء المسيح. وإن هذا الوزر هو عدم الإيمان به مسيحاً وفادياً. هذه هي خطيئة العالم. التي سيبكته الروح عليها: "أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي" (١٦: ٩) على أن اليهود. بعدم إيمانهم بالمسيح. قد ملأوا مكيال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خطاياهم السالفة حتى الفيضان, فحسب عليهم ما تقدم من خطاياهم وما تأخر, مع أنهم لو كانوا قد قبلوا المسيح, لأذهبت هذه "الحسنة" كل سيئاتهم.

٢٣اَلَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي أَيْضاً. ٢٤لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ عَمِلْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالاً لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ
غَيْرِي لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ رَأَوْا وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي. ٢٥لَكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ
الْمَكْتُوبَةُ فِي

عدد ٢٣. شناعة خطية رفضهم المسيح. تظهر شناعة هذه الخطية في نور هذه الحقيقة الخطيرة: "الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً" يتميز الجهل (عدد ٢١) عن البغض (عدد ٢٣), في أن أولهما خطية سلبية. والثاني خطية إيجابية. أولهما هو الخطية في البذرة. والثاني هو الخطية في النضوج.

عدد ٢٤. (ب) رفضهم المسيح على رغم شهادة أعماله الفريدة. "لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري". يشير المسيح بهذه الأعمال الفذة إلى معجزاته التي لم يقو ولن يقوى سواه على أن يأتي بمثلها. فهي ممتازة في مرماها الروحي الخيري. وفي كونها صدرت عنه وهو على بعد, وفي توقفها على محض إرادته هو وإذنه الخاص, بخلاف موسى وسائر الأنبياء الذين صنعوا معجزاتهم بإذن الله, وقدرته.

عدد ٢٥. خطيتهم لا تدعو إلى العجب, فقد سبق ناموسهم وأنبأ بها: "لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة". ليس المراد بهذا القول. إن الباعث لهم على خطيتهم هو إتمام المكتوب – وإلا أصبحوا خالين من المسؤولية, وإنما يقصد بهذا القول أن ارتكابهم هذه الخطية – خطية بغضهم المسيح – جاء مصداقاً لنبوة قديمة. جرت بالوحي على لسان داود, وغايتها ترمي إلى المسيح عن بعد. وكذلك سائر النبوات المتضمنة في المزامير المصطبغة بصبغة

نَامُوسِهِمْ: إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ. ٢٦«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ

مسيحية. وقد نسب المسيح الناموس إلى اليهود, لأنهم افتخروا به مدعين أنهم قيمون عليه, حال كونه شاهداً عليهم. ومع أن هذه النبوة وردت في سفر المزامير (مز ٣٥: ١٩ و٦٩: ٤). إلا أن المسيح أطلق على هذا الجزء أيضاً كلمة "ناموس" (اطلب شرح ١٠: ٤٤). أما قوله "بلا سبب" فمعناه "بلا مسوغ". فالمسيح لم يرتكب ذنباً ولا جريرة, ولم يعمل سوى الإحسان والرحمة. وأما ذنبه الوحيد نحوهم, فهو أنه نور, وأنهم هم ظلام. والظلام يبغض النور. وكفى. هكذا أحب الله العالم – "بلا سبب", وهكذا أبغض العالم الله – "بلا سبب".

ثانياً: شهادة المعزي وشهادة التلاميذ في وجه العالم (١٥: ٢٦ و٢٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٦. (١) شهادة المعزي: "ومتى جاء المعزي ...". في هذا العدد تحدث المسيح عن الروح القدس في: (ا) وظيفته: "المعزي". اطلب شرح ١٤: ١٦. (ب) مرسله: " الذي سأرسله من الآب". أراد المسيح بهذا, إرساله الروح القدس, يوم الخمسين, حين أكمل عمله الفدائي, وجلس عن يمين العظمة في الأعالي (١٤: ١٦). إن قوله "من الآب" معناه من حضرة الآب. (ج) اسمه: "روح الحق". اطلب شرح ١٤: ١٧. (د) مصدره: "الذي من عند الآب ينبثق" الإشارة هنا إلى انبثاق الروح القدس منذ الأزل من عند الآب. إن قوله "أرسله من عند الآب" يختلف عن قوله "من عند الآب ينبثق". فأولهما يشير إلى عمل تاريخي تم يوم الخمسين. وثانيهما يشير إلى عمل أزلي تم قبل كون العالم. وقوله "من الآب"

رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. ٢٧وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الاِبْتِدَاءِ».

يختلف عن قوله "من عند الآب", في أن أولهما يشير إلى خروج الرسول من حضرة مرسله. وثانيهما يشير إلى خروج النهر من منبعه, أو صدور أشعة الشمس من جرمها. ومن المحزن أن هذه الحقائق المعزية جعلها الناس علة لشطر الكنيسة شطرين – غربية وشرقية! (هـ) المرسل إليهم: "إليكم" إن ضمير الجماعة في الكلمة "إليكم" يشمل الرسل, وجميع المؤمنين. (و) عمله الخاص: " فهو يشهد لي" في قلب هذا العالم الممتلئ بالبغضاء من نحوي, ليعلن لهم حقيقة أمري. هذه هي الشهادة التي أداها الروح القدس بقوة, يوم الخمسين, ولا يزال يؤديها بلسان خدامه إلى يومنا.

عدد ٢٧. ب) شهادة التلاميذ: "وتشهدون أنتم أيضاً .... إن أساس شهادة التلاميذ للمسيح هو معرفتهم التاريخية بالمسيح مذ عرفوه عند "ابتداء" خدمته الجهرية. فالتلاميذ يشهدون بما رأوا وسمعوا إلا أن هذا وحده لا يكفي. لأن معرفتهم التاريخية بالمسيح, معرفة جافة جامدة لا حياة فيها ولا نور. لذلك أرسل المسيح روحه ليبعث في معرفتهم حياة, وينير لهم ما كمن فيها. بذلك تصبح المعرفة التاريخية معرفة نورانية روحية, تصير هذه المعرفة النورانية الروحية, شهادة حية. فشهادة التلاميذ تسير جنباً إلى جنب مع شهادة الروح: "ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً (أعمال ٥: ٣٢).

إن شهادة الروح هي روح الشهادة. وشهادة التلاميذ, جسمها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(١) يقول ملر إنه رأى على زجاج إحدى نوافذ كنيسة أرباخ من أعمال ألمانيا, صورة صليب منغرس في تربة فنبت وترعرع واستحال إلى كرمة, فأضحى ذراعاه غصنين تتدلى منهما عناقيد فيها حياة وغذاء.

الروح المعزي

اَلأَصْحَاحُ السَّادِسُ عَشَرَ

هذا أصحاح المعزي. هذا فصل مطلعه شقاء, وقلبه شفاء, وخاتمته عزاء, ما أشبهه بيوم الطبيعة, يبدأ بالليل ويختتم بالنهار.

في هذا الأصحاح, واصل المسيح كلامه الذي انتهينا غليه في الصحاح السابق, فاستهله بذكر الاضطهاد, والتقتيل, والبغضاء, التي كان على التلاميذ أن يلاقوها في مقتبل الأيام, ليجعل من صفحة الألم, لوحة سوداء. يسطع عليها نور المعزي, بلمعان باهر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبما أن هذا الأصحاح مرتبط ارتباطاً حيوياً بسابقه, لذلك سنتابع فيه التفسير طبقاً للتقسيم الذي فصلناه في غرة الأصحاح السابق صفحة ٦٣٢.

عدد ١: ٤. تتمة الكلام عن التلاميذ والعالم. في ختام الأصحاح السابق, وعد المسيح تلاميذه بمجيء المعزي الذي سيقف معهم تجاه العالم المليء بالبغضاء نحوهم. وفي مقدم الأصحاح, استأنف كلامه عن بغضة العالم لهم حينما تكون قد اشتدت, واحتدت, ونضجت, فأثمرت طرداً, واضطهاداً, وتقتيلاً. في خاتمة الأصحاح السابق تحدث إليهم عن شعور العالم نحوهم. وفي مطلع هذا الأصحاح تكلم عن أفعال العالم, التي هي وليدة ذلك الشعور المرير. "سيخرجونكم ... كل من يقتلكم ... سيفعلون هذا بكم".

١«قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِكَيْ لاَ تَعْثُرُوا. ٢سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ

عدد ١. غاية المسيح من تحدثه إليهم عن بغضة العالم لهم, ومجيء المعزي. "قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا". في اعتقادنا أن كلمة: "هذا" تعني ما حدثهم به عن بغضة العالم لهم ومجيء المعزي (١٥: ١٧ ٢٧). ويعتقد الأسقف وستكوت أنها تعني كل كلام المسيح الذي أفضى به إلى تلاميذه عن اتحادهم به, وشركة آلامهم معه, وشهادتهم المتفقة وشهادة الروح. أما قصد المسيح من حديثه معهم, فقد أبانه في هذه الكلمات: "لكي لا تعثروا". وردت كلمة "يعثر" – في الأصل – مرتين في بشارة يوحنا – هنا وفي ٦: ٦١, وهي ترسم لنا صورة سائر في طريقه فتصطدم رجله بحجر أو حاجز. وهي تحمل إشارة معنوية إلى احتمال تزعزع ثقة التلاميذ بسبب ما يلقونه من تعذيب واضطهاد.

عدد ٢. بعض الاضطهادات – والباعث للعالم عليها – تقديم "قربان" لله: "سيخرجونكم من المجامع ... يظن كل من يقتلكم ...". ذكر المسيح نوعين من الاضطهاد – أ – اضطهاداً منصباً على مقام التلاميذ الديني والاجتماعي: "سيخرجونكم من المجامع" (اطلب تفسير ٩: ٢٢ و١٢: ٤٢). هذه درج أولى في برنامج اضطهاداتهم وسيأتي بعدها ما هو أشر وأمر.-ب- اضطهاداً منصباً على حياتهم: ".. كل من يقتلكم". تدل كلمة "ساعة" على أن هذه الاضطهادات داخلة ضمن تدبير الله الذي رتبه للرسل.

بعد أن ذكر المسيح للتلاميذ عينتين من الاضطهادات الوشيكة

أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلَّهِ. ٣وَسَيَفْعَلُونَ هَذَا بِكُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الآبَ وَلاَ عَرَفُونِي. ٤لَكِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُونَ

الوقوع عليهم, نبههم إلى: (١) الباعث الظاهري الذي يحمل العالم على اضطهادهم: "يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله". وكذلك فعل شاول الطرسوسي (أعمال ٢٦: ٩). ويقول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هنسيوس أحد المؤرخين العصريين: إن اليهود كانوا إلى العصر الماضي, يحسبون قتل المسيحيين "قرباناً" يقربونه إلى الله في عبادتهم.

عدد ٣. (٢) العلة الدفينة لاضطهاد العالم لهم: "وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني". هذا هو التعصب الديني الأعمى الذي لا يعرف إلهاً ولا يحب إنساناً, لكنه يحب نفسه وعقيدته. إن الله محبة, لا يمكن أن تخدم المحبة بالبغضاء والتجريح والتقتيل. أليس من الأمور المضحكة المبكية, أن الغيرة العمياء تبعد الإنسان عن الغاية الأساسية التي يرمي إليها؟ فبينما يتوهم هؤلاء المضطهدون أنهم بقتلهم المسيحيين, "يتقربون"

إلى الله, إذا بهم يسمعون من الله هذه الكلمة: "أنكم بعملكم هذا قد برهنتم على أنكم لا تعرفوني لأنكم لو عرفتموني لعرفتم من أرسلته إليكم, ولو عرفتم من أرسلته أنا إليكم, لعرفتم بالتالي من أرسلهم هو إليكم". فإذا ما جهل أحدهم المسيح, كان جهله هذا دليلاً على أنه يجهل الله: "لم يعرفوا الآب ولا عرفوني".

عدد ٤. عود إلى بدء: " لكني قد كلمتكم بهذا" – أي بما سيصيبكم في مستقبل الأيام من اضطهاد وتعذيب - "حتى إذا جاءت الساعة" – التي أنبأتكم بها في عدد ٢ – "تذكرون أني قلته لكم". أن المسيح إذا أنبأ

أَنِّي أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ. وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ الْبِدَايَةِ لأَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ.

تلاميذه بما سيصيبهم في مستقبل الأيام, سبق فسلحهم بسلاح الصبر والرجاء, والفخر بمشاركتهم إياه, قبل أن تجيء ساعة النضال. حتى متى حانت, يكونون قد تهيئوا لها. "ولم أقل لكم من البداية" _ أي منذ بداية اتصالكم بي كأتباع, وتلاميذ, ورسل – "لأني كنت معكم" – فكان وجودي خير حصن لكم. لأني كنت أتلقى عنكم نبال الأعادي, وبعد ليلة وضحاها, سأتلقى عنكم الصدمة الأخيرة على الجلجثة.

كيف نوفق إذاً بين قول المسيح: "لم أقل لكم من البداية", وبين كلماته المسجلة في متى ١٠: ١٧ و٢١ و٢٨؟. يقول يوحنا الذهبي الفم: إن الاضطهادات التي تحدّث عنها المسيح إلى تلاميذه في يو ١٦: ١٤ أشد هولاً من تلك المذكورة في متى ١٠: ١٧ و٢١ و٢٨ ويقول بنغال: إن المسيح, عند دنو نهاية خدمته, كلم تلاميذه عن الاضطهادات بإسهاب وإفاضة (يو ١٦: ٤). لكنه في قلب خدمته, تحدث إليهم عن الاضطهادات بكلام مجمل. ويظن وستكوت أن كلام المسيح في يوحنا, ليس قاصراً على الاضطهادات بل يتناول أيضاً صلته بتلاميذه, وصلة المعزي والعالم بهم, بخلاف كلامه في يوحنا, فقد قصره على الاضطهادات. ويعتقد جودي أن الكلام الذي سجله متى ليس مقصوراً على مناسبة خاصة. بل يشمل كل الكلام الذي قاله المسيح عن الاضطهادات, سواء ما قاله في بدء خدمته أم في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قلبها, أو عند نهايتها – بما في ذلك, الكلام المدون في يوحنا ١٦. ونميل نحن إلى الأخذ بأحد الرأيين الأولين.

٥وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي

السهم الرابع – العالم والمعزي (١٦: ٥-١١)

تكلم المسيح في هذه الأعداد عن أمرين – أولهما: شرط مجيء المعزي (١٦: ٥ - ٧) ثانيهما: عمل المعزي في العالم (١٦: ٨ – ١١).

عدد ٥ – ٧ (١) شرط مجيء المعزي – إن مجيء المعزي متوقف على انطلاق المسيح. لاشك في أن التلاميذ جزعوا من تحدث المسيح إليهم عن الاضطهادات, وازداد جزعهم عند سمعهم قول المسيح: "لأني كنت معكم" (عدد ٤). لذلك أراد الفادي المحب أن يعرفهم إلى أين هو ماض عنهم, معنفاً إياهم على عدم استفهامهم منه عن المكان والمقام اللذين سينطلق إليهما (عدد ٥ و٦), ثم دلهم على الخير الذي يعود عليهم من انطلاقه (عدد ٧).

عدد ٥. إلى أين يمضي المسيح: "وأما الآن" – هذه نقطة انتقال في الفكر, وفي نغمة الكلام. في الأعداد السابقة عدد(١- ٤), وعد المسيح تلاميذه بضيق في العالم, وفي هذه الأعداد (عدد ٥ – ٧). وعدهم بمجيء المعزي الذي ينتصر بهم على العالم. فمن ظلمة الضيق, انتقل بهم إلى نور الوعد.

إن في قول المسيح لهم: "وليس أحد منكم يسألني أين تمضي". تعنيفاً خفيفاً لتلاميذه, الذين ألهاهم حزنهم على انطلاقه, عن أن يسألوه عن المكان المنطلق إليه, ولو كانوا قد سألوه لأحاطهم علماً بالمجد الذي سيتمتع هو به, وبالخير الذي سيعود عليهم, نتيجة هذا الانطلاق. عندئذ كانوا يفرحون لأجله ولأجلهم. لأن محبتهم له تفرض عليهم أن يفرحوا لتمجيده

أَيْنَ تَمْضِي. ٦لَكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. ٧لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ

(٤: ٢٨), ولأن محبتهم لأنفسهم, توجب عليهم أن يفرحوا للخير الذي سيصيبهم. ولا يعتبر سؤال بطرس (١٣: ٣٦) مستثنى من قول المسيح "ليس أحد منكم يسألني", لأن بطرس كان يبغي من سؤاله أن يقنع المسيح بالعدول عن الانطلاق, لا أن يعرف إلى أين ينطلق المسيح.

إن هذا التعنيف الخفيف, يحمل معه تحريضاً من المسيح للتلاميذ, على أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم إلى الجانب المنير من تصريحاته وإعلاناته, عندئذ يستطيعون أن يكتشفوا فيها كنوز خير, وخير كنوز.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٦. انصراف التلاميذ إلى الجانب المحزن من انطلاق المسيح: "لكن لأني قلت لكم هذا" – أي أني سأنطلق عنكم – "قد ملأ الحزن قلوبكم" وكم من المرات يتبرع المرء لقلبه بالأحزان في وقت يكون فيه محاطاً بأجل النعم وأكمل الخيرات! العيب ليس ي ما يحيط بنا, ب في عيوننا التي تنظر إلى بستان الحياة تلهيها أوراقه القليلة الصفراء, عن ثماره الكثيرة الناضجة.

عدد ٧. الخير الذي سيصيبهم بعد انطلاق المسيح عنهم: "لكني أقول لكم الحق". في هذا استحثاث منه لهم, على المزيد من الوثوق بكلامه (١٤: ٢) "أنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي".

إن الخير المشار إليه, هو – أ - تكميلهم في الإيمان والمحبة. – ب – حملهم على إتمام وظيفتهم إذ كان المسيح هو العامل, وكانوا هم يستريحون

لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨وَمَتَى جَاءَ

مدة بقائه معهم – ج – إن الخير الأعظم هو حلول الروح القدس فيهم وعليهم فهو موهبة قد استحقها المسيح لهم ولنا بموته. وكان ينبغي أن يملك بكمال المجد عن يمين الآب, حتى يرسل هذه الموهبة التي هي ثمرة دمه مزكى. هذه الحقيقة يؤيدها قول البشير في مناسبة سابقة: "الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد" (٧: ٣٩). أما أن الروح القدس هو "الخير الأعظم", فهذا واضح من مقابلة ما جاء في متى ٧: ١١ بما ورد في لوقا ١١: ١٣. فمتى يقول "فكم بالحري أبوكم الذي في السموات, يهب خيرات للذين يسألونه". ولوقا يقول "كم بالحري الآب الذي من السماء, يعطي الروح القدس للذين يسألونه". فالذي قال فيه متى: "خيرات", قال فيه لوقا "الروح القدس". فالروح القدس هو الخير الأعظم.

عدد ٨ – ١١. عمل الروح المعزي في العالم – التبكيت: "ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية, وعلى بر, وعلى دينونة". إن الروح الذي يبكت العالم, هو نس الروح الذي يعزي المؤمنين. وكذلك كان عمود النار في البرية قديماً – ظلاماً على المصريين ونوراً لبني إسرائيل.

في عدد ٨, ذكر المسيح عمل الروح القدس بكلمات مجملة, وفي الأعداد ٩ – ١١, فصل ما أجمله غي عدد ٨. والكم في هذه الأربعة الأعداد (عدد ٨ – ١١) يتناول أمرين – أولهما: ماهية التبكيت الذي يقوم به

ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الروح القدس: "يبكت العالم". وثانيهما: موضوع هذا التبكيت: "على خطي. وعلى بر. وعلى دينونة".

أولاً: ماهية التبكيت الذي يقوم به الروح القدس: "ومتى جاء ذاك يبكت العالم". إن كلمة: "يبكت" معناها, يغلب بالحجة, حتى يسكت. وهي تجمل معها شيئاً غير قليل, من التعنيف,والتوبيخ, والتقريع. وهي كما استعملت في العهد الجديد, بلغته الأصلية, تعني: - أ – إعلان النور وإظهار الخطأ. "لا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله" (يو ٣: ٢٠ و٨: ٤٦) "الكل إذا توبخ يظهر بالنور" (أفسس ٥: ١٣). – ب – تطبيق الحق المعلن على الإنسان المعدي: "موبخين من الناموس كمعتدين" (يعقوب ٢: ٩) "ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم" (يهوذا ١٥). "وبخ. انتهر. عظ" (٢ تيمو ٤: ٢). – ج – التأديب العقابي "قادراً أن يوبخ المناقضين" (تيطس ١: ٩). "وبخ بكل سلطان" (تيطس ٢: ١٥) – د – التعنيف بقصد الإصلاح والرد عن الخطأ: "أي كل من أحبه أوبخه وأؤدبه. فكن غيوراً وتب" (رؤيا ٣: ١٩), "لا تخر إذا وبخك" (عب ١٢: ٥), "وبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان" (تيطس ١: ١٣).

قد يؤدي هذا التبكيت إلى الحياة إذا أطاع الإنسان إيحاآت الروح, وقد يؤدي إلى موت الدينونة ودينونة الموت إذا قاوم المرء تأثيرات الروح, "لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة" (٢ كو ٢: ١٦).

عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ

وقد تجلت هاتان النتيجتان – إحداهما مقبل الأخرى – يوم الخمسين: "وكان آخرون يستهزئون قائلين إنهم قد امتلأوا سلافة"... "فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس" (أعمال ٢: ١٣ و١٤). والظاهر من قرائن الكلام في سفر الأعمال وفي بشارة يوحنا, إن الروح القدس يؤدي عمله التبكيتي في العالم بواسطة الرسل والكنيسة. هذا وإن تبكيت الضمير يختلف عن تبكيت الروح القدس, في أن أولهما هو تبكيت الناموس, وثانيهما هو تبكيت النعمة. أولهما يؤدي إلى اليأس فالموت – كما في أمر يهوذا الإسخريوطي. وثانيهما يقود إلى الرجاء والحياة – كما في أمر بطرس. ويقول تقليد قديم إن أول شخص تمتع بنعمة الخلاص يوم الخمسين هو ذاك الذي طعن المسيح بحربة في جنبه على الصليب. فالضمير يبكت على بر ضاع, والروح يبكت على بر ظهر. الضمير يبكت على دينونة مسلطة سيفها على الرقاب. والروح يبكت على دينونة تمت, وانقضت, وزال أثرها.

ثانياً: موضوع التبكيت الروح: "يبكت العالم على خطية, وعلى بر, وعلى دينونة". إن جل بشارة يوحنا شهادة ناطقة لعمل الروح القدس المبكت. فتبكيته العالم على خطية, ظاهر في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣: ١٩ – ٢١ و٥: ٢٨ و٣٨ – ٤٧ و٨: ٢١ و٣٤ – ٤٧ و٩: ٤١ و١٤: ٢٧. وتبكيته العالم على بر, مبين في ٥: ٣٠ و٧: ١٨ و٢٤ و٨: ٢٨ و٤٦ و٥٠ و٥٤ و١٢: ٣٢ و١٤: ٣١ و١٨: ٣٧. وتبكيته العالم على دينونة موضح في ١٢: ٣١

وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. ٩أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ

و١٤: ٣٠ و٧: ١٥ ويقول ا.ج غوردون: أن عمل الروح القدس في تبكيته الثلاث, تقابله وظيفة المسيح الثلاثية – كنبي, وكاهن, وملك.

"خطية", "بربر", "دينونة". هذه ثلاث كلمات – الأولى لاصقة بالإنسان الساقط, والثانية متصلة بالمسيح المقام, والثالثة لاحقة بالرئيس المخلوع. الكلمة الأولى تصف داء البشرية خطية العالم. والثانية تصف الدواء – بر المسيح. والثالثة تصف مصير من يرفض الدواء ويرضى بالداء. فعلى الإنسان أن يختار بين الحالين – إما أن يقبل بر المسيح فيرفع معه أو أن ينحاز إلى جانب إبليس فيدان نعه. وجدير بالملاحظة, أن هذه الثلاث الكلمات: "خطية, بر, دينونة" وردت نكرات, من قبيل التعميم والإطلاق.

عدد ٩. حجة تبكيته العالم على خطية. "أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي". يراد بهذا,إن عدم إيمان العالم بالمسيح, دليل قاطع على أن العالم واقع في الخطية. فكأنما الخطية كانت في حاجة إلى البر مجسماً, لكي تظهر خاطئة جداً. هذا يؤيده قول سمعان الشيخ في المسيح: "ها قد وضع لسقوط وقيام كثيرين, ولعلامة تقاوم .... لتعلن أفكار من قلوب كثيرة" لوقا ٢: ٣٤ و٣٥) فمع أن الخطية اتخذت مظاهر شتى قبل مجيء المسيح إلى العالم, إلا أنها اتخذت أشنع مظهر عندما صلبت رب المجد. هذا واضح جلياً من قول بطرس لليهود يوم الخمسين. "هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق. وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه" (أعمال ٢: ٢٣).

أما غير المؤمنين, الذين لم يكن لهم نصيب فعلى مع الذين صلبوا المسيح

فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي.

فهؤلاء سبيكتهم الروح القدس, على خطية عدم نوالهم نصيباً فعالاً في المسيح المصوب. هؤلاء هم الذين, بعدم إيمانهم, يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه. إن خطي عدم الإيمان بالمسيح, ليست فقط دليلاً على اتجاه القلب الساقط المبتعد عن الله, لا هي أيضاً أس كل الخطايا. وهي خلاصتها مركزة في نقطة واحدة. لأن المسيح, بموته عنا, أخذ مقامنا أمام الله, فاستحقت عليه كل دينونة الخطية التي كنا رازحين تحتها, ورضيت العزة الإلهية بهذه النيابة. فكل شخص يقبل المسيح فادياً, ترفع عنه أثقال خطاياه بانتقالها إلى المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكل شخص يرفضه ولا يؤمن به, يظل رازحاً تحت آثامه, مضافاً إليها إثم جديد هو رفضه مسيح الله.

فضلً عن ذلك, فإن الروح القدس يبكت العالم على وجهة نظره في ماهية الخطية. فالعالم اليهودي كان يعتقد أن الخطية قاصرة على التعدي على الناموس الطقسي, وكسر السبت. لذلك قالوا في المسيح: " نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ (٩: ٢٤). فجاء الروح القدس مبكتاً العالم على نظرته الخاطئة في الخطية. مبيناً له أن الخطية الحقيقية هي رفض إرادة

الله الظاهرة في إرساله المسيح إلى العالم (أعمال ٢: ٢٢ و٣٣ و٣٦ و٣: ١٤ و١٥). فعدم الإيمان بالمسيح, هو صورة أخرى لرفض مشورة الله, واعتناق مشورة الذات الجسدانية, أو هو بمثابة رفض النور واختيار الظلام. إذ لا يختار الظلام إلا المظلم القلب, فالمسيح هو أصدق محك للأخلاق.

١٠وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي

عدد ١٠. حجة تبكيته العالم على بر: "أما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً". ذكر المسيح في هذه الكلمات حجة دامغة لبره – هي صعوده وجلوسه عن يمين العظمة: "لأني ذاهب إلى أبي" – هذا ختم رضى الآب عن المسيح, إذ رفعه من القبر وأجلسه عن يمين القوة. فعندما صلب المسيح, هتفت قوات الظلمة قائلة: "لو كان هذا باراً لما صلب. ولو كان هو ابن الله, لنزل عن الصليب!". ولكن بره ظهر وبان, بعد أن كسر مصاريع القبر وارتقى صاعدًاً إلى الآب في العلا. "فأسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رومية ٤: ٢٥). فإذا كانت قيامة المسيح, حجة بره, فإن ارتقاءه إلى يمين العظمة هو ختم هذه الحجة. فكل ذبيحة مقبولة لدى الله, لم تكن الأرض مقصدها النهائي, بل كانت السماء غايتها. لأن الله كان يرسل ناراً لترفعها إليه, علامة قبوله إياها. لذلك صار صعود المسيح إلى السماء, حجة بره الكامل. إن الحجر الذي رفضه البناءون يوم الجمعة الحزينة, قد رفعه الله وجعله رأس الزاوية, في فجر الأحد التالي. وفي يوم الخمسين. نقض حكم الله أحكام البشر فالبر المقصود هنا, هو بر المسيح.

ومثلما يبكت الروح القدس العالم على وجهة نظره في الخطية, كذلك أيضاً يبكته على وجهة نظره في البر. فكما أن الخطية ليست قاصرة على التعدي على الشريعة الطقسية, بل هي رفض المسيح المقدم من الله مخلصاً للعالم وفادياً, كذلك البر, فليس هو القيام بمطالب الناموس, وإنما هو قبول بر المسيح الذي يبرر الفاجر (رومية ٣: ٢١ و١٠: ٣).

وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضاً. ١١وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما قوله: "ولا ترونني أيضاً", فإنه يرينا ضرورة شهادة الروح القدس لبر المسيح بعد صعوده. فكما أن رئيس الكهنة كان يدخل قديماً إلى قدس الأقداس مقدماً الكفارة عن الشعب الذي كان يظل واقفاً خارجاً منتظراً حكم الله في الكفارة المقدمة منه, وما كان الشعب يطمئن, إلا بعد أن يرى رئيس الكهنة خارجاً من الهيكل وعلائم الظفر مرتسمة على محياه, دليلاً على أن الله قبل الكفارة المقدمة منه. كذلك بعد أن دخل كاهننا الأعظم إلى ما وراء حجاب قدس الأقداس العلوي, وغاب عن الأبصار, لم يبق سبيل إلى إقناع العالم بأن ذبيحة المسيح الكفارية قد قبلت, إلا بمجيء الروح القدس, من قبل المسيح, حاملاً بشرى قبول كفارته. عندئذ يتبكت العالم على بر المسيح: "فيسوع هذا أقامه الله .... وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب, سكب هذا ... فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أعمال ٢: ٣٣ – ٣٥)

عدد ١١. حجة تبكيته العالم على دينونة: "أما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين". ليست هذه دينونة العالم الأممي, التي كانت منتظرة من الأمم, ولا هي دينونة اليهود التي اتخذت مظهراً قوياً يوم خراب أورشليم بل هي دينونة "رئيس هذا العالم", وهي عربون وأساس دينونة الأمم واليهود. ومتى صرع السلطان ولت جنوده (راجع شرح ١٢: ٣١ و٣٣). هذه الدينونة تمت في الصليب والقيامة. وما إدانة الشيطان, إلا نتيجة ظهور

قَدْ دِينَ.١٢«إِنَّ لِي أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ.
١٣وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ

بر المسيح لأن تبرئة المتهم ظلماً, هي إدانة للمشتكي بهتاناً. فالمبلغ بلاغاً كاذباً يقع عليه عقاب من يقترف جريمة.

السهم الخامس – الروح المعزي والتلاميذ (١٦: ١٢-١٥).

بعد أن تكلم المسيح عن عمل الروح في تبكيته العالم, انتقل إلى كلامه عن عمل الروح في إرشاده التلاميذ وإنارتهم.

عدد ١٢. قابلية التلاميذ المحدودة: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم" – علاوة على الأمور الكثيرة التي حدثتكم عنها الآن – "ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" – وليس السبب في ذلك, عدم ثقتي بكم. كلا. فإني قد سبقت وأكدت لكم أني لا أعود أسميكم عبيداً.. لكني قد سميتكم أحبائي لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (١٥: ١٥). وإنما سببه, عدم اتساع قابليتكم الروحية في الوقت الحاضر – "فأنتم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن". إن قابلية الإنسان هي قياس تمتعه بأي شيء. جسدياً كان أم روحياً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٣- ١٥. اتساع قابليتهم الروحية بعد مجيء الروح القدس: "ومتى جاء ذاك ...". إن عمل الروح القدس متمم لعمل المسيح, كما أن عمل المسيح ممهد لعمل الروح: "إن لي أموراً... وأما متى جاء ذاك". في كلام المسيح عن عمل الروح في قلوب التلاميذ, حدثهم عن: - أ – أحد أسماء الروح الحسنى: "روح الحق". لقد سبقنا فأوضحنا المراد بهذا

فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ

الاسم: "روح الحق" في ١٤: ١٧. – ب – ماهية عمل الروح "يرشدكم"... "ويخبركم" ... "يأخذ مما لي ويخبركم". هذا عمل ثلاثي: (١) الإنارة: "يرشدكم إلى جميع الحق". كلمة"يرشد" تصور لنا سائحاً متجولاً في مملكة غريبة و"الدليل" يقوده "ويرشده" في أرض الغربة. فالروح القدس هو "دليل" التلاميذ في مملكة الحق. هذه هي إنارة الروح, وهي تتناول "جميع الحق" الذي سمعه التلاميذ من المسيح, ولم يعرفوا كل محتوياته ومكنوناته إلا بعد أن أنار لهم الروح جميع جوانب هذا الحق. فالمسيح أعطى التلاميذ الحق في البذرة, والروح القدس سينمي لهم هذا الحق, وينميهم فيه (١٤: ٢٦). (٢) الإلهام: "يخبركم بأمور آتية", هذا هو إلهام الروح, وهو امتياز خاص بالرسل, يتناول "أموراً آتية" لم يكن قد قالها المسيح للرسل بعد, لأنهم لم يستطيعوا احتمالها (عدد ١٢) – مثل الملهمات الإلهية التي وضعها الرسل في الرسائل وفي سفر الرؤيا – نظير قيام الكنيسة على أنقاض المجمع اليهودي, ومستقبل الكنيسة في مجاهدتها ونصرتها (رؤيا ١: ١- ٣). (٣) الإيهاب: "يأخذ مما لي ويخبركم". بعد أن يكون الآب قد مجد المسيح برفعه إليه. يأخذ الروح القدس من أمجاد المسيح وكمالاته. ويشع بها في قلوب التلاميذ. وقلوب سائر المؤمنين. هذا هو إيهاب الروح – وموضوعه شخص المسيح, وكمالاته.

(ج). المصدر الذي منه يستمد الروح عمله. ذكر المسيح هذا المصدر, في كلمتين – أولاهما سلبية: "لا يتكلم من نفسه". فكما أن المسيح لا يتكلم

بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.
١٥كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ

من عندياته, باعتبار كونه مرسلاً من الآب (١٤: ١٠). كذلك الروح القدس لا يتكلم من نفسه لكونه مرسلاً من المسيح. والكلمة الثانية إيجابية. وقد ذكر فيها مصدر مزدوج – جانبه الأول: ما يسمعه الروح من الآب والابن فيما يختص بتدبير الفداء. وجانبه الثاني: ما يقبله الروح مما للمسيح "لأنه يأخذ مما لي ويخبركم".

عدد ١٤ و١٥. (د). غاية عمل الروح القدس: "ذاك يمجدني...كل ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم". هذا دليل قاطع على أن المسيح شاعر بمجده الممتاز, لأن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كل ما للآب هو له, وإن السبيل الأمثل, لتمجيد المسيح, هو فتح كنوزه مجده, وكمالاته, وأسراره, وإبلاغها إلى المؤمنين به. فكما أنه لاشيء يذل الفقير, نظير إشهار فقره وبؤسه أمام الآخرين, كذلك لاشيء يمجد الغنى نظير كشف كنوزه, وإظهارها, لأتباعه ومريديه, وإشراكهم فيها. لأن إظهار ما للمسيح, هو إظهار كل ما للآب. وردت كلمة "يأخذ" في صيغة الحال لتفيد العمل المستمر على التوالي. ووردت كلمة: "يخبركم" في صيغة الاستقبال. هذا دليل آخر على أن الروح شخص ذاتي.

في عدد ١٥ ذكر الثلاثة الأقانيم – الآب, والابن, والروح القدس فالابن يأخذ مما للآب, والروح القدس يأخذ مما للابن. الابن يمجد الآب,

مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. ١٦بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ تُبْصِرُونَنِي ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِي لأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الآبِ».١٧فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ

والروح القدس يمجد الابن. كل هذا قاصر على الوظيفة. وأما في الجوهر, والقدرة, والمجد, فالثلاثة الأقانيم متساوون, لأنهم إله واحد.

السهم السادس – حزن يستحيل إلى فرح (١٦: ١٦ – ٢٤).

عدد ١٦. (١). تصريح للمسيح – قليل وقليل. "بعد قليل لا تبصرونني. ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأني ذاهب إلى الآب". وردت كلمة "قليل" سبع مرات في الأعداد ١٦ – ١٩. وقد أراد بها المسيح وقتين مختلفين لهما نتيجتان متناقضتان: "بعد قليل لا تبصرونني". و"بعد قليل ترونني". فالـ"قليل" الأول مدته بضع ساعات, ابتدأت وقت تكلم المسيح معهم وانتهت بنزوله إلى القبر واحتجابه عن أبصار التلاميذ. هذا هو"القليل" الذي أراده بقوله "بعد قليل لا تبصرونني". وأما"القليل" الثاني الذي قصده بقوله: "بعد قليل أيضاً ترونني" فهو الوقت الذي ابتدأ بنزول المسيح إلى القبر, إلى اليوم الذي قام فيه وظهر لخاصته: "ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب" (٢٠: ٢٠). على أن هذا "القليل" الثاني لم ينته بيوم قيامة المسيح, لكنه امتد إلى يوم الخمسين حين أعلن المسيح ذاته لتلاميذه بالروح القدس (أعمال ٢). هذا المعنى الثاني يؤيده باقي العدد: "لأني ذاهب إلى الآب" (عدد ١٦), ويدعمه كلام المسيح عن "ذلك اليوم" في عددي ٢٣ و٢٦.

عدد ١٧ و١٨. (٢). تساؤل قوم من التلاميذ واعترافهم بجهلهم:

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَا هُوَ هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ لَنَا: بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ تُبْصِرُونَنِي ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِي وَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الآبِ؟». ١٨فَتَسَاءَلُوا: «مَا هُوَ هَذَا الْقَلِيلُ الَّذِي يَقُولُ عَنْهُ؟ لَسْنَا نَعْلَمُ بِمَاذَا يَتَكَلَّمُ». ١٩فَعَلِمَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ: «أَعَنْ هَذَا تَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ لأَنِّي قُلْتُ: بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ تُبْصِرُونَنِي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"فقال قوم من تلاميذه ما هو هذا... لسنا نعلم". يستنتج بعض المفسرين – وفي مقدمتهم جودي – أن في تساؤل قوم من التلاميذ بعضهم مع بعض, دليلاً على أن المسيح أفضى إلى تلاميذه بهذا الحديث في الطريق, لا في العلية, لأن مجال خلو بعضهم إلى بعض للتساؤل, يكون في الطريق, أوسع منه في العلية. على أنه من المحقق أن كاتب هذه الملاحظات الدقيقة, كان شاهد عيان. ويكاد يكون من المستحيل على كاتب – مهما كان جريئاً – أن يتحدث عن الضعف, والجبن, والجهالة, التي أحاطت بالرسل في هذا الظرف الخاص, ما لم يكن واحداً منهم. سيما وأنهم بعد هذا الوقت بمدة وجيزة – منذ يوم الخمسين فصاعداً – صاروا مضرب الأمثال في الشجاعة, والمعرفة, والإقدام, والإلهام.

عدد ١٩. (٣) حكمة المعلم والطبيب "فعلم يسوع" بقوته الخارقة التي تقرأ صفحات القلوب. "أنهم كانوا يريدون أن يسألوه. فقال لهم أعن هذا تتساءلان فيما بينكم ... الحق الحق أقول لكم" – هذا دليل آخر على حكمة المسيح المتناهية, التي ظهرت في علمه بذات الصدور, وفي معالجته

ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضاً تَرَوْنَنِي ٢٠اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ وَلَكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ. ٢١اَلْمَرْأَةُ وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ

ضعفات تلاميذه بأحسن الوسائل, وأدقها. فمع أن المسيح لم يجبهم عن تساؤلهم عما "هو هذا القليل الذي يقول عنه" – إذ ترك معرفة هذا, لاختباراتهم في ضوء مزمن, بنور الروح القدس – إلا أنه عالج ضعف قلوبهم, وسكب فيها عزاء مجيداً بنعمته, إذ عرفهم بالشعور الذي سيكونون عليه بعد كل من هاتين الفترتين المعبر عنهما بكلمة: "قليل". أنهم بعد "القليل" الأول سيبكون. وبعد "القليل" الثاني سيفرحون. ووجه العزاء. أن حزنهم ذاهب, وفرحهم مجيد خالد.

عدد ٢٠. (٤) مقابلة مزدوجة: "الحق الحق ....". يقع هذا العدد في شطرين: في الشطر الأول نجد مقابلة بين حزن التلاميذ ونوحهم, وبين فرح العالم اليهودي: "أنكم ستبكون وتنوحون". بهذه الكلمات وص المسيح مبلغ تأثرهم في الفترة التي رقدها جسده في القبر. وفي الشطر الثاني, نرى مقابلة بين حزن التلاميذ الوقتي, وبين فرحهم الدائم الذي يعقب حزنهم. "أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح". أن فرحهم هذا سيكمل عند مجيء المسيح ثانية.

عدد ٢١ و٢٢. مزايا فرح التلاميذ: "المرأة وهي تلد تحزن ...". من مزايا هذا الفرح: (أ) إنه وليد ساعة الشدة (عدد٢١). ما ألذ الراحة تعقب التعب, وما أبهج الفرح يعقب الشدة. فمن الأمور المعزية والمشجعة:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ وَلَكِنْ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ الشِّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ لأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ إِنْسَانٌ فِي الْعَالَمِ. ٢٢فَأَنْتُمْ كَذَلِكَ عِنْدَكُمُ الآنَ حُزْنٌ. وَلَكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضاً فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ وَلاَ يَنْزِعُ

(١) أن الشدة التي تعانيها المرأة, مهما تكن قوية بحدتها, فهي قصيرة في مدتها. لذلك وصفها المسيح بقوله: "ساعتها". (٢) إنها شدة تسفر عن "ولادة إنسان في العالم", فيولد معه فرح لا يعبر عنه ومجيد. وكذلك ساعة الشدة التي قاساها التلاميذ لم تطل كثيراً, إذ لم تزد عن ثلاثة أيام, لكنها تمخضت عن مولد جديد – أعني به كنيسة المسيح الحي, عمود الحق وقاعدته. فقد ولدت الكنيسة يوم الخمسين. فأخلق بها من شدة مجيدة نحمد الله عليها.

عدد ٢٢. (ب) إنه فرح ناشئ عن عودة المسيح لرؤية تلاميذه: "فأنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم". في عدد ١٦ تحدث المسيح عن رؤية التلاميذ إياه, لكنه في هذا العدد تحدث إليهم عن رؤيته إياهم. حسن وجميل أن يتاح لنا أن نرى المسيح فنستمد منه العون كما يستمد العبد عونه من سيده حين يرفع نظره إليه. ولكن أحسن منه وأجمل, أن يجود المسيح تكرماً فيلقى نظرة علينا – هذه خير رعاية وعناية منه لنا. ما أبهى وأمجد أن تكون هذه الرؤية متبادلة بين المسيح وتلاميذه.

(ج) إنه فرح قلبي لا ينزعه منهم أحد: "فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم". هذا امتياز الفرح الذي يهبه الله, على الفرح الذي يمنحه العالم. إن الفرح الذي يهبه الله هو فرح القلوب. أما ذاك الذي يهبه العالم فهو

أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ. ٢٣وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لاَ تَسْأَلُونَنِي شَيْئاً. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ. ٢٤إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي.

فرح ناشئ عن امتلاء الجيوب. الفرح الإلهي كنبع فياض في قلب الصخور والجبال, لا تستطيل إليه يد الحدثان, لكن الفرح العالمي دائم التقلب. فهو في هبوط وارتفاع, وارتفاع وهبوط – ما أكثر هبوطه وما أقل ارتفاعه.

عدد ٢٣. (د) إنه فرح مؤسس على معرفة وافية, وقوة كافية. فالمعرفة الوافية يدل عليها قوله: "في ذلك اليوم" – أي في يوم الخمسين – "لا تسألوني شيئاً". أي تكفون عن أسئلتكم (عدد ١٧ و١٨ و١٩) فلا تعودون تستفهمون مني عن شيء, لأن الروح القدس سيأخذ مما لي ويعطيكم, فيملأ قلوبكم بما تحتاجون إليه من المعرفة. والقوة الكافية ظاهرة من قوله: "الحق الحق أقول لكم. إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم". إن كلمة "كل ما طلبتم" جامعة في مداها, وهي تشير إلى صلوات التلاميذ باسم المسيح بعد امتلائهم من الروح القدس يوم الخمسين. هذا نبع قوة فياض للتلاميذ, لأنه بمثابة "تحويل" على بنك السماء,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بغير قيد ولا شرط – إلا "اسم المسيح". ولقد أوضحنا المراد بهذه العبارة: "اسم المسيح" في ١٤: ١٣ و١٤. فاطلبها هناك.

عدد ٢٤. (هـ) حث وإنهاض. ونتيجتها. أما الحث, في قوله: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي". إن معرفة التلاميذ بهذا "الاسم" الجليل, كانت إلى الآن ناقصة مبتورة, فلم تبلغ مدى ملئها إلا بالإعلانات المجيدة التي

اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً.٢٥«قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا بِأَمْثَالٍ وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لاَ أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ بَلْ أُخْبِرُكُمْ

أوحى بها إليهم الروح القدس يوم الخمسين, حين أفهمهم الغاية القصوى من تجسد المسيح ورسالته, وأحاطهم بأسرار فدائه, وأرق في قلوبهم نوراً سماوياً أبان لهم به حقيقة ذاته وصفاته. فما كانوا إذا يستطيعون أن يصلوا باسم المسيح. إلا منذ يوم الخمسين فصاعداً (١٤: ١٧ – ٢٣). هذا مراد المسيح من قوله: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي". بل هذا هو أيضاً موقف كل إنسان يعيش قبل يوم الخمسين اختباراً. أما الإنهاض, ففي قوله: "اطلبوا تأخذوا – في هذه الكلمات, انتقل المسيح بفكر تلاميذه, إلى يوم الخمسين, حين يتاح لهم أن يصلوا باسمه – أي في مقامه وفي نور الإعلانات التي ستبلغ إليهم عنه.

أما نتيجة الحث والإنهاض, ففي قوله: "ليكون فرحكم كاملاً". إن الفرح الكامل هو الفرح الناضج, الدائم الوجود, والمائي القلب.

السهم السابع, والأخير – نصرة بعد كسرة (١٦: ٢٥ – ٣٣).

عدد ٢٥. إلى الآن ... وفي تلك الساعة: "قد كلمتكم بهذا بأمثال ولكن تأتي سلعة حين أخبركم عن الآب علانية". إلى الآن كلم المسيح تلاميذه "بأمثال" – مثل كلامه عن الكرمة والأغصان, والطريق, والمرأة في شدتها. على أن كلمة "أمثال" ليست قاصرة على الألغاز, والمجازات, والاستعارات, والكنايات المدونة في بشارة يوحنا, لكنها تشمل أيضاً الأمثال التي حفظها سائر البشيرين (انظر متى ١٣: ولوقا ١٥). وأما متى

عَنِ الآبِ علاَنِيَةً. ٢٦فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَطْلُبُونَ بِاسْمِي. وَلَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا أَسْأَلُ الآبَ مِنْ أَجْلِكُمْ ٢٧لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي

جاءت "الساعة" التي يمتلئون فيها من الروح القدس يوم الخمسين, فحينئذ لا يكلمهم بألغاز غير مفهومة, بل يخبرهم عن الآب علانية, لأن الروح القدس سيعلمهم كل شيء بوضوح, وجلاء, وعلانية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٦ و٢٧. شدة محبة الآب للتلاميذ. ماهيتها: "في ذلك اليوم" – أي في يوم الخمسين – "تطلبون باسمي". هذا وصف لما يجب أن تكون عليه الكنيسة في سهرها, واستعدادها, وصلاتها. "ولست أقول أني أنا أسأل الآب من أجلكم لأن الآب نفسه يحبكم". أراد المسيح بهذه الكلمات أن يطبع على قلوب التلاميذ, صورة واضحة, جلية, لشدة محبة الآب لهم فأفهمهم أن الآب يحبهم من تلقاء نفسه, محبة قوية اختيارية. لا يحتاج معها إلى استعطاف من جانب المسيح لأجلهم. ولم يقصد الفادي بهذا الكلام أن ينفي شفاعته. كلا. فإن خلاصة الإنجيل كله, هي أن المسيح شفيعنا الأوحد (عب ٧: ٢٥), ولا يعقل أن المسيح ينقض ما سبق فقرره في هذا الخطاب الوداعي (١٤: ١٦). وإنما أراد أن يحذر التلاميذ من أن ينظروا إلى شفاعته كأنها وسيلة لاستعطاف الآب نحوهم, لأن الآب يحبهم من تلقاء نفسه. ومن فرط محبته لهم, دبر لهم الفداء بما فيه شفاعة المسيح.

ماهية محبة الآب لهم: "لأنكم قد أحببتموني وآمنتم إني من عند الله

وَآمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ. ٢٨خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ

خرجت". هذه محبة الآب الخاصة نحو المؤمنين الذين دخلوا عائلته المقدسة يحق انتسابهم إلى ابنه الوحيد – إذ أحبوه, وآمنوا به. فبمحبتهم له, صاروا أهلاً لأن يكونوا موضوع محبة الآب (١٤: ٢١ و٢٣). وبإيمانهم به, أعطوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (١: ١٢). إن الله يعتبر أصدقاء ابنه, أصدقائه, ويميل إلى إجابة سؤالهم. وعلة ذلك – المسيح. لأنه فيه اختارنا, وفيه أحبنا, وفيه دعانا, وفيه بررنا, وفيه يقدسنا, وفيه يمجدنا.

"لأنكم قد أحببتموني وآمنتم إني من عند الله خرجت". يقول جودي: ما دام التلاميذ ثابتين في المركز الجليل الذي أهلتهم له محبة المسيح , فليسوا في حاجة إلى شفاعة المسيح. ولكن إن سقطوا عن هذا المقام, وأخطئوا, عندئذ تلزمهم الشفاعة: "إن أخطأنا فلنا شفيع" (١ يو ٢: ١).

"أحببتموني وآمنتم" – من السهل على المرء أن يثق في من يحب. لأن الثقة تاج المحبة, وعدم الثقة وليد عدم المحبة.

عدد ٢٨. خلاصة مجيدة: "من عند الآب ... إلى الآب": هذه خلاصة مركزة لتاريخ رسالة المسيح, في أربع كلمات:

نبع رسالته: "خرجت من عند الآب". مهبط رسالته: "أتيت إلى العالم".

إنجاز رسالته: "وأيضاً أترك العالم". منتهى رسالته: "وأذهب إلى الآب".

ويجوز أن نحلل هذه الآية الخالدة تحليلاً آخر:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أزلية الكلمة: "خرجت من عند الآب". تجسد الكلمة: "وأتيت إلى العالم".

أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الآبِ».٢٩قَالَ لَهُ تلاَمِيذُهُ: «هُوَذَا الآنَ تَتَكَلَّمُ علاَنِيَةً

إتمام رسالة الكلمة: "أترك العالم". أبدية الكلمة: "وأذهب إلى الآب".

ومن الممكن أن ننظر إلى هذه الآية كأنها ترجمة مختصرة لحياة المسيح:

من المجد: "خرجت من عند الآب", إلى المزود: "وأتيت إلى العالم".

إلى جبل الزيتون: "وأيضاً ترك العالم", إلى المجد: "وأذهب إلى الآب".

عدد ٢٩ – ٣٢. إقرار مفرح وتحذير مؤلم: "قال له تلاميذه ... أجابهم يسوع".

عدد ٢٩ و٣٠. (أ) إقرار مفرح: "قال له تلاميذه ....". سمع التلاميذ من المسيح, تصريحه الجليل عن خلاصة ترجمة حياته: "من عند الآب ... إلى الآب" فوجدوا أنفسهم مغمورين بنور باهر, ما كانوا يتوقعونه, وشعروا كأن تصريح المسيح في عدد ٢٨, قد سابق وعده المتضمن في عدد ٢٥, فسبقه وغطاه. فأمام هذا التصريح النير, فاضت قلوبهم بإقرار, جاهروا فيه بـ: - أ – إدراكهم معنى كلامه بوضوح (عدد ٢٩). – ب – تحققهم من علمه الكلي (عدد ٣٠ أ). – ج – إيمانهم به (عدد ٣٠ ب).

عدد ٢٩. – أ – مجاهرة التلاميذ بإدراكهم كلام المسيح بوضوح: "قال له تلاميذه, هو ذا الآن تتكلم علانية". كلمة: "هو ذا". كثيرة الورود في بشارة يوحنا. فقد وردت فيها وحدها أكثر مما في سائر أسفار العهد الجديد معاً (انظر ٣: ٢٦ و٥: ١٤ و١١: ٣٦ و١٢: ١٩ و٩: ٤ و٥ و١٤). وكلمة: "علانية" تدل على أنهم شعروا كأنهم في

وَلَسْتَ تَقُولُ مَثَلاً وَاحِداً! ٣٠اَلآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. لِهَذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ

نور نهار العلم الكامل, الذي وعدهم به المخلص في عدد ٢٥, فصاروا لا يحتاجون معه إلى مزيد من النور. على أن "العلانية" كما قصدها المسيح, خاصة بإعلاناته عن الآب (عدد ٢٥), و"العلنية" كما قصدها التلاميذ, تصف كلام المسيح عن رسالته هو (عدد٢٨). وهي في كلا الحالتين تعني الوضوح من غير ألغاز, والجلاء من غير خفاء.

عدد ٣٠. – ب – إقرار التلاميذ بتحققهم من علم المسيح الكلي: "الآن" – قبل أن تأتي تلك الساعة المذكورة في عدد ٢٥ – "نعلم" – علم اليقين والتحقق – "أنك عالم بكل شيء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولست تحتاج أن يسألك أحد". إن علم المسيح بنيات قلوبهم, وخواطر أفكارهم, قبل أن يصرحوا له بها, قد أنطق ألسنتهم بهذا الاعتراف الجميل, الذي يشبه اعتراف نثنائيل حين أنبأه المسيح بأنه رآه تحت التينة قبل أن يدعوه فيلبس (١: ٤٨ و٤٩). وأما قولهم: "ولست تحتاج أن يسألك أحد", فراجع إلى إجابة المسيح على أسئلتهم قبل أن يسألوه إياها (عدد ١٩). عادة لا يستطيع المعلم أن يفهم التلاميذ درساً, إلا متى فهم هو أفكارهم, ولا يستطيع أن يفهم أفكارهم إلا بالأسئلة التي يلقونها عليه. أما المسيح, معلمنا الأعظم, فقد أقر له التلاميذ بأنه "عالم بكل شيء وليس محتاجاً أن يسأله أحد". فقد أقروا إذاً بأنه عليم بذات الصدور.

- ج – إقرار التلاميذ بإيمانهم بالمسيح ورسالته: "لهذا نؤمن أنك من الله خرجت".
بإقرارهم هذا, رددوا صدى صوت المسيح في عدد ٢٨:

اللَّهِ خَرَجْتَ». ٣١أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الآنَ تُؤْمِنُونَ؟ ٣٢هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ وَقَدْ أَتَتِ الآنَ
تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِهِ

"خرجت من عند الآب". إن هذا الإقرار – نظير إقرار نثنائيل – يتناول أمرين: أولهما: سمو أصل المسيح. وثانيهما: مصدر رسالته.

عدد ٣١ و٣٢. (٢) تحذير مؤلم: "الآن تؤمنون؟! هو ذا تأتي ساعة ..." في هذه الكلمات يمتزج الاستفهام بالتعجب؟!. وهي ترينا – أ – أن المسيح أقر التلاميذ على إيمانهم هذا, ورحب به. (١٧: ٨). – ب – إنه نبههم إلى عدم نضوج هذا الإيمان. وحذرهم من عدم ثباتهم أمام العاصفة: "هو ذا تأتي ساعة" – ساعة القبض عليه, وتسليمه إلى أيدي أعدائه, ومحاكمته, وصلبه – "وقد أتت الآن". بما أن أول حلقة من هذه السلسلة المحزنة قد وقعت, بخروج يهوذا من صفوفهم, واتفاقه مع الأعداء, فقد انفرطت معها سائر حلقات السلسلة, واعتبرت كلها في حكم الانحلال والوقوع. لذلك قال المسيح: "وقد أتت الآن". فضلاً عن ذلك فإن كلمة: "الآن" لا تعني مجرد وقت في سجل الزمن, لكنها تعين نقطة فاصلة في تدبير الفداء (٥: ١٢ و١٣: ٧ و٣٣ ورؤيا ١٢: ١٠). ومن المحزن, أن يكون التلاميذ في هذه "الساعة" الفاصلة, غير خليقين بهذا الإيمان الذي جاهروا به, ب يرجعون القهقري, وينزلون عن هذا المستوى الراقي الذي رفعهم إليه حديث المسيح الوداعي. "تتفرقون فيها".

كما تتفرق الرعية بعد أن يضرب الراعي (انظر ١٠: ١٢ وزكريا ١١: ١٦ و١٣: ٧).
"كل واحد إلى خاصته". كلمة: خاصته "قد

وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي. وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِي لأَنَّ الآبَ مَعِي. ٣٣قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ
سلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

تعني – بيته (١٩: ٢٧), أو مهنته (متى ٢٦: ٥٦).

- ج – المسيح ينبئهم بوحدته المأنوسة: "وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي". ما أشبه هذا النبأ باليوم الطبيعي! شطره الأول حالك كالليل: "وتتركوني وحدي". وشطره الثاني مضيء كالنهار: وأنا لست وحدي لأن الآب معي".

الوحدة نوعان: وحدة محلية مكانية – كوحدة السجين في سجنه الانفرادي. ووحدة معنوية نفسية, هي تلك التي يقاسيها المصلح حين يكون محاطاً بجمهور من قومه وذويه, الذين لا يشاطروه أفكاره, وآماله, وآلامه. هذا النوع الثاني من الوحدة هو الذي قاساه المسيح فقد كان وحيداً في آماله, وآلامه, وأفكاره, وشخصيته, وصفاته, وتضحيته. حتى أثناء وجود التلاميذ معه, كان وحيداً. فكيف به بعد تفرقهم عنه؟ غير أن وحدته التي قاساها بالنسبة للغير, كانت في الوقت نفسه وحدة مأنوسة: "وأنا لست وحدي, لأن الآب معي". هذه هي الوحدة التي لا تعرف الوحشة. إن الانصراف ن الناس هيأ له فرصة مناسبة للاختلاء بالآب: "لأن الآب معي" – ليست هذه مجرد معية – وإن تكن ملكية – وإنما هي وحدانية الروح, والألفة, والمحبة, والمساواة.

عدد ٣٣. مسك الختام: "لكم في سلام". "في العالم .... لكم ضيق".

وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ».

"ولكن ثقوا أنا ...". ما أجمل هذا الختام الذي فيه رسم المسيح للتلاميذ صورتين متناقضتين وختمهما بنتيجة خالدة. في الصورة الأولى رسم لهم البيئة الروحية الداخلية المحيطة بهم: "في" وفي الصورة الثانية وصف لهم البيئة المادية الخارجية المحدقة بهم: "في العالم", ثم قارن بين هدوء البيئة الأولى: "في سلام", وهياج البيئة الثانية: "في العالم ... ضيق". ومن فرط حب الفادي, أنه لم يتركهم في حيرة من مصير كل من هاتين البيئتين, بل أنبأهم بالصراع العنيف الذي حمى وطيسه بينهما. فانتهى بانتصار المسيح على العالم.

وردت استعارة "الغلبة", في كتابات يوحنا مراراً عدة, ومرتين فقط في كتابات بولس (رو ٨: ٣٧ و١٢: ٢١). ولم ترد قط في كتابات غيرهما. إن نصرة التلميذ, مستمدة من نصرة السيد, وأن حلقة الاتصال بينهما هي الثقة. فلن ينتفع التلميذ بنصرة سيده إلا على قدر ما يثق بسيده: "ولكن ثقوا". وأن مجد نصرة الفادي هو أنها تمت فعلاً. فإذا ما حاربت العالم, فلنذكر أننا نحارب عدواً مهزوماً, وإننا نجاهد جهاداً مضمونة نتيجته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مطالب الشفيع الأعظم

اَلأَصْحَاحُ السَّابِعُ عَشَرَ

بعد أن فرغ المسيح من التحدث إلى تلاميذه, انصرف إلى حديثه مع الآب. في تحدثه إلى تلاميذه, أحاطهم بحنوه, وشملهم بنظره, مخاطباً إياهم بالقول: "يا أولادي!" (١٣: ٣٣).
وفي حديثه مع الآب, رفع عينيه نحو السماء وقال: "أيها الآب". ما أقرب التشابه الكائن بين الحديثين في براعة الاستهلال! فقد استهل المسيح حديثه مع تلاميذه بالقول: "الآن تمجد", وافتتح كلامه مع الآب بالقول: "قد أتت الساعة. مجد". فالفاتحة في كليهما تشير إلى الصليب الذي يكلله المجد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا الأصحاح, كما قال فيه بنغال "يعتبر في مقدمة فصول الكتاب من حيث بساطة التعبير وسهولة اللفظ. وفي طليعتها, من حيث سمو الفكر".

في هذا الفصل, حفظت خير صلاة رفعت بعد خير عظة في التاريخ.

قدم المسيح هذه الصلاة على مسمع من التلاميذ, وعلى مقربة منهم, في ذلك المكان عينه الذي ألقى فيه القسم الثاني من خطابه الوداعي. وقد أخذنا بالرأي القائل أنه في البقعة القريبة من وادي قدرون عند منحدر جبل الزيتون. قدم المسيح هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ, ليقدم لهم مثالاً لصلاته على الأرض, وصورة ضئيلة لشفاعته في السماء.

في هذه الصلاة أجمل المسيح ما قاله في خطابه الوداعي. ووضع ختمه على كل أعماله الماضية, ملقياً نظره على الماضي, والحاضر, والمستقبل.

١تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهَذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ

هذه صلاة التكريس التي رفعها الكاهن الأعظم, وفيها قرب ذاته قرباناً على مذبح التكريس في الهيكل السماوي, قبل أن يقدمها ذبيحة على الصليب في هيكل الجلجثة. وفيها أيضاً رفع صلاة شفاعية, ضمنها ثلاثة مطالب:

أولاً: طلبه المتعلق بشخصه في صلته بالآب – ليسترد مجده. (١٧: ١ – ٥).

ثانياً: طلبه الخاص برسله – لأجل حفظهم وتقديسهم (١٧: ٦ – ١٩).

ثالثاً: طلبه بشأن كنيسته – لأجل توحيد صفوفها (١٧: ٢٠ – ٢٦).

هذه المطالب الثلاثة مجتمعة كلها حول عبارة واحدة: "مجد الله".

الطلب الأول (١٧: ١ – ٥) – يتركز في كلمة واحدة: "مجد" (عدد ١ و٥). والطلب الثاني يدور حول كلمتين: "احفظهم" (عدد١١), "وقدسهم" (عدد ١٧). والطلب الثالث تجمعه ثلاث عبارات: "ليكون الجميع واحداً", "يكونون معي", "ليكون فيهم الحب" (عدد ٢١ و٢٤ و٢٦).

أولاً: الطلب الأول – متعلق بشخص المسيح في صلته بالآب. (١٧: ١ – ٥). تحدثنا هذه الأعداد, عن ثلاثة أمور خاصة بهذا الطلب المتعلق بالمسيح:

عدد ١. (أ) جوهر هذا الطلب. ينبئنا هذا العدد بـ : (١) الظرف الذي قدم فيه هذا الطلب: "تكلم يسوع بهذا ورفع ....". بعد أن فرغ المسيح من مخاطبة الأرض اتجه إلى مخاطبة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السماء. (٢) اتجاه هذا الطلب: "رفع عينيه نحو السماء". هذه الكلمات تعين اتجاه أفكار المسيح, كما أنها تعين أيضاً اتجاه الصلاة نفسها: "نحو السماء". في هذا درس لمن يصلون

وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ

وعيون أذهانهم شاخصة إلى الناس, منتظرين علامة استحسان أو كلمة ثناء. هؤلاء, صلاتهم أفقية, لا عمودية, فهي "حائمة" حول رؤوس الناس, وليست "صاعدة" بثبات إلى عرش الله. على أن هذه الكلمات ليست قاصرة على تعيين اتجاه لأفكار المسيح وقت رفعه هذه الصلاة, لكنها تصف أيضاً اتجاه حياة المسيح بأسرها, فقد قضى كل حياته على الأرض, وهو على اتصال دائم وثيق بالآب الذي في السماء. (قابل هذا بما جاء في ١١: ٤١ ولوقا ١٨: ١٣ وأعمال ٧: ٥٥). ومع أن الله موجود في كل مكان, إلا أن جلال السماء المنظورة, هو خير رمز لمجد الله المتلألئ في السماء الغير المنظورة وكذلك رفع العينين إلى السماء, يحمل رمزاً ضمنياً إلى تسامي النفس فوق القيود المادية المحيطة بها. (٣) الشخص الذي قدم هذا الطلب: "يسوع". هذه صلاة الشفيع الأعظم حال وجوده بالجسد على الأرض, وهي أيضاً دليل على شفاعته في السماء, حيث حمل معه بشريتنا في جسد مجده. (٤) الشخص الذي إليه رفع هذا الطلب: "وقال أيها الآب". لما علم المسيح تلاميذه أن يصلوا, قال لهم: متى صليتم فقولوا "أبانا ....", لأنهم أخوة – مع سائر المؤمنين – للآب الواحد. لكنه لما صلى هو, قال "أيها الآب" غير حاسب معه شريكاً في هذه النسبة القدسية الفريدة. فهو "الابن الوحيد" بمعنى سام يمتاز عن بنوة المؤمنين للآب. وقد استعمل المسيح في هذه الصلاة, الكلمة الآرامية: "الآب", للتعبير عن تلك الصلة الباطنية, الروحية السرية, الغير المدركة, الكائنة بين الأقنوم الأول,

قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ

والأقنوم الثاني في اللاهوت (قابل هذا بما جاء في شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٣١١).

إن الله أب لجميع الجنس البشري, بوجه عام, باعتبار كونه خالق الجميع وهو أب للمؤمنين بنوع خاص, لأنه تبناهم لذاته, وأودع في قلوبهم حياة روحية مستمدة من روحه, وهو فوق كل ذلك, أب للمسيح بصفة ممتازة, فريدة, على أساس ما بين الأقنومين من وحدة في الجوهر, وتشابه في الصفات, ومحبة عميقة, أزلية, أبدية. فالمؤمنين هم أبناء الله بالتبني, لكن المسيح هو "الابن" طبيعياً وحقاً. وغني عن البيان, أن هذه الصلة الكائنة بين الأقنومين تختلف اختلافاً بيناً, عن الصلة الكائنة بين الوالد والمولود الأرضيين فالأولى صلة روحية, سماوية, والثانية جسدية أرضية (لمزيد الإيضاح راجع تفسير ١: ١٨). ومن الملاحظ, أن المسيح فاه بهذه الكلمة: "الآب", بنغمة الثقة, التي وليدة الدالة البنوية الصادقة. (٥) جوهر هذا الطلب: "قد أتت الساعة" – يريد "الساعة" التي تبدأ بالصلب, وتتوج بالقيامة,

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والصعود والمجد. هذه هي "الساعة" التي سبق المسيح فقال عنها في مناسبات سابقة: إنها لم تكن "قد أتت بعد" (٧: ٣٠ و٨: ٢١). "مجد ابنك" – إن تمجيد الابن هو إظهار جلال طبيعته, وكمالات قوته, وقوة كمالاته, أمام عيون الناس, بنصرته على الصليب, وكسره شوكة الموت, وإعادته إلى المقام الجليل الذي كان متمتعاً به قبل اتضاعه بالتجسد. كما أن تمجيد الآب هو إظهار اسمه الكريم للناس, بقدسيته, وقوته, وجلاله (عدد ٦).

لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضاً ٢إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَاناً عَلَى كُلِّ جَسَدٍ

(ب) غاية هذا الطلب (عدد ١ ب): "ليمجدك ابنك أيضاً". بإعلان اسمك وإعلائه أمام عيون المؤمنين, والعالم. لم يذكر المسيح كلمة: "الابن" في حالة الإطلاق, بل في نسبتها إلى الآب: "ابنك". إن تمجيد الابن, شرط لازم لتمجيد أبيه, كما أن تمجيد الآب, نتيجة طبيعية لتمجيد ابنه (انظر ٢: ٨). فالآب يمجد الابن, برضاه عنه, وتأييده له, وتعضيده إياه, ليكسر شوكة الموت. والابن يمجد الآب, بتعريف الناس به, وإتمام الرسالة التي تسلمها منه, وإطاعته حتى الموت, موت الصليب.

عدد ٢. (ج) الأساس الأول لهذا الطلب – إيهاب حياة أبدية للمؤمنين "إذا أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته". إن المجد الذي طلبه المسيح, هو تاج رسالته على الأرض, وهو مكافأتها. وأن الحياة التي أعطى المسيح سلطاناً ليهبها لخاصته, ليست قاصرة على البقاء, ولا هي مجرد الشعور بالوجود, لكنها حياة صادرة من الآب, عن طريق المسيح الذي هو الطريق. إذ به وحده يستطيع البشر أن يعرفوا الآب. (أيوب ٢٢: ٢١ ومتى ١١: ٢٧).

الكلمة الأولى: "كل", في قوله "كل جسد", كما وردت ي الأصل تعني الكتلة البشرية كافة, التي وهب المسيح سلطاناً مطلقاً عليها. حين أرسل إلى الأرض برسالة الخلاص (متى ٢٨: ١٨). والكلمة الثانية: "كل" في قوله "لكل من أعطيته", تعني كل فرد من المؤمنين الذين

لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. ٣وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ

أعطوا للمسيح ليكونوا خاصته في عهد الفداء. فـ"كل" الأولى, تعميمية إجمالية, و"كل" الثانية تخصيصية تفصيلية. وقد استعمل المسيح كلمة: "جسد" لتعني الإنسان كله في حال الضعف. هذا من قبيل إطلاق الجزء على الكل.

إن العبارة الثانية في هذا العدد: "ليعطي حياة أبدية", موازية للعبارة الثانية في العدد الأول "ليمجدك ابنك أيضاً". فكأن المسيح طلب الصعود الذي به يتمجد, ليكون تمهيداً ليوم الخمسين الذي فيه سيودع "روح" حياته في قلوب المؤمنين. وأن قوله "كل من أعطيته"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يذكرنا بأقواه التي مررنا بها في ٦: ٣٧ و٤٤ و٦٥ – "كل ما يعطيني الآب فإلي يقبل .... لا يقدر أحد أن يقبل إلي إن لم يجتذبه الآب .... لا يقدر أحد أن يأتي إلي إن لم يعط من أبي".

عدد ٣. (د) الصلة الكائنة بين تمجيد الله وإيهاب الحياة للمؤمنين – ماهية هذه الحياة الأبدية: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك يسوع المسيح الذي أرسلته". فالحياة الأبدية تقوم بمعرفة الآب والمسيح الذي أرسله. ومن المهم أن نلاحظ الوصف الذي وصف به المسيح الآب, فهو وص مثلث: (١) "الإله" – فهو إله ذاتي – هذا أكبر معول يهدم الاعتقاد بألوهية الكون. (٢) "الحقيقي" – ضد الوهمي, والخيالي, والنظري. هذا أقوى معول هادم لكل فلسفة طبيعية وهمية. (٣) "وحدك" – أي المتفرد بالألوهية – هذا أعظم معول يهدم الاعتقاد

وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ.

بتعدد الآلهة. وجدير بالذكر, أن هذا هو الموضع الوحيد, في كل الكتاب المقدس, الذي فيه نطق المسيح بلقبه كاملاً مردفاً إياه برسالته, فقال عن نفسه: "يسوع المسيح الذي أرسلته". ولعل السبب في ذلك, أن الفادي كان إلى الآن متجنباً استعمال كلمة "المسيح" عن نسه أمام الشعب – إلا في مرة واحدة أمام السامريين (٤: ٢٦). يؤيد هذا. وصيته لتلاميذه بعد اعتراف بطرس "أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح" (متى ١٦: ٢٠). أما الآن, وقد حان الوقت الذي فيه يعد التلاميذ للكرازة بشخصه فادياً ومسيحاً, فلم يكن هنالك بد من أن يسمع تلاميذه هذا اللقب كاملاً ولو مرة واحدة, قبيل انقضاء حياته على الأرض. فبقوله: "يسوع", أراد اسمه الإنساني – ومعناه مخلص, وهو من مصدر عبري, أصله "وسع" أي أفرج وخلص (متى ١: ٢١). وبقوله: "المسيح" أراد وظيفته الفدائية باعتبار كونه الممسوح من الله بمسحة الروح القدس ليكون ملكاً روحياً على شعبه. وقوله: "الذي أرسلته", يفيد سلطانه المطلق, الذي جاء أرضنا متقلداً إياه حاملاً اسم الآب وقوته. ومن الأهمية بمكان, أن نلاحظ أن وضع اسم "يسوع المسيح" جنباً إلى جنب مع اسم "الإله الحقيقي وحده", برهاناً ضمنياً على لاهوت المسيح, لأن هذا معناه أن معرفة المسيح موازية لمعرفة الإله الحقيقي وحده. وأن هذه المعرفة المزدوجة هي أساس الحياة الأبدية, وقوامها, وتاجها. إذ ليس المسيح مجرد أداة للمعرفة بمقدار كون الآب نفسه موضوع هذه المعرفة عينها.

٤أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. ٥وَٱلآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ

عدد ٤. الأساس الثاني لهذا الطلب: إتمام المسيح العمل الذي تسلمه من الآب: "أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته". إن الأساس الأول الذي ذكره المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في عدد ٣, كائن في بطن المستقبل: "ليعطي حياة أبدية". لكن الأساس الثاني المذكور في هذا العدد مرتكز إلى حقيقة تمت فعلياً في الماضي: "أنا مجدتك على الأرض, العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته".

يتألف هذا العدد من مقطعين, أولهما ممهد للثاني, وثانيهما مفسر ومكمل للأول. وكلا المقطعين يكون أنشودة جميلة صادرة عن نفس مطمئنة, وضمير مستريح, وحياة ظافرة. خالية من خطايا الفعل وخطايا الترك. لأن المسيح كامل كمالاًّ إيجابياً لا سلبياً. فهو لم يعمل شراً ولم يغفل خيراً.

عدد ٥. عود إلى بدء – المسيح يسترد مجده الأزلي للذي أخلى نفسه منه عند التجسد: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". إن قول المسيح: "عند ذاتك", يقابله المكان الوضيع الذي كان فيه المسيح "على الأرض" وقت رفعه هذه الصلاة. وإن قوله: "المجد الذي كان لي عندك", يقابله اتضاع المسيح وقتئذاك. نعم كان المسيح حال وجوده على الأرض, متمتعاً بمجد "كما لوحيد من الآب" (١: ١٤). لكن مجده في حال اتضاعه ليس سوى شعاعة من شمس مجده

عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ

الذي كان له عند الآب "قبل كون العالم". وأن قوله: "عند ذاتك" يفسره قول البشير في مقدمة هذه البشارة: "والكلمة كان عند الله", "الابن الوحيد .. في حضن الآب" (١: ١و١٨). هذا برهان جلي, على أن المسيح ذات, أزلي, لأن الكائن عند ذات الله, ذات مثله. ومتى كان المجد أزلياً, فالممجد, أزلي بالأولى.

كان المسيح أثناء وجوده على الأرض, متسربلاً ثوب بشريتنا, الذي حجب عن البشر لمعان مجده الأسني, لدرجة جهله فيها الأكثرون, حتى الأهل والأقرباء. ولو كان قد كشف القناع عن هذا المجد, لعرفه كل من نظر إليه وصاح قائلاً: "هذا هو". لكنه, بإرادته "أخلى نفسه من ذلك المجد "آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس" – بل في أوضع حال الناس – "فلا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه, محتقر ومخذول من الناس ... وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به". على أن المسيح لم يفقد ذلك المجد الأزلي, بتجسده. وإنما تخلى عنه باختياره - إلى حين – وكان دوماً حاملاً إياه بصورة محجوبة عن العيون المادية, فكان كجندي حامل سيفه معه أنى سار, وهو يحجب حد ذلك السيف في الغمد ليجرده أنى شاء. فلما "أتت الساعة" استرد المسيح ذلك المجد. ومن الأمور التي تستحق منا شكر الله, أن المسيح استرد ذلك المجد وهو حامل معه بشريتنا في جسد مجده, ولسوف "يغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.٦«أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ.

ثانياً – طلبه الخاص برسله: لأجل تكريسهم وتقديسهم (١٧: ٦ – ١٩)

يتركز هذا الطلب في طلبين أولاهما "احفظهم" (عدد ١١), وثانيهما "قدسهم" ٠(عدد ١٧). وقد مهد المسيح للطلبة الأولى, وأردفها بذكر نسبة التلاميذ إليه, ونسبتهم إلى العالم على اعتبار أن هذه النسبة المزدوجة, أساس مزدوج لهذه الطلبة. فالأساس الأول –أعني به نسبة التلاميذ إلى المسيح, مبين في الأعداد ٦ – ١٠. والأساس الثاني – أي وحشة التلاميذ في العالم, واقع في الأعداد ١١ – ١٥.

جميل أن نرى حسن ظن الفادي بتلاميذه الضعفاء, لدرجة تغاضى فيها عن جهالتهم (١٤: ١٩), وجبنهم (١٦: ٣٢), حاسباً لهم إيمانهم به, وحفظهم كلامه, وعلمهم بمصدر رسالته. لأن عينيه الطاهرتين, لمحتا وراء نبتة إيمانهم الغضة ثماراً ناضجة, ورأتا تقصيراتهم وضعفاتهم قلوباًًًًً مخلصة, ونفوساً واثقة. هذا أجمل تفسير لتلك النبوة القديمة التي قيلت عنه: "قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ". فمن هذه القصبات المرضوضة, أقام أعمدة راسخة في هيكل المسيحية, ومن هذه الفتائل المدخنة, أقام منائر مضيئة.

عدد ٦-١٠ (أ) الأساس الأول لهذه الطلبة انتساب التلاميذ للمسيح

عدد ٦: (١) وصف مثلث للتلمذة الحقة في بذرتها "أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا

كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي وَقَدْ حَفِظُوا كلاَمَكَ. ٧وَٱلآنَ عَلِمُوا أَنَّ

كلامك". في هذا العدد وضع المسيح ثلاثة جوانب للتلمذة الحقة: - (١) التلمذة الحقة من جانب المسيح: "أنا أظهرت اسمك للناس". إن قوله: "أنا أظهرت اسمك", يوازي قوله في عدد ٤ "أنا مجدتك على الأرض", وكلا القولين مفسر للآخر. أما "الناس" الذين قصدهم المسيح بقوله: "أظهرت اسمك للناس" فهم تلاميذه. (٢) التلمذة الحقة من جانب الآب: "الذين أعطيتني من العالم كانوا لك وأعطيتهم لي", فالتلاميذ هم عطية الآب([١]) للمسيح (٦: ٤٤و ٦٥). (٣) التلمذة الحقة من جانب التلاميذ: "وقد حفظوا كلامك". فمن هذه الثلاثة الجوانب نرى أن المسيح عرف, والآب أعطى. والتلاميذ حفظوا. وكل هذه الثلاثة الجوانب مرتبطة ببعضها تمام الارتباط, ومكونة حجة قوية رفعها المسيح إلى الآب بقوله: "احفظهم في اسمك" (عدد ١١) هذا بمثابة القول: "لا تتخل عن عمل يديك". ولا شك في أن هذه الطلبة تحمل معها إجابتها, لأنه لا يعقل أن الآب يجعل خدمة المسيح عبثاً, ولا أن يجعل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عطيته تذهب هباء, كما أنه لن ينسى تعب محبة التلاميذ, وعمل إيمانهم, وصبر رجائهم, في حفظهم كلام الله, وقبولهم الفادي رباً ومسيحاً.

كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ ٨لأَنَّ الْكلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِيناً أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. ٩مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ

عدد ٧ و٨. وصف مثلث للتلمذة الحقة في نموها وكمالها "علموا" ... "قبلوا" ... "آمنوا". هذه ثلاث كلمات, بمثابة ثلاث درجات في سلم الإيمان الراقي. فالدرجة الأولى: "علموا", تعني التمييز. أي أن التلاميذ عندما سمعوا رسالة المسيح, ميزوها وحكموا بأنها رسالة سماوية من عند الآب: "علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك". هذا نصيب العقل في الإيمان. والدرجة الثانية: "قبلوا", تفيد ترحيب التلاميذ بالمسيح ترحيباً قلبياً, وإدخالهم إياه إلى أعماق نفوسهم, نتيجة علمهم اليقيني الاختباري بمصدر رسالته وصدق مسيحيته. هذا نصيب القلب في الإيمان. والدرجة الثالثة: "آمنوا", تشير إلى العزيمة الثابتة الملهمة بنور العقل والملتهبة بنار القلب. هذا نصيب الإرادة في الإيمان. فالإيمان ينشأ بالمعرفة, ويستضيء بالتمييز, ويتغذى بالمحبة, ويتشدد بالعزيمة, ويتوج بالثقة.

إن المسيح يتكلم عن نفسه في هذه الأعداد باعتبار كونه فادياً ووسيطاً ...

عدد ٩. (١) مدى شفاعة المسيح: "من أجلهم أنا أسأل. لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتني". يحدثنا هذا العدد, عن مدى تشفع المسيح, في كلمتين – الأولى: إيجابية جامعة, وبها يستهل العدد ويختتم "من أجلهم أنا أسأل .... من أجل الذين أعطيتني لأنهم

بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لأَنَّهُمْ لَكَ. ١٠وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ

لك". والكلمة الثانية: سلبية مانعة, وهي واقعة في قلب هذا العدد: "لست أسأل من أجل العالم". على أن امتناع المسيح عن أن يتشفع في العالم, ليس امتناعاً مطلقاً بل محدوداً بهذا الظرف الخاص, لأنه واضح من قول المسيح: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا ٢٣: ٣٤) إنه كان مصلياً من أجل العالم. ولكنه امتنع هنا عن أن يطلب للعالم حفظاً, لأن العالم لا يحتاج إلى الحفظ, ولا إلى التقديس, لكنه يحتاج أولاً إلى التجديد, والتغير, والإيمان (١٧: ٢١). ولأن حفظ العالم في حالة, نقمة لا نعمة. ولأن أساس هذا التشفع لا ينطبق على العالم, الذي لم يحفظ كلام الله (عدد ٦), ولأن العالم ليس من خاصة الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويعتقد رايل وبعض المفسرين, أن المعنى في هذه العبارة, منصرف إلى شفاعة المسيح بوجه عام, فهو لا يشفع في العالم المتمرد "الذي لا يقبل روح الحق" (١٤: ٢٧). لأن الصلاة من أجل عالم هذا وصفه, تحسب عبثاً. ونميل نحن إلى الأخذ بالرأي الأول. ولعل كثيرين من الذين آمنوا بالمسيح يوم الخمسين, كانت لهم شركة فعلية في صلب المسيح يوم الجمعة الحزينة.

(٢) الحجة الأولى لشفاعة المسيح في هذا الظرف: "لأنهم لك" – فمع أن المؤمنين أعطوا للمسيح, ليقتهم ويقيهم, إلا أنهم لا يزالون ملكاً للآب, فالمسيح مكلف بحراستهم كراع مؤتمن, وفاد أمين.

وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ. ١١وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ وَأَمَّا هَؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ

عدد ١٠ – الملكية المتبادلة: "كل ما هو لي, فهو لك. وما هو لك فهو لي" – هذا دليل على تكريس المسيح التام, وعلى شعوره اليقيني بعظمة لاهوته, واتحاده الكامل بالآب. فهل يقوى مجرد إنسان, على أن يخاطب الله بمثل هذه اللغة: "كل ما هو لك فهو لي"؟ في إمكان أي إنسان مؤمن, أن يشارك المسيح في العبارة الأولى: "كل ما هو لي فهو لك", لكن لا يجسر أحد غير المسيح أن يشاركه في العبارة الثانية: "وما هو لك فهو لي". إن قوله: "كل ما هو لي", ليس قاصراً على الأشخاص, بل يشمل أيضاً كل الحقوق والممتلكات.

(٣) الحجة الثانية لشفاعة المسيح في هذا الظرف – التلاميذ المحفوظون, هم أداة لتمجيد المسيح: "وأنا ممجد فيهم" – أي تمجدت في الماضي ولازلت ممجداً فيهم بإيمانهم وطاعتهم ومحبتهم وولائهم, فكما أن الكرمة تتمجد في أغصانها المثمرة كذلك تمجد المسيح التلاميذ في. قابل أفسس ٢: ٢٠.

(ب) الأساس الثاني لطلبة المسيح: وحشة التلاميذ في العالم (١٧: ١١ – ١٥). في هذه الأعداد, بسط المسيح هذا الأساس بكل بساطة ووضوح ثم ردده بين حين وآخر, نظراً لشعوره بوحشتهم الأليمة التي سيتجرعون غصصها بعد ارتفاعه عنهم: "ولست أنا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي إليك". في هذه العبارة, رأى المسيح نفسه وقد فرغ

احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً

من الصلب, وأتم عملية الفداء, ولفرط حبه لتلاميذه انشل بهم عن ذاته, مع أنه كان محاطاً بظل الصليب, فذكرهم ي وحدتهم, وهو عالم أنهم سيتركونه في وحدته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(١) النداء الخاص الذي تستهل به هذه الطلبة: "أيها الآب القدوس" – هذه هي المرة الثانية التي فيها يتوجه المسيح إلى الآب بنداء خاص, أثناء هذه الصلاة الشفاعية – المرة الأولى في عدد ١. على أنه ي هذه المرة الثانية قد وجه الخطاب إلى الآب, بكلمات لم ترد إلا في هذا المكان وحده, فقال: "أيها الآب القدوس". فما أكثر ملائمة هذا النداء إلى طبيعة هذه الطلبة! إذ أن "الآب القدوس" وحده هو الكفيل بحفظ التلاميذ في اسمه, مقدسين من كل دنس في العالم. فقداسة الآب, هي الضمان الأوحد لقداسة المؤمنين.

(٢) جوهر هذه الطلبة: "احفظهم في اسمك الذين أعطيتني" – يراد بـ"اسم الآب", كل الحق الذي أظهره المسيح, وأعلنه للتلاميذ عن ذات الله وصفاته, بما فيها القدرة, والمحبة, والحكمة, والقداسة (عدد ٦), فحفظ التلاميذ في "اسم الآب", يراد به حفظهم ثابتين في دائرة هذا الحق المعلن, ومتحصنين في ذات الله, وفي شخصه. لأن "اسم الرب" برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع. وقد أراد المسيح أن يحفظ تلاميذه باستمرار داخل هذا "الحصن المنيع" فترتد عنهم سهام الشرير. إن العالم بيئة خارجية محيطة بالتلاميذ, مليئة بالبغضاء والتجارب المصوبة إليهم, لكن

كَمَا نَحْنُ. ١٢حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ.

اسم الله بيئة داخلية قدسية, تحيطهم بغلاف من المناعة الروحية التي تطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة.

(٣) الغاية الأولى من هذه الطلبة: "ليكونوا واحداً كما نحن" – هذا هو المثل الأعلى للوحدانية التي يجب أن تتوفر في المؤمنين, بالنسبة لبعضهم البعض, فهي ليست وحدانية في العقيدة, ولا هي وحدانية في النظام, ولا هي وحدانية جغرافية, لكنها وحدانية روحية, باطنية, مؤسسة على شركة في الجوهر الواحد, والروح الواحد, والرأي الواحد, والإرادة الواحدة. على أن الاتحاد الذي يمكن أن يوجد بين المؤمنين, وإن تعذر بلوغه إلى الاتحاد بين الآب والابن في نوعه وكميته, فمن المستطاع أن يكون على مثاله.

عدد ١٢. (٤) "أبناء العناية, وابن الهلاك": "حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك" – أي كنت أحرسهم, واسهر عليهم – "الذين أعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب". هذه حقيقة لها جانبان. جانبها الأول مشرق بنور دونه نور النهار, يبعث في نفس المؤمن عزاء: "الذين أعطيتني حفظهم ولم يهلك منهم أحد". وجانبها الثاني, مفعم ناراً لاذعة تصلي الأشرار عذاباً: ".... ابن الهلاك". وقد نعجب إذ نسمع كلمة "ابن الهلاك" صادرة عن لسان المسيح, الذي يفيض دوماً رقة وعذوبة, لكن عجبنا يزول متى ذكرنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ابْنُ الْهلاَكِ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ. ١٣أَمَّا الآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ. وَأَتَكَلَّمُ بِهَذَا فِي الْعَالَمِ
أن المسيح المحب هو المسيح "الحق" . فمع أن "الحق" مر، إلا أنه من الواجب أن يقال.
كلمة ابن الهلاك" وردت مرتين في العهد الجديد – هنا وفي ٢تس٢: ٣، وهي عبرية في تركيبها ومعناها – على مثال قوله "أولاد نور" (أفسس٥: ٨) و"أولاد" (إش٥٧: ٤) و"أبناء الموت" (١صم٢٦: ١٦). ويراد بها أن يهوذا مستحق الهلاك، لأنه حامل في طبيعته عوامل الهلاك أسبابه.

وهنا يعترضنا سؤال: هل كان يهوذا ضمن اللذين أعطهم المسيح من الآب، فصار فيما بعد من أبناء الهلاك؟ وجوابنا على ذلك: "كلا". فان يهوذا كان منذ البداءة "ابن الهلاك"، ولم ينتفع شيئاً من وجوده مع المسيح. وقد استعملت كلمة: إلا" في هذه القرينة بمعنى: "أما" أو "إلا أن" كما في (متى١٢: ٤). فالاستثناء الواقع بعدها في قوله: "لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك". هو استثناء منقطع، لأن يهوذا لم يكن من اللذين أعطاهم الآب السماوي. فكأني بالمسيح يقول: "أما الواحد الذي هلك وهو يهوذا "ابن الهلاك"، فلم يكن من اللذين أعطيتني إياهم، لذلك هلك، وأنا لم أحفظه. إلا أن هلاكه لم يكن حادثاً غريباً. لأن الكتاب سبق فأنبأ عنه".
"ليتم الكتاب" – الإشارة هنا إلى ما جاء في مزمور٤١: ٩، وليس المراد بها أن يهوذا هلك لكي يتم الكتاب – كأن إتمام الكتاب، كان أحد
لِيَكُونَ لَهُمْ فَرَحِي كَامِلاً فِيهِمْ. ١٤أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كلاَمَكَ وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي البواعث العاملة على هلاك يهوذا، بل إن هلاك يهوذا جاء متفقاً مع ما سبق فأنبأ عنه الكتاب. وهذا لا يخلى يهوذا من المسؤولية ، لأنه لم يكن عالماً بأن ما في الكتاب ينطبق عليه. ولأنه لم يقدم على فعلته الشنعاء ليتمم ما في الكتاب، بل ليتمم شهواته الساقطة. وإن أكبر حجة على ذلك. هي شهادة ضميره الذي ثار عليه فتخلص من تأنيباته، بأن مضى وشنق نفسه.
عدد١٣ . (٥). الغاية الثانية من هذه الطلبة – ليكون فرح المسيح كاملاً في التلاميذ: "أما الآن فاني آتي إليك". مع أن المسيح سبق ففاه بهذه الحقيقة في عدد١١، إلا أنه وجد لذة خاصة في تكرارها في هذا العدد. فليس أحب إلى النور من أن يلتقي بالنور. "وأتكلم بهذا في العلم" – أي وأرفع هذه الصلاة بصوت مسموع من التلاميذ وأنا معهم في العالم – "ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم". إن الفرح المعبر عنه هنا، هو الفرح المالئ قلب المسيح، نتيجة عمله بسرعة انطلاقه إلى الآب، ويقينه بأن تلاميذه الذين سيتركهم من بعده.
سيكونون في حراسة الآب وحفظه. وجدير بالملاحظة أن المسيح أراد أن يكون فرحه: (١) ملكاً للتلاميذ، بدليل قوله: "ليكون لهم" (ب) كاملاً: "كاملا" – غير مشوب بخوف أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ضعف ثقة، أو شعور بوحشة وانفراد. (ج) في أعماق نفوسهم : "فيهم" إن ممتلكاتنا التي حولنا ليست لنا . لأنها معرضة للزوال. فلا يبقى لنا إلا ما نملكه في أعماق نفوسنا.

أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ ١٥لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ عدد ١٤ (٦) التلاميذ بين المسيح وبين العالم: " وأنا قد أعطيتهم كلامك". يراد ب "كلام الله" خلاصة ما أعلنه المسيح للتلاميذ عن ذاته وعن الآب. إذا أعطاهم كلام الآب، وضع في قلوبهم طبيعة جديدة مستمدة من طبيعته، ومن نوعها، لكنها منافية لطبيعة العلم. فالنتيجة الطبيعة لذلك، أن العالم . فالنتيجة الطبيعية لذلك، أن العالم أبغضهم لأن طبيعتهم الجديدة رفعتهم فوق مستوى العالم فأصبحوا من طبيعة مغايرة لطينة العالم، مع أنهم كانوا في العالم: "لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم". فأمامنا الآن عزاء التلمذة وعذابها. أما عزاؤها فهو أن تلميذ المسيح موضوع حراسته (عدد١٢) وممتلئ بفرحه (عدد١٣) ومتشبع بكلامه (عدد١٤). وأما عذابها فهو أن التلميذ موضوع بغضة العالم. وهل يخشى عوى الذئاب من يشرق على وجهه رضى الله؟
عدد ١٥ (٧) ماهية هذه الطلبة: "لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير". في ختام هذه الطلبة عبر المسيح عن ماهيتها بكلمات مانعة جامعة. أما كلماته المانعة، فهي قوله: " لست أسأل أن تأخذهم من العالم" . لحكمة ممتازة، لم يسأل المسيح من الآب أن يأخذ التلاميذ من العالم لأن وجودهم في العالم نافع للعالم، فهم ملح الأرض، وهم نور العالم. وما نفع الطعام بغير ملح، وما قيمة المدينة من غير نور؟ فضلاً عن ذلك فإن وجودهم في العالم نافع لهم. فالعالم مدرسة يتلقّى فيها التلاميذ دروساً ثمينة في الصبر والإحتمال وطول الأناة، وفوق ذلك فإن عليهم رسالة لم يكملوها بعد. فمن يحمل رسالة المسيح بعد صعوده إذا رفع تلاميذه معه من العالم ؟ وأما كلماته الجامعة فهي قوله: "بل أن تحفظهم من الشرير" – كالزنبقة البيضاء تكون محافظة على جمالها وهي في وسط الأوحال، أو كرأس الإبرة المغنطيسية يكون على الدوام مثبتاً إلى الشمال، مهما هبت العواصف وتقلبت الأجواء، أو كنبع مياه في قلب صحراء قاحلة. إن القداسة التي طلبها المسيح لتلاميذه ليست سلبية قائمة بالمنع والهرب وإنما هي ايجابية تقوم بالمنح والحرب الظافرة المنتصرة، فمجرد الانفصال المادي عن العالم لا ينفع. وإنما الذي ينفع هو الاتصال التام بالله . إن القداسة القائمة على ما حولنا لا تعني فتيل. وإنما القداسة الحقة هي القائمة على ما فينا.

إن النيران التي كانت محيطة بالثلاثة الفتية، لم تقو على إحراقهم، لأنهم كانوا محاطين بابن الله، فالبيئة الداخلية الروحية تحطم سهام البيئة المادية لأنهم كانوا محاطين بابن الله، فالبيئة الداخلية الروحية تحطم سهام البيئة المادية الخارجية (١ يو ٥: ١٨ و١٩، ٢ تس ٣: ٣، ١ يو ٢: ١٣ و ١٤، ٣: ١٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة: "الشرير" ، قد تني الشر مجسماً في شخص إبليس، كما في الطلبة المتضمنة في الصلاة الربانية: "نجنا من الشرير" (متى ٦: ١٣)، وقد تعني الشرير كمبدأ عام، أو "المحيط الشرير" – أي "العالم الذي وضع كله في الشر" (١ يو ٥: ١٩). إن هذه الطلبة وسائر طلبات المسيح، تحمل معها جوابها فهي وعد، ونبوة بأن الله، لن يحفظ إلا الذين يريدون أن يحفظوا أنفسهم.

كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ. ١٧قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. طلبة المسيح الثانية لأجل رسله – إن تقدسوا في الحق (١٧: ١٦- ١٩). مررنا في الأعداد السابقة، بالطلبة الأولى التي رفعها السيد المسيح لأجل رسله "أن يحفظوا من الشرير" ، وها نحن نواجه طليته الثانية لأجلهم (عدد ١٧). بحجة أخرى مؤيدة لها(عدد ١٨ و ١٩)

عدد ١٦ . (١) الحجة الممهدة لهذه الطلبة: انعزال التلاميذ عن العالم: "ليسوا من العالم كما أنا لست من العالم" – سبق الفادي فنطق بهذه الكلمات عند ختام الطلبة السابقة (عدد ١٤)، وقد أوردها هنا أيضاً مكرراً ومقرراً. فهي، والحالة هذه حلقة اتصال بين الطلبتين. بها تختتم الطلبة الأولى، وتستهل الطلبة الثانية.

" ليسوا من العالم" – في طبيعتهم، وأميالهم، وآمالهم. ليس هذا انعزالاً مادياً جغرافياً، لكنه انعزال روحي على مثال انعزال المسيح عن العالم. فمع أن التلاميذ كانوا عائشين في العالم. وأن مغايرتهم للعالم، نتيجة طبيعة مشابهتهم للمسيح. فالعبرة ليست بالظرفية المكانية، بل الحالة الروحية.

عدد ١٧ . (ب) جوهر الطلبة: " قدسهم في حقك: كلامك هو حق". كان من الطبيعي، أن يأتي هذه الطلبة بعد الطلبة السابقة، لأنهما مرتبطتان معاً ارتباطاً منطقياً. فمن الطبيعي أن الحفظ يسبق لتقديس، لأن الحفظ إعدادي للتقديس و التقديس متمم للحفظ. الحفظ سلبي: "من الشرير" ،

كلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ. ١٨كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ. والتقديس إيجابي: "في الحق" . فالتلاميذ "ينقلون" من منطقة الشرير الموبوءة، ليوجدوا في منطقة الحق النقية، فيتشبعوا من جوها المقدس والمقدس. أساس الطلبة الأولى، هو انفراد التلاميذ في العالم. لكن أساس الطلبة الثانية هو عمل التلاميذ في العالم، باعتبار كونهم رسل المسيح.

أراد المسيح ب: "تقديس" التلاميذ، معنيين: المعنى الأول داخلي، وهو انتزاع كل ميل نفساني، جسداني، مادي، من قلوبهم . أو بعبارة أرى تطهيرهم من كل ما هو مغاير لروح الله وإرادته. فمع أن التلاميذ تبرروا دفعة واحدة،إلا أنهم يحتاجون إلى التقديس يوماً فيوماً. والمعنى الثاني خارجي، وهو تكريسهم وتخصيصهم نهائياً و كمالياً للخدمة الرسولية التي تسلموا مقاليدها من المسيح، وسيتحملون مسئوليتها بعد انطلاقه عنهم، مثلما كان يتخصص الكاهن قديماً لخدمة الكهنوت . قابل هذا بما جاء في رومية ١٢: ١ – "قدموا أجسادكم – على اعتبار أن الجسد ممثل للإنسان كله – "ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله". فالتقديس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في معناه الأول، مركزه القلب، وفي معناه الثاني مركزه الإرادة والني. أما "الحق" فهو أداة تقديسهم، وهو أيضاً الجو الذي فيه يتقدسون. فلا يكفي أن يكون "الحق" في التلاميذ، بل يجب أن يكون التلميذ أياً في الحق، فيكون لهم الحق جواً روحياً يتنشقون منه عبر القداسة والحرية. ويراد ب "الحق" ، خلاصة المعلنات التي أتى بها المسيح عن الآب وعن نفسه (عب ١: ١)، أو قل: إن "الحق" هو المسيح نفسه. فإذا ما قلنا إ، "الشرير" هو الشرأَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ ١٩وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي مجسماً، جاز لنا أن نقول أيضاً إن المسيح هو الحق متأنساً. أما الجزء الثاني من هذه الآية: "كلامك هو الحق" – أو : "هو الحق"، فهو مفسر، ومكمل لقوله: "حقك". والترجمة الحرفية لقوله: "كلام"، هي: "الكلام الذي لك"، على اعتبار أن المسيح لم يتكلم بشئ من عندياته، إذ أنه هو نفسه "كلمة الله المتجسد" .

عدد ١٨ و ١٩. (ج) الحجة المؤيدة لهذه الطلبة. تتضمن هذه الحجة باعثين – أولهما: عمل الرسل لأجل المسيح، في العالم (عدد ١٨) . وثانيهما: عمل المسيح لأجل الرسل (عدد ١٩).

عدد ١٨ . الباعث الأول – عمل الرسل لأجل المسيح، في العالم "وكما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم" . كان على التلاميذ أن يؤدوا الرسالة التي حملهم المسيح أعباءها، فيقوموا بها نيابة عنه بعد انطلاقه إلى السماء، هي إلى حد ما، مشابهة للرسالة التي تسلمها المسيح الآب ، وإن كانت ليست من نوعها ولا في درجتها . فالمسيح أرسل من السماء إلى العالم، لكن تلاميذه أرسلوا من العالم إلى العالم. رسالة المسيح فدائية، لكن رسالة التلاميذ تبشيريّة. غير أن رسالة التلاميذ تحسب على نوع ما، إمتداداً لرسالة المسيح. مع أن الرسل لا يتألمون مثلما تألم المسيح، إلا أنهم "سيكملون نقائص شدائد المسيح في أجسامهم" (كو ١: ٤).

إن وجه الشبه الرئيسي – إن جاز أن يكون هنالك تشبيه – بين رسالة المسيح ورسالة التلاميذ، هو تقديس المرسل. فكما الآب "قد قدس
لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ. ٢٠«وَلَسْتُ
المسيح" – أي كرسه، وخصصه، وهيأ له جسداً مقدساً – قبل أن يرسله إلى العالم (١٠: ٣٦) ، كذلك أراد المسيح أن "يقدس" رسله، بحقه، وبشفاعته فيهم، وبتقديسه ذاته من أجلهم – قبل أن يرسلهم إلى العالم. غير أن تقديس المسيح، يختلف عن تقديس الرسل، كما يتبين مما يلي:

عدد ١٩ . (٥) الباعث الثاني – ما يعمل المسيح لأجل الرسل: "ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق" . إن "تقديس" التلاميذ، هو تطهيرهم داخلياً، ثم تكريسهم خارجياً. لكن "تقديس" المسيح، عمل خارجي، بقوم بتكريسه ذاته، وتقديمها لله ذبيحة حية مقدسة. فضلاً عن ذلك، فإن التلاميذ عاجزون كل العجز، عن أن يقدسوا ذواتهم. إذ لا يمكن للفساد أن يقدس الفساد. لكن "تقديس" المسيح، يقوم به ذاته: "أقدس أنا ذاتي" – أي يقدم ذاته بمشيئته الحرة المختارة، على مذبح الصليب، إذ"بروح أزلي قدم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفسه لله بلا عيب" (عب ٩: ١٤). فهذه المشيئة صار الرسل والمؤمنون "مقدسين بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠).

ولا يغرب على بالنا، أن المسيح فاه بهذه الكلمات، باعتبار كونه رئيس كهنتنا الأعظم، وهو متهيئ لتقديم ذاته على الصليب. ويقول جودي: إ«المسيح بعمله هذا، قد هيأ طبيعة إنسانية مقدسة، حاملاً إياها إلى المجد، ليودعها في قلوب الرسل وسائر المؤمنين، بروح قدسه. "لأنه إ، كنا قد صرنا متحدين مع المسيح بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا أن

أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلاَءِ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي

إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية" (رو ٦: ٥ و٦) . "لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو ٨: ٢).

إن تقديس المسيح ذاته، عمل تكريسي فدائي، لم يكن هو في حاجة إليه، بل قام به لأجل الرسل ولأجلنا. أما قولنا في نهاية هذا العدد: "في الحق" ، فمعناه: "لكي يكونوا مقدسين فعلاً، وحقاً" لا اسما، وطقساً، وصورة. ويجوز أن تترجم هذه العبارة إلى: "مقدسين بالحق".

ثالثاً . طلب المسيح لأجل كنيسته (١٧: ٢٠ – ٢٦)

إن فوائد هذا الطلب الثالث تمتد إلى جميع المؤمنين بالمسيح. وهو يتألف من طلبتين – كل منهما تحمل معها نتيجتها، والباعث عليها. فالطلبة الأولى هي: إفصاح المسيح للآب عن رغبته في اتحاد المؤمنين معاً: "ليكون الجميع واحداً" (٢٠: ٢٣). ويلوح لنا، أن هذه الطلبة الرئيسية في ذا الطلب، لأن المسيح رددها أربع مرات في ثلاثة أعداد (عدد٢١ - ٢٣). والطلبة الثانية هي: إفصاح المسيح إلى الآب عن إرادته أن يكون المؤمنون به موجودين معه حيث يكون هو (عدد ٢٤) وقد مهد المسيح لهاتين الطلبتين بكلمة مجملة في عدد٢٠، ثم عقب عليهما بخلاصة، تعتبر خاتمة لهذا الفصل.

عدد ٢٠ . كلمة مجملة عن اللذين يصلي المسيح لأجلهم في هذا القسم الأخير من صلاته الشفاعية: "لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من

بِكلاَمِهِمْ ٢١لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ

أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم" . يراد ب"كلامهم"، البشارة التي تكلم بها الرسل شفاهاً، وكتبوها في الرسائل، فصارت واسطة لإيمان الناس بالمسيح (رو ١٤:١٠).وقد نسبت كلمة البشارة إليهم، فقيل فيها: "كلامهم" مع أنها "كلمة المسيح" ، لأن الرسل بعد أن علموها، وعلموا بها، وسجلوها، امتزجت بحياتهم، فصاروا هم لها، وصارت هي لهم. كما قال بولس عن الإنجيل الذي بشر به: "إنجيلي" ، مع علمه بأنه "إنجيل المسيح" (رومية ٢: ١٦ و١: ١٦) .

في عدد ٩، عين المسيح الذين رفع من أجلهم طلبه الثاني، فحصره في الرسل: "من أجلهم أنا أسأل" . وفي عدد ٢٠، رفع هذا الحصار، وجعل طلبه يشمل كنيسته التي لم تكن قد اتخذت بعد مظهراً حياً قوياً، إلا منذ يوم الخمسين، فرآها في المستقبل، كخيمة ممتدة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الجوانب ، مترامية الأطراف، لكنها لمزيد الأسف منقسمة إلى شقق صغيرة، كثيرة العدد. فرأى بعينيه التين تخترقان حجب المستقبل، الخطر المحدق بكنيسته، قبل وقوعه.
الطلبة الأولى التي قدمها المسيح من أجل المؤمنين به – أن يكون جميع المؤمنين واحداً (١٧: ٢١ – ٢٣).
عدد ٢١. اتحاد المؤمنين: ماهيته، ومثله الأعلى، وأساسه،وغايته الأولى: "ليكون الجميع واحداً. كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك. ليكونوا هم أيضًا واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني" . ذكر المسيح في
وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ
هذا العدد، ثلاث مراتب للإتحاد. (أ) المرتبة الأولى في المقام – وهي الثانية في ترتيب الكلام، هي الوحدانية الكائنة بين الآب والابن : " كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك".هذا هو المثل الأعلى للإتحاد، الذي يجب أن يكون متوفراً بين المؤمنين وبين بعضهم البعض – فهو إتحاد في الفكر، والإرادة، والشعور، والمقصد، والتدبير، والعمل، والملكية. بل هذا مدى الإتحاد المنشود بين المؤمنين وبين بعضهم البعض. (ب) المرتبة الثانية في المقام وهي الثالثة في ترتيب الكلام – هي الوحدانية التي يكون فيها المؤمنون واحداً مع الآب الابن: "ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" – هذا أساس اتحاد المؤمنين مع بعضهم البعض. فلا رجاء في اتحادهم فيما بينهم، ما لم يكونوا متحدين أولاً في الآب والابن. لا بل هذا منبع اتحادهم، وجذعه، غذاؤه، وقوام حياته، وقوته. (ج) المرتبة الثالثة في المقام – وهي الأولى في ترتيب الكلام – هي وحدانية المؤمنين بعضهم مع بعض – هذه ثمرة إتحادهم معاً مع الآب والابن. فكأننا الآن أمام ثلاثة دوائر ذات مركز واحد، متداخلة في بعضها البعض. في الدائرة الداخلية نرى الآب والابن متحدين معاً اتحاداً حيوياً كاملاً. فالآب في الابن والابن في الآب . وفي الدائرة الوسطى نرى المؤمنين يضمون إلى هذه الدائرة القدسية، ليصبحوا متحدين معاً في الآب والابن : " ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" . وفي الدائرة الخارجية نرى المؤمنين وقد صاروا واحداً فيما بينهم، نتيجة صيرورتهم واحداً في الآب والابن: "ليكون الجميع واحداً" . هذه ماهية اتحاده، فهو ليس اتحاداً ميكانيكياً، ولا مكانياً، ولانظامياً، ولا تعليمياً. بل هو
أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. ٢٢وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي
إتحاد روحي، حيوي، إلهي. لا يدغم فيه أحدهم في الآخر. ولا تتلاشى شخصيته، بل يحتفظ فيه كل منهم بشخصيته، كما تتحد النبرات معاً لتكون صوتاً موسيقياً واحداً. وكما تأتلف كل "نقط" الموسيقى لتكون لحناً واحداً. (د) الغاية الأولية من اتحادهم: "ليؤمن العالم أنك أرسلتني". ما أبهج منظر المؤمنين الذين يجمعهم الروح الواحد، والرب الواحد، والرجاء الواحد، من كل قبيلة وشعب ولسان وأمة، فتختفي بينهم الفوارق الجنسية، والاجتماعية، والعلمية ! إن روعة هذا المنظر المبهج، تبعث في العالم الخارجي إيماناً يقينياً بأن يسوع هو المسيح المرسل من الآب: "ليؤمن العالم أنك أرسلتني". ولقد تم هذا القول فعلاً في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القرن الأول للميلاد، حين أخذ الوثنيون بروعة اتحاد المسيحيين معاً فكانوا يتهامسون فيما بينهم قائلين: "أنظروا. ما أعجب حبهم لبعضهم البعض" ! ومن المؤسف، أنه بقدر ما يكون اتحاد المؤمنين معاً، محرضاً العالم على الإيمان بالمسيح، يكون عدم اتحادهم حجة في فم العالم ضد المسيح !

عدد٢٢. (ه) أداة هذا الاتحاد: "وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد". ذهب المفسرون في تأويل المراد بقوله: "أعطيتهن المجد"، مذاهب شتى. فقال بعضهم: إن المسيح تكلم عن "مجده" العتيد كأنه حاضر، وأنه أعطى تلاميذه حق امتلاك هذا "المجد" مع أنهم لم يكونوا قد تمتعوا به بعد، كما يرى من عدد٢٤. فيكون إذاً قد أعطاهم هذا "المجد" في البزة، ولو أنهم سيتمتعون به كاملاً في عالم الخلود. ويقول البعض الآخر: إن "المجد" الذي أعطاه المسيح لتلاميذه،

لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. ٢٣أَنَا فِيهِمْ

هو "مجد" الحلول الإلهي في الجسم البشري، فكما أن "مجد" المسيح هو حلول الآب فيه، كذلك "مجد" التلاميذ هو حلول المسيح فيهم – بدليل قول بولس الرسول: "المسيح فيكم رجاء المجد" (كولوسي١: ٢٧). ويقول آخرون: إن هذا "المجد" هو مجد البنوة لله، وإن المسيح أعطى تلاميذه "مجده" ، بمعنى أنه جعلهم إخوة له، وصار هو أخاهم البكر "ليكونوا واحداً" ويعتقد آخرون: أن هذا "المجد" هو حلول الروح القدس في التلاميذ، على اعتبار أن حلول الروح القدس فيهم، هو العامل الفعال في صيرورتهم واحداً، بدليل قوله: "أعطيتهم المجد... ليكونوا واحداً. ونعتقد نحن أن هذا "المجد" ليس قاصراً على أمر واحد، لكنه يتناول كل ما أخذه المسيح من الآب، باعتبار كونه الفادي المتجسد ورئيس العائلة المفدية – ويدخل ضمن ذلك: مجد البنوة للآب، وحق القبول لديه، ومجد الامتلاء من روحه، ومجد الانتصار على الخطية، والمجد الأكمل الذي يناله المؤمنون في قيامة الأبرار.

"ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" – هذه هي المرة الثالثة التي فيها كرر المسيح هذه العبارة في هذا الدور الأخير من صلاته الخالدة. وفي هذه المرة أظهر الفادي أن هذه هي الغاية التي لأجلها "أعطى مجده لتلاميذه".

ألا يليق بنا أن نستوقف أنفسنا قليلاً لنفكر في تضحيات هذا الفادي الجليل الذي لم يرغب في أن يحتفظ بأي شيء لنفسه، بل جعل كل ما عنده – حتى مجده – وقفاً على تلاميذه وعلينا ؟!

عدد ٢٣. (و) – كمال هذا الاتحاد – دائرتان متراكزتان: "أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد" . أمامنا الآن دائرتان متمركزتان

وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي

الدائرة الأولى، داخلية، هي: حلول الآب في المسيح، الدائرة الثانية خارجية وهي: حلول المسيح في التلاميذ – هذه أسرار عميقة ليس لنا أن ندخل إلى بواطنها. ويكفينا أن نقف منها موقف الممتلكين إياها، المتمتعين بها. فمع أننا لا نعلم دقائق الخواص التي تتألف منها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذرات الهواء المحيط بنا، إلا أننا نتشبع من هذا الهواء، ونتغذى به. ومما تجب ملاحظته، أن المسيح لم يقل "أنت فيهم وأنت فيّ"، لأن حلول الآب في المسيح يختلف عن حلوله في المؤمنين – درجة ونوعاً. ولم يقل "هم فيك وأنا فيك"، لأن ثبوت المسيح في الآب غير ثبوت المؤمنين فيه، بل قال: "أنا فيهم وأنت في"، ولعل هذا ما أراده بقوله: "أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (عدد ٢٢).

إن النتيجة المترتبة على هذا الحلول المجيد، هي: تكميل المؤمنين في الاتحاد: "ليكونوا مكملين إلى واحد" – هذه هي المرة الرابعة والأخيرة التي كرر فيها المسيح كلامه عن اتحاد المؤمنين به، وفيها ذكر وحدانيتهم في كمالهم. هذه هي قمة الوحدانية، وتاجها، وكمالها. إن خير تفسير لقوله: "مكملين" ، هو ما جاء في فيلبي ٣: ١٢ وعب ٢: ١٠ و٥: ٩ و٧: ٢٨ و٩: ٩ و١٠: ١ و١٤ و١١: ٤ و١٢: ٢٣ و١ يو٢: ٥ و٤: ١٢ و١٧ و١٨. ولا شك في أن الله الذي يبدأ عمل الإتحاد في المؤمنين، سيصل بهم إلى كمال هذا الإتحاد.

إن تكميل المؤمنين إلى واحد، هو تعبير آخر لقوله: "ليكونوا
وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. ٢٤أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي
مكملين في الواحد" – أي في المسيح رأسهم، ورئيسهم، ومثلهم الأعلى (فيلبي٢: ١٠).

(ز) الغاية النهائية من هذا الإتحاد: "ليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني" . في عدد ٢١، ذكر المسيح الغاية الأولى من اتحاد المؤمنين: "أن يؤمن العالم أنه مرسل من الآب" ، لكنه في هذا العدد، ذكر الغاية النهائية من هذا الإتحاد: " ليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني" . إن إيمان العالم يفيد الأفحام الذي قد يقود صاحبه إلى الإيمان أو إلى تقسية القلب على رغم هذا الاقتناع. ويقول رينولدز: إن العلم درجة أرقى في الإيمان، أعني هو الإيمان اليقيني المؤسس على الاختبار. وقد ذكر المسيح في هذا العدد أمرين، يقتنع بهما العالم نتيجة رؤيته التلاميذ متحدين: - أولهما: علم العالم بأن المسيح مرسل من الآب، أو بعبارة أخرى – علمه بأن يسوع هو المسيح منتهى رجاء اليهود، "ومشتهى الأمم". والأمر الثاني هو اقتناع العالم بأن الآب أحب المؤمنين مثلما أحب المسيح، لأن وجود المسيح وسط عائلة واحدة، مجتمع أفرادها في كنف أخيهم الأكبر، يجعل المحبة القدسية التي وجهها الآب إلى المسيح، نعم هؤلاء المؤمنين وتضمنهم تحت جناحيها، وتشعر العالم بحرارة المحبة الإلهية. وجدير بالملاحظة أن المحبة التي يتحدث عنها المسيح هنا، ليست محبة الأقنوم الأول للأقنوم الثاني في
يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ.
٢٥أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ
اللاهوت، وإنما هي محبة الله للمسيح باعتبار كونه الفادي المتجسد ورأس العائلة المفدية.

عدد ٢٤. الطلبة الثانية التي قدمها المسيح من أجل المؤمنين به – أن يكونوا معه لينظروا مجده الأزلي: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي". مع أن التلاميذ كانوا قد رأوا مجد المسيح "مجداً كما لوحيد من الآب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مملوءاً نعمة وحقاً"، إلا أنهم رأوا مجده من خلال حجاب الجسد الذي حجب عنهم الشيء الكثير من هذا المجد الأسنى، لذلك طلب المسيح أن تتهيأ للتلاميذ فرصة، فيها يكونون معه بعد أن يكون قد استرد مجده الأزلي، ليشاطروه ذلك المجد. في بدء هذه الصلاة الشفاعية، طلب المسيح أن يعاد إليه مجده الأزلي (عدد٥)، والآن عند ختام هذه الصلاة، وقد صار متيقناً من أن هذا المجد قد رد إليه، لم يبق أمامه، إلا أن يطلب إشراك خاصته معه في مجده. هذا معنى قوله: "لينظروا مجدي". لأن هذا النظر يشمل التمتع أيضاً.

وإذا كان المسيح قد قال في عدد ٢٢، إنه "أعطى تلاميذه هذا المجد"، فهو الآن يريد أن المؤمنين به، يتمتعون فعلاً بهذا المجد، لا أن يكتفوا بامتلاكهم إياه كمجرد وعد أو حق.

ولا يفوتنا أن نلاحظ الكلمة الخاصة التي استهل بها المسيح هذه الطلبة: "أريد" ! فقد افتتح الطلبات الماضية بقوله: "أسأل" (عدد ٩و ٢٠)، لكنه استهل هذه الطلبة بقوله: "أريد".

والإرادة أقوى من الرغبة، وأكثر

إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ وَهَؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ

اقتداراً من السؤال. والظاهر أن المسيح قد بلغ الآن درجة أصبح فيها قريباً من الموت، لذلك صار في موقف من يملي وصيته النهائية، فقال: "أريد" ولا حاجة بنا إلى القول: إن المجد الذي أراد المسيح أن تشاركه فيه خاصته، هو مجده الأزلي الذي ناله من الآب، برهاناً على محبته الأزلية له: "قبل إنشاء العالم".

عدد ٢٥و ٢٦. خلاصة جميلة، وخاتمة جليلة: "أيها الآب البار" – هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها هذه العبارة على لسان المسيح. بل هذا هو اللقب الثاني الذي نسبه المسيح إلى الآب في هذه الصلاة. فاللقب الأول مررنا به في عدد ١١، حين قال: "أيها الآب القدوس" – إذ كان المسيح طالباً وقتئذ تقديس تلاميذه. لكنه استعمل هنا كلمة: "البار"، لأنه كان متوجهاً بهذه الكلمات الأخيرة، إلى عدالة الآب وبره.

تحدثنا هذه الخاتمة الجليلة عن معرفة الآب. فقد وردت كلمة "معرفة" خمس مرات فيها. وهي تتألف من شطرين – في أولهما – مقابلة بين العالم من جهة وبين المسيح وتلاميذه من الجهة الأخرى، بالنسبة لهذه المعرفة (عدد ٢٥). والشطر الثاني يعرفنا عن غاية المسيح من تعريفه تلاميذه باسم الآب. ويخيل إلينا. أن المسيح واقف كمن يلقي نظرة إلى الماضي، وأخرى إلى المستقبل:

فنظرته إلى الماضي، تتناول الشطر الأول من هذه الخاتمة – وفيها مقابلة العالم من جهة، وبين المسيح وتلاميذه من الجهة الأخرى بالنسبة إلى معرفة الآب: "إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت

أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. ٢٦وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ

أرسلتني". فالعالم لم يعرف الله. أما المسيح "فقد عرفه". والتلاميذ "قد عرفوا أن يسوع هو المسيح المرسل من الله". يراد ب "معرفة" الآب، قبول الحق المعلن عنه في المسيح، واختبار قوة روحه في القلب. و "عدم معرفة" الآب، والتلاميذ الذين عرفوا الله يتمتعون

 All rights reserved © 2008-2018

عن حق، بمجد المسيح.
ونظرة الفادي إلى المستقبل، ينم عنها الشطر الثاني من هذه الخاتمة (عدد ٢٦):
"وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم". في هذه الكلمات تنبأ الفادي: (أ) عما ينوي في قلبه من جهتهم: "وسأعرفهم" – وهو يريد "المعرفة" التي سيوحي بها إليهم، بواسطة روحه الأقدس الذي سيملأ قلوبهم يوم الخمسين.
ما أعظم شجاعة المسيح، وما أقوى ثقته ! لأنه وهو عالم أنه صاعد إلى الجلجثة ليصلب، تكلم عن المستقبل وقال: "وسأعرفهم". هذا دليل على أنه كان ممسكاً بناصية المجد، وهو منطلق إلى الصليب. (ب) عما تمناه لهم "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم". أو ليست قلوبنا نجسة ؟ فكيف إذاً تليق بحلول هذين الضيفين ؟ على أنهما ليسا ضيفين مقدسين وكفى، لكنهما ضيفان مقدسان. فالحب الإلهي نار تصهر كل شر فينا، وتطهرنا – والمسيح هو الطهر مجسماً. فما أبهج هذين الضيفين الجليلين المقدسين اللذين يحلان في قلب كل مؤمن – "الحب الإلهي والمسيح" ! على أنهما ليسا ضيفين، وإنما هما ضيف واحد. لأن المسيح هو الحب مجسماً،
الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ». والحب الإلهي هو المسيح متأنساً. ومتى كان المسيح في المؤمن، أضحى المؤمن محبوباً من الله، لكون المسيح في قلبه.
"ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم" – قصد المسيح بقوله هذا، أن المؤمنين به، إذ يعرفون اسم الآب، يفتحون قلوبهم ليدخل إليها الحب القدسي الجليل، الذي في قلب الآب نحو شخص المسيح. وطبيعي أن المؤمن متى أدخل هذا الحب إلى قلبه، صيره ملكاً له، وبذلك يصبح متمتعاً بنفس الحب الذي به أحب الآب المسيح. وبالتالي يصير المؤمن محباً للآب، حباً من نوع حبه، وإن يكن من درجة محدودة نظير الإنسان المحدود، لأن محبتنا لله ليست سوى إدخال أشعة محبة الله النورانية إلى قلوبنا.

جميل أن المسيح الذي هو موضوع محبة الآب، يجعل المؤمنين موضوع حبه هو. فهو موضوع الحب الإلهي وهو العامل فيه.
ما أعظم الفرق بين ختام صلاة المسيح الشفاعية، وبين بدء خطابه الوداعي ! في بدء خطابه الوداعي، حدث تلاميذه عن انطلاقه عنهم. وفي ختام صلاته الشفاعية، عاهد الآب على أن يظل معرفاً اسمه للتلاميذ، ليكون هو فيهم. بهذا وجد التلاميذ في هذا العهد، أكثر مما تمنوا أو انتظروا. هذا هو الترياق الشافي لاضطراب القلوب.
وإذا كانت الأشياء تتبين بأضدادها، فإن هذه الخاتمة النيرة تذكرنا بتلك الخاتمة القاتمة، التي مررنا بها في نهاية الإصحاح الثاني عشر من هذه البشارة. تلك اختتمت فصلاً عن نمو عدم الإيمان في قلوب أعداء المسيح ومضطهدين. وهذه تتوج فصلاً عن نمو الإيمان أخصاء المسيح ومريديه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(١) جاء في بعض المواضع في هذه البشارة: أن الآب يجتذب الناس إلى المسيح ويعطيه إياهم (١٧: ٢٤, ٦: ٣٧ و٤٤ و٦٥, ١٠: ٢٩, ١٨: ٩), وورد في مواضع أخرى, أن المسيح "يختار" الناس "ويجتذبهم" إلى نفسه (٦: ٧٠ و١٥: ١٦ و١٢: ٣٢). وفي كلا الحالتين أعطى البشر أن يختاروا أو يرفضوا (١: ١١ و١٢, ٣: ١٨ و١٩, ١٢: ٤٧ و٤٨).

وادي الآلام

اَلأَصْحَاحُ الثَّامِنُ عَشَرَ

يتقدم بنا هذا الإصحاح، إلى مرحلة جديدة في حياة سيدنا وفادينا، فنجتاز معه وادي الآلام والتضحية، ونرتقي معه إلى عرش المجد والخلود. ولقد كتب البشير في هذا الفصل الختامي من حياة المسيح، حوادث مررنا بها في كتابات سائر البشيرين أو بعضهم، وأغفل عمداً أشياء ذكروها هم، وحدثنا عن تفصيلات لم يسجلها سواه. ولله در هذا البشير، فلا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

يوازي إجادته فيما كتب، سوى إجادته فيما أغفل. وما من شك في أنه كان عالماً بما كتب سائر البشيرين من قبل. وفي الوقت نفسه احتفظ لنا بالتفصيلات الدقيقة التي تظهر جلال "الكلمة المتجسد". على أن هذا لم ينسه أن يصور لنا اتضاع المسيح، المتغلغل في مجده، واضعاً نصب عينيه هاتين الحقيقتين: تبيان نضوج عدم الإيمان في قلوب أعداء المسيح، واكتمال الإيمان في قلوب أحبائه.

فمن الحوادث التي تفرد يوحنا بذكرها: كلمات المسيح التي خاطب بها الذين ألقوا القبض عليه (١٨: ٤ – ٩)، وفحصه أمام حنان (١٨: ١٣ – ٢٤)، وخروج بيلاطس إلى اليهود للتشاور معهم في بدء المحاكمة السياسية (١٨: ١٨ – ٣٢)، وخلو بيلاطس إلى المسيح ليفحصه على انفراد (١٨: ٣٣ – ٣٧ و ١٩: ٩ – ١١)، واستهزاء الجند الرومان به كملك (١٩: ٢ و ٣)، وخروجه حاملاً إكليل الشوك ولابساً ثوب الأرجوان مما دعى بيلاطس إلى أن يشير إليه قائلاً: "هوذا الإنسان !" ! (١٩: ٤ و ٥)، وتمسك بيلاطس بما كتب (١٩: ٢١ و ٢٢)، ووصية المسيح الأخيرة بشأن أمه (١٩: ٢٥ – ٢٧)، وإفصاحه عن عطشه (١٩: ٢٨ – ٣٠)، والحربة التي طعن بها في جنبه (١٩: ٣١ – ٣٧)، والخدمة الأخيرة التي قام بها نيقوديموس لسيده (١٩: ٣٩).

ومن الحوادث التي أغفلها يوحنا عمداً، نظراً لسبق تدوينها في كتابات سائر البشيرين أو بعضهم: - مجاهدة المسيح في جثسيماني (متى ومرقس ولوقا)، القبلة الغادرة (متى ومرقس ولوقا)، فحص المسيح أمام السنهدريم في جلسة الظلام، والشهود الزور، والإقرار العظيم (متى ومرقس). الاستهزاء به كنبي، جلسة السنهدريم الصباحية (متى ومرقس ولوقا). الاستهزاء به بعد المحاكمة (متى ومرقس)، تسخير سمعان ليحمل الصليب، هزء الناظرين، تعييرات اللصين (متى ومرقس ولوقا)، صراخه قائلاً: "إلهي إلهي لماذا تركتني"، انشقاق حجاب الهيكل (متى ومرقس)، اعتراف قائد المئة (متى ومرقس ولوقا).

وهنالك تفصيلات أخرى، انفرد بذكرها واحد من البشيرين، فأغفلها يوحنا قصداً. فمنها: رسالة زوجة بيلاطس. غسل بيلاطس يديه، قضاء اليهود على أنفسهم (متى). وهروب الشاب الذي تخلى عن إزاره، سؤال بيلاطس الخاص بموت المسيح (مرقس). وفحص المسيح أمام هيرودس، عويل بنات أورشليم، ثلاث من كلمات الصليب، توبة أحد اللصين (لوقا).

ومن الأمور التي امتازت بها آلام المسيح في هذه البشارة: (١) إنها آلام اختيارية (١٨: ٤ و ٨ و ١١و ٣٦و ١٩: ٢٨ – ٣٠). (٢) أنها جاءت متممة لتدبير أزلي (١٨: ٤ و٩ و ١١ و ٢٤ و ٢٨). (٣) أنها آلام تشف عن المجد الذي يشع منها (١٨: ٦ و ٢٠و ٣٧ و ١٩: ١١ و ٢٦ و ٣٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومع أننا لا نعلم بالضبط، الأوقات التي تمت فيها حوادث الآلام، إلا أنه في إمكاننا أن نعين لها وقتاً تقريبياً، إستناداً إلى ما كتبه سائر البشيرين، وإلى ما جاء في التلمود اليهودي، وكتابات الثقات المسيحيين:

الساعة ١ صباحاً... مجاهدة المسيح في جثيماني، وإلقاء القبض عليه، (بعد منتصف الليل والذهاب به إلى دار رئيس الكهنة

الساعة ٢ صباحاً... المحاكمة الابتدائية أمام حنان

الساعة ٣ صباحاً... فحص المسيح أمام قيافا والسنهدريم في التئام فوق العادة

الساعة ٥ صباحاً... الحكم الرسمي الذي أصدره السنهدريم في مكان التئامه الرسمي (لو٢٢: ٢٦ و متى ٢٧: ١).

الساعة ٥ ١/٢ صباحاً... فحص المسيح أمام بيلاطس، وجلده، واستهزاء الجند به لأول مرة

الساعة ٦ صباحاً... فحص المسيح أمام هيرودس

الساعة٢/ ١ ٦ صباحاً... حكم بيلاطس عليه (يو ١٩: ١٤)

الساعة ٧ صباحاً... استهزاء الجند به للمرة الثانية

الساعة ٩ صباحاً... بدء الصلب ورفض المسيح أن يشرب من الخل الممزوج بمرارة الذي قدم له كمخدر (مر١٥: ٢٥)

الساعة ١٢ ظهراً... وصيته الأخيرة بشأن أمه

الساعة ١٢ – ٣ مساء... الظلام (مت٢٧: ٤٥ ومر١٥: ٣٣ ولو٢٣: ٤٤)

الساعة ٣ مساء... نهاية الصلب

١قَالَ يَسُوعُ هَذَا وَخَرَجَ مَعَ تلاَمِيذِهِ إِلَى عَبْرِ وَادِي قَدْرُونَ

ينقسم هذا الإصحاح والإصحاحات التي تليه إلى ستة أقسام رئيسية:

أولاً: الأسير المتطوع (١٨: ١ – ١١). ثانياً: المحاكمة الدينية (١٨: ١٢ – ٢٧). ثالثاً: المحاكمة السياسية (١٨: ٢٨ – ١٩: ١٦ (أ)). رابعاً: الصلب (١٩: ١٦ (ب) – ٤٢). خامساً: القيامة (٢٠: ١ – ٣١). سادساً: تتمة البشارة (٢١: ١ – ٢٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولاً: الأسير المتطوع (١٨: ١ – ١١)

عدد ١ – ٣. فرقتان متناقضتان، تلتقيان في البستان: من المكان الذي ألقى فيه المسيح الجزء الثاني من خطابه الوداعي، وشفعه بصلاته الشفاعية خرج ومعه تلاميذه إلى عبر وادي قدرون[١]، الواقع عند منحدر وادي يهوشافاط – بين جبل الهيكل وجبل الزيتون.

يمتد وادي قدرون مبتدئاً من نقطة تبعد نحو ميلين شمالي أورشليم، ويسير إلى الجنوب عشرين ميلاً، ثم ينتهي بالبحر الميت. وهو على الغالب جاف مدة تسعة شهور في السنة، وفي الثلاثة الأشهر الباقية، يكون منهلاً صغيراً عليه جسر صغير يؤدي إلى بستان على الضفة اليمنى، حافل بأشجار زيتون عتيقة. هذا هو بستان جثسيماني الذي تعود المسيح أن "يجتمع فيه مع تلاميذه" بما فيهم يهوذا. قديماً قصد هذه البقعة عينها، أب هارب من وجه ابنه المتمرد، وصديقه الخائن (٢ صم ١٥: ٢٣). والآن قصدها "الابن الوحيد" الذي سر به الآب، وخانه أحد أصدقائه.

حَيْثُ كَانَ بُسْتَانٌ دَخَلَهُ هُوَ وَتلاَمِيذُهُ. ٢وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ يَعْرِفُ الْمَوْضِعَ لأَنَّ يَسُوعَ اجْتَمَعَ هُنَاكَ كَثِيراً مَعَ تلاَمِيذِهِ. ٣فَأَخَذَ يَهُوذَا

إن يوحنا هو البشير الوحيد، الذي أعلمنا أن في هذا المكان "بستاناً" قديماً، خذل آدم الأول في بستان، فصار خذلانه وبالاً وعاراً عليه وعلى أبنائه. وفي بستان أيضاً، انتصر آدم الثاني، فأضحت نصرته مجداً وفخاراً له ولتباعه فمحت حسنات جثسيماني سيئات عدن !

يستفاد من قول البشير: "وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع"، إن علم يهوذا بهذا المكان، كان من السباب التي حدت بالمسيح أن يختار هذا المكان في هذا الظرف الخاص. لنه بعد أن أكل الفصح المشتهى مع تلاميذه، وشجعهم بكلماته المعزية، وسندهم بشفاعته المقتدرة، لم يجد بداً من أن يمهد الطريق أمام مسلميه. لأن "الساعة" دقت ليرتفع على الصليب.

في تلك الليلة الموعودة، وقمر الفصح يسطع بجماله وكماله، صار هذا البستان التاريخي، ملتقى فرقتين على طرفي نقيض – إحداهما: جماعة خرجت من نور إلى نور، وعلى رأسها الفادي الأمين. والثانية: عصابة خرجت من ظلام إلى ظلام بزعامة يهوذا الغادر الخؤون. كانت عصبة الظلام حاملة "مشاعل ومصابيح وسلاحاً" – كما في حرب رسمية، حامية الوطيس. ولعلهم حملوا المشاعل والمصابيح مخافة أن يكون المسيح مختبئاً تحت ظلال إحدى أشجار الزيتون الكثيفة. وتسلحوا بالسلاح مخافة أن تبدو من الفادي، أو من أحد تلاميذه، أية مقاومة. أما فرقة النور، فلم تحمل معها مشاعل

الْجُنْدَ وَخُدَّاماً مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلاَحٍ.
٤فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أو مصابيح، لأن "نور العالم" كان يتقدمها. ولم تتسلح إلا "بالحق" الذي معها. كانت عصابة الظلام مؤلفة من جند الحامية الرومانية التي كانت محتلة قلعة أنطونيا، في زاوية الهيكل الشمالية الغربية، وعلى رأسها قائدها (عدد ١٢)، ومن "خدام" السنهدريم الذين أخذهم يهوذا "من عند رؤساء الكهنة و الفريسيين". ومن فرط عداء رؤساء الكهنة والفريسيين ليسوع، نسوا أحقادهم القديمة أمام هذا "الخصم" المشترك، وتبرع رؤساء الكهنة بخدامهم الخصوصيين (عدد ١٠و ١٢)، لتنفيذ فكرتهم الأثيمة. أما فرقة النور، فلم يكن فيها سوى الصيادين المساكين، وعلى رأسهم "حمل الله الوديع". ففي هذا البستان التاريخي ، التقت المحبة المتجسدة، بالعداوة مجسمة. وتقابل "الحق" مجرداً، بالباطل مسلحاً. فانكسرت العداوة أمام المحبة، وصرع الباطل أمام "الحق".

عدد ٤ – ٩ (٢). الجنود الساقطون عند قدمي الأسير المتطوع –

عدد ٤ . (أ). السؤال الهادئ: "فخرج يسوع وهو عالم ... وقال لهم من تطلبون"؟ يذكرنا هذا القول بفاتحة الإصحاح الثالث عشر: "وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب..... قام عن العشاء". إننا مدينون ليوحنا البشير، بوصف المهابة السماوية التي كانت تحف بالمسيح، في موقفه هذا. ولا شك في أن المسيح الذي جاهد في

عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» ٥أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ».

جثسيماني وغلب، قد حمل معه نتائج هذه الغلبة، فخرج من صفوف التلاميذ، وانبرى لعصابة الظلام بثقة الظافر المنتصر "وقال لهم من تطلبون" ؟ الآن جاء وقت "قبلة" يهوذا التي حدثنا عنها سائر البشيرين. والظاهر أن يهوذا قبل سيده حالما التقى به – ولكن في انزعاج وارتباك، وفي ضوء أنوار المشاعل الخادعة، فلم يلحظه فيها أغلب الذين كانوا معه، ثم تراجع مندمجاً في العصابة التي كانت معه. عندئذ، سألهم المسيح قائلاً: "من تطلبون" ؟.

إن فادينا الشجاع، لم يرغب في أن يبقى منتظراً حتى يمسك من أعدائه وربما سأل هذا السؤال، ليمنع أي اعتداء كان يمكن أن يوجه من الجنود إلى تلاميذه. ولعله قصد أن يجعل من سؤاله هذا. آخر سهم يصوبه نحو قلب يهوذا وعصابته: "من تطلبون" ؟ - هذا عين السؤال الذي وجهه المسيح إلى تلميذيه الأولين – وكان يوحنا البشير أحدهما (١: ٣٨)، فكان سؤاله لهما، سبباً في اتباعهما إياه، وكان نفس هذا السؤال ممهداً لأعدائه سبيل القبض عليه. وكذلك النار، تذيب الشمع، وتقسي الطين !

عدد ٥ .(ب). الجواب الجرئ: "أجابوه يسوع الناصري". لو كان في قلوب أولئك الناس أثر من الإنسانية التي تعرف الحياء، أو بقية من النور الإلهي الذي يرجع الإنسان عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

غوايته، لتراجعوا عن قصدهم. لكنهم قوم عميان – يفكرون بعقول غيرهم، ويعيشون بقلوب رؤسائهم، لا بقلوبهم هم. فأجابوه: "يسوع الناصري" ! هذا جواب ينم عن شئ من التحقير والازدراء. وقد غاب عنهم أن الذي يكلمهم، هو الذي كانوا يطلبون. ويا ليتهم طلبوه ليتعلموا منه فكانوا إذاً به يخلصون !

». قَالَ لَهُمْ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضاً وَاقِفاً مَعَهُمْ. ٦فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ» رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا

(ج) الرد القاطع: "قال لهم يسوع أنا هو". هذا جواب مرهف كالسيف، شديد كالصاعقة، خاطف كالبرق. مرهب بحدته، مفحم بصراحته. ولكم من المرات نطق المسيح بهذه العبارة مشجعاً تلاميذه – ويهوذا بينهم – في أوقات عصيبة (٦: ٢٠ و٨: ٢٤و٢٨و٥٨ و١٣ : ١٩). ولكنه في هذه المرة قال نفس هذه العبارة، لرجال الظلام – ويهوذا بينهم: "وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم" – مذهولاً من هول هذا الجواب، الذي وقع عليه وقع الصاعقة. قال المسيح " أنا هو"، لكي يميزوه من تلاميذه. فكان في قوله هذا مقداماً، سخياً بحياته، ضنيناً بحياة تلاميذه من أن تذهب ضياعاً.

عدد ٦ (د) تأثير هذا الرد القاطع: "فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض". إن المجد الإلهي الممتاز الذي أحاط بالمسيح، وشعت أنواره منه على جبل التجلي، كان يحف به في هذا الظرف أيضاً، فملأ قلوب هذه العصابة فزعاً ورعباً. ومن تأثير هذا المجد عينه، سقط على الأرض شاول الطرسوسي، وكل من كانوا معه (أعمال٢٦: ١٤).

يقول أغسطينوس:"إذا كان هذا مقدار تأثر الأشرار من رؤيتهم وجه المسيح، وسماعهم صوته، وهو يقدم نفسه بين أيديهم أسيراً، فكم يكون مبلغ تأثرهم من رؤيتهم وجهه الوضاح، وسماعهم صوته الرهيب، حين يجلس على عرش الدينونة والقضاء !؟ ".

عَلَى الأَرْضِ. ٧فَسَأَلَهُمْ أَيْضاً: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» فَقَالُوا: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». ٨أَجَابَ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا هُوَ. فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا

عدد ٧ . (ه) السؤال المكرر: "فسألهم أيضاً من تطلبون" ؟ لو لم يكن المسيح متقدماً إلى الصليب طائعاً مختاراً، لكانت هذه أنسب فرصة يهرب فيها. وهل مثله يهرب، وهو الذي قال: "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (١٠: ١٨) ؟ يستنتج من سياق الكلام هنا كما ورد في الأصل – أنه بعد أن سقط طالبوا المسيح على وجوههم إلى الأرض، تقدم المسيح، وأقامهم، وأعاد عليهم نفس السؤال، ولكن بنغمة أقوى. فكان كلامه لهم على مثال قوله ليهوذا: "يا صاحب لماذا جئت" (متى٢٦: ٥٠)

 All rights reserved © 2008-2018

(و) الجواب المكرر: "أجابوه يسوع الناصري" ! مع أن المجد الذي كان يحف بالمسيح، أقنعهم بأنه هو مسيح الله، إلا أنهم لم يتزحزحوا عن اللقب الوضيع الذي تلقنوه من رؤسائهم، ولم يتحولوا عن قصدهم، فقالوا: "يسوع الناصري". ولعلهم أجابوا هذا الجواب، تهيباً. بعد أن أخذوا بجلاله.

عدد ٨و ٩. (ز) المخلص المفتدي: "أجاب يسوع، قد قلت لكم إني أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون". إلى الآن لم يكن التلاميذ مستعدين للموت – لا مع فاديهم ولا من أجله، ولكن بعضاً منهم صاروا أهلاً لهذا الشرف فيما بعد. ولو قدر لهم أن يموتوا في هذا الوقت، لذهبت

هَؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ». ٩لِيَتِمَّ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ: «إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَداً».

١٠ثُمَّ إِنَّ سِمْعَانَ بُطْرُسَ كَانَ مَعَهُ سَيْفٌ فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى.

دماؤهم هباء. لأن لا قيمة لذبيحتهم، إلا بعد ذبيحنا الأعظم. وما دام دم المسيح وحده كافياً للتكفير عن خطايا البشر، فلم يكن ما يدعوا إلى إضافة دماء التلاميذ عليه، ليكون مجد الفداء له هو وحده. ألا أن كفارته عنا، كافية شافية.

رأى يوحنا أن هذه الكلمات، التي نطق بها المسيح، متممة لقوله في صلاته الشفاعية: "إن الذين أعطيتني لم يهلك منهم أحد" (١٧: ١٢). ويمكننا أن نرى فيها أيضاً مثالاً لما عمله المسيح في كفارته العظمى. حين ذاق كأس الموت ليروينا نحن بكأس الحياة. وقدم ذاته للأسر، ليحررنا نحن.

عدد ١٠. (ح) المدافع المقحام: "ثم أن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم العبد ملخس" . علمنا من لوقا ٢٢: ٣٨، أن الرسل حملوا معهم سيفين قبل ذهابه مع سيده إلى جبل الزيتون، وهنا يقول يوحنا: "إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله" . هذا دليل غير مقصود على صدق رواية البشيرين. وعلى أن رواية أحدهم مكملة لرواية الآخر، ومفسرة لها ومؤيدة. فقد اتفقت كلمة يوحنا ولوقا على أن سيف بطرس أصاب العبد في "أذنه اليمنى" لوقا٢٢: ٥٠ ويوحنا١٨: ١٠) ، غير أن يوحنا، لكونه معروفاً عند

وَكَانَ اسْمُ الْعَبْدِ مَلْخُسَ. ١١فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ: «ٱجْعَلْ سَيْفَكَ

رئيس الكهنة أكثر من رفاقه قد أعلمنا باسم عبد رئيس الكهنة: "ملخس" .[٢] كما أن لوقا، لكونه طبيباً، اهتم بذكر معجزة الشفاء التي أجراها المسيح في أذن هذا العبد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان بطرس في عمله هذا، مدافعاً عن سيده دفاعاً ينم عن حبه الخالص له. ولعله قصد بدفاعه هذا، أن يؤيد وعده بأن يموت من أجل سيده (١٣: ٣٧). فكان بطرس في كلا دفاعه ووعده مقتحماً جباناً. وربما لأجل هذا السبب، ذكره يوحنا هنا باسمه القديم: "سمعان"، لا باسمه الجديد:"بطرس".

لماذا يا بطرس أشهرت سيفك على عبد رئيس الكهنة، ولم تبقه لرئيس الكهنة نفسه؟ أليس هذا جبناً منك ؟ ولما أشهرت سيفك على عبد رئيس الكهنة، لماذا نبا بك فأصاب الأذن اليمنى، بدلاً من أن يصيب الرأس ؟ أليست هذه ضربة طائشة ؟ أوليس هذا كله نتيجة نومك العميق أثناء جهاد سيدك في جثسيماني، فصدرت عنك ضربتك وأنت بين نائم ومستيقظ ؟

عدد ١١. (ط) الصبور المسلّم: "فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في الغمد، الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها" ؟ يتألف هذا العدد من شطرين : الشطر الأول، أظهر فيه المسيح عدم رضاه عن دفاع بطرس: "اجعل سيفك في الغمد". لأن بطرس بدفاعه عن سيده على هذه الصورة، كاد ينتزع من فم المسيح حجته التي فاه بها أمام بيلاطس: "مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون" (١٨: ٣٦)

فِي الْغِمْدِ. الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ ألاَ أَشْرَبُهَا؟».

إن عدم رضى المسيح عن دفاع بطرس الغشوم، يماثله عدم رضاه عن وعده المقحم (١٣: ٣٨). فكلاهما صدر عن بطرس في وقت كانت فيه العوامل الجسدانية متسلطة عليه.
والشطر الثاني، عبر به المسيح عن رضاه التام بإرادة الآب: "الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها". ترمز "الكأس" إلى النصيب الذي عينه الله لكل واحد. وهي في هذه القرينة ترمز إلى إرادة الآب من جهة المسيح. وقد يعبر ب "الكأس" عن السرور (مز ٢٣: ٥)، أو عن الألم (متى ٢٦: ٣٨). إن قول المسيح هذا يذكرنا بصلاته في جثسيماني (متى ٢٦: ٣٩ و ٤٢). فيوحنا ذكر جثسيماني تلميحاً، ولو لم يذكرها تصريحاً (انظر أيضاً يو ١٢: ٢٧ و ٢٨).

جميل أن المسيح قال إنه أعطي هذا الكأس "من الآب" لا من يهوذا ، ولا من رؤساء الكهنة، ولا من الرومان. فلا شئ يحز في قلوبنا حز السكين، نظير الاعتقاد بأن الناس يستطيعون أن يؤذون. ولا شئ يملأ القلب عزاء ونعيما، مثل الاعتقاد بأن يد الله وراء كل يد، وفوق كل يد. هذا هو المثل الأعلى، الذي ضربه المسيح للكنيسة في وقت الألم والاضطهاد، بل هذا ما يصفه يوحنا في رؤياه ب "صبر القديسين".فالمحبة المجاهدة عظيمة حقاً. لكن المحبة المحتملة أقوى وأعظم. كان الصليبيون القدماء شجعاناً. ولكن صليبيي القرن العشرين، الذين ينكرون ذواتهم ويضحون بالمال والولد والنفس لأجل المسيح، هم أرفع شأناً، وأوفر شجاعة، وأحق منهم بتاج الخلود.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٢ثُمَّ إِنَّ الْجُنْدَ وَالْقَائِدَ وَخُدَّامَ الْيَهُودِ

ثانياً: المحاكمة الدينية: (١٨: ١٢ – ٢٧)

قال المسيح ليهوذا: "ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة" – وفعلاً تمم يهوذا عمله بسرعة وافرة. وبسرعة أوفر منها، أجريت محاكمة المسيح الدينية، ومحاكمته السياسية. فحوكم المسيح دينياً ثلاث مرات. المرة الأولى: أمام حنان وفي بيته – وغالباً هو نفس البيت الذي أقام فيه قيافا. والمرة الثانية: حوكم فيها أمام مجمع السنهدريم برئاسة قيافا، في جلسة غير اعتيادية انعقدت تحت جنح الظلام. والمرة الثالثة: أمام السنهدريم نفسه في جلسة انعقدت نحو الساعة السادسة صباحاً، في البهو الواقع جنوبي الهيكل، أو في " بيت المدراش". وقد أوقف المسيح أمام السلطات السياسية، ثلاث مرات أيضاً. المرة الأولى: أمام بيلاطس، والثانية: أمام هيرودس، والثالثة: أمام بيلاطس أيضاً. ومن الغريب أن هذه المراحل الست، تمت بغاية السرعة قبل أن تخرج الشمس من حجلتها، لتملأ أرجاء هذا الكون بأشعة أنوارها الذهبية. ما أشبه رؤساء اليهود، بحشرات الظلام، التي تجد وتسعى طوال الليل. ثم تختفي عند طلوع الشمس، لأنها لا تقوى على مواجهة النور ! ولقد كان اليهود في سرعتهم هذه، مدفوعين بعاملين: أحدهما داخلي: وهو أن قلوبهم الوحشية التي كانت متعطشة إلى دماء الفادي، رغبت في أن ترتوي بدماه بغاية السرعة. والعامل الثاني خارجي: وهو أنهم خافوا من أن يتأخروا إلى الصباح، فيستيقظ الشعب اليهودي، ويثور في وجههم، فيضع عليهم مقصدهم.

قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ ١٣وَمَضَوْا بِهِ إِلَى حَنَّانَ أَوَّلاً

١٨: ١٢ – ١٤. المسيح أمام حنان – المحاكمة الدينية الأولى

عدد ١٢ . (١) إلقاء القبض على يسوع: بعد أن أفهم المسيح أعداءه، أن لا سلطان لهم عليه، تقدم متطوعاً مختاراً، مسلماً نفسه إلى أيديهم، ليلقوا القبض عليه. فجاء عمله هذا متمماً لنبوة قديمة: "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح" (إش ٥٣: ٧) . وكما كانت توثق الذبيحة قبل التقدم بها إلى المذبح، كذلك رضي المسيح لأعداءه بأن يوثقوه، متقدمين به إلى الصليب. وقد شاءت الأقدار، أن يشترك الأمم واليهود في التقدم بالمسيح إلى الصليب. فالأمم كانوا ممثلين في "الجند والقائد". وكان اليهود ممثلين في "خدام اليهود". على أن هؤلاء لم يزيدوا عن كونهم مسخرين من رؤسائهم. فنصيبهم في صلب المسيح، كنصيب السكين التي يسفك بها الإنسان دم أخيه الإنسان. تقدم هؤلاء بيسوع قاصدين بيت حنان، فارتقوا المنحدر الذي يوصل بين وادي قدرون والمدينة أورشليم، فدخلوا أبوابها، واجتازوا شوارعها الضيقة المظلمة، وأضواء قمر العيد تسطع فوق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سقوفها. ما أشبهها بقلوب الفريسيين التي كانت مرتعاً للظلام، ونور "شمس البر" يشرق حولها !

عدد ١٣ . (٢) المسيح أمام حنان. كان حنان هذا صدوقياً، وقد أتى به هيرودس الكبير الشرير، من الإسكندرية ليقلده وظيفة رئاسة الكهنوت، وها قد بلغ الآن السبعين من عمره. وهو أيضاً صاحب الحق في رئاسة الكهنوت، مع أنه كان متقاعداً عن عمله، لأن الوالي الروماني عزله منذ عشرين سنة، بعد أن قلده هذا المنصب مدة سبع سنين. وكان اعتباره.

لأَنَّهُ كَانَ حَمَا قَيَافَا الَّذِي كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ. ١٤وَكَانَ قَيَافَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى الْيَهُودِ

ونفوذه بين قومه أكثر من صهره قيافا الذي "كان رئيساً للكهنة في تلك السنة"، إذ قلده الوالي هذا المنصب، بعد أن عزل على التوالي أربعة من أبناء حنان حميه. ولقد كان كل هذا داعياً إلى تعزيز نفوذ حنان الذي كان يمد هؤلاء الصغار بمشورته. ما أشبهه بحية قديمة تنفث سمومها في أفراخها. فيه يقول التلمود: "ويل لبيت حنان، ويل لأصواتهم التي هي كفحيح الحيات، هم رؤساء الكهنة، أبناؤهم حفظة الخزانة، وأصهارهم ولاة الهيكل وخدامهم يضربون الشعب بالعصي".

لقد اهتم يوحنا البشير بأن يختبرنا "أن الجند والقائد وخدام اليهود مضوا بالمسيح إلى حنان أولا"، قبل أن يذهبوا به إلى قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، لأن حنان كان لا يزال رئيس الكهنة الحقيقي، على رغم كون صهره قيافا رئيس كهنة بحكم القوة السياسية، فكان ثانيهما يتقلد هذه الوظيفة اسميا وصورياً. لذلك كان من الضروري أن يفوز اليهود برأي حنان، في قضية المسيح، قبل أن يعرضوها على قيافا رئيس الكهنة الاسمي، لأن كل عمل يحكم فيه قيافا، من غير أن يأخذ فيه رأي حنان، كان مصيره عدم التنفيذ.

عدد ١٤ . (٣) عدم صلاحية قيافا للحكم في قضية المسيح: "وكان قيافا هو..". من المسلم به شرعاً. في كل القوانين الوضعية، أن القاضي لا يصلح للحكم في قضية ما، متى كان قد سبق فأبدى رأياً فيها: "وقيافاً

أَنَّهُ خَيْرٌ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ.١٥وَكَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ يَتْبَعَانِ
يَسُوعَ وَكَانَ ذَلِكَ التِّلْمِيذُ مَعْرُوفاً عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَدَخَلَ مَعَ يَسُوعَ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ.
١٦وَأَمَّا بُطْرُسُ فَكَانَ وَاقِفاً عِنْدَ الْبَابِ خَارِجاً. فَخَرَجَ التِّلْمِيذُ الآخَرُ

هذا هو الذي أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب (١١: ٤٩ و٥٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٨: ١٥ – ١٨. (١) بطرس ينكر سيده للمرة الأولى – حالما تقدم الجند، والقائد، وخدام اليهود، وقبضوا على يسوع وأوثقوه، "تركه تلاميذه وهربوا" (مر ١٤:؛ ٥٠). على رغم ما شاهدوه من جلال مجده في البستان، وما قطعوه على أنفسهم من عهود ومواثيق بأن يظلوا أمناء له حتى الموت (مرقس١٤: ٢١). والظاهر أنهم لاحظوا ، بعد أن دافع عهم سيدهم (١٨: ٨) ، أن بقائهم معه لا ينفعه، وقد يضرهم. ولكنه جبن على كل حال ! أما يحنا الحبيب، فقد رجع وانضم إلى الجمهور الماشي من البستان إلى دار رئيس الكهنة، ومقبولاً في داره – ربما لمعاملات مادية بين رئيس الكهنة وبينه بحكم صناعته كصياد – دخل مع الداخلين إلى دار رئيس الكهنة.

"أما بطرس" الذي كان تابعاً موكب سيده "من بعيد" (متى ٢٦: ٥٨)، فقد وصل إلى الدر، بعد أن كانت الجارية قد أغلقت الباب، فبقي "واقفاً عند الناب خارجاً" ، "فخرج التلميذ الآخر" – الذي هو يوحنا

الَّذِي كَانَ مَعْرُوفاً عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَكَلَّمَ الْبَوَّابَةَ فَأَدْخَلَ بُطْرُسَ. ١٧فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ الْبَوَّابَةُ لِبُطْرُسَ: «أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضاً مِنْ تلاَمِيذِ هَذَا الإِنْسَانِ؟» قَالَ ذَاكَ: «لَسْتُ أَنَا». ١٨وَكَانَ الْعَبِيدُ وَالْخُدَّامُ وَاقِفِينَ وَهُمْ

غالباً، ويعتقد جودي أن هذا هو يعقب أخو يوحنا – "الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس" . إن وقوف بطرس عند الباب خارجا، برهة من الزمن، أعطى الجارية البوابة فرصة لتثبت نظرها فيه "فقالت هذه الجارية لبطرس" ألست أنت أيضاً" – أي مع يوحنا التلميذ المعروف لديها – "من تلاميذ هذا الإنسان" ؟ مسكينة هذه الجارية المستعبدة ! فلعلها ظنت أن اسم يسوع أحقر من أن تتلفظ به، فقالت عنه: "هذا الإنسان" ! وربما كانت سليمة النية في سؤالها هذا، ولم تقصد من ورائه، سوى مجرد الإستقصاء، الذي هو غريزة طبيعية في كل الإنسان . ولو كان بطرس قد أجابها بالإيجاب، لما أصابه حيف أو ضرر، فقد كان معروفاً عن يوحنا زميله، أنه تلميذ المسيح، ولم يوقع به أحد أي أذى. لكن ما الحيلة وقد استرسل بطرس في تخيلاته، فرأى نفسه واقعاً في الخطر، من غير أن يكون هنالك خطر، أو ليس من طبيعة الجبان، أنه متى رأى خيال ظنه رجلاً ؟ أمام هذه المخاوف، تحطمت شجاعة بطرس، فقال للجارية "لست أنا" !

عدد ١٨ . حلقة الاتصال بين المرة الأولى التي فيها أنكر بطرس سيده، وبين المرتين التاليتين: "وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد أضرموا جمراً، لأنه كان برد، وكانوا يصطلون، وكان بطرس واقفاً معهم يصلي" . حدث

قَدْ أَضْرَمُوا جَمْراً لأَنَّهُ كَانَ بَرْدٌ وَكَانُوا يَصْطَلُونَ وَكَانَ بُطْرُسُ وَاقِفاً مَعَهُمْ يَصْطَلِي.١٩فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا، في منتصف شهر نيسان (مارس – ابريل) ، والبرد يكون وقتئذ شديداً في أورشليم، لأن هواءها جبلي، فهي مبنية على لسان من الأرض، تفصلها عن بقية البلاد أودية عميقة، تحيط بها من جميع الجهات – إلا جهة واحدة. وهي على ارتفاع ٢٥٠٠ قدم تقريباً، فوق سطح البحر

ذكر البشيرين الأولون، المرات الثلاث، التي فيها أنكر بطرس سيده تباعاً – المرة تلو الأخرى، بصرف النظر عن الوضع التاريخي لكل منها، ليظل الكلام في المحاكمة متصلاً. لكن رتب كلا من هذه المرات الثلاث، في وضعها التاريخي، مع ذكر الملابسات الخاصة التي أحاطت بكل. وهذا مما زاد بشارته جمالاً وجلالاً، سيما في عيني رينان، أحد الناقدين الملحدين.

عدد ١٩ . (٤) رئيس الكهنة يستجوب المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه: "فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه". في هذا العدد، واصل البشير كلامه الذي قطعه في عدد ١٥، بمناسبة ما كتبه عن إنكار بطرس لسيده. فالكلام فيه، متصل بالكلام الذي مررنا به في عدد ١٤.

يظن بعض المفسرين، إن "رئيس الكهنة" المقصود هنا، هو قيافا اعتقاداً منهم أنه لا يجوز إطلاق لقب "رئيس الكهنة"، إلا على من يتقلد هذه الوظيفة بالفعل، مستندين في ذلك إلى ما جاء في عدد ٢٤. ونميل نحن إلى الاعتقاد بأن "رئيس الكهنة" المقصود هنا، هو حنان، لأنه كان

عَنْ تلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ. ٢٠أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ علاَنِيَةً.

لا يزال حاملاً هذا اللقب على رغم كونه متقاعداً وقتئذ، بدليل ما جاء عنه في أعمال ٤: ٦، حيث ذكر اسم حنان مشفوعاً بلقب "رئيس الكهنة" ، بينما ذكر اسم قيافا مجرداً عن هذا اللقب. وكذلك يقول يوسيفوس في تاريخه، عن يوناثان بن حنان: "رئيس الكهنة" . (أنظر أيضاً لو ٣: ٢)ومهما يكن من أمر شخصية "رئيس الكهنة" هذا، فهو على كل حال "رئيس الكهنة" زائف، شاءت الأقدار أن يقف أمامه "رئيس كهنتنا الأعظم" – وهو موثوق.

أليس من نكد الدنيا أن نجد العبد حراً، ولحر مقيداً ؟ !

كان قصد حان باستجوابه المسيح ، أن يوقعه في ورطة كلامية، تكون أساساً لاتهامه رسمياً أمام السنهدريم، وبذا يكون هذا "الحية القديمة" قد كافأ انتظارات اليهود فيه. لذلك ألقى سؤالا ينم عن اتهامه دنئ ليسوع المسيح بأن له تلاميذ معروفين في ضوء النهار، واتباعاً مستورين في الخفاءِ ٍٍ ومشتركين معه في الذنب. وأن له تعاليم صالحة ينادى بها في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وضح النهار، وتعاليم أخرى غير قويمة يوسوس بها في وضح النهار، وتعاليم أخرى غير قويمة يوسوس بها تحت جنح الظلام.

عدد ٢٠ و ٢١ . (٥) جواب المسيح على رئيس الكهنة: "أجاب يسوع أنا كلمت العالم علانية" . أنكر المسيح بشمم وإباء، ما عزاه إليه "رئيس الكهنة" الزائف وأعلن بكلمات واضحة كالنهار، مرهفة كالسيف، قوية كالنور: إن تعاليمه نور، ولا يتسع لها المجال إلا في النور. وأما الظلام، فليسأل عنه أهل الظلام، وعلى رأسهم حنان وصهره قيافا

أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِماً. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ. ٢١لِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا؟ اِسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا مَاذَا كَلَّمْتُهُمْ. هُوَذَا هَؤُلاَءِ يَعْرِفُونَ مَاذَا قُلْتُ أَنَا». ٢٢وَلَمَّا قَالَ هَذَا لَطَمَ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنَ الْخُدَّامِ كَانَ وَاقِفاً قَائِلاً: «أَهَكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ؟»

وأعضاء السنهدريم، الذين عقدوا مجلسهم تحت جنح الظلام، غير مكترثين قانون ولا نظام: "أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً. وفي الخفاء لم أتكلم بشيء" – الآن أصبح المستجوب مستجوباً، وأضحى القاضي متهماً بعدم التبصر والروية، إذ سأله المسيح قائلاً: "لماذا تسألني أنا. اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا". ولعل المسيح أراد بقوله هذا، أن يبين لرئيس الكهنة، أن القوانين تقضي بأن لا يقدم أحد للمحاكمة، إلا من قدم في حقه اتهام. أما أن يتبرع هو لنفسه بالاتهام، فهذا أمر لا يعرفه سوى قضاة الظلم والظلام !

عدد ٢٢ . (٦) اعتداء أحد الخدام على يسوع: "ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً". كان وقع جواب المسيح أليماً على رئيس الكهنة، فظهرت عليه سيماء الخجل والامتعاض. فقصد خادمه الذليل، أن يترضى وجه سيده. وفي ساحة القضاء داس العدالة بقدميه القذرتين، ولطم بيده الدنسة وجه المسيح الوضئ. ياليت هذه اليد قد شلت، قبل أن تمد إلى وجه المسيح الذي هو أبرع جمالاً من بني البشر ! ولكن ذلك البائس التعيس، قد أراد أن يشتري رضى سيده بهذا الثمن. وما أغلاه من ثمن !

٢٣أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيّاً فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ وَإِنْ حَسَناً فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟»
٢٤وَكَانَ حَنَّانُ قَدْ أَرْسَلَهُ مُوثَقاً إِلَى قَيَافَا

عدد ٢٣ . (٧) جواب المسيح على هذا الإعتداء: يذكرنا تصرف هذا الخادم، بتصرف خادم آخر، أثناء محاكمة بولس الرسول (أعمال ٢٣: ٣) . أما هذا الخادم ، فقد تطوع هذه اللطمة. وأم ذاك فضرب بولس بأمر رئيس الكهنة. ولكن بولس لم يستطيع أن يكبح جماح نفسه، وفي ثورة غضبه، تفوه بكلمات اضطر أن يقدم عنها اعتذاراً (أعمال ٢٣: ٥) . أما

 All rights reserved © 2008-2018

المسيح ، رب بولس فلم يقل كلمة في غير محلها، وإذ وجد نفسه في ساحة العدالة، ورأى العدل مذبوحاً أمام عينيه، والحق مدوساً تحت أقدام البشر، فاه بكلمة حق، مدافعاً بها عن "الحق". ولا عجب. فهو "الحق" مجسماً: "أجاب يسوع إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردى وإن حسناً فلماذا تضربني" ! وجدير بالذكر، أن تصرف المسيح في هذا الظرف، لا ينافي قوله في (متى ٥: ٣٩)فلم يكن عمله هذا سوى تفسير معنوي لما قال هنالك.

عدد ٢٤ . من حنان إلى قيافا – المحاكمة الدينية الثانية "وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا" . ذكر يوحنا هذه العبارة، دفعاً لتصور القارئ، أن يسوع لم يحاكم دينياً إلا أمام حنان. فأشار إلى المحاكمة الثانية التي سب فكتب عنها متى ومرقس بإضافة (متى٢٦: ٥٩ – ٦٦ ومرقس ١٤: ٥٥ – ٦٤). إن الترجمة الصحيحة للعبارة الأولى من هذا العدد، هي: "وأرسله حنان موثقاً إلى قيافا" . (أنظر هامش الترجمة العربية المعرفة

رَئِيسِ الْكَهَنَةِ.٢٥وَسِمْعَانُ بُطْرُسُ كَانَ وَاقِفاً يَصْطَلِي. فَقَالُوا لَهُ

بترجمة بيروت) . والظاهر أن المسيح، إذ وقف أمام حنان، حلوه من وثقه، وبعد استجوابه، أمر حنان بأن يوثقوه أيضاً، على اعتبار أنه أصبح متهماً شرعاً، وأن يرسلوه إلى قيافا.

عدد ٢٥. (ب) بطرس ينكر سيده للمرة الثانية: من الكلام عن موقف المسيح أمام "رئيس الكهنة"، عاد يوحنا البشير فحدثنا عن سمعان بطرس. وكأن البشير أراد أن يحدثنا في الفصول التي يتألف منها الإصحاح الثامن عشر، عن يسوع وعن سمعان، بالتبادل: في الفصل الأول المبتدئ بالعدد الأول، أخبرنا عن يسوع. وفي الفصل الثاني المبتدئ بعدد ١٠، كلمنا عن سمعان بطرس. في الفصل الثالث المبتدئ بعدد ١٢، عاد فحدثنا عن يسوع. وفي الفصل الرابع المبتدئ بعدد ١٥، عاد إلى سمعان. في الفصل الخامس المبتدئ بعدد ١٩، استأنف الكلام عن يسوع. وفي الفصل السادس الذي نحن بصدده الآن، عاد أيضاً إلى الكلام عن سمعان بطرس.

إن المرة الأولى التي فيها أنكر بطرس سيده، وقعت في بيت حنان، وكذلك المرة الثانية والمرة الثالثة، لأن عدد ٢٥ يرجع بنا إلى ذات الموقف الذي تركناه في عدد ١٨: "وكان بطرس واقفاً يصلي". والظاهر أن حنان وقيافا كانا يسكنان داراً واحدة، في محلين تفصل بينهما باحة فسيحة، وأن بطرس أنكر سيده في هذه الثلاث المرات، أمام ذات الأشخاص، وتقريباً في نفس المكان الواحد. ولكن في أوقات مختلفة، ومناسبات متباينة.

في المرة الأولى، أنكر بطرس سيده، نتيجة سؤال الجارية إياه:

«أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضاً مِنْ تلاَمِيذِهِ؟» فَأَنْكَرَ ذَاكَ وَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا». ٢٦قَالَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"ألست أنت أيضاً من تلاميذه هذا الإنسان ؟" (عدد ١٧)، ثم خرج خارجاً إلى الدهليز ليتحاشى الاستجواب مرة أخرى. لكنه في هذه المرة الثانية، أنكر سيده نتيجة سؤال وجه إليه من الخدم. وفي الغالب علم هؤلاء الخدم بصلة بطرس بيسوع، من جارية أخرى كانت واقفة على الباب الخارجي المؤدي إلى الدهليز (متى). ولعلها تلك التي قامت بدورها في حراسة الباب بدلاً من الجارية الأولى. على أنه لم يكن هنالك ما يدعو إلى وقوع بطرس مرة ثانية في خطيئته الأولى، لأن الذين سألوه هذا السؤال، لم يقصدوا من ورائه إيقاع الأذى به، ولكن بطرس كان مدفوعاً إلى تكرار خطيته الأولى بعاملين: أولهما – أن الوقوع في خطية لأول مرة، يمهد السبيل للوقوع فيها مرة ثانية، فكأنما كل خطية يرتكبها الإنسان، تختبئ في قلبها مغناطيسية كبرى، تجتذب بها الإنسان إليها. والعامل الثاني: أن بطرس ورط نفسه بوجوده في زمرة الخدم، الذين كانوا جاعلين المسيح البرئ موضوع تسليتهم ومزاحهم، وهم حول النار يستدفئون. وفي الغالب جداً، جاراهم بطرس في محادثاتهم هذه، ولم يبد استنكاراً ولا احتجاجاً. من أجل ذلك كان من الصعب عليه، أن يعلن فيما بعد، أنه من تلاميذ "ذاك" الذي جعله الخدم موضوع مزاحهم.

عدد ٢٦ و ٢٧. (ج) بطرس ينكر سيده للمرة الثالثة: أنكر بطرس سيده في المرتين السابقتين، من غير أن يكون مهدداً بشئ ما. ولكن موقفه في هذه المرة الثالثة كان حرجاً جداً، لأن لغته التي بها أنكر سيده في المرة

وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَهُوَ نَسِيبُ الَّذِي قَطَعَ بُطْرُسُ أُذْنَهُ: «أَمَا رَأَيْتُكَ أَنَا مَعَهُ فِي الْبُسْتَانِ؟» ٢٧فَأَنْكَرَ بُطْرُسُ أَيْضاً.

الثانية، أظهرته أنه جليلي – فالجليلي يتميز عن سواه من سكان فلسطين، بلفظه حرف "الشين" كأنه "ثاء" أو "سين" وهذا دفع "واحداً من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه" إلى أن يواجه بطرس بهذا السؤال: "أما رأيتك أنا معه في البستان" ؟ الآن رأى بطرس نفسه محاطاً بمخاطرة عدة، وأدرك أنه لا محالة واقع تحت المحاكمة نتيجة تعديه على العبد، فاستسلم لقياد المجرب العظيم. ولكي يقدم برهاناً عملياً، على أن مشربه لا يتفق ومشرب ذلك المعلم الجليلي، اندفع – وعادته دائماً الاندفاع – وتمادى في الحلف واللعن، مؤكداً أنه "لا يعرف ذاك". "وللوقت صاح الديك" !

إن إنكار بطرس لسيده في المرتين الثانية والثالثة، حدث أثناء محاكمة المسيح أمام حنان. ومن الغريب أنه حالما انتهت هذه المحاكمة، كان بطرس قد انتهى من إنكار سيده مثنى وثلاث. وفي خروج المسيح من مسكن حنان إلى مسكن قيافا، كان الديك قد صاح. فحانت من المسيح التفاتة[٣] إلى

وَلِلْوَقْتِ صَاحَ الدِّيكُ. ٢٨ثُمَّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بطرس "فتذكر كلام الرب يسوع كيف قال له إنك قبل أن يصيح الديك. مرتين تنكرني ثلاث مرات. فلما تفكر به خرج إلى خارج وبكى بكاء مراً".

ثالثاً: المحاكمة السياسية: (١٨: ٢٨ – ١٩: ١٦(أ)) .

انتهت الأدوار الثلاثة، التي تألفت منها محاكمة يسوع الدينية. ففي الدور الأول، حوكم أمام حنان "رئيس الكهنة" الحقيقي المحترم من الشعب. وفي الدور الثاني حوكم أمام مجلس السنهدريم – مجلس السبعين – برئاسة قيافة "رئيس الكهنة" الرسمي في تلك السنة، في جلسة انعقدت خصيصاً تحت جنح الظلام. وفي هذا الالتئام، حكم على المسيح بالإعدام. وفي الدور الثالث حوكم أمام مجلس السنهدريم برئاسة قيافا أيضاً، في جلسة انعقدت عند الساعة السادسة صباحاً، وفيها أيدوا ما قرروه في الجلسة السابقة. على أن اليهود لم يستطيعوا أن ينفذوا في المسيح حكم الإعدام، لأنهم كانوا وقتئذ مستعبدين للدولة الرومانية، التي سلبت منهم هذا الحق (عدد ٣٨)، مع أنها أوهمتهم أنهم مستقلون استقلالاً ذاتياً، إذ صرحت لهم بأن يحاكموا مذنبيهم الدينيين، وأن ينفذوا فيهم ما يصدرون عليهم من أحكام – إلا حكم الموت، فكان عليهم أن يرجعوا في تنفيذ هذا الحكم الأخير إلى رأي الدولة الرومانية. ويقول التلمود: "قبل خرب الهيكل بأربعين عاماً، انتزع من اسرائيل حق الحكم بالإعدام".

ولئن أتيح لليهود مرة، أن يحكموا على استفانوس بالإعدام، وأن ينفذوا فيه هذا الحكم رجماً بالأحجار، أثناء غياب الحاكم الروماني عن أورشليم وقتئذ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يوقعوا هذه العقوبة على المسيح –

جَاءُوا بِيَسُوعَ

لسببين: أولهما – سبب أرضي، ثانوي، وهو: أن الحاكم الروماني – "بيلاطس"، كان موجوداً في أورشليم آنئذ، لمراقبة اليهود أثناء عيد الفصح. والسبب الثاني – سماوي رئيسي، وهو: أن الله كان قد قضى منذ القديم، بأن يموت المسيح مصلوباً، لتحق عليه اللعنة التي بها يرفع عن العالم لعنة الخطية. فكان من الضروري إذاً، أن يتداخل الرومان في الأمر، ليموت المسيح مصلوباً – حسب أحكام الرومان، لا رجماً بالأحجار – حسب عوائد اليهود (عدد ٣٢).

وكان بيلاطس ممثل الدولة الرومانية في أورشليم وقتئذ. وهو للأسف مجموعة من الأخلاق المتناقضة. فيه اجتمع الجبن بالعنفوان، والغباوة بالحكمة، والعدل بالظلم والعدوان، فيه حاكماً محكوماً، بريئاً مذنباً. ولقد أفاض يوحنا البشير في وصف محاكمة المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أمام بيلاطس، أكثر من سائر البشيرين. ومن المحقق أنه كان شاهد عيان. لن الذي دخل دار رئيس الكهنة مخاطراً بحياته، لم يتردد عن أن يرافق المسيح إلى دار الولاية، وإلى الجلجثة (١٩: ٢٦).

تقع هذه المحاكمة، كما وصفها البشير، في سبع مراحل:

المرحلة الأولى – خارج دار الولاية (١٨: ٢٨ – ٣٢). المرحلة الثانية – داخل دار الولاية (١٨: ٣٣ – ٣٨ (أ)). المرحلة الثالثة – خارج دار الولاية (١٨: ٣٨ (ب) – ٤٠). المرحلة الرابعة – داخل دار الولاية (١٩: ١ – ٣). المرحلة الخامسة – خارج دار الولاية (١٩: ٤ – ٨). المرحلة السادسة -

مِنْ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ

داخل دار الولاية (١٩: ٩ – ١١). المرحلة السابعة – خارج دار الولاية (١٩: ١٢ – ١٦).

فما أمر ذلك السبيل، الذي سلكه المسيح الفادي – من خارج دار الولاية – إلى داخلها، ومن داخلها إلى خارجها. فكأن خالق هذه الكرة الأرضية، صار كالكرة بين أيدي البشر، يتقاذفونها هنا وهنالك ! كل هذا لأجلنا، وحباً بنا. هذه خطوات ممهدة للصليب، بل هي عربون الصليب.

المرحلة الأولى في المحاكمة السياسية – خارج دار الولاية – اليهود يطلبون تنفيذ حكمهم على المسيح من غير أن يوجهوا إليه تهمة معينة.

عدد ٢٨. (١). زمان ومكان المحاكمة – انتهى اليهود من محاكمة المسيح، عند الساعة السادسة صباحاً، "فقام كل جمهورهم" – مبكرين – "وجاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية"، التي كان يقيم فيها بيلاطس، ليتفرغوا فيما بعد لأكل الفصح، الذي صار موعده على الأبواب. وكأنهم وطنوا نفوسهم، على أن يترنحوا أولا بكأس دم حمل الله الوديع، قبل أن يشربوا كأس الفصح ! أما الدار التي أقام فيها بيلاطس، فقد كانت قصراً ملكياً بناه هيرودس الكبر – الذي كان له ولع خاص بالبناء – على تل واقع جنوبي غربي جبل المريا الذي أقيم عليه الهيكل، ليضارعه في فخامة البناء وجلال المنظر.

(٢) التدين الزائف: كانت هذه الدار مؤلفة من بناء فخم، يتصل به جناحان عظيمان. وأمام هذا البناء المتوسط، يمتد بهو غير مسقوف، أقيمت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَكَانَ صُبْحٌ. وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ لِكَيْ لاَ يَتَنَجَّسُوا فَيَأْكُلُونَ الْفِصْحَ. ٢٩فَخَرَجَ بِيلاَطُسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «أَيَّةَ شِكَايَةٍ تُقَدِّمُونَ عَلَى هَذَا الإِنْسَانِ؟» ٣٠أَجَابُوا: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلَ شَرٍّ لَمَا كُنَّا

فيه منصة للقضاء، فصعد عليها بيلاطس، وأعوانه، ويسوع. وحضر أيضاً المشتكون عليه بزعامة قيافا. ولقد تم هذا الدور الأول من المحاكمة في هذا القضاء، لأن اليهود امتنعوا عن أن "يدخلوا إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح". ياالشقاوة هؤلاء القوم ! فقد قبلوا عن طيب خاطر، أن يلطخوا أيديهم بدم المسيح البار، لكنهم امتنعوا عن أن يدخلوا تحت سقف بيت روماني، مخافة أن يكون فيه شئ من الخمير، فيتنجسوا، ويحرم عليهم أكل الفصح. هذا كل ما وصل إليه تدينهم: "قبور مبيضة من الخارج، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة".

عدد ٢٩. (٣) المتمرد الجبان: أما بيلاطس الجبان، فقد انصاع لإرادتهم، وخرج إليهم، وقال "أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان". لم يرغب بيلاطس في أن يسلم لهم بالموقف المزري الذي أرادوه له، بجعلهم إياه مجرد قوة منفذة لأحكامهم فأفهمهم، أنه هو صاحب الحق، في التحقيق والقضاء.

عدد ٣٠. (٤) كبرياء ممتزجة بدهاء: "أجابوا وقالوا له: لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك". هذا جواب صادر عن قلوب مشحونة ظلماً ورياء، ودهاء وكبرياء. كأنهم أرادوا أن يحملوا بيلاطس على أن يضع "بصمته" على حكمهم. ولعلهم عزموا على أن لا يتكلموا أمام بيلاطس الحاكم

قَدْ سَلَّمْنَاهُ إِلَيْكَ!» ٣١فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَداً». ٣٢لِيَتِمَّ قَوْلُ يَسُوعَ الَّذِي قَالَهُ مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يَمُوتَ.

السياسي، بأمور دينية خاصة بهم. وقد فاتهم أن الحكم الروماني كان مطبوعاً بطابع خاص – العدالة فوق كل شئ.

عدد ٣١. (٥) دهاء يفوق دهاء. إن بيلاطس العنيد، المتكبر، الخبيث، لم تفته حيلة اليهود، فأجابهم على حيلتهم. بحيلة أدهى منها، ولطم كبرياءهم بلطمة أشد منها وأقوى، فأصابتهم هذه اللطمة الشديدة في صميم عزتهم القومية، حين قال لهم: "خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم". ولعل بيلاطس قصد في الوقت نفسه أن يوجد لنفسه منفذاً، يساعده على الخروج من هذا المأزق الذي أوجدوه فيه، فأحالهم إلى "ناموسهم".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٣) الحقيقة المرة – خر اليهود أمام لطمة بيلاطس صاغرين، لأنها ذكرتهم بوقوعهم في مخالب النسر الروماني. فاعترفوا بنغمة يمازجها التحسر والخجل: "لا يجوز لنا أن نقتل أحداً".

عدد ٣٢. (٧) نبوة قديمة تمت: "ليتم قول يسوع الذي قاله مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت" (٣: ١٤، ٨: ٢٨، ١٢: ٣٢). ولولا هذا العجز، الذي أوقعهم فيه الحكم الروماني، لأماتوا المسيح رجماً بالأحجار – لا مصلوباً. راجع تفسير عدد ٢٨,

٣٣ثُمَّ دَخَلَ بِيلاَطُسُ أَيْضاً إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَدَعَا يَسُوعَ

المرحلة الثانية في المحاكمة السياسية – داخل دار الولاية "الاعتراف الحسن" – المسيح ملك (١٨: ٣٣ – ٣٨ (أ)).

ينبئنا لوقا البشير، بأن أعداء المسيح، ابتدؤوا حينئذ يشتكون عليه قائلين: "إننا وجدنا هذا" – ما أمر التحقير الذي لفظوا به كلمة "هذا" ! "يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلاً إنه هو مسيح ملك". هذه هي التهم الثلاث، التي قدموا بها المسيح إلى بيلاطس. فالتهمة الأولى جوفاء: "هذا يفسد الأمة". لأنها قد تطلق على أي إنسان – ومن باب أولى عليهم هم. أليسوا هم الذين أفسدوا ضمير هذا الشعب الساذج ؟ والتهمة الثانية: "ويمنع أن تعطى جزية لقيصر" – هذه تهمة باطلة بطلاناً أصلياً. ألا يذكرون قوله في مناسبة سابقة: "أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر ؟" (لو ٢٠: ٢٥) أما التهمة الثالثة: "إنه المسيح ملك"، فقد أجادوا تلفيقها وحبكها، وأحكموا صوغها في قالب يسترعي التفات بيلاطس الروماني.

عدد ٣٣. (١) بيلاطس يستجوب المسيح على انفراد. من أجل ذلك أراد بيلاطس، أن يحقق هذه التهمة الأخيرة، لأنها تهمة سياسية، تتصل بوظيفة كمندوب قيصر أمام اليهود. فأي تهاون يبدو منه في تحقيق هذه التهمة، كان كافياً لأن يجعله مضغة في أفواه اليهود الذين لا يترددون عن أن يشوا به إلى قيصر، لذلك "دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع" وحده إليه. الآن قد تحول وجه المسيح عن اليهود، واتجه إلى بيلاطس الأممي ! ألا يعتبر عمله هذا، رمزاً إلى تحول إنجيله في المستقبل، عن

وَقَالَ لَهُ: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» ٣٤أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هَذَا أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟» ٣٥أَجَابَهُ بِيلاَطُسُ: «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟

اليهود، واتجاهه إلى الأمم ؟ أوليس هذا عقاباً عادلاً لليهود، الذين أسلموا ملكهم، باختيارهم، إلى القوة الرومانية، التي داست رقابهم بقدميها ! ؟.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هناك في تلك القاعة الرومانية الجميلة، جلس بيلاطس الوالي الزائف، وأوقف أمامه "والي الولاة". فالتقى في تلك الغرفة، قلب الليل بصدر النهار وتفرس الحق مجسماً في وجه الظلم متأنساً. ومن الغريب أن يقف "الحق" في هذه الدنيا ليحاكم أمام الظلم. لكن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة

سأل بيلاطس يسوع قائلاً: "أأنت ملك اليهود" ؟ وكأني بذلك الفم الروماني الأجوف، يلفظ كلمة "أنت" بأنفاس التحقير والازدراء !.

عدد ٣٤ . (٢) المسيح يجاوب بيلاطس: "أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني" ؟ أي – أتقصد بكلمة: "ملك"، ما تفهمه أنت منها، أو ما يفهمه اليهود منها ؟ نعم إن المسيح "ملك"، ولكن ليس بالمعنى السياسي الذي يفهمه بيلاطس. ولقد أصاب المسيح كبد بيلاطس بهذا السؤال الذي بدأ فيه المتهم يقدر موقف المستجوب، والوالي موقف المستجوب.

عدد ٣٥. (٣) بيلاطس يتبرم، ويعيد استجواب المسيح: "أجابه بيلاطس ألعلي أنا يهودي ؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي". تبرم بيلاطس من السؤال الذي وجهه إليه المسيح، وقال غاضباً: "ألعلي أنا يهودي" ؟ ! قصد بيلاطس أن يعبر بهذا الجواب، عن ترفعه وعدم مبالاته،

أُمَّتُكَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟» ٣٦أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنِ الآنَ

وإن يجعل منه طعنة نجلاء يوجهها إلى المسيح وإلى اليهود في وقت واحد، فقال : "أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي". هذا مصداق لقول الكتاب: "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله". وفي الوقت نفسه قال بيلاطس لليهود ضمناً: "إنكم قد غدرتم بملككم" ! ثم شرع يسترد مركزه كوال محقق، فقال للمسيح: "ماذا فعلت" ؟.

عدد ٣٦ . (٤) الجانب السلبي، من اعتراف المسيح الحسن. إن لاعتراف المسيح الحسن جانبين: أولهما سلبي، وثانيهما إيجابي. في الجانب السلبي، "أجابه المسيح" أنه ليس ملكاً بالمعنى السياسي الذي يفهمه بيلاطس، ثم أقام الحجة على هذه الحقيقة: "مملكتي ليست من هذا العالم". أي أنها لا تستمد أساسها، ولا شرائعها، ولا أسلحتها، ولا سلطانها، ولا طبيعتها من هذا العالم. فطبيعتها منافية لطبيعة العالم، لأنها هي من فوق والعالم من أسفل (٨: ٢٣). أما الحجة التي ذكرها تأييداً لهذه الحقيقة فهي: "لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود". والدليل على ذلك، أنه واقف أمام بيلاطس موثقاً، وأنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عندما تطوع أحد جنوده للدفاع عنه، زجره قائلاً: "اجعل سيفك في الغمد" (١٨: ١١). "ولكن الآن" – أي ها قد وضح أمامك جلياً، إن "مملكتي ليست من هنا".

لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». ٣٧فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذاً مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ. لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ.

ومن المحقق أن بيلاطس كان قد أبلغ هذا الخبر من الجنود الذين ألقوا القبض على يسوع.

عدد ٣٧ . (٥) بيلاطس يستجوب المسيح للمرة الثالثة عما إذا كان ملكاً: سمع بيلاطس كلمة: "مملكتي" من المسيح، ثلاث مرات، في جوابه. فقال فزعاً: "أفأنت إذاً ملك ؟" ولعله قصد في الوقت نفسه، أن يحبك من خيوط سؤاله هذا، شبكة يمسك بها المسيح متلبساً بالجريمة التي اشتكى بها عليه اليهود.

(٦) الجانب الإيجابي من اعتراف المسيح الحسن: إن رب المجد، قطع بسيف "الحق"، هذه الخيوط الواهية التي حبكها بيلاطس، فقال: "أنت تقول إني ملك". فنسب هذا القول إلى بيلاطس لا إلى شخصه، وفي الوقت نفسه أقر به ولم ينكره. ثم أبان لبيلاطس، نوع السلاح الذي به يؤيد المسيح ملكه، فقال: "لهذا قد ولدت أنا. ولهذا قد أتيت إلى العالم. لأشهد للحق". فالحق سلاح هذا الملك، وهو أساس ملكوته وعماده. فهو إذاً ملك، وهو أيضاً نبي حامل رسالة "الحق". وبهذا الحق، يؤسس ملكه، ويرفع لواءه، ويدعمه. في هذا تختلف مملكة المسيح عن مملكة قيصر. فالأولى تجمع قلوب البشر، والثانية تسحق أجسامهم. قوة الأولى في الحق وقوة الثانية في الحديد والنار. الأولى داخلية، دائمة. والثانية خارجية ذاهبة.

كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي». ٣٨قَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «مَا هُوَ الْحَقُّ؟». وَلَمَّا قَالَ هَذَا خَرَجَ أَيْضاً إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ:

الآن، رأى بيلاطس أن الوقت قد حان ليصيب كبد بيلاطس مرة أخرى، فسلط عليه نور "الحق"، قائلاً "كل من هو الحق يسمع صوتي" كأنه قال ضمناً لبيلاطس: "أأنت من الحق ؟ إن كنت تسمع صوتي فأنت من الحق، لأن الحق يتبرر دائماً من بنيه، وإلا. فلا".

عدد ٣٨ . (٧) بيلاطس يسأل عن الحق من غير أن ينتظر جواباً – سمع بيلاطس من المسيح قوله: "كل من هو من الحق يسمع صوتي"، فأحس مرة أخرى بأن كرسيه يرتج من تحته، وأن المحاكمة عادت فانقلبت عليه، وأن ذلك "المتهم" العجيب – المسيح – قد وقف منه موقف القاضي، وأوقفه هو موقف المتهم. وإذ أدرك أن إطالة مدة الانفراد بهذا "المتهم" العجيب، لا تزيده إلا تورطاً، قصد أن يصرف الموضوع، بسؤال ألقاه على المسيح، بين هازل وعابث، وهو لا ينتظر عنه جواباً: "ما هو الحق" ؟[٤].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المرحلة الثالثة في المحاكمة السياسية – خارج دار الولاية – بيلاطس يقر ببراءة المسيح لأول مرة – باراباس أم المسيح ؟ (٣٨ (ب) – ٤٠). لم يكن بيلاطس في سؤاله عن "الحق" جاداً، بل كان عابثاً هازلاً. فسؤاله عن "الحق"، كسؤال الظالم عن العدالة، والمستبد عن الرحمة. لأن الذي يعرف شخصية بيلاطس، يؤكد أن بينه وبين الحق مراحل. لذلك لم يستطع أن

«أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً. ٣٩وَلَكُمْ عَادَةٌ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ وَاحِداً فِي الْفِصْحِ. أَفَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟».

ينتظر جواباً عن سؤاله. وهل تقوى حشرات الظلام على انتظار بزوغ نور الشمس ؟ من أجل ذلك فر بيلاطس هارباً، وخرج إلى اليهود مرة أخرى وقال لهم: "أنا لست أجد فيه علة واحدة".

عرفنا البشيرون الأولون، أن رؤساء الكهنة والشيوخ، حالما سمعوا تصريح بيلاطس، لأول مرة، ببراءة المسيح، "كانوا يشددون قائلين إنه يهيج الشعب. وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا". أما بيلاطس، فقد كان يحاول أن يجد وسيلة يتذرع بها للخروج من هذا المأزق الحرج، الذي أوجده فيه وقوف المسيح أمامه، أو بالحري وقوفه هو أمام المسيح. فلما سمع عرضاً، ذكر "الجليل"، وجد أن أول وسيلة يمكن أن يتذرع بها للهرب من المسؤولية، هي أن يرسل المسيح إلى هيرودس وإلى الجليل، الذي كان حينئذ في أورشليم – على اعتبار أن يسوع جليلي تابع لسلطنة هيرودس. أما هيرودس، فقبل المخلص بكل فرح، لأنه كان مشتاقاً من زمان طويل أن يراه، وترجى أن يصنع الآن آية أمامه. غير أن المسيح لم يجبه بشئ عن جميع سؤالاته، ولا أجاب عن شكاوى الكهنة والرؤساء الذين صحبوه إلى ذلك الوالي. فاحتقره هيرودس مع عسكره، واستهزأ به، وألبسه لباساً لامعاً ورده إلى بيلاطس. وفي الوقت نفسه اعتبر إرسال بيلاطس ليسوع إليه، علامة محبة ووداد من جانب بيلاطس، فكان هذا

٤٠فَصَرَخُوا أَيْضاً جَمِيعُهُمْ: «لَيْسَ هَذَا بَلْ بَارَابَاسَ». وَكَانَ بَارَابَاسُ لِصّاً.

باعثاً على إرجاع الصداقة التي كانت قد تقطعت أوصالها بينهما. فما أعجب فادينا ! فهو صانع سلام حتى في محاكمته الأخيرة ! حقاً هذا هو ابن الله !

أما بيلاطس، فكان لم يزل مصراً على إطلاق يسوع، فجلس في هذه المرة رسمياً على كرسي الولاية كقاض (متى ٢٧: ١٩)، وأعلن أنه هو وهيرودس قد فحصا يسوع، ولم يجدا فيه علة. فكان الواجب حينئذ على بيلاطس القاضي الروماني – والقضاء الروماني متصف عادة بالعدالة – أن يطلق المسيح، بعد أن ثبتت له براءته. ولكن هذا الرجل الضعيف، قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لانت قناته أمام تشدد اليهود، فتذرع بوسيلة ثانية للخروج من هذا المأزق، محاولاً أن يستفيد من عادة قديمة، كان قد عود اليهود عليها – وهي أن يطلق لهم كل عيد فصح مجرماً – كأنه قد ثبت لديه أن المسيح مجرم. فالتجأ إلى عواطف الشعب اليهودي، عله يفوز منهم بكلمة عن إطلاق المسيح. وعرض عليهم أن يختاروا: بين أن يطلق لهم المسيح ملكهم أو باراباس القاتل المجرم. وفيما كان بيلاطس منتظراً الشعب، ليختاروا من يطلق لهم، وصلته رسالة من امرأته التي يظن أن اسمها "كلافديه بركيولا"... عجيب أن الشخص الوحيد الذي تطوع للدفاع عن مخلصنا في هذه الساعة الدقيقة، ليس رجلاً من أتباعه، بل امرأة وثنية ! وفي هذه الأثناء كان رؤساء الكهنة يحرضون الشعب على أن يختاروا "باراباس" – ومعناه: "ابن أبيه، أو ابن العباس، أو ابن المعلم". فصرخ الشعب اليهودي بحملته قائلاً: "ليس هذا بل باراباس". هذه لطخة سوداء على جبين الشعب اليهودي، الذي فضل اللص القاتل على المسيح الملك.

---

(١) كلمة قدرون آرامية، معناها الأسود. وربما سمى كذلك نسبة إلى ظلال الأشجار الكثيفة التي تكتنفه.

(٢) ربما كان هذا الرجل المسمى "ملخس"، ناقل الثلاثين من الفضة – أجرو الإسخريوطي، وأنه قد ناوله هذه الأجرة على حدة لما تم التسليم، وان بطرس لاحظ ذلك.

(٣) الأرجح أن بيت رئيس الكهنة كان مبنياً، كأكثر البيوت في الشرق، حول دار مربعة الشكل، غير مسقوفة، متصلة بدهليز يدخلون إليه من بوابة كبرى على الشارع. وفي هذه الدار أضرم العبيد والخدم النار. وفي الغالب وقف يسوع أمام "عظيم الكهنة" في حجرة بجانبها، فكان يسمع كل ما قيل حول النار، وكان بطرس في الدار يشاهد كل ما جرى للمسيح. وفي خروج المسيح من حجرة حنان إلى حجرة قيافا، اجتاز الدار التي كان بطرس فيها، فالتفت إليه. فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاء مراً.

(٤) لو كان بيلاطس جاداً في سؤاله، وغير كلمة "ما" بكلمة "من"، لوجد خير جواب على سؤاله، في المسيح الواقف أمامه؟ (١٤: ٦).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تتمة المحاكمة، والصلب

اَلأَصْحَاحُ التَّاسِعُ عَشَرَ

جئنا الآن، إلى هذا الفصل التاريخي، الذي يتقدم بنا إلى قدمي الصليب وأن فصلاً كهذا، ينبغي أن ندرسه ونحن على ركبنا جاثين خاشعين.

"هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل. أعمق من الهاوية فماذا تدري. أول من الأرض طوله، وأعرض من البحر." – هذا هو الصليب بل هذا هو المسيح المرفوع على الصليب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إننا واقفون الآن على أرض مقدسة، فيها أنوار، وفيها ظلال. وعلى قدر ما يكون النور ساطعاً، يكون ظلال الأشباح الساقط عليها هذا النور قاتماً.

اعتاد المصورون قديماً، أن يرسموا وجه المسيح الطهور، وحوله هالة من النور. وسواء أكان هذا النور منظوراً للعيان أم غير منظور، فهو نور فاحص انعكس على قلوب كثيرة فكشف خباياها وخفاياها. فكل شخص اشترك في الحكم على المسيح وصلبه، قد حكم على نفسه، وصلب نفسه، وهو لا يدري. وفي مقدمة هؤلاء: بيلاطس الذي سمح بصلب المسيح، حرصاً منه على مركزه السياسي. ولفرط خيبته، خسر هذا المركز الذي قدم المسيح ثمناً للحرص عليه. وما أغلى هذا الثمن ! فقد حكم عليه الإمبراطور الروماني بالطرد من كرسي الولاية. ولشدة يأسه مضى وانتحر.

لعند الآن إلى درس تتمة محاكمة المسيح السياسية:

١فَحِينَئِذٍ أَخَذَ بِيلاَطُسُ يَسُوعَ وَجَلَدَهُ. ٢وَضَفَرَ الْعَسْكَرُ إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ أُرْجُوانٍ

المرحلة الرابعة في المحاكمة السياسية – داخل دار الولاية – الجلد والسخرية (١٩: ١ – ٣). لما فشلت الوسيلة الثانية، التي تذرع بها بيلاطس للخروج من المأزق الحرج الذي أوجده فيه وقوف المسيح أمامه، التجأ إلى وسيلة ثالثة. فاقترح على اليهود، أن يجلد المسيح ويطلقه: "ها لاشيء يستحق الموت صنع منه. فأنا أودبه وأطلقه" (لو ٢٣: ١٦). إن قول بيلاطس هذا، بمثابة القول عن الشيء الواحد: إنه أبيض وأسود في آن واحد. لأن الجلد يفترض ثبوت الجريمة. وهو أول جرع في كأس الصليب. ولكن قولا كهذا خليق بأمثال بيلاطس الجبان والمتغطرس في آن واحد. وفعلاً نفذ قوله هذا. "فأخذ يسوع وجلده" – على الطريقة الرومانية التي هي أقسى بكثير من الطريقة اليهودية (يو ١٩: ١). لأن العدد الجلدات عند اليهود كان محدوداً – فلا يزيد عن الأربعين. وأما الرومان، فكانوا يجلدون مجرميهم جلدات بلا عدد، وبكل عنف، حتى أن كثيرين كانوا يموتون تحت الجلد. ثم أسلم بيلاطس يسوع على العسكر "فضفر هؤلاء إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه. وألبسوه ثوب ارجوان" –على مثال الثوب الذي كان يلبسه رؤساء الجيش. وقد ألبسوا يسوع إياه، تحقيراً منهم له، لأنه قال عن نفسه: "إنه ملك". وهكذا تضحك الأقدار من الناس ، فإن هؤلاء الجنود العميان، كانوا أحكم من أنفسهم. فما صنعوه بالمسيح تحقيراً وازدراء، أمرت به العناية تعظيماً وإكباراً. فقد ألبس الثوب الأرجواني – باعتبار كونه غالباً.

٣وَكَانُوا يَقُولُونَ: «اَلسَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ». وَكَانُوا يَلْطِمُونَهُ. ٤فَخَرَجَ بِيلاَطُسُ أَيْضاً خَارِجاً وَقَالَ لَهُمْ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكلل بالشوك – على اعتبار أنه ملك العالم. بل ملك آلام العالم وآماله. ويقول متى البشير "أنهم وضعوا قصبة في يمينه" (متى ٢٧: ٢٩) – لأنه في الواقع قابض على صولجان الملك، فهو"ملك الملوك ورب الأرباب". ولكي يكملوا معيار آثامهم، كانوا يقولون "السلام يا ملك اليهود. وكانوا يلطمونه" . هل كان الجنود الرومان، بقولهم هذا، يسخرون من الشعب اليهودي، أم كانوا يسخرون من أنفسهم، أم كانت العناية هازئة باليهود و الرومان معاً ؟ .

المرحلة الخامسة في المحاكمة السياسية: خارج دار الولاية: بيلاطس يعترف ببراءة المسيح، للمرتين الثانية والثالثة: "هوذا الإنسان" ! (١٩: ٤-٧) .

تمنى بيلاطس أن يتأثر اليهود من رؤيتهم المسيح المتألم، فيظهروا عطفهم عليه، ويسمحوا باطلاقه. لكن تمنيه قد خاب. ويظهر أن الشعب اليهودي، كان يرى في كل اقتراح جديد يقدمه بيلاطس، انهزاماً جديداً منه أمامهم، فاستسلموا للعناد، كحيوان جموح استهوته الرياح. لكن بيلاطس لم ييأس من التوسل إليهم – كدت أقول التسول منهم – أن يسمحوا بإطلاق سراح المسيح. لذلك شرع يناشدهم ببراءة المسيح، وبرارته، وضعفه الإنساني عله يحول حقدهم عليه إلى حنو، وقسوتهم إلى عطف.

عدد ٤. (٤) بيلاطس يجاهد ببراءة المسيح للمرة الثانية: "فخرج بيلاطس أيضاً خارجاً وقال لهم ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا إني لست أجد فيه

هَا أَنَا أُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً». ٥فَخَرَجَ يَسُوعُ خَارِجاً وَهُوَ حَامِلٌ إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَثَوْبَ الأُرْجُوانِ. فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ». ٦فَلَمَّا رَآهُ

علة واحدة" . بهذه الكلمات الأخيرة، ناشدهم بيلاطس الإنسانية والعدالة. ولكن لا حياة لمن تنادي.

عدد ٥ . (٢) . المسيح خارج حاملاً إكليله: "فخرج يسوع خارجاً" – وراء بيلاطس – ولا بس – "ثوب الإرجوان" . إرجع في تفسير هذا العدد إلى ما اسلفناه في عدد ٢.

(٣) بيلاطس يستدر عطف اليهود: "هوذا الإنسان" ! فاه بيلاطس بهاتين الكلمتين الأخيرتين، بغمة استعطاف واسترحام. وكأني به يقول لهم: "أعلى هذا لإنسان البائس المتألم تحقدون يا أيها اليهود. ؟ ومثله تحسدون ؟" هذه نغمة بيلاطس. أما العناية الإلهية نغمة، فقد سترت تحت بيلاطس، نغمة أخرى أثبت منها على ممر الأيام – هي نغمة الإعجاب بهذا الذي اجتمعت فيه كل كمالات البشرية، والتقت فيه كل آمال الناس في كل أدوار التاريخ، فهو منتهى آمال اليهود وهو "مشتهى الأمم". ولقد فات بيلاطس أن يعرف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنه بنطقه بهاتين الكلمتين، كان مقدماً أبلغ جواب على سؤاله الذي لفظه منذ مدة وجيزة: "ما هو الحق" (١٨: ٣٨) ؟.

عدد ٦. (٤) رؤساء الكهنة والخدام يطلبون صلب المسيح. حالما رأى رؤساء الكهنة والخدام، دماء المسيح التي أسالتها الجلدات من جسمه

رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْخُدَّامُ صَرَخُوا: «ٱصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ

الطهور، وأراقها إكليل الشوك على جبينه الوضاء، استساغوا واستعذبوا طعمها ، فطلبوا منها المزيد. وصمموا على أن يرووا غلهم منها حتى آخر قطرة، فصرخوا قائلين: "أصلبه أصلبه" – وفي الأصل "أصلب أصلب" ! هذه أول مرة عينوا فيها نوع الموت الذي سيذوقه المسيح – الصلب. هل كان بين هذا الشعب، بعض من أولئك الذين هتفوا للمسيح يوم دخوله أورشليم: "أوصنا .أوصنا" ؟ أم كان ذاك شعب الجليل، وهذا شعب أورشليم ؟ أو ليست كل الشعوب من طينة واحدة ؟ غير أن اللوم في هذا، لا يقع عليهم وحدهم، بل على بيلاطس أيضاً. لأنه هو الذي اقترح عليهم "الجلد" الذي هو مقدمة للصلب عادة. فهل يعابون هم، إذا اختاروا الخاتمة الملائمة لتلك المقدمة ؟ هذه هاوية سحيقة هوى إليها بيلاطس أمام الشعب اليهودي. بل هذا أحط درك هبط إليه اليهود، إذ طلبوا إلى الحاكم الروماني أن يصلب "ملكهم". لأن الرومان لم يصدروا مثل هذا الحكم إلا على عبيدهم وإمائهم.

(٥) . بيلاطس يجاهد ببراءة المسيح للمرة الثالثة. الآن أخذ الضجر من بيلاطس كل مأخذ، وكأنه عول على أن لا يكون فيما بعد لعبة في أيدي اليهود، لذلك أراد أن يلقي عليهم وحدهم كل التبعة في صلب المسيح: فقال لهم "خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علة". هذه هي المرة الثالثة التي أقر فيها بيلاطس ببراءة المسيح، بل هذه هي اللطمة الثالثة التي لطمهم بها.

لأَنِّي لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً». ٧أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا نَامُوسٌ وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ». ٨فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ هَذَا

إن هذه الكلمات مفرغة في قالب تهكمي لاذع، لأن بيلاطس كان يعلم أنهم لا يستطيعون أن يصلبوا المسيح، بعد أن سلبت منهم القوة الرومانية هذا الحق. فكأنه في هذه الكلمة قد ذكرهم: بظلمهم – لأنهم طلبوا أن يصلبوا شخصاً بريئاً، وبعجزهم – لأن القوة السياسية شلت أيديهم.

عدد ٧. (٦) اليهود يصارحون بيلاطس بتهمة المسيح المخبوءة في قلوبهم: أمام هذه اللطمة القوية، اهتزت قلوب اليهود وارتجفت، وأسقط في أيديهم، ولم يتمالكوا أنفسهم من أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يبوحوا لبيلاطس بالعلة الأساسية التي كانوا إلى الآن يضمرونها في أحشائهم، مخافة أن يسخر منهم بيلاطس. فأجابوه: "لنا ناموس. وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله".

عدد ٨. (٧) التأثير الذي تركه تصريحهم هذا في نفس بيلاطس. عجيب إن اليهود يحتكمون في مسائلهم اللاهوتية إلى وال وثني. وكأنهم ظنوا أن إفضاءهم إليه بهذه العلة الدفينة، يحمله على صلب المسيح. ولكن خاب فألهم، وفشل انتظارهم، فإن هذا التصريح الأخير الذي أفضوا به إلى بيلاطس، قد أثر فيه تأثيراً على عكس ما كانوا ينتظرون. لأنه بعد أن سمع هذا القول "ازداد خوفاً". والسبب في ذلك، أن أفكاراً وخواطر كانت تجيش وقتئذ في نفس بيلاطس من جهة هذا الشخص "العجيب"، وأثر الرسالة التي بعثت

الْقَوْلَ ازْدَادَ خَوْفاً. ٩فَدَخَلَ أَيْضاً إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَقَالَ لِيَسُوعَ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟»

بها زوجته إليه لم يبرح من باله بعد. فكان يقول في نفسه: "يا ترى من هو هذا الشخص العجيب الممتاز، الذي صمدت براءته أمام كل هجمات اليهود" ؟ فلما سمع منهم أن المسيح "جعل نفسه ابن الله" استرجع إلى ذاكرته بعض ما كان يطالعه من أساطير اليونان عن ظهور الآلهة في شكل بشر، فثارت في نفسه غريزة الاستقصاء والبحث، يحدوها شئ غير قليل من الوجل والتهيب والفزع من صوت الضمير المبكت.

المرحلة السادسة في المحاكمة السياسية – داخل دار الولاية – المسيح الصامت – المسؤولية العظمى (١٩: ٩ – ١١).

عدد ٩. (١). بيلاطس يخلو إلى المسيح ويستجوبه عن مصدره. تأثر بيلاطس تأثراً عميقاً من علمه بأن المسيح يقول عن نفسه أنه ابن الله. فأدخل يسوع معه إلى دار الولاية، واستجوبه عن مصدره، بنغمة يمتزج فيها التهيب بحب الاستطلاع: "من أين أنت" ؟ ولعله قصد، أن يفوز من المسيح بجواب يروح به عن نفسه، في وسط هذه المسالك الخشنة، التي أدخل نفسه فيها باستضعافه أمام اليهود، وأن يتحرر من الارتباك، الذي أوقعته فيه رسالة زوجته.

(٢) الفادي الصامت: "أما يسوع فلم يعطه جواباً". إننا نلمح في سكوت مخلصنا، ذات الحكمة التي نراها في كلامه، فهو عظيم في صمته، عظيم أيضاً في كلامه. ذات الحكمة التي نراها في كلامه، فهو عظيم في صمته، عظيم أيضاً في كلامه. فلقد كان في صمته هذا ، مقدماً أبلغ جواب على سؤال بيلاطس ومعترفاً بالتهمة التي ألصقها به اليهود،بل مرحباً بها،فهو

؟» وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمْ يُعْطِهِ جَوَاباً. ١٠فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَمَا تُكَلِّمُنِي؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ابن الله بالحقيقة. ولكن أليس بغريب أن يصمت المسيح أمام بيلاطس، وهو عالم أن في امكانه أن يطلقه ؟ كلا . كنا نحسب صمته عجيباً، لو كنا نعلم أنه يريد أن يطلق سراحه لينجو من موت الصليب، أما وقد جاء ليصلب، فلا مفر من صمته حتى يتم القضاء المبرم. وهل كان بيلاطس في حاجة إلى مزيد من النور، ليتساعد به على إطلاق سراح المزيد ؟ كلا. لأنه لم يعمل بالنور الذي عنده، بعد أن أقر ثلاث مرات، أن المسيح بار. فزيادة النور في هذه الحال، تكون بمثابة وضع جمر نار على رأسه. ويقول بعض المفسرين: إن المسيح صمت أمام بيلاطس، لأنه لم يرد أن يفهمه أنه ابن الله بالمعنى الخرافي الناقص الذي كان يفهمه بيلاطس من أساطير اليونان. أو لم يصمت المسيح فداءً عنا، نحن المقضي علينا بأن تستد أفواهنا أمام دينونة الله العادلة ؟ (رو ٣: ١٩). إذاً لقد صمت "الكلمة" المتجسد، لكي نتكلم نحن الخطاة. فجاء صمته هذا، متمماً لنبوة قديمة: "فلم يفتح فاه" (إش ٥٣: ١١).

ورد ذكر سكوت المسيح أربع مرات في قصة الآلام – مرة أمام قيافا (مت ٢٦: ٢٣)، ومرتين أمام بيلاطس (مت ٢٧: ٢١ويو ١٩: ٩)، ومرة أمام هيرودس (لو ٢٣: ٩).

عدد ١٠. (٣). بيلاطس يدعي لنفسه سلطان لا يملكه: "فقال له بيلاطس أما تكلمني ؟ ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً ًأن

أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَاناً أَنْ أَصْلِبَكَ وَسُلْطَاناً أَنْ أُطْلِقَكَ؟» ١١أَجَابَ يَسُوعُ: « لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ.

أطلقك " ؟ مسكين بيلاطس ! لأنه بمحاولته أن يدعي لنفسه سلطاناً مطلقاً، أوقع نفسه في مسؤولية عظمى وهو لا يدري ؟فإذا كان يملك سلطان إطلاق المسيح فماذا منعه من إطلاقه، بعد أن اعترف ثلاثاً بأنه برئ ؟ ولماذا إذاً غسل يديه على تلك الصورة التمثيلية الجوفاء إيهاماً للناس بأن لا يد له في صلبه ؟ وهكذا يحاول المرء أن يدعي لنفسه حقاً لا يملكه، فيخسر حقاً يملكه.

عدد ١١. (٤). السلطان والمسؤولية: "أجاب يسوع....". في هذه المرة، تكلم يسوع بعد أن صمت في المرة الأولى (عدد ٩). وفي كلامه استرد سلطانه الذاتي، واتخذ موقف قاضي القضاة، فحكم على بيلاطس وعلى السنهدريم، مقدماً في حكمه أربع حقائق رئيسية: كل حقيقة منها أساس لما قبلها، ونتيجة لما بعدها. الحقيقة الأولى: أن السلطان الذي يدعيه بيلاطس لنفسه على المسيح، ليس له، ولا هو منه، ولكنه معطى إياه من الله " لم يكن لك على بيلاطس البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق". الحقيقة الثانية: أن بيلاطس القاضي الزمني، ليس سوى أداة في يد القضاء الأزلي. الحقيقة الثالثة: أن مسؤولية بيلاطس محدودة في هذا الباب، باعتبار كونه وثنياً جاهلاً المقاصد الإلهية، وغافلاً عن حقيقة المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومصدره (عدد ٩). الحقيقة الرابعة: أن قيافا "رئيس الكهنة"، ورئيس السنهدريم، وممثل السلطة اليهودية، الذي أسلم المسيح إلى بيلاطس، عليه مسؤولية أعظم

لِذَلِكَ الَّذِي أَسْلَمَنِي إِلَيْكَ لَهُ خَطِيَّةٌ أَعْظَمُ». ١٢مِنْ هَذَا الْوَقْتِ كَانَ بِيلاَطُسُ يَطْلُبُ أَنْ يُطْلِقَهُ وَلَكِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَصْرُخُونَ: «إِنْ

باعتبار كونه "رئيس الكهنة في تلك السنة، الذي سبق فتنبأ" بالمقاصد الإلهية (يو ١١: ٥٠ و٥١)، فكان متقلداً بنفسه سلطاناً خاصاً، وبه أسلم المسيح إلى بيلاطس. إن نصيب بيلاطس في صلب المسيح هو نصيب المستضعف. لكن نصيب قيافا "رئيس الكهنة"، هو نصيب المدبر المستبد. فإذا كنا نرى المسيح في كلامه هذا، ملتمساً بعض العذر لبيلاطس في جريمته، فما ذلك إلا من قبيل طلبه المغفرة لقاتليه: "يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣: ٣٤).

المرحلة السابعة والأخيرة في المحاكمة السياسية – خارج دار الولاية – في "البلاط" – رؤساء اليهود يتنازلون عن حقهم في الملك – الوالي المستضعف يستسلم لعنادهم (١٩: ١٢ – ١٦).

عدد ١٢. (١) آخر سهم في كنانة اليهود: "من هذا الوقت كان "بيلاطس يطلب" – بكل وسيلة ممكنة – "أن يطلقه" – بعد أن سمع من فم المسيح تلك الكلمات الهادئة (عدد١١)، التي زادت مخاوفه واضطرابه (عدد٨). ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: "إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر، كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر". هذا هو السهم الأخير الذي احتفظ به اليهود في كنانتهم، فلم يصوبوه إلى صدر بيلاطس، إلا بعد أن أعيتهم كل الحيل. وهنا في هذه المرة فقط صدق ظنهم في بيلاطس. لأن

أَطْلَقْتَ هَذَا فَلَسْتَ مُحِبّاً لِقَيْصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكاً يُقَاوِمُ قَيْصَرَ».

١٣فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ هَذَا الْقَوْلَ أَخْرَجَ يَسُوعَ وَجَلَسَ عَلَى

هذا السهم الأخير أصاب من بيلاطس مقتلا. وهذا ما كان يخشاه على الدوام – أن يدس له اليهود عند رئيسه الإمبراطور طيباريوس قيصر، الذي كان بلاطه مرتعاً للدسائس، وكان هو لمزيد الأسف كثير الوساوس، يرحب بكل وشاية تصله عن أي واحد من مرؤوسيه. ولقد كان تهاون أحد مرؤوسيه في المحافظة على عرشه، كانت تكفي لأن تطوح بهذا المرؤوس، إلى مهاوي التهلكة، من غير تحقيق، وتقذف به إلى طبقة "المنبوذين". كما أن أقل إشارة كانت تتصل به عن حرص احد مرؤوسيه على تثبيت عرشه، كانت تكفي لرفع ذلك المرؤوس إلى أعلى مستوى، وتغدق له لقب: "محب قيصر".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويحدثنا فيلو المؤرخ: أن تهديداً من هذا النوع، كان قد وجه إلى بيلاطس في مناسبة سابقة. يضاف إلى هذا، إن حياة بيلاطس الشخصية كانت ملوثة. فهذا الوالي الذي سكن بيتاً من زجاج، كان يخشى رجم اليهود إياه بالأحجار. وهكذا يصيرنا الضمير جبناء. فلا شئ يشل يد الجبان عن عمل ما يراه خيراً، نظير فزعه من خطاياه السالفة.

عدد ١٣. (٢) بيلاطس يشعر بطعنتهم فيخرج ويجلس على كرسي الولاية: "فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط، وبالعبرانية: جبانة". كانت طعنة نجلاء، تلك التي صوبها اليهود أخيراً إلى قلب بيلاطس. لأنه كان مستعداً أن

كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «ٱلْبلاَطُ» وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ «جَبَّاثَا». ١٤وَكَانَ

يضحي بكل شيء،وبكل شخص، إسترضاء لرئيسه طيباريوس. وها نحن نرى من الوالي المبتئس، الذي حاول منذ البداءة أن يترضى الشعب اليهودي باطلاقه المسيح، والكهنة والشيوخ بتأديب الفادي، ونفسه بانقاذه إياه من الموت، قد أدرك في النهاية، أنه لم يرض أحداً. لأنه جعل نصب عينيه إرضاء الناس لا إرضاء الله. فقد وقع لبيلاطس عند نهاية حياته ما كان يخشاه الآن. ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي: إن وشاية قوية بلغت طيباريوس عنه، فعزله من الولاية في ذات السنة التي عزل فيها قيافا من الكهنوت، بعد موت مخلصنا بثلاث سنين. ومن فرط يأسه مضى وانتحر.

لما سمع بيلاطس قول اليهود الأخير، بلغ الخوف منه شده، "فأخرج يسوع" إذ كان وقتئذ داخل دار الولاية. كانت الشريعة الرومانية تقضي على الحاكم بأن لا يحكم على المتهم، إلا وهو ماثل أمامه، لذلك "جلس بيلاطس على كرسي الولاية" – والظاهر أن هذا الكرسي كان كمنبر قليل الارتفاع. ومن المرجح أنه كان مصنوعاً من المرمر، ليكون لائقاً لجلوس الحاكم عليه أثناء المحاكمة. وكان موضعه في الباحة الفسيحة الواقعة قدام قدر الولاية "في موضع يقال له البلاط" - ولعله سمي كذلك، لأن أرضه كانت مرصوفة بالبلاط المرمر المعروف "بالموزايكو" – وبالعبرانية "جباثة" أي أكمة مرتفعة.

عدد ١٤ . (٣) آخر سهم في كنانة بيلاطس - بيلاطس يحاربهم بسلاح التهكم: "وكان استعداد الفصح" – أي اليوم الذي يهيئ فيه اليهود ما

اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ وَنَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ.

يلزمهم للفصح، وعند غروب شمسه يأكلون الفصح . هذا يؤيد النظرة القائلة بأن المسيح فصحنا الجديد قد رفع على الصليب في الوقت الذي قدم فيه حمل الفصح على مذبح الهيكل (أنظر كو ٥: ٧) . "نحو الساعة السادسة" – أي في الصباح، لأن يوحنا جرى غالباً على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التوقيت الروماني - الغربي[١] الذي كان سارياً في آسيا الصغرى، لدى أواخر القرن الأول للميلاد. وبه يحسب اليوم من نصف الليل إلى نصف الليل، بخلاف البشيرين الأولين، الذين حسبوا الساعات طبق الوقت اليهودي الشرقي، الذي به يبدأ اليوم ن الصباح إلى الصبح.
وفي هذا تتفق رواية يوحنا ورواية مرقس فإن مرقس يقول: إن الصلب "بدئ به في الساعة الثالثة" (مر ٥: ٢٥) – أي نحو الساعة السادسة صباحاً" – وهذا تم فبل الصلب بوقت ما. فقول يوحنا: "نحو الساعة السادسة" ، يفسح المجال للاعتقاد بأن هذه الخطوة الممهدة للصلب، حدثت بعد الساعة السادسة وقبل التاسعة، وربها حوالي ٨ صباحاً. ويظن بعض المفسرين أن يوحنا استعمل التوقيت اليهودي الشرقي، كسائر البشريين. وعلى هذا الاعتبار، يوفق هؤلاء المفسرين بين رواية يوحنا ورواية البشيرين الأولين، بقولهم:
لأولين، بقولهم: أولاً – إن يوحنا ميز بين وقت جلد بيلاطس ليسوع، ووقت صلبه، بأن ذكر كل حادث منهما :انه مستقل

فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «هُوَذَا مَلِكُكُمْ». ١٥فَصَرَخُوا: «خُذْهُ! خُذْهُ اصْلِبْهُ!» قَالَ لَهُمْ

عن الآخر أما متى ومرقس، فذكرا الحادثين كأنهما واحد. ولذلك حسبا وقت الجلد مع وقت الصلب. فإذا كان الجلد في الساعة الثالثة، كما قال مرقس، فمن المحتمل، أن يكون الصلب قد بقي إلى نحو الساعة التاسعة. ثانياً – أن يوحنا لم يعين وقت الصلب أنه كان الساعة السادسة، بل قال إنه "نحوها". ثالثاً – أن اليهود قسموا الوقت إلى هزع – كل هزيع ثلاث ساعات – ولم يذكروا سوى الساعة الثالثة، والسادسة، والتاسعة (متى ٢٠: ٣و٥)، وضموا ما بين كل من تلك الساعات – إما إلى ما قبلها، وإما إلى ما بعدها. وأن الصلب حدث ما بين الساعة السادسة والتاسعة، فنسبه إلى ما بعدها. وأن الصلب حدث ما بين الساعة السادسة والتاسعة، فنسبه متى ومرقس إلى الوقت الأول منهما، ونسبه يوحنا إلى الوقت الثاني.

عدد ١٥. (٤) اليهود يحكمون على أنفسهم بالإعدام كأمة "فصرخوا خذه، خذه، أصلبه". إن اليهود بتسليمهم ملكهم الشرعي، "ومسيحهم المنتظر"، إلى يد الحاكم الوثني، بهذه النغمة الجافة المزرية، يعتبر بمثابة كتابتهم بأصابعهم، صك إعدامهم كأمة. إنهم بعملهم هذا، قد تركوا لأنفسهم، ولأولادهم، تركة مخضبة بدماء هذا البار – تركة ما أثقلها ! إن حمل الجبال أخف منها وأسهل.

(٥) بيلاطس يعيد الكرة ويناشدهم الوطنية: "قال لهم بيلاطس أأصلب ملككم ؟". قال بيلاطس هذه الكلمات، بنغمة تهكمية، تمازجها

بِيلاَطُسُ: «أَأَصْلِبُ مَلِكَكُمْ؟» أَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرُ». ١٦فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مرارة لاذعة مما يدلنا على أن العقيدة التي سادت عليه، منذ بدء هذه المحاكمة (٨: ٣٣)، حتى ختامها (١٩: ١٥)، هي: ملك المسيح.

(٦) رؤساء الكهنة يتطوعون لأعناقهم، وأعناق أمتهم، بالنير الروماني "أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلا قيصر". يا للعار ! أهكذا تفعل الضغينة في القلوب، فتعمي بصائر هؤلاء القادة عن عهودهم، ومواعيدهم القديمة، حتى يحولوا وجوههم عن الرجاء المبارك، الذي كانوا ينتظرون به مسيحاً ملكاً يكسر نير الرومان ؟ ! هذا هو الانتحار الأدبي، والديني، والسياسي والأبدي. ومن دواعي نكد تلك الأمة اليهودية، أن رؤساء كهنتها الذين كان عليهم أن يقدموا الذبائح الدينية، فدية عن خطايا أمتهم، قدموا أمتهم ذبيحة على مذبح مآربهم الذاتية.

عدد ١٦ (أ) – (٧) انهزام بيلاطس أمامهم على طول الخط "فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب". هذه هي النقطة الفاصلة في تاريخ الأمة اليهودية، وفي تاريخ العالم أجمع. بل هذه جمرة نار محرقة، وقعت على بيلاطس وعلى رؤساء اليهود، وعلى رأس الأمة اليهودية. لكنها في الوقت نفسه، أضحت للمؤمنين من اليهود والأمم، منبت أنوار ساطعة ومطلع حكمة. ومن الملاحظ أن بيلاطس كان عادلا لدرجة أنه لم يصدر على المسيح حكماً إيجابياً، وفي الوقت نفسه كان جباناً لدرجة أنه لم يستطع إطلاق سراحه. فما أضعفه وما أقدره. ما أعدله وما أكفره. ولعله قصد أن يريح ضميره أمام جمهورهم،

إِلَيْهِمْ لِيُصْلَبَ.

وأمام نفسه، حين غسل يديه – وهيهات أن تبيض يداه. أنه لم يكن في عمله هذا إلا ممثلا هزلياً ومبكياً في آن واحد – وشر البلية ما يضحك.

رابعاً: الصلب (١٩: ١٦ (ب) – ٤٢).

لقد أرغمنا بيلاطس على أن نطيل الوقوف بالمراحل السبع التي قطعتها محاكمة المسيح السياسية. وها نحن أولا، نتقدم سائرين وراء المسيح، في طريق الآلام، مخففين الوطء، لأن الطريق وعر، وحمل الصليب ثقيل. ولكن لنا العزاء، في أن المسيح يحمل الجانب الأثقل من هذا الصليب، بل يحمل الصليب كله، لا بل حمل الصليب وإيانا.

بكلمات قليلة، سجل يوحنا البشير حادثة الصلب، لأن البشيرين الأولين سبقوه إلى الكتابة بإضافة في هذا الموضوع. وربما لم يرغب يوحنا الحبيب في إطالة الكلام عن وصف آلام المسيح الجسدية، لأن هذه مهمة شاقة على قلب الحبيب. مثله في هذا، مثل مصور مبدع، أراد أن يرسم صورة عزيز له وهو في غمرة الألم، فما كان منه إلا أن رسم وجه ذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الحبيب، وغطاه بحجاب كثيف، تعبيراً عن "الآلام الغير المدركة" التي عجزت ريشته المبدعة عن تصويرها.

ينقسم هذا الفصل إلى سبعة أقسام رئيسية: (١) الصلب (١٩: ١٦ ب – ١٨) (٢) عنوان الصليب (١٩: ١٩ – ٢٢). (٣) أربعة رجال من صفوف المعادين للمسيح (١٩: ٢٣ و٢٤). (٤) أربع نساء من

فَأَخَذُوا يَسُوعَ

صفوف الموالين للمسيح، ووصيته بأمه (١٩: ٢٥ – ٢٧) . (٥) اثنتان من الكلمات التي فاه بها المسيح، وبعدها أسلم الروح (١٩: ٢٨ – ٣٠) . (٦) المسيح فصحنا الأكمل (١٩: ٣١ – ٣٧). (٧) الدفن (١٩: ٣٨ – ٤٢).

(١) الصلب (١٩: ١٦ ب – ١٨) : "فأخذوا يسوع ومضوا به !" – بهذه الكلمات، استهل يوحنا حادث الصلب الرهيب، فما كان أجزل سرورهم، حين ظفروا من بيلاطس بهذه "الهبة" المجانية، وما كان أكثر جهلهم إذ غفلوا عن قيمة هذه "العطية العظمى، التي لا يعبر عنها" (٢ كو ٩: ١٥).

"فأخذوا يسوع" – وردت كلمة "أخذ" – في الأصل – ثلاث مرات في هذه

البشارة. في المرة الأولى (١: ١١)، نرى الابن الأزلي، مقدماً من الآب إلى خاصته، وأما خاصته فلم تقبله. وفي المرة الثانية (١٤: ٣)، نعاين الابن الممجد، آتياً ثانية إلى شعبه ليأخذهم إلى نفسه. وفي المرة الثالثة (١٩: ١٦ ب) نشاهد الابن المتجسد، وقد أسلمه بيلاطس إلى خاصته فأخذته خاصته وقبلته – ولكن لتصلبه. "ومضوا به" – جاء في كتاب "المنشا" اليهودي – تعليقاً على ما ورد في اللاويين ٢٤: ١٤، وعدد ١٥: ٣٥ "إن الصلب ينبغي أن يتم خارج المدينة"، لذلك عمل اليهود بأحكام شريعتهم (١مل ٢١: ١٣ وأع ٧: ٥٨) "فمضوا بالمسيح" من أورشليم إلى مكان خارج عنها – وفي هذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "فإن الذبائح التي يدخل بدمها عن الخطية، إلى الأقداس، بيد رئيس الكهنة،

وَمَضَوْا بِهِ. ١٧فَخَرَجَ وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «مَوْضِعُ الْجُمْجُمَةِ» وَيُقَالُ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «جُلْجُثَةُ» ١٨حَيْثُ صَلَبُوهُ

تحرق أجسامها خارج المحلة، لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب. فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب ١٣: ١٣ و١٤).

يقول بلوطارخوس – حجة التاريخ الروماني القديم: "كانت قوانين الرومان تفرض على المحكوم عليه بالصلب، أن يحمل صليبه بنفسه، مسوقاً بأربعة حراس". وكذلك "خرج

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح وهو حامل صليبه" بنفسه. غير أن الآلام النفسية والجسدية التي تكبدها منذ القبض عليه، حتى أدوار المحاكمة الدينية، ومراحل المحاكمة السياسية، قد أنهكت جسمه الرقيق، وأضعفته حتى رزح تحت الصليب. وكان من الضروري أن لا يسند لاهوته ناسوته في الآلام، لكي يتجرع غصص الصليب بكامل مرارتها, من غير تلطيف ولا تخفيف. ويقول لوقا البشير، أنهم "أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل، فوضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع" (لو ٢٣: ٢٦و ٢٧). "ولما مضوا به إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة" – وهو تل مرتفع، مستدير الرأس، يرى من بعيد، كأنه جمجمة بشرية – "ويقال له بالعبرانية: جلجثة" – وهي من أصل آرامي "جلجلة"، ومعناها: "رأس". ويعتقد بعض المحققين، أن هذا المكان هو الأكمة الصخرية الواقعة عند "باب دمشق"، على بعد نحو مائتي ياردة عن السور

وَصَلَبُوا اثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مَعَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا وَيَسُوعُ فِي الْوَسْطِ.

١٩وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَاناً

القديم المعروف ب"سور أغريباس". هناك "صلبوا المسيح، وصلبوا اثنين آخرين معهن من هنا ومن هناك، ويسوع في الوسط".

"ويسوع في الوسط" – حتى في الآلام يسوع في الوسط ! فهل أعطى الرومان هذا المكان ليسوع، على سبيل الإكرام التهكمي – باعتبار كونه ملكاً – كما قضت العوائد القديمة بأن يكون الملك محاطاً دائماً بواحد عن يمينه وآخر عن يساره، وهو في الوسط ؟ أم هذا مكان وضعته فيه العناية، إتماماً لنبوة قديمة. وأحصى مع أثمة ؟" (إش ٥٣: ١٣) – هذا هو الرأي الأصح.

(٢) عنوان الصليب (١٩: ١٩ – ٢٢).

عدد ١٩. – أ – كلمات العنوان – قضت عادات الرومان، بأن يكتبوا عنواناً

على الصليب الذي يحمله المحكوم عليه، إشهاراً للذنب الذي سيصلب من اجله، ثم يرفعون الصليب، ويحملون المجرم ويسمرونه عليه – وكانوا أحياناً يسمرون المحكوم عليه، والصليب ملقى على الأرض. غير أن الطريقة الأولى كانت أكثر شيوعاً. فكانوا أولاً يمدون يدي المذنب، ويسمرونهما على الخشبة الأفقية. وأما الجسم فيرتكز على خشبة ناتئة لئلا تتمزق الكفان من ثقل الجسم، فيقع المصلوب على الأرض. وكانوا يسمرون القدمين أيضاً كاليدين، كما فعلوا بمخلصنا (لو ٢٤: ٣٩). وكان المصلوب يوضع على كيفية، بحيث أن أدنى حركة تسبب له آلاماً مبرحة. لأن المسامير كانت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوباً: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ». ٢٠فَقَرَأَ هَذَا الْعُنْوَانَ
كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيباً مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوباً
بِالْعِبْرَانِيَّةِ

تسبب ألماً متزايداً في كل الجسم، وكذلك الدم الذي يتجمع في الرئتين ويضغط على القلب، كان يضيف عطشاً إلى تلك الآلام المبرحة. على أن جميع آلام الصليب الجسدية، لا تقاس بالنسبة إلى آلام المسيح النفسية، التي عاناها وهو معلق على الخشبة الملعونة – هذه هي الآلام الغير المعروفة.

يقول يوحنا: إن "بيلاطس كتب عنواناً" – سواء بخط يده أو بأمر منه – "ووضعه على الصليب". فكانت هذه آخر طعنة منه في صميم الأمة اليهودية. وكان مكتوباً على ذلك العنوان: "يسوع الناصري ملك اليهود". وبما أن هذا العنوان قد كتب بثلاث لغات – "العبرانية، واليونانية، واللاتينية"، فمن المحتمل جداً أن متى أورد العنوان كما هو باللغة العبرانية، ويوحنا باليونانية، ومرقس باللاتينية. وغلى هذا يعزى ما يرى من فرق طفيف.

عدد ٢٠ – ب – شهادة لغات الأرض للصليب: "فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود، لأن المكان الذي صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة". إلى يوحنا وحده يعزى هذا التعيين الجغرافي لمكان الصليب، بالنسبة إلى أورشليم. "وكان مكتوباً بالعبرانية، واليونانية، واللاتينية" – هذه هي اللغات الثلاث الرئيسية في ذلك العصر. فالعبرانية لغة الدين، واللاتينية لغة السياسة، واليونانية لغة العلوم والآداب والفلسفة. فلغة الدين شهدتن من

وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاَّتِينِيَّةِ. ٢١فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ: «لاَ تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ بَلْ: إِنَّ
ذَاكَ قَالَ أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ». ٢٢أَجَابَ بِيلاَطُسُ: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ».

غير قصد منها، بأن يسوع المصلوب هو المسيح الموعود، ابن داود، وابن الله. ولغة السياسة شهدت بأن يسوع المصلوب، هو المسيح ملك اسرائيل، وملك المؤمنين، بل ملك الملوك (رؤ ١٩: ١٢). ولغة العلوم والفلسفة والآداب، شهدت بأن يسوع المصلوب هو المسيح كنز الحكمة، ورب الحق (كو ٢: ٣). هذه نبوءة غير مقصودة من هذه اللغات، بأن الممالك الممثلة فيها، ستخر ساجدة عند قدمي المسيح على ممر الأجيال.

عدد ٢١ . (ج) اعتراض اليهود على كلمات العنوان. "...رؤساء كهنة اليهود" – هذه هي المرة الوحيدة، التي وردت فيها هذه الثلاث الكلمات مرتبطة معاً في العهد الجديد. ولعلها ذكرت هنا مقابل العبارة: "يسوع الناصري ملك اليهود". أن بيلاطس، إذ كتب كلمة: "ملك اليهود" على الصليب، قصد أن يعرض باليهود ويسخر منهم كأمة، لذلك احتجوا لديه قائلين: "لا تكتب ملك اليهود. بل أن ذاك قال إنه ملك اليهود".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٢. (د) عناد بيلاطس: "أجاب بيلاطس" ما كتبت قد كتبت".

هنا ظهرت شخصية بيلاطس، كما وصفها المؤرخ فيلو: "أن بيلاطس رجل صلب، لا تلين قناته". لكن عيبه أنه لان حين وجبت الشدة (١٩: ١٦) وتشدد حين كان يغني اللين.

٢٣ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْماً. وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضاً. وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ مَنْسُوجاً كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ. ٢٤فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لاَ نَشُقُّهُ بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ». لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ:

(٣) أربعة رجال من صفوف المعادين للمسيح (١٩: ٢٣ و ٢٤) – بعد أن أتم

الجنود الرومان عملهم الوحشي، انصرفوا إلى تقسيم "الغنيمة" التي ظفروا بها من هذا المصلوب: "فأخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً، وأخذوا القميص أيضاً. وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق. فقال بعضهم لبعض: لا نشقه، بل نقترع عليه لمن يكون" – وهكذا عميت بصائر أولئك الجنود المساكين عن كنز الخلاص الثمين، المذخر في المسيح المصلوب، لأنهم لم ينظروا إلى المسيح ببصائرهم بل بأبصارهم، فغاب عنهم صوابهم، وقنعوا بثوبه الزائل عن ثوابه الأزلي، ورضوا بقميصه المادي عن رداء بره. أنهم عينة لكثيرين من المسيحيين بالاسم، الذين لا يصيبهم من المسيح وكنيسته إلا المظاهر الخارجية والأنصبة الذاهبة. أما قميص المسيح الذي "كان منسوجاً كله بغير خياطة"، فقد قر قرار الجنود على أن "يقترعوا عليه لمن يكون" – حسماً للنزاع، وهكذا بلغت بهم قسوة القلب، إلى هذا الحد الذي صارت تحلو لهم فيه المقامرة في ظل الصليب. هذا سهم آخر من الآلام النفسية، كان يخترق قلب المسيح على الصليب، وهو يعامل هذه المعاملة الصارمة من البشرية التي لأجلها وبسببها يتألم !

: «ٱقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». هَذَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ.

٢٥وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأُخْتُ أُمِّهِ

يقول يوسيفوس حجة التاريخ اليهودي: " إن القميص المنسوج كله بغير خياطة" لم يحل لبسه إلا لرؤساء الكهنة فقط، وبذا شهد هذا المؤرخ اليهودي، على غير قصد منه، لكهنوت المسيح المصلوب، مثلما شهد قبله بيلاطس الوثني، لملك المسيح (عدد ١٩) – والفضل ما شهدت به الأعداء. وكذلك شهد الجنود الرومان لصدق الكتاب، باقتراعهم على ثوب المسيح. لأنهم بعملهم هذا، تمموا تلك النبوة القديمة القائلة: "اقتسموا ثيابي بينهم. وعلى لباسي ألقوا قرعة" (مز ٢٢: ١٩).

(٤) أربع نساء مواليات للمسيح. ووصيته بأمه (١٩: ٢٥ – ٢٧)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٥. (أ) أربع نساء مواليات للمسيح. عودنا يوحنا فيما سلف من بشارته، أن يرسم صورتين متقابلتين – إحداهما: لأعداء المسيح، والثانية : للموالين له. ولقد مررنا بالصورة الأولى في العددين السابقين (عدد ٣٣و ٢٤) وها نحن الآن أمام الصورة الثانية، وفيها نرى أربع نساء من صفوف الموالين .

أين أنت يا بطرس ؟ بل أين عهودك الجبارة، حتى تترك مكانك، عند صليب سيدك، لأربع نساء ضعيفات ؟ هذا دليل على أمانة المرأة، التي كانت آخر من ودع المسيح عند صليبه، وأول من رحب به بعد قيامته (٢٠: ١) . فليس في الدنيا ما يوازي شجاعة المرأة، متى امتلأ قلبها الضعيف من العزيمة. أما النساء اللواتي وقفن عند صليب المسيح، فهن: (١) مريم أم

مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. ٢٦فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفاً قَالَ لِأُمِّهِ

المسيح. (٢) أخت أمه التي هي في الغالب سالومة – أم يعقوب ويوحنا إبني زبدى (متى ٢٧: ٥٦) ، وقد تحاشى يوحنا ابنها، ذكر اسمها، تواضعاً منه، مثلما تحاشى ذكر اسمه هو. (٣)[٢] مريم زوجة كلوبا – ويسمى أيضاً زوجها: "حلفا" (مت ١٠: ٣) . (٤) مريم المجدلية – هذه أول من رحب بالمسيح المقام.

عدد ٢٦ . (ب) كلمة المسيح لأمه . فهمنا من العدد السابق، إن أم يعقوب ويوحنا، هي أخت أم المسيح. فمن هذا يتبين لنا، أن يوحنا كان مرتبط بيسوع بصلة قرابة جسدية، فهو أبن خالته حسب الجسد. وبما أن المسيح، قد جرد من كل شيء حتى ثيابه، ولم يبق له شيء مادي يتركه لأمه، كان من الطبيعي أن يستودع أمه ليوحنا ابن أختها. اهذا هو " التلميذ الذي إن يسوع يحبه " (انظر المقدمة العامة في صدر هذا الكتاب) .

كان فادينا وقتئذٍ مغموراً بلجة من الآلام ، لكنه نسي نفسه ليفكر في غيره، فأوصى لمعذبيه بالغفران، (لوقا ٢٣: ٣٤) وللص تائب بالفردوس

«يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ». ٢٧ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: «هُوَذَا أُمُّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ.

(لو ٢٣: ٤٢) ، ولأمه برعاية يوحنا، فألقى عليها من عرش صليبه نظرة كلها حنو، وقال لها، موجهاً نظرها إلى يوحنا: "يا امرأة هو ذا ابنك" . ليس في كلمة "يا امرأة" – كما وردت في الأصل – ما يفيد عدم الاحترام ، لأن معناها الحرفي: "يا سيدة" . (راجع تفسير ٢: ٤) . والظاهر أن المسيح لم يخاطبها بقوله: "يا أمي" لأنه أراد أن يوجه نظرها، إلى أن صلته بها كمخلص، أرفع من صلتها به كأم. وهي بسبب هاتين الصلتين، كانت تختبر قوة

 All rights reserved © 2008-2018

تلك الكلمات التي سبق فأنباها عنها سمعان الشيخ: "وأنت أيضاً يجوز في نفسك سيف" (لو ٢: ٤٥) .

عدد ٢٧ . (ج) كلمة المسيح ليوحنا: "ثم قال للتلميذ" – الذي هو يوحنا الحبيب – كاتب هذه البشارة – "هو ذا أمك" . أكان المسيح بهذه الكلمة، موصياً أمه بيوحنا، ام كان موصياً يوحنا بأمه ؟ لأنه إذا كان يوحنا قدم فيما بعد، خدمة مادية لأم المسيح، فإن الخدمات الروحية التي قدمتها أم المسيح ليوحنا، أثمن وأوفر. لأن يوحنا مدين لها بشيء غير قليل من المعلومات التي أفضت بها إليه عن ابنها العجيب .

"من تلك الساعة" – أي من ذلك الوقت إلى يوم وفاتها – "أخذها التلميذ إلى خاصته" – أي إلى بيته. ويظهر مما جاء في عدد ١٥، ومن مرقس ١: ٢٠، أن أسباب المعيشة كانت متوفرة لدى يوحنا.

بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ

(٤) اثنتان من كلمات المسيح على الصليب، وتسليمه الروح (١٩: ٢٨ – ٣٠)

عدد ٢٨. (أ) آلام الصليب الجسدية: "أنا عطشان"[٣].

"بعد هذا " – أي بعد ثلاث ساعات الظلمة، وقد فرغ المسيح من اتمام وصيته بشأن أمه، رأى أنه أكمل كل ما كان عليه أن يعمل، فلم يبقى أمامه إلا أن يتجرع كأس الموت. وهنا تتسم نسيم الرضا نتيجة شعوره باتمام كل ما كان عليه أن يعمل. وفي هذه الأثناء، سمح لنفسه بأن ينتبه لحظة إلى آلامه الجسدية، التي كان قد أنساه إياها اهتمامه بغيره، فقال: "أنا عطشان" ؟ فجاء قوله هذا، موافقاً لما ورد عنه في الكتاب (مز ٦٩: ٢١). فهو لم يقل "أنا عطشان" بقصد أن يتم الكتاب، بل لأنه كان عطشاناً فعلاً. لأن آلام

قَالَ: «أَنَا عَطْشَانُ». ٢٩وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعاً مَمْلُوّاً خَلاًّ فَمَلَأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ.

الصليب المحرقة، كانت على جسمه الرقيق أحر من الجمر، فيبست لسانه من فرط العطش، لأن أربع ساعات مضت مذ أن علقوه على الصليب. ويهمنا أن نذكر أنه بين السبع الكلمات، التي نطق بها المسيح على الصليب، لم يفه إلا بهذه الكلمة الواحدة عن آلامه الجسدية. هذا عطش فدائي اختبره المسيح، ليرفع به عن المؤمنين، ذلك العطش المحرق، الذي كان عليهم أن يختبروه في لهيب الجحيم الأبدي (لو ١٦: ٢٤).

قال المسيح المصلوب: "أنا عطشان" ليستطيع المسيح الحي أن يقول بحق: "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب" (يو ٧: ٣٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٢٩ – (ب) الخل المقدم له على زوفا: "وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلاً. فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا" – أي على ساق نبات من الزوفا، في شكل قصبة. من أجل ذلك سماها كل من متى ومرقس "قصبة" – "وقدموها إلى فمه". والأرجح أن ذلك الإناء، كان ملكاً للعسكر.

في هذه المرة، لم يرفض المسيح أن يشرب من هذا الخل، مع أنه في آونة سابقة، رفض ذلك الخل الذي قدم إليه في بدء الصلب (متى ٢٧: ٣٤) لأن ذاك كان ممزوجاً بمرارة وكان يستعمل عادة كمخدر لتسكين الألم، لذلك رفض المسيح أن يشرب منه، لكي يكون على أشد ما يمكن من التنبه، فيتجرع كأس الألم حتى آخر قطرة. فهو عدو المخدرات حتى الممات.

٣٠فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ

عدد ٣٠ – (ج) الكلمة السادسة التي فاه بها المسيح على الصليب – "فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل". كما أن عطش المسيح كان موجوداً قبل أن يعبر عنه، كذلك كان عمله قد أكمل". (عدد ٢٨)، قبل أن يعبر عن اكتماله بهذا الكلام. فكل النبوات القديمة، الخاصة بالمسيا المنتظر، قد أكملت (أع ١٣: ٢٩). وكل الآلام التي كان على المسيح أن يتحملها نتيجة خطايا البشر، قد أكملت. وكل حرف في وصية الآب للمسيح، قد أكمل. وكل رمز في العهد القديم قد أكمل. وكل ما كلفته به محبته للبشر، قد أكمل. وكل انتظارات البشر فيه قد أكملت. وكل البرنامج الذي وضع أمامه قد أكمل. إن قول الفادي، بعد اتمام الفداء: "قد أكمل"، يذكرنا بما رآه الخالق، بعد اتمام الخلق: "إن كل ما عمله حسن جداً" (تك ١: ٣١).

بين قول المسيح هنا "قد أكمل" وبين قول ملاك الرؤيا "قد تم" (رؤ ٢١: ٦)، تمتد أجيال طويلة. فعلى المؤمنين أن يملأوها بخدمات التضحية، وتضحيات الخدمة، "ليتم" اختبارياً، هذا البرنامج الذي "أكمله" المسيح على الصليب شرعاً وحقاً.

(د) المسيح يسلم الروح: "ونكس رأسه وأسلم الروح" – هذه هي المرة الوحيدة التي نقرأ فيها أن المسيح نكس رأسه – ولكن أمام إرادته هو لا أمام الموت. فلم يكن في موته مجبراً، بل طائعاً مختاراً، لذلك "اسلم" روحه إلى الآب، كمن يسلم وديعة وعلى فمه ابتسامة الرضى. كان المسيح قبل أن

وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.

٣١ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادٌ فَلِكَيْ لاَ تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ لأَنَّ يَوْمَ ذَلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيماً سَأَلَ الْيَهُودُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ينكس رأسه، وسط لج الموت واقفاً بثبات عجيب، فلما رأى أن كل شئ قد كمل، أحنى رأسه باختياره، وسمح لأمواج الموت أن تعج فوق رأسه – ولكن إلى حين. فقد مات البار وفي قلب موته وعد بقيامته، إذ ليس للموت سلطان عليه. هنا تمت كلمته الخالدة، التي فاه بها في مناسبة سابقة: "لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي" (١٠: ١٧ و١٨).

(٦) المسيح فصحنا الأكمل (١٩: ٣١ – ٣٧) . نحن مدينون ليوحنا البشير

بملاحظاته الدقيقة، التي أراق بها نوراً ساطعاً على حوادث الصلب، التي مر بها البشيرون الأولون مر الكرام، فأقام منها هو حججاً دامغة، على أن يسوع المتألم هو المسيح الذي تمت فيه نبوات العهد القديم.

عدد ٣١. (أ). طلب حافظي شريعة الطقوس، وكاسري شريعة الحق والرحمة: "ثم إذ كان استعداد، فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت، لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا". قضت عادة الرومان قديماً بأن يتركوا المصلوبين معلقين على الصليب، ليموتوا على مهل، فتنتن جثثهم، وتصير مطعماً لطيور السماء، ووحوش البر. لكن الشريعة اليهودية، قضت من جانبها، بأن ترفع أجساد المصلوبين عن الصليب، قبل حلول السبت "المقدس"، لكي لا تحل بأرضهم

بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا. ٣٢فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا

"المقدسة" لعنة الجثث المصلوبة، متى بقيت على الصليب إلى السبت (تث ٢١: ٣ ويشوع ٨: ٢٩ و ١٠: ٢٦). كذلك أيضاً، يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي.

وما كان للرومان أن يبالوا كثيراً أو قليلاً بتنفيذ أحكام الشريعة اليهودية، لولا أن اليهود ألحوا على بيلاطس في الطلب، بأن تكسر سيقان المصلوبين، لكي يعجلوا بمماتهم، ويجعلوا موتهم محقق الوقوع، فترفع أجسادهم عن الصليب حالاً، لأن شمس يوم الجمعة قد آذنت بالغروب، فصاروا على أبواب السبت: "وكان يوم ذلك السبت عظيماً" – أي أنه كان سبتاً مضاعفاً. لأنه فضلاً عن كونه سبتاً أسبوعياً، فقد كان أيضاً أول يوم في الفصح الواقع في ١٥ نيسان. فهو بذلك يوم سبت، أي يوم "راحة" مقدسة.

وبما أن حمل الفصح، كان يقدم على مذبح الهيكل عند غروب شمس الجمعة، ليؤكل بين العشاءين، ومن حيث أن المسيح مات على الصليب عند هذا الوقت عينه[٤]، فإن في هذا حجة وثيقة على أن المسيح هو "فصحنا الجديد الذي قد ذبح لأجلنا" (١ كو ٥: ٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣٢ ز (ب) . بيلاطس يجيبهم إلى طلبهم، فيأمر العسكر بكسر ساق الأول والآخر: "فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه".

سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبَيْنِ مَعَهُ. ٣٣وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ. ٣٤لَكِنَّ وَاحِداً مِنَ

إن بيلاطس الذي سبق فأجاب اليهود إلى طلبتهم العظمى، وأسلم المسيح إليهم (عدد ١٦)، لم يجد بداً من إجابتهم إلى ملتمسهم الهين في نظره.

وهكذا كان اليهود يدوسون ناموس الرحمة، ويقدسون ناموس الطقوس

عدد ٣٣ و٣٤ . (ج) الطعنة النجلاء: "وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه. لأنهم رأوه قد مات. لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء". إن خروج الدم والماء، من جنب المسيح بعد موته، يحسب ظاهرة غريبة. لكنها حقيقة واقعة على الرغم من ذلك. لأن المسيح "عجيب". فلا عجيب إذا كان موته كذلك عجيباً. وها نحن أولاء نورد تعليلاً طبياً، دبجته براعة الدكتور درموندروبنسون[٥]، أحدا الأطباء الذين يشار إليهم بالبنان في عالم الطب في وقتنا الحاضر: "يموت المصلوب عادة في مدة تتراوح بين ٢٤ – ٢٨ ساعة. لكن موت المسيح كان غير اعتيادي، لأنه أسلم الروح بعد أن قضى ست ساعات على الصليب – من الساعة ٩ صباحاً إلى ٣ بعد الظهر. ومن المعلوم، أن المصلوبين يموتون عادة نتيجة هبوط تدريجي في الجسم، لكن موت المسيح لم يكن كذلك. لأن فادينا "نادي بصوت عظيم" قبيل تسليمه الروح (لو ٢٣: ٤٦). فمن المحقق إذاً، أنه مات

الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ. ٣٥وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ وَشَهَادَتُهُ حَقٌّ

متأثراً بانفجار فجائي في جدران القلب، نتيجة ضغط الآلام النفسية عليه. هذا مصدق لما جاء عنه في النبوة: "العار كسر قلبي" (مزمور ٦٩: ٢٠). ومن المسلم به طبياً، إنه عندما تنفجر جدران القلب، ينساب الدم من تجويف القلب إلى غاشيته المحيطة به، المعروفة في عالم التشريح ب"التامور"، فينتج عن هذا عادة، سكتة قلبية، تنتهي بالموت العاجل. من ثم ينفصل هذا الدم المنساب، إلى قسمين: أولهما – مكون من خثارة حمراء دموية. والثاني: عبارة عن مصل مائي. هذان هما "الدم والماء"[٦]اللذان خرجا من جنب المسيح، حالما طعنه الجندي، تلك الطعنة القاسية، التي فتحت في جنبه ثغرة واسعة تكفي لوضع الكف البشرية فيها (٢٠: ٢٧) ".

يقول الكتاب: "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة". ولا مشاحة في أن الذي يسفك من يدي المصلوب ورجليه، لا يقاس بالنسبة إلى الدم الذي يسفك نتيجة حدوث انفجار في جدران

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القلب. لذلك، قال يوحنا: "هذا هو الذي أتى بماء ودم. يسوع المسيح. لا بالماء فقط بل بالماء والدم" (١ يو ٥: ٦)

يعتقد بلومر – من غير أن يذكر أساساً قوياً لاعتقاده – أن الدم والماء، يرمز إلى فريضتي العشاء الرباني، والمعمودية !.

عدد ٣٥. (د) يوحنا البشير يختم روايته العيانية بختم شهادته: "والذي عاين" – أي يوحنا نفسه كاتب هذه البشارة – "شهد وشهادته حق".

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ. ٣٦لأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «عَظْمٌ لاَ يُكْسَرُ مِنْهُ». ٣٧وَأَيْضاً يَقُولُ كِتَابٌ آخَرُ:

لم يكتف البشير بأن يقول إن شهادته حقيقية، بل قال إنها "حق". فهي إذاً شهادة شافية، ومعتمدة، وكافية. "وهو يعلم" – علم اليقين – "إنه يقول الحق، لتؤمنوا أنتم" (١: ١٩ و٣٢ و٣٤ و٨: ١٣ و١٤ و١٢: ٧).

لقد وضع يوحنا ختم شهادته على هذه الرواية: (١) لكي يقرر، أنه و إن يكن خروج الدم من الجسم بعد الموت أمراً غريباً، إلا أنه على رغم ذلك، قد وقع بالفعل. (٢) ليدحض الافتراءات اليهودية – وما إليها – التي حاولت أن تلقي سحابة من الشك على موت المسيح وقيامته (متى ٢٨: ١٣ – ١٥). (٣) لكي يؤيد حقيقة لاهوت المسيح، وحقيقة ناسوته – بخلاف ما نادى به الابيونيون والغنوسسيون. (٤) لكي يقرر من غير ما لبس ولا ابهام، أن يسوع المصلوب، هو "مسيا" المنتظر، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم.

عدد ٣٦ . (ه) المسيح فصحنا الأكمل: "لأن هذا كان ، ليتم الكتاب القائل: "عظم لا يكسر منه" – الإشارة هنا، إلى ما جاء في خروج ١٢: ٤٦ وعدد ٩: ١٢. هذه هي الحقيقة التي نادى بها بولس الرسول أيضاً: "لأن فصحنا المسيح قد ذبح لأجلنا" (١ كو ٥: ٧). لذلك كان من المحتم، أن عظام المسيح الكامل، "تحفظ جميعها، وإن واحداً منها لا ينكسر" (مزمور ٣٤: ٢٠).

عدد ٣٧. (و) المسيح المصلوب هو مسيا رجاء اليهود، ومشتهى الأمم "وأيضاً يقول كتاب آخر: سينتظرون إلى الذي طعنوه". وردت هذه النبوة

«سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ».

٣٨ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في زكريا ١٢: ١٠، لتصف آلام المسيح قبل مجيئه الأول. وقد عرفنا يوحنا البشير، في سفر الرؤيا (رؤ ١: ٧)، إنها تنطبق أيضاً على المسيح في مجيئه الثاني. فهي إذاً منطبقة على المسيح رجاء اليهود، ومشتهى الأمم.

(٧) الدفن – ظهور التلميذين اللذين طالت مدة تخفيهما (١٩: ٣٨ – ٤٢)

إنسانان ممتازان، ظلا مدة غير قصيرة من الزمان، تلميذين للمسيح أثناء وجوده بالجسد على الأرض. لكنهما كانا تلميذين متخفيين، لسبب الخوف من اليهود. فلا شك أنهما كانا يحرصان على عضويتهما في مجمع السنهدريم، وكانا يخشيان من أن يفقدا مكانتهما الاجتماعية بين قومهما. ومن المحقق، أنهما كانا يضنان بأموالهما الطائلة من أن تعبث بها عواصف الاضطهادات الدينية. لذلك ظلا متخفيين طوال هذه المدة. ولعلهما كانا يطمعان في تتاح لهما فرصة، أن يخدمان سيدهما مدة تخفيهما. وفعلا استطاع أحدهما – نيقوديموس – أن يدافع عن المسيح في احدى جلسات السنهدريم – دفاعاً ما أضعفه (٧: ٥٠) !.

لكن بعد أن صلب المسيح، صهرت نيران صليبه ذلك الخوف، الذي كان مستولياً على نفسيهما، وأحرقت الربط الاجتماعية التي كانت تغل أيديهما وأرجلهما، وسلطت عليهما قوة المصلوب، فاجتذبتهما وانتزعتهما من مخبئيها وصبت في دمائهما ناراً وحديداً. وها نحن نراهما الآن على أحسن ما يكون عليه المرء من شجاعة، وبطولة، وولاء.

عدد ٣٨ . (أ) ولاء أولهما – يوسف الرامي: "ثم إن يوسف، الذي من الرامة – ومعناها "المرتفعة" أو "الصعيد" – "وهو تلميذ يسوع

الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ وَهُوَ تِلْمِيذُ يَسُوعَ وَلَكِنْ خُفْيَةً لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ سَأَلَ بِيلاَطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ فَأَذِنَ بِيلاَطُسُ. فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ يَسُوعَ. ٣٩وَجَاءَ أَيْضاً نِيقُودِيمُوسُ الَّذِي أَتَى أَوَّلاً

ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود، سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع". شتان بين هذا الطلب الذي تقدم به هذا التلميذ الأمين إلى بيلاطس، وبين ذاك الذي سأله اليهود من بيلاطس عينه. هذا طلب جسد يسوع، ليقدم له كل إكرام. وأولئك سألوا بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين الثلاثة، تقديساً لطقوسهم النافلة، وتدنيساً لقلوبهم، بإضافة آلام جديدة على آلام المصلوبين. أما بيلاطس، ذلك القوي الجبان، والعنيد المطواع، فقد أجاب طلب رؤساء اليهود، مثلما أجاب ملتمس يوسف الرامي: "فأذن. فجاء وأخذ جسد يسوع". ولا يفوتنا أن نذكر الشجاعة العظمى، التي تسلح بها يوسف الرامي، قبل أن يذهب إلى بيلاطس، ليطلب منه جسد يسوع. لأن مثل هذا الطلب يحمل معه تهديداً لمركزه الاجتماعي والديني بين اليهود، وينطوي على تعريض ضمني بسمعته الأدبية، في نظر بيلاطس نفسه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ٣٩. (ب) ولاء ثانيهما – نيقوديموس: "وجاء أيضاً نيقوديموس، الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مر وعود، نحو مئة منا". إن هذا اللقب: "الذي أتى إلى يسوع ليلاً"، لم يفارق نيقوديموس مطلقاً (٣: ١ و ٧: ٤٩ و١٩ك ٣٩). فقد يشفى المرء من ضعفاته الأدبية والروحية، ولكن أثرها يظل عالقاً به. كمريض يشفى من مرض الجدري مثلا، لكن آثار

إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيجَ مُرٍّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَناً. ٤٠فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ

هذا المرض الخبيث، لا تبرح جسمه مهما طال المدى. على أن الرحمة الله، غافرة ومغيرة، ومجددة وممجدة. فهي تخلق من ضعفاتنا قوة (٢كو ١٢: ١٠)

يستفاد من قول البشير: "وجاء أيضاٍ نيقوديموس" ، ن ليوسف الرامي فضل الأسبقية على نيقوديموس ، فربما كان ذهابه إلى بيلاطس، خير مشجع لنيقوديموس. لكن هذا الأخير، استطاع أن يعوض عن بعض تقصيراته، بسخاء تقدماته: "فجاء حامل مزيج مر وعود نحو مئة منا" – والمنا نصف كيلو، فالمئة منا، تسوي قنطار. هذا يدل على أن نيقوديموس كان غنياً جداً، ولعله بالغ في هذه التقدمات، لكي يغمر بها جسد ذاك، الذي سبق فغمره من على الصليب بفيض غفرانه. وجدير بالذكر، إن مثل هذه التقدمات، لا تقدم إلا للملوك ! هذه شهادة ضمنية لماك المسيح.

مسكين أنت يانيقوديموس! فلو كنت قد قدمت بعض هذه التقدمات للمسيح، وهو حي بجسده على الأرض، لتمتعت بابتسامة الرضى من شفتيه الطاهرتين. لكن عزاءك الآن، هو أن المسيح حي لن يموت، وهو لن ينسى "تعب محبتك، وصبر رجائك" (١ تس ١: ٣) .

عدد ٤٠. (ج)ولاؤهما المشترك: "فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا" – على خلاف عادة المصريين في

مَعَ الأَطْيَابِ كَمَا لِلْيَهُودِ عَادَةٌ أَنْ يُكَفِّنُوا. ٤١وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ بُسْتَانٌ وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ. ٤٢فَهُنَاكَ وَضَعَا يَسُوعَ لِسَبَبِ اسْتِعْدَادِ الْيَهُودِ لأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيباً.

تكفين أجساد موتاهم، إذ كانوا ينزعون الأمعاء من الجسد قبل تنيطه على ما عرفنا هيرودت المؤرخ الشهير، وكما نشاهد في المتحف المصري العظيم.

عدد ٤١ . (د) وصف موضع القبر: "وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان. وفي البستان قبر جديد" – لكي "لا يرى" جسد المسيح الطهور أي فساد – حتى فساد – حتى فساد عظم القبور – "فهناك وضعاً" – جسد – "يسوع".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يفهم مما جاء في أعمال ١٣: ٢٩ ، أن اليهود اشتركوا مع نيقوديموس ويوسف الرامي، في دفن جسد يسوع. أما اليهود، فعن حسد، وحقد، وبغضاء. وأما نيقوديموس ويوسف الرامي، فعن محبة وولاء.

عدد ٤٢. (د) وضع الجثمان في القبر: كان اليهود آنئذ يستعدون لذبح حمل الفصح، بعد أن فرغوا من ذبح حمل الله. من أجل ذلك، أجريت عملية الدفن بسرعة، أن القبر "قريباً من أورشليم" .

غاباً جداً، كان هذا البستان والقبر، ملكاً ليسف الرامي . لكن لا فضل ليوسف في تقديمه بستانه للمسيح لأن المسيح سبق فجاد على يوسف وأمثله، بفردوس الخلود (رؤيا ٢: ٧). ولا فضل للرامي في تقديم قبره ليسوع، لأن المسيح سبق فاعد له أن "يجلس معه في عرشه" (رؤ ٣: ٢١).

([١]) مما يدل على أن جهات آسيا الصغرى، كانت تسير على التوقيت الروماني الغربي وقتئذ، ما يقوله المؤرخ فيلو: إن بوليكاربوس أعدم في الساعة الثامنة، وبايونيوس ، في الساعة العاشرة. وكلاهما أعدم في أزمير. ولا مشاحة في أن المقصود بهاتين الساعتين هو: الساعة الثامنة، والساعة العاشرة صباحاً – على الترتيب.

(٦) في النسخة السريانية المعروفة ب"البشتو" و الفارسية والحبشية ورد حرف "الواو" قبل قوله: "مريم زوجة كلوبا؛ " . ومن هذا يتبين أن مريم زوجة كلوبا ليست هي أخت أم المسيح، لأنه من الصعب أن نعتقد أن الختين سميتا باسم واحد: "مريم" . ويتجلى لنا نفس هذا المعنى متى فرضنا أن البشير ذكر أسماء النساء – الاسمين اسمين مع وقف في الوسط: "أمه أخت أمه. مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية " . كقول لوقا في ذكر أسماء التلاميذ: "بطرس وأندراوس أخاه . يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس" (لو ٦: ١٤) .

(٧) هذه هي الكلمة الختامية في ترتيب الكلمات التي فاه بها المسيح على الصليب. وفي الغالب جداً قيلت هذه الكلمات على النسق الآتي: أ - قبل الظلمة:

(١) طلبة المسيح لأجل أعدائه: "يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا

٢٣: ٢٤) – هذا هو غفران المصلوب.

(٢) قول المسيح للص: "الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا:٢٣

٤٣) – هذا هو وعد المصلوب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٣) قول المسيح لأمه: "يا امرأة هو ذا ابنك" – ثم ليوحنا: " هي ذي أمك" (يو ١٩: ٢٦) – هذه هي وصية المصلوب.

ب – أثناء الظلمة:

(٤) صرخة المسيح إلى الآب: "إلهي إلهي لماذا تركتني" (متى ٢٧: ٤٦ ومز ١٥: ٣٤) – هذه هي وحشة المصلوب.

ج – بعد الظلمة:

(٥) قوله: "أنا عطشان" (يو ١٩: ٢٨) – هذا هو شوق المصلوب.

(٦) قوله: "قد أكمل" (يو ١٩: ٣٠) – هذا هو اطمئنان المصلوب.

(٧) قوله: "في يديك أستودع روحي" (لوقا ٢٣: ٤٦) – هذا هو الموت الاختياري الذي ذاقه المصلوب.

(٨) اطلب شرح بشارة لوقا للمؤلف صفحة ٥٥٣، يتضح لك أن رواية يوحنا تتفق ورواية البشيرين الأولين في أن المسيح صلب يوم الجمعة في الوقت الذي كان فيه حمل الفصح مقدماً على المذبح في الهيكل.

(٩) G.H. Drummond Robinson M.D.F.R.C.P. – See the "DAWN" – May 16, 1927.

(١٠) جاء في التلمود اليهودي "فصل شيموت" تعليقاً على ما جاء في مز ٧٨: ٢٠ أنه عندما ضرب الصخر مرتين بعصا موسى، خرج منه دم أولا ثم ماء.

القبر الخالي

الأصحاح العشرون

المسيح ينتقل إلى المجد. والتلاميذ ينتقلون من العيان إلى الإيمان:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الأصحاح السابق, تركنا المسيح في ذلك القبر الجديد الذي لم يوضع به أحد من قبل, وتركنا تلاميذه في قبر من اليأس والأحزان. فما أشد الخوف الذي كان مستولياً على قلوبهم طوال يوم السبت, الذي أعقب يوم الصلب, بل ما أرهب السكون الذي خيم على قلوب رؤساء الكهنة بعد انقضاء تلك العاصفة الهوجاء التي أثاروها, فاختتمت بالصلب. ومن المحقق أنهم شعروا بدهشة مرهبة, ورهبة مدهشة, حينما ذهبوا إلى الهيكل في صباح سبتهم "المقدس", ورأوا "حجاب" الهيكل السميك, وقد "انشق من فوق إلى أسفل" (متى ٢٧: ٥١). ولعل ذلك اليوم, كان أرهب الأيام عليهم, وأشقاها على التلاميذ, الذين قد تشتت شملهم بعد أن ضرب راعيهم, وهدم صرح آمالهم في "مسيا المنتظر", فقد كانوا هم أيضاً "يرجون أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل" (لوقا ٢٤: ٢١).

غير أن هذه المخاوف التي خيمت على قلوب التلاميذ منذ غروب شمس الجمعة, لم تكن سوى سحابة صيف, بددتها شمس صباح الأحد, فتبدلت أتراحهم أفراحاً, واستحالت مخاوفهم يقيناً, واهتزت قلوبهم بنشوة الظفر, عندما سرت بينهم هذه البشرى: "الرب قام بالحقيقة"! (لوقا ٢٤: ٣٣).

كل قبر محفور في الأرض, يعتبر موقعة ظفر للموت ملك الأهوال, لكن قبر المسيح صار مدفناً للموت, ومقبرة لأعوان الشر, ومطلع حكمة, وكنز عزاء, ومنبت أنوار للمؤمنين. ولا عجب فهو القبر المثمر "في بستان".

وإذا حق للإنسان أن يعجب من قيامة الموتى, فمن حقه أن يعجب إذا لم يكن المسيح قد قام. لأنه "كان ينبغي أن يقوم المسيح من الأموات" (٢٠: ٩). فالقيامة هي الختم الإلهي, الذي كان ينبغي أن تتوج به حياة هذا الكامل الأوحد. لأننا نحن البشر الفاسدين نولد في الأرض, وعوامل الفساد تعمل فينا. فكأن حياتنا منسوجة بخيوط العدم. لأنها في أتم مظاهرها موت بطيء. لكن المسيح "قدوس الله", قد جاء أرضنا, وعاش بيننا, ولم "يكن لرئيس العالم فيه شيء" – بشهادة الأعداء والأصدقاء – فكان من المحتم, أن الذي تنزه جسده عن فساد الحياة, لا يرى أيضاً فساد القبر.

إن قيامة المسيح, هي طابع رضى الآب عن ذبيحة الكفارية التي قدمها على الصليب. لأن كل ذبيحة مقبولة لدى الله, كانت ترتفع إلى السماء على نسمات رضى الله. فكان من المحتم إذاً, أن يرتفع المسيح بجسده إلى السماء, علامة رضى الآب عن ذبيحته. ولاشك في أن الذي فاز برضى الآب عنه عند نهر المعمودية (لو ٣: ٢٣), وكسب مسرة الآب به على جبل التجلي (مت ١٧: ٥١), وظفر بتمجيد الآب له عند تل الجلجثة (يو ٣: ٢٨), يكون أيضاً حقيقاً برضى الآب عنه, بعد أن "أكمل" تدبير الفداء (يو ١٩: ٣٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن قيامة المسيح, هي حصن إيماننا, وحجة قيامتنا العتيدة (١كو ١٥: ١٣ و١٤), وهي خير باعث لنا على السلوك في جدة الحياة (كو ٣: ١ – ٣). هي ختم بنوة المسيح الأزلية (رو ١: ٤), وهي باب دخوله إلى المجد الذي كسبه لنفسه بآلامه وموته (في ٢: ٩ وعب ٢: ٩) وهي تاج عمل الفداء الذي قام به عنا, إذ "أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رو ٤: ٢٥).

بعد أن أدخل جسد المسيح إلى القبر, وضع على باب القبر حجر كبير, ثم "مضى رؤساء الكهنة والفريسيون وضبطوا القبر بحراس من قبل بيلاطس. وختموا الحجر" (مت ٢٧: ٦٢ – ٦٦). فكان القبر إذاً, في قبضة أعداء المسيح, الذين أفرغوا جعبتهم في ابتكار أبرع الوسائل لحبس هذا الجسد المقدس داخل القبر. وكأنهم عقدوا مؤامرة مع الموت لإبقاء "قدوس الله" في ظلمة القبر. وفي الوقت نسه, كان تلاميذ المسيح المساكين محاطين بجو تسوده عوامل ثلاثة: أولها – يأسهم من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم, بعد أن وضع الحجر الكبير على قبر سيدهم. والعامل الثاني – خوفهم من حاضرهم, غذ صاروا محاطين باليهود الذين سطوا على الراعي, فلا يتورعون من أن يبسطوا أيديهم على الرعية أيضاً. والعامل الثالث – أسفهم على ماض تركوا فيه أشغالهم, وودعوا أهلهم وذويهم, ليتبعوا إنساناً صار القبر غاية مصيره, فلو لم يكن المسيح قد قام, لما قامت لتلاميذه قائمة. ولو لم يمتلئ تلاميذه بيقين القيامة في أنفسهم, لصار مهد الكنيسة لحدها.

من أجل هذا, اهتم كل البشيرين بتسجيل حادثة قيامة الفادي. إلا أن كلاً منهم حدثنا عن الحوادث المتعلقة بالقيامة من وجهة نظره الخاصة. ولا يبرح عن بالنا, أن يوحنا كاتب هذه البشارة, لم يقصد أن يقدم لنا تاريخاً وافياً للحوادث التي وقعت بين قيامة المسيح وصعوده – فإن بشارته كتبت في وقت كانت فيه الكنيسة المسيحية ملمة غاية الإلمام بالحوادث المتعلقة بالقيامة – ولكنه اختار من جعبة اختباراته الخاصة, بعض الحوادث, كنماذج تحمل بين طياتها رمزاً معنوياً لحقائق روحية, أراد أن يجعلها نصب أعيننا. فجاءت روايته, بحكم طبيعتها, متممة ومؤيدة لروايات من سبقوه من البشيرين.

وجدير بالذكر, أن ما كتبه يوحنا في الأصحاحين التاليين, عن الحوادث المتعلقة بالقيامة, يقابله ما كتبه في الأصحاحين السابقين عن حوادث الصلب. في حوادث الصلب, أرانا بغضة اليهود للمسيح, وقد هوت إلى حضيض البغضاء والانتقام والإجرام. وفي حوادث القيامة, أرانا محبة التلاميذ وقد ارتقت من مستوى العيان المنخفض إلى أوج الإيمان الراقي.

فإذا كان ظل الموت منعكساً على الأصحاحين السابقين, فإن نور الحياة الجديدة يسطع في أرجاء الأصحاحين التاليين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولقد اهتم أيضاً يوحنا البشير بتدوين حوادث معينة, انتقاها لتكون صوراً حية تمثل شخصيات بارزة, بكل وضوح وجلاء – كشخصية بطرس, ويوحنا نفسه, وتوما, ومريم المجدلية.

فمن الحوادث التي تفرد يوحنا بذكرها: إعطاء المسيح تلاميذه سلطاناً لإعلان الحل والعقد (يو ٢٠: ٢٣), وظهور المسيح لتلاميذه وتوما معهم في الأحد الثاني للقيامة (٢٠: ٢٦). هذا فضلاً عن حوادث الأصحاح الختامي.

ومما يسترعي الالتفات, في الحوادث التي دونها يوحنا: درجات الإيمان, الممثلة في الأشخاص الذين آمنوا بحقيقة القيامة: (١) فالتلميذ "الذي كان يسوع يحبه" آمن نتيجة ثلاث علامات تجلت له, من غير أن يرى المسيح بالذات (٢٠: ٨). (٢) و"مريم المجدلية" آمنت بعد أن سمعت المسيح منادياً إياها باسمها (٢٠: ١٤ – ١٦). (٣) و"التلاميذ" آمنوا إذا رأوا جروح الرب (٢٠: ٢٠). (٤) و"توما" آمن بعد أن عرض عليه المسيح أن يضع يده في جنبه كما طلب (٢٠: ٢٧). أما أرقى درجة في الإيمان, فقد جعلها المسيح من نصيبنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (٢٠: ٢٩).

ومع أنه من الصعوبة بمكان, أن نعين بالضبط, الوقت الذي وقعت فيه الحوادث المتعلقة بالقيامة, إلا أننا نستطيع أن نقدر وقتنا تقريباً, لبعض تلك الحوادث, استناداً إلى أوثق المصادر:

السبت الساعة ٦ مساء	مريم المجدلية, ومريم أم يعقوب تعاينان القبر (ميت ٢٨: ١).
حوالي ١/٢ ٦ مساء	مريم المجدلية, ومريم أم يعقوب, وسالومة. تشترين حنوطاً (مر ١٦: ١).
الأحد باكراً جداً	القيامة, فالزلزلة, فنزول الملاك, وفتح القبر مت (٢٨: ٢ – ٤).
الساعة ٥ صباح الأحد (وقت السحر)	مريم المجدلية, ومريم أم يعقوب, وسالومة. وبعض النساء, يذهبن إلى القبر, فتسبقهن مريم المجدلية, ثم ترجع تواً لتخبر بطرس ويوحنا بما رأت (يو ٢٠: ١ – ١٠)
الساعة ١/٢ ٥ صباحاً	رفيقات مريم يصلن إلى القبر (مر ١٦: ٢) فيتراءى لهن الملاك, ويوصيهن برسالة إلى التلاميذ (مت ٢٨: ٥, ومر ١٦: ٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قبيل ٦ صباحاً جماعة أخرى من النساء, يأتين إلى القبر (لو ٢٤: ١).

الساعة ٦ صباحاً — ظهور ملاكين, لهذا الفريق الثاني من النساء, وإفضاؤهما إليهن بكلمات معزية (لو ٢٤: ٤).

الساعة ٦ ١/٢ صباحاً — ذهاب بطرس ويوحنا إلى القبر, وظهور الملاكين لمريم المجدلية (يو ٢٠: ٣ – ١٣) وفي نحو هذا الوقت, ذهبت النساء ليبلغن التلاميذ خبر القيامة (لو ٢٤: ١٠).

الساعة ٧ صباحاً — المسيح يظهر نفسه لمريم المجدلية (يو ٢٠: ١٤ – ١٨ ومر ١٦: ٩), وبعد وقت قصير, يظهر ذاته لجماعة من النساء, كن راجعات إلى القبر, (مت ٢٨: ٩).

حوالي ٤ بعد الظهر — ظهوره لبطرس (لو ٢٤: ٣٤ و١ كو ١٥: ٥).

بين ٤ و٦ بعد الظهر (على وجه التقريب) — ظهوره لتلميذي عمواس (لو ٢٤: ١٣ ومر ١٦: ١٢).

الساعة ٨ مساء — ظهوره لجماعة الرسل وآخرين (لو ٢٤: ٣٤ ومر ١٦: ١٤ ويو ٢٠: ١٩).

أما المرات التي ظهر فيها المسيح مدة الربعين يوماً التي توسطت بين قيامته وصعوده, فقد استطعنا أن نرتبها في الجدول الآتي – على قدر ما وصل إليه علمنا, بعد البحث والاستقراء:

ترتيب الظهور	الذين ظهر لهم	مكان الظهور	زمان الظهور	الكاتب الذي أنبأنا بالظهور
الأول	لمريم المجدلية	عند القبر	الساعة ٧ صباحاً	يوحنا ٢٠: ١٤ – ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الثاني	للنساء وهن راجعات من القبر	في الطريق بين القبر وأورشليم	بعد الساعة ٧ "بقليل"	مت ٢٨: ٨ و٩
الثالث	لبطرس	في أورشليم	حوالي الساعة ٤ بعد الظهر	لو ٢٤: ٣٤ وبولس في ١ كو ١٥: ٥
الرابع	لاثنين من غير الرسل	على طريق عمواس	بين الساعة٤ و٦ بعد الظهر	لو ٢٤: ١٣ ومر ١٦: ١٢
الخامس	للرسل في غياب توما	في العلية في أورشليم	الساعة ٨ مساء	لو ٢٤: ٣٦ ومر ١٦: ١٤ ويو ٢٠: ١٩ وبولس في ١ كو ١٥: ٥
السادس	للأحد رسولاً وتوما معهم	في العلية في أورشليم	بعد القيامة بثمانية أيام	يو ٢٠: ٢٦
السابع	لسبعة من الرسل	على شاطئ بحر طبرية	في شهر مايو	يو ٢١: ١ ــ ٢٤ (مت ٢٨: ١٦)
الثامن	للأحد عشر رسولاً ولـ ٥٠٠ أخ.	على جبل في الجليل	في شهر مايو	من ٢٨: ١٦ ــ ٢٠ و١ كو ١٥: ٦
التاسع	ليعقوب	في أورشليم (غالباً)	في شهر مايو	بولس في ١ كو ١٥: ٧
العاشر	للأحد عشر رسولاً	في أورشليم	قبيل صعوده	لوقا في أ ع ١ ٣ ــ ٨ و١ كو ١٥: ٧

1وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِراً

خامساً: القيامة (٢٠: ١ ــ ٣)

هذا أصحاح الحياة الجديدة. فلا غرو إذا كان قلبه نابضاً بحياة الإيمان وإيمان الحياة: "فرأى وآمن" (٢٠: ٨). ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام: (١) العلامات الثلاث المثبتة لحقيقة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القيامة (٢٠: ١ – ١٠). (٢) الظهور المثلث (٢٠: ١١ – ٢٩). (٣) غاية يوحنا من كتابة بشارته (٢٠: ٣٠ و٣١).

(١) العلامات الثلاث المثبتة لحقيقة القيامة: أ – العلامة الأولى: القبر المفتوح (٢٠: ١ و٢) – هذه العلامة رأتها مريم وخبرت بها – ب – العلامة الثانية: القبر الخالي – أكفان ولا جسد (٢٠: ٣ – ٦): هذه العلامة تحققها بطرس ويوحنا – ج – العلامة الثالثة: المنديل الملفوف على حدة (٢٠: ٧ – ١٠). هذه العلامة وسابقتها كانتا سبباً في إيمان بطرس ويوحنا.

(أ) العلامة الأولى – القبر المفتوح (٢٠: ١ و٢)

عدد ١. (١) مريم المجدلية ترى القبر المفتوح: "في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق. فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر". ينتهي الأصحاح السابق ببدء آخر "سبت يهودي" في العهد القديم. ويستهل هذا بغرة أول "سبت مسيحي" في العهد الجديد. وما كاد يحل آخر سبت يهودي على العالم حتى كان ظلام البشرية على أشده. لأن جسد مخلص الأنام كان قد أودع في القبر ووضع على القبر حجر, ولكن ما كاد يبزغ فجر السبت المسيحي الأول, حتى كانت أنوار الفداء قد عمت الأرجاء

وَالظّلاَمُ بَاقٍ. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعاً عَنِ الْقَبْرِ. ٢فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ وَقَالَتْ

لأن "شمس البر" قام من قبره قبل أن تقوم شمس الطبيعة من خدرها فكان خليقاً بالذي بدد ظلمة القبر, أن يقوم والظلام مخيم على الأرض. من أجل ذلك لم يستطع أحد أن يرى "كيف" قام المسيح, ومع أننا نؤمن إيماناً وطيداً أن المسيح قام "حقاً". فديانته ليست ديانة "الكيف" بل ديانة "الحق".

يستهل هذا الأصحاح بآية, تنبئنا بـ"الآية" الأولى المثبتة لحقيقة القيامة وهي – القبر المفتوح. ومن العجيب أن أول من شهد هذه "الآية", امرأة لم تكن في حياتها السابقة ذات مركز اجتماعي سام – مريم المجدلية([١]) التي يقول عنها لوقا إن الرب "أخرج منها سبعة شياطين" (لو ٨: ٢). فلا عجب إذا رأيناها مبكرة وذاهبة إلى القبر في مقدمة الجميع, لأنها كانت في مقدمة من غمرتها أفضال المسيح. فثقل الدين يقابله ثقل في المسئولية.

عدد ٢. (٢) المجدلية تخبر بطرس ويوحنا بما رأت: "فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه". يستنتج من تكلم مريم بصيغة الجماعة: "لسنا نعلم أين وضعوه", أنها كانت تتكلم عن

All rights reserved © 2008-2018

لَهُمَا: «أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ

نفسها وهن النساء اللواتي ذهبن إلى القبر بزعامتها, ومعهن حنوط لتعطير جسد المسيح (مت ٢٨: ٢١ ومر ١٦: ٢ ولو ٢٤: ١٠).

ويستفاد مما كتبه البشيرون الأولون, أن مريم والنساء اللواتي كن معها, كن يقلن فيما بينهن, في طريقهن إلى القبر: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ ولما وصلن إلى القبر وجدن الحجر قد تدحرج عنه, وإذ لم يعرفن شيئاً عن كل ما حدث اندهشن. وحالما دخلن القبر, ولم يجدن جسد الرب تحيرن جداً. أما مريم المجدلية فظنت أن جسد الرب قد سرق. ويفهم من قولها: "أخذوا السيد", أنها ربما ظنت أن اليهود قد سرقوا جسد الفادي, أو أن يوسف الرامي ونيقوديموس قد نقلا الجسد من القبر إلى مرقد آخر. فاختلجت في قلبها لوعة يمازجها الحزن والدهشة, فلم تتمالك نفسها من أن تترك القبر وسائر النساء هناك, وتهرول راكضة إلى بيت بطرس الذي لم يزل بعد محسوباً من زعماء الرسل – على رغم انتشار خبر إنكاره لسيده, وإلى بيت يوحنا "التلميذ الذي كان يسوع يحبه". وهو الذي ظل ملازماً سيده حتى آخر لحظة, "وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه"!

حسن أن مريم وهي تتكلم عن "الجسد" الذي في القبر, قالت: "السيد". فهي إذاً كانت أحكم من نفسها وهي لا تدري, لأن الرب كان قد قام وقتئذ. فهو إذاً حي. غير أن مريم, وقعت في سلسلة أغلاط بسبب ضعفها البشري. فقد ذهبت إلى القبر لتعطر جسد يسوع الإنسان, وغاب عنها أن هذا الجسد قد ارتقى إلى العلاء, فتعطرت برائحته كل أجواء السماء.

وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ». ٣فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ وَأَتَيَا إِلَى

جاءت إلى القبر علها ترى جسد المصلوب ممسكاً بسلاسل القبر وقد فاتها أن يد الظلام لا تقوى على ملامسة أهداب "نور العالم". جاءت لتقدم فروض ولائها لإنسان ذهب ضحية ظلم الناس. وقد نسيت أن من أوجب واجباتها أن تقدم عباداتها لهذا المخلص العجيب, الذي التقت فيه رحمة الله بعدالته. مسكينة هذه المجدلية إذ توهمت أن "السيد" أمسى جثماناً هامداً, يستطيع أعداؤه أن "يأخذوه", وقد سهى عليها, أن السيد هو العزيز المقتدر, رب الموت والحياة. ظنت مريم أن كل هذا حدث بفعل أيدي الناس, فتعذبت. مع أنها لو أدركت أن يد الرب, هي التي فعلت كل هذا, لتعزت. إننا في نفس الوقت مدينون لمريم المجدلية بجهلتها وغفلتها. فلو كانت مريم متوقعة قيمة الرب من الأموات, لوجد أمام المعترضين مجال متسع للقول: إن حادثة القيامة تكونت في فكر مريم, نتيجة وساوس, واختلاط عقلي في ذهنها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهل من ريشة تستطيع أن ترسم لنا مبلغ تأثر مريم أم المخلص بهذا الخبر, حين بلغها وهي مقيمة مع يوحنا في بيته؟ (١٩: ٢٧).

(ب) العلامة الثانية: القبر الخالي. أكفان ولا جسد (٢٠: ٣ – ٦)

عدد ٣ و٤. (١) بطرس ويوحنا يذهبان إلى القبر مسرعين: سمع الرسولان هذا الخبر الغريب, فخرجا مسرعين إلى القبر. أما بطرس فكان – على ما نعهده فيه من الاندفاع – أسبق الاثنين إلى الانطلاق. وربما وصلت

الْقَبْرِ. ٤وَكَانَ الاِثْنَانِ يَرْكُضَانِ مَعاً. فَسَبَقَ التِّلْمِيذُ الآخَرُ بُطْرُسَ وَجَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ ٥وَٱنْحَنَى فَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ.

المجدلية إلى بيته قبل أن تصل إلى بيت يوحنا (عدد ٢). أما يوحنا, فلكونه أصغر الاثنين سناً, فقد استطاع أن يلحق ببطرس "وكان الاثنان يركضان معاً". ومن ثم سبق يوحنا وبطرس وجاء أولاً إلى القبر. فالغيرة قد تكون أسبق من المحبة في بدء الطريق, لكن المحبة تسابق الغيرة وتسبقها في النهاية.

عدد ٥. (٢) يوحنا ينحني على باب القبر, فيحقق العلامة الثانية: "وانحنى" – أي يوحنا. وعلة انحنائه أن باب القبر كان منخفض – "فنظر الأكفان موضوعة", فحقق ما قالته مريم أن "الجسد ليس في القبر". ولعله تعجب من أن الذين أخذوا الجسد, لم يأخذوا الأكفان أيضاً, اقتصاداً في الوقت والتعب. هذا إذا كان الذين أخذوا الجسد, من أعداء المسيح. أما إذا كانوا من أحبائه, فلا يعقل أنهم يأخذون الجسد ويتركون الأكفان. فمن المحقق إذاً, أن اليد التي رفعت الجسد من القبر, ليست يد إنسان – عدواً كان أم صديقاً. ما هذه إلا يد الله.

وقد يلذ لنا أن نذكر أن الكلمتين: "انحنى ونظر", مترجمتان إلى العربية عن كلمة واحدة في اللغة الأصلية – وردت أيضاً في عدد ١١ – وهي عين الكلمة التي بها وصف بطرس لرسول موقف الملائكة تجاه "أمور" الفداء: "تشتهي ...... أن تطلع عليها" (١ بط ١: ١٢). ولكون يوحنا متهيباً بطبيعته, لم يدخل القبر, وربما وقف واجماً لشدة حزنه على سيده.

٦ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ وَدَخَلَ الْقَبْرَ وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً ٧وَٱلْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعاً مَعَ الأَكْفَانِ بَلْ مَلْفُوفاً فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ. ٨فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضاً التِّلْمِيذُ الآخَرُ

عدد ٦. (٣) سمعان بطرس يصل بعد يوحنا, ويدخل القبر, فيرى العلامة الثانية: "ثم جاء سمعان بطرس يتبعه" – لأنه كان أكبر من يوحنا سناً, ونظراً لكونه عملياً في محبته وجسوراً, لم يقف عند حد النظر إلى القبر, بل اندفع كعادته "ودخل القبر ونظر الأكفان

 All rights reserved © 2008-2018

موضوعة". الكلمة المترجمة "نظر", معناها الحرفي "نظر بإمعان وتدقيق", فأبصر ما لم يستطع أن يراه يوحنا في لمحته العاجلة.

(ج) العلامة الثالثة: المنديل الملفوف على حدة (٢٠: ٧ – ١٠).

عدد ٧. (١) بطرس يرى هذه العلامة أولاً: "والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً في موضع وحده". هذا مفاده أن المنديل كان ملفوفاً بكل عناية, وموضوعاً من غير عجلة, في مكان على حدة. وردت هذه الكلمة "منديل" مرة أخرى في هذه البشارة (١١: ١٤).

عدد ٨. (٢) يوحنا يقتدي ببطرس ويدخل القبر فيرى هذه العلامة: "فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر" – أي يوحنا البشير – "الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن". ما أقوى تأثير الإنسان على غيره, وأشد تأثره من الآخرين! فقد كان لشجاعة بطرس وإقدامه في هذا الظرف الخاص, أجمل تأثير في يوحنا وهو لا يدري. فأمام شجاعة بطرس وإقدامه, اختفى تهيب

الَّذِي جَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ

يوحنا وإحجامه, لذلك يقول يوحنا – وهو خير من يحدثنا عن نفسه, وأن يكن آخر من يذكر لنا اسمه: "فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر". والظاهر أن يوحنا لم يستطع أن يرى المنديل الملفوف, وهو منحن على باب القبر (عدد ٥), لأن المنديل كان موضوعاً في مكان داخلي, ولأن يوحنا كان قد ألقى لمحة عاجلة على محتويات القبر, فاته أن يرى ما رآه بعد أن دخل.

(٣) تأثير هذه العلامة في يوحنا: "ورأى فآمن". بأي شيء آمن يوحنا؟ أبمجرد الخبر المبهم المزعج, الذي أنبأته مريم المجدلية؟ كلا. لكنه آمن أن الرب قد قام, لأنه بعد أن رأى الأكفان موضوعة, والمنديل ملفوفاً بكل عناية, وموضوعاً على حدة, اقتنع, وآمن بأن المسيح قد قام. لأن في لف المنديل بهذه العناية, ووضعه على هذا النظام, دليلاً على أن اليد التي مدت إلى القبر, ليست لص سارق. لأن السارق بعد أن ينهب ما يريد بكل عجلة, يترك الباقي مبعثراً مشتتاً. هذه إذاً يد عزيز مقتدر يجري أعماله بتأن, ودقة, وعناية, ونظام. بل هذه يد المسيح نفسه إله القدرة والتأني, الذي في أيام جسده, كان ذاهباً ليقيم فتاة ميتة, فتمهل في طريقه, وبكل عناية شفى امرأة مريضة (لوقا ٨: ٤١ – ٥٥). بل هذه يد المسيح, إله الترتيب والنظام, الذي يهتم بعظائم المخلوقات, اهتمامه بأصاغرها. فهو يكسو البلوطة الضخمة, مهابة وجلالاً, ويفيض على البنفسجة الصغيرة بهاء وجمالاً.

وَرَأَى فَآمَنَ ٩لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن القول بأن يوحنا "آمن أن المسيح قام من الأموات", هو تعبير آخر للقول, بأن يوحنا آمن أن يسوع هو المسيح. وإذا ما أضفنا هذه الكلمة: "آمن", إلى درجات السلم التي ارتقى إليها إيمان التلاميذ في ما مر بنا من هذه البشارة (١" ٣٨ و٢: ١١ و١١: ١٥ و١٤: ١١), اتضح لنا, أن هذه أرقى درجة بلغها إيمان يوحنا, في سجل بشارته.

عدد ٩. (٤) علة تباطؤ إيمان الرسل – بما فيهم يوحنا. لم يقل يوحنا عن نفسه أنه "رأى وآمن", بنغمة الفخور المعجب بذاته, كأنه كان أسبق الرسل إلى هذا الإيمان الذي هو وليد العيان. كلا. وإنما قالها بروح التواضع, الذي يمازجه شيء من الخجل, لأنه لم يستطع أن يؤمن إلا بعد أن رأى. من أجل ذلك, نراه يدمج نفسه مع سائر الرسل, في الكلام عن تباطؤ إيمانهم: "لأنهم" – أي الرسل بما فيهم يوحنا – "لم يكونوا بعد" – أي إلى الآن – "يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات" فإذاً جهل الرسل بما في الكتب, هو علة تباطئهم في الإيمان بقيامة المسيح. ألا تحمل هذه الكلمات بين جنباتها, اعترافاً ضمنياً, بأن رسل المسيح كانوا أقل من اليهود انتباهاً لكلام السيد؟ لأن متى يخبرنا في بشارته: أن "رؤساء الكهنة والفريسيين اجتمعوا إلى بيلاطس قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم" (متى ٢٧: ٦٢ و٦٣). فكأن أعداء المسيح, كانوا أسرع من أحبائه إلى فهم كلامه. وما أكثر

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ

الأوقات التي يكون فيها "أبناء هذا الدهر, أحكم من أبناء النور في جيلهم (لو ١٦: ٨)! أما "الكتاب" الذي يقول يوحنا, إنه هو وسائر الرسل "لم يعرفوه", فهو ما كتب عن المسيح في ناموس موسى, والأنبياء, والمزامير – سيما هذا السفر الأخير (مز ١٦: ١٠). (قابل هذا بما جاء في لوقا ٢٤: ٢٥ و٤٤). من هذا نستنتج: (ا) أن حوادث كثيرة, تظل أمامنا كسفر مختوم, حتى يقيض عليها الزمان نوراً ساطعاً, فتلألأ أمامنا في ضوء الاختبار, وفي نور روح إرشاد المسيح (لوقا ٢٤: ٤٥). (ب) إن في قيامة المسيح مفتاحاً لأسرار الكتاب. وبغيرها يظل "الكتاب" سفراً مختوماً. (ج) لو لم يكن المسيح قد قام, لكان من المحتم أن يقوم. لأن قيامته ليست "فرض كفاية" بل هي "فرض عين": "ينبغي لأن يقوم من الأموات".

هذه مرة أخرى, قال فيها لبشير كلمة: "ينبغي" في عرض كلامه عن شخص المسيح. وقد يكون من المفيد لنا, أن نستعرض في لمحة موجزة, المواضع التي ارتبطت فيها هذه الكلمة الحتمية: "ينبغي" بحياة السيد.

"ينبغي أن يرفع ابن الإنسان" (يوحنا ٣: ١٤ و١٢: ٣٤) – هذا فرض الفداء الاختياري.
"ينبغي أن يذهب إلى أورشليم" (متى ١٦: ٢١) – هذا فرض الوصية التي قبلها المسيح من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الآب. "فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون" (متى ٢٦: ٥٤, لوقا ٩: ٢٢, ٢٤: ٧, ٢٦: ٤٤) – هذا فرض المكتوب. "ينبغي أن أكون في ما لأبي" (لوقا ٢: ٤٩)

مِنَ الأَمْوَاتِ. ١٠فَمَضَى التِّلْمِيذَانِ أَيْضاً إِلَى مَوْضِعِهِمَا.

- هذا فرض شعور المسيح ببنوته الأزلية للآب. "ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك" (لوقا ١٩: ٥) – هذا فرض المحبة الغافرة المتنازلة. "ولي خراف أخر ..... ينبغي أن آتي بتلك أيضاً" (يو ١٠: ١٦) – هذا فرض النصرة النهائية, التي ستبلغها كنيسة المسيح عند كمالها. "ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار" (يو ٩: ٤) – هذا فرض المهمة المعجلة التي تقلدها المسيح من الآب. "أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً" (مرقس ٨: ٣١) – هذا فرض المحبة الإلهية الفدائية. "ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة" (لوقا ٢٤: ٧) – هذا فرض الخيانة البشرية.

عدد ١٠. (٥) رجوع بطرس ويوحنا إلى موضعهما: "فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما". مضى كل من التلميذين إلى محل إقامته في أورشليم, بعد أن شرفتهما العناية برؤية ذلك القبر الخالي. أما يوحنا فسار في طريقه والإيمان يملأ قلبه. وأما بطرس, فمضى في سبيله, متفكراً في العلامات التي عاينها بنفسه في القبر. وفي الغالب, لم يبلغ درجة الإيمان اليقيني بالقيامة, إلا بعد أن افتقده الرب برحمته, وظهر له بنفسه, حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم عينه (لو ٢٤: ٣٤ و١ كو ١٥: ٥).

ومع أننا لا ندري شيئاً عن الحديث الذي دار بين بطرس وسيده في هذه المقابلة, إلا أنه من السهل علينا أن نتصور, أن إنكار بطرس لسيده لم يكن خارجاً عن موضوع حديثهما في هذه المرة, التي هي أول مرة التقيا فيها بعد تلك النظرة الفاحصة المذيبة (لوقا ٢٢: ٦٢).

١١أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجاً تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ
١٢فَنَظَرَتْ ملاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ

(٢) الظهور المثلث (٢٠: ١١ – ٢٩).

ينبئنا هذا الفصل, بثلاث مرات أظهر فيها المسيح ذاته: - أ – لمريم المجدلية (٢٠: ١١ – ١٨) – ب – لتلاميذه في غياب توما عنهم (٢٠: ١٩ – ٢٥) – ج – لتلاميذه وتوما معهم (٢٠: ٢٦ – ٢٩).

- أ – ظهور المسيح لمريم المجدلية (٢٠: ١١ – ١٨).

(١) مريم متحيرة باكية: (٢٠: ١١ – ١٣).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١١. – أ – حزن مريم المجدلية وولاؤها: "أما مريم فكانت واقفة عند القبر تبكي". بعد أن أتمت مريم مأموريتها التي قامت بها خير قيام, بإبلاغها خبر القبر الخالي إلى بطرس ويوحنا, عادت إلى القبر من طريق غير الطريق الذي رجع منه بطرس ويوحنا. ومن شدة ولائها لسيدها ظلت واقفة عند القبر تبكي. لكن عين المحبة المخلصة المتألمة, الطهورة, لا تكتفي بذرف الدموع, بل تريد دائماً أن تتطلع, علها ترى من خلال الدموع, ما يعيد إليها اطمئنانها, ويرد لها ما غاب عنها, ومن فقدت: "وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر".

عدد ١٢. – ب – مريم ترى ملاكين حيث كان جسد يسوع موضوعاً "فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين, واحداً عند الرأس, والآخر عند الرجلين, حيث كان جسد يسوع موضوعاً". ما أبهى هذا المنظر

وَاحِداً عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعاً. ١٣فَقَالاَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» قَالَتْ لَهُمَا: «إِنَّهُمْ أَخَذُوا

العجيب, الذي رأته مريم! إنه شبيه بمنظر الكروبين اللذين كانا"مظللين الغطاء حيث حل مجد رب الجنود قديماً" (خر ٢٥: ٢٢, ١ صم ٤: ٤, ٢ صم ٦: ٢, مز ٨٠: ١, ١٠٩: ١). ولكن على رغم ما في هذا المنظر من جمال وبهاء, فإن مريم لم ترض به بديلاً عن سيدها. ومن العجيب, أنها لم تستغرب رؤية الملاكين, ولم تخف منهما. لأن حزنها العميق وانشغالها الشديد بالعثور على جسد سيدها, ملكاً عليها كل مشاعرها, فتغافلت عن كل شيء عداه.

إن قول يوحنا, بأن ملاكين ظهرا لمريم, لا يتنافى ورواية متى, بأن ملاكاً واحداً ظهر لسواها من النساء (متى ٢٨: ٥). لأن ذلك الملاك الواحد ظهر للنساء, في الفترة التي تركتهن فيها مريم وانطلقت لتخبر الرسولين بما رأت. وأما الملاكين فقد ظهرا لمريم بعد انصراف سائر النساء.

عدد ١٣ – ج – سؤال الملاكين وجواب مريم: "فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين"؟ قد أوضحنا معنى كلمة "امرأة" – كما وردت في الأصل – في ٢: ٤, فاطلبها هناك. "قالت لهما إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه". مع أن جواب مريم عن سؤال الملاكين, يتفق في جوهره وقولها الذي خبرت به بطرس ويوحنا (عدد ٢), إلا أنهما يختلفان في كلمتين: أولاهما – أنها في كلامها مع بطرس ويوحنا, قالت "السيد" بصيغة التعميم. ولكن في جوابها للملاكين قالت "سيدي" – بصيغة التخصيص. وثانيهما:

سَيِّدِي وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ». ١٤وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنها في حديثها مع الرسولين تكلمت بصيغة الجماعة: "نعلم". ولكنها في كلامها مع الملاكين, تكلمت بصيغة المفرد: "أعلم". فكأنها في كلامها الأخير, عبرت عن خسارتها الشخصية وحيرتها الفردية, اللتين أصابتاها, بفقدانها جسد سيدها.

(٢) مريم غافلة (٢٠: ١٤ و١٥).

عدد ١٤ – أ – مريم ترى يسوع ولا تميزه: ما كادت مريم تفرغ من إجابتها الملاكين عن سؤالهما, حتى حانت منها التفاتة إلى الوراء. ولعلها لم ترغب في مواصلة الحديث مع الملاكين, لأنها لم تر في نغمة كلامهما بارقة أمل بإزالة سبب حيرتها. أو ربما لأنها أحست بطريقة ما, أن شخصاً آخر قد حضر. أو كما يقول يوحنا الذهبي الفم: إنها لمحت على وجهي الملاكين إمارات جديدة – ولعلها إمارات تهيب وإعجاب, مما دلها على أنهما يرحبان بقدوم شخص عجيب! " فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع". ولكم من المرات يتراءى لنا يسوع في سبيل حياتنا اليومية, ونحن عن قدومه غافلون! فقد يتراءى لنا في صورة فقير بائس ينتظر عوناً, أو في شكل ضيف يجلس على موائدنا ينتظر سخاءنا, أو في هيئة جليس يستمع لأحاديثنا.

يعزى جهل مريم بحقيقة يسوع إلى: (١) عدم توقعها أن تراه. (٢) التغير الذي طرأ على جسده بعد القيامة. لأن جسده القدوس, استمر إلى ساعة موته خاضعاً لنواميس طبيعتنا البشرية المحدودة. لكنه بعد القيامة كان

وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. ١٥قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ

يدخل, ويخرج, ويظهر, ويغيب, على أسلوب خفي لا يستقصى (٢٠: ١٩). (٣) ربما لأن عيني مريم أمسكتا عن معرفة شخص المسيح, مثلما أمسكت أعين تلميذي عمواس عن مرأى سناه (لوقا ٢٤: ١٦).

عدد ١٥ – ب – سؤال المسيح وجواب مريم: "…. يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟". هذه هي أولى الكلمات التي نسمعها من المسيح بعد قيامته.

سؤالان عجيبان – أولهما ممهد لثانيهما, وثانيهما مؤيد ومفسر لأولهما. "لماذا تبكين؟ من تطلبين؟" بهذه الكلمات, سأل المسيح مريم عن علة بكائها, وسبب عذابها, الذي هو أيضاً مصدر عزائها: "لماذا تبكين؟ من تطلبين؟" – وهل تخلو هذه الكلمات من تنبيه ضمني من المسيح لمريم, على خطأها ببكائها؟ فكأني به يقول لها: "أخطأت بطلبك الحي بين الأموات"!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما مريم, فظنت أن الذي يكلمها هو "البستاني". لأن قبر المسيح كان في بستان فكان من الطبيعي, أن تتوقع مريم وجود البستاني هناك. فقالت له "يا سيد إن كنت أنت" – أنت لأي واحد من الأعداء – قد حملته, فقل لي أين وضعته وأنا آخذه". من العجيب, أن مريم في حزنها لم تحسب حساباً لضعف قوتها, فتوهمت أن في إمكانها – وهي امرأة ضعيفة – أن ترفع جثة من موضعها. لكنها, في كل كلامها – سواء مع بطرس ويوحنا, أو مع الملاكين, أو مع يسوع الذي ظننته البستاني – كانت تتكلم عن المسيح

قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخُذُهُ». ١٦قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ!» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ:

كأنه شخص حي, ماثل أمامها. فلم تقل مرة واحدة: "جسد", ولا "جثة", بل قالت: "السيد" (عدد ٢) و"سيدي" (عدد ١٣). ولكون المسيح حاضراً في ذهنها هي, ظنت أنه حاضر أيضاً في ذهن غيرها, فقالت عنه في عدد ١٥, "حملته" ... "وضعته" ... آخذه", من غير أن تذكر اسمه بالذات.

عدد ١٦. (٣) مريم مؤمنة: "قال لها يسوع يا مريم"! إن مخاطبة المسيح إياها في العدد السابق بالقول: "يا امرأة" لم يقابل منها بأي اهتمام, لأن الملاكين سبقا فخاطباها بنفس هذه الكلمة (عدد ١٣) فلم تر فيها شيئاً جديداً. لكنها عندما سمعت هذا الشخص العجيب يناديها باسمها, تأكدت أنه هو راعيها الصالح, الذي يناديها باسمها الخاص.

ومن أسباب عزائنا, أن نذكر أن راعينا الصالح, هو أيضاً طبيبنا الحكيم, فهو لا يسلط نوره دفعة واحدة على العيون المغمورة بظلال الفجر, بل يقدم لها النور تدريجياً. في بادئ الأمر خاطب المسيح المجدلية بقوله لها: "يا امرأة", وعندما وجدها على استعداد لقبول مزيد من النور, قال لها: "يا مريم". وربما لو ابتدرها بالقول: "يا مريم" لصعقت من شدة الفرح وفرط العجب. وكأن مريم كانت ضالة في برية أحزانها, تائهة عن حقيقة ذاتها, غافلة عن شخصية راعيها, فلما سمعت الراعي الصالح يناديها باسمها, ردت نفسها إليها, وإلى راعيها. عندئذ "التفتت" – كأنها كانت

«رَبُّونِي» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ. ١٧قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ

إلى الآن مطرقة بوجهها إلى الأرض حياء, وهي تخاطبه, أو ربما كانت ناظرة هنا وهنالك, من فرط حيرتها, ولعلها كانت قد اتجهت ببصرها مرة أخرى إلى القبر (عدد ١٤) وهنا استجمعت كل ما عندها من قوة الرجاء, واليقين, والإعجاب, والتعبد, وارتمت عند قدميه محاولة أن تمسك بهما, أو بهدب ثوبه (قابل هذا بما جاء في متى ٢٨: ٩ و١٠), وعبرت عن شعورها بكلمة واحدة, لفظتها بلغتها العبرية: "ربوني"! الذي تفسيره "يا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معلم". إن كلمة "ربوني" أقوى وأرفع من كلمتي "راب" و"رباي". ومعناها "المعلم الأعظم". وقد قالتها مريم معبرة بها عن يقين معرفتها بشخص المسيح, وعظم ابتهاجاً برؤيته حياً مقاماً, وشدة تكريمها له بعد قيامته من الأموات.

(٤) مريم مبشرة: (٢٠: ١٧ و١٨)

عدد ١٧. (١) مريم تتسلم البشرى: "قال لها يسوع لا تلمسني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى أخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم". تتضمن هذه الكلمة: تنبيهاً لمريم عن خطأها, وعلة هذا التنبيه: "لا تلمسيني لأني ....". الكلمة المترجمة, "تلمسيني", معناها الحرفي: "لا تمسكيني وتتعلقي بي". ولو كانت هذه لمسة من يريد أن يتحقق أن للمسيح جسداً حقيقياً بعد القيامة "لسمح لها المسيح بها, ودعاها إليه, لأنه واضح من لوقا ٢٤: ٣٨, أن المسيح لم يكتف بأن سمح للتلاميذ بأن يلمسوه, بل دعاهم وأمرهم أن "يجسوه", في نفس هذا اليوم.

أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنِ اذْهَبِي إِلَى أخوتي

وظاهر أيضاً من يوحنا ٢٠: ٢٧, أن المسيح قال لتوما, بعد أسبوع من هذا التاريخ: "هات يدك وضعها في جنبي". ولكن هذه لمسة من ظنت أن صلة المسيح بتلاميذه بعد قيامته, ستعود مثلما كانت قبل القيامة, عن طريق الحواس الطبيعية, كالنظر واللمس والسمع. من أجل ذلك نبهها المسيح إلى أن مدة معاشرته الجسدية لتلاميذه وأتباعه, قد انقضت, وأن لا سبيل إلى شركتهم معه بعد القيامة, إلا عن طريق روحه الأقدس (١٤: ١٨ و١٩ و٢٠ و١٦: ٢٠ – ٢٨). وبما أن الروح القدس, لم يكن قد أعطى بعد, لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد (٧: ٣٩), لذلك أفهمها الفادي, أن موعد هذه الشركة الروحية لم يأت بعد. إذ قال لها: "لأني لم أصعد بعد ...". فقبل القيامة, كان المسيح عائشاً بالجسد مع تلاميذه, ولكن بعد الصعود, عاش فيهم بروحه. هذا يوافقه قول الرسول: "وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد, لكن الآن لا نعرفه أيضاً" (٢ كو ٥: ١٦)

(٢) مهمة معجلة: "ولكن اذهبي إلى أخوتي ...". كأنه أراد أن يقول لها: "بدلاً من أن تصرفي وقتك وجهودك في ما لا طائل تحته, لأن أوانه لم يأت بعد, "اذهبي إلى أخوتي ...". هذه مهمة جليلة, أبان فيها السيد:

(ا) الشرف الممتاز الذي وهبه السيد لمريم المجدلية, بأن جعلها "رسولة" الرسل: "اذهبي ...". ألا نلاحظ أن المسيح, إذ أوصى مريم بهذه الوصية, متعها بأعظم مما كانت تطلب أو تتمنى؟ تمنت هي أن تمسك

وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ».

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قدميه, شرفها هو بأن جعلها تبلغ أول رسالة عن قيامته المجيدة. وهل من فرصة يتمتع فيها الإنسان بمعاشرة المسيح, نظير المجال الذي يظفر به من يكون خادماً له: "حيث أكون هناك أيضاً يكون خادمي"؟

(ب) أخوة التلاميذ للمسيح: "إلى أخوتي". قبلاً سماهم "عبيداً", ودعاهم "أحباء", وكأنه رأى أن هذين اللقبين غير كافيين, فجاد عليهم بلقب جديد ممتاز: "أخوة" – دلالة على متانة الاتحاد الروحي الكائن بينه وبينهم.

(ج) امتياز بنوة المسيح بنوة التلاميذ: "وقولي لهم: إني أصعد". لم يقل المسيح في رسالته لمريم: "قولي لأخوتي إني قمت", بل "إني أصعد". وكأن القيامة كانت عربون الصعود, أو هي الخطوة التمهيدية التي تكملت بالصعود. هذا دليل على أن الصعود عمليته تمت تدريجياً في خطوات متتابعة, فكانت القيامة أولى هذه الخطوات. وكان انطلاق المسيح إلى السماء خاتمة هذه الخطوات. ومن الأمور التي تستدعي دقة الملاحظة, أن المسيح لم يشرك التلاميذ معه في صلته بالآب, بل جعل بنوته للآب, متميزة وممتازة عن بنوتهم هم, فقال: "إلى أبي وأبيكم", لا "إلى أبينا". لأن بنوته للآب, تمتاز عن بنوة المؤمنين: في النوع, والرتبة, والطبيعة. فالمسيح هو الابن, بحق طبيعي, لكن التلاميذ وسائر المؤمنين هم أبناء بالتبني.

قال المسيح: "إلهي", باعتبار كونه "ابن الإنسان المتجسد" لأجل خلاص البشر – حتى في هذه النسبة أيضاً يمتاز الفادي عن البشر.

١٨فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتِ التّلاَمِيذَ أَنَّهَا رَأَتِ الرَّبَّ وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا هَذَا. ١٩وَلَمَّا كَانَتْ

عدد ١٨. (ب) مريم تبلغ البشرى إلى التلاميذ: "فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا". هذه أول بشرى في تاريخ كنيسة العهد الجديد, بل هذه هي البشارة الدائمة التي ينبغي أن ينادي بها كل فرد, بناء على اختباره الخاص: "رأيت الرب".

إن قول البشير: "فجاءت مريم وأخبرت" – كما ورد في الأصل – يفيد أن مريم حالما رجعت من القبر, بدأت تلهج بخبر القيامة. وهكذا يكافئ الرب منتظريه. فقد بقيت مريم عند الصليب, وبكرت عند القبر, فتمتعت ببركة الوعد القائل: "الذين يبكرون إلي يجدونني".

إن في هذا برهاناً ضمنياً على صدق البشيرين, وإلا لقالوا إن أول من رأى الرب, هو بطرس "الصخرة", أو مريم العذراء "أم المخلص", لا مريم المجدلية "التي أخرج منها الرب سبعة شياطين".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

- ب – ظهور المسيح للتلاميذ في غياب توما (٢٠: ١٩ – ٢٣).

في هذه المرة عالج المسيح خوف تلاميذه, مثلما كافأ في ظهوره السابق إيمان مريم (٢٠: ١١ – ١٨). في تلك المرة ظهر المسيح لتلاميذه في الصباح. وفي هذه المرة, في المساء. الظهور السابق كان لفرد. وهذا, لجماعة, ذلك الظهور كان في الخلاء عند القبر, وهذا في المدينة أورشليم, وفي غرفة خاصة.

عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهُوَ أَوَّلُ الأُسْبُوعِ وَكَانَتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ

ينقسم هذا الفصل إلى قسمين: (١) خوف التلاميذ (٢٠: ١٩ (أ)), (٢) ظهور المسيح المقام وعطاياه لتلاميذه (٢٠: ١٩ (ب) – ٢٣).

عدد ١٩ (أ). (١) خوف التلاميذ: "ولما كانت عشية ذلك اليوم" – وهو أول الأسبوع – "وكانت البواب مغلقة, حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود". يضع البشير أهمية خاصة على "ذلك اليوم" لأنه صار يوم الرجاء للرسل وللكنيسة. فكان من المناسب جداً أن يقع في أول الأسبوع, لينشر نور رجائه المقدس, في أرجاء سائر أيام الأسبوع. فإذا كانت الباكورة مقدسة, تقدست كل الأثمار.

"ذلك اليوم", هو يوم الأيام! فيه تحررت قلوب مستعبدة. لأن فيه استقرت حمامة الرجاء في القلوب التي طار منها عصور الأمل يوم الجمعة الحزينة. إن "ذلك اليوم" شمس بالنسبة لسائر الأيام, وما هي إلا كواكبه, لأن كل أنوارها مستمدة من نور "يوم الأيام". فلا عجب إذا صار هو سبت المسيحية الجديد. فيه قام المسيح. وفي مثله ظهر لتلاميذه في علية أورشليم. وفي مثله ظهر أيضاً لتلاميذه على شاطئ بحر طبرية, كما يعتقد معظم المفسرين.

"ولما كانت عشية ذلك اليوم" – نحو الساعة الثامنة مساء – "وهو أول الأسبوع" – وكان تلميذا عمواس قد رجعا إلى أورشليم, وأخبار القيامة قد انتشرت ي المدينة, خاف التلاميذ من أن يلحقهم أذى من رؤساء اليهود,

جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسَطِ وَقَالَ لَهُمْ:

الذين تبرعوا لهم بتهمة سرقة جسد المسيح, قبل قيامته بثلاثة أيام (متى ٢٧: ٦٣ و٦٤). ومن يدري ماذا يفعلون بهم الآن؟ لذا خلوا إلى بعضهم البعض في علية أورشليم, وأغلقوا غرفتهم. خطأ ما أكبره! فإنهم خافوا في الوقت الذي كان ينبغي أن يتذرعوا فيه بشجاعة دونها شجاعة الأسود.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٢) ظهور المسيح المقام وعطاياه لتلاميذه (٢٠: ١٩ (ب) – ٢٣).

عدد ١٩(ب). ظهور المسيح في الوسط: "جاء يسوع ووقف في الوسط". إننا لا نشاطر كلفن رأيه القائل إن المسيح فتح الأبواب من غير أن يدري به التلاميذ. لأن الأبواب كانت مغلقة الإحكام بسبب خوف التلاميذ من اليهود. فمع أن جسد المسيح, بعد القيامة, كان جسداً حقيقياً, إلا أنه يختلف في أشياء كثيرة عن جسده قبل القيامة. والظاهر أن المخلص كان يجتاز في لحظة واحدة من مكان إلى آخر, وأن تلاميذه كانوا مراراً يرونه, ويتحادثون معه, ولا يميزونه, إلا متى أراد هو أن يظهر ذاته لهم. المسيح كان قبل موته, ظاهراً بجسده إلا في الأوقات التي أراد أن يختفي به فيها. لكنه بعد القيامة كان مختفياً بجسده, إلا في الأوقات التي أراد أن يظهر به فيها.

عدد ١٩ (ج) – ٢١ (أ). الهبة الأولى – السلام. حالما ظهر المسيح لتلاميذه, أعطاهم سلاماً فياضاً – سلام الماضي والحاضر – سلام الغفران واليقين "وقال لهم سلام لكم" (١٩ ج). لم تكن تحية جوفاء, هذه التي حيا بها المسيح المقام تلاميذه. لكنها تحية غنية, محملة بسلامه العميق القلبي, الذي

«سلاَمٌ لَكُمْ». ٢٠وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ فَفَرِحَ التّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ. ٢١فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «سلاَمٌ لَكُمْ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ

يبدد مخاوف الماضي وشكوك الحاضر. هذا هو سلام الغفران, الذي ستر به المسيح تقصيرات التلاميذ وجبنهم (راجع تفسير ١٤: ٢٧).

عدد ٢٠. (أ) ضمان السلام وحجة دوامه:

"سلام لكم ... ولما قال هذا أراهم يديه وجنيه". بذلك تأكد التلاميذ أن المسيح قام حقاً. لأنهم إذ رأوا يديه وجنبه تبينوا فيها آثار المسامير والحربة "ففرحوا إذ رأوا الرب", لأنهم تحققوا أنه "هو الرب". إن السلام الذي قدمه المسيح لتلاميذه قد اشتراه لهم بصليبه, فاليدان المثقوبتان, والجنب المطعون, هي الوثيقة الحية التي خطها المسيح بدمائه, وقدمها للتلاميذ كحجة خالدة, وضمان يقيني لسلامه. قال ستيوبتز للوثر: "تأمل باستمرار في جروح المسيح, فهي ختم الفداء, وهي ضمان السلام الذي هو وليد الفداء".

عدد ٢١. (ب) سلام المستقبل – سلام الخدمة: "فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا". بعد أن طمأن المسيح تلاميذه بسلام الماضي, وملأ قلبهم يقيناً بسلام الحاضر, أراد أن يعدهم لمسئوليات المستقبل, باعتبار كونهم سله في العالم, فوهبهم أيضاً سلام المستقبل. لأن السلام هو ترياق الماضي, وعلاج الحاضر, وقوة المستقبل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الهبة الثانية: شرف الكرازة باسم المسيح: "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا". مع أن رسالة الرسل ليست على طراز رسالة المسيح – لا: (١) من

أُرْسِلُكُمْ أَنَا». ٢٢وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ:

حيث الزمن – لأن المسيح أرسل منذ الأزل, لكن التلاميذ أرسلوا في وقت معين. ولا: (٢) من حيث الرتبة, لأن المسيح رسول الآب الأوحد على رتبة لا يدانيه فيها الرسل. إلا أن التشابه الذي بين الرسالتين, كائن في الاسم, والسلطان. فكما أن لمسيح جاء إلى العالم حاملاً اسم الآب, ومتقلداً سلطانه, كذلك انتشر الرسل في العالم حاملين اسم المسيح, ومتقلدين سلطانه.

عدد ٢٢. الهبة الثالثة – عطية الروح القدس: "ولما قال هذا, نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس" – هذا هو "رأسمال" التلاميذ في الخدمة – بل هذا هو ضمان نجاحهم فيها – الروح القدس. فكما أن قيامة المسيح تعتبر عربوناً لصعوده, كذلك يعتبر قبول التلاميذ عطية الروح القدس من المسيح المقام عربوناً لنوالهم ملء الروح القدس من المسيح الممجد يوم الخمسين.

"قال لهم سلام لكم ... ولما قال هذا أراهم يديه ..."

"قال لهم أرسلكم أنا ... ولما قال هذا نفخ, وقال لهم اقبلوا الروح"

تقع هذه العبارات في أربعة مقاطع – تسير في صفين متوازيين. فالمقطع الأول, يتمشى مع المقطع الثالث, مثلما يسير المقطع الثاني جنباً إلى جنب مع الرابع. وكما أن المقطع الثاني هو ضمان الأول وحجته, كذلك الرابع, ضمان الثالث وحجته.

هبة السلام: " ... قال لهم سلام لكم ...".

ضمانها وحجة دوامها: "ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه".

«اَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. ٢٣مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ

مهمة الكرازة: " .... كما أرسلني الآب أرسلكم أنا".

ضمانها وحجة نجاحها: "ولما قال هذا وقال لهم أقبلوا الروح".

"نفخ وقال لهم([٢]) اقبلوا([٣]) الروح القدس". يذكرنا هذا القول, بذاك الذي ورد في غرة سفر التكوين:"وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة" (تك ٢: ٧). هذه مرة أخرى يلتقي فيها يوحنا البشير, كاتب بشارة الخليقة الجديدة, بموسى كاتب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سفر تكوين الخليقة الأولى (راجع يوحنا ١: ١). فعندما هيأ الله هيكل الإنسان الأول, نفخ في أنفه نسمة الحياة الطبيعية. وكذلك عندما هيأ المسيح قادة كنيسته المجيدة, نفخ فيهم نسمة روحه الأقدس. قال أغسطينوس: "إن المسيح إذ نفخ فيهم وقال "اقبلوا الروح القدس" برهن على أن الروح القدس, ليس روح الآب فقط, بل روحه هو أيضاً".

عدد ٢٣. الهبة الرابعة: السلطان المترتب على نوال الروح القدس

"من غفرتم خطاياه تغفر له, ومن أمسكتم خطاياه أمسكت". إن كل هبة من الهبات الأربع التي منحها المسيح المقام لتلاميذه, مترتبة على الهبة

تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ

السابقة له, وممهدة للهبة اللاحقة بها. ومن الأهمية بمكان عظيم, أن نذكر:

(١) أنه واضح من لوقا ٢٤: ٣٣, أن هذه الجماعة الملتئمة, لم تكن قاصرة على الرسل, بل كانت تضم معهم قوماً آخرين من المؤمنين بما فيهم تلميذي عمواس (لوقا ٢٤: ٣). فهبات المسيح المتضمنة في هذا الفصل المجيد, ليست محتكرة للرسل, لكنها تشمل أيضاً كل الجماعة التي تتألف منها كنيسة المسيح على الأرض. (٢) أن هذا السلطان ليس وقفاً على فرد من الأفراد, مهما سمت رتبته, لكنه من حق كل الجماعة. (٣) أن الحل والعقد المذكورين في هذه الآية, ليسا من الأحكام التعسفية التي يصدرها من يشاء, حسبما يشاء, بل هما من النتائج المترتبة على الكرازة بكلمة البشارة. فالكلمة نفسها هي خير حكم لمن يقبلونها, وعلى من يرفضونها. أو بعبارة أخرى: إن خير حكم للإنسان, أو عليه, هو الإنسان نفسه – فإن قبل كلمة البشارة تمتع بنعمة الغفران, وإن رفضها صار هو الحاكم على نفسه بأنه ليس أهلاً لهذه النعمة. وخير مثال لذلك, ما جاهر به بولس وبرنابا لليهود الذين لم يقبلوا كلمة الإنجيل "كان يجب أن تكلموا أنتم بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية, هو ذا نتوجه إلى الأمم" (أعمال ١٣: ٤٦). وما إمساك الخطايا إلا نتيجة طبيعية لعدم غفرانها.

(٣) أن هذا السلطان المسلم للرسل ولجماعة المؤمنين, هو سلطان الإعلان, والتصريح. لا سلطان الحكم والقضاء. فالمسيح وحده يغفر

خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ». ٢٤أَمَّا تُومَا

الخطايا لكن خدامه يصرحون بأن هذا الغفران قد تم أو لم يتم – بناء على قبول الإنسان كلمة الخلاص, أو رفضه إياها, فسلطان الكنيسة في الروحيات, مماثل لسلطان كهنة اليهود في أمر المصاب بالبرص قديماً, حين كانوا يحكمون بطهارة من شفي من دائه, وبنجاسة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من لم يشفى منه بعد, ولكن لم يكن في سلطانهم أن يشفوا أحداً من البرص ولا أن يضربوا به أحداً. وهو أيضاً على مثال السلطان الذي وهبه الله لإرميا (إرميا ١: ١٠). هو إذاً سلطان متعلق بإعلان الغفران لا بالغفران ذاته. (٥) وإذا سلمنا جدلاً, مع القائلين بأن هذا السلطان محتكر للرسل, فما هذا السلطان الذي خوله المسيح إياهم, حين أوحى إليهم بروحه الأقدس أن يضعوا دستور الإيمان في رسائلهم. فكل ما قالوه في هذا الباب صار حكماً لا ينقض ولا يبرم.

(ج) ظهور المسيح لتلاميذ وتوما معهم (٣٠: ٢٤-٢٩).

"فتيلة مدخنة لا يطفئ, وقصبة مرضوضة لا يقصف, حتى يخرج الحق إلى النصرة" – هذا هو الوصف البليغ الذي خلعه زعيم أنبياء العهد القديم على المسيح. وهو نفس الوصف الذي يلابس المسيح في هذا الظرف الذي نحن بصدده الآن. فقد حدثنا يوحنا في الأعداد السابقة, عن ظهور المسيح لتلاميذه في غيبة اثنين منهم – أحدهما: يهوذا الذي ذهب قتيل اليأس, بعد أن ذّهبت فيه كل وسائل الإسعاف أدراج الرياح. وثانيهما: توما الذي "يقال له "التوأم" الذي كان على شفير جرف عدم الإيمان, فأدركه الراعي الصالح, وانتشله قبل أن يهوي به الجرف إلى حضيض عدم الإيمان, والهلاك.

أَحَدُ الِاثْنَيْ عَشَرَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ

في هذا الفصل, نرى ثلاث صور لتوما:(١) توما مصاباً بداء الشك (٢: ٢٤ و٢٥). (٢) توما بين يدي طبيب الأرواح يستأصل منه داء الشك (٢٠: ٢٦ و٢٧). (٣) توما يبرأ من الشك ويجاهد بإيمانه (٢٠: ٢٨). وفي ختام هذا الفصل نرى أرقى ذروة في درجات الإيمان (٢٠: ٢٩).

(١) الصورة الأولى: توما مصاباً بداء الشك (٢٠: ٢٤ و٢٥).

عدد ٢٤. (١) توما المتخلف عن جماعة الرسل: "أما توما واحد من الإثني عشر, الذي يقال له التوأم, فلم يكن معهم حين جاء يسوع". لسنا ندري هل نلوم توما, أو نحمده على شكه, الذي صار في ترتيب العناية سبباً في تثبيت حقيقة القيامة في أذهان الأكثرين على ممر الدهور. لأن هذا الشك أضحى سبباً في إضافة براهين جديدة إلى قائمة البراهين المؤيدة لحقيقة القيامة. إننا نشكر رب توما, الذي أخرج لنا من شك توما الجافي, حلاوة لحلقنا.

مع أن التلاميذ صار عددهم الآن أحد عشر – بعد وفاة يهوذا – إلا أن يوحنا لا يزال يذكرهم بعددهم الذي ذكرهم به في ٦: ٦٧, على اعتبار أن مكان يهوذا لم يخل إلا إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حين. فكأن يوحنا رأى في عددهم الكامل, معنى رمزياً إلى أسباط كنيسة العهد الجديد المكملين.

"أما توما الذي يقال له التوأم" – سبقنا فأوضحنا المراد بكلمة: "توأم" في شرح ١١: ١٦, فاطلبه هناك – "فلم يكن معهم حين جاء يسوع". ما أعظم الخير الذي يحرم الإنسان نفسه منه, بتخلفه عن اجتماع القديسين. فمهما يكن محضر القديسين حقيراً في مظهره, إلا أن المرء يعجز

فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ

عن أن يقدر مبلغ الخسارة التي تلحق بمن "يتركون اجتماعهم كما لقوم عادة" لأنه في ساعة لا تخطر على بال أحد, يظهر المخلص ذاته لجماعة المؤمنين. فبسبب تخلف توما عن اجتماع الرسل في أحد القيامة, حرم نفسه من التملي من وجه مخلصه, ورؤية يديه وجنبه. وبسبب هذا الحرمان, أوقع نفسه في لج الشك أسبوعاً أو بعض أسبوع, وأعطى داء الشك فرصة, حتى تغلغل في دمه, وكاد يؤدي بحياته الروحية. ولئن سكت البشير عن أن يذكر صراحة علة تخلف توما عن اجتماع الرسل إلا أننا نستطيع أن نستنتج ضمناً, أن توما كان عصبي المزاج يعيش بعواطفه, وينظر دائماً إلى الجانب المظلم في الحياة. فعندما كان سيده ذاهباً إلى بيت عنيا, ليقيم لعازر من الأموات, لم يستطع توما أن يفكر في القيامة, بل فكر في الموت. وقال للتلاميذ رفقائه "لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه" (١١: ١٦). وفي مناسبة أخرى, ما كاد يستمع لحديث المسيح مع تلاميذه عن علمهم "بالطريق" حتى قال ضجراً متبرماً: "لسنا نعلم أين تذهب, فكيف نقدر أن نعرف الطريق" (١٤: ٥).

إلى هذا الحد, كانت نظرة توما إلى الحياة قاتمة سوداء – هذا بينما كان المسيح معه بالجسد. فكم أمست نظرته إلى الحياة أشد سواداً بعد موت فاديه. ويكاد يكون من المحقق, أن موت المسيح كان صدمة قوية أصابت إيمان توما ورجاءه. ولعله كان يقول في نفسه, بعد موت المسيح مباشرة: "ألم

حِينَ جَاءَ يَسُوعُ. ٢٥فَقَالَ لَهُ التّلاَمِيذُ الآخَرُونَ: «قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ

أقل له مراراً وتكراراً أن لا يقف في طريق رؤساء اليهود؟ ولكن هذا ما حصل, فالذي تحذرين يا نفس قد وقع". أمام هذه الأفكار المظلمة القاتمة, شعر توما بمرارة في نفسه وبسببها أقصى نفسه عن حظيرة الرسل – ولو إلى حين. فلما ظهر لهم المخلص في أول أحد للقيامة: "لم يكن توما معهم". في هذه الآونة, كان توما "واحداً من الرسل", مع أنه لم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يكن معهم. بخلاف يهوذا الذي كان مع لرسل لكنه لم يكن منهم. ولو كان منهم لبقي معهم (١ يو ٢: ١٩).

عدد ٢٥. (ب) التلاميذ يخبرون توما بأنهم رأوا الرب "فقال له التلاميذ قد رأينا الرب". لاشك في أن التلاميذ أخبروه بتشككهم هم أيضاً في بدية الأمر, وكيف أن الرب دعاهم إلى أن يجسوه, وينظروا ليحققوا أن له جسداً حقيقياً (لو ٢٤: ٣٩ و٤٠).

(ج) توما يتسلح بنية عدم الإيمان: "فقال لهم إن لم أبصر في يديه أثر المسامير, وأضع إصبعي في اثر المسامير, وأضع يدي في جنبه لا أؤمن". كان من الممكن أن يصدق توما زملاءه الرسل, وهو يعهد فيهم الصدق. لكن ما سمعه منهم عن رؤيتهم جسد الرب, ولمسهم إياه, كان محرضاً له على أن يطلب هو الآخر نفس هذه العلامة. وزاد فأمعن في طلب ثلاث علامات – كل منها أقوى من سابقتها, وبدونها يأبى إلا أن يكون غير

وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ لاَ أُومِنْ».٢٦وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ

مؤمن: "إن لم أبصر" .... "إن لم أضع إصبعي" .... "إن لم أضع يدي ....". ليس عيب توما, أنه طلب هذه العلامات التي أتيح غيره من الرسل أن يتمتع بها أو ببعضها, لكن عيبه في تسلحه بنية عدم الإيمان. لأن النبرة في كلامه واقعة على عدم الإيمان لا على الإيمان. فبدلاً من أن يقول: "إن رأيت ولمست, آمنت", قال: "إن لم أر ... وإن لم أجس ... لا أؤمن". فكأنه كان إلى عدم الإيمان أقرب منه إلى الإيمان.

كان الظلام يحيط بكلمات توما من جميع الجهات إلا من جهة واحدة منيرة – هي تفكيره المتواصل في آلام سيده. وأن تلميذاً هذه حاله, لا بد وأن يرسو على مرفأ الإيمان بأمان.

(٢) الصور الثانية: توما بين يدي طبيب الأرواح يستأصل منه داء الشك (٢٠: ٢٦ و٢٧). لقد عالج طبيب الأرواح داء توما بوسيلتين: أولاهما – عامة: وهي ظهوره للرسل وتوما معهم. (عدد٢٦). والثانية – خاصة: وهي طلبه إلى توما أن يختبره بنفسه اختباراً حسياً, حسبما طلب (عدد ٢٧).

عدد ٢٦. (١) ظهور المسيح للتلاميذ وتوما معهم: "وبعد ثمانية أيام" – أي في الأحد التالي لأحد القيامة. قال البشير: "ثمانية أيام" – كعادة اليهود, في حسبان أول يوم وآخر يوم ضمن المدة التي يقصدونها.

قضى التلاميذ السبعة الأيام التي بعد أول يوم في الفصح, في أورشليم, كعادة اليهود, فصاروا في نهاية هذه المدة على وشك أن يتركوا أورشليم, ليرجعوا إلى محال إقامتهم في الجليل. ولكن كيف يمكنهم أن يغادروا عليتهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كَانَ تلاَمِيذُهُ أَيْضاً دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ وَوَقَفَ فِي الْوَسَطِ وَقَالَ:

المعهودة, في هذا اليوم التاريخي, المقدس, المعهود – يوم الأحد – الذي في غرة مثله من الأسبوع الماضي, قام سيدهم, وفي مسائه أظهر لهم ذاته. لذلك لم يبرحوا أورشليم في ذلك اليوم, توقعاً منهم أن يمن عليهم سيدهم بإظهاره ذاته لهم مرة أخرى. ولعل نفوسهم الشريفة, أبت عليهم أن يتركوا أورشليم في هذه الآونة وواحد منهم – توما – متخلف عن جماعتهم. وفي الغالب جداً, دعوا هذا الرسول يجتمع بهم في هذا اليوم علهم يفوزون وإياه, في هذه المرة أيضاً, بمثل ما فازوا به في الأحد الماضي. أما "راعي النفوس" الأعظم, فقد كان عند حسن ظن رسله به, فكافأ كل إنتظاراتهم فيه, وظهر لهم في هذه المرة أيضاً, ليزيدهم يقيناً على يقين, وليرد هذا الحمل الضائع إلى الحظيرة. هذه هي المرة الثالثة, التي أظهر فيها المسيح ذاته بعد القيامة, في سجل هذا الأصحاح. وهي السادسة بين جميع المرات التي في كل البشائر.

يستفاد من قول البشير: "كان التلاميذ أيضاً داخلاً", إنهم كانوا مجتمعين في ذات المكان الذي اجتمعوا فيه الأحد الماضي. إلا أن "خوفهم من اليهود", قد انتفى منهم في هذه المرة الثانية, لأن تيقنهم من قيامة سيدهم, انتزع من بين ضلوعهم قلوب الغزلان, ووضع مكانها قلوب الأسود.

"فجاء يسوع والأبواب مغلقة". ذكر البشير هذه العبارة, ليقرر لنا

«سلاَمٌ لَكُمْ». ٢٧ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي

أن المسيح دخل إلى مكان اجتماعهم بطريقة معجزية – "ووقف في الوسط وقال سلام لكم" – اطلب تفسير ٢٠: ١٩, حيث وردت هذه الكلمات بالذات.

عدد ٢٧. (ب) المسيح يدعو توما إلى أن يختبره بنفسه اختباراً حسياً: "ثم قال لتوما" – في هذه الأثناء, حانت من المسيح التفاتة إلى توما, بها مزق حجب الشكوك التي كان مدثراً بها هذا الرسول المستضعف, فانتشله الفادي من وهدة عدم الإيمان, مثلما انتشل بطرس من هاوية اليأس, بتلك النظرة التي أدمت قلبه واستدرت الدموع من عينيه (لوقا ٢٢: ٦٢), ثم مد يده المثقوبة إلى توما, وقال "هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي" – ثم كشف له عن جنبه المطعون, وقال: "وهات يدك وضعها في جنبي" – وهنا شعر توما المسكين, كأن طبيب الأرواح قد وضعه "على المشرحة", وسلط عليه أنواراً كشافة من علمه الكلي, فكانت هذه الأنوار أقوى من الراديوم, وأنفذ فعلاً من أشعة رتنجن. وما كان أشد غرابة توما عندما سمع فاديه يردد على مسمعه تلك الكلمات عينها, التي سبق توما فأفضى بها إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التلاميذ رفقائه. لا شك أنه أحس وقتئذ بمثل ذلك الإحساس, الذي ملأ قلب نثنائيل, حين أدرك أن المسيح عالم بماضيه وحاضره (١: ٤٨ و٤٩).

غير أن كلمات المسيح لتوما, لم تكن مجرد دعوة منه لذلك التلميذ, بأن يفحصه فحصاً حسياً, لكنها تحمل بين طياتها تعنيفاً وتلويماً, كما يظهر من

وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً». ٢٨أَجَابَ تُومَا: «رَبِّي وَإِلَهِي».

قوله له: "ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً", لأنه علم بالنية التي كان قد بيتها توما في قلبه, وتسلح بها – نية التشكك. ولو بقي هذا المسكين على هذه الحال, لقاده التشكك إلى عدم الإيمان. فكأنه كان على مفرق طريقين, بل كان عدم الإيمان أقرب منه إلى الإيمان. هذه, ولاشك, حالة شاذة. لأنه من الطبيعي أن يؤمن الإنسان, إلى أن يتبين سبباً لعدم الإيمان, لكن توما صمم على عدم الإيمان, ما لم يجد سبباً للإيمان. هذا إنسان سلبي.

عدد ٢٨. (٣) الصورة الثالثة: توما يبرأ من الشك. ويجاهر بإيمانه:

غالباً جداً, لم يجد توما داعياً إلى أن يلمس يدي المسيح ولا أن يضع يده في جنبه, بعد أن تحقق من كلامه له, أنه علاّم الغيوب. عندئذ لم يقتنع فقط بأن المسيح قام, بل أيقن أيضاً أن المسيح المقام هو "الرب الإله". هاتان الكلمتان, تقابلهما في العهد القديم كلمتا "يهوه الوهيم" – "السيد الرب" (إشعياء ٦١: ١). على أن توما لم يكتف بالقول إن المسيح رب وإله, بل أدخل نفسه في نسبة جديدة معه, فقال – موجهاً الكلام إلى المسيح بالذات: "ربي وإلهي"! هذه درجة ممتازة في الإيمان, تفوق كل الدرجات التي مررنا بها في هذه البشارة.

فكأن يوحنا البشير قد بلغ مدى بشارته عند هذا العدد. ومن العجيب أن الذي صرح بهذا الإيمان الممتاز, هو توما الذي طبع بطابع الشك – وهكذا يصير الآخرون أولين !

٢٩قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا

عدد ٢٩. أرقى ذرى الإيمان: "قال له يسوع: لأنك رأيتني يا توما, آمنت؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا". في هذا العدد يتجلى أمامنا أمران: أولهما - استفهام ممتزج بتعجب: "لأنك رأيتني يا توما آمنت"؟! جميل أن المسيح لم يعنف توما على كلمات التعبد التي وجهها إليه, كما أنه لم ينفر منها – هذا دليل على أن المسيح أعظم من ملاك, وإلا لاقتدى بملاك الرؤيا الذي عنف الرائي على عبادته له وقاله له: "لا تفعل ... اسجد لله" (رؤ ١٩: ١٠).

فضلاً عن هذا, فإن المسيح رحب بهذه العبادة التي قدمها له توما, وقبلها كحق له, لا ينازعه فيه أحد - هذا دليل قاطع على أن المسيح إله تام. وإن لم يكن إلها تاماًً لا يقبل العبادة التي لا يليق تقديمها إلا لله وحده!.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والأمر الثاني – هو الغبطة المذخرة لجميع المؤمنين على ممر الأجيال: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا" – هذا نصيب ممتاز, يفوق النصيب الذي تمتع به البشير نفسه لأنه آمن بعد أن رأى (٢٠: ٨). تذكرنا هذه الغبطة التي ميز بها المسيح المؤمنين من الرسل, بتلك الغبطة التي سبق فميز بها المؤمنين عمن تربطهم به صلة جسدية (لوقا ١١: ٢٧ و٢٨). إن توما هو الشخص الوحيد – في الرسل – الذي قدمت له فرصة التمتع بهذه الغبطة, لكنه تركها تمر من بين يديه, فأضحت من نصيبنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.

وهكذا يلتقي آخر هذه البشارة بأولها. في مقدمتها أسمعنا يوحنا كلمة

وَلَمْ يَرَوْا».٣٠وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. ٣١وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ

المؤمن الواثق: "كان الكلمة الله .... والكلمة صار جسداً" (١: ١ و١٤), وعند ختامها أسمعنا هتاف من كان شاكاً فآمن: "ربي وإلهي"!

غاية يوحنا من كتابة بشارته, وغاية غايته (٢: ٣٠ و٣١).

في هذين العددين, أبان يوحنا البشير غايته من كتابة بشارته, بكلمتين – أولاهما: سلبية (عدد ٣٠), والثانية: إيجابية (عدد ٣١).

عدد ٣٠. (أ) غاية يوحنا من كتابة بشارته – الجانب السلبي: "وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب" – لم يقصد يوحنا أن يلم في بشارته بكل المعجزات التي صنعها المسيح قدام تلاميذه, ولكنه تخير منها سبع معجزات –والسبعة عدد كامل – كنموذج يساعده على الوصول إلى غرضه. ولقد أجاد في ترتيب هذه المعجزات ترتيباً تدريجياً منطقياً, ثم ختمها بمعجزة المعجزات – قيامة المسيح من الأموات.

عدد ٣١. (ب) غاية يوحنا من كتابة بشارته – الجانب الإيجابي: "وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا" :(١) "أن يسوع هو المسيح" رجاء اليهود, ومشتهى الأمم, الذي تمت فيه نبوات العهد القديم وتكملت فيه رموزه : (٢) أن يسوع المسيح هو "ابن الله", و"كلمة الله" المتجسد. فهو ليس نبياً على طراز جديد نظير موسى, وإيليا, وداود. بل هو "الله الذي ظهر في

وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ.

الجسد". ولو لم يكن المسيح ابن الله لما أمكن أن يكون هو مسيح إسرائيل أو مسيح الله, فمسيحيته قائمة على بنوته, وبنوته تدعم مسيحيته. هو الإنسان الكامل لأنه هو الإله الحق – "هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١ يو ٥: ٢٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن لهذه الغاية التعليمية, غاية عملية – هي:" لكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه". فمع أنه يكفي أن يكون الإيمان غاية في ذاته, إلا أن يوحنا جعله أيضاً وسيلة لغاية عملية – نوال "الحي الأبدي". فليست غاية يوحنا عقائدية, فحسب, بل هي أيضاً أخلاقية عملية.

إن هذه الحياة الأبدية مرتبطة ارتباطاً حياً "باسمه".

وهكذا نسمع في خاتمة هذه البشارة صدى صوت بدايتها:

"فيه كانت الحياة ... باسمه" (١: ٤ و١٢) - هذا هو الصوت

"لكي تكون لكم حياة باسمه" (٢٠: ٣١) – هذا هو الصدى

---

(١) لقبت مريم بـ"المجدلية", نسبة إلى بلدها "مجدل" وهي المدينة التي آتى إلى تخومها المسيح بعدما أشبع الأربعة آلاف, في الجنوب الشرقي من بحر الجليل (متى ١٥: ٣٩) ويعتقد الأكثرون أنها "المجدل" الحالية, التي تبعد نحو ساعة إلى شمال طبرية,

(١) جاء في المدراش اليهودي, أنه عندما وضع موسى يده على يشوع, قال الله: في هذا الدهر فقط – أي في العصر اليهودي – ينال الأنبياء فقط موهبة النبوءة, ولكن في الدهر الآتي - أي في العصر المسيحي – يكون كل بني إسرائيل أنبياء.

(٢) الكلمة التي ترجمت "اقبلوا" هي نفس الكلمة التي استعملها المسيح في العشاء الرباني حين قال "خذوا" (متى ٢٦: ٢٦). زكما أن الخبز يرمز إلى جسد المسيح , كذلك ترمز هذه النفخة إلى الروح القدس.

تتمة البشارة – على شاطئ بحيرة الجليل

اَلأَصْحَاحُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

في قلب فلسطين, تلك الأرض المقدسة, حيث تحل الطبيعة سافرة بمجدها وجلالها, تقع بحيرة طبرية, التي صارت الآن محط رحال الطيارات التي تجتاز الأجواء من الغرب إلى الشرق, ومن الشرق إلى الغرب, مثلما كانت شواطئها قديماً مدرسة خالدة تعلم فيها رسل المسيح, الذين وصلوا الشرق بالغرب, والغرب بالشرق بكلمة بشارتهم. هذه هي البحيرة الهادئة الجميلة, ذات الماء الأزرق الصافي, التي أصغت أمواجها إلى الأحاديث العذبة التي سمعها التلاميذ من فم ذاك "الذي صوته كصوت مياه كثيرة" (رؤ ١: ١٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن اجتماع المسيح بتلاميذه في تلك البقعة الجميلة, لم يأت عرضاً. فلقد سبق وأنبأ تلاميذه بهذا اللقاء: "كلكم تشكون في في هذه الليلة ...... ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل" (متى ٣٦: ٣٢).

على إحدى ضفاف هذه البحيرة, تقع المدينة "كفرناحوم", التي اختارها المسيح وطناً ثانياً له, فشهدت هذه البحيرة آيات كثيرة صنعها مخلصنا في أيام تجسده على الأرض. فكان من الطبيعي أن تشهد أيضاً هذه البحيرة عينها, فصلاً من حياة فادينا قبيل صعوده إلى المجد.

إن نسبة هذا الفصل الختامي, إلى الأصحاحات السابقة في هذه البشارة, كنسبة المقدمة الافتتاحية (١: ١- ١٨) إلى الأصحاحات التي تليها. في المقدمة الافتتاحية, رأينا المسيح "كلمة الله المتجسد" كائناً, حياً, عاملاً منذ الأزل, قبل التجسد. وفي هذه الخاتمة, نرى المسيح المقام عاملاً في كنيسته, ومرتقياً إلى العرش, صائراً ملكاً إلى الأبد, ومرتباً مستقبل خدامه.

إن هذا الفصل الذي اختتم به يوحنا بشارته, مطبوع بذات الطابع الذي طبعت به سائر أجزاء البشارة. ومكتوب بنس الأسلوب الذي كتبت به, يتضمن عدداً وفيراً من ذات العبارات, التي يتميز بها قلم يوحنا البشير.

فمن هذه العبارات الممتازة: (١) كلمة "أظهر" – هذه لم ترد بصيغة المبني للمعلوم – في كل الإنجيل – إلا في كتابات يوحنا البشير وحده. (قابل هذا بما جاء في ١: ٣١ و٣: ٢١ و٩: ٣ و٢١: ١٤ و١ يو ١: ٢ و٢: ١٩ و٢٨ و٣: ٢ و٥ و٨ و٤: ٩). (٢) "بحيرة طبرية" – هذا هو الاسم الخاص الذي أطلقه يوحنا البشير وحده على هذه البحيرة (انظر أيضاً ٦: ١), مع العلم أن متى يسميها "بحر الجليل" (متى ٤: ١٨), ولوقا يدعوها: "بحيرة جنيسارت" (لو ٥: ١). (٣) كلمة: "هكذا" (٢١: ١). (٤) وصف توما الرسول (قابل ١١: ١٦ و١٤: ٥ و٢٠: ٢٤ بما جاء في ٢١: ٤). (٥) ذكر اسم نثنائيل (قابل ١: ٤٥ بما جاء في ٢١: ٢). (٦) حذف اسمي ابني زبدى – على اعتبار أن يوحنا البشير أحدهما (٢١: ٣). (٧) كلمة: "أتصيد" (قابل ٢١: ٣ و١٠ بما جاء في ٧: ٣٠ و٣٢ و٤٤ و٨: ٢٠ و١٠: ٣٩ و١١: ٥٧ ورؤ ١٩: ٢٠). (٨) كلمة: "جمراً" (قابل ٢١: ٩ بما جاء في ١٨: ١٨). (٩) تلقيب سمعان بطرس بـ"ابن يونا" (قابل ٢١: ١٥ و١٦ و١٧ بما جاء في ١: ٤٢). (١٠) كلمتا: "الحق الحق" (قابل ٢١: ١٨ بما جاء في ١: ٥١). (١١) العبارة: "قال هذا مشيراً" (قابل ٢١: ١٩ بما جاء في ١٢: ٣٣ و١٨: ٣٢).

١بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضاً يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلاَمِيذِ عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(١٢) كلمة: "يبقى" (قابل ٢١: ٢٢ بما جاء في ١: ٣٢ و٣٣ و٣٩ و٤٠ و٢: ١٢ و٣: ٣٦ و٤: ٤٠).

ينقسم هذا الفصل إلى قسمين رئيسيين, أولهما: المسيح وتلاميذه كمجموع (٢١: ١ – ١٤). ثانيهما: المسيح واثنان من تلاميذه (٢١: ١٥ – ٢٣). خاتمة تاريخية (٢١: ٢٤ و٢٥). في القسم الأول نرى صورة رمزية لبرنامج عمل الكنيسة كمجموع, وفي الثاني نرى صورة لبرنامج اثنين من أفراد خدام الكنيسة.

أولاً: المسيح وسبعة من تلاميذه (٢١: ١ – ١٤). في هذا القسم نرى التلاميذ في ثلاث حالات: (أ) الفشل الذي حل بهم وهم يعملون من تلقاء ذواتهم (٢١: ١ – ٢). (ب) النجاح الذي أصابهم وهم يعملون طبق إرشاد المخلص (٢١: ٤ – ١١). (ج) الشبع الذي نالوه من المسيح المقام (٢١: ١٢ – ١٤).

(أ) الفشل الذي حل بالتلاميذ وهم يعملون من تلقاء ذواتهم (٢١: ١ – ٣). انقضت أيام الفصح, فأقفل التلاميذ راجعين إلى الجليل, فاجتمع سبعة منهم على بحر طبرية. وأن في اجتماعهم معاً على هذه الصورة, لأكبر دليل على أن قيامة المسيح قد وحدت صفوفهم, بعد أن شتت الصلب شملهم.

عدد ١. (١) ظهور المسيح للتلاميذ على بحر طبرية: "بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا". ما أشبه هذه العبارة بحلقة اتصال بين ظهور المسيح لتلاميذه في أورشليم, وظهوره لهم في الجليل. في هذا تعبير رواية يوحنا جامعة لما بين طرفي رواية متى – عن ظهور المسيح في

ظَهَرَ هَكَذَا: ٢كَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ وَنَثَنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ وَابْنَا زَبْدِي وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تلاَمِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ.

الجليل, ورواية لوقا – عن ظهوره للتلاميذ في اليهودية. فنحن مدينون ليوحنا بهذه الحقيقة – وهي: أن المسيح ظهر لتلاميذه في كلا اليهودية والجليل.

عدد ٢. (٢) السبعة الذين ظهر لهم يسوع: "كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم, ونثنائيل الذي من قانا الجليل, وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم". هؤلاء سبعة تلاميذ – والسبعة عدد كامل – وقد ذكر منهم البشير, أسماء ثلاثة تصريحاً – وهم: "سمعان وتوما, ونثنائيل". واثنين تلميحاً: "ابنا زبدى", اللذان تحاشى البشير ذكر اسميهما, تواضعاً منه, لأنه أحدهما. واثنين, وصفهما بالقول "من تلاميذه" – ومن المعقول أنهما كانا([١]) اندراوس وفيلبس, - لأن قائمة الأسماء التي في غرة هذا الأصحاح, تذكرنا بتلك القائمة التي وردت عند ختام الأصحاح الأول, فهي تتضمن ذات الأسماء التي في تلك, مع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إضافة اسمي توما ويعقوب مما جعل عدد الرسل رمزاً إلى كمال الخدمة في الكنيسة المسيحية.

أولاً نجد وضع البشير, اسم "سمعان بطرس" واسم توما" جنباً إلى جنب, مغزى خاصاً – وهو أن هذا المشهد جمع التلميذ الذي أنكر سيده, بذاك الذي شك فيه, وضمهما, على رغم ضعفهما, إلى صفوف الرسل؟

٣قَالَ لَهُمْ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنَا أَذْهَبُ لأَتَصَيَّدَ». قَالُوا لَهُ: «نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضاً مَعَكَ». فَخَرَجُوا وَدَخَلُوا

عدد ٣. (٣) التلاميذ يقضون ليلتهم في الصيد بغير جدوى:

"قال لهم سمعان ...". في هذا العدد تتجلى أمامنا ثلاث حقائق رئيسية (أ) اقتراح بطرس: "قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد". فمثلما قضى التلاميذ الفترة التي بين دعوتهم الأولى, وبين بدء خدمتهم الجهرية, في الصيد, كذلك أرادوا أن يقضوا الفترة بين رجوعهم إلى الجليل, وتسلمهم مهام خدمتهم, في نفس ذلك العمل – "الصيد". فليس في قول بطرس "أنا أذهب لأتصيد" ما يفيد أنه انحرف عن جادة الخدمة, وإنما قصد أن يملأ يده بعمل شريف ليقتات منه – والمسيح يظهر نفسه دائماً للعاملين الشرفاء – حتى تحين ساعة تسلمه مقاليد الأعمال. ومن العجيب, أن بطرس, على رغم إنكاره لسيده, لم يزل محتفظاً بمقام الزعامة بين الرسل, لأنه كان غالباً أكبرهم سناً, وأكثرهم إقداماً, وأسبقهم إلى الكلام.

(ب) الرسل يقتدون ببطرس: "قالوا له نذهب نحن أيضاً معك". مثلما اقتدى يوحنا ببطرس في الدخول إلى القبر (٢٠: ١٨), كذلك أيضاً, اقتدى سائر الرسل ببطرس في الانصراف إلى الصيد: "نذهب نحن أيضاً معك".

(ج) فشل بطرس والتلاميذ في تلك الليلة: "فخرجوا ودخلوا السفينة لوقت. وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً". غالباً جداً انتظر التلاميذ, حتى انقضى السبت اليهودي, وما أن غربت شمسه, حتى "خرجوا" من بيوتهم

السَّفِينَةَ لِلْوَقْتِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يُمْسِكُوا شَيْئاً. ٤وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ

ليتصيدوا في تلك البحيرة – "ودخلوا السفينة" – والظاهر أنها هي سفينة بطرس, التي كان قد تركها منذ أن اتبع المسيح (لو ٥: ١١), ولما دعته الحاجة إليها, استردها ممن باعها له أو استودعها عنده – "وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً – لمزيد الأسف. هل ذكرهم فشلهم هذا, بذلك الفشل الذي صادفهم قبل أن يتبعوا المسيح؟ (لو ٥: ٥). أو أنهم كانوا متعبين لدرجة لم يستطيعوا فيها أن يفكروا في شيء, سوى شباكهم الخاوية؟ يلاحظ – في اللغة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأصلية – أن يوحنا وضع تنبيراً خاصاً على قوله: "تلك الليلة", على اعتبار أنها كانت ليلة خاصة, فتميزت بهذا الفشل الغير العادي. وكأنه أراد أن يقول: "تلك الليلة الموعودة". هذا فشل هو نعم النجاح. فلو كان التلاميذ قد نجحوا في تلك الليلة, لوجدوا من تشجيعهم, تحريضاً لهم على التمادي في الصيد. لكن العناية الإلهية جعلت فشلهم في صيد الأسماك من بحيرة طبرية, توطئة وعربوناً لنجاحهم المقبل في صيد نفوس من بحر الحياة. ولأن فشلاً يرتبه لنا الله, خير من نجاح ندبره نحن لأنفسنا.

(ب) النجاح الذي أصابهم وهم يعملون بإرشاد المخلص (٢١: ٣ – ١١)

عدد ٤. (١) الضيف المجهول: "لما كان الصبح ...". ظل التلاميذ معذبين في تلك الليلة, على رغم كون الليل بطبيعته من أنسب الأوقات للصيد (لو ٥: ٦). ولعلهم أن مهنة الصيد تركتهم, بعد أن تركوها هم. وفيما هم على هذه الحال, وإذا بالفجر يطوي رداءه الأخير ليفر من وجه

وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِئِ. وَلَكِنَّ التّلاَمِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ. ٥فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً؟».

النهار. فما كادت تشرق شمس الطبيعة من وراء الأفق, حتى أشرق "شمس البر" من فوق الشاطئ, وأشرف عليهم: فالتلاميذ في السفينة ..... والمسيح على الشاطئ! شتان ما بين موقفهم وموقفه – هم في سفينتهم الصغيرة تتقاذفها وإياهم الأمواج, وتعبث بهم المخاوف طوال الليل وهو على الشاطئ عند إشراق الصباح, حيث الثبات, الاطمئنان, والنور. ألا نجد في موقفهم, رمزاً للمتاعب التي تحل بخدام الكنيسة وهم يعمون في بحر هذا الوجود أثناء ليل الحياة؟ أو ليس مزقه هو, رمزاً لمقام الثقة, والاطمئنان, والمجد, الذي يتمتع به بعد أن أكمل عمل الفداء؟ أولاً يذكرنا موقفه هنا وهو على الشاطئ منتظراً أن يعزي تلاميذه ويشجعهم بذاك الموقف العجيب, الذي رآه فيه استفانوس قائماً لنجدته واستقباله قبل موته؟ "ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع". وكم من المرات يقف المسيح على شاطئ بحر حياتنا, ونحن عن معرفته غافلون.

عدد . (٢) السائل المعطي: "فقال لهم يسوع يا غلمان". ناداهم الفادي بقوله لهم: "يا غلمان" تحبباً منه وتودداً. وغالباً كان النداء على هذه الصيغة مألوفاً في ذلك الوقت – "ألعل عندكم أداماً". هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها كلمة: "أدام" في العهد الجديد. ويراد بها أصلاً ما يؤكل مع الخبز وقد أطلقت من قبيل التخصيص, على "السمك". إن السؤال الذي

أَجَابُوهُ: «لاَ!» ٦فَقَالَ لَهُمْ: «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا». فَأَلْقَوْا وَلَمْ يَعُودُوا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجْذِبُوهَا مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ألقاه المسيح على تلاميذه بهذه الصيغة, يحمل معه جوابه السلبي. فهو عالم بكل شيء وكان منتظر هذا الجواب, وإنما سألهم إياه ليحملهم على الاعتراف بفشلهم. لأن النجاح الذي يرتبه الله لخدامه لا يبتدئ إلا بعد أن يصلوا إلى منتهى فشلهم.

"أجابوه لا". إن كلمة: "لا" قبيحة في حد ذاتها, لكن ما أجملها متى كانت ممهدة السبيل لعمل القدرة الإلهية في حياتنا! وبما أن نور الشمس لم يكن قد انتشر بعد في الأرجاء, لذلك لم يستطع التلاميذ أن يميزوا الرب, ب ظنوه رجلاً جليلاً جاء ليبتاع منهم سمكاً.

عدد ٦. (٣) السائل المجهول يقدم لهم إرشاداً فيتلقوه كأمر ويلقون الشبكة: "فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا". سرعان ما سمع التلاميذ من هذا الزائر الغريب, هذه النصيحة التي عين لهم فيها الجهة المناسبة للصيد, حتى صدعوا بأمره, ظناً منهم أنه لمح – وهو على الشاطئ – تموجات في الماء, أو علامات أحرى, دلته على وجود سمك في ذلك الموضع المعين, من غير أن يعلموا أنهم منفذون أمر سيدهم وفاديهم. "فألقوا شباكهم ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك". فقد يكون النجاح دليلاً على حضور الله في وسط شعبه, ورضاه عنهم, إلا أن هذه قاعدة لها شواذها, فقد تأتينا بركات من الله مبرقعة بحجاب الفشل.

٧فَقَالَ ذَلِكَ التِّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ لِبُطْرُسَ: «هُوَ الرَّبُّ». فَلَمَّا سَمِعَ

عدد ٧. (٤) أسبق التلاميذ إلى تمييز هذا الزائر الكريم "فقال ذاك التلميذ كان يسوع يحبه" – أي يوحنا – "لبطرس: هو الرب". إن عيني المحبة كعيني النسر, تريان ما لا تراه أعين أحرى, فلا عجب إذا كانت عينا يوحنا أسبق العيون إلى تمييز شخصية المسيح, فهو التلميذ المحب. على أن المحبة لا تكتفي بأن تسبق غيرها في ميدان المعرفة, لكنها أيضاً تسبق سواها في إشراك الآخرين معها في ما تكتشفه من كنوز. كذلك قال يوحنا بطرس:

"هو الرب" – هاتان الكلمتان, شبيهتان بمنارتين مضيئتين, إذا حملهما الإنسان معه أنى سار, بددت أنوارهما كل ظلام ويأس في سبيل حياته. لكن أحباء اله, هم وحدهم الذين يستطيعون أن يروا الرب في كل شيء. فإذا ما حلت بهم أوقات ضيقات ومسرات, وأفراح وأتراح, وفشل ونجاح, وخسائر وأرباح, رأوا في هذه كلها يد الرب, وقالوا: "هو الرب". ولكن الأفضل ليوحنا في حبه للفادي, لأن محبته للمسيح لم تكن سوى صدى صوت محبة المسيح له: "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً". ومما ساعد يوحنا على تمييز شخصية الفادي, أن النجاح الذي صادفهم في هذه المرة ذكره بذلك النجاح الذي كان قد صادفهم في مناسبة سابقة, عند بدء تعرفهم بالرب (لو ٥: ٦ و٧).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(٥) بطرس أيضاً يميز هذا الزائر الكريم فيسرع إلى لقائه: "فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه" – هذه هي المرة وحيدة التي وردت فيها الكلمة: "ثوب" في اللغة الأصلية في العهد الجديد – "لأنه كان عرياناً

سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ لأَنَّهُ كَانَ عُرْيَاناً وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ. ٨وَأَمَّا التّلاَمِيذُ الآخَرُونَ فَجَاءُوا بِالسَّفِينَةِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا

وألقى نفسه في البحر". كان يوحنا محباً لسيده, وكذلك كان بطرس. لكن كلاً منهما عبر عن محبته لفاديه, بالطريقة التي تتفق ومزاجه الخاص, فيوحنا المحب, الساكن الهادئ, عرف شخصية الرب, لكنه ظل في مكانه ساكناً, متأملاً, منتظراً حتى ترسو السفينة في وقتها المناسب. أما بطرس الغيور المندفع, فحالما عرف شخصية السيد, لم يتمهل حتى ترسو السفينة, بل اندفع – وعادته الاندفاع – وألقى بنفسه في البحر, بعد أن "اتزر بثوبه لأنه كان عرياناً", مع أنه لو ظل في مكانه في السفينة, لرست السفينة على الشاطئ قبله, إذ لم يكن بينه وبين الشاطئ "إلا نحو مئتي ذراع". ولكن أنى لبطرس أن يتمهل في مكانه منتظراً وهو الذي يريد أن يبالغ في إظهار ولائه لسيده, بطريقة تمحو نكرانه له (١٨: ٢٨)؟.

يذكرنا موقف بطرس هنا, بموقف آخر له عند بدء تعرفه بالمسيح (لو ٥: ٨). هناك رأينا بطرس شاعراً بخطاياه, وفاراً من وجه مولاه قائلاً: "أخرج من سفينتي يا رب ". وهنا نراه شعراً أيضاً بخطيته, وفاراً إلى وجه السيد. فشعور المرء بخطيته يبعده عن الله في بادئ الأمر, لأن الله نور لا يدنو منه ظلام. ونفس هذا الشعور يدفع الإنسان أيضاً إلى الالتجاء إلى الله, مستنجداً به ومستغيثاً. لأن الله ليس قاضياً فقط, بل هو أيضاً ولينا.

عدد ٨. (٦) موقف التلاميذ الآخرين تجاه هذا الضيف الكريم:

بَعِيدِينَ عَنِ الأَرْضِ إِلاَّ نَحْوَ مِئَتَيْ ذِرَاعٍ وَهُمْ يَجُرُّونَ شَبَكَةَ السَّمَكِ. ٩فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الأَرْضِ نَظَرُوا جَمْراً مَوْضُوعاً وَسَمَكاً مَوْضُوعاً عَلَيْهِ وَخُبْزاً. ١٠قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ

"أما التلاميذ الآخرون, فجاءوا بالسفينة, لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مئتي ذراع" – المئتا ذراع هذه, تساوي نحو خمسة وتسعين متراًً.

عدد ٩. (٧) الضيف المضيف: "فلما خرجوا إلى الأرض نظروا جمراً موضوعاً وسمكاً عليه وخبزاً". ما أكرم هذا المضيف الذي أتى إلى تلاميذه على الشاطئ, ضيفاً سائلاً إياهم عما عندهم من أدام, كما لو كان هو محتاجاً إلى أدامهم, مع أنه سبق فأعد لهم على الشاطئ أداماً وخبزاً من لدنه. لم يقل لنا الكتاب, من أين أتى المسيح بهذا السمك وهذا الخبز. ويكفينا أن نذكر أنه رب البحر والبر, وأن كل ما فيهما, في قبضة يديه. وفي اعتقادنا أن ما أعده

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيح على الشاطئ تلاميذه, ليس سوى رمز لما أعده لجميع خدامه, ليتمتعوا به, متى فرغوا من أعمالهم في بحر الحياة, ووصلوا إلى شاطئ الأبد.

عدد ١٠. (٨) المضيف الكريم يطلب إليهم أن يقدموا من السمك الذي أمسكوه. "قال لهم يسوع قدموا من السمك الذي أمسكتم الآن". يحدثنا هذا العدد عن ثلاثة أمور: أولها: - علم المسيح كل شيء. لأنه واضح أن التلاميذ لم يكونوا قد جذبوا بعد شبكتهم من البحر (عدد ١١). أمره لهم بأن يقدموا من السمك الذي أمسكوه, دليل على أنه يحيط علماً بك شيء. وثانيها – أن المسيح بطلبه إلى تلاميذه أن يقدموا له ما سبق فقدمه لهم,

الَّذِي أَمْسَكْتُمُ الآنَ». ١١فَصَعِدَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَجَذَبَ الشَّبَكَةَ إِلَى الأَرْضِ مُمْتَلِئَةً سَمَكاً

أرادهم أن يعترفوا بعطاياه لهم, وأن يدركوا أن هذه العطايا ليست للحفظ, بل للاستعمال. وثالثها – أن في مطالبة المسيح تلاميذه, بأن يقدموا من السمك الذي أمسكوه, رمزاً إلى أنه سيطعم المؤمنين الأمناء من تعب أيديهم متى بلغوا شاطئ الأبد. فمع أن الحياة تعطي للإنسان هبة مجانية, إلا أن جانباً غير يسير من مسراتها, يعود على الإنسان نتيجة أمانته فيما سلم إليه من وزنات.

عدد ١١. (٩) العدد الكامل: "فصعد سمعان بطرس" – هذه مرة أخرى نرى فيها بطرس أسبق زملائه إلى العمل – "وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين ومع هذه الكثرة, لم تتخرق الشبكة". اهتم المفسرون –من متقدمين ومتأخرين – بعدد الأسماك التي اصطادها الرسل, وعلقوا عليه تعليقات شتى: فكيرلس الإسكندري, حسب العدد ١٥٣ مؤلفاً من ١٠٠+٥٠+٣. فالعدد ١٠٠ يرمز إلى ملء الأمم, والعدد ٥٠ يرمز إلى البقية المختارة من إسرائيل, والعدد ٣ إلى الثالوث الأقدس. وقال اغسطينوس: أن العدد ١٠ يرمز إلى الناموس, ولكن بما أن الناموس يقتل, لذلك أضاف رقم ٧ إلى العدد ١٠ الذي يمثل حسب رأيه ملء هبات الروح, ثم جمع الأعداد من ١ إلى ١٧ فصار المجموع ١٥٣. من أجل ذلك ارتأى أن هذا العدد الأخير, يرمز إلى كل الداخلين تحت لواء المسيح الذي التقت يه النعمة بالناموس. وقال كستلين إن ١٥٣ هو عدد

كَبِيراً مِئَةً وَثلاَثاً وَخَمْسِينَ. وَمَعْ هَذِهِ الْكَثْرَةِ لَمْ تَتَخَرَّقِ الشَّبَكَةُ.

أنواع السمك التي كانت معروفة وقتئذ, دلالة على أن المختارين سيكونون من كل قبيلة, وشعب, وأمة. وقال هنجستبرج: أن عدد الأسماك يرمز إلى الـ٦٠٠ و١٥٣ دخيلاً, الذين كانوا قد دخلوا حظيرة إسرائيل حتى عهد سليمان (٢ أي ٢: ١٧). ومهما يكن من أمر هذه التأويلات, التي لا تخلو من طرافة ممتزجة بغرابة, فإننا نعتقد أن المستفاد من هذا العدد هو: (ا) أن السمك الذي اصطاده الرسل كان كثيراً جداً. (ب) أن هذا السمك بلغ كثرة إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حد أن الرسل اهتموا بإحصاء عدده فوجدوه ١٥٣. (ج) أن كل السمك الذي اصطاده الرسل, وصل إلى الشاطئ, من غير أن يسقط منه شيء, بدليل قوله أن "الشبكة لم تتخرق", دلالة على أن كل المختارين سيصلون إلى موطن السلام من غير أن يفقد منهم أحد.

وقد اهتم بلومر أحد المفسرين العصريين, بوضع مقابلة بين الأسماك التي اصطادها التلاميذ في هذه المرة, وبين تلك التي اصطادوها عند بدء خدمتهم (لو ٥: ٦), فقال أن تلك الأسماك ترمز إلى الكنيسة المجاهدة, وهذه ترمز إلى الكنيسة الظافرة. تلك ضمنت عدداً كبيراً من أسماك مختلفة – بعضها حسن وبعضها رديء, مما دعى إلى تمزيق الشبكة – شأن الكنيسة المجاهدة التي مزقتها الانقسامات والأهواء. وأما هذه, فإنها ترمز إلى الكنيسة المنتصرة, التي لا تجمع إلا المختارين وحدهم, الذين لا يهلك منهم أحد.

١٢قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلُمُّوا تَغَدَّوْا». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ التّلاَمِيذِ أَنْ يَسْأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ إِذْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّبُّ. ١٣ثُمَّ جَاءَ يَسُوعُ وَأَخَذَ الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ وَكَذَلِكَ السَّمَكَ.

(ج) الشبع الذي ناله التلاميذ من المسيح المقام (٢١: ١٢ – ١٤).

عدد ١٢. المضيف الكريم يدعو ضيوفه إلى طعام الإفطار الذي أعده لهم: "قال لهم يسوع هلموا تغدوا". في بدء تعرفهم به, قال لهم: "هلموا ورائي"! والآن قبيل افتراقه عنهم, قال لهم "تعالوا تغدوا"! تلك دعوة للتلمذة, وهذه دعوة لملء الشركة والشبع. ولقد لبى التلاميذ هذه الدعوة الأخيرة, مثلما لبوا دعوته الأولى. لكن التهيب, والفرح, والاقتناع, قد ملكت مشاعرهم في هذه المرة. "فلم يجسر أحد منهم أن يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون أنه الرب" – على رغم التغير الذي لاحظوه على هيئته بعد القيامة. هذا دليل آخر, على كاتب هذه البشارة شاهد عيان. لأنه لم يكتف بأن ينقل إلينا أقوال التلاميذ, بل صور لنا أيضاً مشاعرهم, بدقة فائقة.

عدد ١٣. (٢) المضيف الكريم يطعم ضيوفه مما أعد لهم: "ثم جاء يسوع" – لما رآهم محجمين عن الدنو منه, بسبب خوفهم وتهيبهم, تقدم هو إليهم – "وأخذ الخبز وأعطاهم". وردت كلمتا: "خبز" و"سمك" بالمفرد, دليلاً على أنهما الخبز والسمك اللذان كان قد أعدهما المسيح على الشاطئ, قبل أن يجذب التلاميذ شبكتهم من البحر. فما أكرم هذا المضيف الذي لا يقدم لضيوفه إلا مما أعده شخصياً من عنده!!

١٤هَذِهِ مَرَّةٌ ثَالِثَةٌ ظَهَرَ يَسُوعُ لِتلاَمِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ.١٥فَبَعْدَ مَا تَغَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ
لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عدد ١٤. (٣) كلمة تاريخية تفسيرية: "هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات". أما المرة الأولى التي سجلها يوحنا, فقد مررنا بها في ٢٠: ٢٣, والثانية في ٢٠: ٢٦ – ٢٩.

ثانياً: المسيح واثنان من تلاميذه (٢١: ١٥ – ٢٣). هذا الفصل فيه مشهدان: (أ) المشهد الأول: المسيح وبطرس (٢١: ١٥ – ١٩). (ب) المشهد الثاني: المسيح ويوحنا (٢١: ٢٠-٢٣).

(أ) المشهد الأول: المسيح وبطرس (٢١: ١ –١٩). في هذا المشهد أكد المسيح لبطرس غفرانه التام, وثبته في وظيفته الرسولية, وسلمه مقاليدها من جديد, في حديث يتألف من خمسة أعداد. الثلاثة الأول منها (عدد ١٥ – ١٧), تتضمن سؤالاً مثلثاً, ومهمة مثلثة: وفي العددين الباقيين (عدد ١٨ و١٩), أنبأ بطرس بما سيصيبه في مستقبل الأيام.

السؤال المثلث, والجواب المثلث, والمهمة المثلثة (٢١: ١٥ – ١٧). من الملاحظ أن كل عدد من هذه الأعداد, يتضمن سؤالاً في غرته, وجواباً في وسطه, ومهمة في خاتمته.

توطئة تاريخية: "فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان ...". على شاطئ بحر طبرية تسلم بطرس مهام وظيفته لأول مرة, وهو يصطاد سمكاً (لو ٥: ١٠), وعلى شاطئ هذه البحيرة عينها, استرد بطرس مقاليد وظيفته

«يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلاَءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ٱرْعَ خِرَافِي».

وهو يتصيد أيضاً (٢١: ١٥). على مقربة من جمر متقد, أنكر بطرس سيده أمام جارية (يو ١٨: ١٨) وبجانب جمر متقد أيضاً, نال بطرس الضمان التام لمغفرة خطاياه (٢١: ٩ و١٥)

فما أقرب التشابه بين هذه المناسبات المتباينة.

السؤال المثلث: "يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء" (عدد ١٥) "قال له أيضاً ثانية يا سمعان بن يونا أتحبني" (عدد ١٦) ... "قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبني" (عدد ١٧) ...". ألقى المسيح هذا السؤال على بطرس ثلاث مرات, وفي كل مرة منها, لم يخاطبه باسمه الجديد الذي خلعه عليه: "بطرس" – ومعناه "الصخرة", بل اسمه ولقبه اللذين كان معروفاً بهما من قبل: "سمعان بن يونا" – ومعناهما "المطواع بن اليمامة". بهذا اللقب وهذا الاسم خاطب المسيح بطرس, يوم أن أتى إليه أخوه اندراوس (١: ٤٢) وبهما أيضاً خاطبه في أحسن أوقاته يوم أن أقر له باعترافه الحسن (متى ١٦: ١٧). فكأن المسيح

 All rights reserved © 2008-2018

قصد من مخاطبة بطرس بهذا الاسم وهذا اللقب, أن يقلب سفر ماضي بطرس أمام عينيه, بما فيه من صفحات سود وبيض.

"أتحبني؟" – ثلاث مرات أنكر بطرس سيده, وثلاث مرات أيضاً وجه المسيح هذا السؤال إلى بطرس, ليفوز منه بإقرار إيجابي مثلث ينفي به نكرانه المثلث. فقول بطرس: "أنت تعرف" نسخ قوله للجارية: "يا امرأة لست أعلم".

١٦قَالَ لَهُ أَيْضاً ثَانِيَةً: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ

كنا ننتظر أن يسأل المسيح بطرس عن حزنه العميق على خطيته السابقة, أو عن عزمه الأكيد على أن لا يعود إلى مثلها مرة أخرى, أو عن كبار الأعمال التي ينوي أن يقوم بها في مستقبل الأيام, أو عن إيمانه وما سيجود به من ثمار طيبة, لكن المسيح لم يسأل بطرس لا عن هذا, ولا عن ذاك, وإنما سأله عن شيء واحد – المحبة. ولا عجب. فالمحبة هي رباط الكمال. أو كما قال أغسطينوس "أحب من كل اقلب ثم افعل ما بدا لك". في هذا يمتاز بطرس عن يهوذا – ليس لأن خطيته أصغر من خطية ذاك, بل لأن ولاءه لمولاه, أجل وأكبر. فالحب كان مالئاً قلب بطرس. والسم, قلب يهوذا.

ومن الملاحظ أن كلمة: "محبة" التي استعملها المسيح في سؤاليه – الأول والثاني – لبطرس (عدد ١٥ و١٦), هي غير كلمة: "محبة" التي استعملها بطرس في جوابيه الأول والثاني. فالمسيح استعمل فيها كلمة "أجابان" وهي تعني المحبة في أجل مظاهرها وأقوى مشاعرها وأسمى درجاتها. مع أن الكلمة التي استعملها بطرس في أجوبته الثلاثة هي "فيلين" وهي نفس الكلمة التي استعملها المسيح في سؤاله الثالث (عدد ١٧), وهي تعني المحبة في مظاهرها الاعتيادية الطبيعية, وهي أقرب الكلمات إلى المودة. هذا دليل آخر على أن البشير كان شاهد عيان, وأنه اهتم بأن يصور لنا هذا الموقف الأخير, بين المسيح وبطرس, بغاية الدقة, فحرص على أن يحفظ لكل كلمة قوتها ودلالتها: هذا وإن في استبدال المسيح في سؤاله

تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ٱرْعَ غَنَمِي». ١٧قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا

الثالث, كلمة "اجابان" الممتازة, بكلمة "فيلين" المتواضعة, تعليلاً آخر لحزن بطرس, الذي استولى عليه, عند سمعه هذا السؤال الثالث من سيده. فمع أنه من المسلم به, أن تكرار المسيح لسؤاله لبطرس, ثلاث مرات, كان سبباً رئيسياً في أحزان قلب بطرس – لأن السؤال الذي أعيد عليه ثلاثاً ذكره بخطيته التي ارتكبها ثلاثاً, إلا أن بطرس حزن أيضاً لأن كلمة, "فيلين" التي ذكرها المسيح في سؤاله الثالث, أشعرته بأن المسيح لم يحسبه أهلاً لتلك المحبة الرفيعة لممتازة, التي سأله عنها في المرتين الأولى والثانية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وجدير بالملاحظة أن المسيح ذكر في سؤاله لبطرس, عبارة أغفلها عمداً في سؤاليه الثاني والثالث, وهي قوله: "أكثر من هؤلاء" (عدد ١٥). فقد اتخذ المسيح هذه العبارة, أداة لتذكير بطرس بعهوده التي قطعها على نفسه, متفاخراً بها على زملائه: "إني أضع نفسي عنك" .... "إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك" (يو ١٣: ٣٧ ومتى ٢٦: ٣٣). أما وقد رأى المسيح من جواب بطرس المثلث, أنه أقلع عن عادة التفاخر على أترابه, فلم يجد داعياً لتكرار هذه العبارة. لأنه لا يلقي علينا درساً مرتين متى فهمناه لأول مرة.

الجواب المثلث: "... نعم يا رب أنت تعلم إني أحبك" (عدد ١٥) "... نعم يا رب أنت تعلم إني أحبك" (عدد ١٦). "... أنت تعلم كل شيء أنت تعرف إني أحبك" (عدد ١٧) – هذه كلها أجوبة مفعمة بروح

أَتُحِبُّنِي؟» فَحَزِنَ بُطْرُسُ لأَنَّهُ قَالَ لَهُ ثَالِثَةً: أَتُحِبُّنِي؟ فَقَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ أَنْتَ

التواضع, ومشبعة بالشعور بالضعف. فقد زال منها كل أثر لزهور والخيلاء بل قد انعدم منها كل أثر للاعتداد بالذات. لأن في استشهاد بطرس بعلم المسيح, ومعرفته – مع عدم ذكره شيئاً عن تفضيله نفسه على الآخرين – لأكبر دليل على أن بطرس فقد كل ثقة بنفسه, وأنه وضع ثقته التامة في المسيح. لأن النبرة في كلامه واقعة على كلمة "أنت". في هذا أيضاً دليل على أن بطرس كان مخلصاً في حبه لمولاه, وإلا لما تجاسر أن يستشهد بعلم المسيح, وهو موقن أن سيده عليم بذات الصدور. كذلك أيضاً لم يذكر بطرس في جوابه كلمة واحدة عن المستقبل, بل اكتفى بالكلام عن الحاضر. الآن فقط أدرك أن المستقبل بين يدي الله, وأن ليس له, إلا اللحظة التي هو فيها.

ولقد استعمل بطرس في جوابه المثلث, كلمتين مختلفتين بمعنى "عرف" فالكلمة الأولى "أويداس" – وقد أوردها في جوابيه الأول والثاني (عدد ١٥ و١٦), تعني علم المسيح الإلهي الخارق الطبيعة. والكلمة الثانية "جينوسكياس" – وهذه استعملها في جوابه الثالث (عدد ١٧) – تعني علم المسيح الاختباري نتيجة الفحص الذاتي. الكلمة الأولى ترجمت إلى العربية "تعلم", والكلمة الثانية ترجمت "تعرف".

المهمة الثالثة: ".... ارع خرافي" (عدد ١٥) ".... ارع غنمي" (عدد ١٦) ".... ارع غنمي" (عدد ١٧).

ما أعجب حب فادينا, وما أوسع رحمته الغافرة. فهو لم يكتف

تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ٱرْعَ غَنَمِي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بأن يغفر لبطرس خطاياه, بل شرفه بوكالة سامية, وائتمنه على قطيعه المختار. فغير المسيح يذكر الخطايا ولا يغفر, وإن غفر ذكر, وإن غفر ونسي تعذر عليه أن يأتمن من سبق أن ائتمنه فخان. لكن المسيح يغفر, ولا يذكر, ويأتمن.

"ارع خرافي" ... "ارع غنمي" ... "ارع غنمي" – الآن انتقل بطرس من عمل الصياد, إلى خدمة الراعي. لأن النفوس بعد أن تنقذ من مخاطر العالم, تحتاج إلى طعام وغذاء. هذا امتياز الخراف على السمك. فالسمك يصطادونه ليأكلوه, والخراف ينقذونها ليطعموها. فالصيد عمل المبشر, والرعاية عمل الراعي.

الكلمة المترجمة "ارع" في عددي ١٥ و١٧, تعني تغذية الخراف بالطعام والكلمة المترجمة "ارع" في عدد ١٦, تعني الرعاية المستمرة – بما فيها الحرص والعناية والسياسة (لو ١٧: ٧ و١ كو ٩: ٧). وكذلك الكلمة التي ترجمت إلى "خرافي" في عدد ١٥, هي غير الكلمة التي ترجمت إلى "غنمي" في عددي ١٦ و١٧. فالأولى تعني "الحملان" الصغيرة التي تلازم الحظيرة – هذه تلزمها التغذية بالطعام داخل الحظيرة. لكن الثانية المستعملة في عددي ١٦ و١٧, تعني "الخراف الكبيرة", التي تسرح طوال اليوم بين المراعي والحقول – هذه تلزمها الرعاية والحفظ والسياسة.

فمن هذا نرى أن السؤال المثلث, يتضمن كلمتين مختلفتين عن المحبة,

١٨اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلَكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ». ١٩قَالَ هَذَا مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ

والجواب المثلث يتضمن كلمتين مختلفتين عن المعرفة. وفي المهمة المثلثة نجد كلمتين مختلفتين عن الرعاية, وأخرتين متميزتين للخراف.

المسيح ينبئ بطرس عن مستقبله – اتباعه حتى الصلب (٢١: ١٨ و١٩).

"الحق الحق" – انظر شرح ١: ٥٥ – "أقول لك لما كنت أكثر حداثة" – مما أنت عليه الآن – "كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء ولكن متى شخت ...". إن في هذا الكلام مقابلة بين بطرس في شبابه, وبطرس في شيخوخته. فبطرس في شبابه كان ينعم بالحرية – يسرح ويمرح في الحياة أنى شاء, لكنه في شيخوخته سيحمل إلى حيث لا يشاء. فـ"مد يديه" يشير إلى تسميرهما ي الصليب الذي كان مزمعاً لأن يرفع عليه. أما ذلك "الآخر" الذي سيمنطقه, فهو الجلاد الذي سيسمر جسد بطرس في الصليب, ثم يحمله هو وصليبه, مثبتاً إياهما في مكان مرتفع كالمعتاد (انظر صفحة ٧٧٣). ولا يستنتج بالضرورة من قول المسيح لبطرس: "حيث لا تشاء", إن بطرس سيكون هارباً من الموت – مع أن هذا قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يكون في حيز الاحتمال – وإنما يستفاد منه: أن الطبيعة البشرية تنفر بطبعها من الموت, مثلما ينفر الطفل من مواجهة الظلام.

"ولما قال هذا قال له اتبعني" – في مناسبة سابقة قال المسيح لبطرس:

كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يُمَجِّدَ اللَّهَ بِهَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا قَالَ لَهُ: «ٱتْبَعْنِي». ٢٠فَالْتَفَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ يَتْبَعُهُ وَهُوَ أَيْضاً الَّذِي اتَّكَأَ عَلَى صَدْرِهِ وَقْتَ الْعَشَاءِ وَقَالَ: « يَا سَيِّدُ مَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُكَ؟»

"حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني" (١٧: ٣٧). أما الآن, فقد حان الوقت الذي فيه قال له المسيح, "اتبعني" مشيراً بذلك إلى الصليب, الذي كان معداً ليرفع عليه بطرس في مستقبل الأيام, مثلما رفع مولاه من قبل.

في بدء تعرف بطرس بالمسيح, سمع منه مثل هذه الكلمة (١: ٤٣, متى ٨: ٢٢, ٩: ٩). والآن, عند توديع سيده إياه, سمع منه هذا النداء. قبلاً ناداه سيده ليتبعه في حياة الخدمة, والآن دعاه ليتبعه إلى موت الصليب.

(ب) المشهد الثاني – المسيح ويوحنا – هل من نصيب يوحنا أن "يبقى" منتظراً (٢١: ٢٠ – ٢٣).

سمع بطرس من المسيح كلمة: "اتبعني" – ولعله لمح معها إشارة من مولاه, فتبعه للوقت. وما هي إلا لحيظة حتى حانت منه التفاتة إلى الوراء, تجاه التلاميذ الذين كانوا جالسين حول الموقد, فرأى يوحنا أيضاً آتياً. فثارت في نفسه غريزة حب الاستطلاع, وقصد أن يستفهم عن النصيب المذخر لزميله يوحنا, ولكن بلهجة فيها شيء غير يسير من الاستقصاء الفضولي. وقد لا تخلو من شيء من الحسد. فكان جواب المسيح له: أنه ليس عن حكمة يسأل عن هذا. فإذا ما رغب هو في أن يجعل نصيب يوحنا

٢١فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ هَذَا قَالَ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ وَهَذَا مَا لَهُ؟» ٢٢قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ؟ اتْبَعْنِي أَنْتَ».

"البقاء" على قيد الحياة حتى يجيء ثانية, وأن يجعل نصيب بطرس الموت العاجل, فهو حر, يرتب لكل إنسان مصيره حسبما يشاء. فما علة بطرس إلا أن يتنبه إلى المسئوليات التي عليه, وأن يقلع عن البقية الباقية من الإنسان العتيق الذي في نفسه, الذي كان يدفعه بين حين وآخر إلى أن ينشغل بالآخرين عن نفسه. ولا يستفاد من هذا, أن السيد يمنعنا عن أن نطمئن على مستقبل من نحب, بل أنه ينصح لنا أن لا نكون فضوليين, وأن نرضى بما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يرضاه هو لنا. لأنه "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً, إن لم يكن قد أعطي من السماء" (٣: ٢٧).

تقول الأمثال: إن الله فرق العقول في الظلام, فكل إنسان يفضل عقله على عقل سواه. لكنه فرق الأنصبة في النور, فالإنسان معرض لأن لا يرضى بنصيبه, مفضلاً عليه نصيب سواه.

على أن المسيح الذي عين نصيب كل من بطرس ويوحنا, قد راعى الاستعداد الطبيعي الذي لكل منهما. فبطرس ذو الطبيعة الحماسية الثائرة المندفعة, قد عين له أن يخدم مجاهداً حتى يرفع على صليب عاجل. يوحنا ذو الطبيعة الهادئة الساكنة, الذي يلذ له الانتظار بصبر وسكون, قد قال عنه المسيح "إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك"؟ إن كلمة "يبقى" من مميزات أسلوب يوحنا, وقد وردت كثيراً في الأصحاح الخامس عشر, بمعنى "يثبت". فلا فضل لبطرس في جهاده الذي يتوج بالصبر, على يوحنا

٢٣فَذَاعَ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَ الأخوة: إِنَّ ذَلِكَ التِّلْمِيذَ لاَ يَمُوتُ. وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَهُ يَسُوعُ إِنَّهُ لاَ يَمُوتُ بَلْ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ فَمَاذَا لَكَ؟». ٢٤هَذَا هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهَذَا وَكَتَبَ هَذَا.

الذي "يبقى" بهدوء وسكون. لأن الجندي الذي يلازم المرقب, خليق بمكافأة نظير الجندي الذي يخر صريعاً في حومة الوغى. فكلاهما أمن لوطنه.

قد أساء بعضهم فهم هذه الكلمة التي فاه بها المسيح عن يوحنا, فظنوا أن المخلص وعد يوحنا بالبقاء حتى يجيء ثانية. من أجل ذلك كان كثيرون منهم ينتظرون أن يوحنا الحبيب سينال ما ناله "أخنوخ" و"إيليا" في العهد القديم. فلم يجد يوحنا بداً من تصحيح هذه الفكرة, فعمد إلى ترديد كلمات المسيح كما هي, من غير شرح ولا تعليق: "ولكن لم يقل له يسوع أنه لا يموت. بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك".

ولا يغرب عن بالنا, أن مجيء المسيح عملية تتم تدريجياً على فترات متتابعة فقد يشار به إلى مجيئه روحياً يوم الخمسين – لعزاء. أو إلى مجيئه يوم خرب أورشليم – للقضاء. أ إلى مجيئه عند منتهى حياة كل مؤمن – ليأخذه إليه. أو إلى ذلك الحادث المجيد المبتغى – مجيئه نهائياً عند انقضاء الدهور – للملك والقضاء. والمعنى الأخير هو المقصود في هذه القرينة.

الخاتمة النهائية: (٢١: ٢٤ و٢٥). "هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ...". أريد بهذه الخاتمة, تبيان ثلاث حقائق – الأولى أن كاتب هذه البشارة, شاهد عيان: "هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ. ٢٥وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ

والثانية: أن شهادته حق: "ونعلم أن شهادته حق". فهي حق لأنها تحمل في قلبها برهان صدقها, وهي حق بحكم الأخلاق النبيلة المتصف بها كاتبها بشهادة الجميع. والثالثة: أن ما كتب عن المسيح لا يوازي إلا قطرة أخذت من بحر خضم. لو كتبت كل أعمال المسيح وكلماته, واحدة واحدة, فإن "العالم نفسه لا يسع الكتب المكتوبة" – الإشارة هنا إلى سعة العالم الفكرية والمعنوية, أكثر منها إلى سعته المادية الجغرافية. لأن بين أيدينا اليوم, كتباً لا تحصى عن حياة المسيح, وعددها يربى على عدد أي كتب ألفت في موضوع واحد. ومتى ذكرنا أن كل هذه الكتب مستقاة من قطرة المعلومات التي وصلت إلينا من البشيرين, فما أكثر الكتب التي كان يمكن أن تكتب عن حياة المسيح, لو أتيح للكتاب أن يرتشفوا من بحر المعلومات الزاخرة الفياضة. ولكننا نحمد الله لأن ما كتب فيه الكفاية لقوم يعقلون.

هذه خاتمة هذه البشارة الخالدة التي فيها رأينا "كلمة الله" الأزلي, وقد تجسد, "وحل بيننا فرأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً".

هذا هو "حمل الله" الذي رفع خطية العالم, وهو هيكلنا الأولي, الذي لم يكن هيكل سليمان سوى رمز له. هو ترياقنا الشافي من كل لدغات الخطية ولسعاتها. هو ماء الحياة المروي, وخبز الحياة المشبع, ونور العالم الساطع. هو راعي الخراف المضحي بالنفس والنفيس, وهو القيامة والحياة, للراقدين

يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ.

في قبور الخطية – من أحياء وأموات. هو غالب رئيس هذا العالم, وهو خير جاذب للقلوب المتباعدة. هو الطريق, والحق, والحياة, هو الكرمة الحقيقية التي صارت عصارتها لبشرية خير عزاء, وبهجة, وشاء. هو الذي غذ رفع على صليب العار, جعل من الصليب عرشاً, وخلق من عاره فخاراً, وصير كسرته غلبة وانتصاراً, فأضحى وهو على الصليب متوجاً بتيجان كثيرة فجاءت مملكة العلم, ومملكة الرحمة, ومملكة الحق, ومملكة المحبة, ومملك القوة, فطرحت تيجانها عند قدميه ساجدة صاغرة.

هو الذي قبر الموت في قبره فقام ظافراً بتاج الخلود

وصعد مرتفعاً إلى عرش السماء, وسيأتي

ثانية ليملك بمجده

آمين. فآمين.

 All rights reserved © 2008-2018

(١) يعتقد جودي أن هذين التلميذين اللذين لم يذكر يوحنا اسميهما ليسا من الرسل وإنما هما من صفوف التلاميذ المؤمنين. ويظن أن أحدهما: هو ارستيوس, وثانيهما يوحنا, الذي كان يشغل وظيفة شيخ في الكنيسة الأولى, ولقبه بابياس بـ" تلميذ قديم للرب".

المراجع

يرى المؤلف لزاماً عليه أن يذكر أسماء الكتب التي استعان بها في تفسيره، إقراراً منه بفضل مؤلفيها:

Commentary on the Gospel of John	F. Godet
The Speaker's Commentary; St. John	B. f. Westcott
The Pulpit Commentary; St. john	H. R. Reynolds
Expository Thoughts on the Gospels	J. C. Ryle
The Greek Testament	Henry Alford
The Gospel According to John	J. P. Lange
Gnomon of the New Testament	J. A. Bengel

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

The Gospel of St. John	F. D. Maurice
Exposition of Holy Scriptures	A. Maclaren
The Cambridge Bible-St. John	A. Plummer
The Bible Commentary	C. J. Elliott
Matthew Henry's Commentary	D. Brown
The Expositor's Bible; St. John	Marcus Doods
The Fourth Gospel	R. H. Strachan
Studies in John's Gospel	W. W. White
للدكتور أدى وجماعة من اللاهوتيين في سوريا	الكنز الجليل
للدكتور جورج فورد	سيرة يسوع المسيح
لبنكرتون	شرح إنحيل يوحنا
للدكتور سمعان كلهون	إتفاق البشيرين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com